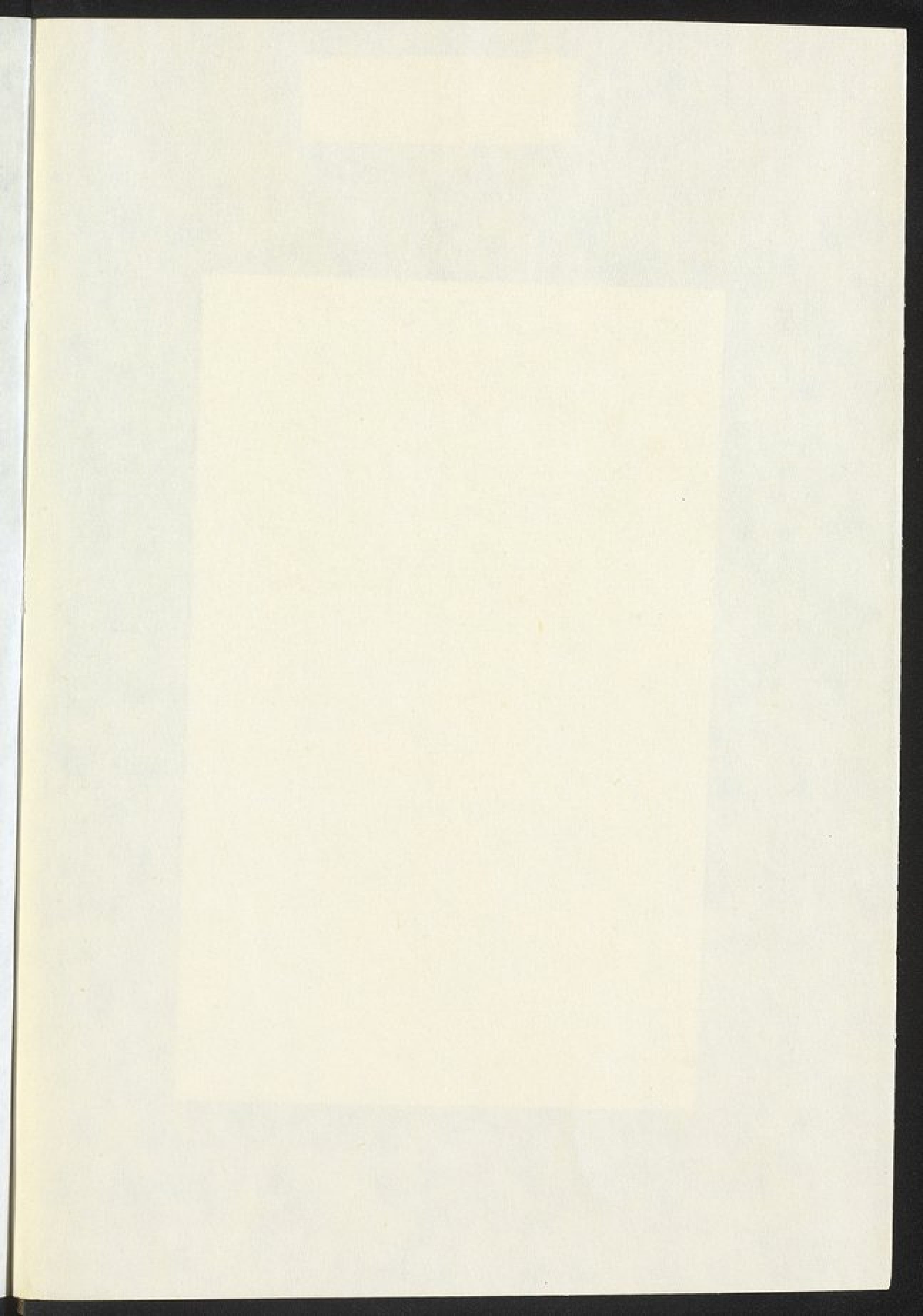
تفسير البصائر

الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد الثامن والخمسون







Juybari

المجلد الثامن والخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقّق سماحة الحجّة
يعسوب الدّين رستگار الجويباری

ايران - قم
١٤٠٦ هـ ق = ١٣٦٤ هـ ش

سورة الزلزال مدنية وهي ثماني آيات

نزلت بعد سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها ١ وأخرجت الأرض أثقالها ٢ وقال الإنسان ما لها ٣ يومئذ تحدث أخبارها ٤ بأن ربك أوحى لها ٥ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ٦ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٧ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٨

صدق الله العلي العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءكم بصائر من ربكم

فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها

الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عليّ بن معبد عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تملّوا من قراءة: «اذا زلزلت الأرض» فإن من كانت قراءته في نوافله لم يصبه الله عزّ وجلّ بزلزلة أبداً و لم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدّنيا، فاذا مات أمر به إلى الجنة، فيقول الله عزّ وجلّ: عبدي أبحتك جنّتي فاسكن منها حيث شئت و هويت لا ممنوعاً و لا مدفوعاً.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع إلّا أنّ فيه: «لا ممنوع ولا مدفوع عنه» بدل «لاممنوعاً ولا مدفوعاً» والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثّقلين.

و في الكافي: مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لا تملّوا من قراءة: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» فانّه من كانت قرائته بها في نوافله لم يصبه الله عزّ و جلّ بزلزلة أبداً ولم يمت بها، ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدّنيا حتى يموت، وإذا مات نزل عليه ملك كريم من عند ربّه، فيقعد عند رأسه فيقول: يا ملك الموت إرفق بوليّ الله فإنّه كان كثيراً ما يذكرني، ويذكر تلاوة هذه السّورة وتقول له السّورة: مثل ذلك، ويقول ملك الموت: قد أمرني ربّي أن أسمع له واطيع ولا اخرج روحه حتّى يأمرني بذلك، فاذا أمرني اخرجت روحه، ولا يزال ملك الموت عنده حتى يأمره بقبض روحه، وإذا كشف له الغطاء فيرى منازله

في الجنة فيخرج روحه من ألين مايكون من العلاج، ثم يشيّع روحه إلى الجنة سبعون ألف ملك يبتدرون بها إلى الجنة.

أقول: وذلك أنّه إذا كان في الاستماع للقرآن الكريم رحمة إلهية تحيط المستمع، وأنّه في حماية الله جلّ وعلا وكنفه فكيف القاريء المتدبّر فيه، فهل الرّحمة إلّا أن يكون العبد في صيانة الله عزّوجلّ من كلّ سوء؟

قال الله تعالى: «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون» الأعراف: ٢٠٤) وهل الرّحمة أن ينجز الله عزّوجلّ للعبد وعده وأن ينعمه بنعمه؟؟؟

قال الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون» فصّلت: ٣٠)

وقال: «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم» فصّلت: ٣١ـ٣٢).

وفى تفسير كشف الأسرار للميبدي عن الامام الحسين بن عليّ عليهما السلام عن أبيه عليه السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: من قرأ: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» أربع مرّات كان كمن قرأ القرآن كلّه.

وفى المجمع: ابيّ بن كعب عن النّبى صلى الله عليه وآله قال: من قرأها فكأنّما قرأ البقرة واعطى من الأجر كمن قرأ ربع قرآن.

وفيه: وعن أنس بن مالك قال: سئل النّبيّ صلى الله عليه وآله رجلاً عن أصحابه فقال: يا فلان هل تزوّجت؟ قال: لا وليس عندي ما أتزوّج به، قال: أليس معك «قل هو الله احد»؟ قال: بلى قال: ربع القرآن، قال: أليس معك «قل أيّها الكافرون»؟ قال: بلى قال: ربع القرآن قال: أليس معك «اذا زلزلت»؟ قال: بلى قال: ربع القرآن ثمّ قال: تزوّج تزوّج تزوّج.

وفى عيون الأخبار: باسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ « اذا زلزلت الأرض » أربع مرّات كان كمن قرأ القرآن كله.

وفي الدر المنثور: عن إبن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا زلزلت الأرض» تعدل نصف القرآن، والعاديات تعدل نصف القرآن، و «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن و«قل يا أيّها الكافرون» تعدل ربع القرآن.

و فيه: عن عبدالله بن عمر قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أقرئني يا رسول الله قال له: اقرأ ثلاثاً من ذوات «الر»، فقال له الرجل: كبر سنّي، واشتدّ قلبي، وغلظ لساني قال: إقرأ ثلاثاً من ذوات «حم» فقال: مثل مقالته الاولى فقال : إقرأ ثلاثاً من المسبّحات، فقال : مثل مقالته، ولكن اقرئني يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة جامعة فاقرأه (فاقرأها خ) «إذا زلزلت الأرض زلزالها» حتّى فرغ منها قال الرجل: والّذى بعثك بالحق لا أزيد عليها ثمّ أدبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفلح الرّويجل أفلح الرّويجل.

وفي رواية : إن الرّجل هو صعصعة بن معاوية عمّ فرزدق.

وفي المجمع: هو صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق.

وفي الدرالمنثور : عن أبي أمامة أن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلّي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما إذا زلزلت وقل يا أيّها الكافرون.

وفي تفسير البرهان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كتبها على خبز رقاق و أطعمها سارق غصّ ويفتضح من ساعته ، ومن قرأها على خاتم باسم سارق تحرّك الخاتم .

وفيه : قال الصّادق عليه السلام : من كتبها وعلّقها عليه ، وقرأها وهو داخل علي سلطان، ويخاف نجى مما يخاف منه ، ويحذر وإذا كتبت على طشت جديد لم يستعمل ، ونظر فيه صاحب اللقوة ازيل وجعه بإذن الله تعالى بعد ثلث أو أقلّ.

أقول : ومن غير بعيد أن يكون لكلّ سورة من سور القرآن الكريم

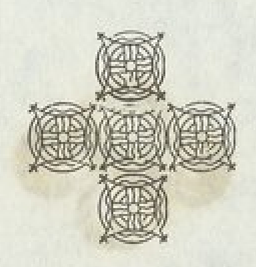
خواصٌ وآثار في الأرواح والأجسام، وفي المعنويّات و الماديّات، ومنها ما ورد في تلك الرّوايات كيف لا والقرآن الكريم يقول: «وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً» الاسراء: ٨٢)

ويقول: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكّلون» الأنفال: ٣)

ويقول: «إذا تتلى عليهم آيات الرّحمن خرّوا سجّداً و بكيّاً» مريم: ٥٨)

ويقول: «وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات تعرف في وجوه الّذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالّذين يتلون عليهم آياتنا» الحج: ٧١ـ٧٢)

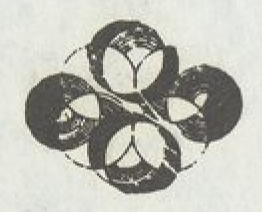
ويقول: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» الزّمر: ٢٣)



﴿الغرض﴾

غرض السورة إشارة إلى بعض أشراط البعث من تزلزل الأرض تزلزلا لم يسبقها لبعث الإنسان، فتحدّث ما فعله علي ظهرها في الدنيا بعد إخراجه من بطنها بأمر الله عزّ وجلّ يوم القيامة ، فيرى كلّ عمله: خيره وشرّه، صغيره و كبيره.

وفي السورة إنذار بهول القيامة وحسابه، وفيها وعظ وحثّ وترغيب النّاس كافة في الخير وحملهم على الاقبال على صالح الأعمال، وعدم إهمال الخير مهما ضئول، وترهيب وتحذيرهم عن الشرّ وإبتعادهم عن الأعمال السيّئة، وعدم الاستهانة بالشر مهما قلّ بصورة عامّة، وان السورة من هذه الناحية تنطوي على تلقين مستمرّ المدى.



﴿النزول﴾

سورة «الزلزلة» مدنيّة نزلت بعد سورة «النور» وقبل سورة «الحديد» على التحقيق وهي السّورة الرابعة والتسعون نزولاً، والتاسعة والتسعون مصحفاً.
وتشتمل على ثمان آيات ، سبقت عليها/ ٥٥٠٠ آية نزولاً، و/ ٦١٣٨ آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على/ ٣٥ كلمة ، و/ ١١٩ حرفاً، وقيل: / ١٤٩ حرفاً، وقيل : / ١٦٩ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في أسباب النزول للسيوطي : أخرج إبن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت : «ويطعمون الطعام على حبّه» الآية كان المسلمون يرون أنّهم لايؤجرون على الشّيء القليل إذا اعطوه ، وكان آخرون يرون أنّهم لا يلامون على الذّنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنّما وعدالله النّارعلى الكبائر فأنزل الله: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره».

وفي رواية : ان الكفّار كثيراً ما يسئلون رسول الله ﷺ عن البعث ويوم الحساب، فيقولون: «أيّان يوم القيامة» و «متى هذا الوعد» وما إليها من أسئلتهم فانزل الله تعالى هذه السورة بذكر علائم البعث ليعلمهم أنه لاسبيل لهم أن يعلموا تعيين ذلك اليوم لمصالح إقتضت.

قيل : لو علم الانسان وقت البعث ، فلو كان يعيش بعيداً عنه لفعلوا ماشاؤا

من العصيان لبعدهم عن وقته، ولو كان يعيش قريباً منه لتركوا العمران والنسل تماماً.

وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري عن عبدالله بن عمر قال: نزلت: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» وأبوبكر قاعد، فبكى أبوبكر فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبابكر؟ قال: أبكاني هذه السورة، فقال رسول الله ﷺ: لو أنّكم لاتخطئون ولا تذنبون لخلق الله امّة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم.

أقول: وفي الرواية على صحّتها امور: منها ـ كان أبوبكر يخطيء ويذنب. ومنها ـ فيها ترغيب له على التوبة ليغفر.

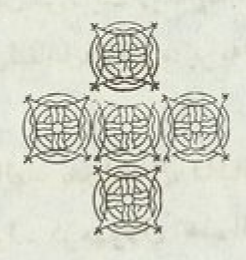
و في الجامع لاحكام القرآن للقرطبى عن أنس ان هذه الآية «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» نزلت على النّبىّ ﷺ و أبوبكر يأكل فأمسك وقال: يا رسول الله وإنا لنرى ما عملنا من خير و شرّ؟ قال: ما رأيت مماتكره فهومثاقيل ذرّ الشرّ ويدّخر لكم مثاقيل ذرّ الخير حتّى تعطوه يوم القيامة.

وفي أسباب النزول للواحدي في قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» قال مقاتل: نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل، فيستقلّ أن يعطيه التّمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ماهذا شيء وإنّما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبّه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة والغيبة والنظرة ويقول: ليس عليّ من هذا شيء، إنّما أوعدالله بالنّار على الكبائر فأنزل الله عزّوجلّ يرغبهم في القليل من الخير فانّه يوشك أن يكثر، و يحذرهم اليسير من الذنب فانّه يوشك أن يكثر «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ـ إلى آخرها..»

وفي نقل آخر: عن مقاتل: أنّ آخر السورة نزلت في رجلين من أهل المدينة كان أحدهما يستقلّ أن يعطي السائل الكسرة أوالتمرة، ويقول: إنّما نؤجر على

ما نعطيه، ونحن نحبّه وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول: إنّما أوعد الله النّار على الكبائر.

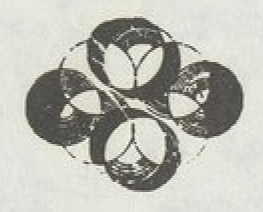
وعن ابن مسعود: ان الآيتين الأخيرتين من السّورة أجمع آية في القرآن، وسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله آية جامعة فاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال: ما أنزل الله فيها شيئاً إلّا هذه الجامعة الفاذة: «فمن يعمل...»



﴿القراءة﴾

قرأ عاصم «زلزالها» بفتح الزاء والباقون بكسرها، وقرأ عاصم «يره» بضمّ الياء في الموضعين، على أنّ الفعل من رأيت زيداً إذا أدركته ببصرك وأريته عمراً مبنيّاً للمفعول، وعلى بناء الفعل للفاعل فتقديره: يريه الله إياه. وقرأ الباقون بفتحها على تقدير: يرجزائه.

وقرأ جعفر «يره» بضمّ الهاء بغير إشباع، والباقون بالسكون وقفاً، وبالضمّ إشباعاً وصلاً أي يرهو كما تقول: كرمهولأنّ هذه الياء يتبعها حرف اللين: الواو و الياء إذا كان قبلها كسرة أو ياء نحو: بهي وعليهي.



﴿الوقف والوصل﴾

«زلزالها لا» لعطف التالي، و «أثقالها لا» كالسابق، و «مالها ج» لاحتمال حذف عامل «إذا» أي إذا كانت هذه الامور ترى ما ترى، و إحتمال أن يكون العامل: «يحدث» و «يؤمئذ» بدلاً من «إذا».

و «أخبارها لا» للمحدث عنه التالي، و «لها ط» لتمام الكلام من التحديث و المحدث عنه و «أعمالهم ط» لتمام الكلام، و «يره ط» كالمتقدّم.



﴿ اللغة ﴾

٢٠- الزلزال و الزلزلة - ٦٣٧

زلزل الشّيء يزلزل زلزلة وزلزالاً ـ رباعي نحو دحرج ـ: حرّكه حركة عنيفة مكرّرة.

و الزلزلة في الأصل: الحركة العظيمة، و الازعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض.

زلزل الله الأرض: أرجفها، وزلزل فلان الابل: ساقها بعنف.

قال الله تعالى: «اذا زلزلت الأرض زلزالها» الزلزلة: ١) أي أصابها الزلزال الأكبر عند قيام الساعة، وذلك إذا حرّكت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة زلزالها الّذي كتب عليها. ويمكن أن يكون إضافتها إلى الأرض لأنّها تعمّ جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة الّتي تختصّ ببعض الأرض فيكون في قوله: «زلزالها» تنبيهاً على شدّتها. تزلزلت الأرض: اضطربت بالزلزلة.

و زلزل الله فلاناً: خوّفه وحذّره، و زلزلت نفسه: رجعت عند الموت في صدره.

قال الله عزّوجل: «مسّتهم البأساء والضرّاء و زلزلوا» البقرة: ٢١٤) أي إضطربت نفوسهم، وأزعجوا إزعاجاً شديداً وزعزعوا من الرعب، شبيهاً بالزلزلة وفي الدعاء: «اللّهم اهزم الأحزاب وزلزلهم» وهو هيهنا كناية عن التخويف و التحذير أي إجعل أمرهم مضطرباً متقلقلاً غير ثابت.

ومنه حديث عطاء: «لادقّ ولازلزلة في الكيل» أي لايحرّك ما فيه ويهزّ لينفصم ويسع أكثر ممّا فيه.

وفي حديث أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه: «حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل». والزلازل: الشدائد والأهوال...

قال الله تعالى: «ان زلزلة الساعة شيء عظيم» الحج: ١) باضافتها إلى فاعلها على تقدير: انّ الساعة تزلزل الأشياء أو على تقدير المفعول منها على طريق الاتّساع في الظرف، وإجرائه مجري المفعول به كقوله تعالى: «بل مكر الليل والنهار».

قيل: الزلزال ـ بكسر الزاء ـ: المصدر وبفتحها: الاسم. والزلزلة مأخوذة من الزلل في الرأى، فاذا قيل: زلزل القدم فمعناه صرفوا عن الاستقامة، واوقع في قلوبهم الخوف والحذر.

زلزل رجل: يضرب المثل بضربه العود يقال: اطرب من عود زلزل.

والزلزل ـ بضمّ الرائين ـ: الطبّال الحاذق، و الزلزل ـ بفتح الزاء الاولى واللام و كسر الزاء الثانية ـ: الأثاث والمتاع، و ـ بضمّ الزائين ـ: الخفيف الظريف، والخفّة والقتال والشرّ، يقال: تركتهم في زلزول وعلعول: في قتال.

إزلزل ـ بكسر الهمزة والزائين ـ: كلمة تقال عند حدوث الزلزلة.

١٢- الثقل - ٢٠٥

ثقل الشيء يثقل ثقلاًوثقالة ـ من باب كرم ـ: عظم ورجح ضدّ خفّ فهو ثقيل وثقال ـ بفتح الثاء وضمّها ـ وهي ثقيلة، وجمعها: ثقال.

قال الله تعالى: «انفروا خفافاً و ثقالاً» التوبة: ٤١) والمراد أمرهم بالنفار على كلّ حال يسهل النفار معها أو يصعب.

وجمع الثقل ـ بكسر الثاء وسكون القاف ـ: الأثقال وهي الأحمال الثقيلة وقديراد بها الذنوب لأنها شديدة الوطأة على المذنبين.

قال الله عزّ وجل : «وليحملنّ أثقالهم واثقالاً مع أثقالهم» العنكبوت : ١٣)
اريد بها الذنوب والآثام.

وقال: «وأخرجت الأرض أثقالها» الزلزلة : ٢) أي قذفت من شدة الزلزال بما في جوفها من كنوز ودفائن وأموات كلها كانت مثقلة فتخففت، و من أشراط الساعة أن تقيء الأرض أفلاذ كبدها وهي الكنوز.

وأصل الثقل يكون في الأجسام، وان الثقل والخفّة متقابلان، فكلّ ما يترجّح على ما يوزن أو يقدّر به فهو ثقيل ، وقد يستعمل في المعاني بنوع من التشبيه لافادة معنى العظم أو الشدة في ناحية ما نحو أثقله العزم والوزر.

قال الله تعالى: «أم تسئلهم أجراً فهم من معزم مثقلون » الطور: ٤٠)

وقال: «إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» المزمل: ٥) تعبيرعن شدّة ما يوحى إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من جهة أنّه يحتاج في تبليغه وتفهيمه والعمل به إلى مجهود قوي. أو المراد: انّه قول له وزن في صحّته وبيانه ونفعه يرجّح على كلّ ما سواه من الأقوال كما يقال: هذا الكلام رصين، وهذا القول له وزن: إذا كنت تستجيده وتعلم أنّه وقع موقع الحكمة والبيان ، فجعل الله تعالى ما أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي ثقيلاً من جهة عظم قدره و جلالة مكانته ، و انّه ليس بسفساف الكلام الّذي يستخفّ به ، فهو ثقل وثقيل و ثاقل و ليس معناه : قولاً ثقيلاً يستثقله الناس فيتبرّمون به كما زعم بعض المفسرين.

قال الله تعالى : « و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم - المفلحون» الأعراف : ٨) أي رجحت كفّة خيراته ...

وقال: «لايجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلت في السموات والأرض» الأعراف:١٨٧)
فالثقل هيهنا وصف للساعة بأنّهاعظمت وجلّت عنأن يعلموا وقت وقوعها أو أنّها عظم وقعها واشتدّ على نفوسهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها .

و قال: «ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً» الانسان : ٢٧) وصف ليو م القيامة

باعتبار ما فيه من الشدائد والأهوال...

ان الثقيل والخفيف يستعملان على وجهين: أحدهما- على سبيل المضايفة وهو أن لايقال لشيء: ثقيل أو خفيف إلّا باعتباره بغيره ولهذا يصحّ للشيء الواحد أن يقال: خفيف إذا اعتبرته بما هو أثقل منه، وثقيل إذا اعتبرته بما هو أخفّ منه. وثانيهما- أن يستعمل الثقيل في الأجسام المرجّحة إلى أسفل كالحجر والمدر والخفيف يقال في الاجسام المائلة إلى الصعود كالنّار والدخان. ومن هذا الثقل قوله تعالى: «مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثّاقلتم إلى الأرض» التوبة: ٣٨) أي تباطأتم ولم تسرعوا، وضمنت إثّاقل معنى الميل والاخلاد فعدّيت بـ«إلى» والمعنى: ملتم إلى الدنيا ولذّاتها وكرهتم مشاق السّفر ونحوه إخلاداً إلى الأرض.

إثّاقل إلى الدّنيا: ركن إليها، وإثّاقل فلان عن الأمر: تباطأ عنه وأصله تثاقل أي تكلّف الثقل وتظاهر به.

الثقل - بفتح الثاء والقاف- ان العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون ثقل. وأصله من بيض النّعام المصون. والثقلان- تثنية الثقل محركة بالفتح - :الجنّ والانس لأنهما كالحملين على الأرض أو لعظم شأنهما.

قال الله تعالى: «سنفرغ لكم أيها الثقلان» الرحمن: ٣١) قيل: سمّيا بذلك لتفضيلهما على سائر الحيوانات بالتمييز، وكل ماله قدر ووزن يتنافس فيه فهو ثقل بالتحريك، وفي حديث سؤال القبر: «يسمعهما من بين المشرق والمغرب إلّا الثقلين» الثقلان هما الجنّ والانس لأنّهما قطّان الارض.

والثقل - كسبب -: كل شيء نفيس مصون ومنه قول النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين القرآن وعترتي» وقد سمّيا بذلك لرجحانهما على غيرهما ونفاستهما على غيرهما. فجدير أن يتنافس فيهما المتنافسون، أو لكونهما مصونين عند الله تعالى إلى يوم القيامة فالقرآن الكريم مصون من الدّسّ والتحريف،

والعترة الطاهرة مصونة من المعصية صغيرها وكبيرها.

وإنّ الثقل الأكبر هو القرآن الكريم، والثقل الأصغر هو أهل بيت الوحي عليهم السلام وفي حديث النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ لكلّ نبيّ أهلاً وثقلاً وهؤلاء يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي»

وفى النهاية: وفي الحديث: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى» سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس: ثقل فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.

أصل المثقال - مفعال من الثقل -: ما يوزن به، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله قليلاً كان أم كثيراً، وذلك إسم لكل سنج ويطلق ويراد به المقدار.

قال الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزلة: ٧ و ٨) وفي الحديث: «لا يدخل النّار من في قلبه مثقال ذرّة من الايمان»

جمع المثقال: مثاقيل، والمثقال الشرعي عبارة عن عشرين قيراطاً، والقيراط ثلاث حبّات من شعير، وكلّ حبّة من الشعير عبارة عن ثلاث حبّات من الارز فيكون المثقال بحبّ الشعير عبارة عن ستين حبّة، وبالارز عن مأة وثمانين حبّة، والمشهور أنّ كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم، فيكون المثقال درهماً وخمساً من الدرهم، فالدّرهم هو إثنين وأربعين حبّة من الشعير.

الثقل - كسبب -: متاع المسافر وحشمه، يقال: للمسافر ثقل كثير، يقال: إحتمل القدم بثقلتهم أي أمتعتهم كلّها.

ثقله يثقله ثقلاً - بسكون القاف - من باب نصر -: رازثقله، وثقل الشاة: رفعها لينظر ثقلها من خفّتها، وأثقلت المرأة: ثقلت بكبر حملها. وثقلت المرأة: إستبان حملها.

قال الله تعالى: «فلمّا تغشّاها حملت حملاً خفيفاً فمرّت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونَنّ من الشاكرين» الأعراف: ١٨٩)

ثقل المريض يثقل ثقلاً ـ بفتح الثاء والقاف ـ من باب علم ـ: إشتدّ مرضه فهو ثقيل وثاقل. ويقال: وجدت ثقله في جسدي أى ثقلاً وفتوراً.

وثقل سمعه: ذهب بعضه، يقال: في اذنه ثقل: إذا لم يجد سمعه كما يقال: في اذنه خفّة: إذا جاد سمعه كأنّه يثقل عن قبول ما يلقى إليه وقد يقال: ثقل القول: إذا لم يطب سماعه.

ثقّله يثقّله تثقيلاً ـ من باب التفعيل ـ: جعله ثقيلاً، والحرف: شدّده، وعلى فلان: حمّله ثقيلاً. المثقّلة: رخامة يثقّل بها البساط.

أثقله: حمّله ثقيلاً، وثاقل: أكل طعاماً ثقيلاً، وتثاقل: تكلّف الثقل، ومنه وطأه وطأة المتثاقل وهو المتحامل على الشّيء بوطئه.

فى المفـردات: الثقيل في الانسان يستعمل تارة في الذمّ وهو أكثر في التعارف، وتارة في المدح، ويقال: في اذنه ثقل إذا لم يجد سمعه كما يقال: في اذنه خفّة إذا جاد سمعه كأنّه يثقـل من قبول ما يلقى إليه، وقد يقـال: ثقل القـول إذا لم يطب سماعه، ولـذلك قال تعـالى في صفة يوم القيامـة: «ثقلت في السموات والأرض» يعنى الساعة خفي علمها على أهل السموات والأرض، وإذا خفي الشيء ثقل.

٤ ـ الخبر ـ ٣٩٢

خبر الشيء يخبره خبراً ـ بضمّ الخـاء وسكون الباء وخبرة ـ بكسر الخاء وسكون البـاء ـ من باب نصر ـ: علمه بكنهه وحقيقته ومنه قولهـم: «لاخبرن خبرك» أي لأ علمنّ علمك. يقال: من أين خبـرت هـذا الأمر: من أين علمت

خبره وداخله.

الخبر - كسبب -: هو الكلام الّذي يفيد به المتكلم السامع واقعة من الواقعات...

قال الله تعالى: «إذ قال موسى لأهله إنّي آنست ناراً سآتيكم منها بخبر» النمل: ٧)

وجمعه: الأخبار والأخابير... قال الله عزّ وجلّ: «يومئذ تحدّث أخبارها» الزلزلة: ٥) أي تخبر الأرض بما عمل على ظهرها.

والخابر: العالم بالخبر، والخبر: ما أتاك من نباء عمّن تستخبر، وقد يقال: فلان رجل خبر: أي عالم به على المبالغة كزيد عدل.

خبر الشيء يخبره خبراً - بكسر الخاء وضمّها وسكون الباء وخبرة كذلك ومخبرة بضمّ الباء وفتحها - من باب كرم -: علمه بكنهه وحقيقته.

الخبرة - كقفل -: المعرفة ببواطن الامور.. قال الله عزّ وجلّ: «وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً» الكهف: ٦٨) يقال: مالي به خبر أي علم ومنه الحديث: «أعمى الله على هذا خبره» أي علمه، والخبر: التجربة والامتحان و الاختبار وعليه قولهم: «صدّق الخبر - كسبب - الخبر - كقفل» ان الاختبار بالمشاهدة أثبت الخبر المسموع، ورجل خبر - كقفل - و رجل خبر - ككتف -: عالم بالخبر ومنه: خبره يخبره فهو خبير أى عارف ببواطن الامور.

و قيل: الخبر - كقفل -: العلم بالباطن الخفيء لاحتياج العلم به للاختبار والخبرة - بالضمّ -: العلم بالظاهر والباطن ومنه الحديث: «محمد صلى الله عليه وآله إرتضاه الله بخبرته»

والخبرة - بكسر الخاء وضمّها -: العلم بالشيء، و- بالضم - أيضاً: الشاة الّتي يشتريها القوم بأثمان مختلفة ثم يقتسمونها فيسهمون كلّ واحد منهم على قدر ما نقد، والخبرة - بالضمّ -: قصعة فيها خبز ولحم بين أربعة أو خمسة، والخبرة -

بالضمّ -: الثريدة الضخمة وما تشتريه لأهلك كالخبز والطعام والنصيب تأخذ من لحم أوسمك.

والخبر- ككتف -: السدر والخبر- كحبر -: العلم بالشيء والمزادة العظيمة والناقة الغزيرة اللبن كالخبر- كفلس- شبهت بالمزادة في غزرها، والخبر- كفلس-: الزرع ومنقع الماء في الجبل، وشجر السدر والأراك وما حولهما من العشب الواحدة خبرة جمعها: خبور. والخبرة -بفتح الخاء و كسر الباء -: الأرض ذات الخبر أي السدر. والخبور: الأسد.

الخبير : إسم من أسماء الله تعالى فقال: «والله بما تعملون خبير» البقرة: ٢٣٤) والله تعالى عالم بماكان وما يكون لايعزب عنه شيء ولايفوته، فهو لم يزل خبيراً بما يخلق، عالماً بكنه الأشياء مطلع على حقائقها، ومنه: «بطن فخبر» الخبير: العارف ببواطن الامور وأسرارها من خبرت الأمر أخبره: إذا عرفته على حقيقته، الخبير: العارف بالخبر جمعه: خبراء، والخبير من الناس: المستخبر عن جهل و في الحديث وقد سئل عليه السلام عن مسئلة فقال: «على الخبير بها سقطت» أي على العارف والعالم بها وقعت. وقال الله تعالى: «فاسئل به خبيراً» الفرقان: ٥٩) أي إسئل عنه خبير يخبر. و الخبير: الذى يخبر الشيء بعلمه، و الخبير: عالم بالخبر، و الخبير: المخبر.

الخبير: الأكّار ومنه: «كجزّ عقاقيل الكروم خبيرها» والخبير: الزرع والوبر والزبد، والخبير: إسم رجل، والخبيرة: مؤنّث الخبير، والخبيرة: الشاة تشتري بين جماعة فتذبح، والخبيرة: الصوف الجيّد من أوّل الجزّ، والخبير: النبات والعشب شبّه بخبير الابل وهو وبرها وإستخلابه: احتشابه بالمخلب وهو المنجل، و الخبير: الخبز المأدوم.

الخبراء: المزادة العظيمة، والخبراء: القاع ينبت شجر السدر، والخبراء: قاع مستدير يجتمع فيه الماء. وجمع الخبراء: الخبراء أيضاً وخبور وخبر- ككتف- و

خبار وخبراوات وخبارى كصحراء وصحاري.

والخيبرى: الحيّة السوداء.

وخيبر: حصن قرب المدينة وهي بلدة معروفة نحو من أربع مراحل عن المدينة المشرفة.

وفي معجم البلدان: خيبر ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون و مزارع ونخيل كثيرة، ولفظ خيبر بلسان اليهود بمعنى الحصن سمّي باسم رجل من العماليق نزل بها، وهو خيبر بن قانية بن عبيل بن مهلان بن ارم بن عبيل و هو أخو عاد.

خبرت الأرض خبراً - بفتح الخاء والباء - من باب علم -: كثر خبارها، و خبر الموضع فهو خبر: كثر به الخبر وهو السدر وخبر الطعام يخبره خبراً: دسّمه والخبرة - بضمّ الخاء وسكون الباء -: الطعام والادام يقال: «أتانا بخبزة ولم يأتنا بخبرة» واجتمعوا على خبرته: على طعامه، المخبور: الادام الطيب، ورجل مخبور: طيّب الادام.

الخابور: شجر ونهر بين رأس عين والفرات وواد.

الخبار - بالفتح -: مالان من الأرض واسترخى، وفي المثل: «من تجنّب الخبار أمن العشار» والخبار: الجراثيم، جمع جرثوم وهو التراب المجتمع باصول الشجر، والخبار: جحرة الجرذان الواحدة خبارة، والخبار: أرض رخوة تتعتع فيه الدوابّ.

خبّره الشيء وبه - من باب التفعيل -: أعلمه إيّاه وأنبأه به وهو بهذا المعنى يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل.

خابره مخابرة - من باب المفاعلة -: زارعه على نصيب معيّن كالثلث والربع، وقيل: ببعض مايخرج من الأرض، والمخابرة: مزارعة الخبار بشيء معلوم. و

في الحديث: «لا بأس بالمخابرة بالثلث والربع والخمس» وهي المزارعة على نصيب معيّن.

وقيل: أصل المخابرة من خيبر لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرّها في أيدي أهلها على النصف من محصولها فقيل خابرهم أي عاملهم في خيبر. وقيل: هو من الخبار: الأرض اللينة وفي الحديث: «فدفعنا في خبار من الأرض» أي سهلة ليّنة. و المخابرة: المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض، والمخابرة: المؤاكرة وجمعها: المخابرات والمخابرات: إدارة التلفن لتبادل الأخبار به.

أخبره بالشيء: مثل خبّره، وأخبره خبوره: أنبأه ما عنده، وأخبر اللقحه: و جدها غزيرة.

تخبّر فلان الأمر: علمه بحقيقته، وتخبّر فلاناً: سئله الخبر، وتخبّر القوم: إشتروا شاة فذبحوها وإقتسموا لحمها.

إختبر الأمر: تخبّره، وإختبر الشيء: جرّبه وإمتحنه، وإختبر الأمر لأهله: أخذ الخبرة. وإختبار الله تعالى عباده عبارة عن إمتحانهم وهو عالم بأحوالهم، فلا يحتاج إلى أن يختبرهم ليعرفهم وتحقيق هذا المجاز: ان الله تعالى يكلّف العباد ليثيب المحسن ويجازي المسيىء.

إستخبره: سئله الخبر، والاستخبار: السئوال عن الخبر ومنه: «إستخبر إذا سئل عن الاخبار ليعرفها» يقال: تخبّر الخبر وإستخبر إذا سئل عن الاخبار ليعرفها. وفي حديث الحديبيّة: «انّه بعث عيناً من خزاعة يتخبّر له خبر قريش» أي يتعرّف.

وفى المفردات: الخبر: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، وخبرته خبراً وخبرة وأخبرت: أعلمت بما حصل لي من الخبر.

وفى التهذيب: الخبر ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر.

وفى القاموس: الخبر والنبأ.

قيل: إن الفرق بين النباء والخبر والحديث والأثر: ان النبأ خبر مقيد بكونه عن أمر عظيم، والخبر ما ينقل عن الغير ويحتمل الصدق والكذب، والنبأ لا يحتمل الا الصدق، إن الحديث: ما عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين والخبر ما عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن غيره، فالخبر أعم، وان الأثر هو الذي يعبّر به عن غير الحديث وهو ما يروي عن الصحابة غالبا، والأثر هو نقل الكلام عن القوم، و من هذا قيل: حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضاً أي ينقله خلف عن سلف، يقال: منه أثرت الحديث فهو مأثور وأنا آثر. وقد يطلق الأثر على الخبر.

٨- الذرة -٥١٣

ذرّ الملح المسحوق على الطعام ونحوه يذرّه ذرّاً - من باب نصر نحو مدّ -: فرّقه ونثره عليه، و ذرّ الشيء: أخذه بأطراف أصابعه ثم نثره على الشي، يقال: ذرّ الفلفل على الثريد وذرّ الدواء في العين و الجرح و القرح، وذرّ الحبّ في الأرض: بذره، و ذرّ الله تعالى عباده في الأرض: نشرهم، وذرّ القرن والبقل: طلع أدنى شيء منه كالذرّة، ذرّت الشمس: طلعت وظهرت.

يقال: «أنتم ولاة الدّولة بكم ذرّ قرناها وصرّت اذناها وقرّت عيناها» وفي الحديث: «الشيطان يقارن الشمس إذا ذرّت و كبدت وإذا غربت» أي طلعت، وذرّ قرن الشمس: هو أوّل طلوعها وشروقها أوّل ما يسقط ضوءها على الأرض، و كذلك الشجر والبقل والنبت، وذرّت الأرض نباتها: أطلعته. الذرّ: ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، والواحدة الذرّة، وفي الحديث: «الذرّة تخرج من جحرها تطلب رزقها» يريد النّملة الصغيرة.

الذّر : صغار النمل والهواء المنبثّ في الهواء، والذّرّة : النملة الصغيرة التي لاتكاد ترى، ويقال: إنّ المأة منها زنة حبّة شعير، وقيل: هي جزء من أجزاء الهباء المنبث الذي يظهر في الكوّة من أثر الشمس، وقيل: الذرّة ليس لها وزن وقيل: سبعون ذرّة تزن جناح بعوضة، وسبعون جناح بعوضة تزن حبّة.

قال الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره» الزلزلة: ٧-٨).

الذرارة - بضم الذّال - : ماتناثر من الذرور، والذرور: مايذرّ في العين من الدواء اليابس، و ذرّ عينه بالذّرور: كحّلها، و ذرّ الرجل : شاب مقدّم رأسه.

ذارّت الناقة : ساء خلقها فهي مذارّ، والذرار - بكسر الذّال - : الغضب والإعراض غضباً ومنه: في فلان ذرار.

والمذرّة - بكسر الميم - : آلة يذرّ بها الحبّ أي يبدد و يفرق كالمبذرة آلة البذر.

و ذرّ إبن ذرّ الغفاري الصحابي، وأبو ذرّ إسمه جندب بن جنادة توفّى سنة إثنين وثلاثين.

الذرية: ولد الانسان الذكر والانثى، يقال للجمع أيضاً ذرّية، وتجمع الذرّية على الذريات والذراري، فالذرية: إسم يجمع نسل الانسان من ذكر وانثى.

قيل: أصلها من الذّرّ بمعنى التفرّق لأنّ الله ذرّهم في الأرض أي فرّقهم.

قال الله عزّ وجلّ : «و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم» الأعراف: ١٧٢).

٦٨ - الخير - ٤٥٦

خار الشيء على غيره يخيره خيرة وخيراً - من باب ضرب نحو باع - : فضّله

على غيره وانتقاه وخار الرجل على غيره : فضّله ، وخار الرجل: صار ذا خير، وخار الله تعالى لك في الأمر: جعل لك فيه الخير وفي دعاء الإستخارة : «اللهم خر لى» أي إختر لي أصلح الأمرين . الخير: وجدان الشّيء على كمالاته اللائقة ، وقيل: حصول الشّيء لما من شأنه أن يكون حاصلاً له أي يناسبه ويليق به ، وجمع الخير: الخيور والخيار .

الخير: ما فيه نفع وصلاح ، وما هو ضدّ الشرّ بوجه عام .

قال الله عزّ وجلّ : «وما تفعلوا من خير يعلمه الله» البقرة : ١٩٧) .

وقال: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره» الزلزلة: ٧) .

ويلحق بهذا إستعماله فيما هو أداة للنفع والصلاح كالمال والمتاع والخيل وما إليها ...

قال الله تعالى: «إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين» البقرة : ١٨٠) .

وقال: «قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين» البقرة : ٢١٥) .

وقال: «وانّه لحب الخير لشديد» العاديات: ٨) .

الخير: المال الذي ربّما كان خيراً لزيد وشرّاً لعمرو ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين إذ قال في موضع: «إن ترك خيراً» وقال في موضع آخر: «أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات» المؤمنون: ٥٥و٥٦) .

وإنّما سمّي المال هيهنا خيراً تنبيهاً على معنى لطيف ، وهو أن المال الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من وجه محمود طيّب، وعلى ذلك قوله تعالى: «وما تنفقوا من خير فان الله به عليم» البقرة :٢٧٣) قيل: ولا يقال للمال خير حتّى يكون كثيراً ومن مكان طيّب .

الخير: الخيل لما فيها من الخير، والخير: الرجل الكثير الخير كالخير كالكيّس.

والخير تارة يكون إسم تفضيل، أصله: أخير، فحذفت همزته على خلاف القياس لكثرة إستعماله .

قال الله تعالى : «وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى» البقرة : ١٩٧) .

وقال: «ذلك خير لكم عند بارئكم» البقرة : ٥٤) .

وفي الحديث: «خيركم خيركم لأهله» وفي الحديث الآخر: «خير الناس خيرهم لنفسه» أي إذا جامل الناس جاملوه وإذا أحسن إليهم كافأوه بمثله.

و تارة يكون صفة مشبّهة تخفيف خيّر ومنه: «جزاه الله خيراً» و «جزاك الله خيراً» .

و ربّما استعمل خير للتعجّب حملاً على إستعماله المتفضيل، فيقال: « ما خير فلاناً» وإذا أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خير الناس ولم تقل: خيرة الناس، وفلان خير الناس ولم تقل : أخير ولايثنى ولايجمع لأنّه في معنى أفعل.

الخيرة : إسم من قولك: إختاره الله تعالى، قال: «ويختار ما كان لهم الخيرة» القصص: ٦٨) .

الأخيار جمع خير المخفّفة من خيّر كالأموات جمع الميّت، وقيل: هي جمع خير الّذي هو أفعل تفضيل في الأصل، و قد جمع على أفعال للزوم تخفيفه بحذف الهمزة .

قال الله تعالى: « وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » ص: ٤٧) والأخيار : خلاف الأشرار .

الخيرات : جمع خيرة ـ بالتخفيف ـ و هي الصّالحة الفاضلة من النّاس والامور ...

قال الله تعالى: «فاستبقوا الخيرات» المائدة : ٤٨) .

وقال: «فيهنّ خيرات حسان» الرحمن : ٧٠) والمراد بذلك المختارات أي فيهنّ مختارات لارذل فيهنّ، والخيرة من النساء: الكريمة النسب، الشريفة الحسب، الحسنة الوجه والخلق، الكثيرة المال الّتي إذا ولدت أنجبت ، والخيرة : الكثيرة الخير: الفاضلة من كلّ شي، والخيريّة: الجودة والفضل، والخيّر:الكريم، والخيّرة:

لقب المدينة المنورة على صاحبها و آله المعصومين صلوات الله و آلاف التحيّة، قد سمّيت بها لفضلها على سائر المدن .

والخيرة : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار. وامرأة خيّرة - بالتشديد والتخفيف - : فاضلة في الجمال والخلق. و «محمّد صلى الله عليه وآله خيرتك من خلقك» وقال زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام : « فأنا الخيرة إبن الخيرتين » يريد خيرة الله تعالى من العرب هاشم، ومن العجم فارس. والخير - بكسر الخاء وسكون الباء وفتحها - : الاسم منه: الكرم والشرف والأصل والهيئة .

الخيار : نضار المال، والإسم من الإختيار وهو طلب خير الأمرين، ومنه خيار البيع وغيره عند الفقهاء، وخيار المال: أفضله. وفي الحديث: «البيّعان بالخيار مالم يفترقا» إما إمضاء البيع أو فسخه . أنت بالخيار: إختر ماشئت.

الخيار - بالكسر - : فاكهة تشبه القثّاء، والواحدة : خيارة . وخيار شنبر : شجر له ثمر كالخرنوب يتداوى به، وهو كثير بالإسكندرية و مصر و له زهر أصفر عجيب . وخيران: حصن باليمن .

إختار يختار إختياراً: إنتقى وأخذ خير الشيء ، يتعدّى إلى مفعولين، ثانيهما مجرور بـ«من» وقد تحذف «من» ويوصل الفعل بالمفعول الثاني ، وقد يتعدّى إلى المفعول الثاني بـ«على» لتضمّنه معنى التفضيل .

قال الله تعالى: «واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا» الأعراف: ١٥٥) .

الاختيار : إرادة ماهو خير عند المختار وإن لم يكن خيراً في الواقع، يقال : خير بين أمرين فاختار أحدهما دون الآخر. والمختار: لفظ مشترك بين إسمي الفاعل والمفعول، فيعلم أحدهما بالقرينة .

خيّره على غيره: فضّله، وخيّر فلاناً في الأمر وبين الأمرين: فوّض إليه الخيار. خايره في العلم وغيره مخايرة فخاره : غالبه فغلبه وكان خيراً منه ، وخاير فلاناً بين الأمرين: فوّض إليه الخيار .

تخيّر يتخيّر تخيّراً: إختار وانتقى خير الشّيء واصطفاه. وقد شاع إستعماله في أخذ مايراد مطلقاً سواء أكان خير الشيء أم لا؟

قال الله تعالى: «وفاكهة مما يتخيّرون» الواقعة: ٢٠)

وفي الخبر: «تخيّروا النطفكم» أي اطلبوا ماهو خير المناكح أي أزكاها وأبعدها من الخبث والفجور.

إستخار: طلب الخير في الشّيء، يقال: إستخر الله يخرلك أي اطلب من الله أن يختارلك مايوافقك فيختار. وفي الحديث: «من استخار الله راضياً بماصنع الله خار الله له حتماً» أي طلب منه الخيرة في الأمر.

في الصحاح: الخير: ضدّ الشرّ.

وفي المفردات: الخير: ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشّيء النافع، وضدّه: الشرّ.

قيل: الخير ضربان: أحدهما ـ خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً ـ فيه بكل حال، وعند كلّ أحد كما وصف به النّبيّ الكريم ﷺ الجنّة فقال: «لاخير بخير بعده النار ولاشرّ بشرّ بعده الجنّة».

ثانيهما ـ خير وشرّ مقيّدان وهو أن يكون خيراً لواحد وشرّاً لآخر كالمال الّذي ربّما يكون خيراً لزيد وشرّاً لعمرو ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: «إن ترك خيراً الوصية» أي مالاً وقال في موضع آخر: «أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات».

وانّ الخير والشرّ على وجهين: أحدهما ـ أن يكونا إسمين قال الله تعالى: «ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير» ثانيهما ـ أن يكونا وصفين على تقدير: أفعل منه كقوله تعالى: «نأت بخير منها» وقوله: «وأن تصوموا خير لكم».

وانّ الخير يقابل به الشرّ تارة، والضرّ تارة اخرى كقوله تعالى: «وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يمسسك بخير فهو على كلّ شيء قدير».

وفي النهاية: الخيرة بسكون الياء : الاسم منه وبالفتح : الاسم من قولك : إختاره الله ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خيرة الله من خلقه . والاختيار: الاصطفاء محمد صلى الله عليه وآله خيرتك من خلقك أي المختار المنتخب، الاختيار: أخذ ما يراه خيراً .

١٦ - الشر - ٧٨٤

شرّه يشرّه شرّاً فهو شرير ـ من باب ضرب ونصر وعلم وكرم ـ : عابه وانتقصه وإزدرى به ، وشرره : شهّر به في الناس، وشرّ اللحم والأقط والثوب شرّاً : وضعه على خصفة أو غيرها في الشمس ليجفّ ، وشرّ الرجل: زاد شرّه وأتى منه الشر واتصف بالشر، وشرّ فلاناً: شهره في الناس. والشرّ : العيب، والسوء ، وجمعه: شرور وجمع شرير ـ بفتح الشين وكسر الراء بالتخفيف ، وكسر الشين وتشديد الراء ـ : أشرار وشريرون وأشرّاء وشرار . والشرير: الكثير الشر ولقب إبليس .

مادّة شرر تفيد معنى الانتشار والظهور، وأشررت الشيء : أظهرته ، ومنه: « ما قيل في يوم صفين حتّى أشررت بالأكف المصاحف » .

الشرّ ـ بفتح الشين وضمّها ـ : نقيض الخير وهو إسم جامع للرذائل والخطايا يقال : « هو رجل لا يرجى منه إلّا الشرّ » أي السوء والفساد والظلم ، ويقال : فلان شرّ الناس ، والشرّ : الحمّى والفقر والشرّ ـ بالضم ـ : المكروه والأشرار: ضدّ الأخيار .

ويأتي شرّ ـ وصفاً ـ أفعل تفضيل حذفت همزته لكثرة الاستعمال كخير، يقال: هو شرّ من فلان ولايقال: أشرّ منه ولايثنى ولايجمع .

قال الله عزّ وجلّ: «اولئك هم شرّ البريّة» البيّنة ٦) .

وقال: «اولئك شرّ مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل» المائدة : ٦٠) .

وفي الحديث: « ولد الزنا شرّ الثلاثة» قيل: هو عام في كل من ولد من الزنا

شرّ من والديه أصلاً ونسباً وولادة، ولأنّه خلق من ماءِ الزّاني والزّانية فهوماء خبيث، وقيل: لأن الحدّ يقام عليها فيكون تمحيصاً لهما، وهذا لايدري مايفعل به. وقيل: هذا جاء في رجل بعينه كان إسمه شراً. وفي الخبر: «لايأتي عليكم زمان إلّا والّذي بعده شرّ منه».

ويأتي شرّ ـ إسماً ـ بمعنى السوءِ ونقيض الخير والحدّة والنشاط والغضب والطيش والحرص.

قال الله تعالى: «وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم» البقرة: ٢١٦) أي السوء ونقيض الخير.

وقال: «ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزلة: ٨) أي سوءاً.

وقال: «ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً» الانسان: ٧) أي عيبه و سوءه.

وفي الدعاءِ: «الخير بيديك والشرّ ليس إليك» أي لاينسب إليك لأنّك منزّه عنه، وفي الكلام إرشاد إلى إستعمال الأدب في الثناءِ على الله تعالى، وأن تضاف إليه محاسن الأشياءِ دون مساويها.

الشرر ـ محركة ـ والشرارة: مايتطاير من النّار من معنى الانتشار في المادّة جمع شررة.

قال الله تعالى: «انّها ترمي بشرر كالقصر» المرسلات: ٣٢) وقد سمّيت بذلك لاعتقاد الشرّ فيه.

والشرار ـ بكسر الشين ـ: مايتطاير من النار، الواحدة: شرارة، وفي الأساس: «كان أبوك نار شرارة وأنت منها شرارة».

والشرّان: دوابّ كالبعوض تغشّي وجه الانسان ولاتعضّ، وربّما سمّيت بالأذى لغة لأهل السواد، والشرّانة واحدة الشرّان.

والشرّانة والشر ـ بالكسر ـ: الشر والحدّة: «أعوذ بالله من شرّة اللسن» وشرّة ـ بالكسر ـ الشباب: نشاطه.

وفي الخبر: «لكلّ شيء شرّة ولكل شيء فترة» وفي الحديث: «ان لهذا القرآن شرّة ثم إنّ للناس عنه فترة» الشرّة: النشاط والرغبة، ومنه الحديث الآخر: «لكلّ عابد شرّة» أي نشاط في عبادته.

شارّه: خاصمه، والمشارّة - بتشديد الراء - : المخاصمة، ومنه: «إيّاك والمشارّة فانّها تورث المعرة» المعرّة: الأمر القبيح المكروه.

وفي الحديث: «لا تشارّ أخاك» هو تفاعل من الشرّ أي لا تفعل به شرّاً فتحوجه إلى أن يفعل بك مثله.

وأشرّ - من باب الافعال - فلاناً: نسبه إلى الشرّ، وأشرّ الشيء: أظهره، و أشرّ بنو فلان فلاناً: طردّه.

وتشارّا: تخاصما.

إستشرّ فلان إستشراراً: صار ذا إشرارة من الابل.

الاشرارة: الخصفة التي يبسط عليها الأقط وغيره ليجفّ، والاشرارة: القطعة العظيمة من الابل، جمعها: أشارير، والقطعة من القديد والقطع منه أشارير.

في المفردات: الشرّ الـذي يرغب عنه الكلّ كما أنّ الخير هو الّذى يرغب فيه الكل، والشرّ - بالضمّ - : خصّ بالمكروه.

وفي اللسان: الشرّ: السوء والفعل للرجل الشرّير، والمصدر: الشرارة وقيل: الشرير: شجر ينبت في البحر، وقيل: الأشرّة: البحور. والشرّ: بسطك الشيء في الشمس من الثياب و غيرها للتجفيف، والاشرارة: القطعة العظيمة من الابل لانتشارها و إنبثاثها. وشرير - كرجيل - : موضع هو من الجار على سبعة أميال.

وفي القاموس: الشرّ: نقيض الخير والحمى والفقر و إبليس، والاشرارة: القديد، والخصفة التى يشرّ عليها الأقط، والقطعة العظيمة من الابل لانتشارها وإنبثاثها، و أشرّه: أظهره.

وفي المصباح: الشرّ: الفساد والظلم.

﴿النحو﴾

١- (اذا زلزلت الارض زلزالها)

«إذا» ظرف زمان خاص غير واجب، وفي عاملها وجوه:

أحدها - قوله تعالى : «تحدّث» والمعنى: إذا زلزلت الأرض تحدث أخبارها.

ثانيها - قوله عزّ وجل: «يصدر» فقوله: «يومئذ» بدل من «إذا».

ثالثها - قوله جلّ وعلا: «زلزلت» وذلك جائز لأنّ «إذا» بمعنى الشرط، فيعمل فيها ما بعدها، وتعمل هي فيه أيضاً كالشرط ، فكما جاز عمل «إذا» فيما بعدها وهي في الحكم مضافة إلى الجملة بعدها، جاز عمل ما بعدها فيها كما يعمل في «من» و «ما» اللّتين للشرط ما بعدهما، ويعملان هما فيما بعدهما، تقول: من تكرم أكرمه، وما تفعل افعله ف «ما» و «من» في موضع نصب بالفعل المجزوم الّذي بعدهما، وهما قد جزما ما بعدهما، فعملا فيه الجزم وعمل فيهما النصب، و كذلك إذا جرّت «إذا» كان فيها معنى الشرط على حكم «ما» و «من» وإن كانت هي في التقدير مضافة إلى جملة بعدها.

رابعها - على تقدير: اذ كر إذا زلزلت فيكون «تحدّث» عاملاً في «يومئذ» وإن جاز أن يكون بدلاً أيضاً من «إذا»

خامسها - معنى قوله تعالى: «فمن يعمل» أي فمن يظهر ذلك اليوم في صحيفته خير أو شر يرى مكافأته.

سادسها - على معنى: فمن يعمل في الدنيا، ويكون كون الفاء بعد ذكر ما ذكر في الآخرة على معنى: ما يكونه الله في الآخرة من الشدائد التى ذكرها توجب أنّه من عمل في الدنيا خيراً أو شرّاً يره كما يقول القائل: الآخرة دار المجازاة فمن يعمل خيراً يره و لم يرد خيراً مستأنفاً دون ما عمله العاملون.

و «زلزلت» فعل ماض، مبنيّ للمفعول، والتاء للتأنيث باعتبار فاعله المؤنّث المجازي وهي «الارض» على نيابة الفاعل، و «زلزالها» الزلزال منصوب على المصدر للتأكيد، اضيف إلى ضمير الأرض لافادة الاختصاص من جهة كقولك: ضربتك ضربك، و حسنت إضافته إلى الضمير لتتفق رؤوس الآي على لفظ واحد من جهة اخرى، والزلزال -بالفتح-: إسم و- بالكسر-: مصدر وقيل: هما جميعاً مصدر.

٢- (وأخرجت الارض أثقالها)

الواو للعطف. و «أخرجت» فعل ماض من باب الافعال، و «الارض» فاعل الفعل، عطف على «زلزلت الأرض»، و «أثقالها» مفعول به، والأثقال جمع الثقل من جموع القلّة، اضيف إلى ضمير الأرض.

٣- (وقال الانسان مالها)

الواو للعطف. و «قال» فعل ماض، أجوف واويّ، و «الانسان» فاعل الفعل، وهو القائل، و «ما» إسم إستفهام للتعجّب، في موضع رفع على الابتداء، و «لها» متعلق بمحذوف وهو الخبر، والضمير راجع إلى «الأرض» أي لأيّ شيء زلزلت الارض أو

لأي شيء أخرجت الأرض أثقالها، وقيل: راجع إلى الأثقال أي ماتلك الأثقال، و الجملة مقولة القول.

٤- (يومئذ تحدث أخبارها)

«يوم» منصوب على الظرفيّة، اضيف إلى «إذ» بدل من «إذا» و جوابها «تحدّث» وهو فعل مضارع من باب التفعيل، وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الأرض» على حذف المفعول الأوّل أي تحدّث الأرض الانسان أو الناس يومئذ، و قد حذف المفعول لأنّ المقصود تحديثها لا من تحدثها، و «أخبارها» مفعول ثان، والأخبار: جمع الخبر، اضيف إلى ضمير «الأرض».

٥- (بأن ربك أوحى لها)

في الباء وجهان: أحدهما- أنّها سببيّة أي بسبب أن ربّك أوحى لها، والباء مع مجرورها بعد إنسباكه إلى المصدر متعلق بـ«تحدث» أي تحدّث الأرض أخبارها بسبب ايحاء ربك إليها.

ثانيهما- أنّها زائدة، و «أن» بدل من «أخبارها» و «أن» حرف تأكيد، فتحت همزتها لمكان الباء و «رب» اضيف إلى كاف الخطاب للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إسم لحرف التأكيد، و «أوحى» فعل ماض من باب الافعال، و فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «ربك» و الجملة في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و «لها» متعلق بـ«أوحى» و الضمير راجع إلى «الأرض» وفي اللام وجوه:

أحدها - أنّها بمعنى «إلى» لأن الايحاء يتعدّى بـ«إلى» والعرب تضع لام الصفة موضع إلى.

ثانيها ـ أنها بمعناها لأن الايحاء يتعدى تارة باللام و تارة اخرى بالى.

ثالثها ـ أنها زائدة لقوله تعالى: «وأوحى في كل سماء أمرها» فصلت: ١٢)

رابعها ـ إنما قال هنا: أوحى لها لرعاية فواصل الآي، ولو قال: أوحى إليها لاختل نظم الفواصل ووزن الآية عن غيرها.

٦ـ (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

في «يومئذ» وجوه: أحدها ـ بدل ثان من «إذا» ثانيها ـ على تقدير: اذكر يومئذ. ثالثها ـ ظرف لـ«يصدر» و «يصدر» فعل مضارع، و «الناس» فاعل الفعل، و «أشتاتاً» جمع شت و شتت كما أن شتى جمع شتيت كمريض و مرضى، و «أشتاتاً» حال من «الناس» و «ليروا» اللام لام كي، ومدخولها فعل مضارع من باب الافعال، منصوب بـ«أن» مقدرة أو بنفس لام كي، و علامة النصب حذف النون، و الفعل بعد إنسباكه إلى المصدر متعلق بـ «يصدر» و «أعمالهم» الأعمال جمع العمل، منصوب، مفعول به، اضيف إلى ضمير «الناس».

٧ـ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

الفاء تفريع لما تقدم، و «من» شرطية في موضع رفع على الابتداء، و «يعمل» فعل مضارع، مجزوم بـ«من» وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» و «مثقال» مفعول به، اضيف إلى «ذرة» وفي «خيراً» وجهان: أحدهما ـ بدل من «مثقال ذرة» ثانيهما ـ تمييز على تقدير: مثقال ذرة من خير. و «يره» فعل مضارع، مجزوم بـ«من» و علامة الجزم سقوط الألف، والضمير في موضع

نصب، مفعول به ، راجع إلى «مثقال ذرة» و «يره» خبر المبتداء أو جواب للشرط على قول.

٨-(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

الواو للعطف وإعراب المعطوف ظاهر من إعراب المعطوف عليه.



﴿البيان﴾

١- (اذا زلزلت الارض زلزالها)

إشارة إلى بعض أشراط الساعة ، وهو حركة الأرض من أصلها ، حركتها الشديدة المناسبة لعظمتها، وإنذار بوقوعها ، وتخويف لأهوالها وحسابها ، حيث تضطرب الأرض وتهتزّ إهتزازاً شديداً، وهذا الزلزال الّذى سيقع يوم البعث هو زلزال خاص بهذا اليوم، وفي ايثار الفعل: «زلزلت» ماضياً مبنيّاً للمفعول من حتميّة الوقوع ومن الترهيب والتخويف مالايخفى.

وإضافة المصدر وهو الزلزال إلى ضمير الأرض تفيد الاختصاص والتفخيم والتعظيم أي انّها منتهية في الشدة و الهول ، والمعنى: إذا أصاب الأرض عند وقوع الساعة ذلك الزلزال الشديد والاهتزاز الرهيب وهو رجّة مخصوصة منتهية في الشدّة والهول مالم تسبقها بعد، ولا يكون بعد ذلك زلزال ،فكأنّ هذا الزلزال هو الزلزال الوحيد الّذى يزلزلها، وما يحدث من زلزال الأرض قبل هذا اليوم، فلاحساب له إذا نظر له من خلال هذا الزلزال العظيم: «إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم» الحج:١)

ومن المحتمل أن يكون في الاضافة تنبيه إلى إستغراق الزلزال لجميع الأرض بخلاف الزلزلة المعهودة الّتي تختصّ ببعض الأرض دون بعض ، و تنبيه إلى شدّة أحوال الناس يومئذ لشدّة ما يقع فيه من الأهوال، ولفت أنظار الكفار و المجرمين، والفسّاق والمستكبرين، والفجّار والمستبدين إلى أن يتدبّروا و تعتبروا

وكان يقال لهم: إذا كانت الأرض مع كبر جثتها وثقل وزنها يضطرب لهول ذلك اليوم وشدّته فكيف أنتم؟ فهل لكم أن تستيقظوا من غفلتكم؟ وترجعوا عن كفركم و عنادكم؟ عن فرقكم وفجوركم؟ عن طغيانكم و إستكباركم؟ وعن بغيكم و فسادكم؟؟؟

وأن تكون الاضافة كقولك: أكرم العالم العامل إكرامه وأهن الفاسق إهانته تنبيهاً إلى ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة.

٢- (وأخرجت الارض أثقالها)

إشارة إلى أمر آخر من أشراط الساعة، وهو إخراج الأرض ما في جوفها من أنواع الدفائن والكنوز والأموات والأسرار والحضارات.

و في تكرير الأرض تفخيم لشأنها يومئذ لأنها لا تمتنع عما أمرها الله تعالى به.

ومن المحتمل أن يكون في إظهار الأرض موقع الاضمار زيادة تقرير وايماء إلى تبدّل الأرض غير الأرض، أو لأنّ إخراج الأثقال حال بعض أجزائها ...

وفي ايثار الجمع بصيغة القلّة: «أثقالها» مع كثرة ما في بطون الارض إيماء إلى الأنواع الجامعة للافراد كلها لا إلى الأفراد ...

و في **تلخيص البيان** قال السيّد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «وأخرجت الأرض أثقالها»: والاثقال هنا كناية عن الأموات لأنّهم كانوا ثقلاً على ظهر الأرض في حال الحياة، اجرى عليهم هذا الاسم لهم عند حصولهم في بطونها بعد الوفاة أو يكونون إنّما سمّوا أثقالاً لأنّهم في بطن الأرض بمنزلة الأجنة في بطون الامهات، وإذا جاز أن يسمّى الجنين حملاً جاز أن يسمّى ثقلاً لأنّ المعنى واحد قال تعالى: «فلما أثقلت دعوا الله ربهما» أي صارما في بطنها من الجنين ثقلا لها. وقالت الخنساء:

أبعد إبن عمرو من آل الشريد حلّت به الأرض أثقالها

أي زينت به موتاهـا ، و قال أبوعبيـدة : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كانت فوقه فهو ثقل عليه،(وإذاكان فوقها فهو ثقل عليهاظ) فتسمية الأموات بالأثقال على أحد هذين الوجهين: إمّا أن تكون هي المثقلة به،وإمّا أن يكون هو المثقل بها. وقال غيره: معنى قوله تعالى: «واخرجت الأرض أثقالها» أي لفظت ما فيهـا من مدافن الأموات والمكنون إلى ظهرها.

٣- (وقال الانسان مالها)

إشارة إلى مايقع على الانسان فيتساءل عماكان وما يكون استعظاماً لمـا شاهده من الأمر الهائل لو كان المراد بالانسان العمـوم، وإلاّ فبطريق التعجيب لو كان المراد به أهل جهنّم، فيقول مدهوشاً متعجباً من تلك الزلزلة الشديدة الهائلة المفزعة و منكراً لتلك الحـالة: ما لهذه الأرض تتزلزل هذا الزلزال لم يسبقني مثله بعد في الحياة الدنيا، فلا يلبث أن يعرف أنّ الله تعالى قد حقّق بذلك وعده بيوم القيامة والحساب.

٤- (يومئذ تحـدث أخبارها)

بيان لما يظهر من هـذه الأرض المتزلزلة الهائلة المفزعة مالم يعهد عليـه الانسان كهذه الزلزلة من أن تحدث الأرض أخبارها بما شهدتها وسجلتها كما تشهد على الانسان أعضاءه من يده ورجله وسمعه وبصره وجلده...

وقيل : إنّ في التعبير عن إظهار أخبارها بالتحديث -إشارة إلى أن أحداثها التي يراها الانسان يوم القيامة هي أبلغ حديث وأظهر بيان، فهو شواهد ناطقة بلسان الحال أبلغ من لسان المقال... وفي التعبير عن خبء الأرض وماتخرجه من بطنها بلفظ الأخبار إشارة اخرى إلى أنّ هذه الأسرار المضمرة التي كانت مخبوءة في صدر الأرض قد أعلنت وأصبحت أخباراً يعلمها الناس جميعاً.

وعلى هذا يكون معنى قوله تعـالى : «يومئذ تحدّث أخبـارها» أي تنشر أخبارها وتظهر أسرارها و تخرج خبـأها ، وانّ الضمير: «ها» الّـذي يعود إلى

الأرض في « زلزالهـا، و « أثقالها » و « مالها » و « أخبـارها » يشير إلى امور خاصّة بالأرض في هـذا اليوم ، فللارض في هـذا اليوم زلزالها الّذى ينتظرها ولها أثقالها الّتي تخرجها، ولها هـذا التساؤل الّذى يتسائله الناس عنها ، و لها حديثها الّذي تحدّثه للناس وعن الناس في هذا اليوم الموعود.

وفى تلخيص البيـان : في قوله تعالى: « يومئذ تحـدّث أخبارهـا» قال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه: في الجملة إستعارة ـ والمراد بذلك مايظهر فيها من دلائل إنقطاع أحوال الدنيا وإقبال أشراط الآخرة فيكون مايظهره الله تعالى فيها من ذلك قائماً مقام الاخبار ونائباً عن النطق باللسان، وهذا كما جاء في الكلام: سل الأرض من شقّ أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فان لم تجبك حواراً أجابتك إعتباراً .

فكأنّ الأرض تحدّث من يسئل عن أمرهـا بأنّ الله تعالى أوحى لهـا بأن تكون على تلك الصفة الّتي ظهرت منهـا ، و معنى : « أوحى لهـا» أي أوحى إلى ملائكته عليهـم السلام بأن يظهروا فيها تلك الأشراط ويحدّثوا بهـا تلك الأعلام ، فلذلك قال: «أوحى لها» ولو كان الوحي خاصّة لها لكان الوجه أن يقال: أوحى إليها.

وقد قال بعضهم: «أوحى لها» وأوحى إليها بمعنى واحد والاعتماد على القـول الّذي قدّمناه لأنّ الوحي يتضمّن أوامر ومخاطبات، ولايجوز أن يؤمر ولايخاطب إلّا العاقل المميّز والمجيب السامع، وليس الوحي إلى الأرض جارياً مجرى الوحي إلى النحل في قوله: «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً» الآية لأنّ المراد عندنا بذلك انـّه سبحانه ألهمها ما أراد منها، وهي مما يصحّ فيه ذلك لأنـّها حيوان متصرف والأرض لايصحّ فيها ذلك لأنـّها جماد خامد.

٥- (بأن ربك أوحى لها)

الباء سببية، واللام للانتهاء، وفي الآية الكريمة بيان لوقوع التحـدث و

إمكانه من الأرض وهي جامدة بالنظر البدوي، وتقرير لما يراه الانسان يوم القيامة من الأرض مالم يره في الحياة الدنيا بأن تحديث الأرض يومئذ ليس من تلقاء نفسها، وإنّما ذلك بسبب ما أوحى به إليها ربّها، وما أمرها الله جل وعلا به، فامتثلت له و أمضته كما أمر الله تعالى.

و في إضافة الرّب إلى ضمير الخطاب من التعظيم و الانباء إلى التربية ما لا يخفى.

٦ـ (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

إخبار بواقعة بعد واقعة من تزلزل الأرض وتحديثها وصدور الناس وتفرّقهم، وإنصراف السعيد عن الموقف إلى الجنّة، والشقي عنه إلى النّار بعد مارآى كلّ عمله، ففي الآية الكريمة تقرير لاختلاف أحوال الناس يوم القيامة لاختلافهم في العقايد والأعمال في الحياه الدنيا، فيصدرون يومئذ عن مخارجهم من القبور إلى المواقف متفرّقين فمنهم أهل اليمين، ومنهم أصحاب الشمال.

و قوله تعالى: «ليروا أعمالهم» تعليل لهذا الصدور أي وذلك ليروا يومئذ أعمالهم بعينها التي عملوها في الحياة الدنيا، فلا يستطيع أحد بانكار ما عمل فيها، و في الآية إثارة الخوف فيهم من ذلك اليوم وحملهم على الاقبال على صالح الأعمال، و الابتعاد عن السيّئات...

٧ـ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

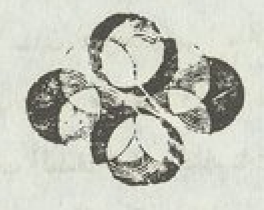
تفريع على ماتقدّم، وتفصيل لماسبق من إرائتهم أعمالهم كلّها، وفيه تأكيد بيان بأنه لا يستثنى من الاراءة عمل خيراً كان أم شراً، صغيراً كان أم كبيراً حتّى مثقال ذرّة من خير أو شرّ وبيان حال كلّ من عمل الخير والشر في جملة مستقلة لغرض إعطاء الضابطة وضرب القاعدة، وفي الآية الكريمة ترغيب في قليل الخير و كثيره ، وحثّ الناس على الخير، وتحريصهم في الاقبال على صالح الأعمال...

وقد روي: أنّ صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق أتاه ليستقرأه فقرأ عليه: «فمن

يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره...» فقال: حسبي حسبي وهي أحكم آية. وقد كانوا يسمّونها الجامعة فالّذين يعملون خيراً مهما قلّ سيلقون خيراً ولا يضيع عليهم منه شيء.

٨-(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

تحذير وترهيب من الشرّ بصورة عامة، وابتعاد النّاس عن الأعمال السيّئة وعدم الاستهانة بالشرّ مهما قلّ، وعدم إهمال الخير مهما ضئُل، فالّذين يعملون شرّاً مهما قلّ سيلقون شرّاً.



﴿الاعجاز﴾

واعلم أنّ هذه السورة الكريمة مع قصرها معجزة من ناحية الاسلوب والنظم والتنسيق تارة ومن جانب الاخبار بما سيقع تارة اخرى.

أما الاولى: فانّ السورة على هذا الاعتبار أعظم وأقوى و أوّل داع ديني تكون دعوته شاملة لجنسي الانسان، وفي هذا من الجلال والروعة ما يعلو فوق كلّ مستوى، ومايدلّ على عظمتها وبعد مداها، وقوّة عناصر خلودها، وهو الاسلوب التنبيهي الموجّه إلى مختلف الطبقات في المناسبات الملائمة بما تتناوله عقولهم وحواسّهم بقصد الموعظة والهداية والتذكير والانذار بأنّ النّاس راجعون إلى الله تعالى، ومعرضون عليه بعقائدهم وأعمالهم حقاً، وباطلاً خيراً وشرّاً.

واما الثانية: فلا يخفى على المتأمّل الخبير: أن إعجاز القرآن الكريم بوجه عامّ من تلك الناحية على جهات أربع:

أحدها - الاخبار بما وقع قبل نزوله:

قال الله عزّوجلّ: «كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق و قد آتيناك من لدنّا ذكراً» طه: ٩٩).

وقال: «تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها» الأعراف: ١٠١).

وقال: «و كلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك و جاءك في هذه الحق وموعظة و ذكرى للمؤمنين» هود: ١٢٠).

وقال: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النساء: ٨٢).

و قال : « ان هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » النمل: ٧٦) .

ثانيها - الاخبار بما يقع فوقع بما أخبر به جيلاً بعد جيل :

قال الله جل وعلا : « غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الروم : ٢-٦) .

وقال: «أرأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً» النصر: ٢) .

وقال: « ان شانئك هو الأبتر» الكوثر: ٣) .

وقال: « فامّا نرينك بعض الّذي نعدهم » غافر: ٧٧) .

وان الآيات الكريمة في ذلك كثيرة جداً ، و ان هاتين الجهتين دليلان على صحّة الجهتين الآتيتين .

ثالثها - الاخبار بما سيقع في الحياة الدّنيا قرناً بعد قرن قبل البعث والنشور، وإنّما الآيات الكريمة في ذلك كثيرة ممّا يتعلّق بالامور الدنيوية والاخروية منها:

قال الله تعالى: « وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً» النور: ٥٥) .

وقال: « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض» النمل: ٦٢) .

وغيرهما من الآيات القرآنية المتعلّقة بالامور المادّية والمعنوية مما يحتاج إليه المجتمع الانساني بوجه عام .

رابعها - الاخبار بما يقع بعد الحياة الدنيا:

انّ هذه السورة الكريمة فضلاً عن إعجازها في الاسلوب والنظم والتنسيق

والدعوة الشاملة ، وترهيب مطلقة التوجيه للنّاس عموماً ، وحملهم على الاقبال على صالح الأعمال ، والابتعاد عن الأعمال السيّئة ، و عدم الاستهانة بالشرّ مهما قلّ ، و عدم إهمال الخير مهما ضؤل ، و إنطوائها على تلقين مستمر المدى معجزة من الجهة الرابعة من الجهات بلاخفاء على المتدبّر الخبير لاحتوائها حقيقة يوم القيامة والحساب الايمانيّة فتدبّر جيداً و اغتنم جداً .

ومن وجوه إعجاز السورة الكريمة ما فيها من الاشارة إلى ضبط الأعمال والاقوال والحركات وتسجّلها في الأرض ، وانّها حافظة لما يحصل عليها، ولاتتحدّث عنها إلاّ وقت وقوع الساعة ، انّها تسجل و تحدّث خلاف سائر المسجّلات والاسطوانات . . . فانّها تسجّل طوال حياتها دون أن تحدث جهاراً حالها ، ثم تحدّث بما سجّلت عند إحتضارها و موتها ، و تؤدّي أما ناتها بكاملها إلى أهلها .

فتبقى صور الأعمال وأصوات الأقوال وحالات الأفكار وخطورات القلوب ونقل الحركات . . . في الأرض ليوم تشخص فيه الأبصار ، و قد نال إلى بعضها العلم بعد نحو أربعة عشر قرناً، قد أخبر بها القرآن الكريم وقد كان الناس لايصدقون قبل ذلك، قبل صناعة التلفزيون والراديو والمسجّلة وأشباهها من المسجّلات للصور والأصوات، كان النّاس لايصدقون هامة إنعكاس الأعمال يوم القيامة ، فكان الكافر ينكر، وكان الشّاك يستهزء ، وكان المؤمن متحيّراً و يؤوّل ، وقد كشف العلم بتقدّمه زاوية من الملهمات الغيبيّة القرآنية ، ويستفاد من إطلاق آيات هذه السورة أن تسجّل الأرض الخطورات القلبيّة للانسان ونيّاته ، ولم تصنع بعد آلات لضبطها وتسجيلها فستصنع إن شاء الله بأيدي المسلمين .

﴿التكرار﴾

واعلم أنّ ههنا اموراً أربعة:

أحدها ـ أنّ السّور التي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس سور:

١ـ سورة الانشراح. ٢ـ سورة التين. ٣ سورة البيّنة. ٤ـ سورة الزلزال. ٥ـ سورة التكاثر.

ثانيها ـ أنّ السور التى إبتدأت بحرف «إذا» سبع سور:

١ـ سورة الواقعة. ٢ـ سورة المنافقون. ٣ـ سورة التكوير. ٤ـ سورة الانفطار. ٥ـ سورة الانشقاق. ٦ـ سورة الزلزال. ٧ـ سورة النصر.

ثالثها ـ أنّه تكرّر قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة» في الآيتين: ٧ و ٨) وهذا ليس بتكرار فان الأوّل متّصل بقوله تعالى: «خيراً يره» والثاني متّصل بقوله: «شرّاً يره» وقد اعيدت الجملة لبيان حال كل من عمل الخير والشر في جملة مستقلّة لغرض إعطاء الضابطة وضرب القاعدة.

رابعها ـ أن نشير في المقام إلى صيغ ستّ لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١ـ جاءت كلمة (الزلزال) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ست مرّات:

١- سورة الحج: ١) ٢و٣- سورة الزلزال: ١) ٤- سورة البقرة: ٢١٤) ٥و٦- سورة الاحزاب: ١١)

٢- «	«	(الثقل)	«	«	« : ٢٨مرة:
٣- «	«	(الخبر)	«	«	« : ٥٢ « :
٤- «	«	(الذّرّ)	«	«	« : ٣٨ « :
٥- «	«	(الخير)	«	«	« : ١٩٦« :
٦- «	«	(الشرّ)	«	«	« : ٣١ « :



التناسب

واعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها- التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً.

ثانيها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً.

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

أما الاولى: فانّها نزلت بعد سورة «النور» على التحقيق ، فلما اشير في السابقة إلى بعض الأحكام والآداب وما إليها من أحكام الزنا وما يتعلّق به، ومن رمي المحصنات وما إليه ومن إشاعة الفحشاء وإتباع الشيطان، ومن شهادة الألسن و الأيدي والأرجل يوم القيامة، على ما فعلوه في الحياة الدنيا، ومن آداب الاسرة و دستور المعيشة الاجتماعية، ومن رسوم النكاح و بعض شرائطه، ومن تصنّف الناس تجاه تلك الآداب والأحكام والدعوة على صنفين:

طائفة اتبعوا الحق وآمنوا به، فأحاط بهم نور الله جلّ وعلا فاهتدوا به وعملوا أعمالاً صالحة، فعقبهم الجزاء الحسن، والفضل من الله تعالى، ففازوا فوزاً عظيماً.

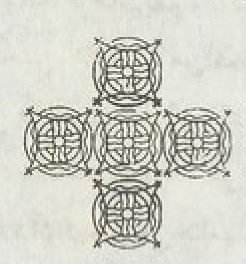
وطائفة اعرضوا عن الحق واتبعوا خطوات الشيطان، فأحاطتهم الظلمات ، فكفروا بالله تعالى ورسوله ﷺ وبكتابه واليوم الآخر وطغوا وسعوا في الأرض فساداً فعقبهم الدمار والعذاب والنّار، وأشار تعالى في ختامها إلى ما ينبّئهم يوم القيامة بما عملوا في الحياة الدنيا، أشار في هذه السورة إلى وقت الانباء و كيفيته وهو شهادة الأرض على ما فعله الانسان على ظهرها في الحياة الدنيا بعد ما أخرجته من بطنها

وقت الساعة.

وأما الثانية : فلما ختم الله عزّ وجلّ سورة «البيّنة» ببيان حال الكافرين و وعيدهم من نار جهنم وخلودهم فيها، وحال المؤمنين ووعدهم من جنّات عدن و خلودهم ورضوان الله أكبر من ذلك فكأنّ سائلاً يقول: متى يكون هذا الوعيد؟ ومتى وقت الجزاء؟ فقيل: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» بذكر بعض علائم التنجيز وزمان ذلك وعدّد من أماراته الزلزلة الشديدة التى تستأهلها الأرض وهى معنى إضافة الزلزال إلى ضمير الأرض.

و أما الثالثة : فلما بدئت السورة بذكر تزلزل الأرض تزلزلاً لم يسبقها بعد ذكر ما يتعقّب هذا التزلزل من خروج ما في بطنها من الانسان مدهوشاً متعجّباً أو معه غيره فيتساءل الانسان إذ يرى تلك الأهوال المدهشة المفزعة ما لهذه الأرض هذا الزلزال؟ وما لها من إخراجها ما في جوفها تلك الأثقال؟ فكأنّه يقال:

هذه تقدمة تحديثها أخبارها وشهادتها على ما فعله الانسان على ظهرها، فكأنّ سائلاً يسئل: فكيف يمكن ذلك منها؟ فيقال: ليس هذا من تلقاء نفسها، إنّما ذلك بايحاء الله جلّ وعلا إليها، فيسئل لماذا! فيجاب لانصراف الناس عن مواقفهم لرؤية أعمالهم: خيرها وشرّها، صغيرها وكبيرها.



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً فآيها محكمات والله تعالى هو أعلم.



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ - (اذا زلزلت الارض زلزالها)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عبّاس ومجاهد : أي حرّكت الأرض من أصلها، وكان يقول: في النفخة الاولى لقوله تعالى : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » وذكر المصدر للتأكيد ثم اضيف إلى الأرض كقولك: لاعطينّك عطيّتك أي عطيّتي لك ، وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآي بعدها . و يروى : أنّ الأرض تتزلزل من صوت إسرافيل عليه السلام .

٢- قيل: أي إذا حرّكت الأرض تحرّكها الشديد المناسب لعظمتها، حركة شديدة لقيام الساعة زلزالها الّتي كتب عليها. قيل: أي زلزالها المعهود والمكتوب عليها لما أنّها قدرت تقدير الحيّ . ويمكن أن يكون إنّما أضافها إلى الأرض لأنّها تعمّ جميع الأرض بخلاف الزلزال المعهودة الّتي تختصّ ببعض الأرض ، فيكون في قوله : « زلزالها » تنبيهاً على شدّتها الّتي تستأهلها الأرض ، و قريب منه قول من قال : أراد بزلزالها كلّ الزلزال ، وجميع ماهو ممكن منه أي يوجد من الزلزلة كلّ ما يحتمله المحل .

٣- قيل: أي إذا زلزلت الأرض زلزلتها الخاصّة بها ، وإضافة الزلزال إلى ضمير الأرض تفيد الاختصاص والتعظيم والتفخيم أي إنّها منتهية في الشدّة والهول .

٤- قيل: أي ترتجف الأرض وتنشق وتقذف ما في بطنها كأنّها تتزلزل عند النفخة الاولى أو الثانية .

٥ ـ قيل : أي إضطربت الأرض إضطراباً خاصّاً بهذا اليوم في آخر المطاف بعد زلازل موضعية تعيشها قبل موتها ، وبعد الرجفات الّتي تعيشها طول حياتها حفاظاً على كيانها الأرضي بين زملائها، ولهذا اضيف الزلزال إلى ضمير الأرض في قوله تعالى: «زلزالها» وكأنّه هو الزلزال الوحيد الّذي تزلزله أما مايحدث من زلزال للارض فيما قبل هـذا الزلزال فلا حساب لـه إذا نظـر له من خلال هذا الزلزال العظيم .

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحققين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر.

٢ ـ (و أخرجت الارض أثقالها)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس ومجاهد والجبائي و أبي عبيدة والأخفش: أي أخرجت الأرض موتاها في النفخة الثانية ثم يحييهم الله تعالى. وذلك إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، و إذا كان فوقها فهو ثقل عليها. ومنه قيل للجن والانس: الثقلان ، و كانت العرب تقول: إذا كان الرجل سفّاكاً للدماء : كان ثقلاً على ظهر الأرض ، فلمّا مات حطّت الأرض عن ظهرها ثقلها . والمعنى : أخرجت الأرض ماحملت في بطنها موتاها المدفونة فيها ، فتخرجها أحياء للجزاء فكأنّها تلدهم من جديد كما تلد الام أبناءها بعد أن يتمّ حملها وتثقل به بطنها .

٢ـ قيل : الأثقال : الكنوز والمعادن والمعنى : لفظت ما فيها من كنوزها ومعادنها ، فتلقيها على ظهرها ليراها أهل الموقف يومئذ وهم كانوا عنها غافلين في الحياة الدنيا، وتكون الفائدة في ذلك أن يتحسّر العصاة ، ويتأسّف الطغاة إذا نظروا إليها ، لأنّهم عصوا الله تعالى و طغوا فيها إذا استغنوا ثم تـركوها لاتغني عنهم شيئاً، وأيضاً فانّه تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

٣ـ قيل: أي أخرجت كلّ مافيها من المعادن والكنوز والموتى والحضارات وما إليها من الدفائن . ويروى : انّها تخرج كنوزها فيملأ ظهر الأرض ذهباً. ولا أحد يلتفت إليه ، و كأنّ الذّهب يصيح ويقول: أما كنت تخرب دينك و دنياك

لأجلى . وقيل: إنّ الأرض تتزلزل عندالنفخة الاولى فتلفظ بالكنوز والدفائن ، وعندالنفخة الثانية ترجف فتخرج الأموات أحياء كالام تلد حيّاً .

٤- قيل: أي أثقالها معنوياً من الانسان الّذي فضّل على كثير ممّن خلق تفضيلاً وأثقالهامادياً من الجواهر المرغوبة للانسان ، ولقد دفنت الأرض كلا الثقلين ليوم تقوم الأشهاد فكلّها أمانات فيها فتؤدّيها سالمة حين زلزالها يوم البعث من دون تدجيل ولاتدغيل ولازيادة ولانقصان ولاتضليل .

٥ - قيل: الأثقال: الأسرار فتكشف الأرض يومئذأسرارها الّتي ضبطت عليها من العقائد والأعمال والأقوال خيرهاوشرّها ، صغيرهاو كبيرها .

٦ - قيل: الأثقال هي الموتي من الانسان و كلّ ما فعله في الحياة الدنيا ، وما اعتقد به ، وما قال ، كلّ ذلك هو الأثقال .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق ، والمؤيّد بالآيات الكريمة والروايات الواردة .

٣- (و قال الانسان مالها)

في «الانسان» أقوال: ١-قيل: الانسان هو إبن آدم الكافر بالبعث لأنّه يسئل عن زلزلة القيامة وأهوالها وفزعها ومايرى من أطرافه من الأعمال السيّئة ، وهو جاحد لها فلذلك يسئل عنها ، فيقول : «من بعثنامن مرقدنا» والمعنى: يقول الكافر الّذي لم يؤمن بالآخرة : أيّ شيء زلزلها وأصارها إلى هذه الحالة الهائلة المفزعة ؟ ومالها من إخراجها تلك الأثقال . . . وأما المؤمن فهومعترف بها فلايسئل عنها ، فانّه يقول : « هذا ما وعدالرحمن وصدق المرسلون » .

٢- عن إبن عبّاس: هو الأسود بن عبدالأسد . ٣-قيل: أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مؤمن وكافر، ومذكّر ومؤنّث ، وهذا قول من جعل الزلزلة في الدنيا من أشراط الساعة لأنّهم لايعلمون جميعاً من أشراط الساعة في إبتداء أمرها حتّى يتحقّقوا عمومها ، فلذلك سئل بعضهم بعضاً عنها .

والمعنى: يتساءل الناس بعضهم بعضاً عن ذلك . وقيل: يسئل كلّ إنسان نفسه بعد أن تلفظه الأرض من جوفها و تلقى به على ظهرها .

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات القرآنية سيأتي ذكرها في التفسير والتأويل فانتظر وتدبّر .

وفي «مالها» أقوال: ١ـ عن أبي مسلم : أي ما للأرض زلزلت هذه الزّلزلة الهائلة المفزعة لم أرمثلها بعد، أي لأيّ شيء زلزلت الأرض بأنّ الله تعالى يحيي الله تعالى الموتى بعد وقوع النفخة الاولى ثمّ تتحرّك الأرض، فتخرج الموتى فلمّا رأوا الزلزلة و إنشقاق الأرض عن الموتى أحياء فيقولون من الهول والشدة : مالها حدث فيها مالم يعرف منها، وماثارت لأهلها ، وهذا قبل أن سكنت الأرض من الاضطراب والاهتزاز والحركة الشديدة .

٢ـ قيل : أي ما للأرض أخرجت أثقالها ، وهي كلمة تعجيب أي لأيّ شيء أخرجت الأرض أثقالها وهذا بعد أن سكنت الأرض من زلزالها . ٣ـ قيل: أي ما للأرض من هذه الزلزلة الهائلة المفزعة ؟ ومالها من إخراجها أثقالها .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق كما أنّ تلوين الاسلوب والايثار بكلمة الناس التي تشمل المؤمن والكافر والمعاصي لرؤية الأعمال يلهمنا أنّ الانسان من الناس لا كلّهم .

٤ـ (يومئذ تحدث أخبارها)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ قيل: أي تخبر الأرض يوم القيامة بما عمل عليها الانسان من خير أو شرّ ، فتشهد على الأعمال كما تشهد عليها الأعضاء و كتّاب الأعمال من الملائكة وشهداء الأعمال من الانسان وغيرهم . . . سواء كان الانسان مذكراً أم مؤنّثاً ، و كافراً أو مؤمناً . وهذا من قول الله تعالى .

وقيل: هذا من قول الانسان أي يقول الانسان يومئذ : مالها تحدّث أخبارها مدهوشاً متعجّباً. وهذا قول من زعم أنّ هذه الزلزلة زلزلة القيامة ، وعلى هذا

فيجوز أن يكون الله تعالى أحدث الكلام فيها، وإنّما نسبه إليها توسّعاً ومجازاً، ويجوز أن يقلّبها حيواناً يقدر على النطق ، و يجوز أن يظهر فيها مايقوم مقامه الكلام فعبّر عنه بالكلام كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك وتقول الشاعر : وقالت له العينان سمعاً و طاعة .

٢ـ عن يحيي بن سلام : أي تحدّث الأرض أخبارها بما أخرجت من أثقالها وهو قول من زعم أنّها زلزلة أشراط الساعة . ٣ـ عن إبن مسعود: أي أنها تحدّث بقيام الساعة إذا قال الانسان بمالها، فتخبر أن أمر الدّنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم ووعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن . و قيل : أي تحدّث بأنّها كانت مسكونة ، فاذا جائت الزلزلة تحدّث انّ الدنيا قد انقضت أيّامها ، و انّ الآخرة قد أقبلت .

٤ـ قيل: أي تبيّن أخبارها بالرّجّة والزلزلة وإخراج الموتى . والمعنى: تظهر الأرض أخبارها الّتي كانت مكنونة في صدرها، فاخبارها هي نفس إخراجها أثقالها . وقيل : أي يظهر ما يحدث للأرض ويحلّ فيها من خراب و دمار . أي انّ حال الأرض عند الساعة ومايقع فيها من الاضطراب والاهتزار والانقلاب و ما لم يعهد له نظير من الخراب والدمار تعلم السائل وتفهمه أن مايراه لم يكن لسبب من الأسباب الّتي وضعت لأمثاله مما تراه حين إستقرّ نظام هذا الكون .

فالمعنى: انّ الأرض تحدّث الخلق بلسان الحال ما لأجله زلزالها وإخراجها كنوزها وموتاها ، فلا تصبح الأرض حيواناً ولا إنساناً تحدّث بما أحدثه الانسان في الحياة الدنيا ، ولاتصبح جبالها كألسنة لها حداد ، فان أخبارها هكذا أجنبيّة عن كيان الأرض ، بل تحديث أخبارها هو عرضها عليهم صور أعمالهم ، وأصوات أقوالهم المسجّلة في الأرض ، فتحدّث أخبارها بما شهدتها و سجلتها .

أقول: و على الأوّل أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الاخر . وفي تحديث الأرض أخبارها ثلاثة أقاويل: أحدها ـ أنّ الله تعالى يقلّب الأرض

ويجعلها على صورة حيوان يعرفها جميع الناس فتتكلم بما فعلوه على ظهرها في الحياة الدّنيا فامّا تشكو من الكفّار والمجرمين، وإمّا تمدح المؤمنين والمطيعين.
ثانيها- انّ الله جلّ وعلا يحدث فيها الكلام . ثالثها- انّه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام .

أقول: إنّ السئوال عن كيفيّة تكلّم الأرض وتحديثها، وليس لها لسان تتكلم به هو السئوال عن تكلّم الشجرة لموسى بن عمران عليه السلام وتكلّم الحصاة بيد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله والجواب هو الجواب فراجع .

٥ - (بأن ربك أوحى لها)

في الآية الكريمة أقوال : ١ - عن إبن عبّاس و أبي عبيدة : أي انّ الأرض تحدّث أخبارها بوحي الله تعالى إليها . وانّ العرب تضع لام الصّفة موضع « إلى » لأنّ الايحاء يتعدّى بـ « إلى » والمعنى : تحدّث أخبارها بسبب أنّ ربّك أوحى إليها أن تحدّث فهي شاعرة بما يقع فيها من الأعمال : خيرها وشرّها متحمّلة لها يؤذن لها يوم القيامة بالوحي أن تحدّث أخبارها وتشهد بما تحمّلت وإنّ الحياة والشعور ساريان في الأشياء وإن كنّا عن ذلك غافلين .

٢- عن إبن عبّاس أيضاً: أي أذن لها لتخبر بما عمل على ظهرها الانسان في الحياة الدنيا من الأعمال والأقوال. و قال الفرّاء : أي تحدّث أخبارها بوحي الله وإذنه لها . ٣- عن مجاهد: أى أوحى أمرها . وعن عبدالله بن مسعود: أي أمرها بذلك. أي إن مايكون للأرض يومئذ إنّما هو بأمر إلهي خاصّ، فيقول لها : كوني خراباً كما قال لها حين بدء النشأة الاولى: كوني أرضاً. وإنّما سمّي ذلك وحياً لأنّه أتى على خلاف ماعهد منذ نشأة الأرض .

٤ -- عن السدي : أي قال لها . وقيل: إنّ الله تعالى يخلق في الأرض و هي جماد أصواتاً مقطّعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى . وقيل: يخلق الصوت فيها عند اخبارها . ٥ - قيل: أي ألهمها . ٦- قيل: أي

عرفها بأن تحدث أخبارها . وقيل: أي ان الأرض تحدث بها فتقول : إن ربك يامحمد أوحى لها أي ألهمها وعرفها بأن تحدث أخبارها . ٧- قيل : أي سخرها .

٨ - عن سفيان الثوري : أي يوم تكون الزازلة و إخراج الأرض أثقالها تحدث الأرض أخبارها ماكان عليها من الطاعات والمعاصي ، وماعمل على ظهرها من خير أو شر . ٩- قيل: أي بأن تلقى الأرض الكنوز والأموات على ظهرها يقال: أوحى لها وإليها أي ألقى إليه من جهة تخفى . و قيل : أي دلالتها بماوقع فيها من الأعمال بلسان الحال .

١٠- قيل : ليس هذا الوحي وحي النبوة ولاوحي الالهام ولاوحي العزيزة و إنما هو وحي في تكوينها و رمز في كيانها الذي يجهله من سوى الله تعالى والراسخين في العلم . ١١ - قيل : إن لكل ذرة لساناً ملكوتياً ناطقاً بالتسبيح والتحميد ، وبهذا اللسان تنطق الأرض يوم القيامة ، و به تنطق الجوارح .

أقول: والثالث هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر، وأما كيفية تكلم الأرض ، فلا علم لنا بها كما أنه لاعلم لنا بتسبيح غيرنا قال الله عز وجل : « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » الاسراء : ٤٤)

٦- (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

في قوله تعالى: « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً » أقوال : ١- قيل: أي يرجعون عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين عندئذ ففريق منهم ، و هم أهل السعادة والفلاح يأخذون جهة اليمين إلى منازلهم في الجنة ، وفريق آخرون منهم و هم أهل الشقاء والخسران يأخذون جهة الشمال إلى مآل أمرهم في النار لقوله تعالى: « يومئذ يتفرقون - يومئذ يصدعون » الروم : ١٤ - ٤٣) و قيل : أي يرجعون فرقاً فرقاً عن الحساب بعد فراغهم من الحساب . وعن إبن عباس: أي متفرقين على قدر أعمالهم : أهل الايمان على حدة وأهل كل دين على حدة .

٢ـ قيل: أي متفرّقين على وجه الأرض لتشهد عليهم الأمكنة بمافعلوه فيها، فهم يرون أعمالهم يوم القيامة بعد إنصرافهم عن موقف البعث في كل مكان عملوا فيه في الحياة الدنيا من أقطار الأرض من كل ناحية ومكان، فهم يبعثون من أقطار الأرض ويتفرّقون في أماكن أعمالهم ليروها بعينها فلا يستطيعون إنكارها. وقيل: إن هذا الصدور إنّما هو عند النشور فيصدرون أشتاتاً من القبور فيصار بهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم في كتبهم، فكأنّهم وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها، والوارد: الجائي والصادر: المنصرف.

٣ـ قيل: إن هذا الصّدور عند معاينة الثواب والعقاب. وقيل: إنّ قوله تعالى «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً» جملة معترضة بين «بأنّ ربّك أوحى لها» وبين «ليروا أعمالهم» على تقدير: بأنّ ربّك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشتاتاً عن موقف الحساب، فرقاً فرقاً متفرقين إلى منازلهم في الجنّة والنّار.

٤ ـ قيل: أي يبعثون وهم مختلفون في الوجوه فبعضهم سواد الوجوه حفاة عراة معهم السلاسل والأغلال، والمنادي ينادي بين يدي الله تعالى: هؤلاء أعداء الله وهم شرّ البرية: «ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة» القيامة: ٢٤ـ ٢٥) «ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة» عبس: ٤٠ ـ ٤٢).

وبعضهم بياض الوجوه معهم الثياب الفاخرة والرائحة الطيّبة، والمنادي يومئذ ينادي: اولئك هم خير البرية: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة» القيامة: ٢٢ـ٢٣) و«وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس: ٣٨ـ٣٩).

٥ ـ قيل: أي يحشرون متفرقين أي كلّ فريق على شكله: اليهودي مع اليهودي والنصارى مع النصارى والمنافق مع المنافق والمؤمن مع المؤمن...
«يوم ندعوا كلّ اناس بامامهم ـ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و

أضلّ سبيلاً » الاسراء : ٧١-٧٢) ٦- قيل: أي يحشرون فرقاً فرقاً فالذكور مع الذكور والاناث مع الاناث غير مختلطين، فلا يرى الذكور الاناث ولا ترى الاناث الذكور يومئذ إلاّ بعد دخولهم في الجنّة أو في النار . ٧- قيل : أي يبعثون متفرّقين على قدر أعمالهم ومتشكلين بأشكالها المتناسبة لها فالدّيّوث يتشكل بصورة الخنزير ، والظلمة و سفّاك الدماء يتشكّلون بصورة الذئب ، والكاذبون بصورة الكلاب ، والمتملّقون بصورة الهرّة والسارقون بصورة الفأرة ، وأهل المكر والحيلة والغدر يتشكلون بصورة الثعالب . . . وهكذا .

٨- قيل : أي كل واحد منهم يصدر وحده من دون ناصر و لا عاضد له لقوله تعالى : « و لقد جئتمونا فرادى » .

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق لتعليل الصدور أشتاتاً بقوله تعالى : « ليروا أعمالهم » إجمالاً ، و تفصيل ذلك بقوله عزّ وجلّ : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره . . . » وتؤيّده روايات المواقف وغيرها، والقول باعتراض الجملة غير وجيه ، إذ لاصدور عن موقف الحساب إلى الجنّة والنّار قبل رؤية الأعمال ، و شهادة الأرض و شهادة الأيدي والأرجل والألسن . . . وغيرها من الشهداء ، وأما سائر الأقوال فممّا تراه .

نعم : ما في غير الثّاني من الأقوال يجيء بعد صدور النّاس عن موقف البعث و رؤية الأعمال ، أو حين البعث كتشكل العامل على صورة عمله ، وتمايز المؤمن من الكافر وعدم الاختلاط بين الذكور والاناث في المحشر وعرض الحساب... ولكن المقام ليس بصدد بيان ذلك ، فتأمل جيّداً .

وفي قوله تعالى: «ليروا أعمالهم» أقوال: ١- عن إبن عباس : أي ليروا ثواب أعمالهم وجزائها إن كان العمل خيراً فجزائه خيراً و إن شرّاً فشراً . فيرى المحسن المطيع لله تعالى يوم القيامة ما عمله في الحياة الدنيا و ما أعدّ الله جلّ وعلا له يومئذ من الكرامة على طاعته إيّاه ومن الجنّة ونعيمها ، ويرى المحسن العاصي لله

تعالى ماعمله في الدنيا وجزاء عمله وما أعدّ الله تعالى له من الهوان والخزي في نارجهنم . ٢ـ قيل: أي يروا صحائف أعمالهم ، فيقرؤن ما فيها من أعمالهم التي عملوها في الدنيا . فيرون أعمالهم في كتب أعمالهم لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصتها فيها ، فلا يستطيعون على إنكارها . و انّ الرؤية هي رؤية العين .

٣ ـ قيل : أي ليعرفوا أعمالهم . فالرؤية هنا بمعنى المعرفة بالأعمال عند تلك الحال وهي رؤية القلب . ٤ ـ قيل : أي ليروا نفس أعمالهم بناء على تجسّم الأعمال . . .

أقول: والأخير هوالظاهر من السياق والمؤيّد بقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » الزلزلة : ٧ـ٨) و بكثير من الآيات القرآنية والروايات الواردة في المقام .

٧ ـ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

في الآية الكريمة أقوال : ١ ـ عن إبن عبّاس : أي من يعمل من الكفّار مثقال ذرّة خيراً يره في الدنيا ولايثاب عليه في الآخرة ، ومن يعمل منهم مثقال ذرّة شراً عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الكفر والشرك والمعصية ، و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً من المؤمنين يره في الحياة الدنيا ، ولايعاقب عليه في الآخرة إذا مات ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرّة خيراً يقبل منه ولايضاعف له في الآخرة .

٢ـ قيل: هذا مثل ضربه الله تعالى أنّه لايقبل من عمل إبن آدم صغيرة ولا كبيرة كقوله تعالى : « إنّ الله لايظلم مثقال ذرّة » النساء : ٤٠) .

٣ـ عن محمدبن كعب القرظى : أي فمن يعمل مثقال ذرّة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتّى يخرج من الدنيا ، وليس له عنده خير و من يعمل مثقال ذرّة من شرّ من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتّى يخرج من الدنيا وليس له عندالله شرّ .

٤ ـ عن مقاتل : أي فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره يوم القيامة في كتابه

فيفرح به، و كذلك من الشرّ يره في كتابه فيسوئه ذلك، قال: و كان أحدهم يستقل أن يعطي اليسير ويقول: إنّما نوجر على ما نعطي ونحن نحبّه وليس اليسير مما يحبّ ويتهاون بالذنب اليسير، ويقول: إنّما وعدالله النّار على الكبائر فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشرّ.

٥ ـ قيل: أي فمن يعمل من المؤمن والكافر، والمذكّر والمؤنّث في الحياة الدنيا يرى عمله بعينه يوم القيامة من غير زيادة ولا نقصان، أمّا المؤمن فيثاب به، و أمّا الكافر فلا يقبل منه لكفره وطغيانه فانّ من شرائط قبول الأعمال الصالحة هو الايمان فاذا انتفى إنتفى.

أقول: والأخير هو المؤيّد بالآيات القرآنية والروايات الواردة.

و في «الذرة» أقوال: ١ ـ قيل: الذرة لازنة لها. ٢ ـ قيل: الذرّة أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق بهامن التراب فهو الذرّ. وعن إبن عبّاس: إذا وضعت يدك على الأرض و رفعتها، فكلّ واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرّة فليس من عبد عمل خيراً أو شراً، قليلاً كان أو كثيراً إلّا أراه الله تعالى إيّاه.

٣ ـ قيل: الذرّة: النملة الصغيرة، والمراد بها الهباء المنبثّ في الهواء.

٤ ـ قيل: الذرّة: دودة حمراء ليس لهاوزن. ٥ ـ قيل: الذرّة: ما يرى في شعاع الشمس من هباءة من غبار لا ترى إلّا في ضوء الشمس المتسلل من كوّة في مكان مظلم. ٦ـ قيل: مثقال ذرّة من الخير والشرّ إشارة إلى مدى تأثير الخير والشرّ في دنيا الحياة، فكما الخير يرى بنفسه كذلك بآثاره الّتي خلّفها خلفه كما أن الشرّ أيضاً يرى هكذا ثمّ الجزاء على الخير والشرّ سوف يكون جزاء وفاقاً لثقلها قدر التأثير ومداه.

أقول: و على الخامس أكثر المفسّرين.

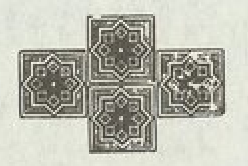
وفي قوله تعالى: «خيراً» أقوال: ١ـ قيل: الخير هو الايمان. ٢ـ قيل: الخير هو صالح العمل. ٣ـ قيل: الخير هو كلما فيه نفع صلاح دنيوي واخروي للانسان

ممّا يتعلق بالعقيدة والقول والفعل .

أقول: و لكلّ وجه ولكن الأوجه هو الثاني لكون الخير هيهنا متعلقاً بالعمل ، و إن كان الايمان خيراً في نفسه ولكنّه متعلّق بالقلب .

و في قوله تعالى: « يره » أقوال : ١- قيل : أي يرى نفس عمله يومئذ كما عمله في الحياة الدنيا من دون زيادة ولا نقصان . ٢- قيل: أي يرى جزاء عمله و ثوابه لأنّ ماعمله قد مضى وعدم فلا يرى . ٣- قيل: أي يرى عمله بعينه وجزائه .

أقول: إنّ الآية الكريمة تشير إلى رؤية الانسان نفس عمله ، وليست بصدد بيان رؤيته جزاء عمله و إن يراه بعد .



«التفسير والتأويل»

١- (اذا زلزلت الارض زلزالها)

إذا تحرّكت الأرض كلّها حركة شديدةلم تسبقها بعد في الحياة الدّنيا ، حركتها المقدرة لها، وإهتزّت إهتزازاً شديداً مهيلاً مفزعاً ، حركة سريعة متصلة واحدة بعد اخرى بلافصل.

وانّ النفخة الاولى تقدمة لزلزالها كما أنّ النفخة الثانية لتجميع الناس بعد تشتّتهم ورؤيتهم أعمالهم في مواقفها لعرض الجزاء عليهم إمّا الناروعذابها، وإمّا الجنّة ونعيمها، فبالنفخة الاولى تزلزل الأرض.

قال الله تعالى: «فاذا نفخ في الصّور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقّت السماء فهي يومئذ واهية» الحاقّة: ١٣-١٦)

وقال: «يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم» الحج: ١)

وقال: «إذا وقعت الواقعة - إذا رجّت الأرض رجّاً وبسّت الجبال بسّاً فكانت هباء منبثّاً» الواقعة: ١-٦)

وقال: «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل: ١٤)

وقال: «وإذا الأرض مدّت وألقت ما فيها وتخلّت» الانشقاق:

٣ ـ ٤)

وقال : «يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق: ٤٤)

وقال : «فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء ـ و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصّور فجمعناهم جمعاً و عرضنا جهنّم يومئذ للكافرين عرضاً ـ انّ الـذين آمنوا و عملوا الصّالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزولاً» الكهف: ٩٨ـ١٠٧)

٢ـ (وأخرجت الارض أثقالها)

وأخرجت الأرض عند الساعة لشدة إضطرابها وثوران باطنها كل مافي جوفها، فيقذف ما في باطنها من الدفائن والأموات والأسرار: «وإذا الأرض مدّت وألقت ما فيها وتخلّت» الانشقاق: ٣ـ٤)

ومنها هوهذا الانسان وما يتعلّق به من العقائد والاقوال والأعمال المضبوطة في أرجائهـا . . . «وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قـدّمت و أخّرت» الانفطار: ٤ ـ٥)

فتراها أصحابها خيرها وشرّها، صغيرها و كبيرها...

قال الله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزال : ٧ـ٨)

وقال: «ولاتزر وازرة وزر اخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء» فاطر: ١٨)

وقال: «وقال الله كفروا للّذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولنحمـل خطاياكم و ماهم بحاملين من خطاياهم من شيء إنّهم لكاذبون وليحملنّ أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم» العنكبوت: ١٢ـ١٣)

وإطلاق الثقل على ما يتعلّق بالانسان باعتبار صدوره عنه على ظهر الأرض، والضبط فيها وتجسّمها يوم البعث والحساب والجزاء.

قال الله تعالى حكاية عن لقمان: «يا بنيّ انّها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير» لقمان: ١٦)

و قال: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها و بينه أمداً بعيداً» آل عمران: ٢٩-٣٠)

وقال: «ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربّك صفاً - لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً» الكهف: ٤٧-٤٩)

٣- (وقال الانسان مالها)

وقال الانسان الكافر بالبعث والحساب والجزاء بعد خروجه من القبر يوم القيامة عند تبدل الأرض غير الأرض، حين شاهد ما للارض من الاضطراب و الاهتزاز، وفي أطرافه من الأثقال الخارجة من الأرض، مدهوشاً من تلك الزلزلة الشديدة الهائلة المفزعة، متعجّباً من تلك الحالة والأثقال الخارجة: ما لهذه الأرض تتزلزل هذا الزلزال؟ وما الّذي وقع لها مما لم يعهد له نظير من قبل؟ وما لها من إخراجها تلك الأثقال وأنواعها؟؟؟

فيسئل الكافر نفسه بعد أن تلفظه الأرض يوم البعث من بطنها، وتلقى به على ظهرها، منكراً لهذا الّذي حدث... خائفاً مدهوشاً، وفزعاً متعجّباً ما يراه في أطرافه، فكأنّه سكران فليس بسكران، وقد كان من قبل في بطن الأرض، فماذا أخرجه منها؟ وماذا يراد به؟؟؟

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «ونفخ في الصّور فاذاهم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا» يس: ٥١-٥٢)

وقال جلّ وعلا: «فويل للّذين كفروا من مشهد يوم عظيم» مريم: ٣٧)

وقال: «قد خسر الّذين كذّبوا بلقاء الله حتّى إذا جائتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» الأنعام: ٣١)

وقال: «خشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر» القمر: ٧ـ٨)

وأمّا المؤمن فلا دهشة ولا فزع ولا خوف عليه، ولا له حزن فهو من فزع يوم القيامة وأهوا له آمن.

قال الله عزّ وجلّ: «ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ٨٧ـ٨٩)

وقال: «يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين» الزخرف: ٦٨ـ٦٩)

وقال: «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب» الأنبياء: ١٠٣ـ١٠٤)

وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتدبّر جيّداً.

٣ـ (يومئذ تحدث أخبارها)

يوم القيامة تخبر الأرض أسرارها و ما سجلت فيها من الأعمال والأقوال، فيشهد كلّ مكان منها على الناس ما فعلوه على ظهرها في الحياة الدنيا من خير أو شرّ ومن صغير أو كبير.

قال الله عزّ وجلّ: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر» يونس: ٦١)

وقال: «إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله» لقمان: ٦)

وقال: «وكلّ صغير وكبير مستطر» القمر: ٥٣)

كما يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، ويشهد عليهم كتّاب أعمالهم من الملائكة وشهداء الأعمال من الانسان وغيرهم ، فان هذا اليوم يوم شاهد ومشهود.

قال الله عزّ وجلّ: «شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون» فصّلت: ٢٠)

وقال: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» النور:٢٤)

وقال: «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» يس: ٦٥)

وقال : «ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه» يونس:٦١)

وقال: «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجائت كلّ نفس معها سائق وشهيد» ق: ٢٠ـ٢١)

وقال : «وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون» الانفطار: ١٠ـ١٢)

وقال: «واليوم الموعود وشاهد ومشهود» البروج: ٢ـ٣)

٥ـ (بأن ربك أوحى لها)

بسبب أنّ ربّك أوحى للارض يوم القيامة بأن تحدّث ما فعله الانسان على ظهرها في الحياة الدنيا، فتطيع عندئذ أمر ربّها، وحق لها أن تستمع وتطيع لأمره جلّ وعلا: «وأذنت لربّها وحقّت» الانشقاق: ٥)

«إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢)

كأمرها بقوله تعالى: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء قضي الأمر» هود: ٤٤)

كما كان تسخيرها وتسخير الشمس والقمر والنجوم والفلك والريح وتنزّل الملائكة والروح وتقوم السماء والأرض بأمره جلّ وعلا.

قال الله عزّ وجلّ: «والشمس والقمر والنّجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر» الأعراف: ٥٤)

وقال: «وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره» إبراهيم: ٣٢)

وقال: «ألم تر أنّ الله سخّر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا باذنه» الحجّ: ٦٥)

وقال: «فسخّرنا له الريح تجري بأمره» ص: ٣٦)

وقال: «ينزّل الملائكة والروح من أمره على من يشاء من عباده» النحل: ٢)

وقال: «ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره» الروم: ٢٥)

٦ـ (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

يوم البعث والنشور يجيىء النّاس صادرين من قبورهم، منصرفين عن موقف الحشر أفراداً، متفرّقين، متميّزين لا تسير كافرهم ومؤمنهم، محسنهم ومسيئهم، مطيعهم ومجرمهم ومصلحهم ومفسدهم في طريق واحد، بل كلّ نفس بما كسبت رهينة فلا أنساب بينهم.

فللنّاس في هذا اليوم صدور وورود: صدور من القبور وورود إلى موقف الأعمال ليروا ما عملوه في الحياة الدنيا، كأنّهم جراد منتشر إلى موقف الأعمال والأقوال والعقايد والأفكار كلٌّ بموقفه، فيشهد عليه الموقف، وهو يرى ما عمله فيه وقد كان في غفلة عن هذا.

قال الله عزّ وجلّ: «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كلّ نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٠ـ٢٢)

وقال: «يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران: ٣٠)

و قال : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ و لا يتساءلون » المؤمنون: ١٠١)

وقال: « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون» الروم: ١٤)

وقال: «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة» الأنعام: ٩٤)

وقال: «وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً» مريم: ٩٥)

وقال: «فاذا جائت الصّاخّة يوم يفرّ المرء من أخيه وامّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلّ امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» ٣٣-٣٧)

فالأعمال والأقوال والعقايد والأفكار و حسن الظّنون وسوءها كلها يوم الحشر حاضرة محضرة يحضرها الله جلّ وعلا بما سجّلها في الأرض و في أعضاء الانسان نفسها من دون زيادة ولا نقصان. فسوف يسمع أقواله كما قال، و يرى أعماله كما عمل، ويكشف مافي صدوره من العقائد كأنّه عملها الساعة ، فخير الانسان وشرّه معه، وفي المكان الذي عمله حيث كان فلا يستطيع فراغه.ولايقدر على إنكاره.

قال الله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبّئهم بماعملوا أحصاه الله ونسوه» المجادلة: ٦)

وقال: «لكلّ نباء مستقرّ وسوف تعلمون» الأنعام: ٦٧)

وقال : « وأن ليس للانسان إلّا ما سعى و أن سعيه سوف يرى » النجم: ٣٩-٤٠)

وقال: «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة و حشرناهم فلم نغادرمنهم أحداً - ووجدوا ماعملوا حاضراً» الكهف: ٤٧-٤٩)

وقال: «ينبّأ الانسان يومئذ بما قدّم وأخّر بل الانسان على نفسه بصيرة»

القيامة: ١٣-١٤)

٧- (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

فمن يعمل من المؤمن والكافر، والذكر والانثى في الحياة الدنيا مثقال ذرّة - وهي ما يرى في شعاع الشمس من هباءة من غبار لا ترى إلّا في ضوء الشمس المتسلّل من كوّة في مكان مظلم - خيراً يره بعينه في الدار الآخرة من دون زيادة ولا نقصان، أمّا المؤمن فاذا رآه سرّ به فيثاب به، وأمّا الكافر فلا يقبل منه لكفره وطغيانه .

قال الله عزّ وجلّ : «يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً» آل-عمران: ٣٠)

وقال: «وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله» البقرة: ١١٠)

وقال: «إنّما يتقبّل الله من المتقين» المائدة: ٢٧)

وقال: «اولئك الّذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنّة» الأحقاف: ١٦)

وقال: «ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهومؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب» غافر: ٤٠)

وقال: «قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبّل منكم انّكم كنتم قوماً فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى ولا ينفقون إلّا وهم كارهون» التوبة: ٥٣-٥٤)

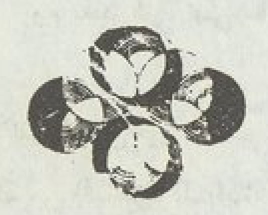
٨-(ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

ومن يعمل من المؤمن والكافر، والذكر والانثى في هذه الحياة الدنيا مثقال ذرّة شرّاً يره بعينه يوم القيامة،أمّا المؤمن فيكفّر عنه سيّئاته،فلايؤاخذ به، وأما الكافر والطاغي، فاذا رآى صاحبه يومئذ بين يديه ساءه ذلك وملأنفسه حسرة وغمّاً ويؤاخذ به.

قال الله تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران: ٣٠)

وقال: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون» العنكبوت: ٧)

وقال: «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» البقرة: ١٦٧)



جملة المعانى

۶۱۳۹- (اذا زلزلت الارض زلزالها)

إذا تحرّكت الأرض كلّها واهتزّت إهتزازاً مهيلاً لم يسبقهابعد.

۶۱۴۰- (و أخرجت الارض أثقالها)

وأخرجت الأرض عندالساعة لشدة إضطرابها كلّ ما في جوفها على ظهرها.

۶۱۴۱- (وقال الانسان مالها)

وقال الانسان بعد خروجه من القبر يوم القيامة حين ما شاهد وقوع الساعة وأهوالها مدهوشاً متعجباً: ماللارض من هذه الحركة الشديدة وإخراجها أثقالها لم تسبقاهــا بعد.

۶۱۴۲- (يومئذ تحدث أخبارها)

يوم القيامة تخبر الأرض ما سجلت فيها من الأعمال والأقوال والحركات و الخطورات...

۶۱۴۳- (بأن ربك أوحى لهـا)

بسبب أنّ ربّك أمر الأرض يوم القيامة بتحديث مافعله الانسان على ظهرها في الحياة الدّنيا.

۶۱۴۴- (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)

يوم البعث والنشور ينصرف الناس أجمعون عن موقف الحشر متفرّقين إلــى

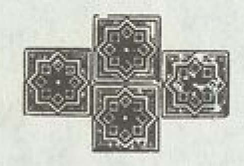
مواقف الأعمال، كلٌ بموقفه ليروا ماعملوه في الحياة الدنيا.

٦١٤٥- (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

فمن يعمل من الذكر والانثى مثقال ذرّة خيراً يره بعينه في الدار الآخرة بلازيادة ولا نقصان.

٦١٤٦- (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

ومن يعمل من المؤمن والكافر في الحياة الدنيا مثقال ذرّة شراً يرى نفس عمله في الدار الآخرة.



﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «و أخرجت الأرض أثقالها» قال: من الناس «وقال الانسان مالها» قال: ذلك أمير المؤمنين عليه السلام «يومئذ تحدّث أخبارها ـ إلى قوله ـ أشتاتاً» قال: يجيئون أشتاتاً مؤمنين و كافرين ومنافقين «ليروا أعمالهم» قال: يقفون على ما فعلوه.

و في تفسير البرهان: بالاسناد عن الحسن بن عبد الرحيم التمّار قال: إنصرفت من مجلس بعض الفقهاء فمررت على سلمان الشاذ كوني، فقال له: من أين جئت؟ فقلت: جئت من مجلس فلان يعني واضع كتاب الوحدة، فقال لي: ماذا قوله فيه؟ فقلت: شيء من فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام فقال: لا والله لاحدّثنك بفضيلة حدّثني بها قرشي عن قرشي إلى أن بلغ ستة نفر ثم قال: رجفت قبور البقيع على عهد عمر بن الخطاب، فضجّ أهل المدينة من ذلك، فخرج عمر و أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون لتسكن الرجفة، فما زالت تزيد إلى أن تعدى ذلك إلى حيطان المدينة، وعزم أهلها على الخروج عنها، فعند ذلك قال عمر: عليّ بأبي الحسن علي بن أبيطالب عليه السلام فحضر فقال: يا أباالحسن ألا ترى إلى قبور البقيع و رجفتها حتّى تعدّى ذلك إلى حيطان المدينة، و قد همّ أهلها بالرحلة عنها، فقال علي عليه السلام: عليّ بمأة رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله البدريين، فاختار من المأة عشرة فجعلهم خلفه، وجعل التسعين من ورائهم ولم يبق بالمدينة سوى هؤلاءِ إلّا حضر حتّى لم يبق بالمدينة ثيّب و لا عاتق إلّا خرجت، ثمّ دعا

بأبي ذر ومقداد وسلمان وعمّار وقال لهم :

كونوا بين يدي حتّى أتوسّط البقيع ، والنّاس محدقون به ، فضرب الأرض برجله ثمّ قال : مالك ؟ مالك ؟ مالك ثلاثاً ؟ فسكنت الأرض ، فقال : صدق الله و صدق رسوله ﷺ لقد أنبأني بهذا الخبر وهذا اليوم وهذه الساعة ، وباجتماع الناس له ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها » أما لو كانت هي هي لقلت مالها وأخرجت الأرض لي أثقالها ثمّ انصرف وانصرفت معه وقد سكنت الرجفة .

وفي العلل: باسناده عن هارون بن خارجة رفعه عن فاطمة عليها السلام قالت : أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر وفزعوا إلى أبي بكر و عمر فوجدوهما قد خرجا فزعين إلى عليّ عليه السلام فتبعهما النّاس إلى أن انتهوا إلى عليّ عليه السلام فخرج إليهم عليّ عليه السلام غير مكترث لما هم فيه ، فمضى فأتبعه الناس حتّى إنتهى إلى تلعة ، فقعد عليها وقعدوا حوله ، وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتج جائية و ذاهبة ، فقال لهم عليّ عليه السلام : إنكم قد اهالكم ما ترون ؟ قالوا : و كيف لا يهولنا و لم نر مثلها قط ؟ فحرّك شفتيه ثمّ ضرب الأرض بيده ثم قال : مالك ؟ اسكني فسكنت فعجبوا من ذلك أكثر من تعجّبهم أوّلاً حيث خرج إليهم قال: فانّكم قد تعجّبتم أوّلاً حيث خرج إليهم قال : فانّكم قد تعجّبتم من صنعي ؟ قالوا : نعم قال : أنا الرجل الّذي قال الله تعالى : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها » فأنا الانسان الّذي يقول لها : مالك؟ « يومئذ تحدّث أخبارها» إيّاي تحدّث أخبارها .

أقول: لا تناف بين الروايتين إذ لا يبعد تعدّد الواقعة وتكرّرها .

وفي كنز الفوائد للكراجكي باسناده عن الأصبغ بن نباته قال : خرجنا مع عليّ عليه السلام وهو يطرق في السوق وهو يأمرهم بوفاء الكيل والوزنة حتّى إذا انتهى إلى باب القصر ركز الأرض برجله المباركة ، فقال : هي هي الآن مالك ؟

اسكني أما والله انّي أنا الانسان الّذي تنبّئه الأرض أخبارها أو رجل منّي .

و في تفسير البرهان : بالاسناد عن فضيل بن الزبير قال أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في الرحبة فتزلزلت الأرض فضربها عليه السلام بيده ثم قال لها : قرّي انّه ما هو قيام ، ولو كان ذلك لاخبرتني و انّي أنا الّذي تحدّثه الأرض أخبارها ثمّ قرأ : « إذا زلزلت الأرض زلزالها » أما ترون انها تحدّث عن ربّها .

وفي العلل: باسناده عن جابر قال : حدّثني تميم بن حاتم قال : كنّا مع عليّ عليه السلام حيث توجّهنا إلى البصرة قال : فبينما نحن نزول إذا اضطربت الأرض فضربها عليّ عليه السلام بيده الشريفة و قال لها : مالك ؟ ثم أقبل علينا بوجهه الكريم ثم قال لنا : أما انّها لو كانت الزلزلة الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز لاجابتني ولكنّها ليست بتلك .

و في كنز الفوائد : باسناده عن الفضل بن الزبير قال : إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان جالساً في الرحبة فتزلزلت الأرض فضربها عليّ عليه السلام بيده ثم قال لها: قري انه إنّما هو قيام ولو كان ذلك لأخبرتني وانّي أنا الّذي تحدّثني (تحدثه خ) الأرض أخبارها ثم قرأ « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدّث أخبارها بأنّ ربك اوحى لها » أما ترون انّها تحدّث عن ربها .

وفي البحار: عن الطرائف بالاسناد عن أسماء بنت عميس تقول : سمعت سيّدتي فاطمة عليها السلام تقول : ليلة دخل بي عليّ عليه السلام افزعني في فراشي قلت : بما ذا افزعك يا سيّدة نساء العالمين ؟ قالت: سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها فأصبحت و أنا فزعة ، فاخبرت والدي صلى الله عليه وآله وسلم فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه و قال : يا فاطمة أبشري بطيب النسل ، فانّ الله فضّل بعلك على سائر خلقه وأمر به الأرض أن تحدّثه بأخبارها ، ومايجري على وجهها من شرقها إلى غربها .

وفي الدر المنثور : أخرج إبن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن أنس

بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل ماعمل على ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا زلزلت الأرض زلزالها» حتى بلغ «يومئذ تحدّث أخبارها» قال: أتدرون ما إخبارها ؟ جائني جبريل قال: خبرها إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عمل على ظهرها - تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا وهذا اخبارها .

وفيه: عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي و يجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا فلا يأخذون منه شيئاً» .

وفى روضة الواعظين : قال الصادق عليه السلام : صلّوا من المساجد في بقاع مختلفة فان كل بقعة يشهد للمصلّي عليها يوم القيامة .

وفى تفسير النيسابورى: وكان علي رضي الله عنه إذا فرغ بيت المال صلّى فيه ركعتين ويقول: اشهدي أنّي ملأتك بحق وفرغتك بحق .

وفى الدر المنثور : عن شدّاد بن أوس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيّها الناس انّ الدنيا عرض حاضر يأكل منه البرّ والفاجر و انّ الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر يحق فيها الحق ، ويبطل الباطل أيّها الناس كونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فان كل ام يتبعها ولدها إعملوا وأنتم من الله على حذر واعلموا أنّكم معروضون على أعمالكم ، وانّكم ملاقوا الله لابدّ منه ، فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره .

وفى المجمع : مرفوعاً إلى ربيعة الحرشي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حافظوا على الوضوء وخير أعمالكم الصلاة ، وتحفظوا من الأرض فانّها امّكم ، وليس فيها أحد يعمل خيراً أو شرّاً إلّا وهي مخبرة به .

وفى جامع الاخبار : في قوله تعالى : «يوم ينفخ في الصّور فتأتون أفواجاً»

النبأ : ١٨) .

عن إبن مسعود قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إنّ في القيامة خمسين موقفاً على كلّ موقف ألف سنة ، فأوّل موقف خرج من قبره مؤمن بربّه موقن بجنّته وناره ، مؤمن بالبعث والحساب والقيامة ، مقرّاً بالله مصدّقاً بنبيّه ، وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ نجى من الجوع والعطش قال الله تعالى : « فتأتون أفواجاً » من القبور إلى الموقف كلّ امّة مع إمامهم .

وفي المجمع : قال أبو سعيد الخدري: إذا كنت بالوادي فارفع صوتك بالأذان فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يسمعه جنّ ولا إنس ولا حجر إلّا يشهد له .

وفي تفسير العياشي: قال الامام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام : « خيره و شره معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتّى يعطي كتابه بما عمل » وقال الصادق عليه السلام : « يذكّر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتّى كأنّه فعل تلك الساعة » .

وفي تفسير القمي : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره » يقول: إن كان من أهل النار قد عمل مثقال ذرّة في الدنيا خيراً (كان عليه ظ) يوم القيامة حسرة إن كان عمله لغير الله « ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » يقول : إن كان من أهل الجنة رآى ذلك الشرّ يوم القيامة ثمّ غفر له .

وفي الجامع لاحكام القرآن : روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: « ما من أحد يوم القيامة إلّا ويلوم نفسه فان كان محسناً فيقول: لم لا ازددت إحساناً وإن كان غير ذلك يقول: لم لا نزعت عن المعاصي » وهذا عند معاينة الثواب والعقاب .

وفيه: روي المطلب بن حنطب : أنّ أعرابيّاً سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقرأها فقال : يا رسول الله أمثقال ذرّة ؟ قال: نعم فقال الأعرابى : واسوأتاه مراراً ثم قام وهو يقولها فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لقد دخل قلب الأعرابي الايمان .

وفي المجمع : عن أبي عبيدة قال: قدم صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على

رسول الله ﷺ في وفد بني تميم فقال: بأبي أنت يا رسول الله ﷺ أوصني خيراً فقال: اوصيك بامّك وأبيك وادانيك قال: زدني يارسول الله قال: احفظ ما بين لحييك و رجليك ثم قال رسول الله ﷺ: ماشيء بلغني عنك فعلته، فقال: يارسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب غير أنّي عملت أنّهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم، فعرفت أنّ الله عزّ وجلّ لم يأمرهم بذلك فلم أترِكهم يئدون و فديت ما قدرت.

وفيه: وفي رواية اخرى: أنه سمع « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » فقال: حسبي ما ابالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا.

و قال عبدالله بن مسعود: أحكم آية في القرآن: « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره » إلى آخر السورة وكان ﷺ يسمّيها الجامعة.

و تصدّق سعد بن أبي وقّاص بتمرتين فقبض السائل يده فقال سعد: ويحك يقبل الله منّا مثقال الذرّة والخردلة وكان فيها مثاقيل.

وفي غرر الفوائد للسيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه و هذا الصعصعة هو الّذي منع الوئيد في الجاهلية حيث قال: « وإذا الموؤدة سئلت » التكوير: ٨).

حيث كانت الجاهلية تقتل البنات، وهو لم يدع تميماً تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام و جاء رسول الله ﷺ في وفد بني تميم، و قد فدى أربعماة جارية وقيل: ثلاث ماة جارية و لهذا يفتخر الفرزدق، ويقول: إنّي إبن محيي الموتى ويقول: إنّ جدّي أحيى إثنتين وتسعين مؤودة:

وفيه: إجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبدالملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا إبن محيى الموتى، فقال له سليمان: أنت إبن محيي الموتى فقال: إن جدّي أحيى المؤودة، وقد قال الله تعالى: « ومن أحياها فكأنّما أحيى النّاس جميعاً » المائدة: ٣٢).

وقدأ حيي جدّي اثنتين وتسعين مؤودة فتبسّم سليمان ، وقال : انك مع شعرك لفقيه .

وفي الكافي: باسناده عن محمدبن عمربن يزيد قال: أخبرت أباالحسن الرضا عليه السلام أنّي اصبت بابنين ، وبقي لي بنيّ صغير فقال: تصدّق عنه ثم قال حين حضر قيامي: مر الصبيّ فليتصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء ، وإن قلّ فان كلّ شيء يراد به الله ، وإن قلّ بعد أن تصدّق النية فيه عظيم ان الله عزّ وجلّ يقول: « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » الحديث . . .

وفي توحيد المفضل : عن جعفر بن محمد عليه السلام في الرّدّ على منكري الصانع : الحمدلله مدبّر الأدوار ومعيد الأكوار طبقاً عن طبق ، وعالماً بعدعالم «ليجزي الّذين أساؤا بماعملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى» عدلاً منه تقدّست أسماؤه وجلّت آلاؤه ولايظلم الناس شيئاً، ولكن أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله عزّ وجلّ : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » .

وفي الكافي: باسناده عن أبي جميلة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تصدّقوا ولوبصاع من تمر ولو ببعض صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة ولو بتمرة ولو بشقّ تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة ليّنة ، فان أحد كم لاق الله فقائل له : ألم افعل بك ؟ ألم أجعلك سميعاً بصيراً ؟ ألم أجعل لك مالاً و ولداً ؟ فيقول: بلى فيقول الله تبارك وتعالى: فانظر ماقدّمت لنفسك قال: فينظر قدّامه وخلفه ، وعن يمينه وعن شماله فلايجد شيئاً يقي به وجهه من النار .

وفي الدر المنثور : عن إبن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إعلموا أنّ الجنّة والنّار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره » .

وفيه: ان إبن عبّاس ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ، و قال : كلّ من هؤلاء مثقال ذرّة .

نعم ما قال الشاعر في ذلك :

ان من يعتدي و يكسب إثماً   وزن مثقال ذرّة سيراه

و يجازي بفعل شرٍّ شراً   و بفعل الجميل أيضاً جزاه

هكذا قوله تبارك ربّي   في إذا زلزلت و جلّ ثناه

و قال الآخر :

إذا قربت ساعة يا لها   و زلزلت الأرض زلزالها

تسير الجبال على سرعة   كمرّ السحاب ترى حالها

تحدّث أخبارها بها   و ربّك لا شك أوحى لها

و يصدر كلّ إلى موقف   يقيم الكهول و أطفالها

ترى النفس ما عملت محضر   و لو ذرّة كان مثقالها

ترى النّاس سكرى بلا قهوة   ولكن ترى العين أهوالها

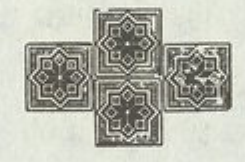
و في روضة الكافي ـ كلام لعليّ عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا يقول فيه عليه السلام ـ : واعلم يابن آدم أنّ وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة يوم لاتقال فيه عثرة ، ولا يؤخذ من أحد فدية ، ولاتقبل من أحد معذرة ، ولا لأحد فيه مستقبل توبة ، ليس إلّا الجزاء بالسيئات ، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من خير وجده ، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من شرّ وجده .

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إيّاكم ومحقّرات الذنوب فانّهنّ على الرجل حتّى يهلكنه .

وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه » .

وفي الدر المنثور : أخرج إبن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال : لما أنزلت هذه الآية : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره . . . » قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّي لراء عملي؟ قال: نعم قلت: تلك الكبار الكبار ؟ قال: نعم قلت: الصغار الصغار ؟ قال: نعم قلت: واثكل امّي ! قال: أبشر يا أباسعيد فان" الحسنة بعشر أمثالها يعني إلى سبعمأة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء والسيّئة بمثلها أو يعفوالله ولن ينجو أحد منكم بعمله ، قلت: ولا أنت يانبي" الله ! قال: ولا أنا ! إلّا أن يتغمّدني الله منه بالرحمة .



﴿بحث مذهبي﴾

يستدل بقوله عزّ وجلّ: «وأخرجت الأرض أثقالها ـ ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزلة: ٢ـ٨) على تجسّم الأعمال يوم القيامة، وعلى المعاد الجسماني.

وفي قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزلة: ٧ـ٨) ردّ على الأشاعرة المجبّرة من أهل السنّة إذ زعموا أن ليس للانسان إختيار لا على فعل ولا على ترك، فلا يقع فعل، ولا يتحقّق عمل من الأعمال ولا ترك إلّا بارادة الله جلّ وعلا، فلا مدخل لاختيار العباد وإرادتهم إذ لا إختيار لهم ولا إرادة.

وانّ الآيتين الكريمتين تدلّان على أنّ هناك أفعالاً إختيارية تصدر من الفاعل المختار حسب إرادته وإختياره. فيكون هو المسئول عنها تحسيناً او تقبيحاً مدحاً أو ذمّاً، ثواباً أو عقاباً، ولا يسئل عنها غيره بتاتاً، و كلّ عامل مسئول عن عمله، وهذا ما تشهد به ضرورة العقل وبداهة الوجدان، وعليه صحّ التكليف و التشريع، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، والأمر والنهي والوعد الوعيد، والمثوبة والعقوبة وما إليها، وإلّا لغى التكليف وبطل التشريع و البعث والزجر، ولم يكن موقع لتحسين أو تقبيح، ولا إستحقاق جزاء ولأصبح تحسين المحسن على إحسانه عبثاً كمدح الجميل على حسن صورته، وهكذا لغى ذمّ المسيء على إسائته كذمّ الدميم على قبح منظره وقدح القصير على قصر قامته أو الأعرج على عرج رجله، و قد دلّ على ذلك غير هاتين الآيتين من الآيات الكثيرة القرآنية.

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزلزلة: ٧ـ٨) على العموم فيهما وحسنات الكافرين محبطة لقوله تعالى: «مثل الّذين كفروا بربّهم أعمالهم كرماد اشتدّت به الرّيح في يوم عاصف» إبراهيم: ١٨) وقوله: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً» النور: ٣٩) وقوله: «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدّنيا والآخرة» البقرة: ٢١٧) وغيرها من الآيات الكريمة..

وسيئات المؤمنين معفوّ عنها، مغفورة باجتناب الكبائر لقوله عزّ وجل: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً» النساء: ٣١) وقوله عزّ وجلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم» الأنفال: ٢٩) وقوله: «والّذى جاء بالصدق وصدّق به اولئك هم المتقون لهم مايشاؤن عند ربّهم ذلك جزاؤا المحسنين ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون» الزمر: ٣٣ـ٣٥) وقوله: «ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيّئاته ويدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» التغابن: ٩) وغيرها من الآيات القرآنية...؟ فكيف تثبت رؤية كل عامل عمله مواقفه عند البعث؟

اجيب عنه : انّ رؤية كلّ عامل عمله في مواقفه يوم البعث لاينافي حبط أعمال الكافرين لكفرهم عند الجزاء، ولا تكفير سيئات المؤمنين لايمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم... فيرى الكافرون أعمالهم الصالحة في مواقفها يوم القيامة حسرة عليهم لقوله عزّ وجلّ: «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم» البقرة: ١٦٧) ويرى المؤمنون صغائر أعمالهم السيّئة عدلاً من الله تعالى ثم يعفو عنهم رحمة منه تعالى لايمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم...

قال الله جلّ وعلا: «ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتقون ويؤتون الزكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ١٥٦)

فالاستدلال بالآيتين على بطلان الحبط بدلالتهما على جزاء كلّ عمل، فما حبط فلايجازي وإثبات الحبط بالحكومة غيروجيه، فإنّ رؤية الأعمال خيرها و شرّها، صغيرها و كبيرها في مواقفها على ما عليه آيتا سورة الزلزلة: (٧ـ٨) قبل محاسبتها لاتنافي حبطها عندالحساب والجزاء عليها من عدم قبولها بغيرايمان و تقوى: «إنّما يتقبّل الله من المتقين» المائدة: ٢٧)

و كذلك لاتنافي انتقال بعض الأعمال من نفس إلى نفس بالغيبة والقتل والظلم وما إليها من موجبات الانتقال، ولاتنافي أيضاً تبديل السيّئات بالحسنات عندالحساب والجزاء يوم القيامة بسبب التوبة في الحياة الدنيا.

فشتّان بين الموقفين: موقف الرؤية ، وموقف الجزاء فتدبّر جيداً واغتنم جداً.

﴿ كلام حول الزلزلة ﴾

قال الله عزّ وجل: «اذا زلزلت الأرض زلزالها» الزلزلة: ١)

واعلم أنّ الزلزلة هي إهتزاز الأرض دفعة أو دفعات متوالية بالقوة الطبيعية على حالة هائلة لما يلحق من الهول بازعاجها العنيف، وربّما تكون حركتها الشديدة بطريق التكرير بحيث قد يزيل الأشياء عن مقارّها، ويخرجها عن مراكزها، وبها خراب الأرض، وإندكاك الجبال.

وقد تحدث قبل الانفجارات البركانية وبعدها وقد تكون مصاحبة وغير مصاحبة لها، فاذا رافقت الانفجار البركاني لم تمتدّ مسافة بعيدة لتبدّد الحرارة الجوفية من الفوهة البركانية، وإذا لم ترافقه زاد إمتدادها لانحصار الحرارة في جوف الأرض، وهي حيث كانت ملمة مهلكة تسبّب في تلف النفوس والأموال...

وأنّ الزلزلة عند المتأخرين من أصحاب علم الأرض: هي من آثار التفاعلات الأرضية الحاصلة في بطن الأرض، وسببها هو سبب تكوّن البراكين - وهي جمع البركان وهي جبال النار تخرج منها الغازات والموادّ التي تشق القشرة الأرضية بقوّتها - وذلك انّ مياه البحر تتسرّب من خلال طبقات الأرض حتّى تصل إلى عمق تكون فيه درجه الحرارة شديدة، فيتبخر هذا الماء فيطلب مخلصاً، ولا يزال يتراكم بعض على بعض حتّى يهدم ما يصادفه

أمامه من الحواجز ، فترتج له القشرة الأرضية إرتجاجاً مخيفاً هو ما يسمّى بالزلزلة ، وأحياناً تنخسف قطعة كبيرة من الأرض، وتغور في باطن الأرض ببيوتها ومدائنها كما حصل في (اليابان) آخر سنة: ١٩٢٣م إذا نخسفت مدن برمتها دفعة واحدة .

وهي تكثر في بعض البلاد وتكاد لا تذكر في البعض الآخر وقد اعتاد الّذين تكثر في بلادهم إتّخاد بيوتهم من الخشب حتّى لا تنهدم بارتجاع الأرض، فيصيبها الحرائق الهائلة حتّى انّ امثال تلك البلاد لو احترق بيت فيها التهم معه الوف اخرى، فيصبح اهلوها في العراء، وتصبح محلتهم قاعاً صفصفاً .

وذلك أنّ جوف الأرض في حالة ذوبان من الحرارة ، وقد شوهد انّه كلما نزل الانسان إلى باطن الأرض ثلاثة وثلاثين متراً إرتفع الترمومتر درجة ، فلو نزل الانسان ثلاثة كيلومترات صارت الحرارة مأة ، وإذا استمرّ هذا القانون منتظماً لم يصل الانسان بفكره إلى مركز الأرض حتّى يجد الحرارة بلغت مأتي ألف درجة.

والدّليل على ذلك وجود عيان مياه حارّة، وقد شوهد أنّه في إبان الزلزال تظهر ينابيع حارّة جديدة، وأحياناً يخرج من باطن الأرض بخارماء حاء محصوباً بلغط على شكلّ نافورة هائلة، كما أنّ الطحفات البركانية تحدث عقب الزلازل، ومتى خرجت إنتهت بانتهائها الزلازل أوكادت ، وإذا لم يطفح البركان حدثت زلازل غاية في الشدّة.

وانّ العلاقة بين هاتين الداهيتين سهلة الاستطلاع إلاّ أنّه لم يبحث فيها بحثاً دقيقاً قبل هذا العصر ، وأكثر النتائج فيها مقصودة على المشاهدة ، والاختبار وبعضها راجع إلى المعارف الجيولوجية ، فتكثر الزلازل في البلاد الّتي كانت البراكين مشتعلة فيها قبل الأزمنة القديمة المعروفة ، وفي البلاد

التـي فيها الآن براكين ثائرة إلاّ أنّهـا في القسم الأوّل أكثر منـه في القسم الثاني ، و مع ذلك فجميع أجزاء الأرض معرضـة لها ، و حيثما وجد بركان فهناك زلزلـة احدثته و لكنّه لا يترتّب على كلّ زلزلة إخراج بركان إلاّ أنّ السّبب فيهما واحـد لأنـه لمّا كان في باطن الأرض كتلة سائلة مضطرمـة كانت القشـرة الأرضيّة كغـلاف صلب لهـذه الكتلة العظيمـة ، فاذا حصـل إضطراب في السائل الـداخلى أثر ذلك في القشرة الخارجية ، فكانت الزلزلة أو البركان .

و أمّا العلاقة بين الزلزلة و الجوّ و إن كان ظاهر أمرهـا عرضيّاً ، فهي مهمّة إذ علم بالاختبار أنّ الهزّات في أكثر البـلاد تترادف و تشتدّ في فصل الشتاء أكثر منـه في الصيف ، و لا سيمّا في البـلاد الشديدة اليبوسـة كآسيا الصغرى و سوريا ، و في البـلاد الّتي يكثر تصاعد الدخان من براكينهـا ، و الّتي تغور ثلوجها و أمطارهـا في شقوق الأرض ، و قد أنكر بعض المتـأخرين هذه العلاقة .

أقـول: كل ذلك ليس إلاّ ظنـاً وخرصاً لايغنى من الحق شيئاً.

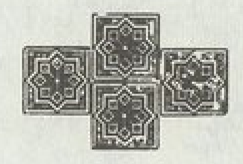
قال الله تعـالى : « ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون» الزخرف : ٢٠) .

وقال: « ومالهم به من علم إن يتبعون إلاّ الظّنّ وإن الظّنّ لا يغنى من الحقّ شيئاً » النجم: ٢٨)

وقد اعترف أصحاب علم الأرض : انّه الحيوان ، وخاصّة الفرس والبقر و الكلب تعرف بوقوع الزلزلة بساعة أو أقل منها، وان الانسان مع وسائله المادية والتقدّم العلمى، ورقى التمدن والتجدّد غافل عن ذلك.

وقد اتفق المتأخرون على أن التقدّم العلمى مع إختراع الآلات الّتي تعلم بهـا درجات الزلزلة تسمّى (ميكروسيسميك) **Meuqimsiesorci** لم

يدرك وقوع الزلزلة و أسبابها، و إن أدرك أكثر آثارها، و لذلك يصفها، فاذا وقعت الزلزلة كثرت أخبارها في الاذاعات و المجلات و المسجّلات من تخريبها البلاد والدور وقتلها الأنفس وجرحها و تلفاتها ... بخلاف المتقدّمين، فانّهم لم يدركوا آثارها كالمتأخّرون، فماكانوا يستطيعون بضبط درجاتها وشعاعها و إذاعة أخبارها...



﴿نظرات القدماء والمتأخرين حول الزلزلة﴾

قال الله عزّ وجل: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» الزلزلة: ١)

وقد اختلفت آراء القدماء والمتأخّرين حول الزلزلة إختلافاً كثيراً، وقد كانت أقوال المتقدّمين مقبولة في أزمانهم، ثم وقعت تلك الأقوال عند المتأخّرين في حيّز الأوهام ... ونحن نشير إلى أهمّ أقوال كلتا الطائفتين عندهم على طريق الاختصار:

أما المتقدمين: ومنهم أرسطاطاليس و فيثاغورس فيقولون: إنّ الزلازل متسبّبة عن الرياح، و في رأي طاليس و سنيكس وغيرهما: أنها ناتجة عن حركات المياه، وكان في زعم المنجّمين الكلدانيين: انّ عواملها في الأجرام السماوية . . .

ومن المتقدّمين فريق زعموا أن الأدخنة و الأبخرة الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ولايقاومها برودة حتّى تصير ماء وتكون مادّتها كثيرة لاتقبل التحليل بأدنى حرارة ويكون وجه الأرض صلباً لا يكون فيها منافذ ومسامّ، فالبخارات إذا قصدت الصعود ولا تجد المسامّ والمنافذ تهتزّ منها بقاع الأرض، وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم عند شدّة الحمى بسبب رطوبات عفنة إحتسبت في خلال أجزاء البدن، فتشتعل فيها الحرارة الغريزية، فتذيبها وتحللها وتصيرها بخارا و دخاناً، فيخرج من مسامّ جلد البدن، فيهتزّ من ذلك البدن و يرتعد، ولا

يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فاذا خرجت يسكن ، وهذا حركات بقاع الأرض بالزلزال، فربّما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة.

ومنهم من قالوا: ان زلزلة الأرض في الأغلب لحبس الأبخرة بالمعنى الأعم ، فيشمل البخار الدخاني ، فاذا كانت الأبخرة غليظة بحيث لا ينفذ في مجاري الأرض أو كانت الأرض مستصحفة عديمة المسامات ، و اجتمعت طلباً للخروج ، فزلزلت الأرض ، و إنّما قلنا : في الأغلب اذ قد تحدث من تساقط عوالي و هدات في باطن الأرض ، فيتموّج به الهواء المحتقن فيتزلزل به الأرض .

وأما المتأخرون: ففريق منهم قالوا : ان الفاعل في الزلزلة إنّما هو نيران البراكين ورفضه الأكثرون، ومنهم من قال: ان المياه التي ترشح إلى باطن الأرض بجتمع داخلها في خلايا وتبقى فيها إلى أن تتبخّر بقوة الحرارة الداخلية ، فلا تجدلها منفذاً فتتمدّد وتسبب الزلزلة، ومنهم من قال: إن المدّ والجزر الناشئين عن القمر يسبّبان ذلك لأنّ فعل المدّ القمرى في السوائل الداخلية كفعله في مياه البحار والبحيرات، فاذا علا المدّ على السيّال الداخلي في جوف الأرض إرتفع إلى القشرة الخارجية، فحالت دون تمدّده فاحدث فيها هذا الارتجاج، ومنهم من قال: إنّ الأسباب العاملة في الزلازل قد تكون متنوّعة أي انّها لاتكون ناشئة عن سبب واحد ، فتأتي عن جملة أسباب فاعلة ، ومنهم من قال: إن الأبخرة إذا اجتمعت تحت الأرض لايقاومها برودة وتكون مادّتها كثيرة لا تقبل التحلّل بأقلّ حرارة ، و إذا كان وجه الأرض صلباً لا منفذ فيه و لا مسام ، فاذا أرادت هذه الأبخرة الارتفاع لم تجد منافذ و لا مسامّ ، فتهتزّ عنها بقاع الأرض ، و تضطرب كما يضطرب المحموم عند شدّة الحمى ، ولا تزال تهتزّ إلى أن تخرج تلك المواد.

ومنهم من قال: إنّ السائل الكهربائي هو العامل فيها، ومنهم من قال: إن الحرارة الداخلية في جوف الأرض ليست إلّا بقية من الحرارة الّتي كانت منتشرة لما كانت كلّها مائعة، فلمّا اخذت الحرارة في الانحطاط اخذت الأرض في التقلّص والتجمّد مبتدئة من القشرة السطحيّة، ولايزال هذا التقلّص فاعلاً فيها، والبرودة بما ولى القشرة آخذة في الازدياد بنسبة إنحطاط الحرارة، فاذا حدث مايهيج هذه الحرارة ، ويمنع مجرى التقلّص الطبيعى حصلت في الأرض إرتجاجات تسبّبت عنها الزلازل.

وقال شارح المقاصد: قد يعرض لجزء من الأرض حركة بسبب مايتحرّك تحتها، فيحرّك مافوقه ، ويسمّى الزلزلة، و ذلك إذا تولّد تحت الأرض بخارأو دخان أوريح أوما يناسب ذلك، وكان وجه الأرض متكاثفاً عديم المسام أو ضيّقها جداً وحاول ذلك الخروج، ولم يتمكّن لكثافة الأرض تحرّك في ذاته، وحرّك الأرض وربّما شقّتها لقوته ، وقد ينفصل منه نارمحرقة وأصوات هائلة لشدّة المحاكّة والمصاكّة ، وقد يسمع منها دوي لشدّة الريح ولا يوجد الزلزلة في الأراضي الرخوة لسهولة خروج الأبخرة ، وقلّما تكون في الصيف لقلّة تكاثف وجه الأرض.

والبلاد الّتي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار كثيرة حتّى كثرت مخالص الأبخرة قلّت الزلزلة، و قد يصير الكسوف سبباً للزلزلة لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة، وحصول البرد الحاقن للرياح في تجاويف الأرض بالتحصيف بغتة، ولاشكّ أن البرد الّذي يعرض بغتة يفعل ما لايفعل العارض بالتدريج، قال: ذلك وأمثاله نقلاً عن الحكماء.

ثمّ قال شارح المقاصد: ولعمري انّ النصوص الواردة في إستناد هذه الآثار إلى القادر المختار قاطعة، وطرق الهدى إلى ذلك واضحة، لكن من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.

وفى البحار: و قال بعض من يدّعى إقتفاء آثار الأئمّة الأبرار وعدم الخروج عن مدلول الآيات والأخبار: ولمّا كانت الأبخرة والأدخنة المحتقنة في تجاويف الأرض بمنزلة عروقها، وإنّما تتحرّك بقوى روحانيّة، ورد في الحديث: انّ الله سبحانه إذا أراد أن يزلزل الأرض أمر الملك أن يحرّك عروقها، فيتحرّك بأهلها، وما أشبه ذلك من العبارات على إختلافها والعلم عندالله.

ثم قال المجلسي عليه الرحمة: قد عرضت مراراً أنّ تأويل النصوص والآثار والآيات والأخبار بلاضرورة عقلية أومعارضات نقليّة جرأة على العزيز الجبّار ولا نقول في جميع ذلك إلّا ماورد عنهم صلوات الله عليهم، ومالم تصل إليه عقولنا نردّ علم ذلك إليهم.

و فيه: قالوا: في علّة حدوث الزلزلة و الرجفة: إذا غلظ البحار و بعض الأدخنة و الرياح في الأرض بحيث لا ينفذ في مجاريها لشدة إستحكامها و تكاثفها، إجتمع طالباً للخروج، و لم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض، وربّما اشتدّت الزلزلة، فخسفت الأرض فتخرج منه نارلشدّة الحركة الموجبة لاشتعال البحار والدخان لا سيّما إذا إمتزجا إمتزاجاً مقرّباً إلى الدهنيّة، و ربّما قويت المادّة على شقّ الأرض فتحدث أصوات هائلة.

وربّما حدثت الزلزلة من تساقط عوالى وهدات في باطن الأرض، فيتموّج بها فيتزلزل بها الأرض وقليلاً ماتتزلزل بسقوط قلل الجبال عليها لبعض الأسباب، وقد يوجد في بعض نواحي الأرض قوّة كبريتيّة ينبعث منها دخان، وفي الهواء رطوبة بخاريّة، فيحصل من إختلاط دخان الكبريت بالأجزاء الرطبة الهوائيّة مزاج دهنيّ، و ربّما إشتعل بأشعة الكواكب و غيرها، فيرى بالليل شعل مضيئة.

وفى الملل و النحل: و أمّا الأبخرة داخل الأرض فتميل إلى جهة، فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمدّ فيخرج عيوناً، و إن لم تدعها السخونة تبرد و

كثرت وغلظت فلم تنفذ في مجاري مستحصفة، فاجتمعت واندفعت مرةً، فزلزلت الأرض فخسفت و قد تحدث الزلزلة من تساقط أعالي و هدة في باطن الأرض، فيموج بها الهواء المحتقن، و إذا احتسبت الأبخرة في باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر إذا وصل إليها من سخونة الشمس و تأثير الكواكب خطٌ و ذلك بحسب إختلاف المواضع والأزمان والموادّ...



﴿ بحث روائي حول الزلزلة ﴾

وقد وردت روايات كثيرة حول الزلزلة نشير إلى ما يسعه المقام ونحن على جناح الاختصار :

في توحيد المفضل: قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : فان قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له: إنّ الزلزلة و ما أشبهها موعظة و ترهيب يرهّب بها النّاس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي . . .

وفي الخصال: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن الصّادق عليه السلام قال : « إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزّنا كثرت (ظهرت خ) الزلازل ، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية ، و إذا جار الحكّام في القضاء أمسك القطر من السماء ، و إذا خفرت الذمّة نصر المشركون على المسلمين » .

فعلى كلّ فرد أن يعتبر بما يراه من الزلازل الّتي تزهق النفوس ، و تبيد القرى ومن العواصف الشديدة والأوبئة وما إليها ، فان الله تعالى يريد بذلك أن يعلم الناس أنّ الحياة والممات بيده ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء كي ينتبه هذا الانسان عن غوايته وطيشه ، فلا يعصي الله تعالى في السّرّ والعلن ، ويترك ما فيه فساد وإفساد في الأرض ، فهو عزّ وجلّ قادر على أن يبيد الأرض ، ومن عليها بطرفة عين وحاش لله سبحانه أن يريد ظلماً بأحد من النّاس .

و انّ الزلازل و ما إليها من العواصف والأوبئة و غيرها تكون للعقاب أي انّ الله تعالى يبيد طائفة من عباده العاصين لافسادهم في الأرض ، وعدم تأثير النصح

فيهم والامهال بعد إتمام الحجج البالغة مع تنوّعها و كثرتها ، ويبيد طائفة وهم غيرعاصين ولكنّهم إمّا كانوا راضين عن أفعال العاصين، وإمّا تركوا الأمر بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، ولاتعمّ جميع العاصين بل تبيد قرية أومدينة عبرة للآخرين ليعلموا : « إن ربّك لبالمرصاد » الفجر: ١٤) .

ولكي تنتهي طائفة عمّاهم فيه من معاص وإفساد في الأرض ، وتنتهي طائفة آخرون عمّاهم فيه من الرضا عن أعمال العاصين ، أو من تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و كثيراً مايهلك في ذلك من الأطفال والكهول غير العاصين لينالوا اجورهم اضعافاً مضاعفة في الآخرة أو ليخفّف عنهم العذاب الأليم ، فليست الزلازل وما إليها نقمات من الله تعالى بغير إستحقاق الهالكين بها ، بل إنّما بسبب أعمالهم الفاسدة وعقيدتهم الكاسدة من طائفة ، وبتركهم ماكان يجب عليهم و كان به نظام مجتمعهم من طائفة آخرين، ولايكون بين ترك الصلاة والصّوم والحجّ، وبين ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق كثير . . .

قال الله تعالى : « ذلك بما قدّمت أيديكم و انّ الله ليس بظلّام للعبيد » آل عمران : ١٨٢) .

وقال: « وما كان ربك أن يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » هود : ١١٧) .

وقال: « وما كنّا مهلكي القرى إلّا وأهلها ظالمون » القصص : ٥٩) .

فعلينا العبرة و إزالة الأدران ، و تطهير النفس و جعلها قمينة لمعرفة الله عزّ وجلّ .

وفى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمّد بن عمارة عن أبيه عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ الزلازل والكسوفين والرياح الهائلة من علامات الساعة ، فاذا رأيتم شيئاً من ذلك، فتذكروا قيام القيامة وافزعوا إلى مساجدكم .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ في خطبة ـ : « عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال و يكثر

فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال ، إعلموا عباد الله أنّ عليكم رصداً من أنفسكم ، وعيوناً من جوارحكم، وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم، وعدد أنفاسكم لاتستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولايكنّكم منهم باب ذو رتاج ، و انّ غداً من اليوم قريب يذهب اليوم بمافيه ، ويجيء الغد لاحقاً به ، فكأنّ كلّ امرىء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته و مخطّ حفرته ، فياله من بيت وحدة و منزل وحشة و مفرد غربة .

و كأنّ الصّيحة قد أتتكم ، والساعة قد غشيتكم ، و برزتم لفصل القضاء ، قد زاحت عنكم الأباطيل و اضمحلّت عنكم العلل ، و استحقّت بكم الحقائق ، وصدرت بكم الامور مصادرها، فاتّعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذور » .

وفي رواية: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : إذا ظهرت في امّتي عشر خصال عاقبهم الله تعالى بعشرة : قيل: وماهي يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا قلّلوا الدعاء نزل البلاء ، وإذا تركوا الصدقات كثرت الأمراض ، وإذا منعوا الزكاة هلكت المواشي ، و إذا جار السلطان منع المطر، وإذا كثر فيهم الزنا كثر فيهم فوت المفاجات ، وإذا كثر الرياء كثر الزلازل ، وإذا حكموا بخلاف ما أنزل الله تعالى سلّط عليهم عدوّهم ، و إذا نقضوا العهد إبتلاهم الله بالقتل ، و إذا طففوا الكيل أخذهم الله بالسنين ثم قرأ : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون » .

وفي رواية: قال الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « إحذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ، وتكثر فيه الزلازل ، وتشيب فيه الأطفال » .

وفي رواية: قال الامام عليّ عليه السلام : « كلّ أحوال الدنيا زلزال وملكها سلب و إنتقال » .

وفي رواية: قال الامام عليّ عليه السلام : « كن في الشدائد صبوراً وفي الزلازل وقوراً » .

وفى رواية: قال الامام علي عليه السلام: «حاربوا أنفسكم على الدنيا واصرفوها عنها فانّها سريعة الزوال كثيرة الزلازل و شيكة الانتقال».

وفى المجالس للصّدوق عليه الرحمة باسناده عن عبدالله بن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السّدّ جاوزه فدخل في الظلمات، فاذا هو بملك قائم على جبل، طوله خمسمأة ذراع، فقال له الملك: ياذاالقرنين! أما كان خلفك ملك؟ فقال له ذو القرنين: من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل، فليس من جبل خلقه الله عزّ وجلّ إلّا وله عرق إلى هذا الجبل، فاذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها.

قوله عليه السلام: «أما كان خلفك ملك» أي لأيّ شيء جئت هيهنا مع سعة الأرض خلفك.

وفى العلل: باسناده عن محمد بن سليمان الديلمي قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الزلزلة ماهي؟ آية قلت: وماسببها؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى وكّل بعروق الأرض ملكاً، فاذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى ذلك الملك انْ حرّك عروق كذاو كذا قال: فيحرّك ذلك الملك عروق تلك الأرض الّتي أمره الله فتتحرّك بأهلها قال: قلت: فاذا كان ذلك فما أصنع؟ قال: صلّ صلاة الكسوف، فاذا فرغت خررت ساجداً، وتقول في سجودك: «ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً» فاطر: ٤١) أمسك عنّا السوء انك على كلّ شيء قدير.

وفى التهذيب: عن عليّ بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام - و هو الامام التاسع محمد الجواد عليه السلام - وشكوت إليه كثيرة الزلازل في الأهواز و قلت: ترى لي التحوّل عنها؟ فكتب عليه السلام لا تتحوّلوا عنها و صوموا الأربعاء والخميس والجمعة واغتسلوا وطهّروا ثيابكم، وابرزوا يوم الجمعة وادعوا الله فانّه يدفع عنكم قال: ففعلنا فسكنت الزلازل.

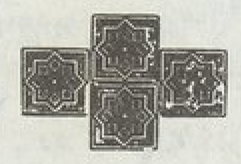
وفي البحار: عن إبن عبّاس قال: خلق الله جبلاً يقال له: (ق) محيط بالعالم وعروقه إلى الصّخرة الّتي عليها الأرض، فاذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرّك العرق الّذي يلي تلك القرية، فيزلزلها ويحرّكها، فمن ثمّ تحرّك القرية دون القرية.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -في حديث-: «ويكون في امّتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف، عشرون ألفاً، ثلاثون ألفاً، يجعلها الله موعظة للمتّقين وعذاباً على الكافرين».

وفي رواية اخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث-: «ثمّ رجفة بالشام يهلك فيها مأة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين».

و في رواية أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام بلفظ: «أكثر من مأة ألف».

وقال بعض المعاصرين: أرضنا هذه راجفة: محكومة بحركات عدّة أنهاها العلماء حتّى الآن إلى أربع عشرة حركة، رجفة تعيّشها من عليها، عامرة معمّرة، ثمّ تأخذها رجفة تدمّرها وتميت من عليها: رجفة الاماتة، ثم رجفة الاحياء: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة» النازعات: ٦-٧).



﴿ تعداد الزلزلة و اختلافها ﴾

فى ممالك الدنيا طول السنة

ومن المعلوم أنّ الزلزلة فيممالك الدنيا مختلفة فيوقوعها ودرجاتها ففي بعضها كثيرة جدّاً فنشيرإلىبعض ماورد فى المقام قديماً وحديثاً:

وقال المتقدّمون والمتأخّرون: إنّ وقوع الزلازل يكثر في البلاد الّتي كانت البراكين مشتعلة فيها في الأزمنة السالفة، فهذه البلاد بحسب زيادة تعرضها لها هي أوّلاً جبال هملايا في الهند، ثم سوريا وجزائر العرب والسواحل الغربية لآميركا الشماليّة، و وادي ميسيسبي وسكوتلاندة و انجلتر الجديدة، و وادي سنت لورنس، وقال المتأخرون: تقع الزلزلة في (اليابان) في كل سنة (٧٥٠٠) مرّة، ومنها (١٥٠٠) مرّة قويّة محسوسة تصل شاعها إلى (٢٠٠) كيلومتراً وأكثر ولا يوم إلّا وتقع فيه الزلزلة بمرّات...

وان البلاد الّتي يبعد وقوع الزلازل فيها بحسب وضعها الجغرافي هي مصر وشرقي وجنوبي إفريقية، وشمالي اوربا وآسيا واستراليا، و كثيرمن شمالى آميركا، والقسم الشرقي من جنوبي آميركا وغرينلاندة.

وهم يقولون: إنّ جميع أجزاء الأرض معرضة لها إلّا أنّها في الجزائر أكثر وقوعاً من البرّ المقابل لها، وعلى شواطيء البر اكثرمنه فيما والاهامن البلاد الداخلية، وفي البلاد الحارّة أكثر منها في البلاد الباردة والمعتدلة، و

قلّما تقع في الأراضي الجرفية ولا يحصل في الغالب إلّا إهتزاز ضعيف في الأراضي الكلسية ذوات الطبقات الافقية بخلاف الأراضي الأصلية والانتقالية والثانوية فان التزلزل يشتدّ فيها.

وقد كانت مدينة انطاكية منذ أقدم القدم مجالاً للزلازل والاهتزازات منها زلزلة هدمت أكثرها سنة: /١١٥ ق م) لما أتاها القيصر ترايانوس و كان في جملة الجرحى، وقد حدثت فيها سنة: /٥٢٦ م) فكانت أشدّ وبالاً من سائر ما سلف إذ أتلفت /٢٥٠) ألف نفس، وسنة: /٥٨٧ م) فأتلفت فيها ثلاثين ألفاً، و سنة: /١٨٧٢ م) فدمّرت البيوت وقتلت النفوس ... وقد وقعت الزلزلة في شيلي في (٢٥) ژانوية: /١٩٣٩م) فأهلكت /٢٥٠٠٠ نفراً، و كانت الجرحى في هذه الواقعة: /٥٠٠٠٠ نفراً وقد انهدم نحو: /١٠٠،٠٠٠ داراً.

ومن البلاد الّتي كثرت فيها الزلازل في كل زمن جنوبي ايطاليا (وصقلية) و قد تعاقبت فيها الزلازل سنوات متواليات من سنة: /١٧٧٣ - إلى - ١٧٧٩ م)، وقد تلف بزلزلة كلابرة سنة: ١٧٨٣ م) زهاء مأة ألف نفس وشعربها في قسم عظيم من اوربا وهدمت مدينة مسينا، وفي البرتوغال سنة: /١٧٥٥ م) حدثت زلزلة في عاصمتها اشبونة كانت من أشهر الزلازل المشهورة في التاريخ دمّرت أكبر قسم منها، وقتلت ستين ألفاً، وكانت الزلزلة بالغة في الشدّة تقدمها دويّ مهول ثم أشعربها، وجزر البحر مسافة طويلة، ثم رجع دفعة واحدة، وعلت المياه ستمأة قدم فوق قسم من البلدة، وامتد الارتجاج مسافات شاسعة فشعر به في جبال الالب وسواحل اسوج، وغارت ينابيع تبلتس الحارّة في بوهيميا، ثمّ انفجرت دفعة واحدة بموادّ جديدة وهدمت عدّة مدن في شمالي افريقية واتصلت تموّجات الاهتزاز إلى سكولاندة، فارتفعت مياه لوخ لومول أكثر من قدمين، ثم هبطت تحت سطحها الأصلي، وبلغت سرعة التموّجات ألفي قدم في الثانية.

وفي الهند سنة: /١٨١٩ م) غرقت بزلزلة مساحة ألفي ميل مربّع من

الأرض في جوار مصب نهر السند، وفي الهند الغربية تتتابع الزلازل، وفي (٦) حزيران جون سنة: (١٦٩٢ م) تزلزلت الأرض من جمايكا فاغرقت العاصمة برت رويال وعلتها مياه البحر بأقل من ثلاث دقائق، وكانت تنفتح الأرض وتنطبق بسرعة البرق حتّى ان الساقطين في هذه الشقوق كان يظل نصفهم فوق الأرض ونصفهم تحتها.

وليس آثار الزلزلة مقصورة في هدم البلدان وخراب الدور، وقتل النفوس و جرحها و تلف الأموال ... بل هي ذات تأثير عظيم في كل سطح الأرض إذ تحدث فيها إنقلابات شتّى ... فمن هذه الانقلابات ما يكون سريعاً، و منها ما يكون بطيئاً، فالسريع كغور جزيرة في البحر وتكوّن جبل في واحد أو واد في سهل وماشاكل.

ذكر بلينيوس: ان جزيرة صقلية إنفصلت عن ايطاليا بزلزلة، قيل: إنفصلت جزيرة قبرس عن سوريا.

وأما الانقلابات البطيئة فتحدث إمّا إرتفاعاً، وإمّا إنخفاضاً متوالياً إلى حدّ معلوم في بعض أقطار الأرض، و من أمثلة الارتفاع البطيء شبه جزيرة سكنديناڤيا وهي اسوج ونروج والدانمارك الآخذة في الارتفاع في سواحلها الشرقية خمسة أقدام في القرن والمظنون ان نصف جزائر المحيط آخذة في الارتفاع، وكذا جميع السواحل الغربية من جنوبي آميركا، ومن أمثال الانخفاض البطيء غرينلاندة في آميركا حيث غمرت المياه برّاً على مسافة مائتي فرسخ، و بعض من جزر المحيط وبلاد هولاندة والبلجيك والدانمارك، وسواحل بحر البالطيك الجنوبية، وليس بعجيب أن تحدث الزلازل مثل هذه الانقلابات و القشرة الأرضية بالغة في الرقّة بالنسبة إلى السائل الداخلي.

وقال أرسطا طاليس ـ ووافقه علماء المتأخرين ـ لمّا شاهد من كثرة الزلازل في جزر بحر الروم: إن تموّجات الزلازل على ثلاثة أنواع:

احدها ـ أن تكون افقيّة.

ثانيهـا ـ أن تكون عمودية بأن ترتفع الأرض و تنخفض على التعاقب.

ثالثهـا ـ أن تكون رحوية تدور.

ويغلب وقوع الارتجاج الافقي والعمودي في آن واحد، وإذا وقعت الثلاثة معاً زاد بها في التلف والانقلاب، وقد تكون وقتية ودورية ودائمة أيضاً، وتكون خفيفة و شديدة ، وتتجه أحياناً إلى جهة معلومة، وقد تصدر من نقطة مركزية ، فتأخذ في التباعد إلى كل الجهات، وقد تتجه نحو نقطتين متقابلتين، فتكون كلّها على خط واحد أمّا الظواهر والأعراض المرافقة للزلازل فهي كثيرة ، ولكنّا لا تنطبق دائماً على قانون معلوم.

فقد يتقدم الزلزلة إضطراب في الهواء ورياح عاصفة، وقد ينشأ عنها لغط ودوي عظيم يتقدمها أو يصحبها أو يعقبها، وقد يحصل هذا الدوي و يدوم مدة طويلة، ولا ينشأ عنه أقل إهتزاز أو إهتزاز يسير في الأرض ، وقد يرافق الزلازل ضباب وإضطراب في الجو، ولابد أن تشعر الحيوانات قبل الانسان، وقد شوهد ذلك بالاختبار في محال مختلفة، فقبل وقوع زلزلة البرتوغال إضطربت كل الحيوانات عموماً والأوز والبط وسائر الحيوانات الأهلية.

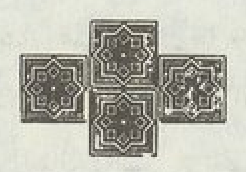
قال دولوميو: وكان نباح الكلاب شديداً أثناء زلزلة كلابرة حتّى أمر بقتلها واضطربت الخيل والبقر ، وذكر همبلدت أنّها كانت تبعد كلاً من قوائمها عن الاخرى في زلازل أميركا الجنوبية كأنّها تريد بذلك إتقاء الخطر من الوقوع في حفرة تنفتح تحت أرجلها، ومنه علم أن في بسط الذراعين نفعاً أثناء الزلازل.

أقول: وقد كنت شاهداً على إضطراب الفرس والبقر إضطراباً عجيباً قبل وقوع الزلزلة بدقائق، حوالي ثلاثين سنة من قبل في محلّتي: (كلاكر محلة الجويبار) بمازندران.

وقد تحدث الزلازل في البحار وأكثرها يكون في المحيط فتتكون أمواج عظيمة، ويضطرب البحر إلّا أنّه لا يشعر في المحال العميقة منه بشدة فعلها، وبسرعة

سير الأمواج و كلّما تقدّمت إلى البرّ زاد تأثيرها باضطراب البحر ، فيخال الراكبون بالسفن انّها تلامس الصخور ولاشيء من ذلك، وقد تقطع هذه الأمواج كلّه بسرعة عجيبة، فاذا اتصلت إلى الشاطيء اجتذبت مياهه وذهبت بها،وانكشفت من تحتها يابسة ذات صخور وحيوانات متنوّعة ثمّ اندفعت على الساحل،فدحرجت عليه جبالاً من الأمواج، ولكن الزلازل البحريّة لاينشأ عنها من المضارّ ما ينشأ عن زلازل البرّ، وقد تكون زلازل البحر خفيفة لايكاد يشعر بها.

واعلم أنّ أثرات الزلازل وشعاعها في أطراف مراكزها مختلفة، فمنها كثيرة جدّاً حتّى تنتهي إلى آلاف كيلومتراً مربعاً كزلزلة آسام في (۱۲) ژوئن:(۱۸۹۷ م) فقد انتهت شعاعها إلى (۴,۵۰۰,۰۰۰,) كيلومتراً مربّعاً و زلزلة كانسو في (۱۶)دسامبر: (۱۹۲۰ م) فقد انتهت شعاعها إلى(۴,۰۰۰,۰۰۰,) كيلومتراً مربّعاً وزلزلة ليسبن في أوّل نوامبر: (۱۷۵۵ م,) فقد انتهى شعاعها إلى (۲,۶۰۰,۰۰۰) كيلومتراً مربعاً. وقد تكون شعاعها في أطرافها كيلومترات قليلة، وربّما لاينتهي إلى كيلومتراً.



اختلاف آثار الزلازل في الاشياء

الواقعة ليلا و نهاراً في شهور السنة

في الأنوار النعمانية نقلاً عن كتاب القصص عن الصّدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام قال: إنّ في كتاب دانيال عليه السلام - حديث طويل - و أمّا أحوال الزّلازل فان كان في نيسان نهاراً دلّت على حسن حال الفواكه والعنب، وإن كان ليلاً ينتقل النّاس من أماكنهم، وإن كان في أيار نهاراً دلّت على كثرة الرخص والخصب التام والمطر في أكثر البلاد، و إن كان ليلاً فموت يقع في الناس والبقر والغنم وحرب يقع في خراسان، وإن كان في حزيران نهاراً دلّت على الغلاء في تلك السّنة وقلّة المرعى، وإن كان ليلاً يخرب مدينة بابل ويقع الموت في النساء، ويمرض خاصّة الملك، ويموت ملك نينوى.

وإن كان في تموز نهاراً يدلّ على موت رجل جليل القدر، وإن كان ليلاً دلّت على أنّ في خراسان مرضاً و شرّاً عظيماً في أيّام الحصاد، وإن كان في آب نهاراً دلّت عن حسن الطعام و كثرة القتال والسبي و تظهر اللصوص، وإن كان ليلاً دلّت على ظهور اللصوص وقطع الطرق وفوران الحروب، وإن كان في ايلول نهاراً دلّت على كثرة التناسل، وحسن حال الغلّات والثمار وموت رجل جليل القدر وإن كان ليلاً يقع الحرب، وإن كان في تشرين الأوّل نهاراً دلّت على ظهور ملك يستولي على الدنيا، ويفتقر الأغنياء ويستغني الفقراء ويكون موت في خراسان.

وإن كان ليلاً تدلّ على إسقاط أهل الجبال، وإن كان في تشرين الثاني نهاراً دلّت على كثرة الأمراض، وإن كان في كانون الأوّل نهاراً دلّت على موت الحيوانات، وإن كان في كانون الثاني نهاراً دلّت على موت الأطفال ، و كثرت الخيرات وتكون أمراض كثيرة، وإن كان ليلاً يدلّ على إضطراب الناس، وإن كان في شباط نهاراً يدلّ على إتّصال الأمطار ومرض الأطفال وإجتماع الجيوش، وتعصّي الأولاد على آبائهم ولايقبلون منهم و يقع الجوع والوباء .

وإن كان ليلاً يدلّ على عموم الغمّ لسائر البلدان ، ويتكلّم الجنين في بطن امّه ، ويكثر الشرّ والأمراض ويموت رجل عظيم ، وإن كان في اذار نهاراً يدلّ على كثرة اللصوص ويقتل الملك وتموت الناس ، ثمّ يكون في آخر السّنة فرح و يكثر الطعام و يقع الجوع في بلاد الروم ويكثر الموت في هذه السنة ، و إن كان ليلاً يكون القتال بمصر و تكثر المياه ، و يظهر الموت في النّاس ، ويصلح حال الأشجار والثمار .

تمت سورة الزلزال والحمدلله رب العالمين
وصلى الله على محمد و آله الطاهرين

سُورَةُ العَادِيَاتِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

نزلت بعد سورة العصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ١١

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة «العاديات» وأدمن قرائتها بعثه الله عزّ وجلّ مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة خاصّة وكان في حجره و رفقائه .

أقول: رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار ، والشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة .

و ذلك من قرأها متدبّراً فيها، متّعظاً بما فيها من الترهيب والوعيد فآمن بالله جلّ وعلا حقّاً، وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابه ، وباليوم الآخر و أطاع الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم واتقى، وتولّى بأوليائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فبعثه الله عزّ وجلّ مع مولاه إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام وكان في حجره و رفقائه من دون ريب .

قال الله تعالى: « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصدّيقين والشهداء والصّالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩) .

وقال : « يوم ندعوا كلّ اناس بامامهم » الاسراء : ٧١) .

وفى المجمع : ابيّ بن كعب عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأها اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة و شهد جمعاً .

وفى البرهان : روى عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أنه قال: من قرأ هذه السورة اعطى من الأجر كمن قرأ القرآن ومن أدمن قرائتها ، وعليه دين أعانه الله على قضائه سريعاً

كائنا ما كان .

وفيه: و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى بها العشاء الآخرة عدل ثوابها نصف القرآن ، ومن أدمن قرائتها وعليه دين أعانه الله تعالى على قضائه سريعاً .

وفيه: و قال الصّادق عليه السلام : من قرأها للخائف أمن من الخوف ، وقرائتها للجايع يسكّن جوعه والعطشان يسكّن عطشه ، فاذا قرأها وأدمن قرائتها المديون أدّى الله عنه دينه باذن الله تعالى .

أقول: ولايخفى على من له الدّراية من الضّعف سنداً في الرّوايات الأربع الأخيرة ، ونحن لانرى بعداً ما فيها من الخواصّ والفضيلة ، وأما سليمان بن خالد النخعي فكان ثقة قارئاً فقيهاً وجهاً روى عن الامامين: الباقر والصّادق صلوات الله عليهما .



«الغرض»

غرض السّورة تنويه بشأن ما يدافع عن حوزة الحق و أهله ، وتعلية قدره في فكرة المسلمين ليحملهم على عنايتهم بذلك ليكون كل واحد منهم مستعداً في أيّ وقت للدفاع ، ثم تنبيه موجّه إلى واقع بعض الناس أو أكثرهم و كنودهم تجاه ذلك لحبّهم الشديد بالمال وما إليه تنديداً و زجراً عليه .

تنديد بهم و إستغراقهم في حب المال و زجرهم عن هذه الأخلاق الفاسدة ، و حملهم على الارعـواء ، و حثّهم على أن يكونوا بصدد الأخلاق الشّخصية والاجتماعيّة حيث انّها ترتفع بالانسان إلى أن لايكون المال هو كلّ شيء لديه فينسيه واجباته نحو ربّه بالاعتراف بربوبيّته والخضوع له و شكره على نحوه ونحو الناس بالبرّ والرّحمة ، و تذكيره بنعمة ربّه عليه و إحاطته جلّ و علا بأعماله و محاسبته عليها في الدّار الآخرة .

و اسلوب السورة عرض عام للدّعوة .

«النزول»

سورة «العاديات» مكيّة نزلت بعد سورة «العصر» وقبل سورة «الكوثر» على التحقيق، ويؤيّد ذلك اسلوبها وتبكير نزولها، وماورد في نزولها لاينافي مكيّتها بناء على تقديم النزول، وتأخير الانطباق في واقعة إخباراً أو تمهيداً، وهي السورة الرابعة عشر نزولاً، والمأة مصحفاً على التحقيق، وتشتمل على إحدى عشرة آية، سبقت عليها: ٢٨٠/ آية نزولاً، و ٦١٤٦/ آية مصحفاً على التحقيق أيضاً.

و هي مشتملة على ٤٠/ كلمة، و على ١٦٣/ حرفاً، وقيل: على ١٦٠/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

فى أسباب النزول: للواحدي النيسابوري عن مقاتل قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حيّ من كنانة، و استعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري، فتأخّر خبرهم فقال المنافقون: قتلوا جميعاً فأخبر الله تعالى عنها فأنزل «والعاديات ضبحاً» يعنى تلك الخيل.

وفيه: عن إبن عبّاس: أنّ رسول الله ﷺ بعث خيلاً فاسهبت شهراً لم يأته منها خبر فنزلت: «والعاديات ضبحاً»: ضبحت بمناخرها إلى آخر السّورة، و معنى أسهبت: أمعنت في السهوب و هي الأرض الواسعة جمع سهب.

وفى أسباب النزول: للسيوطي عن إبن عبّاس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً و لبث شهراً لايأتيه منها خبر فنزلت: «والعاديات ضبحاً».

وفى الجامع لأحكام القرآن: و روى أنّ رسول الله ﷺ بعث سريّة

إلى اناس من بني كنانة فأبطأ عليه خبرها و كان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري ، وكان أحد النقباء فقال المنافقون : إنهم قتلوا فنزلت هذه السورة إخباراً للنبي ﷺ بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم الّذين بعث إليهم .

وفي المجمع: و قيل : نزلت السورة لمّا بعث النبي ﷺ علياً إلى ذات السلاسل فأوقع بهم و ذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصّحابة ، فرجع كلّ منهم إلى رسول الله ﷺ وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل...

وفي تفسير القمي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : «والعاديات ضبحاً» قال: هذه السورة نزلت في أهل وادي اليابس، قال: قلت: وما كان حالهم وقصتهم ؟ قال: إن أهل وادي اليابس إجتمعوا إثني عشر ألف فارس وتعاقدوا وتعاهدوا وتوافقوا على أن لا يتخلّف رجل عن رجل ولا يخذل أحد أحداً ، ولا يفرّ رجل عن صاحبه حتّى يموتوا كلهم على حلف واحد ويقتلوا محمداً ﷺ وعلياً عليه السلام فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بقصتهم ، وما تعاقدوا عليه وتوافقوا و أمره أن يبعث أبابكر إليهم في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه .

ثمّ قال: يامعشر المهاجرين والأنصار إن جبرئيل قد أخبرني أنّ أهل الوادي اليابس إثناعشر ألف فارس قد استعدّوا وتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يغدر رجل منهم بصاحبه ولا يفرّ عنه ولا يخذله حتّى يقتلوني وأخي علياً إبن أبيطالب عليه السلام وأمرني أن أسير إليهم أبابكر في أربعة آلاف فارس ، فخذوا في أمركم واستعدّوا لعدوّكم وانهضوا إليهم على إسم الله وبركته يوم الاثنين إن شاء الله .

فأخذ المسلمون في عدّتهم وتهيّئوا وأمر رسول الله ﷺ أبابكر بأمره وكان فيما أمره به انه إذا رآيهم أن يعرض عليهم الإسلام ، فان بايعوك والا واقفهم فاقتل مقاتليهم، واسب ذراريهم واستبح أموالهم وخرب ضياعهم و ديارهم ، فمضى أبوبكر ومعه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدّة وأحسن تهيئة يسير بهم سيراً رفيقاً حتّى

إنتهوا إلى أهل وادي اليابس .

فلمّا نظر القوم نزول القوم عليهم ، و نزل أبو بكر و أصحابه قريباً منهم خرج إليهم من أهل الوادي اليابس مأتا رجل مدججين في السلاح ، فلمّا صادفوهم قالوا لهم : من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون ليخرج إلينا صاحبكم ، حتّى نكلّمه؟ فخرج إليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين ، فقال لهم : أنا أبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا : ما اقدمك علينا ؟ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أعرض عليكم الاسلام ، و أن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون و لكم مالهم وعليكم ما عليهم ، و إلّا فالحرب بيننا و بينكم ، قالوا : واللات والعزّى لولا رحم ماسّة وقرابة قريبة لقتلناك ، وجميع من معك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعد كم ، فارجع أنت ومن معك واربحوا العافية ، فانا إنّما نريد صاحبكم بعينه و أخاه علياً إبن أبيطالب عليه السلام فقال أبو بكر لأصحابه : يا قوم القوم أكثر منكم اضعافاً و أعدّ منكم ، وقدنأت دار كم عن إخوانكم من المسلمين فارجعوا فاعلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحال القوم .

فقالوا له جميعاً: خالفت يا أبابكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أمرك به فاتّق الله و واقع القوم ، ولاتخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّي أعلم مالاتعلمون ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فانصرف و انصرف النّاس أجمعون ، فأخبر النّبيّ صلى الله عليه وآله بمقالة القوم وما ردّ عليهم أبو بكر فقال صلى الله عليه وآله : يا أبابكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به و كنت لي والله عاصياً فيما أمرتك ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه .

وقال: يامعاشر المسلمين! إنّي أمرت أبابكر أن يسير إلى أهل وادي اليابس، وأن يعرض عليهم الإسلام ، ويدعوهم إلى الله فان أجابوه ، وإلّا واقعهم ، وانّه سار عليهم وخرج منهم إليه مأتا رجل فلمّا سمع كلامهم ، وما استقبلوه به انتفخ صدره و دخله الرعب منهم ، و ترك قولي و لم يطع أمري ، و انّ جبرئيل عليه السلام جاء من

عندالله ان ابعث إليهم عمر مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس فسر ياعمر على إسم‌الله ولاتعمل ماعمل أبو بكر أخوك .

فانّه قد عصى‌الله وعصاني وأمره بما أمر به أبابكر فخرج عمر والمهاجرون والأنصار الّذين كانوا مع أبي بكر يقصدونهم في سيرهم حتّى شارف القوم، وكان قريباً منهم حيث يراهم ويرونه ، فخرج إليهم مأتا رجل ، فقالوا له ولأصحابه : مثل مقالتهم لأبي بكر فانصرف وانصرف النّاس معه ، وكاد أن يطير قلبه مما رآى من عدّة القوم وجمعهم و رجع يهرب منهم ، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنع عمر و انّه قد انصرف وانصرف المسلمون معه .

فصعد النّبيّ صلى الله عليه وآله المنبر فحمدالله وأثنى عليه ، وأخبرهم بما صنع عمر وماكان منه وانّه قد انصرف والمسلمون معه مخالفاً لأمري عاصياً لقولي ، فقدم عليه وأخبرهم بمثل‌ما أخبره به‌صاحبه ، فقال: ياعمر عصيت‌الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي وعملت برأيك إلّا (ألاخ) قبح‌الله رأيك، وانّ جبرئيل عليه السلام قدأمرني أن ابعث عليّ بن أبيطالب عليه السلام في هؤلاء المسلمين وأخبرني أنّ الله يفتح عليه و على أصحابه ، فدعا عليّاً عليه السلام و أوصاه بما أوصى به أبابكر و عمر و أصحابه أربعة آلاف ، وأخبره أنّ الله سيفتح عليه‌وعلى‌أصحابه فخرج على عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار فسار بهم سيراً غيرسير أبي بكر وعمر .

و ذلك انه أعنف بهم في‌السير حيث خافوا (حتّى‌خافواخ) أن ينقطعوا من التعب وتحفى دوابّهم ، فقال لهم : لاتخالفوا فانّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر وأخبرني ان‌الله سيفتح عليّ و عليكم ، فأبشروا فانّكم على‌خير وإلى‌خير فطابت نفوسهم‌وقلوبهم وساروا على‌ذلك السير والتعب (المتعبخ) حتّى إذاكان (كانواخ) قريباً منهم حيث يرونه ويراهم أمر أصحابه أن ينزلوا .

وسمع أهل‌الوادي‌اليابس بمقدم على‌بن‌أبيطالب عليه السلام وأصحابه فخرج إليهم منهم مأتا رجل شاكين في السلاح ، فلمّا رآهم عليّ عليه السلام خرج إليهم في نفر من

أصحابه ، فقالوا لهم : من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟

قال: أنا علي بن أبيطالب عليه السلام إبن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه رسوله إليكم أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (وأن محمداً عبده ورسوله خ) ولكم ما للمسلمين ، وعليكم ما على المسلمين (ما عليهم خ) من خير وشر فقالوا له : إياك أردنا وأنت طلبتنا قد سمعنا مقالتك ، وما عرضت علينا، فخذ حذرك واستعد للحرب العوان، وأعلم أنا قاتلوك وقاتلوا أصحابك ، فجاء الموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة ، و قد أعذرنا فيما بيننا و بينك ، فقال علي عليه السلام : ويلكم تهددوني بكثرتكم وجمعكم ، فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فانصرفوا إلى مراكزهم و انصرف علي عليه السلام إلى مركزه فلما جن الليل أمر أصحابه أن يحسوا إلى دوابهم ويقضموا ويحسوا ويسرجوا فلما انشق عمود الصبح صلى الناس بغلس ثم أغار عليهم بأصحابه ، فلم يعلموا حتى وطئهم الخيل ، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالاسارى والأموال معه ، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما فتح الله على علي عليه السلام وجماعة المسلمين ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين وأعلمهم أنه لم يقتل منهم إلا رجلان ، فنزل وخرج يستقبل علي عليه السلام في جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة ، فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ، ونزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى إلتزمه و قبل ما بين عينيه ، فنزل جماعة من المسلمين إلى علي عليه السلام حيث نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل بالغنيمة والاسارى ، و ما رزقهم الله به من أهل وادي اليابس .

ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام : ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن يكون من خيبر فانها مثل خيبر فأنزل الله في ذلك : « والعاديات » يعني بالعاديات : الخيل

تعدو بالرّجال ، والضبح صيحتها في أعنتها ولجمها « فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً » فقد أخبرك انّها أغارت عليهم صبحاً، قوله: « فأثرن به نقعاً » قال: يعني الخيل فأثرن بالوادي نقعاً « فوسطن به جمعاً » قلت : قوله : « إنّ الانسان لربه لكنود » قال : الكفور . . . الحديث .

و في نور الثقلين : بالاسناد عن الحلبي قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « والعاديات ضبحاً » قال: وجّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً يجبّن أصحابه ، ويجبّنونه أصحابه ، فلمّا إنتهى إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أنت صاحب القوم فهيّأ أنت ، ومن تريد من فرسان المهاجرين والأنصار فوجّهه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له : اكمن النّهار وسر الليل ولاتفارقك العين قال : فانتهى علي عليه السلام إلى ما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله فسار إليهم ، فلمّا كان عند وجه الصبح أغار عليهم ، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله : « والعاديات ضبحاً » إلى آخرها .

وفي فضائل أمير المؤمنين وامامته من دلائل الصدق : قال المصنف قدّس روحه : (السابعة والثلاثون) أقسم الله تعالى بخيل جهاده في غزوة السلسلة لماجاء جماعة من العرب ، واجتمعوا على وادي الرملة ليبيتوا النّبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله لأصحابه : من لهؤلاء ؟ فقام جماعة من أهل الصفة فقالوا : نحن فولّ علينا من شئت فأقرع بينهم ، فخرجت الرقعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم ، فأمر أبابكر بأخذ اللواء والمضي إلى بني سليم وهم ببطن الوادي ، فهزموهم وقتلوا جمعاً من المسلمين وانهزم أبو بكر ، وعقد لعمر وبعثه فهزموه فساء النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال عمرو بن العاص ابعثني يارسول الله فأنفذ فهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وبقي النّبيّ صلى الله عليه وآله أيّاماً يدعو عليهم .

ثمّ طلب أمير المؤمنين عليه السلام وبعث إليهم ودعا له وشيّعه إلى مسجد الأحزاب وأنفذ معه جماعة منهم أبو بكر وعمر وعمرو بن العاص ، فسار الليل و كمن النهار

حتّى استقبل الوادي من فمه ، فلم يشك عمرو بن العاص انّه يأخذهم ، فقال لأبى بكر : هذه أرض سباع و ذئاب وهي أشدّ علينا من بني سليم والمصلحة أن نعلو الوادي ، و أراد إفساد الحال وقال : قل ذلك لأمير المؤمنين ، فقال له أبو بكر فلم يلتفت إليه ثمّ قال لعمر فلم يجبه أمير المؤمنين عليه السلام و كبس على القوم الفجر فأخذهم ، فأنزل الله تعالى: «والعاديات ضبحاً» السورة واستقبله النّبيّ صلى الله عليه وآله فنزل أمير المؤمنين وقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله : لولا أن أشفق أن يقول فيك طوائف من امّتي: ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالاً لاتمرّ بملأ منهم إلّا اخذوا التراب من تحت قدميك ، اركب فانّ الله و رسوله عنك راضيان .

و قال الفضل :

قصّة غزوة ذات السّلاسل منقولة في الصحاح وانّها تصداها عمرو بن العاص بتأمير رسول الله إيّاه وكان الفتح بيده ، وأمّا ما ذكره فليس بمنقول في الصّحاح بل اشتمل على المناكير فانّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كيف يجوز أن يدّعي الوهيّة عليّ والمفهوم من هذا الخبر أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يريد أن يقول بالوهيّة عليّ ولكنّه خاف أن يعبده الناس ، وهذا كلام غلاة الرافضة ، ولاينبغي نقل هذا لمسلم فضلاً عن فاضل .

أقول :

لم يذكر البخاري ولاغيره ممن اطّلعت على ذكره لهذه الغزوة كالطبري وإبن الأثير انّ الفتح على يد عمرو فلا يبعد انّه من وضع الفضل ، وأمّا نفيه لوجود ما حكاه المصنّف (ره) في صحاحهم فلا يدلّ على عدم صحّته إذ ليس كلّ ما لم يكن فيها غير صحيح عندهم ، وأمّا قوله: « والمفهوم من هذا الخبر أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يريد . . . » فمنشأ إعوجاج فهمه أو تغيير الكلم عن مواضعه فانّ صريح الخبر أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أشفق من قولهم بآلهيّة عليّ عليه السلام الّتى لايقولها إلّا مبطل كآلهية المسيح ، وهو حقّ فانّه صلى الله عليه وآله لو ذكر فضله الواقعي، وانّ الله أقدره على خوارق

العادات ، حيث انّه أظهر مصاديق قوله تعالى في الحديث القدسي: « عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون » .

أو بيّن فضائله الفاضلة التي يفوق بها الأنبياء السابقين، ويمتاز بها عن الامّة أجمعين لخاف ﷺ من لوالف من امّته أن يقولوا بربوبيّته كما وقع لكثير منهم لمّا رأوا منه بعض خوارق العادة ، وقد ورد مضمون هذا الخبر في جملة من أخبار القوم فضلاً عن أخبارنا فقد حكاه في ينابيع المودّة عن أحمد في مسنده من طريقين ، و كذا عن موفق ابن أحمد وقال الشافعي فيما نسب إليه :

لو أنّ المرتضى أبدى محلّه لصار الخلق طرّاً سجّداً له

كفى في فضل مولانا عليّ وقوع الشك فيه أنّه الله

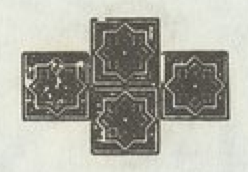
وفي الجامع لاحكام القرآن: في قوله تعالى : « إنّ الانسان لربّه لكنود » و قال الضحّاك : نزلت في الوليد بن المغيرة .

*
* *
* * *
* *
*

﴿القراءة﴾

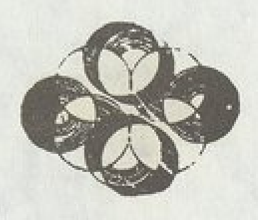
قرأ حمزة وأبوعمرو «والعاديات ضبحاً» و «فالمغيرات صبحاً» بالادغام أي بادغام التائين في الضّاد والصاد.

وفي الشواذّ قراءة أبي حياة «فأثّرن» بتشديد الثاء من باب التأثير فالهمزة فاء الفعل، وقراءة الجمهور «فأثرن» بالتخفيف من الاثارة على زيادة الهمزة، وفي قراءة علي عليه السلام وقتادة وإبن أبي ليلى «فوسطن» بتشديد السّين معناه: ميّزن به جمعاً أي جعلته شطرين قسمين وشقين، وعلى قراءة التخفيف معناه: فوسطن أي صرن في وسطه.



﴿الوقف والوصل﴾

«ضبحاً لا» للعطف بالفاء للاتّصال، و«قدحاً لا»، و«صبحاً لا»، و «نقعاً لا»، كلّ ذلك كالمتقدّم و«جمعاً لا» لجواب القسم، و «لكنود ج»، لأنّ مابعده يصلح للعطف والاستيناف، و«لشهيد ج» للوجهين المتقدّمين، و«لشديد ط» لتمام الجواب أصلاً وعطفاً، و «القبور لا» للعطف التالي، و «الصّدور لا» لمتعلّق العلم المتأخّر وهو قوله جلّ وعلا: «انّ ربهم بهم...».



﴿ اللغة ﴾

٢٢- العدو - ٩٨٨

عدا الأمر يعدوه عدواً و عدوّاً و عدواناً واعتداء - من باب نصر نحو دعا -: تجاوزه و تركه ، وعدا طوره و قدره : جاوزه ، و عدا الماء : جرى، ومنه جرى الانسان - فوق المشي -: عدوه ، وبالجري تكون مجاوزة الشّيء إلى غيره .

ومن الجري قوله عزّوجلّ: «والعاديات ضبحاً» العاديات: ١) العادية : الخيل الّتي تعدو، العادية: الخيل المغيرة من عدوة القوس. و العديّ - بفتح العين و كسر الدال كالبنىّ -: جماعة القوم يعدون لقتال ، وقيل : أوّل من يحمل من الرجالة .

والعدّاء: الشديد العدو ويكون ذلك في المادّي فيكون في المعنوي بمجاوزة الحق .

ومن الحسّي في المادّة العدو - بالضمّ والكسر -: الناحية أوشاطيء الوادي أو المكان المتباعد أو المرتفع أو صلابة من شاطيء الوادى ، و كلّ خشبة بين خشبتين ، و قد تطرح التاء فيقال : عدو ، و جمعها : عدى - بالضمّ والكسر - و في ذلك المعنى أيضاً قالوا : العدى - بالكسر و الفتح - و العداء -

بالمدّ - : الناحية والجانب أوطوار الشيء و - بالفتح -: ما سايره من عرضه و طوله ، والعداء - بالكسر -: المتباعدون والغرباء و الأجانب و الأعداء ، و عديات - بفتحتين - والعداء - بالضم -: الخلّة من النبات و هي ما فيه حلاوة، و عدوة الأمد : مدّ البصر والعدوة - بالفتح -: المرّة وإلى هذه الحسيّات سترد معاني المادة.

وقد وردت العدوة في قوله تعالى : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى» الأنفال: ٤٢) العدوة -بالضمّ-: المكان المتباعد والمكان المرتفع جمعها: عداء وعديات، والعدوة : الجانب المتجاوز للقرب. ويقال : السلطان ذوعدوات و ذوبدوات.

ومن المجاوزة المادية قوله تعالى: «ولاتعد عيناك عنهم » الكهف: ٢٨) أي اصرف بصرك عنهم.

ويقال: عاد رجلك عن الأرض: جافها، وعادى الوسادة، تناها، وعادى الشيء: باعده، وتعادى عنه: تجافى وفلان لايعاديني ولايواديني: لايجافيني ولايواتيني و من المجاوزة المعنويّة قوله تعالى: «ومن يتعدّ حدود الله» البقرة: ٢٢٩) ومجاوزة القدروالحق: ظلم عدا واعتدى أي ظلم، عدى الرجل غيره: ظلمه، قال الله تعالى: «فيسبّوا الله عدواً بغيرعلم» الأنعام: ١٠٨).

إعتدى عليه إعتداء: ظلمه. الاعتداء في الأصل : المجاوزة ، وهي قد تكون مجاوزة الحق إبتداء قال الله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » البقرة:٢٢٩).

وقد تكون بالمجازاة قال الله عزّوجلّ : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» البقرة: ١٩٤) أي قابلوه بحسب إعتدائه و تجاوزوا إليه بحسب تجاوزه فكان تجاوزه بغيرحق إبتداء ، و تجاوز المأمورين بالاعتداء على سبيل المجازاة والتقابل ، قال الله تعالى: « فلاعدوان إلّا على الظالمين »

البقرة: ١٩٣)

المعتدون: هم أصحاب الظلم و العدوان. والعدوان ـ بالفتح والضمّ ـ: الظلم الصراح.

العداوة: مافسد مابين شخصين لتباعد بينهما في الاعتقاد أو النيّات أو العمل، فيعدى كل منهما على صاحبه بالمكروه، وتلك هي العداوة: ضدّ الصداقة ويقال: عادى فلان فلاناً. والعداوة: إسم بمعنى الخصومة والمباعدة.

والعدوّ وصف على فعول لكنّه شابه الإسم و يكون للواحد والاثنين و الجمع، و المذكّر و المؤنث بلفظ واحد، و قالوا: عدوة كصديقة، وجمعوا العدوّ على الأعداء، والعدوّ: ضدّ الوليّ والصديق. وورد من معنى العداوة وفعلها ووصفها، قال الله تعالى: «لتجدنّ أشدّ الناس عداوة» المائدة: ٨٢)

والعدى ـ بالضمّ ـ إسم جمع للعدوّ.

العادى: المختلس، عدا يعدو على الشيء: إذا اختلسه، وعدا اللصّ على القماش: سرقه.

قال الله تعالى: «بل أنتم قوم عادون» الشعراء: ١٦٦) أي معتدون وقال: «غير باغ ولاعاد» البقرة: ١٧٣) أي غير متجاوز سدّ الجوعة أو غير عاد في المعصيّة طريق المحسنين. والعاديّة: الحدّة و الغضب، و الظلم و الشرّ وهو مصدر كالعاقبة.

والعداوة ـ بالضمّ ـ: الأرض اليابسة الصلبة والمركب لايطمئنّ من قعد عليه يقال: جئت على مركب ذي عداوة أي ليس بمطمئنّ، وعداوة الشغل: موانعه و صوارفه، وجمع العادية: العوادي. و العدوى ـ بالفتح ـ: الفساد وما يعدى من جرب أو غيره أي يسرى من واحد إلى آخر وطلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك أي ينتقم منه، وهي إسم بمعنى المعونة.

واستعداه إستعداءاً: إستغاثه واستنصره، يقال: إستعديت على فلان الأمير

فأعداني: إستعنت به عليه فأعانني عليه.

وعدا الرجل فلاناً عن الأمر: صرفه وشغله، ومنه الحديث: «أنه اهدى له لبن بمكّة فعدّاه» أي صرفه عنه، وعدوته عن الأمر: صرفته عنه.

عدى له يعدى عداً- من باب علم نحو رضى-: أبغضه.

و عـدّاه عن الأمر تعـدية : صرفه و شغله ، وفلاناً عن الأمر : خـلاه و انصرف عنه .

عوادي الدهر: عوائقه، والعداء -كالسماء-: البعد والشغل يصرفك عن الشيء، والعداء -بالكسر-: حجر رقيق يستر به الشيء، و-بالفتح والكسر-: الطلق الواحد، والعدو -بالكسر-: حجر رقيق يستر به الشيء جمعه: عداء، عدوّ كل شيء وعداه: طواره، وقوم عداة - كقضاء -: أعداء، والعدوى - بالفتح -: إسم من الإعداء والسبع العـادي : الظالم الّذى يقصد الناس ويفترسهم والماشي بالقتـل والجرح ومنه «ماذئبـان عاديان» و في الحـديث : « رفعت عنك عـادية فلان » أي ظلمه و شرّه .

عدّاه يعدّيه تعدية - من باب التفعيل -: أجازه و أنفذه ومنه تعدية الفعل عند النحاة وهو جعل الفعل لفاعل يصير من كان فاعلاً له قبل التعدية منسوباً إلى الفعل نحو خرج زيد فأخرجته.

تعادى القوم تعادياً: عادى بعضهم بعضاً وتباعد أحدهما عن الآخر كقوله: و تعادى عنه النهار. والتعادي : الأمكنة غير المتساوية ، مكان متعاد: منقاد ليس بمستو ، و أرض متعادية : ذات حجرة ، و العدواء من الأرض : المكان المشرق يبرك عليه البعير فيضطجع عليـه و إلى جنبه مكان مطمئن ، فيميل فيـه البعير فيتوهن .

والعدواء -بالضمّ-: المكان الغليظ الخشن وأعداء الوادي وأعناؤه: جوانبه، والأعداء: حجارة المقابر.

والمعدى - كمرمى -: المجاز يقال: مالي عن فلان معدى أي لا تجاوز لي إلى غيره ولا قصور دونه. ويقال: فلان معدوٌ عليه ومعديٌ عليه - بقلب الواو ياء استثقالاً أي مظلوم. والمعدي كرب: إسم.

و عاداه معاداة و عـداء: خاصمه و صار له عدوّاً، و عادى فلان شعره: أخذ منه، و المعاداة: الموالاة والمتابعة، وتعادى القوم على بنصرهم أي تولوا و تتابعوا.

أعداه إعداء: حمله على الحضر وعليه: ظلمه، وأعدى الأمر: جاوز غيره إليه وأعدى زيداً على غيره: نصره وأعانه وقوّاه، وفي المثـل: «قرين السوء يعدى قرينه» وفي منطقه: جار. يقال: أعداه الداء وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء و ذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتتّقى مخالطته بابل اخرى حذاراً أن يتعدّى ما به من الجراب إليها فيصبها ما أصابه.

عدا ينصب ما بعده والفاعل مضمر فيه، وحرف إذا كان بعده مجرور، وعلى أيّ التقدير يستثنى به مع ما وبغيرما و «عدا» كخلا في جميع أحكامه تقوى: قام القوم عدا زيداً وعدا زيد و ما عداه زيداً.

عديّ - كبنيّ -: قبيلة ومنهم عدي بن حاتم.

فى المفردات: العدو: التجاوز و منافات الا لتئام، فتـارة يعتبر بالقلب، فيقال له العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له: العدو وتارة في الاخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العدوان والعدو قال: «فيسبّوا الله عدواً بغير علم» و تارة بأجزاء المقرّ فيقال له العدواء لقال: مكان ذو عدواء أي غير متلائم الأجزاء.

فمن المعاداة: يقال: رجل عدو وقوم عدو قال تعالى: «بعضكم لبعض عدوّ» وقد يجمع على عدي وأعداء. قال تعالى: «ويوم يحشر أعداء الله»

والعدوّ ضربان: أحدهما بقصد من المعادي نحو: «وإن كان من قوم عدوّ لكم -عدواً شياطين الانس والجنّ» والثاني: لا بقصد بل تعرض له حالة يتأذّى بها كما

يتأذى مما يكون من العدى نحو قوله : «فانهم عدو لي إلا رب العالمين» وقوله في الأولاد قال الله تعالى: «عدواً لكم فاحذروهم»

و في النهاية : و قد عدا يعدو عليه عدواناً وأصله من تجاوز الحد في الشيء.

٢ - الضبح - ٨٩٤

ضبح يضبح ضبحاً وضباحاً- من باب منع -: نبح. وضبحت الخيل في عدوها ضبحاً: أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولاحمحمة ، تقول : جاءت الخيل ضوابح وقيل:الضبح: صوت أنفاسها عند العدو.

قال الله تعالى: «والعاديات ضبحاً» العاديات: ١) وهومن الضباح وهوالصوت الذي يسمع من جوف الخيل إذا عدت وهوالسير.

الضبح : تغيّر لون من فعل نار وقد يكون منه تغيّر الصوت فيكون كالبحح فيه .

وضبحت الارنب والثعلب والصدى والبوم والاسود من الحيات والقوس ضباحاً : صوّتت. يقال : ماسمعت إلاّ نباح الأكالب وضباح الثعالب ، والضباح - كغراب -: صوت الثعلب.

وفي حديث إبن مسعود: «لا يخرجنّ إلى أحد ضبحة بليل- أى صيحة يسمعها - فلعلّه يصيبه مكروه»

وضبحت النّار والشمس الشّيء كالعود : غيّرته و لم تبالغ ، و أضبحت العود النار: أحرقته شيئاً من أعاليه ... الضبح - بالكسر-: الرماد لتغيّر لونه، و الضبحاء: القوس وقد عملت فيها النار، والمضبوح: حجر الحرّة لسواده، والمضابح: المقالي وجمع الضبح: الضوابح.

وفي شعر أبي طالب عليه السلام يمدح إبن أخيه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانّه دليل على عمق إيمانه بالنّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

فأنّي و الضوابح كلّ يوم   وما تتلوا السفاسرة الشهور

السفاسرة: أصحاب الأسفار وهي الكتب، والشهور: العلماء.

ضابحه: قابحه وكافحه، والضبح ـ بالفتح فسكون ـ: إسم موضع يدفع منه أوائل النّاس من عرفات، وانضبح لون فلان: تغيّر إلى السواد قليلاً.

في المفـردات: قيل: الضبح: صوت أنفاس الفرس تشبيهاً بالضباح و هو صوت الثعلب وقيل: هو حفيف العدو وقد يقال ذلك للعدو. وأصله: إحراق العود وشبّه عدوه به كتشبيهه بالنار في كثرة حركتها.

٢٨ ـ الورى ـ ١٦٦١

ورى القيح جوفه يريه ورياً و رية ـ و اوي الفاء يائي اللام من باب ضرب نحـو : و قى يقـى ـ : أفسده و أكله. و من الحـديث : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتّى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً » أي حتّى يداوي جوفـه .

ورى فلان فلاناً: أصاب رئته، ورى فهو موري: إذا أصاب جوفه الداء ، و ورت النار: اتّقدت، وورت الابل: سمنت و كثر شحمها و نقيها.

الورى ـ بفتح الواو وسكون الراء ـ: مصدر، و ـ بفتح الراء ـ: إسم كانت العرب تقدح بعودين تحكّ بأحدهما على الآخر فتخرج النار، ويسمّى الاعلى الزند والأسفل: الزندة.

قال الله تعالى : « أفرأيتم النار التي تورون » الواقعة: ٧١) أي تستخرجون بقدحكم.

وقال: «فالموريات قدحاً» العاديات: ٢) يعني الخيل في المكر تقدح النّار بحوافرها عندصك الحجارة، يقال: أورى النّار إذا أوقدها وأشعلها.

و يقال: صكّت الخيل في سيرها الحجارة فاورت النّار: تطاير من الحجارة شرر كالنار وهذا على سبيل التشبيه بماسبق، ويقال للخيل إذا فعلت ذلك موريات.

الواري: الذى تظهر ناره سريعة، ومنه حديث الامام على بن أبيطالب عليه السلام: «حتّى أورى قبساً لقابس» أي أظهر نوراً من الحق لطالب الهدى.

الواري: إسم فاعل، والشحم السمين، ومسك وار رفيع جيّد والورى - بفتح الواو وسكون -: مصدر وقيح في الجوف أوقرح شديد يقاء منه القيح والدم - بفتح الواو والراء -: إسم من الورى، والورى: الخلق يقال: ما أدرى أيّ الورى هوأي أيّ الخلق. قيل: هو مأخوذ من معنى الستر والاخفاء لأنّهم يسترون وجه الأرض، ولهذا لا يطلق على من مضى أوسوف يأتي من الخلق، بل على من حضر فقط.

أبوالورى: كنية الدهر لأنّ النّاس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. والورى: الأنام الّذين على وجه الأرض في الوقت، ليس من مضى ولامن يتناسل بعدهم، فكأنهم الّذين يسترون الأرض بأشخاصهم.

ومنه: «أنتم كهف الورى يستظلون بكم» كالكهف الّذي يستظل به.

والوارية: مؤنث الواري: داء في الرئة وليست من لفظها لأنّ الرئة من مهموز العين، والوارية: داء يأخذ في الرئة فيأخذ منه السعال، فيقتل صاحبه.

والوريّة: المرّة، وورية النّار: ماتورى به من خرقة أوعطبة أوبعرة أو قطنة كالورية والرية: مصدر.

والددى - كغنى -: الشحم السمين ، ولحم وار: سمين. والواري : الشحم السمين صفة غالبة، والواري: السمين من كل شيء ، وزند وري : خرجت ناره و الوري : الضيف.

ويقال: فلان ورى فلان أي جاره الذي تواريه بيوته وتستره.

ورى المخ يريه وريا - من باب حسب نحو: ولى يلي -: إكتنز.

يقال: واريت كذا إذا سترته.

قال الله تعالى: «ماورى عنهما من سوآتهما» الأعراف: ٢٠) أي غطي عنهما من عورتهما. وفي الحديث : «إذا تورى القرص كان وقت الصلاة والافطار » أي إذا استتر وخفى.

التورة : الضياء والنور وهي عند البصريين (وورية) على وزن فوعلة من ورى الزند إذا خرجت ناره فقلبت الواو الاولى تاء كما في تولجة، والياء ألفاً لتحركها وإنفتاح ما قبلها، وهو الصواب المناسب ببزوغ بعثة موسى عليه السلام ومن هنا سمى كتابة توراة، وعند الكوفيين فأصلها (تورية) على وزن تفعلة ، فقلبت الياء ألفاً لتحركها وإنفتاح ماقبلها.

قال الله تعالى: «إذ قال موسى لأهله إنّي آنست ناراً» النمل: ٧)

ورّى الشيء يورّيه تورية - من باب التفعيل -: أخفاه، يقال: ورّيت الخبر تورية: إذا سترته وأظهرت غيره حيث يكون للفظ معنيان : أحدهما - الظاهر فتنطق به و تريد الخفي. والترية - كغنية -: إسم لما تراه الحائض عند الاغتسال وهو الشيء الخفي اليسير وهو أقلّ من الصفرة والكدرة.

و اداه يواريه مواراة: ستره وأخفاه. والمواراة: الاستتار والاستخفاء.

قال الله تعالى: «فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه» المائدة: ٣١)

توارى: استتر واختفى. قال الله تعالى: «فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر

ربّي حتّى توارت بالحجاب» ص: ٣٢) أي استترت الشمس وتواريها غروبها.

و قال: «يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به» النحل: ٥٩) أي يستخفي من أجل سوء المبشّر به ويحدث نفسه وينظر أيمسكه على هون وذلّ أم يدسّه في التراب حيّاً.

١١ - القدح - ١٢٠٣

قدح الزند يقدحه قدحاً -: من باب منع -: ضربه بحجره ليخرج منه النار ويقال: قدح بالزند.

قال الله تعالى: «فالموريات قدحاً» العاديات: ٢) وقد أقسم الله تعالى: بالخيل التي تخرج النار بضرب الأرض الصخرية بخفافها أو حوافرها، والمراد بالخيل خيل الجهاد وقيل: اريد بالموريات: الابل

القدح - بالفتح -: مصدر و- بالكسر -: السهم قبل أن ينصل ويراش، ومنه كلام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيمن استنهضهم للجهاد فلم ينهضوا: «أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وإنّما قطب الرحى تدور عليّ» فالقدح: السهم، والجفير: الكنانة، واستعار لفظ القطب باعتبار دوران رحى الاسلام عليه.

والقدح - بالكسر -: الميسر أيضاً ومنه الحديث: «كانوا يستقسمون بالقداح» وفي حديث قراءة القرآن الكريم: «ورجل حفظ حروفه وضيّع حدوده و أقامه إقامة القدح» كأنّه الّذى يستقسم ويلعب به كما يستقسم بالقداح.

وجمع القدح: قداح وأقدح وأقداح.

والقدح - محرّكة -: إناء يشرب فيه ويروى الرجلين أو ثلاثة ومنه يقال:

شربت كأساً لاقدحاً، وفي حديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «لاتجعلوني كقدح الراكب» أي لاتجعلوني آخر في الذكر لأن الراكب يعلق قدحه في آخرة الرحل بعدفراغه من إستصحاب الاهبة.

والقدح ـ محرّكة ـ أيضاً: إسم من إقتداح النّار و من إقتداح الأمر.

وقدح في عرضه قدحاً: طعن فيه وعابه وتنقّصه. وقدح فلان في فلان: إذا وقع فيه، و منه قدح في نسبه و عدالته إذا عابهما، و ذكر ما يؤثّر في إنقطاع النسب و ردّ الشهادة، وقدح في ساق أخيه: غشّه، وعمل في شيء يكرهه.

القدحة ـ بكسر القاف فسكون ثم الفتح ـ: إسم للضرب بالمقدحة من اقتدح النار بالزند، والمقدحة: الحديدة، والقدحة ـ بالفتح ـ: المرّة ضربها مثلاً لاستخراجه بالنظر حقيقة الأمر و اقتدح الأمر: دبّره و نظر فيه، والقدحة ـ بالكسر ـ: النوع، و ـ بالضّمّ ـ من المرق: غرفة منه. والقدح: الغرف ومنه: «اقدحي من برمتك» اغرفي، والقداح والقداحة ـ بكسر القاف ـ: حجر القدح، وقيل: الحديدة الّتي يقدح بها.

القدّاح: متّخذ الأقداح وصناعته، والقدوح: الذّباب، يقال: هو أطيش من القدوح الأقرح، والأقدح أيضاً: الذّباب، والقدوح: الركيّ تغترف باليد، وقدوح الرّحل: عيدانه لاواحد لها، والقديح: المرق، وقيل: ما يبقى في أسفل القدر فيغرف بجهد يقال: في أسفل البرمة قديح أي بقيّة مرقة، والمقداح والمقدح ـ بكسر الميم فيهما ـ: حديدة القدح، والمقدح أيضاً والمقدحة: المغرفة.

القادحة أيضاً: الدودة الّتي تنخر الشجر والأسنان جمعها: قوادح، تقول: قد أسرعت في أسنانه القوادح، و حمّى قادحة: شديدة الاشتعال.

قدح في القدح: خرقه بسنخ النصل، وقدح الشيء في صدري: أثّر وقدحت العين: غارت، وقدح الطبيب العين: أخرج منها الماء المنصبّ إليها من داخل. و في الحديث: «انّي اريد أن أقدح عيني» أي اخرج فاسد الماء منها من

قدحت العين : إذا أخرجت منها الماء الفاسد ، و قدح الدود في الأسنان والشجر : وقع فيها تأكل ، و قدح الشيء : غرفه ، و قدح القدر : غرف ما فيها .

قادحه في كذا : ناظره يقال : جرت بينهما مقادحة : منازعة و مطاعنة ، و تقادحا في كذا : تناظرا فيه .

تقادح الشجر : كان رخو العيدان ضعيفها إذا حركته الريح حكّ بعضه بعضاً، فالتهب ناراً فاذا قدح به لمنفعة لم يور شيئاً .

في النهاية: في حديث عمرو بن العاص: « إستشار و ردان غلامه و كان حصيفاً في أمر علي عليه السلام ومعاوية إلى أيّهما يذهب؟

فأجابه بما في نفسه وقال له: الآخرة مع علي عليه السلام والدنيا مع معاوية وما أراك تختار على الدنيا، فقال عمرو :

يا قاتل الله وردانا و قدحته أبدى لعمرك ما في القلب وردان

٤١ - الغور والاغارة - ١١١٠

غار في الشيء يغور غوراً و غياراً و غؤوراً - من باب نصر نحو : قال - : دخل فيه . وغار في الأمر : دقّق النظر فيه وجيّده ، ومنه يقال: غار في الضحك أي خفض رأسه في الضحك تارة و رفعه تارة اخرى .

فلان بعيد الغور : متعمّق النظر وهو بحر لا يدرك غوره ، ومنه عرفت غور المسئلة : فهمت حقيقتها، والغور أيضاً : ما انحدر من الأرض و يقابله النجد . وغار في الامور : أدقّ النظر فيها ، و رجل بعيد الغور : قعير الرأي : جيّده .

وفي الحديث : « انّه سمع ناساً يذكرون القدر فقال : إنّكم قد أخذتم في شعبين بعيدي الغور » أي يبعد أن تدركوا حقيقة علمه كالماء الغائر الّذي لا يقدر عليه .

وفي الحديث: «بالعقل يستخرج غور الحكمة وبالحكمة يستخرج غور العقل» أي بالعقل يمكن الوصول إلى كنه الحكمة وبظهور الحكمة من العاقل يظهر ما كان مخزوناً في عقله.

من الحسّيّ: غور كلّ شيء: عمقه وقعره وبعده. والغور: الهابط المنخفض من الأرض وهو يقابل النجد والجلس أي ما ارتفع منها.

والغار: الحجر الذي يأوي إليه الوحش، والغار: الكهف، جمعه: أغران و غيران، ومنه حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام: «فساح و لزم أطراف الأرض وغيران الشعاب» والغار الذي آوى إليه النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في جبل ثور وهو مطل على مكّة قال: «إذ هما في الغار» التوبة: ٤٠) غار حراء و ثور مشهوران.

و مثل الغار: المغار والمغارة وهما الموضعان اللّذين يغيب و يستتر فيهما الانسان، و ربّما سمّيت مكانس الظباء مغاراً، و جمع الأخيرتين مغارات . . . قال الله تعالى: «لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً» التوبة: ٥٧).

ومن هذا يقال - في قرب - : غار الماء و غوّر: ذهب في الأرض وسفل فيها، وغارت عينه: دخلت في الرأس وانخسفت، ويقال: غور على الوصف بالمصدر كقولهم: ماء سكب. ومنه يجيء غار بمعنى دخل، وغار بمعنى طلب، وأغار: ذهب، وأغار: شدّ العدو وأسرع فيه، ومنه أغار على القوم إغارة: دفع عليهم الخيل، والاغارة: مصدر والغارة: إسم. والمغيرات: الخيل جمع مغيرة. قال الله تعالى: «فالمغيرات صبحاً» العاديات: ٣).

وأغار على القوم: دفع عليهم الخيل وأخرجهم من جنابهم بهجومه عليهم، و أوقع بهم. وفي الحديث: «من دخل إلى طعام لم يدع إليه دخل سارقاً وخرج مغيراً» المغير: إسم فاعل من أغار يغير إذا نهب فشبّه دخوله عليهم بدخول السّارق وخروجه بمن أغار على قوم ونهبهم.

والغارة: السرّة والنهب والخيل المغيرة: المسرعة، و رجل مغوار ومغاور:

مقاتل كثير الغارات جمعها : مغاوير، وفرس مغوار: سريع ، وأغارت الفرس : إذا أسرعت في العدو والاسم : الغارة وشنوا الاغارة : فرقوا الخيل . غارهم الله بخير : أصابهم بخصب ومطر ونفعهم بخير و رزق ، وغار لهم الله وغارهم : أعانهم بخير و رزق ، وغارت الشمس: غربت وغار النهار: إشتدّ حرّه وغار الرجل: نام في نصف النهار ، وغارت النجوم : تسفلت وأخذت بالهبوط والانخفاض بعد ما كانت آخذة بالعلوّ والارتفاع .

الغور - بالضمّ - : مكيال لأهل خوارزم إثنى عشر سختاً، والغور - كعنب - : الدّية، والغور - بالفتح - : ناحية واسعة، وقصبتها بيسان، وذات الغار واد بالحجاز فوق قودان ، والغار: موضع بالشام ، و غور تهامة : مابين ذات عرق منزل لحاج العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة .

والغورى : القعر من كلّ شيء ، وحبل شديد الغارة أي الفتل ، والاغارة : شدّة الفتل، وحبل مغار: محكم الفتل ، وأغرت الحبل: فتلته فهو مغار وفرس مغار: شديد المفاصل .

والغار : ورق الكرم ، والغار: ضرب من الشجر، والغار: نبات طيّب الريح على الوقود ومنه السوس، والغار: الغبار ، والغورة : المرّة والشمس والقائلة أي النائم قبل الزوال ، والتغوير: الهزيمة والطرد ، والغارة : السرّة .

وغوّر الجيش: هزمهم وطردهم، وغاور العدوّ مغاورة : أغار عليهم والمغوار : مبالغ في الغار ، رجل مغوار : بيّن الغوار أي مقاتل كثير الغارات على أعدائه .

إغتار : إنتفع ، واستغارت الجرحة والقرحة : تورّمت .

الغار: الجماعة من النّاس، وقيل: الجيش الكثير يقال: إلتقى الغاران : أي الجيشان وفي حديث الامام عليّ ابن أبيطالب عليه السلام : « قال يوم الجمل : ما ظنّك بامرىء جمع بين هذين الغارين » أي الجيشين .

وفي حديث: « من دخل إلى طعام لم يدعه دخل سارقاً وخرج مغيراً » المغير

إسم فاعل من أغار يغير إذا نهب ، شبّه دخوله عليهم بدخول السارق وخروجه بمن أغار على قوم ونهبهم .

والغاران: العظمان اللّذان فيهما العينان ، والغاران: فم الانسان وفرجه ، وقيل : البطن والفرج ، و منه يقال : المرء يسعى لغاريه و غار الرجل : نام في نصف النهار .

المغيرة بن أبي العاص هو الّذي أهدر النّبي ﷺ دمه لجنايته وطغيانه ، ولعن من يأويه ويطعمه ويسقيه ، ومن يجهزه ويعطيه سقاء و وعاء و رشاء وحذاء ففعل عثمان بن عفان جميع ما لعن به النّبي ﷺ ثم أمر به النّبي ﷺ عليّاً عليه السلام فقتله لارحمه الله .

والمغيربن شعبة كان والياً في عهد عمربن الخطّاب ، وكان يشرب الخمر و يصلّي في الناس جماعة وكان يزيد في الركعات على ما ورد عن طريق العامة أكثر و أكثر من ذلك .

٢١ - الثور والاثارة - ٢١٤

ثار الغبار أو السحاب يثور ثوراً و ثؤوراً و ثوراناً ـ من بـاب نصر نحو قال ـ : ظهر وسطع وهاج وانتشر، وأثرته : هيجته ونثرته ساطعاً ، وثاربه الدم : هاج ، و كل ماظهر وانتشر من الغبار والسحاب والدخان وما إليها . . .

قال الله عزّ وجلّ : « فأثرن به نقعاً » العاديات : ٤) أي فهيّجن به غباراً و حركنه و ذلك من أثر الغارة .

وقال: « الله الّذي يرسل الرياح فتثير سحاباً » الروم : ٤٨) أي تنشر الرياح السحاب .

يقال: ثارت الماشية : هاجت ، والثوران : الهيجان ، وأثرت السبع والصيد :

إذا هيّجته ، وأثرت فلاناً: هيّجته لأمر، وأثار التراب بقوائمه إثارة : بحثه وثورة من مال كثروة من مال . قيل: ومنه الثروة لكثرتها وتفرّقها .

يقال: ثار الجراد : تفرّق وانتشر وثار القطا : نهض من مجاثمه ، وثار فلان إليه : وثب وأثار الأرض : شقّها وقلّبها للزراعة أو لغيرها .

قال الله تعالى: « كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الأرض وعمروها » الروم : ٩) أي قلّبوها للزراعة وعمروها بالفلاحة وإستخراج الماء والمعادن والكنوز و نحو ذلك .

الثور : الذكر من البقر و كنيته أبوعجل ، سمّي بالثور لأنّه يثير الأرض كما سمّيت البقرة لأنّها تبقرها، والمثورة من الأرض: الكثيرة الثور والمثيرة : البقر تثير الأرض .

قال الله عزّ وجلّ : « قال إنّه يقول إنّها بقرة لاذلول تثير الأرض » البقرة : ٧١) أي تقلّبها للزراعة ، وجمع الثور : أثوار وثيار وثيرة وثيادة وثورة وثيران .

وأرض مثارة : إذا اثيرت بالسّن وهي الحديدة الّتي تحرث بها الأرض .

وفي الحديث : « فرأيت الماء يثور من بين أصابعه » أي ينبع بقوّة وشدّة .

ومنه الحديث : « جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسئله عن الايمان » أي منتشر شعر الرأس قائمه .

ومن الاثارة المعنوية : ماورد في الحديث : «من أراد العلم فليثور القرآن» أي لينقر عنه ويفكّر في معانيه وتفسيره وقرائته ، تثوير القرآن : قرائته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه .

وفي الخبر : « أثيروا القرآن فان فيه علم الأوّلين والآخرين » يقال : ثوّر الكتاب : بحث عن معانيه ومحتوياته . . ومنه : « ثارت بينهم الفتنة وثارت به الحصبة » وثوّر الشرّ : إنتشر . وثار ثائره : هاج غضبه ، و في الحديث : « يقوم إلى أخيه ثائراً فريصته » أي منتفخ الفريصة قائمها غضباً، والفريصة : اللحمة التي

بين الجنب والكتف لاتزال ترعد من الدابة وأراد بها هيهنا: عصب الرقبة وعروقها لأنّها هي الّتي تثور عند الغضب، وثور الغضب: حدّته، و الثائر: الغضبان، و يقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائره و فار فائره إذا غضب و هاج غضبه.

الثور ـ بالفتح فالسكون ـ: جبل بمكّة، و فيه الغار الّذى بات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر و هو مذكور في القرآن الكريم، و قد نسب إلى هذا الغار ثور بن عبد مناف لأنّه نزله. و ثور: أبو قبيلة من مضر و هو ثور بن عبد مناف، و ثور القوم: سيّدهم و رئيسهم و به كنّى عمرو بن معدي كرب أبا ثور، و ثور الجامعة: أشهرهم و ثورة رجال: كثرة رجال.

الثور: برج من بروج السماء الاثنى عشر على التشبيه، والثور: القطعة العظيمة من الأقط، والثور: القوس البقيّة من التمر تبقى في أسفل الجلة والكعب الكتلة من السّمن، والأقط هو لبن جامد مستحجر.

الثور: الأحمق، و يقال للرجل البليد الفهم: ما هو إلّاثور: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «إنما اكلت يوم اكل الثور الأبيض» انّ الفعلين ـ اكلت واكل ـ كلاهما مبنيّان للمفعول، وقد أراد الامام عليّ عليه السلام بالثور عثمان بن عفان، وجعله أبيض لأنّه كان شيباً بياض الشعر.

الثور: السطوح وظهور الدّم، وما علا الماء من الطحلب، والبياض الّذي في أصل ظفر الانسان، وكل ماعلا الماء من القماس، والثور: المجنون والثائرة: الضجّة جمعها: ثوائر.

سقط ثور الشفق: يريدون به إنتشار الشفق وثورانه أي حمرته ومعظمه.

وفي الحديث: «صلّوا العشاء إذا سقط ثور الشّفق».

الثأر : هوطلب الدم أصله مهموز العين، فليس من هذا الباب.

٨١ - النقع - ١٥٥٦

نقع الرجل ينقع نقعاً ـ من باب منع ـ : رفع صوته. النقع : الغبار الساطع يثور في الجوّ ، و يجمع على نقاع ـ كبحار ـ و نقوع ـ كبحور ـ و أنقع ، و النقع أيضاً : الصياح ، يقال : نقع الصارخ بصوته : تابعه و أدامه .

قال الله تعالى: «فأثرن به نقعاً» العاديات : ٤) وقد فسّر النقع بالتفسيرين : الغبار الساطع الثائر في الجوّ، والصياّح.

ونقع الماء في المسيل ونحوه واستنقع: اجتمع وثبت وطال مكثه، يقال: طال إنقاع الماء واستنقاعه حتّى إصفرّ.

و نقع الماء في بطن الوادي : إجتمع فيه و طال مكثه ، و نقع الماء في الغدير : إجتمع و ثبت ، و نقع البئر: ما اجتمع فيها من الماء ، والمستنقع ـ بفتح القاف ـ :المكان الّذي يجتمع فيه الماء و الموضع من الغدير ينزل فيه الانسان ويغتسل، يقال: إستنقعت في الغدير: أي نزلت واغتسلت فيه ، والمنقع ـ بالفتح ـ: البحر والموضع يستنقع فيه الماء، جمعه: مناقع... والمنقاع: الاناء ينقع فيه الدواء والنبيذ، منقع البرم: وعاء القدر.

النقع: الأرض الحرّة الطين يستنقع فيها الماء ، والأنقوعة : كل مكان سال إليه الماء من شعب ونحوه، وانقوعة الميزاب: ما يسيل فيه ، والمنقع ـ كمنخل ـ: برمة صغيرة يطرح فيها اللبن والتمر ويطعمه الصبيّ. و النقع: محبس الماء، و نقع البئر: الماء المجتمع فيها قبل أن يستقي، والنقيع: البئر الكثيرة الماء جمعه: أنقعة، ومن جمع النقع أيضاً: نقعان ـ بضمّ النّون ـ والنقيع: الماء النافع المجتمع،

والنقع: الماء النافع، ومنه الحديث : « إتقوا الملاعن الثلاث فذ كرهن يقعد كم أحد كم في ظل ّ يستظل ّ به أوفي طريق أونقع ماءٍ» وهو محبس الماءِ ونقع البئر : الماء المجتمع فيهاقبلأن يستقي، وقيل: هوفضل ماءِ البئرالّذي يخرج منه قبل أن يصب ّ منه في وعاءٍ.

وفي الحديث: «نهى أن يمنع نقع البئر» أي فضل مائها لأنّه ينقع بهالعطش أي يروى ، وقد فسّره الحديث الآخر: « من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلاء منعه الله فضله يوم القيامة » وأصل هذا في البئريحتضرها الرجل بالفلاة من الأرض يسقى بها مواشيه فاذا سقاها فليس له أن يمنع الماء الفاضلعن مواشيه مواشي غيره أو شارباً يشرب بشفتيه، وإنّما قيل للماءِ: نقع لأنّه ينقع به العطش أي يروي.

ومنهالحديث: «لايباع نقع البئر ولارهو الماءِ» .

وأنقع الماء عطشه: أذهبه وسكّنه، وفي المثل : الرشف أنقع أي الشراب الّذي يترشّف قليلاً قليلاً أقطع للعطش و أنجع و إن كان فيه بطء ، ونقع الماء العطش: سكّنه وقطعه وأرواه وفي الحديث: «شارب الخمرلا ينقع» أي لايروي، و فيالحديث: «لم يبق من الدنيا إلّا جرعة كجرعة الاناءِ لوتمززها الصديان لم تنقع غلته» أيلم يسكنعطشه ولم يرو، ونقع الماء : إصفر ّ وتغيّرلونه، ونقع فلان في النهر: دخله ومكث فيه يتبرّد.

النقوع : الماء العذب البارد أو الشروب، وما ينقع في الماء من الدواءِ و النبيذ والنقاع ـ كسحاب ـ: إناء ينقع فيه الشيء، والنقيع : شراب يتّخذ من زبيب ينقع فيالماء من غيرطبخ أو كل ّ ما ينقع فيه التمرجمعه: أنقعه. ماءنقيع: فاجع.

وفي حديث الكرم: «تتخذونه زبيباً تنقعونه» أي تخلطونه بالماء ليصير

شراباً، و كلّ ما القى في ماءٍ فقد انقع، والنقوع -بالفتح-: ماينقع في الماء ليلاً ليشرب نهاراً وبالعكس .

نقع فلان فلاناً: قتله، وفي حديث بدر: «رأيت البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل السّمّ الناقع» أي القاتل، يقال: نقعت فلاناً: إذا قتلته، سمّ ناقع: بالغ قاتل ثابت، سمّ منقع: مربّى، و دم ناقع: طريّ، ونقع الموت كثر، و نقع الميّت: دفنه، وموت ناقع: دائم، ونقع روحه: خرج واجتمع في فيه كما يستنقع الماء في مكان قراره، ونقع فلان ريقه: جمعه في فيه، ونقع السّمّ في أنياب الحيّة: إجتمع.

إنتقع لونه: تغيّر من همّ أو فزع أو ألم أو حزن و نحوها، و في حديث المولد: «فاستقبلوه في الطريق منتقعاً لونه» أي متغيّراً. وفي حديث المبعث: «انّه أتى النّبيّ ﷺ ملكان فاضجعاه و شقّا بطنه فرجع و قد انتقع لونه».

نقع فلان جيبه: شقّه، ونقع الرجل: نحر النقيعة، ونقع القوم نقيعة: ذبحوا من الغنيمة شيئاً قبل القسم، والنقيعة: طعام يصنع للقادم من السفر. وإذا زوّج الرجل فاطعم عيبته قيل: نقع لهم أي نحر.

النقع: رفع الصوت، نقع الصوت واستنقع: إذا ارتفع، والنقيع: الصراخ، والنقع: صوت النعامة يقال: نقعت النعامة: صاتت، ونقع فلاناً بالشتم: شتمه شتماً قبيحاً، ونقع له الشرّ: أدامه، ونقع فلان فلاناً: ضرب أنفه باصبعه، ونقع البيت: زخرفه أوجعل أعلاه أسفله، والنقوع: ضرب من الطيب، والنقوع صبغ يجعل فيه من أنواع الطيب، يقال: صبغ فلان ثوبه بنقوع، و النقيع: رجل امّه من غيرقومه.

النقّاع - فعّال - للمبالغة: المتكثّر بما ليس عنده من الفضائل، والنّقاع: المتكثّر بما ليس له عنده من مدح نفسه بالشجاعة و السخاء و العلم و الثروة

وما أشبهها ، رجل نقوع أذن : أي يؤمن بكل شيء ، و فلان منقع : يستشفي برأيه .

العنقاء: طائر غريب يبيض في الجبال لم يعرفه أحد بعد.

النقيع : موضع حماه لنعم الفيء وخيل المجاهدين ، فلا يرعاه غيرها وهو موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء أي يجتمع. و منه الحديث : « أوّل جمعة جمّعت في الاسلام بالمدينة في نقيع الخضمات » و هو موضع بنواحي المدينة.

٣٢ - الوسط - ١٦٦٥

وسط الشّيء يسطه وسطاً ووسطة- من باب ضرب نحو: وعد -: كان بين طرفيه تقول: وسطت الطريق، ووسطت القوم: جلس وسطه ووسطهم ووسط المكان: جلس وسطه فهو واسط.

قال الله تعالى: «فوسطن به جمعاً» العاديات: ٥)

وسط الرجل قومه وفيهم وساطة: توسّط الحق والعدل.

وسط الشّي - محرّكة -: إسم لمابين طرفيه، و هو المعتدل، يقال شيء وسط: بين الجيّد والرديء، تقول : قبضت وسط الحبل ، و كسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدّار، فللوسط طرفان متساويان في القدر، ويقال: ذلك في الكم المتّصل كالجسم الواحد، فتقول: وسطه - بفتح السين- صلب، وضربت وسط رأسه، وتقول - بسكون السين- في الكم المنفصل كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم كذا.

ويستعمل الوسط في الفضائل إذكانت وسطاً بين الرذائل ، كالشجاعة فانّها وسط بين الجبن و التهوّر والسخاء فانها وسط بين البخل والتبذير و كذا سائر

الفضائل، ثمّ جعل الوسط وصفاً للمتصف بالفضائل، فصار معناه الخيّر الفاضل، و رجل وسط: حسن، فكلّ خصلة محمودة لهاطرفان مذمومان، وان الانسان مأمور أن يتجنّب كلّ وصف مذموم ويتعرّى عنه ، و كلّما ازداد بعداً إزداد تعرّياً ، ومن شأن هذا أن يكون عدلاً في قضائه و شهادته ، وهذا الوصف نظراً إلى أصله يستوي فيه موصوفه ، فلايتغيّر لتغيّر موصوفه ، يقال: رجل وسط، وامّة وسطاً . قال الله تعالى : « و كذلك جعلناكم امّة وسطاً » البقرة : ١٤٣) .

انّ الوسط قديأتي صفة ، وإن كان أصله أن يكون إسماً من جهة أنّ أوسط الشيء أفضله و خياره كوسط المرعى خير من طرفيه ، و وسط الدابّة للركوب خير من طرفيها لتمكّن الراكب ، ومنه الحديث : « خيار الامور أوساطها » .

و في الحديث المشهور : « خيرالامور أوسطها » ومنه قوله تعالى : « و من النّاس من يعبدالله على حرف » الحج : ١١) أي على شك فهو على طرف من دينه غيرمتوسّط فيه ولامتمكّن ، فلمّا كان وسط الشّيء أفضله و أعدله جاز أن يقع صفة و ذلك في مثل قوله تعالى : « و كذلك جعلناكم امة وسطاً » أي عدلاً فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه ، وانّه إسم لما بين طرفي الشّيء وهو منه .

انّ أبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما وهو غاية البعد عنهما ، فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الامكان .

الأوسط : إسم تفضيل من وسط، وانثاه : الوسطى، يأتي في معنى الأقرب إلى الاعتدال والقصد والأبعد عن الغلوّ في الجودة والرداءة ونحوهما ، ويأتي في معنى الأفضل إذا كان أوسط الشّيء محمياً من العوارض الّتي تلحق الأطراف .

قال الله تعالى : « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون » القلم : ٢٨) أي أفضلهم رأياً أو أعدلهم أو خيرهم أو أشرفهم وأحسبهم على ما قيل .

وفي الحديث : « أنّه كان من أوسط قومه » أي من أشرفهم و أحسبهم .

وقال تعالى: « فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم »

المائدة : ٨٩) أي يكون أقرب إلى الاعتدال بين الاسراف والتقتير .

والوسطى : تأتي في معنى الواقعة بين شيئين ، وبمعنى الفضلى كالأوسط .

قال الله عزّ وجلّ : «حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى» البقرة : ٢٣٨) الوسطى: المتوسّطة بين الصّلوات أو بين الصّلاتين ، فقيل: هي صلاة العصر لتوسّطها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل ، أو الوسطى بمعنى الفضلى و قد اختلف في تعيينها أيضاً، وقيل: الصّلاة الوسطى: المتوسّطة بين الطّول والقصر .

وفي حديث الامام الصّادق عليه السلام قال : « نحن الأمّة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه والرّسول شاهد علينا » .

والوسطى ـ من الأصابع ـ ما بين البنصر والسبّابة ، و أوسط أصابع اليد والرجل : أطولها غالباً .

وسط الرجل يوسط وساطة ـ من باب كرم ـ : صار شريفاً وحسيباً فهو وسيط، ومنه حديث رقيقة : « انظروا رجلاً وسيطاً » أي حسيباً في قومه. الوسيط: المتوسّط بين المتخاصمين ، جمعه : وسطاء وهي وسيطة و هو وسيط فيهم أي أوسطهم نسباً و أرفعهم محلاً . يقال: صار الماء وسيطة : إذا غلب على الطين .

الوسوط ـ كصبور ـ من بيوت الشعر: أصغرها ، والوسوط من الابل: التي تجرّ أربعين يوماً بعد السنة ، و وسوط الشمس: توسّطها السماء ، و دين وسوط : متوسّط بين الغالي والتالي . والواسط : الباب ، و واسطة القدادة : الدرّة التي في وسطها وهي أنفس خرزها .

أوسط القوم ايساطاً : دخل وسطهم .

وسّطه توسيطاً : قطعه نصفين وجعله في الوسط و صيّره وسيطاً ، والبحر المتوسّط : البحر الأبيض ، ويعرف ببحر الروم أيضاً .

توسّط القوم والمكان : جلس وسطهم ، وتوسّط بينهم : عمل الوساطة ، و توسّط الرجل : أخذ الوسط بين الجيّد والرديء ، يقال : هو الواسطة بينهما وهو

واسطة بكذا أي علّة ، وبواسطة كذا أي بعلّة كذا ، ويقال: فلان في واسطة قومه أي خيارهم .

فى المفردات: وسط الشّيء : ماله طرفان متساويا القـدر و يقال ذلك في الكمّيّة المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت : وسطه صلب ، و ضربت وسط ـ بفتح السين ـ رأسه ، و وسط ـ بالسكون ـ يقال: في الكمّيّة المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم كذا .

الوسط تارة يقال: فيما له طرفان مذمومان يقال: هذا أوسطهم حسباً إذاكان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً و كالجود الّذي بين البخل والسرف، فيستعمل إستعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط ، فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة نحو: « و كذلك جعلنا كم امة وسطاً » وعلى ذلك : « قال أوسطهم » ، وتارة يقال: فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشرّ ويكنّى به عن الرّذل نحو قولهم : فلان وسط من الرجال تنبيهاً انّه قد خرج من حدّ الخير .

الوسط ـ بفتح السين ـ : إسم وبسكونها ظرف، و كل موضع صلح فيه «بين» فهو بالسكون وإلّا فبالفتح .

فى النهاية : يقال : بالسكون فيما كان متفرّق الأجزاء غيرمتصل كالنّاس والدّوابّ وغيرذلك ، فاذاكان متصل الأجزاء كالدّار والرأس فهو بالفتح .

وفى اللسان: الوسط بالتحريك : إسم لما بين طرفي الشيء وهومنه كقولك: قبضت وسط الحبل و كسرت وسط الرمح ، وجلست وسط الدار .

٤٦ ـ الكنود ـ ١٣١٩

كند يكند كنداً و كنوداً ـ من باب ـ نصر ـ : قطع ، و كند الشّيء : قطعه، و كند الحبل : إذا قطعه ، والكنّاد : القطّاع . والكندة ـ بكسر الكاف ـ :

القطعة من الجبل، والكنود ـ من كند ـ : إذا قطع كأنّه يقطع ماينبغي أن يواصله بالشكر وأداء الحق والانفاق في سبيل البرّ .

أرض كنود : إذا لم تنبت شيئاً، وفي الحديث: « أصبحنا في زمن كنود » أي لاخير فيه .

كند النعمة : إذا جحدها و لم يؤدّ حقّها بالشكر فهو كاند ، والكند ـ كعنق ـ : كافر النّعمة ، يقال: رجل كند وامرأة كند ، والكنود : الكفور وصف للذكر والانثى مبالغة في كاند و يدلّ على الكثرة أو على رسوخ خلق الكنود في نفس الانسان يقال : رجل كنود وامرأة كنود .

قال الله عزّ وجلّ : « انّ الانسان لربه لكنود » العاديات: ٦) أي شديد الجحود لله تعالى فلا يشكره على نعمه التي لاتحصى ، وآية ذلك عصيانه لربّه في أوامره و نواهيه . . .

والكنود ـ بالضم ـ أيضاً : كفران النعمة .

والكنود ـ بالفتح ـ : الكافر واللوّام لربّه، والبخيل والعاصي، والكنود : من يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده . وهو المرويّ عن النّبيّ الكريم ﷺ .

والمرأة الكنود : الكفور للمودّة والمواصلة في زوجها وفي ذلك قال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك انها ... كند لـوصل الزائـر المعتـاد

أي كفور للمواصلة .

قال المبرّد : الكنود : المانع لما عليه ، و أنشد للمكثّير ما قال به الأعشى من البيت الكنود : الّذي يعدّ المصائب وينسى المواهب. الكنود : القطّاع كالكنّاد . قال الأعشى :

أميطي تميطـي بصلب الفـؤاد ... وصـول حـبـال و كنّادهـا

كندة ـ بكسر الكاف ـ : لقب ثور بن عفير وهو أبو حيّ من اليمن لأنّه كند أباه النعمة ولحق بأخواله وقيل: كان بخيلاً . و كندة ـ بالفتح فسكون ـ : ناحية

بخجند من فرغانة توصف نساءها بالحسن والجمال ، و إليها نسب أبو إبراهيم إسمعيل بن إسحق بن إبراهيم بن يحيى الكندي الفرغاني .

باب كندة : هي أحد أبواب مسجد الكوفة عن يمين القبلة لمن دخل المسجد مستقبلاً ولعلّ طوائف من كندة سكنوا هناك فنسبت إليهم .

٥٠- بعثر - ١٣٢

بعثر الشّيء - يبعثره بعثرة و بعثاراً - رباعيّ من باب دحرج - : قلب بعضه على بعض ليخرج شيئاً تحته ، ويقال: بعثرت الشّيء وبحثرته : إذا استخرجته و كشفته . و بعثر الشّيء : فرّقه ، و بعثر التراب والمتاع : قلبه ، و بعثر الخبر : بحثه و فتشه .

قال الله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور » العاديات : ٩) أي قلبت فاخرج ما فيها واثيرت من الموتى و كشفوا ، والمراد : البعث والنشر .

قال الله عزّ وجلّ : « وإذا القبور بعثرت » الانفطار : ٤) أي قلب بعضها على بعض ليخرج ما تحتها بقلب ترابها وإثارة مافيها وهو من أشراط الساعة أن تخرج الأرض افلاذ كبدها . وقيل : أي خرج ما في بطنها من الذهب والفضّة ، وخروج الموتى بعد ذلك وهو من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها .

ويقال : بعثروا متاعهم وبحثروه : إذا قلبوه وفرّقوه وبدّدوه و قلّبوا بعضه فوق بعض ، ويقال: بعثرت حوضي: هدمته وجعلت أسفله أعلاه .

قيل: بعثر: مركّب من بعث واثير وهذا لايبعد في هذا الحرف فانّ البعثرة تتضمّن معنى بعث و اثير .

والبعثرة : غثيان النفس ، وقولهم : « تبعثرت نفسي » أي جاشت و انقلبت وغثت يريد عند البعث ، والبعثرة : اللون الوسخ من ذلك .

٤٢ - الحصول و التحصيل - ٣٣٢

حصل الشيء يحصل حصولاً ومحصولاً - من باب نصر - : ثبت وبقي و ذهب ما سواه ، يقال: حصل عليه من حقّي كذا أي بقي، وحصل لي عليه كذا: ثبت و وجب .

والمحصول : هو أحد المصادر الّتي جائت على مفعول كالمعقول والميسور والمعسور وحصلت الدّابّة حصلا - محركة - : أكلت التراب فبقي في جوفها ثابتاً، وحصل الفرس : إشتكى بطنه من أكل تراب النبت .

والحاصل من كلّ شيء : ما بقي وثبت وذهب ما سواه يكون من الحساب والأعمال ونحوها، وحاصل الشّيء : لقيّته ، جمعه : حواصل ، والحاصل أيضاً: ما خلص من الفضّة من حجارة المعدن ، ويقال للّذي يخلّصه : محصّل ، والمحصّلة : المرأة الّتي تحصّل تراب المعدن ، ومستخرج البئر من المعدن يسمّى محصّلاً .

وحصّل الشّيء يحصّله تحصيلا - من باب التفعيل - : أظهره وجمعه وميّزه وحصّلت الأمر: حقّقته وأثبته ، والتحصيل: تمييز ما يحصل .

قال الله عزّ وجلّ : « وحصّل ما في الصدور » العاديات: ١٠) أي أظهر ما فيها وجمع كاظهار اللبّ من القشر ، وجمعه أو كاظهار الحاصل من الحساب ، فجمع محصّلاً .

و قال لبيد :

وكلّ امريء يوماً سيعلم سعيه إذا حصّلت عند الاله الحصائل

وحصّل النخل : إستدار بلحه وطلعه ، وحصّل الكلام : ردّه إلى محصوله ، وحصّل الشّيء والعلم: حصل عليه ، والتحصيل: إخراج اللبّ من القشور كاخراج الذّهب من حجر المعدن والبئر من التبن .

الحصالة : ما يبقى في الأندر من الحبّ بعد ما يرفع الحب و هو الكناسة ،

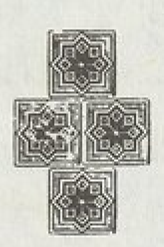
والحصل- محرّكة- والحصالة - بضمّ الحاءِ - : مايبقى من الشعير والبرّ في البيدر إذا نقّي وعزل رديئه ، والحصل أيضاً: ما تناثر من حمل النخلة ، و هو أخضر غضّ مثل الخرز الخضر الصغار والبلح قبل أن يشتدّ وتظهر تفاريقه الواحدة .

والحصيل: نبات وماحصل من الأموال ، وقيل للحثالة : الحصيل، والحصيلة : الاسم من التحصيل وهو تمييز مايحصل ، يقال : ما حصيلتك وما حصائلك أي ما حصّلته ، وسمّي كتاب الحصائل بذلك لادعاء صاحبه انّه حصّل فيه مافات للخليل .

والحصائل: البقايا الواحدة حصيلة، والمحصول: الحاصل، يقال: هذا محصول كلامه أي حاصله وقع موقع إسم الفاعل . وفرّق في الاصطلاح العلمي بين الحاصل والمحصول ، فالأوّل تفصيل بعد الاجمال ، والثاني عكسه .

حوصلة الطير : ما يحصل فيه من الغذاءِ ، و حوصل الطائر : ملأ حوصلته ، وجمع الحوصل : حواصل . وفي الحديث : « سئلته عن الحواصل الّتي تصاد ببلاد الشرك » و حواصل الطير : ما يجتمع فيه الحبّ وغيره من المأكول و هي للطير كالمعدة للانسان . احونصل الطائر : ثنى عنقه وأخرج حوصلته .

الحوصلة : الشاة الّتي عظم من بطنها ما فوق سرّتها ، و حوصلة الانسان و كلّ شيء : مجتمع الثفل أسفل من السرّة ، حوصلة الحوض : مستقرّ الماءِ في أقصاه ، والحوصلة : أسفل البطن إلى العانة من الانسان ، وقيل: ما بين السرّة إلى العانة . والحصيل : الباذنجان .



﴿النحو﴾

١- (والعاديات ضبحاً)

الواو للقسم، و «العاديات»: جمع العادية، إسم فاعل، مجرور بواو القسم، و في نصب «ضبحاً» وجوه: أحدها - منصوب على المصدر لفعل مقدّر أي يضبحن ضبحاً. ثانيها - مصدر منصوب في موضع الحال أي اقسم بالعاديات حال كونها ضابحة كقوله تعالى: «أصبح ماؤكم غوراً» الملك: ٣٠). ثالثها - منصوب بالعاديات على الحال. رابعها - منصوب بالعاديات لأنّ العدو - لا يخلو عن الضبح.

٢- (فالموريات قدحاً)

الفاء للعطف، و «الموريات» إسم فاعل من باب الافعال، جمع المورية، مجرور بحرف القسم، عطفاً على «العاديات» وفي نصب «قدحاً» وجوه: أحدهما - مصدر مؤكّد لأن الموريات بمعنى القادحات. ثانيها - إلى - خامسها - انتصب بما انتصب به «ضبحاً» من الوجوه الأربعة المتقدمة.

٣- (فالمغيرات صبحا)

الفاء للعطف، و «المغيرات» إسم فاعل من باب الافعال، جمع المغيرة، مجرور بحرف القسم، عطفاً علي «العاديات» وفي نصب «ضبحاً» وجهان أحدهما - منصوب علي الحال أي مصبحة العدو. ثانيهما - ان «صبحاً» ظرف زمان عمل فيه

«المغيرات» فمنصوب على الظرفية أي وقت الصبح باغارة أصحابها، والهاء ضمير الوادي ولم يجر له ذكر هنا.

٤- (فأثرن به نقعا)

الفاء للتفريع، و قيل: للعطف على ما قبله، ولا بأس بعطف «أثرن» وهو فعل على ما قبله وهو صفة لأنّه إسم فاعل، وهو في معنى الفعل كأنّه قيل: اقسم باللاتي عدون فاورين فأغرن فأثرن، و«أثرن» فعل ماض لجمع المؤنّث، وفاعله «العاديات» والنون علامة التأنيث.

وفي ضمير «به» وجوه: أحدها- راجع إلى المكان. والمعنى: فهيّجن بمكان عدوهنّ غباراً. ثانيها- راجع إلى الموضع الّذي تقع فيه الاغارة وإذا علم المعنى جاز أن يكنّى عمّا لم يجر له ذكر بالتصريح لدلالة الحال عليه كقوله تعالى: «حتّى توارت بالحجاب» ص: ٣٢)

ثالثها- راجع إلى العدو والمعنى: فهيّجن بالعدو والاغارة غباراً. رابعها- يعود إلى وقت الصبح أي فهيّجن بذلك الوقت غباراً. خامسها- يعود إلى ميدان القتال المفهوم من مسيرة هذه الخيل العادية.

و «نقعاً» مفعول به، نصب بـ«أثرن».

٥- (فوسطن به جمعا)

الفاء للعطف، ومدخولها فعل ماض كالمتقدّم، عطف على «فأثرن»، وفي «به» وجوه: أحدها- في موضع نصب على الحال، والضمير راجع إلى عدوهن أي صرن بعدوهنّ. ثانيها - راجع إلى ذلك المكان. ثالثها - راجع إلى «صبحاً» والباء بمعنى «في» والمعنى: فصرن في وقت الصبح في وسط جمع. رابعها - راجع إلى «نقعاً» و الباء للملابسة أي بالغبار. خامسها- أنّ الباء سببيّة، والضمير راجع إلى كلّ واحد مما تقدم كالضمير المتقدّم. سادسها - راجع إلى

الاثارة من «أثرن». سابعها- أنّ الباء زائدة والضمير في موضع نصب، مفعول به أى وسطنه.

و في « جمعاً » و جهان : أحدهما - منصوب على الحال . ثانيهما - مفعول به لـ« وسطن » أي فوسطن بر كبا نهن العدو" أي الجمع الّذى أغاروا عليهم .

٦- (ان الانسان لربه لكنود)

«إن» حرف تأكيد و«الانسان» إسمها، و«لربه»الضمير راجع إلى «الانسان» والجار والمجرور متعلّق بـ«لكنود» واللام في «لكنود» ، للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد أي كفور لنعم ربه أو لكنود لربه ، و حسّن دخول لام الجر تقديمه على إسم الفاعل ، و إذا كان التقديم حسّن دخول لام الجرمع الفعل كقوله تعالى : «للذين هم لربّهم يرهبون» الأعراف: ١٥٤) فههنا أولى لأنّ إسم الفاعل إنّما يعمل بالشبه بالفعل ، فاذا ثبت ذلك في المشبّه به الّذى هو الفعل و هو الأصل فلان يثبت في المشبّه و هو الفرع أولى ، والجملة جواب للقسم المتقدّم .

٧- (وانه على ذلك لشهيد)

الواو للعطف، و «إنّ» حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب إسم لحرف التأكيد، وفي الضمير وجهان: أحدهما- راجع إلى«لربه» أي وان" ربّه على ذلك من إبن آدم لشهيد. ثانيهما- راجع إلى«الانسان» والمعنى: وإن الانسان على كفرانه بربّه شاهد متحمّل، فيشهد على نفسه بصنعه. و«على ذلك» متعلّق بـ«لشهيد».

واللام في«لشهيد» للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد: «ان» والجملة المؤكّدة عطف على الجملة المؤكّدة المتقدّمة.

٨- (وانه لحب الخير لشديد)

الواو حرف عطف، و«ان» حرف تأكيد، والضمير في موضع نصب، إسمها، و

الضمير راجع إلى «الانسان» و في اللام في «لحب الخير» وجوه: أحدها - أنها بمعنى «من» أي من أجل حب المال لبخيل. ثانيها - بمعنى «على» ثالثها - للتعليل، ومجرورها المضاف إلى «الخير» متعلّق بـ «لشديد»، واللام في «لشديد» للتأكيد و مدخولها خبر لحرف التأكيد: «ان»، والجملة عطف على الجملة المؤكّدة المتقدمة الاولى.

٩- (أفلا يعلم اذا بعثر مافى القبور)

الاستفهام للانكار، و«يعلم» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الانسان» ومفعول «يعلم» جملة قائمة مقام المفعولين يدلّ عليه المقام على معنى: أفلا يعلم الانسان ان لكنوده تبعة ستلحقه ويجازى بها، وقيل: إنّ قوله تعالى: «إنّ ربهم بهم يومئذ لخبير» قائم مقام المفعولين، وقد كسر حرف التأكيد للفصل.

ثم استونف فقيل: «إذا بعثر ما في القبور الخ» تأكيداً للانكار. وفي عامل «إذا» وجوه: أحدها - أنّ العامل في «إذا» قوله تعالى: «يعلم» ثانيها - أنّ العامل في «إذا» مادلّ عليه قوله تعالى: «إنّ ربّهم بهم يومئذ لخبير» والمعنى: إذا بعثر جوزوا ثالثها - العامل في «إذا» قوله تعالى: «بعثر» ولا يعمل فيه «يعلم» إذلا يراد به العلم من الانسان ذلك الوقت، إنّما يراد به العلم منه في الحياة الدّنيا، ولا يعمل فيه «خبير» لأنّ مابعد «ان» لا يعمل فيما قبلها، إذ لو قلت: يوم الجمعة إنّ زيداً لقائم لم يجز إلّا على كلامين، واضمار عامل لـ «يوم» كأنّك قلت: اذكر يوم الجمعة ثم قلت: إنّ زيداً لقائم، فلا يعمل فيه قائم ألبتّة.

و«بعثر» فعل ماض، رباعيّ، مبنيّ للمفعول، و«ما» موصولة في موضع رفع، فاعل نيابيّ لـ «بعثر» و«في القبور» جمع القبر متعلّق بمحذوف، وهو صلة الموصول.

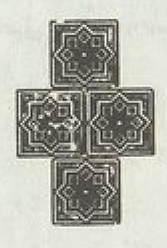
١٠- (وحصل ما فى الصدور)

الواو للعطف، و«حصّل» فعل ماض من باب التفعيل، مبنيّ للمفعول ، و «ما» موصولة في موضع رفع، فاعل نيابيّ لـ «حصّل» و «في الصدور» جمع الصّدر متعلّق

بمحذوف، وهو صلة الموصول.

١١- (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

«ان» حرف تأكيد، و«ربهم» الرب المضاف إلى ضمير الانسان باعتبار المعنى، إسم لحرف التأكيد، و«بهم يومئذ» كلاهما متعلقان بـ«خبير» وجاز أن يعمل ما بعد اللام فيما قبلها هيهنا لأن اللام في تقدير التقديم، فجاز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها بخلاف «إن» وذلك ان التقرير في اللام أن تكون في الابتداء، وإنما دخلت في الخبر لدخول «إن» على الابتداء، فعمل الخبر فيما قبله، وإن كان فيه لام على أصل حكم اللام في التقدير قبل الابتداء.



﴿البيان﴾

١ - (والعاديات ضبحاً)

قسم ربّاني بخيل الغزاة في سبيل الله، وخيل الجهاد لردع الطغاة بالخصوص، وهي تعدو عدواً شديداً تسمع أصوات أنفاسها، أشبه بأنفاس الانسان وهو يلهث أثناء الجري... وسمّي «ضبحاً» حكاية لصوت الخيل الذي يشبه صوت هذا اللفظ عند النّطق به «ضبح».

إنّ الله عزّ وجلّ أقسم بالخيل المتّصفة بصفاتها الّتي ذكرها بالأعمال الّتي سردها لينوّه بشأن الخيل وما إليها من القوى الدفاعية، ويعلي من قدرها في نفوس المؤمنين أهل العمل والجدّ ليعنوا بقنيتها وتدريبها على الكرّ والفرّ وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسيّة والتدرّب على ركوب الخيل وما إليها والإغارة بها ليكون كلّ واحد منهم مستعدّاً في أيّ وقت لأن يكون جزء من قوّة الامّة إذا اضطرّت إلى صدّ العدوّ أو بعثها باعث على كسر شوكته.

وفي آيات أوائل السورة، وفي قوله جلّ وعلا: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم» الأنفال: ٦٠) وفيما نزلت الآيات القرآنيّة، والروايات الواردة في ذلك مما يحمل كلّ فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدّمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل وما إليها من القوى الدفاعيّة، ويبعث القادرين منهم على قنية الخيل وما إليها على التنافس في عقائلها، وأن يكون في السّباق عندهم يسبق بقيّة الفنون إتقاناً مما لاينبغي أن يخفى.

ان ّ المقسم به هنا هو الخيل في حال عدوها، حاملة فرسانها إلى معركة القتال، وهي تعدو ضابحة، وهي تورى في عدوها ناراً تنقدح من إحتكاك حوافرها بالحجارة الّتي تعدو عليها، وقيل: إنّ في هذا ما يشير إلى أنّها تسير تحت جنح الظلام بفرسانها حتّى لا تراها عين العدوّ، وحتّى لا ينذر بها هذا العدوّ ويأخذ حذره من المفاجأة حين تطلع عليه على غير إنتظار، ولهذا يظهر هذا الشرر الّذي ينقدح من إحتكاك حوافرها بالصوّان... كما يقول الشاعر في وصف سيوف الأبطال في الحرب:

تقدّ السلوقيّ المضاعف نسجه　　وتوقد بالصفاح نار الحباحب

فاذا بلغت الخيل المكان الّذي تشرف به على عدوّها، أمسكت عن السير حتّى تهجم عليه وتبغته على حين غفلة منه، مع مطلع الصبح قبل أن يدبّ دبيب الحياة في الأحياء...

فهذه ثلاثة أقسام بالخيل في مسيرتها نحو معركة القتال، فاقسم الله جلّ وعلا بها، وهي في أوّل طريقها إلى القتال، ثم أقسم بها، وهي تكيد للعدو، فتسير إليه ليلاً، وتستخفي نهاراً، ثمّ أقسم بها وهي تلقى العدوّ بغتة مع أوّل النهار.

وفي هذا تعظيم لمسيرة هذه الخيل في كلّ حال من أحوالها، وإنّها لجدير بها أن تكون خيل المؤمنين، الّتي تسير هذه المسيرة المباركة للجهاد في سبيل الله جلّ وعلا وإنّ هذا التدبير لجدير أن يكون من تدبير المؤمنين في لقاء العدوّ، فيلقون عدوّهم بالعدد والعدد، وبالتدبير والمكيدة، وبهذا يكتب لهم الغلب ويتحقّق لهم النّصر.

٢ ـ (فالموريات قدحاً)

وصف ثان عام للقوّة الدّفاعيّة بايقاد الشرارة والشعلة والنار بسبب الحكّ الشديد بالشيّ الصّلب لبعث الشّرر، فلا يختصّ بالخيل والإبل.

٣ ـ (فالمغيرات صبحاً)

صفة ثالثة للقوّة الدّفاعيّة، قيل: هي صفة أصحاب الخيل ونسبتها إلى الخيل مجاز، وفي إسناد الاغارة الّتي هي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الاسر إلى جياد

الخيل وما إليها ، وهي حال صاحبيها ايذان بأنّ الخيل و ما إليها هي العمدة في إغارتهم، وذلك لولا القوّة والدّفاعيّة لكلّ اسرة أوامّة لتخلّ بأقلّ من الدّس .

مضافاً إلى أن لاعدل بلاقوّة منفذة و رادعة كما أنّ القوّة بلاعدل ظلم و فساد ، فيجب على المسلمين العناية بها لصيانة الحق والعدل من عبث المعتدين .

٤ـ (فأثرن به نقعاً)

إلفات إلى موقف القوّة الدّفاعيّة ، وقد دخلت ميدان القتال ، إنّها تثير فيه الغبار بسرعة هجومها، وتنقّل ركبانها عليها بين كرّ و فرّ ومحاورة ومداورة إنتهازاً للفرصة الّتي تمكّن من العدوّ وتصيبه في مقاتله .

وفي تخصيص الاثارة بالصبح لأنّه لايثور أو لايظهر الثوران بالليل، فالمعنى: فهيّجن بالعدو والاغارة والهجوم بغتة غباراً وقت الصّبح .

٥ ـ (فوسطن به جمعاً)

في الفاءات الأربع من الدّلالة على ترتّب مابعدها على ماقبلها من أنّ توسّط الجمع مترتب على الإثارة المترتّبة على الإغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو للهجوم على الأعداء في مأمنهم ليوقعوا المهابة فيهم و يخسروهم معنوياتهم في البداية ويخسرهم أنفسهم في النهاية ، وفي ذلك من فنون الحرب والغلبة مالا يخفى على الغازي الخبير .

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن القوى الدّفاعيّة من الخيل وما إليها وإن جائت فرادى وهي متجهة إلى معركة القتال ، وميدان الحرب ، فانّها لاتشتبك مع العدوّ في الحرب إلّا مجتمعة ، حيث يضرب المغيرون عليهم عدوّهم بيد مجتمعة قوية متمكّنة ، وإشارة اخرى إلى أنّ هذه القوى إنّما تدخل المعمعة بركبانها ، وتهجم على قلب العدوّ ، وتدخل في كيانه ، لا أنّها تخطف الخطفة من بعد دون أن تلتحم بالعدوّ وتختلط به .

وفي العطف بالفاء في الفعلين الأخيرين : « فأثرن ـ فوسطن » إشعار بأنّهما

من أفعال تلك القوى الدّفاعيّة، وأنّهما داخلان في حيّز القسم بها، فالتقدير: فالمثيرات به نقعاً، فالمتوسطات به جمعاً.

و كلّ ذلك تخطيط للحرب، ولما ينبغي أن يكون من تدبير جيش المسلمين في لقاء العدوّ، فهو درس بليغ في الحرب يأتي عرضاً، فيكون أثره أبلغ و أوقع من الدّرس المباشر الّذي يواجه الانسان مواجهة الاستاذ لتلميذه... فلقد جاء العرض للخيل و ركبانها و أفعالهم في الحرب، والمسلمون محصورون في مكّة واقعون تحت قبضة المشركين، لايدور في تفكيرهم أبداً أنّهم سيكونون يوماً هم فرسان هذه الخيل، وهم جنود الله، تعدو بهم هذه العاديات إلى الجهاد في سبيل الله تعالى فيمكن الله لدينه بهم في الأرض، ويقيم بهم دولة الإسلام!

٦ - (ان الانسان لربه لكنود)

جواب للأقسام الثلاثة المتعقّبة، إخباراً عمّا في طبع أكثر الناس من إتباع الهوى والانكباب على عرض الدّنيا ومتاعها، والانقطاع به عن شكر ربّهم على ما أنعم عليهم، و عن أداء حقه بالامساك والبخل وصرفها فيما لايجوز، ولذلك جاء الحكم مطلقاً إذ ليس في الناس إلّا قلّة قليلة تعرف فضل الله عزّ وجلّ عليها وإحسانه إليها، وإلى هذا يشير قوله تعالى: «وقليل من عبادي الشكور» سبأ: ١٣) فالمراد بالإنسان هو المتّصف بالكنود لا كلّ أفراده.

فالآية الكريمة تنديد بالذين يعرفون نعم الله تعالى عليهم ثم ينكرونها قلباً أو قولاً أو عملاً، وفيها زجرهم عن هذه الأخلاق الذميمة وحملهم على الارعواء و تذكيرهم بنعم ربّهم عليهم، و فيها تعريض للقوم المغار عليهم، فكأنّ المراد بكنودهم كفرانهم بنعمة الاسلام الّتي أنعم الله تعالى بها عليهم، وهي أعظم نعمة أوتوها فيها طيب حياتهم الدنيوية، و سعادة حياتهم الاخروية الأبدية: «قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان» الحجرات: ١٧) «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً»

المائدة : ٣) .

وفي تقديم الجار «لربّه» على متعلّقه : «الكنود» من إفادة التخصيص و رعاية الفواصل، مزيدتقريع يعنى انّ هذا الانسان التابع لهواه هو لنعمة ربّه خصوصاً لشديد الكفران ، فكيف نعمة غيره مثل الأبوين وغيرهما .

وفي الآية الكريمة من التأكيدات الثلاث بحر في التأكيد وبالجملة الاسمية مالايخفى على الأديب الأريب .

٧ - (و انه على ذلك على لشهيد)

تحذير وتنديد بكنود الانسان وإستدعاءه له أن يستحضر وجوده ويحاسب نفسه فيرى - إن كان على علم وحق - أنّه مقصّر في حقّ الله جلّ وعلا ، وجاحد لفضله عليه إذ يشهد عليه آثار أفضاله تعالى، وفي الآية كالسابقة والتالية من التأكيدات الثلاث مالايخفى .

٨ - (و انه لحب الخير لشديد)

إخبار أيضاً عما في طبع الانسان من حبّ الدنيا ومتاعها وهو رأس كلّ خطيئة فهو يراه خيراً في حيونة حياته في الدنيا فيبخل به ويبالغ في إمساكه ، وهذه طبيعة الانسان مالم يخالط قلبه الانسان فيغيّر من تصوّراته وقيمه و إهتماماته ويحيل كنوده إعترافاً بفضل الله جلّ وعلا شكراناً بالكفران، انّه يظلّ مرتكساً في حمأة الأرض سجيناً في سجن اللذّات ما لم يتحرّر بالايمان والهدى عن حبّ اللّذات إلى حبّ خالق الذّوات واللذّات ، فلا بأس بحبّه شريطة أن لاينسى الوقوف بين يدي الله تعالى للحساب عليه ، وإلّا أخذ بأقسى العقوبات . . .

وفي الآية الكريمة تنديد باستغراق الانسان في حبّ المال ، وإنذار له عليه ، حبّه الشديد لتحصيل المال والاستكثار منه هو آفته التي تنسيه فضل الله عزّ وجلّ عليه ، فيغمط حقوق الله تعالى ويعمى عن وجوه الانفاق في سبيل الله جلّ و علا ، وفي التعبير عن المال بلفظ الخير - إشارة أنّه خير في ذاته ولكنّه قد يتحوّل في أيدي

كثير من الناس إلى شرّ مستطير يحرق أهله .

و في وصف الانسان بهـذا الوصف بعد وصفه بالكنود ايماء إلى أنّ من جملة الأمور الداعيـة للمنافقين إلى النفاق حبّ المال ، فتمسك نفسه ، ولا تنفق في وجوه البرّ .

٩ـ (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)

كناية عن بعث الناس وخروجهم من قبورهم يوم القيامة ، على طريق تساؤل في معرض الإستنكار والإنذار والتهديد والتوبيخ والتخويف بالعلم التام الأزلي الأبدي الشامل لأحوال مبدأ الانسان ومعاده ، والتحذير من كنوده وحبّه المال بأنّ ما عمله سيجازى عليه يوم القيامة ، والتذكير عما إذا كان الانسان لايعرف انّ الله عزّ وجلّ هو محاسبه على ما يقدم من عمل حين يبعث من قبورهم فيواجهون بأعمالهم . . .

والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام أي أيجحد هذا الانسان ويكندو يمسك ويقطع ماينبغي أن يواصله بالبرّ وسعيه أو لايلاحظ فلايعلم حاله ولايعلم ، وفي حذف مفعول : «يعلم» إستدعاء للعقل أن يبحث عن هـذا المفعول ، و أن يستدلّ عليه ، وفي هذا مايدعوه إلى إعمال فكره ، فيجد العبرة والعظة . . . أي أفلا يعلم ما يكون في هذا اليوم ؟ إنّه لو علم لكان له مزدجر عن غيّه و ضلاله .

١٠ـ (و حصل ما فى الصدور)

كناية عن مواجهة الناس بما حفظ عنهم وسجّل عليهم من أعمال ونوايا ، فيرونها عياناً بين أيديهم فلا يستطيعون على إنكارها .

قيل: ولم يقل: «مافي القلوب» بدل «مافي الصّدور» لأنّ القلب مطيّة الرّوح وهو بالطبع محبّ لمعرفة الله جلّ وعلا ، و إنّما المنازع في هذا الباب هو النفس ومحلّها مايقرب من الصّدر .

١١ - (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

تذكير لهم بالآخرة ، وتحذير لهم من أعمالهم الفاسدة ونواياهم الكاسدة ، لإحاطة الله تعالى بها فلسوف يظهر لهم جلياً ان الله عز وجل خبير بهم وبأعمالهم ، فيحاسبهم عليها ويجازيهم في الدار الآخرة ، فإن الإنسان متى علم أن خالقه يرى جميع أعماله ويعلم جميع خفاياه وأسراره ويحقق ذلك لابد أن ينزجر عن المعاصي . . .

فالآية الكريمة تعقيب على السئوال المتقدم : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور » أي فاذا لم يكن الانسان يعلم ماذا يكون في يوم القيامة فليذكر هذه الحقيقة المطلقة التي ينادي بها في الوجود كله وهي حقيقة ثابتة : « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » فاذا علم هذه الحقيقة وآمن بها ، علم ماذا يكون عليه حاله يومئذ ، إن ربه الذي يعلم كل شيء ، قد علم ما كان منه في الحياة الدنيا، وأنه محاسبه على ما عمل ، فليس الظرف في قوله عز وجل : « ان ربهم بهم يومئذ لخبير » قيد لعلم الله تعالى و حصره في هذا اليوم ، بل إن علم الله بما يعمل الناس هو علم دائم متصل ، ولكن علمه جل وعلا في هذا اليوم بأعمال الناس ونواياهم يقتضي محاسبتهم عليها ، وجزاؤهم بما عملوا ، فهذا يوم الجزاء لعمل كل عامل .

ومن المعلوم أن الله تعالى عالم بعباده وبأعمالهم وخفاياهم في كل وقت ومكان لا يومئذ فقط، ولكن التقييد لأجل الجزاء يومذاك على حسب العلم بالأعمال والأقوال والأحوال وإليه المصير والمآب .

فان تسئل : إن الله تعالى لخبير بما في قلوب العباد وبأعمالهم في كل حال إذ قال: « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً » الاسراء : ٩٦) وقال: « بل كان الله بما تعملون خبيراً » الفتح : ١١) وقال : « هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة » المجادلة: ٧) فما وجه تخصيص ذلك بذلك اليوم ؟

تجيب عنه ـ إجمالاً ـ : انّ المقام ليس بصدد بيان علمه الشامل ، بل المقام في صدد علمه جل وعلا بأحوال العباد وبأعمالهم يوم التناد ، فهو يجازيهم على ما يتعلّق بهم من الأعمال والنوايا، فالعلم مجاز عن المجازاة ، ويقرب منه قوله تعالى: «يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم انّ الله سريع الحساب» غافر:١٦ـ١٧)

وقيل: إنّ تقييد العلم بذلك الزّمان حيث قال: «يومئذ» وهو عالم بأحوالهم أزلاً وأبداً والتعبير عن مجازاتهم على ما كسبت أيديهم بالخبرة بهم والعلم المحيط بأعمالهم هو التّوبيخ والتهديد بهم كما أنك تقول لشخص في معرض التهديد : سأعرف لك عملك هذا مع أنك تعرفه الآن قطعاً، ولا يخفى عليك منه شيء ، وإنّما عرفانه الآتي هو ظهور أثر المعرفة وهو مجازاته بما يستحقّ ، فكأنّه تعالى قال : انّ من لم يكن عالماً في الأزل فإنّه يصير بعد الإختبار عالماً ، فالّذي هو عالم في الأزل كيف لا يكون خبيراً بهم في الأبد ، فمن كان خبيراً في الأزل والأبد بأحوال العباد فكيف لا يجازى كلّ عامل بما استحق .

وفي الآية الكريمة من تأكيدات ثلاث بأداتي التأكيد والجملة الاسميّة ، ومن إضافة الرب إلى ضميرهم المنبيء إلى التربية الشاملة ما لا يخفى ، وفي تقديم «بهم يومئذ» على متعلقه : «لخبير» لرعاية الفواصل ، و انّ اللام غير مانعة من ذلك لتقدّمها رتبة .

وفي تلوين الافراد بالجمع ـ نظراً لمعنى الانسان ـ دلالة على شمول علمه عزّ وجلّ بجميع ما في صدور العباد وبأحوالهم وأعمالهم . . . مؤمناً أم كافراً ، ذكراً أو انثى ، خيراً أم شرّاً ، صغيرها أو كبيرها .

﴿الاعجاز﴾

واعلم أنّ هذه السورة مع قصرها معجزة على جهات عديدة:

الاولى : من جهة الاسلوب والتنسيق، ومن التنويه بشأن ما يدافع به عن حوزة الحق وأهله، وتعلية قدره في فكرة المسلمين ليحملهم على عنايتهم بذلك ليكون كل واحد منهم مستعداً في أيّ وقت للدفاع عن كيان الاسلام والمسلمين، كما أشار تعالى في سورة «العصر» إلى الايمان وصالح العمل، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر تجاه إحقاق الحق وسبيله.

وهذه أركان اربعة لسعادة الانسان وفلاحه ، وسلامة المجتمع وصلاحه ولا يمكن بنيلها إلّا بالقوّة الدفاعيّة عن حوزتها، فانّها بلامدفع تنحلّ بقليل من الدسّ، إذ لا عزّة مع الضعف، ولا ايمان بغير القوّة، وإنّما العزّة والقوّة في المادّة والروح معاً، وليس المؤمن من صغرت نفسه، وضؤل شخصه، وأمسك من دنياه بقبض الريح منها.

كفاك فضلاً لهذه القوّة عناية الله جلّ وعلا لها أن يقسم بها قسماً بالمسرعات في سبيل الله تعالى، قسماً بالمناضلات في معركة الشرف والكرامة، وقسماً بالطاقات والخطوات المجيدة في ميدان الدفاع عن كيان الحق وأهله ، و خضد شوكة الاعداء و صدّ عدوانهم ، سواء أكانت هذه القوى الدّفاعيّة خيلاً و إبلاً - كما تناسب زمن نزول السورة - أم دبابات و طائرات و أشباهها - كما تناسب

الأزمان - يدافع بها الانسان عن نفسه و نفيسه، ويدافع بها الامّة الاسلاميّة عن شريعة الله جلّ و علا و عن أرضها وعرضها في كل وقت و مكان، فانّ شريعة الدّفاع لا تختصّ بزمن الخيل والابل، و لذلك أشارت السورة إلى القسمين كليهما إذ أخذت مثالاً: «العاديات ضبحاً» زمن نزولها، ثمّ وصفتها بما لاتختصّ بالخيل والابل في قوله عزّ وجلّ: «فالموريات قدحاً و المغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً» فانّ هذا الكتاب كتاب خالد نزل لكل زمن لالزمن نزوله فحسب.

فيجب على المسلمين أن يتسلّحوا بالقوى الدّفاعيّة المناسبة لكلّ وقت لهذه الأغراض كما أمرهم الله جلّ وعلا به في قوله: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم» الأنفال: ٦٠)

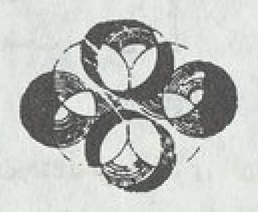
الثانية: من ناحيّة التنبيه الموجه إلى واقع أكثر الناس تجاه هذه الدّعوة فوقع كمانبّه جدّاً كما عليه المنافقون في كلّ زمان بفداء الحق و أهله بالدنيا لا ستغراقهم في حبّ المال وما إليه مما ليس فيه إلّاخسران مبين في قوله تعالى: «انّ الانسان لربّه لكنود و انّه على ذلك لشهيد و انّه لحب الخير لشديد».

الثالثة: من جانب تضمّن السورة إخباراً لرسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم بما يجري في غارة سريّة يبعثها بعد ذلك على الأعداء و إمعانها فيهم فوقع على ما اخبر به.

والرابعة: من جهة الاخبار بما سيقع في الدار الآخرة لحثّ الانسان على ما هو الغرض والقصد منه منها، ودليل صدق الأخير هو الثلاث الاولى.

وبالجملة: ففي الآيات الخمس الاولى من الايماء إلى تجهيز القوى للدّفاع

عن الحق ٭ وإعلاء كلمته، وإلى قواعد الحرب والغلبة على الأعداء، كما أن ٭ في الخمس الاخرى من الايماء إلى من يتكاسل ويتوانى في ذلك، وما يتعلّق به، مختتماً بأن ٭ الله تعالى لخبير بهم وبهم ما لا يخفى على الغازي المدافع، ولا على المصلح السياسي ٭، ولا على المتدبّر الاجتماعي ٭.



﴿التكرار﴾

واعلم أنّ خمس سور قرآنية يشتمل كلّ واحد منها على إحدى عشرة آية:

١- سورة الجمعة. ٢- سورة المنافقون. ٣- سورة الضّحى. ٤- سورة العاديات. ٥- سورة القارعة.

ونحن نشير في المقام إلى صيغ إحدى عشرة لغة -أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة- الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة:

١- جاءت كلمة (العدو) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ١٠٦ مرّة.

٢- « « (الضّبح) « « « : مرّة واحدة : وهي في هذه السّورة:١).

٣- « « (الورى) « « « : ٥٠ مرّة.

٤- « « (القدح) « « « : مرّة واحدة : وهي في هذه السّورة: ٢).

٥- « « (الغور) « « « : خمس مرّات:

١- سورة الكهف: ٤١) ٢- سورة الملك: ٣٠) ٣ و ٤- سورة التّوبة: ٤٠ و ٥٧) ٥- سورة العاديات: ٣).

٦- « « (الثّور) « « « : خمس مرّات:

١ و ٢- سورة الرّوم: ٩ و ٤٨) ٣- سورة العاديات: ٤) ٤- سورة البقرة : ٧١)

٥- سورة فاطر: ٩).

٧- « « (النقع) « « « « : مرّة واحدة :

وهي في هذه السّورة: ٤).

٨- « « (الوسط) « « « : خمس مرّات:

١ و٢- سورة البقرة: ١٤٣ و ٢٣٨) ٣- سورة المائدة: ٨٩) ٤- سورة القلم: ٢٨)

٥- سورة العاديات: ٥).

٩- « « (الكنود) « « « « : مرّة واحدة:

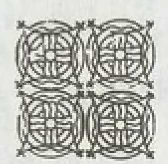
وهي في هذه السّورة: ٦).

١٠- « « (البعثر) « « « « : مرّتين:

إحداهما- في سورة الانفطار: ٤) ثانيهما - في سورة العاديات: ٩).

١١- « « (الحصول والتحصيل) « « « : مرّة واحدة :

وهي في سورة العاديات: ١٠).



﴿التناسب﴾

و اعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً.

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السّورة نفسها.

أما الاولى: فانّ هذه السّورة نزلت بعد سورة «العصر» فلمّا اشير في السورة السابقة إلى ما فيه نجاة الانسان وصلاحه، وسعادته وفلاحه من الايمان، وصالح العمل، ومن التواصي بالحقّ والصبر على ذلك والاستقامة على إحقاق الحق، أشار في هذه السورة إلى ما يحقّ به الحق ويدافع به عن حوزته، و إلى التنويه بشأن مايدافع به، وتعلية قدره في فكرة المسلمين ليحملهم على عنايتهم بذلك ليكون كلّ واحد منهم مستعدّاً في أيّ وقت للدفاع، فانّ الحق بلامدفع ينحل بقليل من الدّسّ.

و أما الثانية: فمناسبة هذه السّورة لماقبلهامصحفاً فبامور أهمّها أمران:

أحدهما ـ أنّه لما اشير في السورة السابقة إلى رؤية النّاس أعمالهم يوم القيامة بلااخفاء ذرّة منها عليهم، خيرها وشرّها، صغيرها و كبيرها، و جزائهم عليها، اشير في هذه السورة إلى أنّ أكثر النّاس لربّهم لكنود، فيؤثرون الشرّ على الخير، والحياة الدّنيا الزائلة على الدار الآخرة الباقية، فلايستعدّون لحياتهم الثانية بتعويد أنفسهم فعل الخير، فيتركون مافيه خيرهم و صلاحهم واقعاً لحبّهم

الشديد إلى ما فيه شرّهم في الواقع، وانّهم يزعمون انّه خير لهم .

قال الله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم » البقرة : ٢١٦) .

وقال : « ولا يحسبنّ الّذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم » آل عمران : ١٨٠) .

وليسواهم وحدهم شاهدين على أعمالهم، بل الله عزّ وجلّ بهم يومئذ لخبير لا يخفى عليه خافية ، لا يخفى عليه النوايا وما في صدورهم فضلاً عن الظواهر والأفعال المعمولة .

ثانيهما- أنّ الزّلزلة الّتي تزلزل الأرض يوم البعث ، والأرض الّتي تخرج أثقالها من جوفها على ظهرها، وصدور النّاس أشتاتاً من قبورهم إلى موقف الحساب ، والمواجهة هناك بين الكافرين والمؤمنين ، وفزع الكافرين وفرارهم وسرور المؤمنين وإلحاق بعضهم بعضهم . . . كلّ ذلك تمثله صورة واقعة في الحياة نجدها حين تقوم حالة حرب بين الناس ، فتزلزل الأرض تحت أقدام الجيوش الزاحفة نحو ساحة القتال ، بما يركبون من خيل ، وما يحملون من عدد القتال ، وهم يصدرون من بيوتهم في سرعة الرياح العاصفة إلى لقاء العدوّ ، لا يمسكهم شيء عن الانطلاق حتّى يبلغوا ساحة الحرب . . .

قوم إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم　　　　طاروا إليه زرافات ووحدانا

هكذا يوم الحرب ، انّه من يوم الحشر قريب في أهواله وشدائده وما يلقى الكافرون وأذنابهم منه من هول وفزع وشدّة وفرار . . . ، ففي ميدان الحرب حساب وجزاء ، وفي معركة القتال ربح وخسران وهول وفزع وسرور وفرح يشمل المحاربين جميعاً ، فالحرب وميدان القتال في الحياة الدنيا هي أقرب شيء يمثّل به المحشر والحساب والجزاء في الدّار الآخرة ، ولهذا جاءت سورة « العاديات » تالية سورة « الزلزلة » لهذه المشابهة الّتي بينهما .

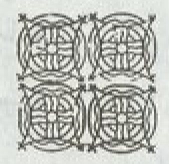
و أما الثالثة: فلمّا أقسم الله جلّ و علا بثلاثة أشياء: «العاديات» و «الموريات»، و «المغيرات» جعل جوابها أيضاً ثلاثة أشياء: من كنود الانسان لربّه، و شهادته على عمله، و كونه شديد الحبّ بما فيه خيره بزعمه وليس كذلك.

و تدبّر في ثلاثة أقسام بالخيل و ما إليها في مسيرتها نحو الحرب إذ أقسم بها و هي في أوّل طريقها إلى القتال، ثم أقسم بها وهي تكيد للعدو، فتسير إليه ليلاً و تستخفي نهاراً، ثمّ أقسم بها وهي تلقى العدوّ بغتة مع أوّل النهار.

و أمّا التناسب بين القسم والمقسم به فانّ المقام مقام الجهاد في سبيل الله تعالى والدفاع عن حوزة الحقّ وأهله، وانّ الجهاد تعقبه الغنائم غالباً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا...» وفي حديث آخر: «انّ الدّنيا خضرة حلوة و انّ الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون».

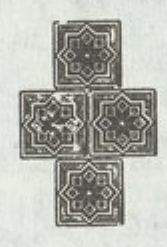
ولقد غزا المسلمون وانتصروا وفتحت لهم الدنيا ونالوا العزّ والغنى والمال فالله تبارك وتعالى يذكر هؤلاء الغزاء ومن ينحو نحوهم من بعدهم في ضمن نوع الانسان قائلاً ما معناه: إيّاكم أيها الغزاء أن تقصدوا جمع المال، فانّه يوشك أن يكون حائلاً بينكم وبين الفضائل، فتعاقبوا يوم القيامة، و هذا تحذير بلطف و إرشاد على طريق الاشارة، لأنّه ليس بجدير أن يكون القوم مجدّين في الجهاد ويدافعون عن حوزة الحقّ و أهله و كسر شوكة الأعداء فيقال لهم: ستحاسبون على النّعم، بل يكتفي بالتلميح، ثمّ انّ ما خاف النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد تمّ فعلاً إذ أصبحت الامة الإسلاميّة متحاربة متقاطعة متدابرة، و أصبح بأسهم بينهم شديداً، و فرّق حبّ المال جمعهم، وتحاربوا على الملك، لأنّ الملك يأخذ من المال ما يشتهي، ثمّ انّ كل عقاب في الآخرة يتقدّمه عذاب الدنيا أصلح الله جلّ وعلا امورهم وأعاد عزّهم الإسلامي بحقّ محمّد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

ثم أتبع ذلك باستفهام إنكاري توبيخاً و وعيداً و تذكيراً لهم بالبعث و ما يكشف ما في صدورهم، وليسواهم وحدهم شاهدين على ذلك فينكرون يومئذ ما عملوا في الحياة الدنيا، بل الله عز وجل بكل ما في صدور العباد و بأعمالهم يومئذ لخبير فلا يستطيع أحد بانكار متعلقاته . . .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً أو متشابهاً فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿تحقيق في الاقوال﴾

١- (والعاديات ضبحاً)

في «العاديات» أقوال: ١- عن إبن عبّاس وأنس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع وعطاء وعكرمة: هي الخيل الّتي يغزو عليها المؤمنون الكفّار، والضبح من الخيل: الحمحمة، ومن الابل: التنفّس. والمعنى: الأفراس تعدو- في سبيل الله فتحمحم. ٢- عن إبن عبّاس أيضاً وإبن مسعود والسدى: هي إبل حين ذهبت إلى غزوة بدر تمدّ أعناقها في السير وسمّيت العاديات لاشتقاقها من العدو وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي. ٣- قيل: هي إبل الحاج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى يوم النحر.

قالت صفية بنت عبدالمطلب:

ألا والعاديات غداة جمع بأيديها إذا سطح الغبار

والعاديات جمع العادية من العدو وهو الجري، فتتنفّس في إرتفاعها بركبانها من الجمع إلى المنى يوم النحر.

٤- قيل: العاديات من العدو وهو الجري السريع، فيشمل خيل الغزاة الّتي تعدو لقتال الكفار لكيان الاسلام ونواميس المسلمين، ويشمل الابل والسيارات والدّبابات تسرع في الحركات...

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين، ومن غير بعيد أن تكون الأقوال من

قبيل بيان المصاديق باعتبارات ومناسبات فتدبّر جيّداً.

وفي «ضبحاً» أقوال: ١- عن قتادة وأبي صالح: الضبح: الحمحمة. وعن الفرّاء: الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدون. وعن إبن عباس: ليس شيء من الدّواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وإنّما تضبح هذه الحيوانات إذا تغيّرت حالها من فزع أو تعب أو طمع. وقيل: الضبح: صوت ليس بصهيل ولا حمحمة، بل هو صوت نفس حينما تركض وتتعب. وكان إبن عبّاس يصف الضبح: اح اح. وهو صوت أجواف الخيل إذا عدت. ٢- قيل: الضبح: أن يجعل شيء على فم البعير لئلا تصهل فيعلم العدوّ بهم، فكانت تتنفّس في هذه الحال بقوّة. وقيل: الضبح هو شدّة النفس عند العدو. وقيل: هو صوت أنفاس الخيل حين الجري.

٣- قيل: الضبح هو الصهيل. ٤- قيل: الضبح: الرماد. ٥- قيل: الضبح نوع من السير. ٦- عن المبرّد: الضبح: مدّ اضباعها في السير. ٧- قيل: الضبح: أن تمدّ أعناقها في السير حتّى لا يجد مزيداً ٨ قيل: الضبح هو صوت أرجل الخيل عند العدو.

٩- قيل: الضبح صوت قوّة هاجمة دفاعيّة على الأعداء من الخيل أو الابل أو السّيارات والطيّارات الغازيات...

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين، ولكن الأخير هو الأنسب بالغرض العام كالمتقدّم.

٢- (فالموريات قدحاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس وعكرمة وعطاء والضحاك: هي الخيل الّتي تورى النار بحوافرها، وهي سنابكها إذا صارت في الحجارة والأرض المحصبة، فانّ الحوافر ترمى بالحجر من شدّة العدو فتضرب به حجراً آخر فتورى النار بعد إنصراف الغزاة من الحرب أو قبله. وعن مقاتل: أي يقدحن بحوافرهنّ النار في الحجارة. وهذا مشاهد عند عدو الخيل حينما تصطدم حوافرها بقطع الصخر

فتقدح شرارة وتسمّى نار الحباحب.

٢- عن إبن عبّاس أيضاً وإبن مسعود: هي الابل التي تطأ الحصى، فتخرج منها النار. وأصل القدح: الاستخراج، ومنه قدحت العين إذا اخرجت منها الماء الفاسد. ٣- عن إبن عبّاس أيضاً و مجاهد وزيد بن أسلم و قتادة : إنّ المراد بالموريات قدحاً مكر الرجال في الحرب، تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لاورين لك بزندوار ولا قدحنّ لك. وهي أفكار الرجال تورى نار المكر والخديعة. ٤- عن إبن عبّاس أيضاً : هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم. وقيل: إنّ الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوى إلى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم. ٥- عن إبن عباس أيضاً: أنّها نيران المجاهدين إذا كثرت نارها إرهاباً. وكلّ من قرب من العدو يوقد نيراناً كثيرة ليظنّهم العدوّ كثيراً. وعن محمدبن كعب: هي النّار تجمع ٦- عن عكرمة: هي السنة الرجال تورى النار من عظيم ماتتكلّم به، ويظهر بها من إقامة الحجج وإقامة الدّلائل و ايضاح الحق وإبطال الباطل.

٧- قيل : أي الحجاج يركبون الابل إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة فانّ الورى هو ايقاد الشرارة والشعلة والنار. ٨- عن إبن عبّاس أيضاً : يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فاورت منه النّار مثل الزناد إذا قدح. ٩- قيل : الموريات : المسرعات التي تخرج النّار نتيجة سرعة الحراك والعدو هجوماً على العدوّ «قدحاً» صكّا بصدام السير لسرعة ، سواء أكانت الخيل الغازية ، أم الطيّارات السريعة في الجوّ تورى من إصكاكها الجوّي قدحاً ، أو سرعة الدّبابات الموربة بصدامها عبر سيرها الأرضى او السفن المقاتلة السريعة كذلك في الماء .

أقول : والأوّل هو المروي ولكنّه لاينا في التعميم إذاكان هو الغرض.

٣- (فالمغيرات صبحاً)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس ومجاهد وعكرمـة وقتادة: أي الخيل الّتي تغير في سبيل الله على العدوّ عند الصبح بغتة، فتهجم عليهم وهم غافلون، وانّ الاغارة هي صفة أصحاب الخيل فنسبتها إليها مجـاز، فالمعنى: أغار القوم بعد ما أصبحوا على عدوّهم بغتة، وذلك أنّ الغزاة كانوا إذا أرادوا الغارة سروا ليلاً و يأتون العدوّ صباحاً لأنّ ذلك وقت غفلة الناس.

٢- قيل: أي لعزّهم أغاروا نهاراً فصبحاً بمعنى علانيّة تشبيهاً بظهور الصبح.

٣- عن عبدالله بن مسعود ومحمد بن كعب القرظي: هي الابل حين تدفع بر كبانها يوم النحر من جمع إلى منـى إذ يفيضون من جمع ، و السنّة ألّا تدفع حتّى تصبح ، والاغارة: سرعـة السير فانّ الحجاج يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين إلى منى .

٤- قيل: إنّ الله تعالى أقسم بالمغيرات صبحاً من غير تخصيص بمغيرة دون مغيرة فكل مغيرة صبحاً فداخلة فيما اقسم به، سواء أكانت خيلاً أم قوّة دفاعيّة اخرى.

أقول: والأخير هو الأنسب بالغرض العام.

٤- (فأثرن به نقعا)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: فخيل الجهاد في سبيل الله هيّجن الغبار بشدّة عدوهنّ في المكان الذي أغارت به. و قيـل : أي فهيّجن بمكان عدوّهن غباراً بغتـة وقت الصّباح حين تطؤ الأرض و المـكان باخفافهـا و حوافرها ، و هو لدي الهجوم على الأعـداءِ فيرتفع الغبار عنده فعلى الأوّل فالضمير : «به» راجع إلى الجري السريع للخيل، وعلى الثاني راجع إلى مكان الأعداءِ أو قريب منه من الوادي.

٢- عن إبن عبّاس ومحمدبن كعب القرظي: أي إبل الحجاج أثرن بعدوهن ما بين مزدلفة إلى منى غباراً حين تطؤها باخفافها وحوافرها. والمعنى: فهيّجن بأرض منى و المزدلفة في طريق الوادي غباراً بسرعتهن. ٣- قيل: النقع: رفع الصوت الشديد أي متى سمعوا صراخاً أحلبوا الحرب أي جمعوا لها. وقيل: النقع: وضع التراب على الرأس. ٤- قيل: أي تهيج دخاناً أثناء الجرى لايقاد الشرارة و الشعلة والنّار.

٥- قيل: أي هيّجن بوقت الصبّاح غباراً بشدّة حركتهن. ٦- قيل: أي فهيّجن بميدان القتال غباراً بحركاتها وتنقّل فرسانها عليها بين كرّ وفرّ، و محاورة ومداورة إنتهازاً للفرصة الّتي تمكّن من العدو وتصيبه في مقاتلة. ٧- قيل: أي فهيّجن بسبب كل واحد من جري الخيل وما إليها من القوى الدفاعية في سبيل الله تعالى وايرائهن وإغارتهنّ وهجومهنّ على الأعداءِ غباراً وقت الصباح فجأة في الوادي القريب منهم وفي مكانهم.

أقول والأخير هو الأنسب بالغرض العام.

٥- (فوسطن به جمعا)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس وعكرمة وعطاء ومجاهد: أي فوسطن بركبانهن جمع الأعداء الذين أغاروا عليهم وهم جمع الكفّار. ٢- عن مجاهد أيضاً وإبن مسعود ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والضحّاك: أي فوسطت الابل بوقت الصبّاح جمعاً أي مزدلفة، وسمّيت جمعاً لاجتماع الحجّاج بها. ٣- قيل: أي صرن- خيل القتال -بعدوهن وسط جمع الكفرة. فالمعنى: تتوسّط خيل الجهاد الجمع المغار عليه.

٤- عن الضحاك: أي صرن بذلك المكان وسط جمع العدوّ وهم الكتيبة، و هكذا يجب أن تكون الحرب أن يهاجموا الأعداء في عقر دارهم وما منهم

ليوقعوا المهابة فيهم و يخسروهم معنوياتهم في البداية و يخسروهم أنفسهم في النهاية. ٥ـ قيل : أي فوسطن بالنّقع جمعاً من العدوّ أي صرن بالغبار جمعاً من جموع الأعداء فوقعن في وسطهم ، فالباء للملابسة. والمعنى: فوسطن جمعاً ملابسين للنقع. ٦ـ قيل : أي فصرن في وقت الصبح في وسط جمع من جموع الأعداء فتفرّقوا عن جمعهم إذا رأوا تلك الغوغاء فجأة فصرن في وسط الجمع ، فالمراد بالجمع كتيبة العدوّ فالباء بمعنى «في».

٧ـ عن قتادة: أي وسطت خيل الغزاة بالقوم وهم أصحابها جمع العدوّ. ٨ـ قيل: أي وسطت خيل الجهاد بالغبار جماعة الغزاة، فالمراد بـ«جمعاً» جماعة الغزاة.

٩ـ قيل: أي فوسطت خيل الغزاة وما إليها من القوى الدّفاعية بعدوهن وايرائهن وإغارتهن وجريهن السريع وإثارتهن غباراً وقت الصّباح وهجومهنّ على الأعداء بغتة ودخولهنّ على جمعهم فجأة.

أقول : والأخير من الأقوال هو الأنسب أيضاً بالغرض العام كما تقدّم مراراً فتأمل جيداً.

٦ـ (ان الانسان لربه لكنود)

في «الانسان» أقوال : ١ـ قيل: هو الوليد بن المغيرة فانّ الآية الكريمة نزلت فيه. ٢ـ قيل : إنّ الانسان هيهنا الكافر لقوله تعالى بعد ذلك : «أفلا يعلم» . ٣ـ قيل : إنّ المراد بالانسان هيهنا جنس الانسان بأنّه مفطور على كفران النعمة لاتباعه هواه إلّا من عصمه الله جلّ وعلا بلطفه وتوفيقه بالايمان و صالح الأعمال...

أقول: و على الثالث أكثر المحققين و هو المختار عصمنا الله جلّ وعلا من كلّ زلّة و ضلال بعصمة محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قوله تعالى : «لكنود» أقوال : عن إبن عبّاس و قتادة و الحسن و مجاهد وإبن زيد : أي لكفور جحود لنعم الله تعالى. ٢- عن المبرّد : الكنود: المانع لما عليه، ومنه الأرض الكنود الّتي لا تنبت شيئاً. وأصل الكنود: منع الحق و الخير. ٣- عن الحسن أيضاً : الكنود : اللوّام لربّه بأن يذكر الانسان المصائب والمحن، وينسي الراحات والنّعم، أخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه:

يا أيّها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتّى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

٤- عن إبن عبّاس أيضاً ومقاتل والكلبى: الكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكنود :الكفور وبلسان كنانة وبني مالك: البخيل السيّيء الملكة. وقال الشاعر :

كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنوداً لنعماء الرجال يبعّد

أي كفور

وقال إبراهيم بن هرمة الشاعر:

دع البخلاء إن شمخوا وصدّوا و ذكري بخل غانية كنود

أي بخيل .

٥- قيل: الكنود هو الّذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير. ٦- قيل: الكنود: الجاحد للحق. ٧- قيل: الكنود: قاطع المواصلة من كند إذا قطع ، يقال: كند الحبل إذا قطعه قال الأعشى:

أميطي تميطي بصلب الفؤاد وصول حبال و كنّادها

ومنه سمّي رجلاً بكندة لأنّه كند أباه وقطع رحمه ففارقه.

وقال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك إنها كند لوصل الزائر المعتاد

فكأنّ الانسان يقطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر لمنعمه. ٦ـ عن أبى بكر الواسطي: الكنود: الّذى ينفق نعم الله في معاصي الله. ٧ـ عن أبي بكر الورّاق : الكنود : الّذي يرى النعمة من نفسه و أعوانه. ٨ـ عن الترمذي : الكنود: الّذي يرى النعمة ولا يرى المنعم. ٩ـ عن ذي النون المصري: الهلوع و الكنود: هو الّذي إذا مسّه الشرّ جزوع وإذا مسّه الخير منوع. ١٠ـ قيل : الكنود: هو الحقود. ١١ـ قيل: الكنود: الحسود. ١٢ـ قيل: الكنود: هو الجهول لقدره. وفي الحكمة: من جهل قدره هتك ستره.

١٣ـ قيل: الكنود: كلّ خصال مذمومة وأحوال غير محمودة. ١٤ـ عن عطاء: الكنود : الّذى لا يعطى في النائبة مع قومه. ١٥ـ عن أبي عبيدة : الكنود : القليل الخير.

أقول : و على الأول أكثر المحققين ، و الباقي من قبيل بيان المصاديق ...

٧ـ (وانه على ذلك لشهيد)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد وقتادة وعطاء : أي و انّ الله عزّ و جلّ على كفر إبن آدم و كفرانه لشهيد، و يشهد على أعمال العباد ونواياهم يوم القيامة. فالضمير راجع إلى «ربّه» وهو أقرب فيكون كالوعيد من حيث انّ الله يحصى على عباده أعمالهم... ٢ـ عن مجاهد وقتادة أيضاً والحسن ومحمد بن كعب القرظي: أي وانّ الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع في الحياة الدّنيا، فانك لو سئلته عن النعمة لم يذكر أكثرها، ويذكر جميع مصائبه ومحنه. ٣ـ قيل: أي وانّ الانسان لشهيد على أوضاع الحق الّذى في بقائه يحتاج إلى القوى الدّفاعية عن حوزته.

٤ـ قيل : أي و انّ الانسان شاهد يشهد على نفسه يوم القيامة بكفرانه

لنعم ربّه عليه في الحياة الدّنيا. ٥- قيل: أي وانّ الانسان يشهد على كفرانه في ضميره، ويشهد في أقواله و افعاله، شاء أم أبي، و سوف يشهد يوم يقوم الأشهاد مع الأشهاد على نفسه شهادة صوتية وصورية بما سجّلها ربّه عزّ وجلّ في أعضائه، فيشهد عليه لسانه بما سجّل الله فيه من أقواله، و يشهد عليه سمعه بما سجّل تعالى فيه من مسموعاته، و يشهد عليه بصره بما سجّل فيه من مرئيّاته و مبصراته، و يشهد عليه جلوده بما سجّل فيها من أعماله بظاهر الجسد، فلا يقدر عندئذ أن يجحد شيئاً مما شهدت عليه أعضائه لظهور أماراتها عليها.

٦- قيل: إنّ المراد بكون الإنسان شهيداً على كفران نفسه، علمه بكفران نفسه المذموم وتحمّله له، فالمعنى: وإنّ الانسان على كفرانه بربّه شاهد متحمّل، فالآية في معنى قوله جلّ وعلا: «بل الإنسان على نفسه بصيرة» القيامة: ١٤) فالإنسان مع كفرانه لنعمة ربّه ولجاجته في الطغيان وتماديه في الانكار والبهتان إذا خلّى و نفسه رجع إلى الحقّ، وأذعن إلى أنّه ما شكر ربّه على نعمه إلى أنّ أعماله كلّها جحود لنعم الله عزّ وجلّ، فهي شهادة منه على كفرانه شهادة بلسان الحال وهي أفصح من لسان المقال.

٧- قيل: إنّ تصرّفات الإنسان تشهد عليه انّه كافر جاحد لنعمة ربّه.

أقول: وعلى الرابع أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الأخر فتأمّل جيداً.

٨- (وانه لحب الخير لشديد)

في «لحبّ الخير» أقوال: ١- عن الحسن: أي لحبّ المال، ومنه قوله عزّ وجلّ: «إن ترك خيراً» البقرة: ١٨٠) أي مالاً، وعن إبن زيد: سمّى الله تعالى المال خيراً وعسى أن يكون شرّاً وحراماً ولكنّ النّاس يعدّونه خيراً فسمّاه الله خيراً

لذلك كما سمي الجهاد سوءاً في قوله تعالى: «لم يمسسهم سوء» آل عمران: ١٧٤) على ما يسمّيه الناس وليس عند الله تعالى بسوء.

وقال عديّ:

ماذا ترجى النفوس من طلب الـ   خير وحبّ الحياة كاربها

انّ الانسان لحبّ الخير لا لحبّ الصالح، إنّما الّذى يراه خيراً في حيوتة الحياة ملائماً في تلك الحياة اللئيمة المشئومة دون ما يصلح الايمان، و ما هو بدافع الايمان، و هذا طبيعة الانسان ما لم يخالط قلبه الايمان، فيغير من تصوّراته و قيمه و إهتماماته، و يحيل كنوده إعترافاً بفضل الله شكراناً بالكفران.

٢ـ قيل: اريد بالخير مطلقه على أن حبّ الخير فطريّ للانسان، ثم انّه يرى عرض الدنيا وزينتها خيراً فتنجذب إليه نفسه وينسيه ذلك ربّه أن يشكره.

٣ـ عن إبن زيد أيضاً: أي انّه لحبّ الدنيا لشديد. ٤ـ قيل: أي انّه لحبّ الخيرات الحقيقية غير ميسّر منبسط، ولكنّه شديد منقبض.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من غير تناف بينه وبين الأقوال الآخر.

وفي قوله تعالى: «لشديد» أقوال: ١ـ قيل: أي لقويّ في حبّه للمال. ٢ـ قيل: أي لبخيل، ويقال للبخيل: شديد ومتشدّد. وقال طرفة بن العبد اليشكري:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى   عقيلة مال الفاحش المتشدّد

والمعنى: وانّ الانسان لأجل حبّ المال لبخيل شحيح.

٣ـ عن الفرّاء: أي وانّ الانسان لحبّ الخير لشديد الحبّ للمال أي انّه يحبّ المال ويحبّ كونه محبّاً له فاكتفى بالحبّ الأوّل من الثاني، فلمّا تقدّم الحبّ قال: شديد، و حذف من آخره ذكر الحبّ لأنّه قد جرى ذكره و لرؤوس الآي كقوله تعالى: «في يوم عاصف» إبراهيم: ١٨) و العصوف للريح لا الأيام فلمّا جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من آخره ذكر الريح كأنّه قال: في

يوم عاصف الريح.

وقيل: أي لشديد الحبّ للمال. فيبخل به فيدعوه ذلك إلى الامتناع من إعطاء حقّ الله عزّ وجلّ، والانفاق في وجوه البرّ فيبخل به.

٤- قيل: أي انّه لأجل ايثار الدنيا وطلب مافيها مطيق قويّ ولأجل عبادة ربّه عاجز ضعيف.

أقـول: ولكلّ وجه من غير تناف بين الأقوال.

٩- (أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي أفلا يعلم إبن آدم إذا بعث الموتى و اخرجوا من في القبور و نشروا و «ما» بمعنى «من» كقوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع» النساء: ٣) فاريد به الجمع أي الموتي من المؤمنين والمتقين، والكافرين و المجرمين. ٢- قيل: أي أفلا يعلم هذا الانسان الجاحد لنعم الله تعالى ما يكون في هذا اليوم إذا بعث و خرج من في القبور من الموتى: المتّقين و المؤمنين، و الكافرين و المجرمين، والذكر و الانثى.

٣- قيل: أي أفلا يعلم الانسان الكنود إذ خرج ما في القبور من أجسادهم الجهنّمية: «ما» لا «من» لأنهم خرجوا عن كونهم إنساناً إلى حيوان، فلا يحقّ لهم التعبير بما يخصّ ذوي العقول: «من».

٤- قيل: أي أفلا يعلم الانسان الكنود إذا بعث كلّ من في القبور من الانسان والحيوان، فلم يقل: «من في القبور» بدل «ما في القبور» بحكم التغليب فان أكثر ما في بطن الأرض ليسوا مكلّفين، والذين هم مكلّفون يكونون حال البعثرة أمواتاً غير عقلاء ثم يصيروا أحياء بعد البعثرة.

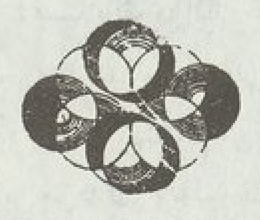
أقـول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين ما في بعض

الأقوال الاخر.

١٠- (وحصل ما في الصدور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي ميّز ما في الصدور من خير وشر. ٢- عن إبن عبّاس: أي أبرز وأظهر ما اختفته الصّدور ليجازى على السّر كما يجازى على العلانية، وبيّن ما في الصدور واقعياً وشهوداً عليها لتضطرهم إلى الاقرار. ٣- قيل: أي جمع ما في الصدور من خفايا الأعمال فرأوه عياناً بين أيديهم. ٤- قيل: أي كشف ما في البواطن من الأخبار وما في الأستار من الأستار ويندرج فيه أعمال الجوارح تبعاً.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (والعاديات ضبحاً)

إنّ الله جلّ وعلا يقول: اقسم بالخيل وما إليها من القوى الدّفاعيّة عن نواميس الإسلام وكيان المسلمين، قسماً بخيل الجهاد لردع الطغاة وكسر شوكتهم وصدّ عدوانهم، قسماً بالخيل التي تعدو في خفّة وسرعة، تسمع أصوات أنفاسها، قسماً بالخيل في ميدان القتال لدفع الفتنة، وفي معركة الشرف والكرامة، قسماً بخيل الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ التي تجري جرياً سريعاً وعدواً شديداً حين تعتزم الإغارة فيفد ونفسها ضبحاً، وقسماً بالقوى الدّفاعيّة عن حوزة الحقّ وأهله حين تسمع أصواتها المخوفة في الجري وعند الهجوم على الأعداء...

قال الله تعالى: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» الأنفال: ٦٠).

وقال: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنّاس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إنّ الله قوىّ عزيز» الحديد: ٢٤).

٢ - (فالموريات قدحاً)

ان الله تعالى يقول: واقسم بالخيل الجياد التي تخرج النّار بحوافرها، ويتطاير منها الشرر أثناء الجري وعند الهجوم على الأعداء، وما إليها من القوى الدفاعيّة عن كيان الإسلام ونواميس المسلمين لسرعة الحركة، سرعة في الجوّ فترى من إصطكاكها الجوّي شرارة وشعلة وناراً، وسرعة الدبابات المورية بصدامها عبر

سيرها الأرضي ، وسرعة السفن الغازية كذلك في الماء .

قال الله تعالى: « إنّ الله يدافع عن الّذين آمنوا ـ الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا أن يقولوا ربّنا الله ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً و لينصرنّ الله من ينصره » الحج : ٣٨ ـ ٤٠) .

وقال: « ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » البقرة : ٢٥١) .

وقال : « وقاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ـ وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدّين لله فان انتهوا فلا عدوان إلّا على الظّالمين » البقرة : ١٩٠ ـ ١٩٣) .

٣ ـ (فالمغيرات صبحاً)

ويقول الله عزّ وجلّ : واقسم بالخيل وما إليها من القوى الدّفاعية عن حوزة الحق وأهله الّتي تغير وقت الصباح الباكر باغارة أصحابها لتفاجىء العدوّ الغادر ، نعم صباحاً لتصبح غالبة على حين غفلة وغفوة من العدوّ فتهجم عليه وتبغته قبل أن يدبّ دبيب الحياة في الأحياء ، نعم صباحاً وهو وقت المفاجأة لأخذ الأعداء على غير أهبة لايكون لوجودهم أثر إلّا فتنة وفساداً في الأرض ، فكانوا يستحقّون القتل أو الاسارة و إستلاب أموالهم ، و ان وقت الصباح هو المعتاد في الغارات يعدون ليلاً لئلّا يشعر بهم الأعداء و يهجمون عليهم صباحاً ليروا ما يأتون و ما يذرون .

قال الله تعالى: « وإنّ جندنا لهم الغالبون ـ فساء صباح المنذرين » الصافات : ١٧٣ ـ ١٧٧) .

٤ ـ (فأثرن به نقعاً)

فهيّجت خيل الغزاة في سبيل الله جلّ وعلا وما إليها من القوى الدفاعيّة عن كيان الاسلام والمسلمين بسبب سرعة جريها عند هجومها بغتة وقت الصباح على الأعداء المفتّنين المفسدين غباراً في الوادي القريب منهم وفي مكانهم .

٥ - (فوسطن به جمعاً)

فوسطت خيل الغزاة في سبيل الله عزّ وجلّ وما إليها من القوى الدفاعيّة عن حوزة الحق وأهله بسبب الجري السريع والهجوم على الأعداء فجأة وقت الصباح جمعهم و هم على حين غفلة ، فكأنّهن بهذا السبك الغازي وقعن في قلب جمع الأعداء ومركزهم ، ففرّقنهم عن جمعهم وشتتن شملهم بقتل جماعة منهم و إسارة فريق منهم و هزيمة الآخرين .

وماورد في الآيات الخمس فمن باب الجري والإنطباق والتأويل والله عزّ وجلّ هو أعلم .

٦ - (ان الانسان لربه لكنود)

إنّ الانسان لكفور لنعم ربه عليه قلباً ولساناً وعملاً إذ قال : « إن الانسان لكفور » الحجّ : ٦٦) .

إنّ الانسان ليقطع بالامساك ماينبغي أن يواصله ، ومايرابط به بينه وبين ربّه باستجابة دعوة الحق ، والانفاق في وجوه البرّ ، وتركيز القوى الدفاعية عن كيان الاسلام ونواميس المسلمين ، وعن الحق وأهله ، وعن حوزة كل مافيه كماله وعيشه الهنييء ، فتأبى نفسه عن ذلك إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله جلّ وعلا .

قال الله تعالى : « والعصر إنّ الانسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » العصر : ١ ـ ٣) .

إنّ أكثر الناس لايؤدّون النّعمة حقّها بمعرفة منعمها ، و لا يشكرونها لساناً بثناء منعمها ، ولا عملاً بالتضحية والبذل في وجوه البرّ ولا يحسنون إلى المحتاجين كما أحسن الله تعالى إليهم ، وهذا حال أكثر الناس في كلّ وقت ومكان لاتباعهم أهوائهم وإنكبابهم على عرض الدنيا ومتاعها والانقطاع به عن شكر ربّهم على ما أنعمه الله تعالى عليهم ، فانّ قليلاً منهم يعرفون فضل الله عزّ وجلّ عليهم

وإحسانه إليهم ، و مع هذا فهم لن يبلغوا مهما اجتهدوا ما ينبغي لله سبحانه من حمد وشكر له .

قال الله عزّ وجلّ : « و قليل من عبادي الشكور » سبأ : ١٣) .

و ذلك انّ أكثر الناس يحصرون همّهم فيما يحضرهم ، وينسون ماضيهم ، وماعسى أن يستقبلهم، فاذا أنعم الله جلّ وعلا عليهم بنعمة غرتهم غفلتهم ، فيجحدون مافيه التربية الروحية و كمالهم وصلاحهم وفلاحهم من الايمان بالمنعم و إستجابة دعوة الحقّ ولايشكرونه ، ويغفلون عما فيه التربية الجسمية وسعادتهم الدنيوية وعيشهم الهنيء وحياتهم الطيّبة فلايشكرونه قولاً و عملاً .

قال الله تعالى : « وما يجحد بآياتنا إلّا الكافرون » العنكبوت : ٤٧) .

وقال : « وما يجحد بآياتنا إلّا كل ختّار كفور » لقمان : ٣٢) .

وقال : « والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة و رزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » النحل : ٧١ ـ ٧٢) .

٧ ـ (و انه على ذلك لشهيد)

و انّ الانسان الكنود لشهيد على نفسه ، يشهد في ضميره في الحياة الدنيا و إن لم يشهد علانية ، و في الدار الآخرة علانية يشهد على كنود نفسه وآثاره في الحياة الدنيا فانّه على نفسه بصيرة .

قال الله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً ـ يا معشر الجنّ والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا و غرّتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين » الأنعام : ١٢٨ ـ ١٣٠) .

و قال : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »

النور : ٢٤) .

وقال : « اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » يس : ٦٥) .

٨ - (و انه لحب الخير لشديد)

وانّ الانسان بسبب حبّه الشديد للمال وشغفه به وتعلّقه بجمعه وإدّخاره لبخيل ، شديد في بخله ، شحيح حريص متناه في حرصه ، مستغرق في حبّ المال ، مجدّ في طلبه ، متهالك على تحصيله ، وانّه لحبّ المال قويّ مبالغ جدّاً ، ممسك مبالغ في إمساكه ، متشدّد فيه ، يمنع منه حقّ الله تعالى ، فلا يؤدّي حقّه بالشكر والانفاق في وجوه البر .

قال الله عزّ وجل : « انّ الانسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشرّ جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً إلّا المصلّين الّذين هم على صلواتهم دائمون والّذين هم في أموالهم حقّ معلوم » المعارج : ١٩ - ٢٤) .

وقال : « كلّا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضّون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لمّاً وتحبّون المال حبّاً جمّاً » الفجر : ١٧ - ٢٠) .

و انّ حبّ المال يوجب ضعف حبّ الله تعالى وعبادته : « ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه » الأحزاب : ٤) .

٩ - (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)

أفلا يعلم هذا الانسان الكنود ، شديد الحبّ للمال ، مايكون لهم في هذا اليوم من تبعة لكنوده وإستغراقه في حبّ المال إذا بعث الموتى ، وخرجوا من قبورهم للحساب والجزاء ، من المؤمنين والكافرين ، من المتقين والفاجرين ، من المطيعين والعاصين ، ومن المصلحين والمفسدين من الذكر والانثى .

قال الله تعالى : « و أنّ الساعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور » الحج : ٧) .

وقال : « و إذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدّمت وأخّرت » الانفطار : ٤ ـ ٥) .

١٠ ـ (و حصل ما فى الصدور)

وظهر يوم القيامة مافي قلوب العباد من الكفر والايمان ، وبيّن مافيها من حبّ الخير والشرّ ، و كشف مافيها من الرياء والاخلاص ، وبرز مافيها من النفاق والخلوص ، وأفرز مافيها من إعتقاد الحق والباطل ، وظهر مافيها من عزم الطّاعة والمعصية ظهوراً محصّلاً مجموعاً لما فيها من العزائم والنوايا . .

يوم تتقلّب القلوب ، وتتكشّف الأسرار وتتهتّك الأستار فانّ كثيراً مايكون باطن الانسان خلاف ما عليه ظاهره ، فيبرز يومئذ ما أخفته القلوب في الحياة الدنيا ، فيجازي كلّ على مافي قلبه كما يجازى على مافعله علانية .

قال الله تعالى: « يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار » النور : ٣٧) .

وقال : « قدبدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر » آل عمران : ١١٨) .

وقال : « يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور » غافر : ١٩) .

و قال : « قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله » آل عمران : ٢٩) .

و قال : « و أسرّوا قولكم أو اجهروا به انّه عليم بذات الصّدور » الملك : ١٣) .

و قال : « إلينا مرجعهم فننبّئهم بما عملوا انّ الله عليم بذات الصّدور » لقمان : ٢٣) .

وقال: « بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل » الأنعام : ٢٨) .

و قال : « و إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » البقرة : ٢٨٤) .

فعم: يوم القيامة ينكشف ما في الصّدور من الملكات الفاضلة وغيرها للانسان، فانّ النّفس مجممة للملكات الحاصلة فيها تدريجاً، وازدحمت فيها، وانّ النفس لم تكن بدواً إلّا قوّة ممهّدة لتصور الملكات فيها كالماء الممهّد لتلوّن الألوان المصبوبة فيه، و كالتاجر الّذي اكتسب أموالاً كثيرة، وهم لايعلم قدرها مع سعيه في إكتسابها، فاذا مات فيحاسبها ورّاثه بدقّة، وهي لم تكن عند مكتسبها معلومة، وكالصبي الّذي أدخل الدّراهم في إناء بمدة طويلة، وهم لايعلم مافيها، فاذا كسرها إنكشف له مافيها ومقداره فكذلك الانسان ينوي ويقول ويعمل طول حياته، فينتقش كلها في نفسه، فاذا مات ظهرت ملكاته النفسانيّة وانكشفت له وهذا هو يوم تبلى السرائر . . .

قال الله عزّ وجلّ: «يوم تبلى السّرائر» الطارق: ٩).

١١ - (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

إنّ ربّ العباد يوم القيامة لخبير بأحوالهم من حسنها وقبيحها، وبأقوالهم من صدقها و كذبها، وبأعمالهم من خير وشرّها، وما أسروا في صدورهم من الايمان والكفر، من النفاق والخلوص، و من نيّة الاصلاح والإفساد، فلايخفى على ربّهم منها فيها خافية، فيجازيهم يومئذ عليها كما لايخفى عليه جلّ وعلا منها في حال من أحوالهم في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى: «اولئك الّذين يعلم الله ما في قلوبهم - و إن تحسنوا و تتقوا فانّ الله كان بما تعملون خبيراً - وإن تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً» النساء: ٦٣ و ١٢٨ و ١٣٥).

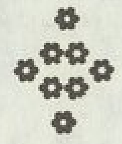
وقال: «أولا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرّون ومايعلنون» البقرة: ٧٧).

قال: «و لتنظر نفس ما قدّمت لغد و اتقوا الله انّ الله خبير بما تعملون» الحشر: ١٨).

وقال: «و كفى به بذنوب عباده خبيراً» الفرقان: ٥٨).

وقال : « ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم و أنّ الله علّام الغيوب » التوبة : ٧٨) .

و قال : « و إن كلّاً لمّا ليوفّينّهم ربك أعمالهم إنّه بما يعملون خبير » هود : ١١١) .



﴿ جملة المعاني ﴾

٦١٤٧ - (والعاديات ضبحاً)

إنّ الله عزّ وجلّ يقول : اقسم بالخيل و ما إليها من القوى الدّفاعيّة عن حوزة الحقّ و أهله ، تعدو في خفّة و سرعة تسمع أصوات أنفاسها . . .

٦١٤٨ - (فالموريات قدحاً)

و اقسم بها الّتي تقدح شرراً و شعلة و ناراً في العدو والجري .

٦١٤٩ - (فالمغيرات صبحاً)

و اقسم بها الّتي تهجم على أعداء الحقّ و أهله وقت الصّباح بغتة لأخذ العدوّ المفتّن و قتله أو إسارته .

٦١٥٠ - (فأثرن به نقعاً)

فهيّجن بسبب العدو والايراء والجري السريع والهجوم على الأعداء غباراً وقت الصباح فجأة في الوادي القريب منهم و في أماكنهم . . .

٦١٥١ - (فوسطن به جمعاً)

فدخلن بسبب الجري السريع والهجوم على الأعداء و إثارة الغبار في عقر دارهم ، و وقعن على قلب جمعهم و هم على حين غفلة فغلبن عليهم بيسر .

٦١٥٢ - (ان الانسان لربه لكنود)

إنّ أكثر النّاس لكفور لنعم ربّهم عليهم فلايشكرونه ولايؤدّون حقّها .

۶۱۵۳ - (و انه على ذلك لشهيد)

و إنّ هذا الانسان الكنود لشهيد يشهد على نفسه .

۶۱۵۴ - (و انه لحب الخير لشديد)

و إنّ هذا الانسان الكنود لحبّ المال وجمعه حريص، وفي إنفاقه في وجوه البرّ لبخيل فلا يؤدّى حقّه بالشكر والانفاق في سبيل الله تعالى .

۶۱۵۵ - (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور)

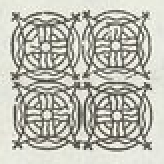
أفلا يعلم هذا الانسان الكنود المستغرق في حبّ المال إذا بعث الموتى كلّهم و خرجوا من قبورهم للحساب والجزاء .

۶۱۵۶ - (و حصل ما فى الصدور)

و ظهر يوم القيامة ما في قلوب العباد من الكفر والايمان ، و ميّز ما فيها من نيّة الخير والشر ، و من حبّ الحقّ والباطل . .

۶۱۵۷ - (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

إنّ ربّ العباد يوم القيامة لخبير بأحوالهم و أقوالهم و أعمالهم فيجازيهم فيها عليها .



﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي : قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: «والعاديات ضبحاً» أي غدوا عليهم في الضبح وضباح الكلاب صوتها «فالموريات قدحاً» كانت بلادهم فيها حجارة فاذا وطئها سنابك الخيل كان يقدح منها النار «فالمغيرات صبحاً» أي صبحهم بالغارة «فاثرن به نقعاً» قال: قال: ثارت الغبرة من ركض الخيل «فوسطن به جمعاً» قال: قال: توسط المشركين بجمعهم «إنّ الانسان لربه لكنود» أي كفور وهم الّذين اسروا وأشاروا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يدع الطريق مما حسدوه وكان علي عليه السلام قد اخذ بهم على غير الطريق الّذي اخذ فيه أبو بكر وعمر فعلموا أنه يظفر بالقوم، فقال عمرو بن العاص لأبي بكر ان علياً غلام حدث لا علم له بالطريق وهذا طريق مسبع لا يؤمن فيه من السّباع ، فمشيا إليه وقالا له: يا أباالحسن هذا الطريق الّذي اخذت فيه طريق مسبع: فلو رجعت إلى الطريق؟ فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام ألزما رحالكما ، وكفّا عمّا لا يعنيكما واسمعا وأطيعا، فانّي أعلم بما اصنع فسكتا.

و في البرهان : بالاسناد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عزّ وجلّ : «والعاديات ضبحاً» قال: ركض الخيل في ضباحها ، فقال: «فالموريات قدحاً» قال: تورى وقد النار من حوافرها «فالمغيرات صبحاً» قال : أغار علي عليه السلام عليهم صباحاً «فاثرن به نقعاً» قال: اثر بهم علي عليه السلام وأصحابه الجراحات حتّى اسلنقعوا في دمائهم «فوسطن به جمعاً» قال : توسط علي عليه السلام

وأصحابه ديارهم «إنّ الانسان لربّه لكنود» قال: لأنّ فلاناً لربّه لكنود «وإنه على ذلك لشهيد» قال: إنّ الله شهيد عليهم «وإنّه لحبّ الخير لشديد» قال ذاك أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه: عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «إنّ الانسان لربه لكنود» قال: كان فلاناً كنود بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي الدر المنثور: عن الامام علي عليه السلام أنه كان يقول: «العاديات»: هي الابل تذهب إلى وقعة بدر.

وفي المجمع: وقيل: هي الابل حين ذهبت إلى غزوة بدر تمدّ أعناقها في السّير فهي تضبح أى تضبع روى ذلك عن علي عليه السلام.

وفيه: و روى أيضاً: انّها إبل الحاج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى.

وفيه: قال إبن عبّاس: هي الخيل في القتال، فقلت أنا قال علي عليه السلام: هي الابل في الحجّ، وقلت: مولاي أعلم من مولاك. وفي رواية اخرى: انّ إبن عبّاس قال: هي الخيل ألا تراه يقول: «فأثرن بـه نقعاً» فهل تثيره إلا بحوافرها، و هل تضبح الابل! إنّما تضبح الخيل، قال علي عليه السلام: ليس كما قلت لقدرأيتنا يوم بدر ومامعنا إلّافرس ابلق للمقداد بن الأسود.

وفيه: و روى عن سعيد بن جبير عن إبن عبّاس أنّه قال: بينما أنا في الحجرة جالس إذ أتاني رجل فسئل عن «العاديات ضبحاً»؟ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ثـم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم فانفتل عنّي وذهب إلى علي بن أبيطالب عليه السلام وهو تحت سقاية زمزم فسئله عن «العاديات ضبحاً»، فقال: سئلت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سئلت عنها إبن عبّاس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله قال: فاذهب فادعه لي فلمّا وقف على رأسه قال: تفتي الناس بما لاعلم لك به، والله إن كانت لأوّل غزوة في الاسلام بدر وماكانت

معنا إلّا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون «العاديات» الخيل؟ بل «العاديات ضبحاً»: الابل من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى، قال إبنْ عبّاس: فرغبت عن قولي ورجعت إلى الّذي قاله علي ّ عليه السلام.

وفيه: وروى أبو امامة عن النّبي ّ صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: أتدرون من الكنود؟ قالوا: الله و رسوله أعلم قال: «الكنود الّذي يأكل وحده و يمنع رفده و يضرب عبده» أي انّه لايعطي شيئاً مما أنعم الله تعالى به عليه، ولايرأف بعباده كما رأف به، ولايحسن إلى أحد كما أحسن الله تعالى إليه، فهو كافر بنعمته جلّ وعلا، مجانف لما يقضي به العقل والشرع.

وفي رواية: عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أنبئكم بشرار كم؟

قالوا: بلى يا رسول الله قال: من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده.



﴿بحث فقهي﴾

وقد استدلّ بقوله تعالى: «والعاديات ضبحاً ـ وانه لحبّ الخير لشديد» العاديات: ١ـ٨)

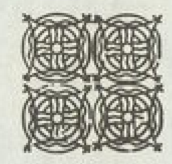
على وجوب تجهيز القوى على المسلمين للدّفاع عن حوزة الاسلام و نواميس المسلمين عند تعرّض الأعداء الطغاة و هجومهم عليهم، وعند خطر بيضة الاسلام و الممالك الاسلاميّة لفتنة الأعداء و المعاندين، و على حرمة إمساك الأغنياء عن الانفاق فى ذلك، و ذلك أنّ الأقسام الربانية باالخيل وما إليها من القوى الدّفاعيّة في مسيرتها نحوالقتال في سبيل‌الله جلّ و علا والعتاب والتقريع على الانسان الكنود المستغرق في حب المال دليل على ذلك كلّه.

وانّ الاسلام دين حياة وعدل ومساواة، ولاعدل بلاقوة منفذة ورادعة كما أنّ القوّة بلاعدل ظلم وفساد، فيجب على المسلمين العناية بها لصيانة الحق و العدل من عبث المعتدين.

و ان الآيات الكريمة في معنى قوله تعالى: «الّذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كلّ مرة و هم لايتقون فامّا تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذّكرون و إمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء انّ الله لا يحبّ الخائنين ولا يحسبنّ الّذين كفروا سبقوا انّهم لايعجزون و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله و عدوّكم و آخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في

سبيل الله يوف إليكم و أنتم لاتظلمون و إن جنحوا للسلم فاجنح لها » الأنفال : ٥٦ ـ ٦١)

وفي معنى قوله عزوجل: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ـ وأنفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين» البقرة : ١٩٠ـ١٩٥)



﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد اختلفت كلمات المحققين من الفقهاء والمفسّرين، والحكماء والمتكلمين قديماً و حديثاً : هل الانسان يجازى يوم القيامة بما نواه في الحياة الدنيا ، وقد كان مصمّماً على إتيانه ، خيراً أم شرّاً ، ولكنه ما أتاه أم لا ؟

فذهب الأكثرون منهم إلى أنّه يجازى به كما يجازى على أعماله يوم الحساب ، و ذلك انّ نيّات الانسان صحيحها و فاسدها ، خيرها و شرّها كملكات النّفس حسنها وقبيحها ، و إعتقاداتها ، حقّها وباطلها تتجسّم يوم القيامة ، فتصير النفس الانسانيّة بهيآتها مبادىء الأجسام للنّيات والملكات والاعتقادات في الدار الآخرة كما أنّ الأعمال الخارجيّة تتجسّم يومئذ فيؤاخذ بها و بها الانسان يوم القيامة ، إن كانت خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّاً .

و استدلّوا على ذلك بآيات كثيرة قرآنيّة و روايات واردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

فمن الآيات الكريمة قوله تعالى: « وحصّل ما في الصّدور » العاديات: ١٠) .

و منها قوله عزّوجلّ : « و إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كلّ شيء قدير » البقرة ٢٨٤) .

ومنها قوله سبحانه : « و ليبتلي الله ما في صدوركم و ليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصّدور » آل عمران : ١٥٤) .

ومنها قوله جلّ وعلا : « إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما اخذ

منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم » الانفال : ٧٠) وغيرها من الآيات القرآنية .

و أما الرّوايات فمنها :

في العلل : باسناده عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّي سمعتك تقول: نيّة المؤمن خير من عمله فكيف تكون النيّة خيراً من العمل ؟ قال: لأنّ العمل ربّما كان رياء للمخلوقين (المخلوقين خ) والنيّة خالصة لربّ العالمين ، فيعطي الله عزّ وجلّ على النيّة ما لا يعطي على العمل ، قال أبو عبدالله عليه السلام : انّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه ، فينام فيثبت الله له صلاته و يكتب نفسه تسبيحاً و يجعل نومه عليه صدقة .

و في الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ العبد المؤمن الفقير ليقول : يا ربّ ارزقني حتّى أفعل كذا و كذا من البرّ و وجوه الخير ، فاذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله انّ الله واسع كريم .

وفيه: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نيّة المؤمن خير من عمله و نيّة الكافر شرّ من عمله و كلّ عامل يعمل على نيّته » .

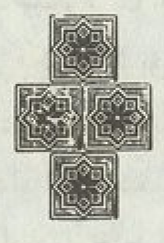
و ذلك انّ عمل كلّ عامل على وفق نيّته في النقص والكمال والردّ والقبول لأنّ المدار في الأعمال على النيّة التابعة للحالة الّتي إتصفت النفس بها من العقائد والأخلاق الحسنة والسيّئة .

وفيه: باسناده عن أبي هاشم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، و إنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً ، فبالنيات خلّد هؤلاء و هؤلاء ثمّ تلا قوله تعالى : « قل كلّ يعمل على شاكلته » قال : على نيّته .

وفيه: باسناده عن عمر بن يزيد قال : إني لأتعشى مع أبي عبدالله عليه السلام إذ تلا

هذه الآية : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » يا أباحفص ما يصنع الانسان أن يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بخلاف ما يعلم الله تعالى؟ ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يقول : من أسرّ سريرة رداه الله رداءها إن خيراً فخير و إن شرّاً فشرّ.

و غيرها من الروايات الواردة في المقام.



﴿ تجهيز القوى والدفاع عن الحق ﴾

قال الله عزّ وجلّ: «والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً إنّ الانسان لربّه لكنود وانّه على ذلك لشهيد وانّه لحبّ الخير لشديد» العاديات: ١ـ٨)

واعلم أنّ المستفاد من السّور المبكرة: انّ الوحي عند بزوغ نزواه على محمد رسول الله الأعظم ﷺ كان يلقى في فكرته أمرين:

أحدهما: الانذار والدّعوة إلى الحق وإبلاغ الرسالة الالهيّة بصراح.

ثانيهما: تجهيز القوى وإعداد الامّة المسلمة بكلّ ما تستطيعه من قوّة للدّفاع عن الحقّ ضمناً وايماء حسب الاقتضاء لأنّ تقنين القانون بلاقوّة إجراء لايكون إلاّ عبثاً، وانّ الاسلام دين حياة وعدل، ولاعدل بلاقوّة منفذة و رادعة كما أنّ القوّة بلاعدل ظلم وفساد، ولاعزّة مع الضعف، ولا ايمان بغير القوّة والعزة ، القوّة في الروح والمادّة معاً، فليس المؤمن من صفرت نفسه، وضؤل شخصه، وأمسك من دنياه بقبض الريح منها.

وانّ قصة إنذار العشيرة: «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشعراء: ٢١٤) أصدق شاهد على ذلك، وانّ الأمر في كلتا الناحتين لم ينسخ، فيجب على كلّ مكلّف يستعدّ نفسه للدّفاع عن كيان الاسلام والمسلمين، وعن حوزة الحق وأهله إذا صار واجباً عينياً كما في بعض الأحوال...

ويدخل فيه السلاح على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال حسب المقتضيات من البرّي والبحري والجوّي، ومن نقل العسكر والأدوات والزاد والسلاح، و يدخل فيه الزّاد ونظام سوق الجيش، وما إليهـا من العلوم والفنون الغازية ... ويجب على الامة المسلمة من رباط الخيل، فانّه من أهم القوى الحربيّة حتّى اليوم مع كثرة مراكب النقل البخاريّة والكهربائيّة على أنواعها بالأخص مرابطة الفرسان في ثغور البلاد الاسلاميّة، وقد صرّح جلّ وعلا بذلك في قوله: « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل» الأنفال: ٦٠)

وليكن القصد الأوّل من إعداد هذه القوى وتجهيزهـا، والمرابطة إرهاب الأعداء الطاغية وإخافتهم من عاقبة التعدّي على كيان الاسلام ونواميس المسلمين، وعلى البلاد الاسلاميّة حتّى تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنّة على اهلها ومصالحها واموالها... وقد أشار عزّ وجلّ إلى ذلك بقوله: «ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم و آخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم» الأنفال: ٦٠)

فلابدّ من إنفاق المال وبذله في سبيل الله عزّ وجلّ لاعداد ما ذكر الّذي لا يمكن بغير المال، وإليه أشار بقوله تعالى: «وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لاتظلمون» الأنفال: ٦٠)

ويحثّ المسلمين حسب إستطاعتهم على إنفاق المال في ذلك، ويسمّيه جهاداً بالأموال في كثير من الآيات القرآنية...

منهـا : قوله تعالى: «فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة» النساء: ٥٩)

ومنهـا : قوله عزّ وجلّ: « إنمـا المؤمنون الّذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جـاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون » الحجرات: ١٥)

ومنها : قوله جلّ وعلا: «إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم

في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» التوبة: ٤١)

ومنها: قوله سبحانه: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مأة حبّة» البقرة: ٢٦١) وغيرها من الآيات الكريمة.

ولابدّ لهذا الانفاق من نظام يدخل في ميزانية الحكومة الاسلاميّة.

وانّ تجهيز القوى و إعداد الامّة المسلمة للدّفاع عن كيان الاسلام و نواميس المسلمين وعن بلادهم ضرورة من ضروريّات الدّين الاسلامى لاينبغى أن يغفل عنها قطّ.

وانّ الله عزّ وجلّ قد وبّخ وهدّد و أوعد الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله جلّ وعلا ولا يبذلونها للدفاع عن حوزة الحق وأهله وفي إعلاء كلمة الله تعالى وتقطيع دابر المتكبرين الطغاة، ويكنزون الذّهب والفضّة، و لا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم من ذوي الثراة والأقدار أو يمنعون الناس عن ذلك بوساوسهم إذ قال: «ومالكم ألّا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض» الحديد: ١٠)

وقال: «والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولاينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم» التوبة: ٣٤)

وقال: «والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون إتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله ـ و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ـ و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوّوا رؤسهم و رأيتهم يصدّون و هم مستكبرون ـ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى ينفضّوا ـ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون و أنفقوا مما رزقناكم من قبل يأتي أحدكم الموت»

المنافقون: ١-١٠)

فللاسلام نظام في داخل الآمّة ، و نظام في خارجها ، فيجب على الامّة المسلمة من تجهيز القوى بالأموال و الأنفس ليبقي النظم ، فلا ينفصم فتحفظ به الأموال من الذّهاب ، و الأعراض بالضياع ، و النواميس بالتجاوز ، و النفوس بالقتل ... و يجب عليهم القتال و الدفاع بتلك القوى عن كلّ ما يوجب هدم أساس النظام من الدين و ما إليها من الأحكام ... كما أنّ لابد لربّ الدّار من قدرة يحفظ بها النظم في داخل الا سرة و خارجها ، فلولاها لا نحل النظم من كلتا الناحتين بالاختلاف و التنازع من داخلها ، والتجاوز من خارجها.

فلابدّ للاسلام من قوّة دفاعيّة في تطهير الأرض من لوث مطلق الشرك و إخلاص الايمان لله جلّ و علا وحده فيموت بها الشرك وتعلو كلمة الحق و إدحاض كلمة الباطل ، و دفع الفتنة والفساد ، مع أنّ حق الدفاع مبني على أساس الاحتياج الفطري الموجود في جميع الحيوانات ، يحفظ به الوجود و البقاء كما أنّ حقّ التصرّف علي حدّ محدود لجميعها من الانسان والحيوان، ولايمكن إستيفائه إلّا بالدّفاع، فانّ الدّار دار التراحم والناموس ناموس التنازع في البقاء كما نشاهده في أنواع الحيوانات من أنّها تتوسّل عند التنازع بأدواتها البدنية في مورد الدفاع كالقرون والأنياب و المخالب و الأظلاف والمنقار و ما اليها ...

و بعضها لم يتسلّح بشيء من الأسلحة الطبيعيّة القوية، بل سلاحها هو الفرار أو الاستتار أو الخمود كما في الصيد و الحشرات أو بأعمال الحيل و المكائد كالقرد و الدّب و الثعلب و ما إليها ... وأمّا الانسان فمسلّح بشعور الفكر الّذي به يقدر على إستخدام الغير في سبيل الدّفاع كما يقدر عليه في سبيل التصرف للانتفاع ، فللإنسان حق تصرّف وحقّ دفاع كسائر الحيوان بالفطرة، و به

يقاتل وينازع...

ولا يمكن له ذلك إلّا أن يجهّز بفكره قوى يدفع بها عن حقّه، فانّا نرى دائماً بأعيننا انّ الضعيف مأكول للقوى وهكذا... حتّى أنّ الفاتحين من الملوك و المتغلّبين من الدّول يدعون الحق لأنفسهم كحقّ الحاكميّة والتآمر على غيرهم، فيعتذرون بذلك في مهاجمتهم على النّاس وسفك الدماء وفساد الأرض وإهلاك الحرث والنسل وهو ليس بحقّ ومخالف للفطرة.

وأمّا الاسلام فأثبت أنّ أهمّ حقوق الانسانيّة هو التوحيد: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، والأوّل أساس الدين، وبالثاني تحفظ منافع الأفراد والاجتماع في حياتهم، وبالأوّل تحيى الفطرة الموتى بالشرك والكفر والطغيان، وبالثاني يوازن حقوق كلّ إنسان وحيوان لأنفسها، ويمنع عن التعدي على حقوق الغير، ويسير الانسان إلى سبيل الخير والحق ويسوق الانسان إلى السعادة والصلاح والفلاح وإلى الغرض الواحد مع بقاء التساوي والعدل في أصل الفطرة، وإذا لم يكن توحيد الكلمة مبتنياً على كلمة التوحيد فلا أثر للثاني هكذا...

فهل يمكن ذلك بالعجز والضعف والكسل والتواني والتواكل بدون السعي والعمل...

وقد وردت روايات كثيرة في المقام نشير إلى نبذة منها:

في الكافي: باسناده عن عمر بن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخير كلّه في السيف، وتحت ظلّ السيف ولا يقيم الناس إلّا السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنار.

وفيه: باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث - قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله عزّ وجلّ ذلّاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه، انّ الله عزّ وجلّ أغنى امّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها.

وفيه: باسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنّة

ان أردية الغزاة لسيوفهم.

وفيـه : باسناده عن الحسن بن محبوب عن بعض أصحابـه قال : كتب أبو جعفر عليه السلام في رسالة إلى بعض خلفاء بني اميّة : ومن ذلك ماضيّع الجهاد الّذي فضّله الله عزّ و جلّ على الأعمال ، و فضّل عامله على العمّال تفضيلاً في الدرجات و المغفرة و الرحمة لأنّه ظهر به الدين ، و به يدفع عن الدّين ، و بـه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بالجنّة بيعاً مفلحاً منجحاً ، إشترط عليهم فيه حفظ الحدود ، وأوّل ذلك الدعاء إلى طاعة الله عزّ وجلّ من طاعة العباد وإلى عبادة الله من عبادة العباد و إلى ولاية الله من ولاية العباد... الحديث.

وفيـه : باسناده عن أبي حفص الكلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسوله بالاسلام إلى النّاس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتّى أمره بالقتال، فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ.

وفيـه : باسناده عن إبن محبوب رفعـه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : انّ الله عزّ وجلّ فرض الجهاد و عظّمه وجعله نصره وناصره و الله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به.

وفيـه : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبّي صلى الله عليه وآله : اغزوا تورّثوا أبناءكم مجداً.

وفيـه : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: جاهدوا تغنموا .

وفيـه : باسناده عن معمر عن أبي جعفر عليه السلام قال: الخير كلّه في السّيف وتحت السّيف وفي ظلّ السّيف، قال: وسمعته يقول: إنّ الخير كلّ الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة.

وفيـه : باسناده عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث

طويل ـ: فلما نزلت هذه الآية : «اذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا» في المهاجرين الّذين أخرجهم أهل مكّة من ديارهم وأموالهم أحلّ لهم جهادهم بظلمهم إيّاهم واذن لهم في القتال، فقلت : فهذه الآية نزلت في المهاجرين بظلم مشركي أهل مكّة لهم فما بالهم في قتالهم كسرى و قيصر ومن دونهم من مشركي قبائل العرب؟

فقال: لو كان إنّما أذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكّة فقط لم يكن لهم إلى قتال جموع كسرى وقيصر وغير اهل مكّة من قبائل العرب سبيل لأنّ الّذين ظلموهم غيرهم، وإنّما اذن لهم في قتال من ظلمهم أهل مكّة لاخراجهم ايّاهم من ديارهم و أموالهم بغير حق، ولو كانت الآية إنّما عنت المهاجرين الّذين ظلمهم أهل مكّة كانت الآية مرتفعة الفرض عمّن بعدهم إذا لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد وليس كما ظننت ولا كما ذكرت، ولكن المهاجرين ظلموا من جهتين: ظلمهم أهل مكّة باخراجهم من ديارهم وأموالهم فقاتلوهم باذن الله لهم في ذلك، و ظلمهم كسرى و قيصر و من كان دونهم من قبائل العرب و العجم بما كان في أيديهم ممّا كان المؤمنون أحقّ به منهم فقد قاتلوهم باذن الله عزّ وجلّ لهم في ذلك و بحجّة هذه الآية يقاتل مؤمنوا كلّ زمان ... الحديث.

أقول : وحاصل الجواب : أنّ جميع ما في أيدي المشركين كان من أموال المسلمين، فالمسلمون مظلومون طول الأعصار إلى أن يستردوه منهم بحول الله تعالى وقوّته، وأمّا المهاجرون فظلموا من هذه الجهة، ومن جهة اخراجهم من خصوص مكّة.

وفيه : باسناده عن عقيل الخزاعي عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث طويل.

قال: ثم إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الاسلام وهو قوام الدّين، والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة وهو الكرّة فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة و

بالرزق غداً عندالرّب والكرامة يقول الله عزّوجل : «لاتحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله...» الآية.

ثم إنّ الرعب والخوف من جهاد المستحقّ للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدّين وسلب للدّنيا مع الذّل والصغار وفيه إستيجاب النار بالفرار من الزحف عندحضرة القتال، يقول الله عزّوجل: «يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلاتولّوهم الأدبار».

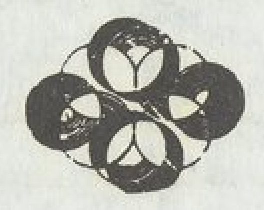
فحافظوا على أمرالله عزّ وجلّ في هذه المواطن الّتي الصبرعليها كرم و سعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة ، فانّ الله عزّوجلّ لا يعبئو بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم لطف به علماً ، و كلّ ذلك في كتاب لا يضلّ ربّي و لا ينسى فاصبروا و صابروا و اسئلوا النصر و وطّنوا أنفسكم على القتال ، و اتقوا الله عزّ وجلّ فانّ الله مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون.

وفيه : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أغارالمشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد: ياسوء صباحاه فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخيل فركب فرسه في طلب العدوّ وكان أوّل أصحابه لحقه أبوقتادة على فرس له، وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرج دفّتاه ليف ليس فيه أشر ولابطر فطلب العدوّ فلم يلقوا أحداً وتتابعت الخيل، فقال أبو قتادة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ العدوّ قد انصرف فان رأيت ان نستبق ؟ فقال : نعم فاستبقوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سابقاً عليهم ثمّ أقبل عليهم، فقال : أنا إبن العواتك من قريش انه لهوالجواد البحر- يعني فرسه - .

قوله عليه السلام : «على سرح المدينة» السرح: الموضع الّذي تسرح إليه الماشية و «يا سوء صباحاه» يعني تعال فهذا أوانك ينادي بمثله في محلّ الندبة ، و «أشر و لابطر» كناية عن عدم الزّينة فيه، فانّ مايكون فيه الزّينة يحصل من رؤيته الأشر

والبطر وهو شدّة الفرح.

وقوله ﷺ : « أنا إبن العواتك » جمع عاتكة وهي من أسماء النساء و العواتك ثلاث نسوة كنّ من جدّات رسول الله ﷺ : إحداهنّ : عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكو ان ام عبد مناف، والثانية : عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج ام هاشم بن عبد مناف، و الثالثة : عاتكة بنت الاوقص بن مرّة وهي امّ وهب أبي آمنة ام رسول الله ﷺ و «لهو الجواد البحر» أي واسع الجري، و سمّي البحر بحراً لسعته.



الدفاع عن حوزة الحق بقوتي المعنوية والمادية

إذا راجعنا إلى الآيات القرآنية والروايات الواردة في الدفاع عن كيان الاسلام ونواميس المسلمين وإنفاذ الدّعوة الحقّة نجدها على حد التلازم بين قوتي المعنوية من العلم والعمل والبيان ، والمادّية من السيّف وما يجري مجراه في ذلك طول الأعصار... وتحثّ المرء المسلم فرادى والامّة المسلمة جماعة إلى تجهيزهم بهاتين القوّتين سواء بسواء ، وانّ إحداهما دون الاخرى لاأثر لها إلّا الضّعف والذّلّ والهوان، وانّ سيرة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أصدق شاهد على ذلك ، وماقديتوهمّ مافي زمن أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ، فالجواب القاطع من لسانهم في محلّه .

فلا ينبغي لعاقل أن يجول في فكرته الدّفاع عن الحق وأهله باحدى القوّتين المتقدّمتين دون الاخرى ، وإن بلغت ما بلغ فضلاً عن فاضل خبير.

في الكافي : باسناده عن إبن أبي عميرعن يحيى الطويل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما جعل الله عزّوجلّ بسط اللسان وكفّ اليد ولكن جعلهما يبسطان معاً ويكفّان معاً» .

ومن المعلوم : أنّ الرّواية ليست بصدد جواز الأمرين : البسط والكفّ بل في بيان التلازم بين اللسان واليد في الآثار وعدمها في الأفراد والمجتمع الانساني .

وان الجهاد في الاسلام لم يكن حركة دفاعيّة بالمعنى الضيق الّذي يفهم

اليوم من إصطلاح « الحرب الدفاعية » من ماكري المستشرقين ، و إنمّا كان الجهاد حركة الاندفاع و الانطلاق لتحرير الانسان في الأرض ، و كان دفاعاً عن الانسان ذاته بتحريره من العبودية للعباد وتقرير الوهيّة الله جلّ وعلا وحده و ربوبيّته للعالمين ، وتحطيم مملكة الهوى البشرى في الأرض ، و إقامة مملكة الشريعة الالهيّة السّمحة في عالم الانسان ، وتحرير فطرة البشرية، ظلمت بالأباطيل و الأوهام من عبادة الهياكل المصنوعة والأصنام والأوثان وما إليها من الآلهة المزعومة الموهومة ...

وقد كان الجهاد ضرورة لهذه الدّعوة العامّة ، و كان السلم بما يرجى إسلامهم من غيرقتال و كذلك الفداء أو الجزية .

فاقرأ ماورد في السيرة: انه قال ربعي بن عامر وحذيفة بن محصن وأضرابهم من جيش الاسلام لرستم قائد جيش الفرس في القادسية و هو يسئلهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيّام متوالية قبل المعركة: « ما الّذي جاء بكم؟» فيكون الجواب: الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله منّا قبلنا منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ، ومن أبي قاتلناه حتّى نفضي إلى الجنّة أو الظفر.

فكان تحرير نوع الانسان هو موضوع الجهاد في الدّين الاسلامي، و كان إنقاذ الانسان في الأرض من العبودية لغير الله سبباً لتشريع القتال، و كان من حقّ الاسلام أن يتحرّك إبتداء ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع الّتي تغلّ من حرّية الانسان في الاختيار و حسبه انّه لايهاجم الأفراد ليكرههم على إعتناق عقيدته : «لا اكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» البقرة : ٢٥٦)

إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرّر الأفراد و المجتمع الانساني من

التأثيرات الفاسدة المفسدة للفطرة المقيدة لحرية الاختيار لأن الاسلام ليس نحلة قوم، ولانظام وطن، إنما هو منهج إله ونظام عالم، فمن حقه أن يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة خالقهم وحده ليحقق إعلانه العام بربوبية الله جل وعلا للعالمين، وتحرير الناس أجمعين، وعبادة الله وحده لاتتحقق في التصور الاسلامي، ولا في الواقع العملي إلا في ظل النظام الاسلامي، فهو وحده النظام الذي يشرع الله عز وجل فيه للعباد كلهم: حاكمهم ومحكومهم، رئيسهم و مرؤوسهم، أسودهم و أبيضهم، قاصيهم ودانيهم، فقيرهم و غنيهم، مذكرهم ومؤنثهم، عالمهم وجاهلهم، سوقيهم ورعاتهم. تشريعاً واحداً لابد و أن يخضع له الجميع على السواء...

وان الاسلام ليس مجرد عقيدة حتى يقنع بابلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان، إنما الاسلام هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس ومن ثم يتحتم على الاسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرر العام.

قال الله تعالى: «ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ـ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف و إن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بمايعملون بصير» الأنفال : ٣٨ـ٣٩)

وان الاسلام ليس دين سيف واكراه على العقيدة كما توهم المستشرقون الماكرون أو قالوا عناداً إضلالاً وهم يعلمون أن هذه ليست هي الحقيقة، وتقبل منهم بعض المسلمين المستغربين الذين لامعرفة لهم ولاعلم بطبيعة الاسلام و وظائفه وحقه ومفهومه وحكمه ومعارفه على ما هوعليه..

وإن الاسلام منهج الله عز وجل للحياة البشرية الذي يقوم على افراد الله تعالى وحده بالالوهية، متمثلة في الحاكمية، وينظم الحياة الواقعية بكل

تفصيلاتها اليومية ، فالجهاد فيه جهاد لتقرير المنهج وإقامة النّظام ، أمّا العقيدة فأمرها موكول إلى حرّية الاقتناع في ظلّ النّظام العام بعد رفع جميع المؤثرات...

و إنّ الإسلام لا ينظر إلى مصلحة امّة دون امّة ، ولا يقصد إلى النهوض بشعب دون شعب ، و كذلك لا يهمّه في قليل ولا كثير ان تملك الأرض ، وتستولى عليها هذه المملكة أو تلك ، و ليس غرض الإسلام إستعمار الممالك الضعيفة ، و إستثمار أفرادها ، وإنّما همّه سعادة البشر وفلاحهم ، و له فكرة خاصّة ، ومنهاج عملي مختار لسعادة المجتمع البشري والصّعود به إلى معارج الكمال والفلاح . . .

و كلّ حكومة مؤسّسة على فكرة غير فكرة الإسلام هذه ومنهاج غير هذا المنهاج يقاومها الإسلام ، ويريد أن يقضي عليها قضاء مبرماً ، ولا يعنيه في شيء بهذا الصدد أمر البلاد الّتي قامت فيها تلك الحكومة غير المرضيّة أو الامّة الّتي ينتمي إليها القائمون بأمرها ، فانّ غاية الإسلام إستعلاء فكرته ، وتعميم منهاجه ، وإقامة الحكومة الإلهيّة وتوطيد دعائمها على أساس هذه الفكرة وهذا المنهاج ، ويأتي لواء الحق والعدل ، يأتي راية الكمال والفلاح ، ويأتي لواء الصلاح والاصلاح بيد من كان يليقاً أن يكون خليفة الله في أرضه ، وينكس راية الفتنة والفساد كلّها...

و انّ الإسلام يتطلب الأرض كلّها ولا يقنع بقطعة دون قطعة أو جزء دون جزء منها ، وإنّما يستدعى المعمورة الأرضية كلّها ، ولا يتطلبها لتستولي عليها ، وتستبدّ بمنابع ثروتها امّة بعينها بعد ما تنتزع من امّة أو امم شتّى بل يتطلّبها الإسلام و يستدعيها ليتمتّع الجنس البشري بأجمعه بفكرة السّعادة البشريّة ، ومنهاجها العملي اللذين أكرمه الله تعالى بهما ، و فضله بهما على سائر الأديان والشرائع . . .

فليس للإسلام نظر خاص ، و انّ الاسلام يريد أن يستخدم جميع القوى و الوسائل الّتي يمكن إستخدامها الاحداث إنقلاب علمي وحركته ويبذل الجهد المستطاع للوصول إلى هذه الغاية العظمى ، ويسمّى هذا الكفاح المستمرّ وإستنفاد القوى

البالغ وإستخدام شتّى الوسائل المستطاعة بالجهاد.

فالجهاد كلمة جامعة تشتمل جميع أنواع السعى و بذل الجهد في العلوم والصناعات، وتجهيز القوى، والجهاد باللسان والبيان والقلم، والجهاد في تدبير المنزل و نظام العائلات، والجهاد في إقامة الشعائر . . . فليس الجهاد الإسلامي جهاداً لا غاية له، وإنّما هو جهاد في سبيل الله عزّ وجلّ و هو من الكلمات الّتي إصطلح عليها الإسلام لتبيين فكرته، وايضاح تعاليمه لاالحرب الّذي يكون معناه بالنسبة إلى الجهاد خاصّاً.

فانّ الإسلام دين عامّ يخاطب لبني آدم كافّة بلفظ عامّ يكون فيه حرّيتهم العامة.

قال الله عزّ وجلّ: «قل يا أيّها النّاس إنّى رسول الله إليكم جميعاً الّذي له ملك السموات والأرض لاإله إلّاهو يحيى و يميت فآمنوا بالله و رسوله النّبيّ الامّيّ الذي يؤمن بالله و كلماته واتبعوه لعلكم تهتدون» الأعراف: ١٥٨).

كما أن كانت سائر دعوته من التوحيد وغيره عامّة، و دعوته في سبيل الإصلاح والتجديد، وفي سبيل الهدم والبناء عامّة للجنس البشري كافّة لاتختصّ بامّة دون امّة، ولابطائفة دون طائفة، فانّ الإسلام هو يدعو بني آدم كافّة إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وانه يهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله تعالى في أرضه، و استأثروا بخيرات الأرض دون سائر الناس، يهيب بالملوك الطاغية والأمراء الجائرة أنفسهم و يناديهم قائلاً: «لاتطغوا في الأرض» وادخلوا في كنف حدود الله الّتي حدّها لكم و كفّوا أيديكم عمّا نها كم الله عنه، وحذّركم إيّاه، فان أسلمتم لأمر الله تعالى و دنتم لنظام الحق والعدل الّذي أقامه للناس خيراً و بركة فبها و نعمت.

و لكم الأمن والسلامة، فانّ الحق لا يعادي أحداً، و إنّما يعادي الحق الجور والفساد والفحشاء، و أن يتعدى المرء حدوده الفطرية، و يبتغي ماوراء

ذلك مما لاحظ له فيه حسب سنن الكون وفطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل امة آمنت بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسن تصير عضواً من الامة المسلمة لافرق في ذلك بين الأبيض والأسود ، ولابين العرب والعجم ، ولابين الغني والفقير ، ولابين الذكر والانثى ، ولابين القروي والمدني ، بل كلهم سواء كاسنان المشط لا فضل لطبقة على طبقة . . . »

قال الله عز وجل : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » آل عمران : ١١٠) .

وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و انثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم » الحجرات : ١٣) .

وبذلك يتكون الحزب العالمي الذي يسمى بلسان الوحي بحزب الله ، ولا يتكون هذا الحزب إلا أن يبدأ بالجهاد في سبيل الله تعالى ، وهو الغاية التي أنشأ لأجلها ، فان لم يجاهد حق جهاده في هذا السبيل فقط فاتته غايته وهي نظام الحق والعدل ، و إدراك هذه الغاية لايختص بطبقة خاصة من الروحانيين ، بل ان الامة المسلمة بواقعهم هم حزب الله الذين أنشأهم الله جل وعلا لتحمل لواء الحق والعدل بعاتقهم ـ و إن كان بمقدمهم الروحانيون ـ و تقطع دابر الجور والفساد ، دابر الظلم والاستبداد ، دابر الجناية والعناد ، و دابر الكفر واللجاج في الأرض .

قال الله عز وجل : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان و أيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » المجادلة : ٢٢) .

وقال: « ومن يتول الله و رسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » المائدة : ٥٦) .

وقال : « و قاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم و لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ـ وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدّين لله فان انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين » البقرة : ١٩٠ ـ ١٩٣) .

وهذه الامّة المسلمة بصرف النظر عمّا يرمي إليهم من إصلاح العالم ، وبثّ الخير والفضيلة في أنحاء الأرض كافّة لايقدرون على أن يبقوا ثابتين على خطتهم ، متمسّكين بمنهاجهم ، عاملين وفق مقتضياتهم ، مادام نظام الحكم قائماً على أساس آخر سائراً على منهاج غير منهاجهم الاسلامي ، فلابدّ لهم من المنهاج الاسلامي و رمي غيره إذ قال الله عزّ وجلّ : « وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون » الأنعام : ١٥٣) .

و ذلك انّ حزباً مؤمناً بمبدأ ونظام للحياة ، والحكم خاصّ لا يمكن أن يعيش متمسّكاً بمبدأه عاملاً حسب مقتضاه في ظلّ نظام الحكم ، مؤسّس على مبادىء وغايات غير المبادىء والغايات الّتي يؤمن بها ، ويريد السير على منهاجها لأنّ النظم اسس لهذه الامّة غير النظم الّذي بنى لغيرهم ، كما أن سمّوا بحزب الله وغيرهم بحزب الشّيطان ونظامهم كذلك ، فكيف يمكن أن يعيش مسلم في ظلّ نظام الشيطان .

فغاية الجها. في الاسلام هي هدم بنيان نظم المناقضة لمبادئه ، وإقامة حكومة مؤسّسة على قواعد الاسلام في مكانها إستبدالها بها ، وهذه المهمّة هي مهمّة احداث انقلاب إسلامي عام ، غير منحصرة في قطر دون قطر ، بل مما يريده الاسلام ، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء الأرض المعمورة .

هذه هي غايته العليا ومقصده الأسمى ، وتدعوا الناس جميعاً إلى خير البشر وسعادتهم ، إلى كمالهم وسيادتهم ، و إلى فلاح الناس وعزّتهم أجمعين ، لايمكنها أصلاً أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من امّة أو قطر أو طبقة خاصّة ، بل الحق أنّها وظيفة الانسانيّة العامّة تنسجي مفهومها .

فأينما وجد الانسان مقهوراً فالحق من واجبه أن يدركه و يأخذ بحقه و ينتصر له ، و مهما اصيبت الانسانية في أبناءها المستضعفين ، فعلى العدل ومبادئه والحاملين للوائه أن يلبّوا نداءها ، و يأخذوا بناصرهم حتّى ينتصروا لهم من أعدائهم الجائرين ، و يستردّوا لهم حقوقهم المغصوبة الّتي استبدّ بها الطغاة الجبابرة ، والعتاة الفجرة والبغاة الكفرة بغياً و عدواناً ، وبهذا المعنى نطق لسان الوحي حيث ورد التنزيل :

« ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرّجال والنساء والولدان الّذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ـ الّذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والّذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً » النساء : ٧٥ ـ ٧٦) .

و زاد على ذلك انّ الأواصر البشريّة والعلاقات الانسانيّة على ما اثرت فيها الفوارق القوميّة والوطنيّة ، و احدثت فيها من نزعات الشتات والاختلاف قد تشتمل على تلاؤم شامل وتجانس عامّ بين أجزائها ، ربّما يتعذّر معه أن تسير مملكة في قطر بعينه بحسب مبادئها وخططها المرسومة المستبينة مادامت الأقطار المجاورة لها لا توافقها علي مبادئها و خطّتها ، ولا ترضى بالسير وفق منهاجها و برنامجها من أجل ذلك وجب على حزب الله تعالى حفظاً لكيانه ، وابتغاء للاصلاح المنشود إلّا أن يقنع باقامته نظام الحكم الاسلامي في قطر واحد بعينه ، بل من واجبه الّذي لا مناص له منه بحال من الأحوال إلّا يدّخر جهداً في توسيع نطاق هذا النّظام ، و بسط نفوذه في مختلف أرجاء الأرض .

و ذلك بأن يسعى الحزب الإلهي في جانب وراء نشر الفكرة الاسلاميّة ، وتعميم نظرياتها الكاملة ، ونشرها في أقصى الأرض وأدناها ، ويدعو سكّان المعمورة على إختلاف بلادهم وأجناسهم وطبقاتهم أن يتلقّوا هذه الدّعوة بالقبول ، ويدينوا بهذا المنهاج الّذي يضمن لهم السعادتين : سعادة الدنيا و سعادة الآخرة .

وبجانب آخر يشمّر عن ساق الجدّ ويقاوم النظم الجائرة المناقضة الشيطانية لقواعد الحق والعدل بالقوّة إذا استطاع ذلك وأعدّ له عدّته، ويقيم مكانها نظام العدل والنصفة المؤسّس على قواعد الاسلام، ومبادئه الخالدة الّتي لاتبلى جدتها على مرور الأيّام والليالى والشهور والسنين، هذه هي الخطّة الّتي سلكها، وهذا هو المنهاج الّذي إنتهجه الرسول الأعظم الالهي صلّى الله عليه وآله وسلّم بابتداءه بعشيرته الأقربين ثم بلده مكّة ثم بلاده العرب ثم أشرق شمس الإسلام في آفاقها باخضاعها أوّلاً لحكم الإسلام، و إدخالهم في كنف المملكة الاسلاميّة الجديدة فيها العدل والخير فيها الصدق والأمانة فيها العفّة والحياء، وفيها العيش الهنيء الّذي يليق بالانسان.

كما دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الملوك والامراء والرؤساء في مختلف بقاع الأرض إلى دين الحق والاذعان لأمر الله تعالى، فالّذين آمنوا بهذه الدّعوة و لبّوا بها إنضمّوا بهذه الحكومة الاسلاميّة، و أصبحوا من أهلها، و من لم يلبّ دعوتها ولم يتقبلوها بقبول حسن شرع في قتالهم وجهادهم لفتنتهم وفسادهم في الأرض.

هذا هو حقيقة الدّين وطبيعة الإسلام و قيمة الجهاد فيه من إعلام الإسلام و إعلانه العام بتحرير الإنسان من العبوديّة لغير الله، وبتقرير الوهيّة الله جلّ وعلا في الأرض، وتحطيم الطواغيت الّتي تعبدها الناس، وإخراجهم من العبوديّة للعباد إلى العبوديّة لله عزّ وجلّ وحده وهذه تشرع من القريب وهم قريش إلى البعيد من ممالك العالم تماماً.

ومن هنا يعلم ما يحتويه قوله تعالى: «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد» الحديد: ٢٥) من القوّتين في إجراء القانون الإلهي و إنفاذ أمره و إنهاء عذره، والدفاع عن نواميس الإسلام و كيان المسلمين:

أحدهما ـ العلم والحكمة والعمل والبيان.

ثانيهما ـ السيف و ما يجري مجراه.

و ذلك أنّ الناس تجاه الدّعوة الحقّة والقانون الإلهي على فريقين :

فريق يقودهم العلم والحكمة والعمل والبيان ، كما أشار إليه بقوله جلّ وعلا : « و لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات و أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » .

و فريق يقودهم السيف و ما إليه كما أشار إليه بقوله تعالى : « و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد » .

فانّ القانون لابدّ له من حام يحميه على ما عليه النّاس ، إمّا بالحجّة والبرهان ، و إمّا بالسّيف و ما يجري مجراه .

فلولاهما لكان وضع القانون لغواً و عبثاً بلا مراء .

فيجب على دعاة الإسلام خاصّة ، و على المسلمين كافّة في كلّ وقت ومكان أن ينظر في سبك دعوة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و سياسته العسكرية وطريقهما إذ لهم كلّهم فيه صلى الله عليه وآله وسلم اسوة حسنة حتّى يستنتجوا منهما ما استنتج صلى الله عليه وآله وسلم منهما حيث انّ منذ الأيّام الاولى من عمر الدعوة الحقّة المباركة والأساليب العمليّة الّتي سلكها رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم لاحداث العمليّة التغييريّة الكبرى في دنيا الناس ، خاضعة للتجديد والتبدّل ، فمرّة يلتزم السرية في العمل ، و يتخذ دار التثقيف الطليعة الاولى من اتباعه ، و مرّة يخصّ عشيرته الأقربين بالدعوة دون سواهم : « و أنذر عشيرتك الأقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » الشعراء : ٢١٤ ـ ٢١٥) .

ثم يتّخذ اسلوب الدّعوة العامّة ، طريقاً إلى ايصال دعوته إلى النّاس . فيخاطب قريشاً جمعاء عند البيت الحرام ، ثمّ يتّجه صلى الله عليه وآله للبحث عن أرض حديدة للدعوة ، فتكون هجرة الحبشة ، ثمّ كانت لقاءاته مع القبائل، خارج مكّة فيزور الطائف و يقضي فيها شهراً ، يعرض دعوته و يطلب النصرة .

و أخيراً كانت اللقاءات مع حجيج يثرب، فتوّجت باحتضان أهل المدينة

المنوّرة لرسالة الله عزّ وجلّ، و ما ترتب عليه من هجرة النّبيّ الكريم صلى الله عليه و آله و سلم والمؤمنين إليها، على أنّ الهجرة المباركة، قد وضعت بين يدي الرسالة والدّعوة، إمكانيات كثيرة، تجعلها قادرة على المواجهة، و ردّ العدوان، وهكذا كان قيام الحكومة الاسلامية بقيادة رسول الله صلى الله عليه و آله اولى نتائج الهجرة المباركة.

و قد استتبع قيام الحكومة الاسلاميّة مباشرة تبنى سياسة عسكرية كأحد أساليب العمل الإسلامي لايصال الدّعوة للنفوس، الظمأى إلى الخلاص والانعتاق، نظراً لتوفر إمكانات هذه السياسة، و إذا تتبعنا سياسة الاسلام العسكرية لوجدنا انها تهدف إلى إعطاء دعوة الله جلّ وعلا فرصة مخاطبة النّاس وجهاً لوجه.

ومن غيرمراء أنّ السياسة العسكرية للحكومة الاسلامية لم تكن إلّا وسيلة لازالة الحواجز المادية الّتي تحول دون وصول نور السماء إلى البشرية و نجاتها من الذّلّة والهوان والعذاب والنار، و كان هذا القصد مفهوماً لاعلى مستوى القيادة الاسلاميّة فحسب، وإنّما على مستوى القواعد الّتي تؤلف الجيوش الاسلامية، وهذا عامر بن ربعى أحد جنود الفتح الإسلامي لبلاد الفرس يخاطب لرستم قائد جيش الفرس بقوله:

«... ان الله إبتعثنا والله جاء بنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله و من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك منّا قبلنا منه و رجعنا عنه، و تركناه و أرضه يليها دوننا و من أبى قاتلناه أبداً حتّى نفضى إلى موعود الله».

على أنّ سياسة الحكومة العسكرية لم تكن على نمط واحد وإنّما سارت عملياً من خلال طابعين:

أحدهما - الطابع الهجومي الّذي يبرره كون الإسلام رسالة الله تعالى إلى عباده في الأرض، فلابدّ من تبليغها للناس بالرغم من الحواجز والعوائق المادية، من دول و قوى و زعامات، فان وقفت تلك الهياكل، المادّية في طريق

الدّعوة فانّ ضرورة التبليغ ، و مستلزماته تقضي بازالة تلك الحواجز .

ثانيهما - الطابع الدّفاعي الّذي يقتضيه وجوب حفظ الرّسالة الإسلاميّة ، و حكومة الرسالة و اتباعها من العابثين والمتربّصين بها والمهدّدين لوجودها العملي، وبناء على ذلك فانّه بالرغم من إتجاه الفتح الإسلامي والأعمال العسكريّة الاسلاميّة نحو هدف استراتيجي واحد هو إزالة العقبات عن طريق الدّعوة الإسلاميّة، فانّنا نجد الطابعين المذكورين يميزان طبيعة الفتوح والحروب والأعمال العسكريّة الاسلاميّة بشكل واضح .

فمعركة بدر و فتح مكّة و معركة حنين كانت هجوميّة بشكل لاغبار عليه ، في حين كانت احد والخندق و معارك اخرى دفاعيّة بشكلّ جليّ .

وفي رواية: عن فضيل بن عياض عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن الجهاد أسنّة هو أم فريضة ؟ فقال: الجهاد على أربعة أوجه : فجهادان فرض الله ، وجهاد سنّة لايقام إلّا مع فرض ، وجهاد سنّة ، فأما أحد الفريضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عزّ وجلّ وهو من أعظم الجهاد ، ومجاهدة الّذين يلونكم من الكفار فرض ، وأما الجهاد الّذي هو سنة لايقام إلّا مع فرض فانّ مجاهدة العدوّ فرض على جميع الامّة ، و لو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب و هذا هو من عذاب الامّة وهو سنّة على الامام أن يأتي العدوّ مع الامّة ، فيجاهدهم ، و أمّا الجهاد الّذي هو سنّة ، فكل سنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها و أحياها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنه أحيى سنّة قال النّبي صلى الله عليه وآله : من سنّ سنّة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها من غير أن ينتقص من اجورهم شيء .

﴿هدف الرسالة الاسلامية والسياسة العسكرية﴾

ومن البيّن: أنّ الاسلام هو دين بني على أساس الفطرة وهو القيّم على إصلاح الإنسانيّة في حياتها، و قد بادرت الرّسالة الاسلاميّة إلى الإفصاح عن هويّتها الانسانيّة العالميّة منذ أيّامها الاولى في مكّة، و إنّما هي رسالة تهيّىء للانسان جميع فرص النموّ و الازدهار و توازن بين كافّة جوانبه، فلا تمكن لجانب بالتنكّر لجانب آخر، و من الطبيعي أنّ ذلك الأمر لن يكون إلّا إذا اعترفت الرسالة بالإنسان كما هو: طاقاته كلّها وحاجاته كلها، و كيانه جميعه...

ولعلّ أبلغ نصّ قرآني دلالة على الصّفة الإنسانيّة للرسالة الإسلاميّة قول الله عزّ وجلّ: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» الروم: ٣٠)

وإنّما الإسلام هو دين الفطرة الإنسانيّة، وهو يتجاوب معها، فلا يحرفها و لا ينكرها، وإنّما يعترف بها ويقرّ متطلّباتها جمعاء، وهو الدّين الكامل ختم الله جلّ وعلا به الأديان كلّها، فلا كتاب بعد كتاب هذا الدّين ولا رسول بعد رسوله ﷺ ولا شريعة بعد شريعته.

قال الله عزّ وجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الإسلام ديناً» المائدة:٣)

وقال: «إنّ الدّين عندالله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: ١٩ و ٨٥)

فاقامة هذا الدّين و التحفّظ عليه أهمّ حقوق الإنسانيّة المشروعة كما قال تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا» الشّورى: ١٣)

ثمّ بيّن تعالى: أنّ الدّفاع عن هذا الحقّ الفطري المشروع حق آخر فطري بقوله عزّ وجلّ: «ولو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكرفيها إسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره» الحجّ: ٤٠)

و بيّن أن قيام التوحيد على ساقه و حياة ذكره منوط بالدفاع كما أشار إليه بقوله جلّ وعلا: «ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» البقرة: ٢٥١)

ثمّ بيّن في ضمن آيات القتال بأنّ القتال سواء كان دفاعاً عن كيان الإسلام و نواميس المسلمين أم كان إبتدائياً لرفع الحواجز عن طريق الدّعوة الحقة كلّ ذلك دفاع عن حقوق الإنسانية في حياتها، وإعادة الحياة بعد موتها بالشرك والطغيان، بالكفر والعصيان وبالفتنة والافساد في وجه الأرض.

فانّ الشرك بالله سبحانه هلاك الإنسانية و موت الفطرة وهكذا الكفر و المعصية ...

قال الله تعالى: «يجادلونك في الحقّ بعد ماتبيّن ـ ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الأنفال: ٦ـ٨)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال: ٢٤)

وقد جعل الله عزّ وجلّ الغاية من القتال الديني حريّة الدّين ، ومنع فتون أحد وإضطهاده لأجل إرجاعه عن دينه وذلك قوله جلّ وعلا: «وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله» الأنفال: ٣٩)

وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكلّ ما قدروا عليه من الايذاء والتعذيب لأجل دينهم: «و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإيّاكم أن تؤمنوا بالله ربكم» الممتحنة: ١) «فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي» آل عمران: ١٩٥) «ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم خير من ربّكم - ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ - والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا» البقرة: ١٠٥، ١٠٩، ٢١٧).

أي فتنة المشركين في دين المسلمين بالقاء الشبهات في قلوبهم أو بتعذيبهم وإيذاءهم كما فعلوا بعمار بن ياسر وبلال وخبّاب بن الأرت وغيرهم...

فقد عذّبوا عمّاراً بالكيّ بالنّار ليرجع عن دينه ، وعذّبوا أباه و أخاه و امّه ، فمرّ بهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر فانّ موعدكم الجنّة» ومات ياسر في العذاب ، وطعنت امه بحربة في موضع عفّتها فماتت .

وكان اميّة بن خلف يعذّب بلالاً بالجوع والعطش ليلاً و نهاراً ثم يطرحه على ظهره في الرمضاء - الرمل المحمى بحرارة الشمس - ويضع على ظهره صخرة عظيمة ويقول له: لاتزال هكذا حتّى تموت أو تكفر بمحمّد صلى الله عليه وآله وتعبد اللات والعزّى ، فيأبى ذلك وتهون عليه نفسه في سبيل الحفاظ على دينه.

وما امتنع منهم إلّا من له عصبة من قومه على أنّه لم يسلم من أذاهم ذوو العصبات فقد آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعوا سلا الجزور - الكرش المملؤ بالفرث - على ظهره وهو يصلّي حتّى نحّته فاطمة الزهراء عليها السلام عنها ، وتعرّضوا له بضروب اخرى من الايذاء وقاه الله جلّ وعلا شرّها إذ قال: «إنا كفيناك المستهزئين» الحجر : ٩٥)

وكانوا يقاتلون المسلمين ويفتنونهم عن دينهم بالجبر والإكراه، ويصدّون عن سبيل الله ويعطّلون سير الدعوة، ويضطرّونهم إلى الخروج من موطنهم مرغمين: إرغام المسلمين على الارتداد عن الإسلام الّذي كان يمارسه زعماء المشركين بمكّة ضدّ ضعفاء المسلمين.

قال الله تعالى: «ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء - واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً» النساء: ٨٩-٩١)

وقال: «وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله فان انتهوا» الأنفال: ٣٩)

الانتهاء عن موقف العدوان وفتنة المسلمين من الرّدّ والاتداد والارجاع و الفساد إلى أن يتوبوا ويؤمنوا ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزكاة.

قال الله تعالى : «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد فان تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فخلّوا سبيلهم» التوبة: ٦) فان آمنوا فبها ونعمت ويصبحوا إخواناً للمسلمين.

وقال : «فان تابوا و أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فاخوانكم في الدّين» التوبة : ١١) و إن لم يؤمنوا و حافظوا على عهدهم و استقاموا عليه فلامانع: «كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلّا الّذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» التوبة: ٧) وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في الدين فيقاتلون حتّى ينتهوا من هذا الموقف العدواني.

قال الله عزّ وجلّ: «و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون ألّا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم و همّوا باخراج الرسول و هم بدؤكم أوّل مرّة» التوبة: ١٢ـ ١٣)

وفي قوله تعالى: «فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً» النساء: ٩٠)

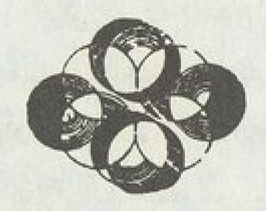
وقوله عزّ وجلّ: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» الأنفال: ٦١) أمر صريح بأن يسالم كلّ من جنح إلى المسالمة من الأعداء.

وفي قوله عزّ وجلّ: «الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ـ فاذا لقيتم الّذين كفروا فضرب الرقاب حتّى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فامّا منّاً بعد و إمّا فداء حتّى تضع الحرب أوزارها» محمّد ﷺ: ١ـ ٤) أمر بقتال الكفّار الطاغين الصادّين عن سبيل الله إلى أن تخضد شوكتهم، ثم يؤسر الباقون إلى أن يفتدوا أنفسهم، أو يطلق سراحهم منّادون إرغام على الاسلام لأنّ المقصود من القتال قد حصل.

ولم يرد أيّ خبر بأن محمداً رسول الله الأعظم ﷺ رفض في أيّ وقت طلب الصلح أو عهد أمان من أعداء محاربين، كما أنّه ما ورد من خبر بأنّه قاتل أو أمر بقتال اناس مسالمين أو حياديين، والّذي يدرس وقائع الجهاد: أن رسول الله الخاتم ﷺ لم يبعث سرية، ولم يباشر غزوة، ولم يشتبك بقتال مع فئة إلّا ردّاً على عدوان، أو دفعاً لأذى أو تنكيلاً بغادر أو تأديباً لباغ، أو ثأراً لدم إسلاميّ أهدر أو ضمانة لحرّيّة الدعوة والاستجابة إليها أو بناء على نكث عهد أو بسبب مظاهرة عدوّ أو تآمر معه على المسلمين.

وكلّ هذا متسق مع النصوص القرآنية الّتي لا يمكن أن يصدر منه ما ينقضها بطبيعة الحال، وكلّ هذا ينطبق على وقائع القتال مع اليهود و

النصارى الكتابيين أيضاً ، فكلّ عمليّة تأديب أو تنكيل أو غزوة ضدّ يهود يثرب و القرى اليهودية الاخرى طريق الشام كانت ردّاً على عدوان أو مؤامرة ضدّ الاسلام والمسلمين ، و كانت الحرب في الاسلام دفاعاً عن حريّة العقيدة و دفع الفتنة عن دينهم و عن حقوقهم و هي حرب تعدّ مقدّسة في كلّ أزمنة و أمكنة .



﴿ الدعوة الاسلامية العالمية والدفاع عنها ﴾

و قد أفصح الاسلام عن هويته الانسانيّة منذ كان دعوة بمكة كما يتجلّى ذلك من خلال السور المكّيّة الّتي تتناول حقيقة الكائن الانساني و تركيبه الروحي- المادّي ، و إلى جانب الاعلان عن الهويّة الانسانيّة من لدن الرسالة الاسلاميّة أعلنت عن هويّتها العالميّة منذ أيّامها الاولى ، فالآيات الّتي كشفت عن هذه السّمة بكلّ قوّة و وضوح كانت مكّيّة : « و ما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين » الأنبياء : ١٠٧) « و ما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً و نذيراً » سبأ : ٢٨) .

و إن خطاب - يا أيّها النّاس - تكرّر في السور المكّيّة مراراً منها كقوله جل وعلا : « قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً » الأعراف : ١٥٨) .

و بالرغم من إعلان النصوص الاسلامية الأصيلة عن الصفة العالميّة للاسلام ، فانّ الواقع التطبيقي منذ بداية الدعوة كان يجسد تلك الاطروحة ، فطليعة الدعاة كان تركيبها يشير بحزم وقوّة إلى تخطى الاسلام لكلّ الفروق الجغرافية والقومية والقبلية والحواجز الطبقية وسواها ، ففي الدعاة الأوّل كان الغنيّ والفقير ، وكان الأبيض والأسود والعربي والعجمي و سوى ذلك ، فهناك إبن عبدالمطلب و عمّار و بلال الحبشي و صهيب الرومي و مصعب بن عمير و غيرهم ، و أمّا بعد الهجرة المباركة فقد عبر الاسلام عن طبيعته العالميّة بوسائل جديدة ، منذ أوّل فرصه سنحت ، فبعد تجميد الصراع بين المسلمين والمشركين من قريش على اثر توقيع صلح الحديبية . . بدا الاتصال بالعرب من غير قريش والاتصال بقادة الدول المعاصرة

لحكومة القرآن الكريم :

الدول الصغيرة منها والكبيرة ، كلّ ذلك إلقاء للحجّة على النّاس و إبلاغاً لهم بشريعة الله جلّ وعلا ، و إذا كان النّبيّ الكريم ﷺ قد بعث بدعاة مبلغين بالرسالة إلى أحياء العرب ، وقبائلهم يدعونهم إلى الاسلام ، فانّه ﷺ رآى أن يبعث للملوك والقادة في العالم المعاصر له بكتب يدعوهم فيها إلى الله تعالى وشريعته اسوة بالعرب . . .

وهكذا كتب إلى قيصر ملك الروم و كسرى ملك الفرس والمقوقس زعيم الاقباط والنجاشي ملك الحبشة والحارث الغساني ملك دمشق ، والحارث الحميري ملك صنعاء اليمن ، و كتب إلى ملك عمان وملك البحرين وملك اليمامة وغيرهم . . .

أمّا قيصر الروم فقد عرض الأمر على زعماء الروم فرفضوا الكتاب رفضاً شديداً ، و أعلن رفضه معهم ، و انتهى موقفه عند هذا الحدّ ، و أمّا كسرى فقد مزّق كتاب رسول الله ﷺ و كتب إلى نائبه على اليمن و إسمه باذان : أن يبعث رجالاً لالقاء القبض على النّبيّ الكريم ﷺ و إرساله إليه و نفذ باذان أمره و أرسل رجلين من مدللى قصره ، فلمّا وصلا للرسول ﷺ كره منظر التخنث والنعومة عليهما ، فقال ﷺ لهما : من أمر كما بهذا ؟

قالا : ربّنا - يقصدان كسرى - فقال ﷺ : أبلغا صاحبكما - يعني باذان - : انّ ربّي قتل ربّه كسرى في هذه الليلة ، فعادا و أخبرا صاحبهما بذلك ، وماهو إلّا وقت قصير حتّى يأتي النبأ إلى باذان بموت كسرى ، فأسلم باذان و من معه باليمن من أبناء الفرس .

وأمّا النجاشي : ملك الحبشة فأسلم و وضع كتاب رسول الله ﷺ على عينيه و نزل من سريره و جلس على الأرض إجلالاً للنّبيّ الكريم ﷺ ثم كتب إليه برسالة يعلن إسلامه ، و تصديقه بما جاء به من عند الله جلّ وعلا .

وأمّا عظيم القبط فقد اعتزّ بكتاب الرسول ﷺ واحتفظ به وأكرم حامل

الكتاب وأرسل كتاباً رقيقاً لرسول الله ﷺ وجاريتين إحداهما ، مارية القبطية الّتي تزوّجها النّبيّ الكريم ﷺ و كسوة وبغلة فقبل رسول الله ﷺ هديته ، و أمّا الحارث الغساني ، فقد رمى كتاب رسول الله ﷺ وعزم على قتاله ، وأراد التعاون مع قيصر على ذلك فرفض قيصر فكرته ، و ملك اليمامة ردّ على النّبيّ الكريم ﷺ بأنّه يسلم شريطة أن يعينه ملكاً فلعنه رسول الله ﷺ .

و أمّا ملك البحرين فقد أسلم بعد وصول الكتاب من النّبيّ الكريم ﷺ إليه و كذلك الحارث الحميري ملك صنعاء فانّه قد أسلم ، و هكذا كانت ردود القادة والملوك المعاصرين لرسول الله الخاتم ﷺ مختلفة ، ففيهم من ردّ ردّاً سيئاً و فيهم من كان ردّه حسناً ، و مهما يكن من أمر فانّ طريقة المكاتبة قد كانت اسلوباً فذاً من أساليب رسول الله ﷺ في نشر الدّعوة الاسلاميّة ، وبطبيعة الحال فان رسول الله ﷺ قد حدّد مواقفه فيما بعد وفقاً لنتائج تلك المكاتبات ، حيث رسم خططه المستقبلة من التعبئة الجهادية و سواها طبقاً لردود حكّام تلك البلدان .

في الكافي : باسناده عن الزهري قال : دخل رجال من قريش على عليّ بن الحسين عليه السلام فسئلوه كيف الدعوة إلى الدين ؟ قال : تقول : بسم الله الرحمن الرحيم أدعوكم إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينه ، وجماعه أمران : أحدهما معرفة الله عزّ وجلّ والآخر العمل برضوانه ، وانّ معرفة الله عزّ وجلّ أن يعرف بالوحدانية والرأفة والرحمة والعزّة والعلم والقدرة والعلوّ على كلّ شيء ، وانّه النافع الضار القاهر لكل شيء الّذي لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، و انّ محمّداً عبده ورسوله وانّ ماجاء به هو الحق من عند الله عزّ وجلّ وماسواه هو الباطل فاذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

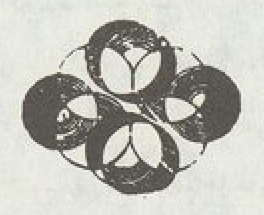
وفيه: باسناده عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال أمير المؤمنين عليه السلام لمّا وجّهني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: ياعليّ لاتقاتل أحداً

حتّى تدعوه إلى الإسلام، و أيم الله لأن يهدى الله عزّ وجلّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لاؤه».

فاذا أردت أن تعرف صدق ذلك فانظر إلى آيات القتال، و ما ورد من الروايات في أمر الجهاد و حكمته والغرض له تجد أنّ الجهاد في الدين الاسلامي كان لتخليص الانسان من الرقيّة لذوي الأقدار و من العبودية لذوي الهيا كل المصنوعة من الأصنام وما إليها، و لقطع مواد الفساد الّتي نمت في القلوب والاجتماع...

و كان لأن يطيع الانسان لله تعالى وحده و لايجاد الصلح والالفة والاخوة والأمانة والعيش الهنيىء لأفراد المجتمع، و كان للدفاع عن حرّيّة الدّعوة والمسلمين ومقابلة الأذى والعدوان والصدّ إلى أن تضمن الحرّية والسلامة للمسلمين والحرية والانطلاق للدعوة، و يمتنع الأذى والعدوان على الاسلام والمسلمين و ظلّ هذا المبدأ محكماً إلى النهاية.

وفيه: باسناده عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إطعام الأسير حق على من أسره و إن كان يراد من الغد قتله، فانّه ينبغي أن يطعم و يسقى و يظلّ و يرفق به كافراً كان أو غيره.



﴿الامام علي عليه السلام وحكمة الجهاد﴾

وقد وردت روايات كثيرة في حكمة الجهاد في سبيل الله جلّ وعلا نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار:

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في خطبة: «أمّا بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة و جنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذّل وشمله البلاء وديّث بالصغار والقماءة و ضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد و سيم الخسف و منع النصف.

ألا وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاءِ القوم ليلاً و نهاراً وسرّاً وإعلاناً و قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قطّ في عقر دارهم إلّا ذلّوا فتوا كلتم وتخاذلتم حتّى شنّت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسان البكري، و أزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعثها ماتمتنع منه إلّا بالاسترجاع و الاسترحام، ثم انصرفوا وافرين مانال رجلاً منهم كلم و لا اريق لهم دم، فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ماكان به ملوماً بل كان به عندي جديراً!

فيا عجبا ! عجبا والله يميت القلب ويجلب الهمّ من إجتماع هؤ لاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم ، فقبحاً لكم و ترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرن وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون ! فاذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الحرّ قلتم : هذه حمارّة القيظ أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ و إذا أمرتكم بالسير إليهم في الشّتاء قلتم هذه صبارّة القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد كلّ هذا فراراً من الحرّ والقرّ فاذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون فأنتم والله من السّيف أفرّ !

يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال لوددت انّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة ـ والله ـ جرّت ندماً و اعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتّى لقد قالت قريش: إنّ إبن أبيطالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً، و أقدم فيها مقاماً منّي لقد نهضت فيها، وما بلغت العشرين و هاأنذا قد ذرّفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع».

هذه الخطبه من مشاهير خطب الامام على عليه السلام :

وذلك انّه انتهى إلى عليّ عليه السلام انّ خيلاً وردت الأنبار لمعاوية فقتلوا عاملاً له يقال له : حسّان بن حسّان ، فخرج مغضباً يجرّ رداءه حتّى أتى النخيلة ـ وهي إسم موضع خارج الكوفة ـ و اتبعه النّاس فرقى رباوة من الأرض أي مكاناً مرتفعاً منها، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله ثمّ قال: أما بعد ! الخطبة ...

وقوله عليه السلام : «سيم الخسف » أي اولى الخسف و كلّف إيّاه ، والخسف : الذّل والمشقّة و «جنّته» الجنّة : ما يجتنّ به أي يستتر كالدرع والحجفة ، و «ديث بالصغار» أي ذلّل، والصغار: الذّل والضيم، و «القماءة» أي صار قميئاً وهو

الصغير الذليل و «الاسهاب» وهو ذهاب العقل أو التكلّم بما لا فائدة تحته و «اديل الحق منه» الدأل والدألان: مشي يقارب فيه الخطو ويبغي فيه، كأنّه مثقل من حمل فالمعنى ذهب الحقّ منه بسبب تضييعه الجهاد.

وقوله عليه السلام: «النصف»: الانصاف، و«عقر دارهم»: أصل دارهم و«تواكلتم» من وكلت الأمر إليك، وو كلته إليّ أي لم يتولّه أحد منّا فأحال به كلّ واحد على الآخر و «شنّت عليكم الغارات»: فرّقت وما كان من ذلك متفرقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة و «مسالحها» المسالح: جمع مسلحة و هي كالثغر والمرقب، و «المعاهدة»: ذات العهد وهي الذميمة، و «حجلها»: خلخالها و «رعثها»: شنوفها، و «قلبها»: سوادها، و «الكلم»: الجراح، و «فقبحاً لكم وترحاً» دعاء بأن ينحّيهم الله تعالى عن الخير وأن يخزيهم ويسؤهم، و «غرضاً» هدفاً.

وقوله عليه السلام: «حمارّة القيظ» بتشديد الراء: شدّة حرّه، و«يسبّخ عنا الحرّ» أي يخفّ و «صبارّة»: شدّة برد الشتاء و«ربّات الحجال»: النساء و«سدما»: حزناً وغيظاً، و«قيحاً» القيح: ما يكون في القرحة من صديدها، و«شحنتم»: ملأتم، و«نغب» جمع نغبة وهي الجرعة، و«التهمام»: الهمّ، و«أنفاساً»: جرعة بعد جرعة، و «ذرفت»: زدت.

فقام إلى الامام عليّ عليه السلام رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين انّي وأخي هذا كما قال الله تعالى: «ربّ إنّي لا أملك إلّا نفسي وأخي» المائدة: ٢٥)

فمرنا بأمرك فوالله لننتهينّ إليه، ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال: وأين تقعان مما اريد؟ ثمّ نزل.

و قوله عليه السلام: «هذا أخو غامد» وهو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي.

وفيه: قال الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك، والصّلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة

تسبيباً للرزق، والصّيام إبتلاء لإخلاص الخلق، والحجّ تقوية للدّين، والجهاد عزّاً للاسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الرحم منماة للعدد، و القصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة ايجاباً للعفّة، وترك الزنا تحصيناً للنسب، و ترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادات إستظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريفاً للصّدق، والسلام أماناً من المخاوف، والأمانة نظاماً للامّة، والطاعة تعظيماً للامامة».

قوله عليه‌السلام: «والجهاد عزّاً للاسلام» وقد فرض الجهاد عزّاً للاسلام، و ذلك ظاهر.

قال الله عزّ وجل: «ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيراً» الحجّ: ٤٠)

وقال: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله و عدوّكم» الأنفال: ٦٠)

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ في الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام ـ قال: «عجبا لسعد وإبن عمر! يزعمان أنّي احارب على الدّنيا أفكان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يحارب على الدّنيا؟ فانّ زعما أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حارب لتكسير الأصنام وعبادة الرّحمن، فانّما حاربت لدفع الضلال والنهي عن الفحشاء والفساد أفمثلي يزنّ بحبّ الدنيا، والله لو تمثّلت لي بشراً سوياً لضربتها بالسيف».

وفيه: قال الامام علي عليه‌السلام: «الجهاد ثلاثة: جهاد باليد، وجهاد باللسان، وجهاد بالقلب، فأوّل ما يغلب عليه من الجهاد يدك، ثمّ لسانك، ثمّ يصير إلى القلب، فان كان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نكس فجعل أعلاه أسفله».

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه‌السلام في خطبة ـ: «والله والله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله».

ومن كلام أفلاطون: ان إتخاذ الأسلحة الموافقة وإقتنائها والاجتماع و التآلف هي أشياء ضرورية لما في الطباع من الحرب الدائم، ومن فوائد الحرب مغالبة المرء نفسه وطلب القدرة على قمع الشرور النفسانية، وطلب العدل في الامور...

قال الله عزّ وجل: «وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من الّذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين» آل عمران: ١٢٦-١٢٧)

قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الغالب بالشرّ مغلوب، المحارب للحقّ محروب».



﴿ما يتعلق بالجيش﴾

في تحف العقول: في وصيّة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام لزياد بن النّضر حين أنفذه إلى صفّين:

«إتق الله في كل ممسي ومصبح ، وخف على نفسك الغرور ، ولاتأمنها على حاك (حال خ) من البلاء ، وأعلم أنّك لم تـزع نفسك عن كثير ممّاتحبّ مخافة مكروهه ، سمت بك الأهواء الى كثير من الضرّ حتّى تظعن ، فكن لنفسك مانعاً وازعاً عن الظلم و الغيّ والبغي و العدوان ، قد ولّيتك هذا الجند فلاتستذلنّهم، ولاتستطل عليهم، فانّ خيركم أتقاكم ، تعلّم من عالمهم، وعلّم جاهلهم ، و أحلم عن سفيههم، فانك إنّما تدرك الخير بالعلم و كفّ الأذى والجهل».

ثمّ أردفه بكتاب يوصيه فيه ويحذّره :

«إعلم أنّ مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم، فاذا أنت خرجت من بلادك ودنوت من عدوّك ، فلاتسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية، وفي بعض الشعاب والشجر والخمر، وفي كل جانب حتّى لايغير كم عدوّكم، ويكون لكم كمين، ولاتسير الكتائب والقبائل من لدن الصباح إلى المساء إلاتعبية، فان دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية ، وإذا أنزلتم بعدوّ أو نزل بكم ، فليكن معسكركم في اقبال الاشراف أو في سفاح الجبال ، أو اثناء الأنهار كي ما تكون لكم رداءاً ودونكم مرداً.

ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد وإثنين ، واجعلوا رقبائكم في صياصي

الجبال، وبأعلى الاشراف، وبمناكب الأنهار يريئوون لكم لئلا يأتيكم عدوّ من مكان مخافة أو أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل، فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة، واجعلوا رماتكم يلوون ترستكم كيلا تصاب لكم غرّة، ولا تلقى لكم غفلة، واحرس عسكرك بنفسك وإياك أن ترقد أو تصبح إلّا غراراً أو مضمضة.

ثمّ ليكن ذلك شأنك ودأبك حتّى تنتهي إلى عدوّك، وعليك بالتأنّي في حربك، وإيّاك والعجلة إلّا أن تمكنك فرصة، وإيّاك أن تقاتل إلّا أن يبدؤك أو يأتيك أمري والسلام عليك ورحمة الله»

أقول: إنّ هذه الرّواية وردت في نهج البلاغة مقطّعة.

وفي الكافي: باسناده عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه انّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم فانكم بحمدالله على حجّة، وتركـكم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة لكم اخرى، فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل.

وفيه: باسناده عن مالك بن أعين قال: حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه النّاس بصفّين، فقال: إن الله عزّ وجلّ دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، وتشفي بكم على الخير الايمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذّنب، ومساكن طيّبة في جنّات عدن.

وقال: «إنّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص» فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، فقدّموا الدارع، وأخّروا الحاسر، وعضّوا على النواجد فانّه أنبأ للسيوف على الهام، والتووا على أطراف الرماح فانّه أمور للاسنة، وغضّوا الأبصار فانّه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل، وأولى بالوقار، ولا تميلوا براياتكم، ولا تزيلوها

ولاتجعلوها إلّامع شجعانكم، فانّ المانع للذّمار والصّابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ ولاتمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رجال القوم فلاتصتكوا (تهتكوا خ) ستراً، ولاتدخلوا داراً ولاتأخذوا شيئاً من أموالهم إلّاماوجدتم في عسكرهم، ولاتهيجوا إمرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن امراءكم، فانّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول.

وقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعبّر بها وعقبه من بعده واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الّذين يحفّون براياتهم، ويكتنفونها ويصيرون حفافيها وورائها وأمامها،ولايضيعونهالايتأخرون عنها فيسلّموها، ولايتقدمون عليها فيفردوها، رحم‌الله امرءاً واسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة و يأتي بدناءة ،وكيف لايكون كذلك وهو يقاتل الاثنين وهذا ممسك يده قدخلّى قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه،وهذا فمن يفعله يمقته‌الله فلاتعرضوا لمقت‌الله عزّوجلّ، فانّما ممرّكم إلى‌الله وقد قال عزّوجلّ : «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لاتمتّعون إلّا قليلاً»

وأيم‌الله لئن فررتم من سيوف العاجلة لاتسلمون من سيوف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصّدق فانّما النّصر بعد الصّبر فجاهدوا في الله حقّ جهاده ولاقوّة إلّا بالله.

أقول: إنّ الرواية وردت في نهج‌البلاغة مقطّعة.

وقوله عليه‌السلام : «وتشفي»أشفى على الشيء : أشرف، وقوله تعالى: «مرصوص»: محكم لاصق بعض الشيء ببعضه لايغادر منه شيء شيئاً ، وقوله عليه‌السلام : «الدارع»: لابس الدرع و «الحاسر» : الّذي لا مغفر له و لا درع ، أمرهم الامام عليه‌السلام بتقديم المستلئم على خير المستلئم لأنّ سورة الحرب و شدّتها تلقى و تصادف الأوّل فالأوّل ، فلا بدّ و أن يكون أول القوم مستلئماً و «النواجد» : أقصى الأسنان -

والضواحك منها ، و ذلك ان العض على الأضراس يشد شئون الدماغ ور باطاته ، فلا يبلغ السيف مبلغه لو صادفه رخواً أو يبدؤ و هم با لحنق و الجد .

وقوله عليه السلام : «الهام» : الرأس ، و «التووا» أمرهم بأن يلتووا إذا طعنوا لأنهم إذا فعلوا ذلك فبالحرى أن يمور السنان أي يتحرك عن موضعة الطعنة ، فيخرج زالقاً و إذا لم يلتووا لم يمر السنان ، ولم يتحرك عن موضعه ، فيخرق و ينفذ فيقتل و «عضوا» أمرهم بغض الأبصار في الحرب فانه أثبت للقلب لأن القاض بصره في الحرب أحرى أن لايدهش ولايرتاع لهول ماينظر، «أميتوا» امرهم باماتة الأصوات وإخفائها ، فانه أطرد للفشل وهو الجبن والخوف ، وذلك لأن الجبان يرعد ويبرق والشجاع صامت.

وقوله عليه السلام : «ولاتميلوا» أمرهم الإمام عليه السلام بحفظ رايتهم و إقامتها و ألا يميلوها فانها إذا مالت إنكسر العسكر لأنهم، إنما ينظرون إليها وألا يخلوها من محام عنها ، وألايجعلوها بأيدي الجبناء و ذوي الهلع منهم كي لا يخيموا و يجبنوا عن إمساكها ، و «الذمار» : ماوراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ، و سمي ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له : أي الغضب ، و «الحقائق» : جمع حاقة و هي الأمر الصعب الشديد ، ومنه قول الله عز وجل : «الحاقة ماالحاقة» يعني الساعة .

وقوله عليه السلام : «يكتنفونها» : يحيطون بها ، و «حفافيها» : جانباها وطرفاها، و «واسى» المواساة : الإعانة بالنفس و المال ، و «قرنه» القرن ـ بكسر القاف ـ : الكفو في الشجاعة، و «لم يكل» : لم يدع قرنه ينضم إلى قرن أخيه فيصيرا معاً في مقاومة الأخ المذكور و «من سيوف الأجلة» أي من عقاب الله تعالى في الآخرة، وسمي ذلك سيفاً على وجه الإستعارة وصناعة الكلام لأنه قد ذكر سيف الدنيا ، فجعل ذلك في مقابلته .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: إذا لقيتم عدوّكم في الحرب فأقلّوا الكلام واذكروا الله عزّ وجلّ و لاتولّوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى، وتستوجبوا غضبه، وإذا رأيتم من إخوانكم المجروح، ومن قد نكل به أو من قد طمع عدوّكم فيه فقوه بأنفسكم.

وفيه: قال عليه السلام أيضاً: «وإذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلوكم، فاذا بدؤوا بكم فانهدوا إليهم، وعليكم السكينة والوقار وعضّوا على الأضراس فانّه أنبأ للسيوف عن الهام، وغضّوا الأبصار ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلّوا الكلام، فانّه أطرد للفشل وأذهب بالوهل، و وطّنوا على المبارزة والمنازلة والمجادلة، واثبتوا واذكروا الله عزّوجلّ كثيراً فانّ المانع للذّمار عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الّذين يحفّون براياتهم و يضربون جافّيتها وأمامها، وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد، وعليكم بالتحامي، فانّ الحرب سجال لايشدّون عليكم كرّة بعد فرّة، ولا حملة بعد جولة، ومن ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه، واستعينوا بالصبر، فانّ بعد الصبر النصر من الله عزّوجلّ: «انّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

قوله عليه السلام: «فانهدوا»: انهضوا واقصدوا واصمدوا واشرعوا في قتالهم، و «مدّوا جباه الخيول» كناية عن اقامة الصفّ وتسويته ركباناً ورجالاً، و«بالوهل»: الضعف والفزع، و «سجال» مرّة لكم ومرّة عليكم.

وفي نهج البلاغة: ومن الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «انّه شيّع جيشاً يغزيه فقال عليه السلام: اعزبوا عن النساء ما استطعتم».

قال السيّد الرضي رضوان الله تعالى عليه: ومعناه: أصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن، امتنعوا من المقاربة لهنّ لأنّ ذلك يفتّ في عضد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العدّو ويلفت عن الابعاد في الغزو

فكل من امتنع من شيء فقد عزب عنه ، والعازب والعزوب: الممتنع من الأكل والشرب .

وفي شرح النهج: لإبن أبي الحديد ـ من الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : « كن في الحرب بخيلتك أوثق منك بشدتك ، وبحذرك أفرح منك بنجدتك ، فان الحرب حرب المتهور و غنيمة المتحذر » .

وفي نهج البلاغة : من وصية له عليه السلام وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاث آلاف مقدمة له :

« إتق الله الذي لابد لك من لقائه ، ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من قاتلك ، وسر البردين وغور بالناس ورفه في السير ولا تسر أول الليل ، فان الله جعله سكناً ، وقدره مقاماً لا ظعناً فارح فيه بدنك ، وروح ظهرك ، فاذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر ، فسر على بركة الله فاذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً ، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب ، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم » .

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « معقل بن قيس كان من رجال الكوفة وأبطالها ، وله رئاسة وقدم أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان بفتح تستر ، وكان من شيعة علي عليه السلام وجهه إلى بني ساقة ، فقتل منهم وسبى وحارب المستورد بن علقة الخارجي من تميم الرباب فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة ـ وقوله عليه السلام : « ولا تقاتلن إلا من قاتلك » نهى عن البغي ، و « سر البردين » البردين : الغداة والعشي وهما الأبردان أيضاً ، و وصاه أن يرفق الناس ولا يكلفهم السير في الحر ، و « غور بالناس » : أنزل بهم القائلة ، و « رفه في السير » : دع الابل ترد رفهاً وهو أن ترد الماء كل يوم متى شاءت ولا ترهقها وتجشمها السير .

وقوله عليه السلام : « ولا تسر أول الليل » معللاً بقوله جل وعلا : « فان الله جعله

سكناً»و«حين ينبطح» : ينبسط،و«فقف من أصحابك وسطاً» لأنه الرئيس فلابدّأن يكون في قلب الجيش كما أنّ قلب الانسان في وسط جسده ولأنه إذاكان وسطاً كانت نسبته إلى الجوانب كلّها واحدة ، وإذاكان في أحد الطرفين بعد من الطرف الآخر ، فربّما يختلّ النظم ويضطرب ، و «البأس» : الحرب ، فلابدّ له أن يكون على حال متوسطة بين هذين حتّى يأتيه الأمرمن أمير المومنين عليه السلام لأنه أعرف بما تقتضيه المصلحة .

ثمّ قال له الامام عليه السلام : لايحملنّكم بغضكم لهم على أن تبدؤهم بالقتال قبل أن تدعوهم إلى الطاعة، وتعتذروا إليهمأى تصيرواذوى عذرفي حربهم، و«الشنآن»: البغض.

وفي الكافي: باسناده عن معاوية بن عمّارعن أبي عبدالله عليه السلام قال : شعارنا: «يا محمديامحمد» ـ ويوم الفتح : «نحن عباد الله حقاً حقاً» ـ وشعار الحسين عليه السلام : «يامحمّد» وشعارنا : «يا محمّد» .

وفي رواية : قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «اللهماحقن دمائنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم،وأنقذهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحق من جهله ، ويرعوى عن الغيّ والغدر من لهج به» .



«التشجيع والدفاع عن الحق»

ومن غير مراء: أنّ المحقّق الخبير إذا تدبّر في القرآن الكريم لا يجد مورداً ذكر فيه أمر الدفاع عن كيان الإسلام ونواميس المسلمين، والقتال في سبيل الله تعالى إلّا وفيه تشجيع للمؤمنين وبشارة لهم بالظفر والغلبة على من اعتدى على الحق وأهله بشرط الصبر والثبات على إحقاقه، وحثّ لهم على ذلك، وانّ الآيات الكريمة كثيرة تشير إلى ما يسعه المقام:

قال الله عزّ وجلّ: «انّ الله يدافع عن الّذين آمنوا إنّ الله لا يحبّ كلّ خوّان كفور اذن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الّذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلّا أن قالوا ربّنا الله ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقويّ عزيز» الحج: ٣٨ـ٤٠)

وقال: «يا أيها الّذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم والّذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ـ ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم» محمّد ﷺ: ٧ـ١١).

وقال: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» غافر: ٥١)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا كونوا أنصار الله ـ فأيّدنا الّذين آمنوا على

عدوّهم فأصبحوا ظاهرين» الصّف: ١٤)

وقال : «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الّذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليّاً واجعل لنا من لدنك نصيراً الّذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والّذين كفروا يقاتلون في سبيل الطّاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان انّ كيد الشيطان كان ضعيفاً - ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولّوا فخذوهم و اقتلوهم حيث و جدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً - و اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً» النساء : ٧٥-٩١)

وقال: «قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» التوبة: ١٤)

وقال : «بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى في قلوب الّذين كفروا الرعب بما أشركوا به» آل عمران: ١٥٠-١٥١)

وقال: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النساء: ١٤١)

وقال : «إنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا سالقى في قلوب الّذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان ذلك بأنّهم شاقّوا الله و رسوله ومن يشاقق الله ورسوله فانّ الله شديد العقاب - يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار - ذلكم وانّ الله موهن كيد الكافرين - وانّ الله مع المؤمنين» الأنفال: ١٢-١٩)

وقال: «إنّما جزاؤا الّذين يحاربون الله و رسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم إلّا الّذين تابوا

من قبل أن تقدروا عليهـم فاعلموا أنّ الله غفـور رحيم يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليـه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون » المائدة: ٣٣ ـ ٣٥)

وقال: « فلا تهنوا وتدعـوا إلى السلم و أنتم الأعلون و الله معكم » محمّد صلى الله عليه وآله : ٣٥)

و قال : « ولا تهنـوا و لا تحزنوا وأنتم الأ علون إن كنتم مؤمنين» آل ـ عمران : ١٣٩)

وقال: « كم من فئة قليلة غلبت فئـة كثيرة باذن الله والله مع الصّابرين » البقرة: ٢٤٩)

وقال : « يا أيّها النبـيّ حرّض المؤمنين على القتـال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين وإن يكن منكم مأة يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا» الأنفال : ٦٥)

وقال: « إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا انّ حزب الشيطان هم الخاسرون انّ الّذين يحـادّون الله ورسوله اولئك في الأذلّين كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى انّ الله قوى عزيز لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أوأبنـاءهم أو إخوانهم أو عشيرتهـم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدبهم بروح منه ـ اولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون» المجادلة: ١٩ـ٢٢)

وقال: «أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» التوبة: ١٣)

وقال: «ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فانّ حزب الله هم الغـالبون» المائدة: ٥٦)

وقال: «وإنّ جندنا لهم الغالبون» الصّافات: ١٧٣)

وغيرها من الآيات القرآنية النازلة في الدفاع عن حوزة الحق وأهله وإنفاذ

أمر الله تعالى وإنهاء عذره.

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - في حثّ أصحابه على القتال -: «وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة، وأنتم لها ميم العرب والسنام الأعظم، انّ في الفرار موجدة الله والذلّ اللازم والعار الباقى وانّ الفارّ لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه و بين يومه ، من إلى الله كالظمآن يرد الماء ! الجنّة تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار ، و الله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم ، أللهم فان ردّوا الحق فافضض جماعتهم وشتّت كلمتهم و أبسلهم بخطاياهم»

قوله عليه السلام: «سيف الآخرة»: عقاب الآخرة سمّي سيفاً لمقابلته سيف الدنيا، و«لهاميم»: السادات الأجواد من الناس، الواحدلهموم، و «السنام الأعظم»: شريفهم وعلوّ أنسابهم لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير، و «موجدة الله» : غضبه وسخطه، و «الجنّة تحت أطراف العوالي » هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنّة تحت ظلال السيوف» وسمع بعض الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم احد : « الجنّة تحت ظلال السيوف» وفي يده تميرات يلو كها فقال: بخ بخ! ليس بيني وبين الجنّة إلّا هذه التميرات ! ثمّ قذفها من يده و كسر جفن سيفه ، وحمل على قريش فقاتل حتّى قتل.

وفى الكافى : و قال عليّ عليه السلام حين مرّ براية لأهل الشام أصحابها لا يزولون عن مواضعهم فقال عليه السلام : إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم ، و ضرب يفلق الهام و يطيح العظام ، و يسقط منه المعاصم و الأكفّ حتّى تصدع جباههم بعمد الحديد و تنشر حواجبهم على الصدور و الأذقان ، أين أهل الصبر و طلّاب الأجر ؟ فسارت إليه عصابة من المسلمين ،

فعادت ميمنته إلى موقفها و مصافّها و كشفت من بازائها فأقبل حتّى إنتهى إليهم .

و قال عليه السلام : إني قد رأيت جولتكم وإنحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة والطغاة و أعراب أهل الشام ، و أنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم ، و عمّار الليل بتلاوة القرآن ، و دعوة أهل الحق ، إذ ضلّ الخاطئون ، فلو لا إقبالكم بعد إدباركم ، و كرّكم بعد إنحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولّي يوم الزحف دبره ، و كنتم فيما أرى من الهالكين ، ولقد هوّن عليّ بعض وجدي وشفى بعض حاج صدري إذا رأيتكم حزتموهم كما حازوكم ، فازلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم وأنتم تضربونهم بالسّيوف حتّى ركب أوّلهم آخرهم كالابل المطرودة اليهم الآنّ ، فاصبروا نزلت عليكم السكينة، وثبّتكم الله باليقين، وليعلم المنهزم بأنّه مسخط ربّه، وموبق نفسه، إنّ في الفرار موجدة الله والذّل اللازم والعار الباقي، وفساد العيش عليه، وانّ الفارّ لغير مزيد في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه، ولا يرضى ربّه، ولموت الرجل محقاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبيس بها والاقرار عليها.

قوله عليه السلام : « طعن درّاك» : متتابع يتلو بعضه بعضاً ، و « يخرج منه النسيم» أي لسعته، والنسيم: الريح الليّنة، فهذا وصف الطعنة بأنّها لاتساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ماوراءها ، وانّه لولا شعاع الدّم وهوما تفرّق منه لبان منها الضوء ، فأراد الامام عليّ عليه السلام من أصحابه طعنات يخرج النسيم منهنّ ، و « يفلق » : يشق فلقت الشيء : شققته ، و « يطيح » : يسقط ، و « المعاصم » : مواضع السوار من اليد و « تحوزكم » : تركوا منزلهم ، و «تصدع» : تشق.

وقوله عليه السلام : « جولتكم » : هزيمتكم فاجمل في اللفظ ، و كنّى عنه المنفرعادة منه إلي لفظ لاتنفر فيه ، و كذلك « وانحيازكم عن صفوفكم» كناية

عن الهرب أيضاً و هو من قوله عزّ وجلّ : « إلّا متحرفاً للقتال أو متحيّزاً إلى فئة » و هذا باب من أبواب البيان لطيف ، و هو حسن التوصل بايراد كلام غير مزعج عوضاً عن لفظ يتضمّن جبناً و تقريعاً ، و « تحوز كم » : تعدل بكم عن مرا كز كم، و «وجدي» الوجد: تغير الحال من غضب أوحبّ أوحزن ، و «حاج صدري» الحاج: الشوك. وفي النهج : « وحاوح صدري»: حرقها وحرارتها ، و«الهيم» : العطاش، و «الآن» من الأنين.

وفي نهج البلاغة : كان الامام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام يقول لأصحابه عندالحرب: «لاتشتدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة ولا جولة بعدها حملة، و اعطوا السّيوف حقوقها، ووطنوا للجنوب مصارعها وإذ مرّوا أنفسكم على الطعن الدّعسى والضرب الطّلحفيّ، وأميتوا الأصوات فانّه اطرد للفشل ، والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن إستسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً عليه أظهروه».

وفي شرح النهج: قال إبن أبي الحديد : قال عليه السلام : « لا تستصعبوا فرّة تفرّونها بعدها كرّة، تجبرون بها ما تكسّر من حالكم، وإنّما الّذى ينبغي لكم أن تستصعبوه فرّة لا كرّة بعدها، وهذا حضّ لهم على أن يكرّوا ويعودوا إلى الحرب ان وقعت عليهم كسرة .

ومثله قوله عليه السلام : « ولا جولة بعدها حملة» و الجولة: هزيمة قريبة ليست بالممعنة و «إذ مروا أنفسكم » من ذمره على كذا أي حضّه عليه ، و «الطعن الدعسى»: الّذي يحشى به أجواف الأعداء وأصل الدعس: الحشو ، دعست الدعاء: حشوته، وضرب طلحفى ـ بكسر الطاء وفتح اللام ـ: شديد، واللام زائدة.

ثم أمرهم باماتة الأصوات لأنّ شدّة الضوضاء في الحرب إمارة الخوف و الوجل ، ثم أقسم انّ معاوية وعمراً ومن والاهما من قريش ما أسلموا ولكن

استسلموا خوفاً من السيف، و نافقوا، فلما قدروا على إظهار ما في أنفسهم أظهروه وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام جعل محاربتهم له كفراً، وقد تقدّم في شرح حال معاوية و ما يذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته مافيه كفاية. إنتهى كلام إبن أبي الحديد.

وفي الكافي: باسناده عن عدي بن حاتم وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: في يوم إلتقى هو ومعاويه بصفّين و رفع بها صوته ليسمع أصحابه: والله لاقتلنّ معاوية وأصحابه ثمّ يقول في آخر قوله: إن شاء الله - يخفض بها صوته - وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين انك حلفت على ما فعلت ثم إستثنيت، فما أردت بذلك؟ فقال لي: إنّ الحرب خدعة و انا عند المؤمنين غير كذوب، فاردت أن احرّض أصحابي عليهم كيلا يفشلوا و كي يطمعوا فيهم فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله واعلم أنّ الله جلّ ثناؤه قال لموسى عليه السلام حيث أرسله إلى فرعون: «فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكر أو يخشى»

وقد علم أنّه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب.

وفيه: - وفي حديث يزيد بن إسحق عن أبي صادق قال: سمعت علياً عليه السلام يحرّض النّاس في ثلاثة مواطن: الجمل وصفّين ويوم النهر يقول: عباد الله إتقوا الله وغضّوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلّوا الكلام ووطّنوا أنفسكم على المنازلة و المجادلة والمبارزة والمناضلة والمنابذة و المعانقة والمكادمة وأثبتوا و اذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون و لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا انّ الله مع الصابرين.

قوله عليه السلام: «المنازلة»: أن يتنازل الفريقان في الحرب من إبلهما إلى خيلهما فيعاركوا والمناضلة: المراماة، والمنابذة: إلقاء أحدهما الآخر، والمكادمة:

أن يحضّ أحدهما الآخر أو يؤثر فيه بحديد كدم الصيد: طرده.

وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «لاتشتدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة، ولاجولة بعدها صولة، واعطوا السيوف حقوقها، وأوقصوا للحرب مصارعها، واذ مروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل».



﴿ مايتعلق بالدفاع عن كيان الاسلام ﴾

ونواميس المسلمين

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ثلاثين أمراً:

١ـ وجوب الدفاع عن كيان الاسلام والمسلمين على الامّة المسلمة فرادى وجماعة حسب الاقتضاء واختلاف الموارد من هجوم الأعداء على الحق وأهله، أو وقوعه في عرضة الخطر بفتنة الأعداء...

قال الله عزّ وجلّ: «فقاتلوا أولياء الشيطان» النساء: ٧٦)

وقال: «ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله» الصفّ: ١٤)

٢ـ وجوب إعداد الامّة بكلّ ماتستطيعه من قوّة لقتال أعدائهم، فيدخل في ذلك عدد المقاتلة، فيجب على كلّ مكلّف أن يستعدّ نفسه للقتال إذا صار واجباً عينياً كما في بعض الأحوال... ويسمّى بالنفير العامّ، ولا يمكن هذا في امم الحضارة الآ بمقتضى نظام عام، ويدخل فيه السلاح على اختلاف الأزمنة والأحوال والأمكنة والاستراتيجي من البرّي والبحري والجوّي ومن نقل العسكر والأدوات والزاد والسلاح، ويدخل فيه الزاد ونظام سوق الجيش والسياسة العسكرية وما إليها من العلوم والفنون الغازية...

قال الله عزّ وجلّ: «وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوّة» الأنفال: ٦٠)

٣ـ وجوب رباط الخيل لأنّه من أهمّ القوى الحربية حتّى اليوم مع

كثرة مراكب النقل البخارية والكهربائية على أنواعها، وخاصّة مرابطة الفرسان في ثغور البلاد...

قال الله تعالى: « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل »: الأنفال: ٦٠)

٤ـ أن يكون القصد الأوّل من إعداد تلك القوى والمرابطة إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدّي على كيان الحق وأهله، ونواميس الاسلام والبلاد الاسلامية حتّى تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنّة على أهلها ومصالحها وأموالها وذخائرها الأرضية كلّها، وهذا ما يسمّى اليوم بالسلم المسلح، وتدعيه الدول العسكرية فيه زوراً وخداعاً، وأمّا الاسلام فامتاز على الشرائع كلّها بجعله من فروع الدين واجباً مفروضاً.

قال الله تعالى: «ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» الأنفال:٦٠)

٥ـ وجوب الانفاق على المستطيعين حسب إستطاعتهم في سبيل الله تعالى لاعداد ماذكر الذي لا يمكن بغير المال وبذله.

قال الله جلّ وعلا: « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون» الأنفال: ٦٠)

وقد كان هذا الانفاق في العصر الأوّل موكولاً إلى ايمان المؤمنين في يسرهم وعسرهم كما بيّن في أخبار غزوة تبوك مجملة في سورة التوبة، ومفصّلة في سير نبويه ولكن اليوم لابدّ في نظام يدخل في ميزانية الحكومة الاسلاميّة برأى من يتبع رأيه في الاسلام.

٦ـ تفضيل السلم على الحرب إذا مال العدوّ إليه ايثاراً له على الحرب التي لا تكون مقصوداً بالذّات، بل هي ضرورة من ضروريّات الاجتماع بل الحياة كلّها تقدر بقدرها.

قال الله عزّ وجلّ: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» الأنفال: ٦١)

ولمّا كان جنوح العدوّ للسلم قد يكون خديعة لنا لنكفّ عن القتال ريثما يستعدّون هم له أو لغير ذلك من ضروب الخداع، وكان من المصلحة في هذه الحال أن لا نقبل الصلح منهم ما لم نستفد كل ما يمكننا منه تفوّقنا عليهم - لم يعدّ الشارع إحتمال ذلك مانعاً من ترجيح السلم بل قال: «وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين» الأنفال: ٦٢)

وفيه برهان قاطع لا يمكن الانكار وإن كان أشدّ عداوة على الله جلّ وعلا: انّ الاسلام دين السلام لكن عن قدرة وعزّة لا عن ضعف وذلّة.

قال الله عزّ وجلّ: «ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون» المنافقون:٨)

٧- المحافظة على الوفاء بالعهد والميثاق في الحرب والسلم، وعدم الاعتداء على الأعداء فوق إعتداءهم، وعدم التعرّض عليهم إذا اعتزلوا.

قال الله جلّ وعلا: «وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلّا على قوم بينكم وبينهم ميثاق» الأنفال: ٧٢)

وقال: «الّذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتمّوا عهدهم إلى مدّتهم - كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلّا الّذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم انّ الله يحبّ المتقين» التوبة: ٤-٧)

وقال: «وقاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين- فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتّقوا الله» البقرة: ١٩٠-١٩٤)

وقال: «فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً - فان لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفّوا أيديهم فخذوهم

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً»النساء:٩٠-٩١)

٨- تحريم الخيانة في العهد سرّاً وجهراً كما حرّم الله تعالى الخيانة على الأمانات كلّها: ماديها ومعنويها إذقال جلّ وعلا في النهي عن الخيانة مطلقاً: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم» الأنفال: ٢٧)

٩- نبذ العهد بشرطه إذا خيف من العدوّ المعاهد لنا أن يخون في عهده إذا ظهرت آية ذلك من قوله أوفعله، فيجب حينئذ على من يتبع رأيه وبيده الأمر أن ينبذ إلى العدوّ عهده على طريق عادل سويّ صريح لاخداع فيه ولاخيانة.

قال الله تعالى: «وامّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء انّ الله لايحبّ الخائنين» الأنفال: ٥٨)

وبهذه الفضائل يمتازبها التشريع الاسلامي على جميع شرائع الامم و قوانينها.

١٠- وجوب معاملة ناقضي العهد بالشدّة الّتي يكونون بها عبرة ونكالاً لغيرهم تمنعهم من الجرأة والاقدام على مثل خيانتهم بنقضهم، وذلك قوله تعالى فيمن نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّة بعد مرّة من اليهود: «فامّا تثقفنّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلّهم يذكرون» الأنفال: ٥٧)

وقال الله تعالى: «وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لاأيمان لهم لعلّهم ينتهون ألاتقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم و همّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم أوّل مرّة أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» التوبة: ١٢-١٣)

ومن هنا يظهر الفرق بين تعاليم الاسلام الجامعة، بين الحزم والعدل و

الشدّة والفضل، وبين ما عليه دول المتمدّنة من القسوة والظلم .

١١ـ جعل الله تعالى الغاية من القتال الديني حرّية الدّين، تحرير الانسانية تجديد الحياة، حرّية الدعوة ، حرّية العقيدة وإحياء الفطرة الميتة بالشرك و الطغيان والكفر والعصيان.. ومنع فتون أحد وإضطهاده لأجل إرجاعه عن دينه وذلك قوله تعالى: «وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدين كلّه لله فان انتهوا فانّ الله بما يعملون بصير» الأنفال : ٣٩)

وقد كان المشركون يضطهدون المسلمين بكلّ ما قدروا عليه من الايذاء والتعذيب لأجل دينهم، وأمّا المسلمون فلم يفعلوا ذلك ومن عساه شذّ عن ذلك فقد خالف دين الاسلام الّذي حرّم الفتنة، وحرّم الاكراه في الدّين وشرع فيه الاختيار .

١٢ـ كون الثبات في الدّفاع عن حوزة الحق وأهله، وتحرير الفطرة من أسباب النصر المعنوية الّتي يحصل بها مايعبّر عنه في عرف العصر بالقوّة الرّوحية.

١٣ـ ذكر الله عزّوجل عند لقاء العدوّ والنصّ في هذين الأمرين قوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» الأنفال: ٤٥)

١٤ـ طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن يتبع رأيه في الاسلام من الامام عليه السلام ومن ينوب منابه من المجتهد الجامع للشرائط فى الفتوى، وفي تدبير نظام الامّة المسلمة، فيدخل فى حكم طاعة الرسول الامام عليه السلام ونائبه الّذي يحارب المسلم تحت لوائه وطاعة قواده وهي من أسباب النصر المعنوية أيضاً بنصّ قوله عزّوجلّ عطفاً على السببين السابقين: «وأطيعوا الله ورسوله» الأنفال: ٤٦) وبقوله تعالى : «يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم» النساء:٥٩)

١٥ـ إتقاء التنازع وإختلاف التفرّق في حال الدفاع والقتال وما إليهما

معلّلاً بأنّه سبب للفشل، وذهاب الريح والقوّة أشار إليه بقوله تعالى: «ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» الأنفال: ٤٦)

١٦- وجوب الصبر على الدفاع والقتال، وما يتعلّق بهما، وكون الصبر أعظم أسباب النصر ولذلك عظم الله تعالى بعد أمره بالطاعة بذكره: «واصبروا انّ الله مع الصابرين» الأنفال: ٤٦)

١٧- التوكل على الله تعالى وكونه أمر الله جلّ وعلا به في هذه السورة في مقام توطين النفس على ايثار السلم على الحرب، وثبوت الصلح من الأعداء مع إحتمال إرادتهم به الخداع في قوله عزّوجلّ: «وإن يريدوا أن يخدعوك فانّ حسبك الله هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين» الأنفال: ٦٢) وفي تعريف حقيقة الايمان قال: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكّلون» الأنفال: ٢) وقال: «يا أيّها النّبيّ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» الأنفال: ٦٤)

١٨- إتّقاء البطر ومراءة النّاس في الحرب كالمشركين أشار إليه بقوله تعالى: «ولا تكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء النّاس ويصدّون عن سبيل الله» الأنفال: ٤٧)

١٩- تحريم التولي من الزحف والوعيد عليه بقوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار» الأنفال : ١٥) و هذا آكد من ايجاب الثبات في القتال وميدان الحرب.

٢٠- تشريع قتال المؤمنين في حال القوّة لعشرة أمثالهم من الكفّار من باب العزيمة وقتالهم لمثليهم في حال الضعف من باب الرّخصة، قال الله جلّ وعلا : «يا أيّها النّبيّ حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين وإن يكن منكم مأة يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنّهم قوم لا يفقهون- والله مع

الصّابرين» الأنفال: ٦٥-٦٦)

٢١- توطين النفس على الفوز و النصر عليهم و تعليله بما يقتضيه الاسلام من كون المؤمنين أكمل صبراً من المشركين ، و يفقهون من علم الحرب و أسباب النصر فيما لايفقهه المشركون ، و انّ الله تعالى يؤيّد المؤمنين ، ويخذل عدوّه و عدوّهم قال جلّ وعلا : «يا أيّها النّبيّ حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين» الأنفال : ٦٤) و قال : «و انّ الله مع المؤمنين» الأنفال : ١٩)

٢٢- منع إتّخاذ الأسرى و مفاداتهم بالمال في حال الضعف وتقييد جواز ذلك بالأثخان في الأرض بالقوّة والعزّة والسيادة كما في قوله تعالى: «ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتّى تثخن في الأرض» الانفال: ٦٧) وما إليه في أحكام الأسر والمنّ والفداء.

٢٣- ترغيب الأسرى في الايمان و إنذارهم خيانة المسلمين بعد إطلاقهم بمنّ أو فداء قال الله عزّوجلّ: «يا أيّها النّبيّ قل لمن في أيديكم من الاسرى أن يعلم الله في قلوبكم خيراً ممّا أخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم» الأنفال: ٧٠)

٢٤- إباحة أكل غنائم الحرب ، ومنه فداء الأسرى بعد إعطاء الحق .

قال : «و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فان لله خمسه و للرسول...» الأنفال ٤١)

وقال: «فكلوا مما غنمتم حلالاً طيّباً» الأنفال: ٦٩)

٢٥- ولاية النصرة بين المؤمنين في دار الاسلام و أصله ما كان بين المهاجرين و الأنصار قال الله تعالى : «انّ الّذين آمنوا و هاجروا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله و الّذين آووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض» الأنفال : ٧٢)

٢٦- عدم ثبوت ولاية النصرة بين المؤمنين الذين في دار الاسلام والمؤمنين في دار الحرب أو خارج دار الاسلام إلاّ على من يقاتلهم لأجل دينهم ، فيجب نصرهم عليه إذا لم يكن بيننا و بينه ميثاق صلح و سلام بحيث يكون نصرهم عليه نقضاً لميثاقه.

قال الله تعالى : « و الّذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتّى يهاجروا وإن استنصروكم في الدّين فعليكم النصر إلاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق» الأنفال: ٧٢)

٢٧- انّ ولاية الكفّار بعضهم لبعض تروى من ولاية الشيطان و سلطانه عليهم .

قال الله عزّوجلّ: «و الّذين كفروا بعضهم أولياء بعض» الأنفال:٧٣)

٢٨- لابد من تحطيم دعائم تلك الولاية وهدم أركانها الّتي هي منشأ الفتنة والفساد والفحشاء و إماتة الانسانية والكرامة على وجه الأرض.

قال الله عزّوجلّ : « إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير » الأنفال: ٧٣)

٢٩- في تعريف المؤمنين وحقيقتهم ومكانتهم عندالله جلّ وعلا:

إذ قال:«والّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والّذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم» الأنفال: ٧٤)

٣٠- انّ الظفر والغلبة للمؤمنين إذا دافعوا عن حقّهم وحقّ الفطرة البشرية، واستقاموا على ذلك، و انّهم في ولاية الله عزّوجلّ لاسبيل للكفّار عليهم إذا طردوا الكسالى والتواني والتواكل عن أنفسهم ، و انهم حزب الله تعالى و انّهم هم الغالبون.

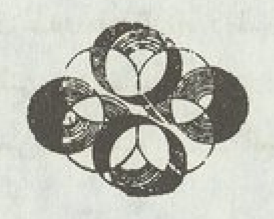
قال الله تعالى: «إنّما جزاؤا الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا

من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عـذاب عظيم إلّا الّذيـن تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أنّ الله غفور رحيم يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهـدوا فـي سبيله لعلّكم تفلحون » المائدة : ٣٣ ـ ٣٥)

وقال:«الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النّور والّذيـن كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظلمات» البقرة: ٢٥٧)

وقال: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النساء : ١٤١)

وقال: «وانّ جندنا لهم الغالبون» الصافات: ١٧٣)



«الحرب وتوحش عصر التمدن»

فهاؤم اقرؤوا ما أوردناه من نصوص القرآن الكريم والروايات الواردة من نبيّ الرحمة محمّد المصطفى و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و سيرتهم ، و سيرة المؤمنين في الدفاع عن كيان الإسلام و حوزة الحق و عن واقع الحياة الانسانية ، و في رفع حواجز الدعوة الحقّة الالهيّة و إنفاذ أمرالله تعالى و إنهاء عذره .

ثمّ اقرؤوا ما في الكتب المدوّنة والآثار والسير مما ظهر طول الأعصار من همجيّة الباطل و أصحاب الفتن ، و خاصّة توحش عصر التمدّن قد إسودّ وجه الانسانيّة، وقدأبيض وجه عصر الجاهليّة . . . ثم اقضوا مابينهما ولاتكونوا ممن ساء ما يحكمون .

أيكون التماثل؟ أو التشابه ؟ أيكون التقارب؟ أوالتقارن ؟ أيكون التجانس بينهما ؟ فشتّان بينهما ! ! !

هذا هو الحق و ذاك هو الباطل ، هذا هو الخير و ذاك هو الشرّ ، هذا هو النّور و ذاك هو الظلمة ، هذا هو العدل و ذاك هو البغي ، هذا هو في ولاية الله جلّ وعلا و ذاك هو في ولاية الشيطان ، هذا هو الدّفاع عن الحق و أهله ، و ذاك هو الحماية عن الباطل و أهله ، هذا هو الايمان و ذاك هو الكفر ، هذا هو دفع الفتنة والفساد و ذاك هو إشاعة الفتنة والفساد ، هذا هو الدّعوة إلى العزّة والكمال والصلاح والفلاح ، و ذاك هو الدّعوة إلى الذّلة والانحطاط

والفساد والخسران، و هذا هو الدّعوة إلى الهدى والجنّة، و ذاك هو الدّعوة إلى الضلال والنار، و هذا هو تحرير الانسانيّة و إنطلاقها من العبودية للعباد إلى عبادة الله جلّ وعلا و ذاك هو تعبيد الانسانيّة لغير الله وإنطلاقها في الشهوات، و هذا هو إحياء الفطرة الانسانية و ذاك هو إماتتها، و هذا هو الجنّة و ذاك هو النّار.

فشتّان بينهما !!!

فهل التماثل بين الحق والباطل؟ هل التشابه بين الخير والشر؟ هل التقارب بين العدل والظلم؟ هل التقارن بين ولاية الله جلّ وعلا و ولاية الشيطان؟ وهل التجانس بين النور والظلمة، و بين الجنّة والنار ؟؟؟

فينبغي أن تقفوا قليلاً عند قوله تعالى: «انّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ـ انّ بطش ربك لشديد» البروج: ١٠ ـ ١٢).

و قوله عزّ وجلّ: «و قاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم و لا تعتدوا انّ الله لايحبّ المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل ـ وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلّا على الظالمين» البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣).

و قوله عزّ وجلّ: «و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله و عدوّكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» الأنفال: ٦٠).

و قوله سبحانه: «والّذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير» الانفال: ٧٣).

و قوله جلّ وعلا: «فستبصر و يبصرون بأيّكم المفتون» القلم: ٥ ـ ٦).

فتجدوا الآيات الكريمة منطوية على مبدأ يحفظ به إنسانيّة الانسان، و يحفظ به المجتمع الانساني من الفوضى، و يردع به الطغاة الأقوياء من التلاعب

بحياة الانسان و إستغلال الناس و إستثمارهم . . .

و هذا المبدأ هو وجود قوّة في قبضة أهل الحق والعدل ليرد عوابها أهل الباطل والبغي ، ويخضعوهم لحكم الله عزّوجلّ وشريعته التي تدعو الناس جميعاً إلى أن يعيشوا طبقاً لقوانين الحياة و سننها ، ولا ينحرف عنها أحد فاذا ماراودته نفسه بالميل والانحراف أرغمته القوّة على الرجوع إلى تلك السنن والقوانين والحياة واقعاً ، و لا يكون لهذه القوّة غاية إلّا منع الفتنة عن حياة البشرية ، و لن تكون للبغي والعدوان والضراوة بسفك الدماء كحروب الملوك المستبدين ، ولا لغرض الانتقام والبغي الديني كالحروب الصليبية ، و لا لأجل الطمع في المال و ذخائر الممالك وسعة الملك ، و تسخير البشر للعبودية و إرهاقهم لتمتّع الطغاة الأقوياء من ثمرات كدّ الضعفاء كحروب اوربه الاستعمارية و و و

و يكفى مثالاً على ذلك القوّة التي تملكها الولايات المتّحدة الآميريكية و تستغلها في السلب والنهب دون رادع و زاجر إلّا نضال الشعوب العزلاء يقول (نيكولاس سبيكمان) في كتابه : (الاستراتيجية الآمريكية في السياسة العالمية) : « مسموح لنا نحن الآمريكيين بكلّ أشكال الجبر والقسر بما فيها حروب الدمار أن نملى إرادتنا و نفرضها بالقوّة على الذين لا قوّة لهم » .

و يقول (ليوويلتش) الآمريكي : « واجبنا أن نحقّق زعامتنا الايجابية بالقوّة على العالم سياسياً و إقتصادياً و إجتماعياً » .

ثم هجوم إسرائيل الصهيونيسم الغاصب على فلسطين و غصبه ، و قتل أهله وهدم مدنه . . . وهجوم الروسيا على أفغانستان و إفساد الحرث والنسل ، وسفك الدماء و إشغاله ، و إخراج المواطنين منه ، و فعل عليه ما فعل في زماننا هذا لا يسع المقام بذكره .

و لو أنّ أرباب العقول والمتخصصين بحثوا عن السبب لمشكلات الحياة و ويلاتها لوجدوه من ناحية ضعف القوّة الرادعة عن العدوان ، و من الأسف غفلة

القائدين عن ذلك ، والقوّة الشخصية تنحلّ بموت صاحبها أو تردع بأقواها ، ولاسرّ لهذا التعاظم من أعداء الله جلّ وعلا والجهر بالعدوان على عباد الله المستضعفين من غير مبالاة إلّا عدم الخوف والرهبة من القوّة الرادعة الّتي هي تجعل كلمة الله جلّ وعلا هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى .

و نفذ القادة في الولايات المتحدة الآميريكية ماجاء في كتاب (الاستراتيجية الآميريكية) و اعتبروه انجيلهم دون كتاب الله و كذلك الروس المهلكة المفسدة في الأرض و أذنابهما في العالم كيف ما دسوا جميع أشكال الجبر والقسر والقسوة بما فيها حروب الدمار والهلاك والفناء ليفرضوا إرادتهم على الّذين لا قوّة لهم فألقوا بالقذائف المحرقة على الأطفال والعجائز والحوامل . . . و بالقنابل الكيماوية على المحاصيل والمواليد والصنايع و وسائل الرزق والحياة من نبات و حيوان لتموت جوعاً البقية الباقية من قنابل النابالم و غيرها . . .

و كل ذلك محرّمة في الاسلام لايبيح ما أباحوا لذلك لأنّها لحظوظ الدنيا و شهواتها ، و عداوة الحق و إماتة الحياة الانسانية والحرّية . . . و لهذه الغاية أقامت الولايات المتحدة الآميريكية والروسية على أرضهما العديد من قلاع الموت أنشأ فيها المحامل والمختبرات لاكتشاف أشد المكروبات فتكاً بالانسان والحيوان والنبات ، و لاختراع الغايات الّتي تذهب العقل و تنهك الأعصاب . . .

ومن هنا يعلم القارىء الخبير المتدبّر أسرار الأقسام الربانية بالقوة الدفاعية والعناية الالهية لها في سورة العاديات و حكمها والسلام على من اتبع الهدى .

تمت سورة العاديات

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وأهل بيته المعصومين

سورة القارعة مكية وهى احدى عشرة اية

نزلت بعد سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ١ ما القارعة ٢ وما أدرىك ما القارعة ٣ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ٤ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ٥ فأما من ثقلت موازينه ٦ فهو فى عيشة راضية ٧ وأما من خفت موازينه ٨ فأمه هاوية ٩ وما أدرىك ما هيه ١٠ نار حامية ١١

صدق الله العلى العظيم

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال بإسناده عن عمرو بن ثابت عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ وأكثر من قراءة القارعة آمنه الله عزّ وجلّ من فتنة الدجّال أن يؤمن به، ومن قيح جهنم يوم القيامة إن شاء الله».

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، و البحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، والشيخ الحرّ العاملي في وسائل الشيعة.

وذلك انّ من تدبّر في السورة، وعلم أنّ الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله و ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله و باليوم الآخر، و أنّ صالح العمل كلّها يوم القيامة من موازين ثقيلة، مآلها الجنّة و الرضوان و عيشة راضية فيها، و علم أنّ الكفر و فساد العمل فيها من موازين خفيفة، مآلها نار حامية، وعلم أن الايمان بالدّجال و إتباعه ليس إلا كفراً بالله جلّ و علا، و ليس مآله إلّا قيح جهنّم يوم القيامة، فاذاً لا يرغب إلّا في الأوّل، ولا يميل إلى الثاني فيهتدي بهدى الله تعالى.

قال الله عزّ وجلّ: «و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا و إنّ الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩).

وفي البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله انّه قال: من قرأ هذه السورة ثقل الله ميزانه من الحسنات يوم القيامة، ومن كتبها وعلقها على محارف معسر من أهله وخدمه فتح الله على يديه ورزقه.

وفيه: و قال الصّادق عليه السلام اذا علقت على من تعطّل و كسوت سلعته رزقه الله تعالى نفاق سلعته : و كذا كلّ من أدمن في قرائتها فعلت به ذلك باذن الله تعالى .

أقول: و من غير بعيد أن يكون من خواصّ السورة ماجاء في الروايتين الأخيرتين لأهل التقوى واليقين .



الغرض

غرض السورة ترغيب الناس إلى الايمان وصالح العمل، وترهيبهم عن الكفر وفساد العمل بتوصيف القيامة بمايترعرع القلب وتنهك الأعصاب، وتصنيف النّاس يومئذ حسب أعمالهم على فريقين :

فريق : موازينهم ثقيلة فمآل أمرهم إلى الطمأنينة والعيشة الراضية.

و **فريق:** موازينهم خفيفة فمصيرهم إلى أعماق النار الحامية .

حيث إنّ السورة تحتوى دعوة ضمنيّة للناس ليسلكوا طريق الحق والهدى، طريق الخير و الفلاح ، و طريق الكمال والصلاح ، ويرجعوا عن سبيل الباطل والضلالة ، عن سبيل الشرّ والغواية ، وعن سبيل الإنحطاط والجناية في الحياة الدنيا حتّى ينالوا الحياة الطيبة والعيشة الهنيئة الراضية في الدار الآخرة ، و تحتوي بياناً لمصير المحسنين والمسيئين يوم القيامة ، وتقريراً ضمنياً أيضاً لمسئوليّة النّاس عن أعمالهم ، وانها إنّما تصدرعن كسبهم ، وأنهم انّما ينالون حقاً وعدلاً وفاقاً لها .

ويؤيّد ذلك كلّه مافي طرفيها من السور حسب الترتيب النزولي والمصحفي، فاذاعلم الإنسان أنّ أعماله ستوزن يوم القيامة أمام الناس يكون أقرب إلى الايمان والطاعة ، وإلى الإجتناب عن الكفر والمعصية .

﴿النزول﴾

سورة «القارعة» مكيّة نزلت بعد سورة «قريش» وقبل سورة «القيامة» وهي السورة الثلاثون نزولاً، والواحدة والمأة مصحفاً.

وتشتمل على إحدى عشرة آية، سبقت عليها /٤٩٣ آية نزولاً، و /٦١٥٧ مصحفاً، ومشتملة على /٣٦ كلمة، وعلى /١٥٢ حرفاً، وقيل: /١٥٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في تفسير البرهان: بالاسناد عن الهيثم بن عبدالرحمن قال: حدّثنا أبوالحسن علي بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه صلوات الله عليهم في قوله عزّ وجلّ: «فامّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» قال: نزلت في عليّ بن أبيطالب عليه السلام «وأمّا من خفّت موازينه فامّه هاوية» قال: نزلت في ثلاثة يعني في الثلاثة.

﴿القرائة﴾

قرأ أبو عمرو « القارعة » بالامالة ، و قرأ حمزة « ما هي » بغير هاءِ السكت وصلاً والباقون بالهاءِ وصلاً و قطعاً .

﴿الوقف والوصل﴾

«القارعة لا» للخبر التالي، و «ما القارعة ج» لتمام الكلام والعطف التالي، و «ما القارعة ط» لتمام الكلام، و «المبعوث لا» للعطف التالي ، و « المنفوش ط» للابتداء بالشرط و«موازينه لا» لأنّ مابعده جواب، و «راضية ط» لتمام الكلام، و «موازينه لا» للجواب، و«هاوية ط» لتمام الكلام، و «ماهيه ط» والوقف على قراءة غير حمزة بوجه .

﴿اللغة﴾

٢٦- القرع - ١٢١٨

قرع الشيء يقرعه قرعاً ـ من باب منع ـ: ضربه أو دقّه بقوّة، وقرع الباب: دقّه ونقر عليه، و منه المثل: «من قرع باباً و لجّ ولج» و قرع رأسه بالعصا: ضربه بها، و قرع صفاته: تنقّصه و عابه، و قرع ساقه للامر: تجرّد له، و قرع الأمر فلاناً: جاءه على غرّة فأذهله، و قرع الشي قرعاً: سكّنه و قرعه: صرفه.

القارعة: المصيبة الكبيرة الشديدة الوقع، وسمّي يوم القيامة: «القارعة» لأنّه يفزع الناس ويذهلهم بحوادثه المروعة، وانّها تقرع بالأهوال ...

قال الله تعالى: «القارعة ما القارعة و ما أدراك ما القارعة» القارعة: ١ ـ ٣)

معنى القارعة ـ في الأصل ـ النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم، ولذلك قيل ليوم القيامة: القارعة: والقارعة: الليلة الّتي تقرع القلب بشدّة المخافة.

يقال: قرعتهم قوارع الدهر: أصابتهم نوازله الشديدة، يقال: قرعه أمر: اذا أتاه فجأة، و يقال: أنزل الله به قرعاء وقارعة ومقرعة: هى المصيبة الّتى لا تدع مالاً ولا غيره، ومنه قوله: «وخاف القارعات الكدّة».

قال الله تعالى: «و لايزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة» الرعد: ٣١) أي داهية أو مصيبة تروّعهم كالحرب المبيدة أوالعقاب الشديد.

وقوارع القرآن : هي الآيات التي من قرأها أمن من شرّ شياطين الجنّ و الإنس كأنّها تقرع من يتعرّض بسوء له فاذا قرئت فزع منها الجنّ و الانس ويقال : نعوذ بالله من قوارع فلان أي من قوارص لسانه .

وقرع الفناء يقرع قرعاً ـ بسكون الراء وفتحها ـ من باب علم ـ : خلا من الغاشية ، وقرعت النعامة : سقط ريش رأسها من الكبر ، وقرع الحجّ : خلّت أيّامه من النّاس، وقرع ماء البشر : نفد ، وقرع الرجل : ذهب شعر رأسه، وقرع الشعر : قصّه ، وقرع : إفتقر، وقرع : إذا اتعظ .

والقرع ـ كفرس ـ: ذهاب الشعر عن مقدم الرأس من آفة كالأصلع أو أشدّ منه، والأقرع :من ذهب شعر رأسه من علّة ، والانثى: قرعاء جمعها: قرع وقرعان ، يقال: عندي ألف أقرع،تام. جبل أقرع لا نبات فيه، وعود أقرع: قشر لحاؤه ، وقدح أقرع: حكّ بالحصى حتّى بدت طرائقه، والأ قرع: السيف الجيّد الحديد، ومن الحيّات: المتمعّط شعر رأسه كثرة سمّه وطوله ، و رياض قرع : ليس فيها كلأ ، و في الدعاء : «و أعوذ بك من قرع الفناء و صفر الاناء» أي خلوّ الديار من سكّانها و الآنية من مستودعاتها ، ومنه حديث الإمام أمير المومنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «انّ أعرا بيأسئل النّبيّ صلى الله عليه وآله عن الصليعاء والقريعاء» القريعاء : أرض لعنها الله إذا أنبتت أو زرع فيها نبت في حافتيها ولم ينبت في متنها شيء و منه الحديث : «قرع أهل المسجد حين اصيب أصحاب النهر » أي قلّ أهله كما يقرع الرأس إذا قلّ شعره .

وقرع الرأس و هو أن يصلع فلا يبقي على رأسه شعر ، و قيل : هو ذهاب الشعر من داء، وأقرع وقرع الغائص والماتح: إذا انتهى إلى الأرض واقرع في سقائه: جمع والقرع ـ كفرس ـ : بئر أبيض يخرج بالفصال ، و القرع : السبق و الندب أي الخطر يستبق عليه ، والقرع من الارض: ذات الكلاء لانبات فيها ، والقرعة ـ محرّكة ـ : موضع القرع من الرأس ، أرض قرعة ـ كفرحة ـ : لاتنبت شيئاً .

القرعاء: مؤنث الأقرع، و روضة رعتها الماشية، ويقال: أصبحت الأرض قرعاء: إذا رعي نباتها، والقرعاء: الشديدة والداهية وساحة الدار وأعلى الطريق والفاسدة من الأصابع ... قارعة الدار: ساحتها، وقارعة الطريق: أعلاه ومعظمه و هوموضع قرع المارّة، ومنه الحديث: «نهى عن الصّلاة في قارعة الطريق» و المراد بها هيهنا نفس الطريق و وجهه. و منه قوله: «نصبوا بقارعة الطريق خيامهم».

القرع: مصدر ونوع من اليقطين، طويل إلى نحو شبردقيق، ومنه ماله عنق طويل، وأسفله كرّة كبيرة كبطن الإبريق، الواحدة: قرعة، وأكثر ماتسمّيه العرب الدبّاء وقلّ من يستعمل القرع، والقرع - ككتف -: القابل المشورة و من لاينام والفاسد من الأظفار ...

والمقراع: فأس تكسر بها الحجارة، والمقرعة: الشديدة، والمقرع - بكسر الميم و فتح الراء -: وعاء يجمع فيه التمر والسقاء: يخبأ فيه السمن، والمقرع: الّذي قد أقرع فرفع رأسه، و المقرعة: منبت القرع، يقال: أرض مقرعة، إبل مقرّعة - محرّكة كمعظمة - وسمت بالقرعة، والمقرعة: السوط و كلّ ماقرعت به، والمقرعة: خشبة تضرب بها البغال والحمير، والقريعة: خيارالمال وعمود البيت الّذي يعمد بالزر و الزرّ أسفل الرمانة، و قد قرعه به، و خير موضع في البيت إن كان في حرّ فخيار ظلّه و إن كان في قرّ فخيار كنّه، و قيل: سقف البيت.

وأقرعه: أعطاه خيارالمال، وأقرع فلان: إمتنع، ولم يقبل المشورة، و أقرع المسافر: دنا من منزله، وأقرع الحمير: صكّ بعضها بعضاً بحوافرها، و أقرع عنه: كفّ، وأقرع إليّ: رجع و ذل، وقرع فلاناً: كفّه، وقرع الدابة بلجامها: كبحها به، وقرع الشّي: أطاقه، وقرع داره اجراً: فرشها، وقرع الشّرّ: دام وقرع في الحق: إستبدله، وقرعه بالحقّ: رماه.

القرعة : المرّة ـ واحدة القرع ـ وسمة للعرب علي ايبس ساق البعير وهي وكزة بطرف الميسم ، والقريع : الغالب في المقارعة ، و الفضيل جمعها : قرعى و في المثل : إستنّت الفصال حتّى القرعى يضرب للضعيف الذى يتشبّه بالأقوياء و يعرض نفسه لمجاراتهم ...

القرعاء: فحل الابل، و ناقة قريعة: يكثر الفحل ضرابها و يبطىء لقاحها، وفي حديث علقمة: «انّه كان يقرّع غنمه و يحلب و يعلف» أي ينزى عليها الفحول، ومنه حديث هشام يصف ناقة: «انها لمقراع»: هي الّتي تلقح في أوّل قرعة يقرعها الفحل، والقراع ـ بكسر القاف ـ: الضراب، وقرع الفحل الناقة: ضربها، يقال ناقترعت الإبل : إذا اخترتها للضّراب والمقروع: المختار للفحلة سمّي به لأنّه قد اقترع أي اختير، والتقريع : إنزاء الفحل.

القريع ـ فعيل للمبالغة ـ : السيّد ، والمقروع أيضاً : السيد ، وفي حديث مسروق: «انك قريع القرّاء»: رئيسهم، والتقريع: المختار، والمقروع: بعير وسم بالقرعة .

يقال : فلان قريع دهره : أي المختار من أهل عصره . و القريع : الغالب والمغلوب أيضاً وقريعة البيت : خير موضع فيه قرع القوم قرعاً : غلبهم بالقرعة ، قارعه فقرعه : غالبه في القرعة فغلبه و أصابته القرعة دونه ، وقرع بين القوم : ضرب القرعة ، وهيّأهم للقرعة على شيء ، وقارع القوم مقارعة وقراعاً : ضربوا القرعة ، وقارع فلان فلاناً : ساهمه، وقارع الأبطال : ضارب بعضهم بعضاً ، تقول: شهدت مقارعة الأبطال ، و المقارعة : المضاربة بالسيوف ، والأ قاريع : الشدّاد ، و القرّاع ـ فعال للمبالغة ـ وهي قرّاعة: طائر يقرع العود الصلب بمنقاره فيدخل فيه ، جمعها : قرّاعات .

والقرّاع : الصلب الشديد يقال : لي ترس أقرع وقرّاع، والقراعة ايضاً : الإست واليسير من الكلأ .

و القرعة ـ بالضمّ ـ : السهم و النصيب ، و إلقاء القرعة : حيلة يتعيّن بها

سهم الإنسان و نصيبه ، و القرعة خيار المال ، تقول : أعطاه قرعة ماله : خيرته ، و في الحديث : « كل مجهول ففيه القرعة » و القرعة في كل أمر مشكل . القرعة: الخيار ، وقرعة كلّ شيء : خياره ، والإقتراع : الإختيار .

والقرعة ـ بالضمّ ـ : الجراب الواسع يلقى فيه الطعام ، وقيل : الجراب الصغير ، جمعها : قرع وهي أيضاً سمة للعرب على وسط أنف البعير والشاة ، و القرعة ـ محركة ـ : الجحفة و هي الترس ، و القراع : الصلب الشديد ، و ترس أقرع و قرّاع : صلب شديد ، سمّي به لصبره علي القرع . و القرعة ـ محركة ـ أيضاً: الواسع الأسفل يجعل فيه الطعام ، وفتح رائه أفصح من تسكينها ، والقرعة: المراح الخالي من الإبل .

قرّعه يقرّعه تقريعاً ، عنّفه ، وقرّع القوم ، أقلقهم ، والتقريع : التعنيف والتأنيب والتثريب ، وقيل : الايجاع باللوم ، وقرّعت الرجل : إذا وبّخته و عدلته . وتقرّع الرجل : تقلّب ، وتقارع القوم : ضربوا القرعة ، وتقارح بالرماح : تطاعنوابها ، والمقارعة : المساهمة ، ومنه : «اقترعوا عند التنافس أيّهم يكفل مريم وكانوا يلقون الأقلام بالنهر فمن علا سهمه» أي إرتفع «كان له الحظّ» واقترع معاني كذا : إبتكرها واقترع كذا : إختاره ، واقترع النّار: أوقدها ، واستقرع الحافر : إشتدّ .

في المفردات : القرع: ضرب شيء على شيء ومنه قرعته بالمقرعة .

وفي المجمع: القرع : الضرب بشدّة الاعتماد، وقرعت الباب قرعاً: طرقته، وقرع ناقته : ضربها بالسوط ، والمقرعة ـ بالكسر والسكون ـ : ما يقرع به الدابة، وقارعته: ضاربته وجادلته، فقرعته: غلبته بالمجادلة، والأقرع من الحيّات: الّذي قرع السّم في رأسه أي جمعه فذهب شعره، وقيل :لكثرة سمّه وطول عمره، وأرض قرعاء : لانبات فيها ، وقارع : إسم جبل على يسار الطريق لمريد الحجّ و منه الحديث:«باني قارع وهادمه يقطع إرباً إرباً» يعني بذلك جعفر بن يحيى البرمكي،

وقدأمرأن يبني له ثم مجلس يجلس عليه ، ثم لمّارجع من مكّة صعدإليه ثمّ أمر بهدمه ، فلمّا انصرف إلى العراق قطع إرباً إرباً .

وفي النهاية:القرع في الأصل: الضرب،وفي الحديث: «من لم يغز ولم يجهّز غازياً أصابه‌الله بقارعة» أي بداهية تهلكه ، وعنه الحديث: «أقسم لتقرعن بها أباهريرة» أي لتفجأنّه بذكرها كالصّكّ له والضرب .

٢٣ - الفرش -١١٤٢

فرش الشيء يفرشه فرشاً وفراشاً ـ من باب ضرب ونصر ـ : بسطه ، وفرش فلاناً أمراً : أوسعه إيّاه وبسطه له كلّه . وفي الحديث : «لاتفترش ذراعيك» يعني لاتبسطهما في سجودك، وافترش الأسد ذراعيه : مدّهما .

من المادّي : الفرش : الفضاء الواسع من الأرض ، وفرش الشيء على الأرض: بسطه عليها ، و يقال : ذلك في الصغير الخفيف من النبات و الحيوان ، و يقال لكلّ خفيف : فراشة ، و يكون منه هذا الفراش الّذي يطير لخفّته واحدته فراشة .

قال الله عزّ وجلّ : «يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث » القارعة : ٤)

الفراش ـ بالفتح وتخفيف الراء ـ جمع الفراشة ، وهي صغار البق ، وقيل: شبيهة بالبعوض تتهافت في النار، وذلك لضعف أبصارها فهي نسيت ضوء النهارفاذا رأت المسكينة ضوء السراج بالليل ظنّت انّها في بيت مظلم فلاتزال تطلب الضوء وترمى بنفسها إلى النّارحتّى تحترق ، وقدشبّه‌الله عزّ وجلّ النّاس يوم البعث بالجراد المنتشر، وبالفراش المبثوت لأنّهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الّذي يموج بعضه في بعض، والفراش من النبيذ: الحبب الّذي يبقى عليه. والفراش: عشّ الطائرأي وكره .

الفراش- بكسر الفاء- : مايفرش وينام عليه، فعال بمعنى مفعول - ككتاب بمعنى مكتوب - وفراش الهام: عظام رقيقة تلي قحف الرأس ، وكل عظم رقيق فراشة مثل سحاب وسحابة ، ومنه : «فراشة القفل» و هومايشب فيه ، ومنه حديث الإمام علي عليه السلام : «ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام» والأرض فراش الأنام ، قيل : هي أرض تستوي وتلين وتنفسح عنها الجبال .

الفرش: الزرع إذا صارت له ثلاث ورقات أوأربع ، وفرش الحطب والشجر: دقّه وصغاره ، والفرش: صغار الإبل و غيرها مما لايصلح إلّا للذبح ، وأُخذت من هذا المادّة معنويات كثيرة لامجال لايراد جميعها .

افترش فلان لسانه : تكلّم كيف شاء وبسطه ، وفرش : كذب ، ويقال : كم تفرش: كم تكذب ، وفرشت له: يضرب في الكشف عن باطن الأمر و حقيقته، وافترش فلان فلاناً غلبه وصرعه، وافترش عرضه: إستباحه بالوقيعة فيه وحقيقته جعله لنفسه فراشاً يطؤه ، وافترش المال: إغتصبه، مال مفترش: مغصوب ، وجمل مفترش الأرض: لاسنام له وافترش الشيء: وطئه، افترش الطريق: سلكه ، وافترش فلان ذراعيه: بسطهما على الارض كالفراش له . والفرش: بسط الثياب ، ويقال للمفروش: فرش وفراش .

ورد من المادّة الفرش للصغار من الحيوان قوله عزّ وجلّ : «حمولة وفرشاً» الأنعام : ١٤٢) .

الفرش- بالفتح -: الإبل التي لاتطيق أن يحمل عليها وهي الصغار من الإبل، وقيل : هي الصغار من الإبل وغيرها مما لايصلح للذبح ، وقدّم المحمولة على الفرش لأنّها أعظم في الإنتفاع .

و كذلك ورد منها الفراش للمفروش ، و الفراش مفرداً وجمعاً على فرش .

قال الله تعالى: «جعل لكم الأرض فراشاً» البقره: ٢٢) أي وطأها وذلّلها لكم يمكن الإستقرار عليها، فلم يجعلها نائية لايمكن الإستقرار عليها، وجمع الفراش: فرش.

قال: «متكئين على فرش» الرحمن: ٥٤).

وفراش اللسان: اللحمة الّتي تحته، والفراش: عظم الحاجب، وقد كنّى بالفراش عن كلّ واحد من الزوجين كما يسمّى كلّ واحد منهما لباساً للآخر، و تسمّى المرأة فراشاً لأن زوجها يفترشها فقال النّبيّ الكريم ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» أي مالك الفراش.

ويقال لكلّ خفيف: فراشة، ويكون منه هذا الفراش الّذي يطير لخفّته، واحدته: فراشة والفراشة: حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج فيخترق، جمعها: فراش. قال رسول الله ﷺ: «ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما تتابع الفراش في النار» وقد شبّه الله تعالى الناس يوم القيامة بالجراد المنتشر، و بالفراش المبثوث لأنّهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الّذي يموج بعضهم في بعض، و انّهم يتها فتون من المجرمين منهم في النّار كالفراش الّتي تتهافت في النار.

والفراش ـ بالفتح: غوغاء الجراد، والفراشة أيضاً: كلّ رقيق من عظم أو حديد وماشخص من فروع الكتفين، والماء القليل، يقال: ما بقي في الحوض إلّا فراشة، ويقال: ما هو إلّا فراشة و هو مثل في الخفّة و الحقارة، و الفراشة: الماء القليل في الماء.

أفرش المكان: كثر فراشه، وأفرش عن المكان: أقلع، وأفرش فلان فلاناً: أساء القول فيه و اغتابه، و أفرش زيداً: أعطاه فرشاً من الإبل، و أفرش السيف: رقّقه وأرهفه، وأفرش الشاة للذبح: ألقاها على الأرض ليذبحها، وافرش الرجل إمرأة: زوّجه إيّاها، وأفرش الرجل إمرأتها: ألقاها على ظهرها فجامعها، ويقال: هو كريم المفارش: يتزوّج الكرائم من النساء.

وفرّش الطائر: رفرف بجناحيه على الشّيء وبسطهما، وفرّش الزرع: إنبسط، وامتدّت أوراقه وانتشرت، و فرّش الدّار: بلّطها وبسط فيها الآجر و الصفيح، وتفرش الطائر: رفرف بجناحيه على الشّي، والمفرّشة ـ إسم فاعل ـ:

الشجّة تصدع العظم .

الفرّاش ـ بالفتح ـ: ما يبس بعد المـاء من الطين على الأرض، والفرّاش: الحديدتان يربط بهما العذاران في اللجام ، والفريش : الفرس بعد نتاجها بسبع ليال وهـو خيرأوقات الحمل عليها، جمعها: فرائش، والفريش : الناقة الحـديثة الوضع كالنفساء من النسـاء إذا طهـرت ، و الفريش من النبـات : ما انبسط على وجـه الأرض ولم يقم علـى ساق ، و فرس فريش : إذا حمل عليها صاحبها بعد النتاج بسبع.

الفرشة : الطريقة المطمئنّة من الأرض شيئاً يقود اليـوم والليلة، جمعها: فروش يقال: هوحسن الفرشة أي الهيئة. والفريش: الثورالعربي الّذي لاسنام له ، والفريش: الجارية الّتي يفترشها الرجل ويجامعها.

في اللسان : الفراش : الزوج، والفراش : الزوجة ، والفراش: ما ينامان عليه والفراش: البيت.

٧ـ البث ـ ٩١

بثّ الشيء يبثّه بثّاً ـ من باب ضرب و نصر نحو: فرّ ومدّ ـ: نشره وفرّقه وبثّ الخبر: نشره وأذاعه، ومنه: «بثّوا الخيل في الغارة، وبثّ كلابه على الصيد، وخلق الله الخلق فبثّهم في الأرض» وبثّ الغبار: هيّجه و بثّ السرّ وأبثّه إياه: أطلعه عليه، وبثّ ما في نفسه: كاشفه به.

قال الله عزّوجل : «وبثّ فيهامن كلّ دابة » البقرة: ١٦٤) أي فرّق فيها و نشر .

وإسم المفعول: المبثوث والمبثوثة.

قال الله عزّ وجل: «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» القارعة: ٤) أي المتفرّق.

وقال: «وزرابي مبثوثة» الغاشية: ١٦) أي متفرّقة.

وفي الحديث: «إبليس يبثّ جنوده» أي يفرّقهم وينشرهم من بثّ الحديث: أذاعه وأنشره، ومنه: «بثّ السلطان جنوده» ومثله: «بثّ الخير وأبثّه»، وبثّ حاجتك: أذكرها.

قال الله عزّ وجل: «وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً» النساء: ١)

البثّ: الحال أو الغمّ أو أشدّ الحزن الّذى لا يصبر عليه صاحبه حتّى يبثّه أو يشكوه، والحزن: الهمّ.

قال الله تعالى: «قال إنّما أشكو ابثّي وحزني إلى الله» يوسف: ٨٦)

قيل: البثّ: ما أبداه الانسان، والحزن: ما أخفاه لأنّ الحزن مستكن في القلب، والبثّ: مايبثّ ويظهر فالبثّ غير الحزن.

إنبثّ: إنتشر وتفرّق، وإسم الفاعل منه: منبثّ.

قال الله تعالى: «فكانت هباء منبثّاً» الواقعة: ٦) المنبثّ: ما تبثّه الخيل بسنابكها من الغبار، والمنبث: المفرّق، وتمر بثّ ومنبثّ: متفرّق غير مكنوز.

وباثّ السرّ: أظهره له. ومنه حديث امّ زرع: «زوجي لا أبثّ غيره» أي لا أنشره لقبح آثاره.

وفي الحديث: «لا تبثّ حديثنا تبثيثاً» وفي الحديث أيضاً: «ولا يولج الكف ليعلم البثّ».

البثّ في الأصل: أشدّ الحزن والمرض الشديد كأنّه من شدّته يبثّه صاحبه. والمعنى: انّه كان بجسدها عيب أو داء فكان لا يدخل يده في ثوبها فيمسّه لعلمه أنّ ذلك يؤذيها تصفه باللطف، وقيل: هو ذمّ له أي لايتفقّد

امورها و مصالحها.

و بثبث الخبر: نشره، وبثبث الغبار: هيّجه كبثّ فيهما، وبثبثت الأمر: إذا فتشت عنه وتخبّرته. وفي الحديث: «لمّا حضر اليهودي الموت قال بثبثوه» أي كشّفوه.

فى المفردات: أصل البثّ: التفريق، وإثارة الشيء كبثّ الريح التراب، و بثّ النفس ما انطوت عليه من الغمّ والسرّ.

وقوله تعالى: «وبثّ فيها من كلّ دابّة» إشارة إلى ايجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إيّاه.

وقوله: «كالفراش المبثوث» أي المهيّج بعد سكونه وخفائه.

وقوله: «إنّما أشكوا بثّي وحزني إلى الله» أي غمّي الّذي يبثّه عن كتمان فهو مصدر في تقدير مفعول أو بمعنى غمّي الّذي بثّ فكري نحو: توزّ عني الفكر فيكون في معنى الفاعل.

٨٩-العهن-١٠٥٤

عهن الرجل بالمكان عهناً وعهوناً - من باب نصر وضرب ومنع -: أقام فيه ودام وثبت، وعهن الرجل عن المكان: خرج منه، فهو ضدّ بما يتعدّى به كالرغبة والميل. و عهن الرجل في العمل: جدّ، وإليه: عهد، وعهن لفلان مراده: عجّله له، وعهن السعف: يبست، وعهن القضيب: تثنّى، وقيل: إنكسر أو بلا بينونة.

تدور المادّة على اللين، ومنها العهن الصوف مطلقاً أو الصوف المصبوغ بصبغ ما أو الملوّن بعدة أصباغ، وتخصيصه في الاستعمال القرآني لما فيه من اللون كما ذكر اللون في قوله عزّ وجل: «وردة كالدّهان»

وقد ورد العهن وصفاً أدمع وصفه بالمنفوش في قوله تعالى: «وتكون الجبال كالعهن» المعارج: ٩) ومعه وصفه بالمنفوش في قولـه عزّوجل : «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» القارعة: ٥)

العهن : الصّوف أو المصبوغ ألواناً جمعه : عهون ، والعهان ـ بالكسر ـ: أصل الكباسة.

وعهن له كذا يعهن عهناً ـ من باب علم ـ: عجل، وعهن الشّيء : حضر ، و يقال: رمى فلان الكلام على عواهنه: أورده على ما حضرمنه من غيرفكر و رويّة وتدبّر، وعجل من خطاء وصواب لم ينل أصاب أم أخطأ ، وذلك كقولهم : أورد كلامه غيرمفسّر. وفي الحديث : «ان السلف كانوا يرسلون الكلمة على عواهنها» أى لا يزمونها ويحطمونها.

العـاهن ـ إسم فاعل ـ: الفقر لإنكساره ، والمال التالد كالآهن والحاضر، والعاهن: المقيم الحاضر الثابت، يقال: فلان لعاهن المال أي حاضر النقد ، و فلان لعاهن الطعام: حاضره، وفلان لعاهن المال: آخذ من عاجله وآجلـه ، والعاهن : المسترخي الكسالان هوعهن المال: حسن القيام عليه، مال عاهن: حاضر ثابت، العاهن: الطعام الحاضر والشراب الحاضر.

العواهن: جرائد النخل إذا يبست ، والعواهن: جوارح الإنسان ، و قيل: أصل العـاهن : أن يتقصّف القضيب من الشجرة ولايبين، فيبقى متعلّقاً مسترخياً، والعهنة: إنكسار في القضيب من غير بينونة إذا نظرت إليه حسبته صحيحاً فاذاهززته انثنى ، والعواهن : عروق في رحم الناقـة ، عواهنها : موضع رحمهـا من باطن كعواهن النخـل ، و العهنة: بقلة ، و قيل : العهنة من ذكور البقل ، والعهنة: الحقد والغضب .

وفي المجمع: العهن: الصوف المصبوغ، والقطعة منه: عهنة، شبّه الجبال بالصّوف المصبغ ألوانه، وبالمنفوش منها لتفرّق أجزائه.

وفي النهاية : الهن: الصّوف الملوّن، والعواهن: أن تأخذ غير الطريق في السير والكلام، جمع عاهنة.

٧١- النفش - ١٥٤٧

نفشت الإبل والغنم تنفش نفشاً ونفوشاً ـ من أبواب ضرب ونصر وعلم ـ: رعت ليلاً بلا راع، وذلك يكون حين تخرج من حظيرتها وتتفرّق.

والنفش ـ محركة ـ: إسم، ولا يكون النفش إلّا ليلاً، والهمل يكون ليلاً ونهاراً، ويقال: نفشه فنفش لازم ومتعدّ.

قال الله تعالى : « إذ نفشت فيه غنم القوم» الأنبياء : ٧٨) أي رعته ليلاً.
وأنفش الراعي الغنم والإبل: أرسلها ليلاً ترعى وتركها، ويقال: باتت غنمه نفشاً وهو أن تفرّق في المرعى من غير علم صاحبها ، إبل أو غنم نفّاش أي ترعى ليلاً بلا راع ، وذلك يكون حين تخرج من حظيرتها وتتفرّق ، وقد يكون النفش في جميع الدواب ...

نفش الصّوف والقطن ونحوهما ينفشه نفشاً ـ من باب نصر ـ: مدّه حتّى يتجوّف ، وفرّق ما كان متلبّداً من أجزائه ، وأبان بعضه من بعض إذا هيّج ، ونفش القطن والصوف : شعّثه بالأصابع حتّى ينتشر وقد انتفش ، ونفش القوم نفوشاً: أخصبوا، نفش فلان على الشّيء : أقبل عليه بأكله، ونفش الطائر: نفض ريشه كأنّه يخاف أو يرعد.

والصّوف المفرّش منفوش وكذلك القطن.

قال الله تعالى: «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» القارعة : ٥)

النفيش: المتاع المتفرّق في الوعاء ، وفي حديث إبن عبّاس: «وإن أتاك

منتفش المنخرين» أي واسع منخري الأنف وهومن التفريق. والنفش: كثيرة الكلام والدعاوي، والنفاش: المتكبّر والنفاش: نوع من الليمون أكبرما يكون، و منتفشة: منبسطة على الوجه.

فى المفردات: النفش: نشر الصّوف، قال تعالى: «كالعهن المنفوش» ونفش الغنم: إنتشارها، والنفش - بالفتح -: الغنم المنتشرة قال تعالى: «إذ نفشت فيه غنم القوم» والإبل النوافش: المترددة ليلاً في المرعى بلا راع.

وفى المجمع: و منه الحديث: «على صاحب الماشية حفظها فما فسدت بالليل ضمنوا «هو النفش» ولا يكون النفش إلّا بالليل والهمل يكون ليلاً و نهاراً، يقال: نفشت الغنم والإبل تنفش نفوشاً: إذا رعت ليلاً بلا راع و نفش القطن نفشاً من باب قتل: إذا هيّجته.

و فى النهاية: في حديث: «انّه: نهى عن كسب الأمة إلّا ما عملت بيديها نحو الخبز والغزل و النفش» وهو ندف القطن و الصّوف، والنفيش: المتاع المتفرق.

وفى القاموس و شرحه: النفش: تشعيث الشيء بأصابعك حتّى ينتشر كالتنفيش والنفش: تفريق مالا يعسر تفريقه كالقطن وصوف، وقال أئمة الاشتقاق: وضع مادة النفش للنّشر والانتشار.

٣١- الوزن والميزان- ١٦٦٤

وزن الشّيء يزن وزناً وزنة - من باب ضرب نحو: وعد -: قدّره بما يعادله في الثقل، وزن الشّيء: رازثقله و خفّته وامتحنه بما يعادله، ووزن تمر النخلة وزناً: خرصه و حزره، يقال: وزن لفلان الشيء ووزن فلاناً الشّيء كما يقال: شكرته وشكرت له، و كلت له و كلته.

قال الله تعالى: « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » المطففين: ٣).

و وزنت الشعر: قطّعته ونظمته موافقاً للميزان.

الوازن: إسم فاعل، درهم وازن: تام، والزنة مصدر، أصل الكلمة: الوزن، والهاء فيها عوض من الواو والمحذوفة من أوّلها.

و في الدعاء: « سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه » أي بوزن عرشه في عظم قدره.

قال الله تعالى: « وأنبتنا فيها من كلّ شيء موزون » الحجر: ١٩) قيل: هو المعادن كالفضّة والذّهب، وقيل: بل ذلك إشارة إلى كلّ ما أوجده الله عزّ وجلّ، وأنّه خلقه باعتدال، والموزون: ما يوزن كالجواهر أو مستحسن له وزن وقيمة أو مقدّر بتقدير الله جلّ وعلا كما قال: «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر» القمر: ٤٩) وقال: « والوزن يومئذ الحق » الأعراف: ٨) إشارة إلى العدل في محاسبة الناس كما قال: « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » الأنبياء: ٤٧).

وقد ذكر الميزان في مواضع بلفظ الواحد إعتباراً بالمحاسب، و في مواضع بالجمع إعتباراً بالمحاسبين، جمع الميزان: موازين، ومنه الميزان الّذي توزن به الأعمال يوم القيامة و انه وزن حقيقيّ، وعليه جمهور المحققين.

قال الله تعالى: « فأمّا من ثقلت موازينه ـ وأمّا من خفّت موازينه » القارعة: ٦ ـ ٨).

هي الموازين الحقيقيّة، وقيل: هو تمثيل لإظهار الجزاء، وهذا على سبيل المجاز، ويرى بعضهم: أنّ وزن الأعمال يوم القيامة تمثيل لتقدير الأعمال و إظهارها على رؤوس الأشهاد ثم القضاء والجزاء عليها.

الميزان ـ بالكسر ـ: أصله: موزان، فقلبت الواو ياء لسكونها بعد كسرة مذكّر ويأتي لمعاني تالية:

١ ـ الميزان: آلة تقدّر بها الأشياء بوضعها في كفّة بازاء صنجات مقدّرة

في كفّة اخرى ، و منه ميزان الّذى توزن به الأعمال يوم القيامة بما يناسب يومئذ .

الميزان: آلة معروفة يوزن بها صنجات . . . قال الله تعالى: « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » الأنعام : ١٥٢) وفي الحديث : « نهى عن بيع التمار قبل أن توزن » أي تحزر وتخرص ، سمّاه وزناً لأنّ الخارص يحزرها ويقدّرها فيكون كالوزن لها و وجه النهي أمران: أحدهما- تحصين الأموال ، و ذلك انّها في الغالب لا تأمن العاهة إلّا بعد الإدراك ، و ذلك أوان الخرص . والثاني : انّه إذا باعها قبل ظهور الصلاح بشرط القطع ، وقبل الخرص سقط حقوق الفقراء منها لأنّ الله تعالى أوجب إخراجها وقت الحصاد .

٢ ـ الميزان : العدل والقسط في الأحكام والمعاملات . . .

قال الله عزّ وجلّ : « الله الّذي أنزل الكتاب بالحق والميزان » الشورى : ١٧) أي العدل .

٣ ـ الميزان : الشريعة الّتي يتناصف بها النّاس ، وبها يقوم العدل بينهم .

قال الله تعالى: « لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الحديد : ٢٤) .

٤ ـ الميزان : المقدار يقال : عندي لكلّ مخاصم ميزانه ، يقال : إستقام ميزان النهار أي إنتصف . وفي الحديث: « الصّلاة ميزان فمن وفى و استوفى » قال بعض المحدّثين : يعني بذلك أن يكون ركوعه مثل سجوده و لبثه في الاولى والثانية سواء و من وفى بذلك إستوفى الأجر .

الوزن: مصدر والوزن : المثقال ، جمعه : أوزان ، الوزن : وزن الجبل : ناحية منه ويقال: هذا درهم وزن و وزناً أي موزون أو وزان ، فالرفع على أنّه نعت والنصب على أنّه حال ، والوزن عند العروضيين ، و أوزان العرب : ما بنيت عليه أشعارها ، والوزنة ـ بالفتح ـ : المرّة ، والوزنة : المرأة القصيرة العاقلة و

ـ بكسر الواو ـ : النوع ، والوزنيّ نسبة إلى الوزن ، والموزونة: المرأة القصيرة العاقلة ، والوزنة : الدرهم الّذي يتعامل به .

وزن الشّيء يوزن وزانة فهو وزين ـ من باب كرم ـ : ثقل و تثبّت ، يقال : فلان رجل وزين : كان أصيل الرأي والمشي والحركة ، و يقال : فلان راجح الوزن: موصوف برجاحة العقل والرأي، ويقال: فلان وزين الرأي ورزينه: أصيله ، والأوزن: إسم تفضيل ، يقال: هذا القول أوزن من غيره أي أقوى وأمكن، ويقال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى و أوزن القوم أي أوجههم .

ويقال: هذا شيء يوزن أي نفيس يستحسن في حقّه أن يوزن كالجواهر ولا يكال ولا يؤخذ جزافاً ، و من هذا قيل: الوزن للقدر والمكانة ، تقول : فلان له وزن أي مكانة ومنزلة ، ولا يقام لعمل فلان وزناً أي لا يقدر بقدر لعظمته ، وليس له قدر لخسّته أي هو حقير لا يعبأ به لحقارته .

قال الله عزّ وجلّ : « فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » الكهف : ١٠٥) أي لا ينظر إلى أعمالهم ولا يعتدّ بها ولا يزن لهم سعيهم لكفرهم و طغيانهم . أوزن نفسه على كذا : وزّنها ، و وزّن نفسه على كذا توزيناً : وطّنها . و ازنه موازنة و وزاناً : ساواه في الوزن و قابله و حاذاه ، و وازن فلاناً : كافاه على فعاله، هو وزانه وبوزانه وبوزانته: قبالته، وهذا وزان لك: معادله ومساويه في الوزن ، هو زنة الجبل : حذائه .

توازنا توازناً: تعادلا ، و اتّزن مطاوع وزن يقال : وزنت الدراهم والشعر فاتّزنت ، و اتزن العدل : إعتدل بالآخر، و أصل اتّزن إوتزن فقلبت الواو تاء .

فى المفردات : الوزن : معرفة قدر الشّيء ، والمتعارف في الوزن عند العامة مايقدّر بالقسط والقبّان . وقوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس المستقيم ـ و أقيموا الوزن بالقسط » إشارة إلى مراعاة المعتدلة ، وفي جميع ما يتحرّاه الإنسان من

الأفعال والأقوال .

وفى الاساس : وزنت الشيء ورزنته وثقلته إذا رزته بيدك لتعرف وزنه .

وفى المحكم : الوزين : حبّ الحنظل المطحون يبلّ باللبن و يؤ كل .

وفى المجمع : الوزن عبارة عن إعتدال الأجزاء لابمعنى تساويها ، فانّه لم يوجد بل باضافته إلى ذلك النوع و ما يليق به ، و أمّا إختلاف أنواع النبات ، فبحسب إختلاف أجزائها و كيفياتها . . .

وفى اللسان: الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدّراهم .

و فى القاموس و شرحه : الوزن كالوعد: روزالثقل والخفّة بيدك لتعرف وزنه كالزنة بالكسر و أصل الكلمة الواو والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة من أوّلها .

١٠١ - العيش - ١٠٦٦

عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشاً وعيشة ومعيشة وعيشوشة كلّها مصادر - من بابضرب نحو : باع - : صار ذاحياة فهوعائش، رجل عائش : له حالةحسنة ، يقال: إنّهم لعائشون أيلهم حالاتحسنة ، ويقال: عاش عيشة صدق ، وعيشةسوء . والعيشة : ضرب من العيش .

العيش : مصدر يقال : إنّه لفي عيش رغد ، والحياة المختصّة بالحيوان والطعام ، ومايعاش به ، يقال: عيش بنىفلان اللبن: إذا كانوا يعيشون به والخبز. ويقال: فلانعيش وجيش ، ومرّة عيش ومرّة جيش: مرّة معيومرّة عليّ أو ينفع مرّة ويضرّ اخرى .

ترجع المادّة إلىالبقاء وهوأخصّ منالحياة ، فالعيش: بقاءالحيوان ، ومنه الإنسان علىحين تقالالحيوان علىالحيوان . والمعيشة: مابهالبقاء والعيشمنمطعم

ومشرب وما إليهما من وجوه النعم والمنافع، ومايتوصّل به إلى ذلك، وجمعها: معايش.

والمعاش: ما يعاش به كذلك، وما يعاش فيه زماناً ومكاناً وجمعه: معايش.

قال الله تعالى: «وجعلنا النهار معاشاً» النبأ: ١١) أي وقت معاش يلتمسون به للعيش.

وقال: «وجعلنا لكم فيها معايش» الأعراف: ١٠) فالنهار معاش والأرض معاش للخلق يلتمسون فيها معايشهم.

العيشة: الحالة والهيئة قال الله عزّ وجلّ: «عيشة راضية» القارعة: ٧).

و في الحديث: «لاخير في العيش إلّا لرجلين يزداد كلّ يوم خيراً و رجل يتدارك منية بالتوبة» ومنه: «لولا ذلك ما انتفع أحد بعيش» و منه: «الرفق نصف العيش» و في الدعاء: «أسئلك بردّ العيش بعد الموت» والمراد به الحياة الطيّبة بعدالموت وفي الخبر: «لاعيش إلّا عيش الآخرة».

عيّشه تعييشاً: جعله ذاحياة، و عايشه: عاش معه، و أعاشه إعاشة: جعله ذاحياة، عيّاش - فعّال - للمبالغة، والمتعيش: من له بلغة من العيش، وتعيّش الرجل: تكلّف أسباب المعيشة، وتعايشوا بالفة ومودّة: عاشوامجتمعين على الالفة والمودّة.

في المفردات: العيش: الحياة المختصّة بالحيوان، وهو أخصّ من الحياة لأنّ الحياة تقال في الحيوان، وفي البارى تعالى وفي الملك، ويشتق منه المعيشة لما يتعيّش منه قوله عزّوجلّ: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا- معيشة ضنكاً - لكم فيها معايش» وقال في أهل الجنّة: «فهو في عيشه راضية».

٤٣ - الخفة - ٤٣١

خفّ الشيء يخف خفّاً و خفة - بفتح الخاء و كسرها - وخفوفاً - من

باب ضرب نحو : فر ـ: ضدّ ثقل فهو ثقيل ، وجمعه : خفاف ، وتكون الخفّة في الحسيّات والمعنويات ، فتكون في الجسم والعقل والحال والعمل ، ونون الخفيفة :خلاف الثقيلة.

خفّت الاتن لعيرها : أطاعته ، وخفّ الرجل: قلّ ماله ، و خفّ في سفره وحضره : قلّ ثقله وعياله ، وخفّ الضبع خفّاً : صاحت ، وخفّ القوم : إرتحلوا مسرعين .

و في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته : « أيّها الناس ! قددنا منّي خفوف من بين أظهركم » أي حركة و قرب إرتحال ، يريد الإنذار بموته . وفي الحديث : « خفّفوا الخرص » أي لاتستقصوا عليهم فيه .

و خفّ القوم خفوفاً : قلّوا ، و قد خفّت زحمتهم و خفّ له في الخدمة يخفّ : خدمه ، والخفوف : سرعة السير من المنزل ، يقال : حان الخفوف ، و جائت الإبل على خفّ واحد : إذا تبع بعضها بعضاً كأنّها قطار كلّ بعير رأسه على ذنب صاحبه .

و خفّ الرجل : حمق وطاش ، و أخفّ إخفافاً : خفّت حاله و رقّت ، و أخفّ فلاناً : أزال حلمه و حمله على الخفّة ، والخفّة : ضدّ الثقل والرجوح تكون في الجسم والعقل والعمل .

قال الله جلّ وعلا : « وأمّا من خفّت موازينه » القارعة : ٨) و ذلك كناية عن قلّة الأعمال الصّالحة . . .

تخفّف خفّاً : لبسه ، والخفّ : الملبوس ، وخفّ النّعامة والبعير تشبيهاً بخفّ الإنسان ، والخفّ ـ بالضمّ ـ : الإبل ، ومنه قوله عليه السلام : « لم ترفع راحلتك خفّاً إلّا كتب لك كذا » و جمعه : أخفاف كقفل وأقفال . وقوله عليه السلام : « صدقة الخفّ تدفع إلى المتجملين » اريد بالخفّ : الإبل كما في قوله عليه السلام : « لا سبق إلّا في خفّ أو نصل أو حافر » على حذف المضاف أي في ذي خفّ و في ذي نصل ،

و ذي حافر ومنه: « الرهان في الخف » وخفّت الانثى للفحل : ذلّت له وانقادت .

والخفّ أيضاً: ما يلبس في الرجل، وجمعه: خفاف ككتاب ، ومنه الحديث: « سبق الكتاب الخفين » يريد ان الكتاب أمر بالمسح على الرجل لا الخفّ ، فالمسح على الخفّين حادث بعده .

و في الحديث : « لم يعرف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خفّ إلّا خفاً أهداه له النجاشي » الخفّ : ما يستر ظهر القدمين سواء كان له ساق أم لا .

الخفيف : ضدّ الثقيل ، والسريع في عمله أو سيره ، وخفّوا عن منازلهم : إرتحلوا منها في خفّة ، و يقال : فلان خفيف العارضين أي قليل شعر الوجه ، و فلان خفيف الروح : لطيف رقيق العشرة ، و خفيف الظهر : قليل العيال ، و خفيف اليد : سريع في العمل ، و خفيف القلب : ذكيّ ، و خفيف العقل: أحمق جمعه : خفاف ، و أخفّاء والخفيف أيضاً : بحر من أبحر الشعر .

و قال الله عزّ وجلّ : « حملت حملاً خفيفاً » الأعراف : ١٨٩) أي خفّ عليها ولم يكن كرباً كما تلقى بعض الحبالى من الكرب .

و في حديث إبن سلف : « أنّه كان خفيف ذات اليد » أي فقيراً ، قليل المال والحظّ من الدنيا ، و جمعه : أخفاف ، و منه الحديث : « خرج شبّان أصحابه و أخفافهم حسّراً » ، و هم الذين لا متاع معهم و لا سلاح ، و رجل خفيف: فقير و أخفّ فلاناً : إذا أغضبه ، و خفّف عنه تخفيفاً : ضدّ ثقّل عليه تثقيلاً .

قال الله تعالى: «يريد الله أن يخفّف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً» النساء : ٢٨) .

تخافّ الرجل تخافّاً : ضدّ تثاقل ، وفي الحديث: « وإذا سجدت فتخافّ » أي ضع جبهتك على الأرض وضعاً خفيفاً ، و في الحديث : « خففوا على الأرض » أي لا ترسلوا أنفسكم في السجود إرسالاً ثقيلا فيؤثر في جباهكم .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « تخففوا تلحقوا » أي تخففوا من الذنوب تلحقوا من سبقكم في

العمل الصالح. وقال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه: فما سمع كلام أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً وما أبعد غورها من كلمة وأنفع نطقها من حكمة. وفي الخبر: «بين أيدينا عقبة كؤد لايجوزها إلّا المخفّ» أي من الذّنوب و أسباب الدنيا وعلقها، وهو من قولهم: أخفّ الرجل فهو مخف: إذا خفت حاله ودابته، و إذا كان قليل الثقل. وفي الحديث: «إستخففتها ونلت بها» الخفاف - بالضّمّ - : الخفيف القلب المتوقّد، وخفاف كذلك: رجل، والخفّ - بالضّمّ -: الأرض الغليظة، والخفّ: الجمل المسنّ، ومن الانسان: ما أصاب الأرض من باطن قدمه، والخفّاف - كشدّاد - مبالغة: بائع الأخفاف.

والخفّ - بالكسر - : كلّ شيء خفّ محمله، والخف: الجماعة القليلة، ويقال: خرج فلان في خفّ من أصحابه أي جماعة قليلة، وخفّ المتاع: خفيفه، وخفّ المطر: نقص، وخفّ القوم عن وطنهم خفوفاً: إرتحلوا مسر عين.

خفّان - كحسّان - : موضع كثير الغياض قرب الكوفة وهو مأسدة و منه قوله : «هصور له في غيل خفّان أشبل» أي أسدله أولاد في هذه الأرض ، و الخفّوف: الضبع.

الإستخفاف: الإستهانة والإهانة والتهاون. واستخفّه إستخفافاً: ضدّ إستثقله واستخفّ: إستهان، وفي الحسيّات: وجد حمله خفيفاً عليه كقوله عزّ وجلّ: «وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم» النحل : ٨٠)

وفي المعنويات: إستخفّ عقله أو أزاله عمّا كان عليه من الصّواب كقوله تعالى: «فاستخفّ قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين» الزخرف : ٥٤) أي دعاهم إلى الخفّة والطيش فأطاعوه أو وجدهم طائشين و خفافاً في أبدانهم و عزائمهم.. وقوله تعالى: «فاصبر ان وعدالله حقّ ولايستخفّنّك الذين لايوقنون» الروم: ٦٠) أي ولايزعجنك ويزيلنك عن إعتقادك بما يوقنون من الشبه.

واستخفّ الطرب فلاناً: حمله على الخلاعة، وفلاناً عن رأيه: حمله على الجهل والخفّة، واستخفّه: اطربه وأزاله عما كان عليه من الصّواب ، واستخفّه الفرح: إذا ارتاح لأمر، واستخفّه: إستجهله، فحمله على إتباعه في غيّه، واستخفّه: طلب خفّته، واستخفّ فلان بحقّي: إذا استهان به.

وفي الحديث: «ليس منّي من استخفّ بصلاته» وفي الحديث أيضاً : «من استخفّ بصلاته لا يرد على الحوض لا والله» أي من استهان بها ولم يعبأ بها ولم يعظم شعائرها مثل قولهم: إستخفّ بدينه: إذا أهانه ولم يعبأ به ولم يعظم شعائره، وفي حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «انّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة» أي مستهيناً بها مستحقراً لها على وجهة التكذيب والإنكار أو عدم المبالات في تركها وما إليها من مراتب الإستهانة بها.

في المفردات: الخفيف بازاء الثقيل، ويقال: ذلك تارة باعتبار المضايفة بالوزن وقياس شيئين: أحدهما بالآخر نحو: درهم خفيف، ودرهم ثقيل، والثاني باعتبار مضايفة الزمان نحو: فرس خفيف وفرس ثقيل إذا عدا أحدهما أكثر من الآخر في زمان واحد. الثالث: يقال : خفيف فيما يستحليه النّاس وثقيل فيما يستوخمه ، فيكون الخفيف مدحاً والثقيل ذمّاً، ومنه قوله تعالى: «الآن خفّف الله عنكم ـ فلا يخفّف عنهم» وأرى أن من هذا قوله: «حملت حملاً خفيفاً».

الرابع: يقال: خفيف فيمن يطيش، وثقيل فيما فيه وقار فيكون الخفيف ذمّاً والثقيل مدحاً، والخامس: يقال: خفيف في الأجسام التي من شأنها أن ترجحن إلى أسفل كالأرض والماء

٤٨- هيه -١٦٣٢

هيه ـ بكسر الهاء وفتح الياء ـ : كلمة مؤلفة من كلمتين: «هي» و«هاء»

ساكنة فالكلمة: «هي» ضمير الغائبة المؤنّثة، والهاء هاء السكت تزاد في الوقف على الكلمة محافظة على حركة آخرها. هيه: من ينحّى لدنس ثيابه يقال له: هيه هيه.

قال الله عزّ وجلّ: «وما أدراك ماهيه» القارعة: ١٠)

في النهاية: في حديث اميّة وأبي سفيان: «قال: يا صخر هيه فقلت هيها» هيه بمعنى ايه فابدل من الهمزة هاء، وايه: إسم سمّي به الفعل ومعناه الأمر.

تقول للرجل: ايه بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما، فان نوّنت: إستزدته من حديث ما غير معهود لأنّ التنوين للتنكير فاذاسكّنته وكففته قلت: أيهاً بالنّصب. فالمعنى: انّ امية قال له: زدني من حديثك فقال له أبوسفيان: كفّ عن ذلك.

وفي اللسان: ان الهيه هو الّذي ينحّى لدنس ثيابه يقال له: هيه‌هيه وهي كلمة تقال لشيء يطرد ولايطعم وهي كلمة إستزادة أيضاً، وهياه - كسحاب - : من أسماء الشياطين، وايه كلمة إستزادة للكلام وهاه كلمة وعيد وهي أيضاً حكاية الضحك والنوح.

وفي الحديث قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله يحبّ العطاس ويكره التثاؤب فاذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع ولا يقولنّ هاه هاه فانّما ذلكم الشيطان يضحك منه».

وفي الحديث قال الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السلام - ذكر العلماء الأتقياء - : «اولئك أولياء الله من خلقه ونصحاؤه في دينه والدعاة إلى أمره هاه هاه شوقاً إليهم»

٧٥ - الحمى والحمية - ٣٦٣

حميت النّار تحمى حمياً - بفتح الحاء وسكون الميم وتخفيف الياء - و

حميّاً - بضمّ الحاء و كسر الميم و تشديد الياء -وحموّاً - بضمّ الحاء والميم و تشديد الواو- من باب علم نحو: رضي-: إشتدّ حرّها فهي حامية ، وحميت الحديدة: إشتدّ حرّها بالنّار، وحمي الفرس حمى: سخن وعرق، وحمي فلان على فلان: غضب.

قال الله عزّ وجلّ: «تصلى ناراً حامية» القارعة: ١١)

حميت على كذا في النار: أو قدتها له، وحمّة- بضمّ الحاء - الحرّ: معظمه، والحمّة: السّمّ، وحمّة العقرب: سمّها وضرّها، وحمّة الغضب: أوّله . الحمي: الحرارة المتولّدة من الجواهر المحمية كالنار والشمس، ومن القوّة الحارّة في البدن. قال الله عزّ وجلّ: «في عين حامية» الكهف: ٨٦) على قراءة أي حارّة .

وقال تعالى: «يوم يحمى عليها في نارجهنم» التوبة : ٣٥) وحمي النهار و احميت الحديدةاحماء وحميا الكأس سورتها وحرارتها .

وفي الحديث: «وقدر القوم حامية تنور» أي حارّة تغلي يريد عزّة جانبهم وشدّة شوكتهم وحميّتهم، وفي حديث حنين: «الآن حمي الوطيس» الوطيس : التنور وهو كناية عن شدّة الأمر وإضطرام الحرب، ويقال: إنّ هذه الكلمة أوّل ما قالها النّبي ﷺ لمّا اشتدّ البأس يومئذ ولم تسمع قبله وهي من أحسن الاستعارات .

حماه يحميه حمياً وحماية وحمية ومحمية - من باب ضرب نحو: رمى -: منعه ودفع ومنه سمّي الحامي، وحمى الشّيء من النّاس : منعه عنهم ، و حمى المريض ما يضرّه: منعه إيّاه متعدّياً إلى مفعولين ، والأشهر تعدّيه إلى الثاني بالحرف، وحمي من الشيء: أنف أن يفعله ، وفي حديث الإفك: «أحمي سمعي و بصري» أي أمنعهما من أن أنسب إليهما مالم يدركاه ومن العذاب لو كذبت عليهما.

والحامي هو: الفحل من الإبل لا يركب ولا يجزّ وبره و كان من عادة الجاهليّة، فأبطلها الاسلام، وفي الحديث:«لم تدخل الجنّة حمية غير حمية حمزة»

وذلك حين أسلم غضباً للنبي ﷺ في حديث السلا الذين ألقى على النبي ﷺ وحمزة هو عم النبي ﷺ. قال الله عز وجل: «ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولاحام» المائدة: ١٠٣) قيل: هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن كان يقال: حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولاماء.

والحمى - كإلى - : المكان والكلا والماء يحمى أي يمنع، ومنه «حمى السلطان» وهو كالمرعى الذي حماه فمنع منه، فاذا سيب الانسان ماشية هناك لم يؤمن عليها أن ترتع في حماه فيصيبه من بطشه مالا قبل له به، وتثنية الحمى «حميان» بكسر الحاء على لفظ الواحد، ومنه الحديث: «ألاوإن لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه» وفي قوله ؑ: «إن حمى الله محارمه» إعلام بأن التجنب عن مقاربة حدود الله والحذر من الخوض في حماه أحق وأجدر من مجانبة كل ملك، فان النفس الأمارة بالسوء إذا أخطأتها السياسة في ذلك الموطن كانت أسوأ عاقبة من كل بهيمة خليع العذار.

وفي الحديث: «جعل رسول الله ﷺ إثنى عشر ميلاً حول المدينة حمى» أراد تحريم صيدها وقطع شجرها، وهذا شيء حمى: محظور لايقرب، واحتمى من الطعام: لم يقربه، ومنه الحديث: «عجبت لمن يحتمى من طعام مخافة الداء كيف لايحتمى من الذنوب مخافة النار» وإطلاق الحمية على الذنوب من باب المشاكلة. وحمى الوحي: كثر نزوله، والحم: واحد الأحماء وهم أقارب الزوج كالأب والأخ وفيه أربع لغات، وحماة - بضم الحاء - المرأة: أم زوجها، ولايجوز فيها غير القصر ومن أسمائه ﷺ في الكتب السالفة «حمياطي» أي يحمى الحريم ويمنع من الحرام ويوطيء الحلال.

الحامي: الكلب لحراسته والأسد لحميه فريسته، وفلان حامي الحميا: يحمى حوزته وماوالاه، وفلان حامي الحقيقة، والحامية أيضاً: الرجل يحمي أصحابه ويذب عنهم، والتاء للمبالغة لاللتأنيث كما هي في نحو الرواية المكثير

الرواية، والجماعة لأنّها تحمي نفسها، والحامية: الحجارة تطوى بها البئر، يقال: هوعلى حامية القوم أي آخر من يحميهم في مضيّهم أي عند إنهزامهم من وجه العدوّ وهو بتقدير اثر حامية القوم، ومضيت على حاميتي: على وجهي، جمعها: الحوامي والحوامي: ميامن الفرس ومياسره يقال: هو حماء لك أي فداء عنك.

الحمة ـ بضمّ الحاء وفتح الميم ـ: سمّ كلّ شيء يلدغ ويلسع، وقيل: الإبرة يضرب بها الزنبور والحيّة ونحو هما أو يلدغ بها وتاؤها عوض عن اللام المحذوف لأن أصلها: الحمى وحمة البرد: شدّته.

الحمىّ: المريض الممنوع عمّا يضرّه من الطعام والشراب، والحميّا: شدّة الغضب وأوّله يقال: لاتكلّمه في حميّا غضبه، والحميّا ـ من الخمر ـ: سورتها و شدّتها، والحميّا: الخمر نفسها مجازاً كقوله: «شربن الحميّا أو بهنّ جنون» والحميّا من كلّ شيء: ومن الشباب: أوّله ونشاطه، وشديد الحميّا: عزيز النفس أبيّ.

وفي الحديث: «لاحمى إلّا لله ولرسوله» قيل: هو ردّ لما كان يصنع في الجاهليّة وذلك انّ الشريف من العرب كان في الجاهلية إذا نزل بلداً في عشيرته إستعوى كلباً فحمى لخاصّته مدى عواء الكلب لايشركه فيه غيره، فلم يرعه معه أحدو كان شريك القوم في سائر المراتع حولـه، فنهى النبيّ ﷺ أن يحمى على الناس كما كانوا في الجاهلية يفعلون وأضافه إلى الله ورسولـه: «لاحمى إلّا لله و لرسوله» أي إلّا مايحمى لخيل المسلمين وركابهم الّتي ترصد للجهاد والابل الّتي يحمل عليها في سبيل الله، وإبل الزكاة كما حمى عمر النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدّة في سبيل الله.

وقوله: «القرض حمى الزكاة» أي حافظ لها بمعنى إذا مات المقترض أو اعسر إحتسبت عليه.

والحميّة: الأنفة والغيرة لأنّهما سبب الحماية، والحمينّة: النخوة والمرؤة و الحميّة: المحافظة على المحرم والدين من التهمة، وحميّة: إسم، ويقال: فلان

ذوحميّة منكرة: إذا كان ذاغضب وأنفة.

قال الله تعالى: «إذ جعل الّذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية» الفتح: ٢٦)

والحمية ـ بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء ـ: ما حمى من الشّيء، والإسم من حمى المريض إذا منعه مايضرّه أومن احتمى بهذا المعنى، وفي الحديث: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كلّ داء» والمحميّ: الأسد.

في المفردات: وعبّر عن القوّة الغضبيّة إذا ثارت و كثرت بالحميّة فقيل: حميت على فلان أي غضبت عليه. قال تعالى: «حميّة الجاهليّة» وعن ذلك استعير قولهم: حميت المكان حمى. والحمأة والحماء: طين اسود منتن قال تعالى: «من حماء مسنون».

وفى المجمع: الحام: الفحل إذا انتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولاماء، والحميّة: الأنفة والغيرة، واحماء المرأة: كلّ من كان من قبل زوجها، وذلك لكونهم حماة لها، فالأنفة والغيرة سبب الحماية.

وفى النهاية: وحميته حماية: إذا دفعت عنه ومنعت، وحميت القوم الماء أي منعتهم إياه، وحماه عن الدنيا: حفظه من مالها ومناصبها ومايضرّ بها.

❁

﴿ النحو ﴾

١- (القارعة)

في «القارعة» وجوه: أحدها - مبتداء، وخبرها الآية التالية. ثانيها - خبر لمبتداء محذوف أي هذه الحاقة، وهي في الأصل صفة لكلّ حادثة هائلة ثم خرجت عن الوصف وصارت علماً ليوم القيامة، وإن كان فيها ايماء إلى أصل معناها أيضاً وهو الإصطكاك بشدّة و إعتماد ومثلها الواقعة والحاقّة والصاخّة والطامّة و الغاشية... ثالثها مبتداء و«يكون الناس» خبره بمعنى: أنّ القارعة تحدث في هذا اليوم، فيكون: «ما القارعة وما أداراك ما القارعة» إعتراضاً ، ومن المحتمل أن يكون التقدير: هذا الأمر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث.

٢- (ماالحاقة)

«ما» إسم للاستفهام ومعناها التعجّب،في موضع رفع على الإبتداء و«القارعة» خبره وعلى ماقيل سابقاً: أنّ الجملة خبر من «القارعة» الاولى، وكان حكمه أن يقال: القارعة ما هي إلاّ أنّه أقام المظهر مقام المضمر للتفخيم والتعظيم، والمعنى: أي شيء هي القارعة و لهذا جاز أن يقع المبتداء الثّاني و خبره خبراً من الأوّل.

٣- (وما أدراك ما القارعة)

الواو حرف نسق، و «ما» استفهامية اريدبها التعجّب، في موضع رفع على الإبتداء،و«أدرى» فعل ماض من باب الإفعال،و كاف الخطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم

في موضع نصب، مفعول به الأوّل، والجملة خبر «ما».

و «ما» الثانية كالاولى، و«القارعة» خبره والجملة في موضع نصب، مفعول ثان لـ«أدرى» ولم يعمل «أدراك» في «ما» لأنّها إستفهامية، ولا يعمل في الإستفهام ما قبله. والمعنى: وما أعلمك يا محمد ﷺ أيّ شيء القارعة!

٤- (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

في «يوم» وجوه: أحدها - خبرعن «القارعة» أي هي يوم يكون الناس و «يوم» منصوب بمادلّ عليه «القارعة» أي تقرع الناس يوم كذا .

ثانيها - أنّ العامل في«يوم» هو «القارعة» نفسها أي تقرع آذان الخلق .

ثالثها - أنّ «القارعة» رفعت باضمار فعل،وذلك الفعل هو العامل في«يوم»فالتقدير: ستأتي القارعة يوم يكون الناس.

رابعها - منصوب على الظرفيّة على تقدير : تكون القارعة في يوم يكون الناس .

خامسها - منصوب لفعل مقدّر: أي اذكر يوم الناس.

و«يكون» فعل مضارع من الأفعال الناقصة، و«الناس» إسمه، و«كالفراش» في موضع نصب، خبراً لـ«يكون»،و«المبثوث»إسم مفعول من بثّ يبثّ بثّاً صفة لـ«الفراش».

٥- (و تكون الجبال كالعهن المنفوش)

الواو للعطف، والكلام في إعراب الجملة المعطوفة هو الكلام في إعراب الجملة المعطوف عليها.

٦- (فأما من ثقلت موازينه)

الفاء للتفريع، و «أمّا» حرف تفصيل غالباً، وفيها معنى الشرط للزوم الفاء ، والتزم حذف شرطها وعوّض بينهما عن فعلها جزء ممّا في حيّزها ، و«من» إسم تامّ، مبهم للشرط لايحتاج إلى صلة، في موضع رفع بالابتداء، و«ثقلت» فعل ماض لفظاً، ومضارع معناً لمكان الشرط، وجيئت بالتاء باعتبار جماعة الفاعل،و«موازينه»

الموازين: جمع الميزان، اضيف إلى ضمير «من» وأصل الميزان: مـوزان، فقلبت الواوياء لكسر ما قبلها.

٧- (فهو في عيشة راضية)

الفاء جواب لـ«أما» لما فيها من معنى الشرط، و«هو» مبتداء و «في عيشة» متعلق بمحذوف وهو خبر المبتداءِ، و«راضية» إسم فاعل بمعنى المفعول، نعت لـ«عيشة» أي مرضيّ بها، وهو مما جاز علي وزن فاعل ويراد به مفعول، فانّ أهلها يرضون بالعيش في دار الخلود فالقوم راضون، والعيش مرضيّ به.

٨- (وأما من خفت موازينه)

الواو للعطف، وإعراب المعطوف ظاهر من إعراب المعطوف عليه.

٩- (فامه هاوية)

الفاء جواب الشرط، و «امّه» مبتداء، اضيف «امّ» إلى ضمير «من» و«هاوية» خبر المبتداءِ والجملة جواب لـ «أمّا» لما فيها من معنى الشرط.

١٠- (وما أدراك ماهيه)

«ما» إسم، إستفهامية معناها التعجب، في موضع رفع على الابتداء، وأدرى فعل ماض من باب الإفعال، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به الأوّل، «ما» مبتداء و«هيه» خبره والضمير راجع إلى «هاوية» والجملة في موضع نصب، مفعول ثان لـ«أدرى».

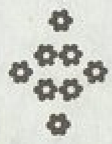
ودخلت هاء السكت على «هي» لبيان الحركة في الياءِ لأنّها خفية ، وهاء السكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة تحذف وصلاً ، ومـن أثبتها وصلاً أجـرى الوصل مجرى الوقف لئلا تختلف رؤس الآي.

وهي في القرآن الكريم في سبع مواضع: ١- قوله تعالـى: «لم يتسنّه» البقرة: ٢٥٩) ٢- قوله سبحانه: «سلطانيه» الحاقة: ٢٩) ٣- قوله عزّ وجلّ: «ماهيه» القارعة: ١٠) ٤-٦- قوله جلّ وعلا: «ماليه وحسابيه و كتابيه» الحاقة: ١٩و٢٠و ٢٨) ٧- قوله تعالى: «إقتده» الأنعام: ٩٠).

والقرّاء كلّهم يقفون عليها بالهاء إن وقفوا إتّباعاً للمصحف، فاذا أدرجوا إختلفوا، فكان حمزة يسقطها درجاً، والكسائي يسقط بعضاً ويثبت بعضاً، وسائرهم يثبتها وصلاً ووقفاً، فمن أثبت كره خلاف المصحف وبنى الوصل على الوقف، ومن حذفها في الدرج وهو الإختيار عند النحويّين، قال: إنّما أتى بهذه الهاء للوقف، فمتى وصلت حذفت والعرب تقول : إرم يازيد وارمه واقتد يازيد واقتده ومن أثبت بعضاً دون بعض أعلمك أنّ القرائتين جائزتان.

١١ـ (نارحامية)

«نار» خبر لمحذوف أي هي نار حامية، والنار مؤنّث مجازي لتصغيرها على نويرة، فلذلك انّث النار، و «حامية» نعت لـ «نار».



﴿البيان﴾

١- (القارعة)

«القارعة» إسم من أسماءِ القيامة التي مبدؤها لنفخة الاولى، ومنتهاها فصل القضاءِ بين الخلائق كما في سورة التكوير.

وقد سمّيت القيامة بالقارعة تنبيهاً إلى أنّها تقرع قلوب الكفار والمجرمين بفنون أهوالهـا، وتقرع أسماع الفجّار و المستكبرين بانواع أفزاعها ، وتقرع ضمائر الفسّاق والمستبدين بشدّة عذابها، وإلى أنّها تخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال ... السماء بالإنشقاق والإنفطار ، والشمس بالتكوير و الجمع، والنجوم بالانكدار والانتثار، والأرض بالزلزال والتبديل، والجبال بالدّك والنسف، فلا أهول منها.

القرع هو: الضرب بشدّة وإعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد، فكأنّ القيامة مقرعة تقع على رؤس أعداءِ الله جلّ وعلا بضربة مفاجئـة ، ولذلك قال في الاخبار عنها : « ما القارعة» كمـا تسمّى الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة كقوله تعالى: «ولايزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة» الرعد: ١٣) أي حادثة عظيمة فاجئة تقرع قلوبهم وتصكّ أجسامهم فيألمون لها.

٢- (ما القارعة)

سؤال إستعظام و تعجيب ، سؤال إجلال وتأكيد لأمر القارعـة و تهويل

لشأنها، فالمعنى: أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة! فان مدار إفادة الهول والفخامة هو كلمة «ما» وفي وضع الظاهر موضع الاضمار تفخيم وتهويل آخر وتأكيد لشأنها.

ففي الآية الكريمة تعظيم بعد تفخيم، وتهويل فوق تهويل مبالغة في الغرض الذي سيق له الكلام، فكأنها لشدة ما يكون فيها من الأفزاع و الأهوال التي تفزع منها النفوس، و تدهش لها العقول، يصعب تصورها، ويتعذر إدراك حقيقتها.

٣- (وما أدراك ما القارعة)

إن الآية الكريمة بصدد لفت النظر إلى خطورة «القارعة» وتهويل لها و ليومها، وتفظيع لشأنها وتفخيم أمرها، تأكيداً لما سبق، ببيان أنها مما لا تحيط بكنهها العقول، فكأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب وإدراكه في هذه الحياة الدنيا، على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها و ما اشتملت عليه من الأوصاف بحيث لا تكاد تناله دراية أحد من المخاطبين و لم تصل إليه معرفة أحد من السامعين، ولا أدركه وهمه و كيفما قدر حالها فهي وراء ذلك وأعظم إذ لا يبلغها وصف واصف ولا نعت مخبر.

ومن هنا يعلم أن الاستفهام في « وما أدراك » كناية عن لازمة من أنها لا تعلم ولا يصل إليها دراية دار ولا تبلغها العقول و الأفكار . . . و في وضع الظاهر: «القارعة» موضع الضمير: «ماهي» تأكيد بعد تأكيد لشأنها ومبالغة اخرى لما سيق له الكلام.

ان تسئل : لم قال: «وما أدراك» بصيغة الماضي، ولم يقل : «وما يدريك» كما في قوله عز وجل: «وما يدريك لعله يزكى» عبس: ٣) ؟

تجيب : أنه يقال للمعلوم بفعل الماضي، ويقال لما ليس بمعلوم بفعل المضارع، وأن الكلام في المقام لمن يعلمها بالصفة ولا يخفى عليه دافعها، وعن

إبن عباس: أنّه قال: إنّ ما في القرآن من قوله عزّ وجل: «وما أدراك» كناية و «ما يدريك» تصريح، وعن سفيان بن عيينة: انّ كلّ ماني القرآن قال فيه: «ما أدراك» فانّ النّبي ﷺ أخبر به، و كلّ ما قال فيه: «وما يدريك» فانّه ﷺ لم يخبر به.

٤- (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

إخبار عن «القارعة» ببيان ما يقع فيها من أحوال النّاس بأهوالها، و قد شبّه النّاس عند البعث بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذّلة والحيرة و التطاير إلى الداعي من كلّ جانب كما يتطاير الفراش و تهافت على النّار، فانهم ذاهبون يومئذ في كلّ أوب كما شبّههم بالجراد المنتشر في موضع آخر لذلك لا لصغر الجثّة و النحول والضعف فقط، فهم إذا بعثوا وأحاط بهم الفزع يجول بعضهم في بعض، وتوجّهوا إلى جهات شتّى فيدلّ ذلك على أنّهم يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة كالفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة كسائر الطير، كما سيتوجّهون إلى منازلهم و يتهافتون في النار كتهافت الفراش عليها و تشبيه النّاس بالفراش المبثوث مستمدّ من مألوفات الناس ومدركاتهم، فالفراش دائم الاضطراب والتحريم والانتشار وسيكون النّاس كذلك يوم القيامة من شدّة القلق والرعب.

٥- (و تكون الجبال كالعهن المنفوش)

إخبار عمّا يقع يوم القيامة من الأهوال بتلاشي الجبال و زوالها عن أماكنها على إختلاف ألوانها وتفرّق أجزائها وتطايرها في الجوّ بزلزلة الساعة فتصبح الجبال بواسطة التفجير النووى الرّبّاني كالصّوف المنفوش، فتزول عن أماكنها وتصير خفيفة السير وإليه يشير قوله عزّ وجل: «يوم تسير الجبال» الكهف: ٤٧)

وقد شبّه الجبال بالعهن لاختلاف أجزائها في الحمرة والبياض والسواد و وصفه بالمنفوش لتفرّق أجزائها وزوال تأليفها وتفكك شعيراته بعضها عن بعض وخفة سيرها، فتصير هباء منبثاً.

وفي الآية الكريمة تخويف وتحذير للانسان وتوكيد لشدّة يوم القيامة و تهويلها بوقعة القارعة ودكّة مفرغة.

و تشبيه الجبال بالعهن المنفوش مستمدّ من مألوفات الناس و مدركاتهم كتشبيه الناس بالفراش المبثوث ، فالجبال معروفة عندهم بصلابتها وصخورها و رسوخها في الأرض و إرتفاعها في السماء، فاريد إفهام السامعين أنّ أشدّ ما يعرفونه صلابة و رسوخاً يتفكّك وينحل ويصبح كالعهن المنفوش رخاوة ولينا و خفّة من شدّة الهول ، و قد تنوّع وصف حالة الجبال يوم القيامة ، و قد يدلّ هذا التنوّع على أنّ الغرض من هذا الوصف و أمثاله توكيد لهول يوم القيامة وشدّته.

٦- (فأما من ثقلت موازينه)

تقرير إجمالي لتصنيف الناس في العقايد والأقوال والأعمال و الأحوال على فريقين : فريق الحق والايمان وصالح العمل فموازينهم ثقيلة، فمصيرهم طمأنينة و عيش رضيّ ، و فريق الباطل والكفروفساد العمل، فموازينهم خفيفة فمآلهم أعماق النار الحامية.

وتنبيه إلى كيفيّة الأحوال الخاصّة بكلّ من الفريقين إثر بيان الأحوال السابقة الشاملة للكل ظاهراً ، و إشارة إلى وزن الاعمال و ما إليها ، فمنها ما هو ثقيل في الميزان ، فله قدر و منزلة عند الله عز و جلّ فتتبعه السعادة و الجنّة ، ومنها ما هو خفيف و هو الكفر و أنواع المعاصي ، فلا يعبأ به فيتبعه الشقاء و النار.

وقيل: في الآية الكريمة ايماء إلى تجسّم ما يتعلّق بالانسان، والجمع: «موازينه» إمّا باعتبار تعدد الموزونات فلكلّ نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان، وإمّا باعتبار كثرة الموزون لهم.

٧- (فهو في عيشة راضية)

تفريع على ثقل الموازين و تقرير لجزاء من ثقلت موازينه في الدار الآخرة ففي الجملة من تعليق العيش المرضيّ به على ثقل الموازين مالا يخفى على القارىء الخبير.

والعيشة - بكسر العيش كالجلسة -: بناء نوع، و توصيفها براضية - والراضي وصف لصاحبها - من المجاز العقلى إذكان الوجه أن يقال: «في عيشة مرضية» ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم: شعر شاعر وليل ساهر إذا شعر في ذلك الشعر وسهر ذلك الليل، فكأنّهما وصفا بما يكون فيهما لا بما يكون منهما، فبان أنّ تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الانسان فيها حاله جاز أن توصف هي بالرضا مبالغة في كمالها وجمالها وهنيئها إلى حدّ كأنّ الرضا اد غمت في ذاتها فاصبحت راضية في ذاتها و اجتمع لها أسباب الرضوان كلّها لجميع الناس على إختلاف مطالبهم.

٨- (وأما من خفت موازينه)

تقرير لأحوال الآخرين من الفريقين، وفي جمع الميزان الّذي توزن به العقائد و ما في الضمائر والصدور: من الحق و الباطل، من الايمان والكفر، من الخلوص و النفاق، و من الحبّ و البغض، و ما توزن به الأقوال: من صدقها و كذبها، من حسنها وقبيحها، ومن لينها و خشنها... وما توزن به الأعمال: من خيرها و شرّها، من صالحها و فاسدها... تنبيه إلى أنّ كلّ ما يتعلّق بالانسان من العقائد والأقوال والأعمال له ميزانه الذي يوزن به حسب قدره وقيمته...

٩-(فامه هاوية)

تفريع على خفّة الموازين و بيان لجزاءِ من خفّت موازينه في الدّار الآخرة، و في الجملة من تعليق العذاب و الهاوية على خفّة الموازين ما لا يخفى.

الهاوية من أسماءِ النار سمّيت بها لأنّها نار عتيقة يهوى فيها أهلها على ام رأسهم فيتهـا فتون في قعرها كتهافت الفراش على النّار فكأنّها تهوى باهلها إلى قعرها، فكان ظاهر الفعل لهـا و حقيقة لغيرها ، و إنّما جعلت امّه لضمّها له و إشتما لهـا عليه على باب الاستعارة ، و كلّ شيء جمع شيئاً و ضمّه إليه فهو امّ لـه ، و من ذلك امّ الرأس : مجمع الدمـاغ، و لشبه ذلك قوله عزّ وجل : «مأواكم النار وبئس المصير» وهي المهواة الّتي لا يدرك قعرها فيهوى فيها أهلها على رؤسهم .

فمأوى من ثقلت موازينه يأوى إليه مهواة سحيقة في جهنم يهوى فيها كما يأوي الولد إلى امّه، فجعل مسكن أهل جهنم فيها امّا لهم على التشبيه لأن الامّ مأوى الولد ومفزعه.

قال اميّة بن أبي الصّلت:

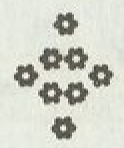
فالأرض معقلنا وكانت امّنا   فيهـا مقابرنا و فيهـا نولد

١٠- (وما أدراك ماهيه)

سئوال إستعظام وتجهيل وتعجيب لاخراج الأمر عن حدود التصوّر والادراك على واقعـه ، و إن يدرك بذكر بعض أوصافه . . . ففي الآية الكريمة تفخيم و تعظيم لأمر الهاوية ، مع الإشعار بخروج ما تحتويه عن الحدود المعهود للتفخيم والتهويل ، فالمخاطب لا يعلم تفصيلها و أنواع مافيها من العـذاب وإن كان عالماً إجمالاً ببيان بعض أحوالها وأهوالها...

۱۱- (نار حامية)

جواب للاستفهام التعجيبي على طريق البيان بذكر بعض الأوصاف للهاوية بعد إبهامها ، و في الآية الكريمة إيماء إلى أنّ جميع النيران إذا قيست بها و وزنت حالها بحالها لم تكن حامية، فنيران الدنيا بالنسبة إلى نار الآخرة غير حامية وذلك دليل على قوّة حرارتها وشدّة إستعارها.



﴿الاعجاز﴾

واعلم أنّ هذه السورة المباركة: «القارعة» مضافاً إلى إعجازها باسلوبها و تنسيقها تقرع بأصواتها الصّارخة المدمدمة على واقعها أسماع الكفار والمعاندين، وآذان الفجّار والمجرمين، وتفظع بنغمها المهيّجة قلوب الطغاة والمستكبرين و ضمائر العتاة والمستبدين...

فانّها تثير الهول والفزع بما تبعث من نذر الهلاك والدمار، والعذاب والنار وبما تحمل من صور الإنقلابات الهائلة المروّعة التي تقلب أوضاع هذا الوجود، فمثل هذه الصواعق المزلزلة كانت تضرب آذان قريش ومن إليهم إلى يوم القيامة، فتضطرب لذلك القلوب وتهيج النفوس، وتنهك الأعصاب، فيرغب المتدبر فيها إلى ما فيه كماله وصلاحه، ما فيه فلاحه و سعادته، ما فيه خيره ونجاته من الايمان وصالح الأعمال ويرغب الشارد عن ما فيه إنحطاطه وفساده، ما فيه خسرانه وشقاؤه، ما فيه شرّ و هلاكه، ودماره وعذابه من الكفر وفساد الأعمال.

فهيهات أن يفرّ الانسان من وجه هذا الترغيب ومن وجه هذا الترهيب، فما ان تكاد هذه الكلمات تطرق الآذان حتّى تنطبع في كيان سامعها إنطباعاً لتناغم كلماتها وتوازن آياتها، وتقابل معانيها... وإذاً هي على كلّ فم، وفي كلّ بيت غناء وحداء ونشيداً.

﴿التكرار﴾

يدور البحث في المقام حول امور أربعة :

أحدها ـ انّه ابتدئت سورتان من السور القرآنية باسمين آخرين من أسماء القيامة: إحداهما ـ سورة «الحاقة». ثانيهما ـ سورة «القارعة».

ثانيها ـ انّ تكرير «القارعة» ثلاث مرّات للتفخيم والتهويل والتخويف لشانها.

ثالثها ـ انّ خمس سور قرآنيّة يشتمل كلّ واحد منها على إحدى عشرة آية:

١ـ سورة الجمعة. ٢ـ سورة المنافقون. ٣ـ سورة الضحى. ٤ـ سورة العاديات. ٥ـ سورة القارعة.

رابعها ـ أن نشير في المقام إلى صيغ عشرة لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ الّتي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنيّة:

١ـ جائت كلمة (القارعة) على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمس مرّات: ١و٢و٣ـ سورة القارعة: ١ـ٣) ٤ـ سورة الرعد: ٣١) ٥ـ سورة الحاقة: ٤).

٢ـ « « (الفرش) « « « « : ست مرّات:

١ـ سورة البقرة: ٢٢) ٢ـ سورة الأنعام: ١٤٢) ٣ـ سورة الذاريات: ٤٨) ٤ـ سورة الرحمن: ٥٤) ٥ـ سورة الواقعة: ٣٤) ٦ـ سورة القارعة: ٤).

٣ـ « « (البثّ) « « « « : تسع مرّات:

١- سورة البقرة: ١٦٤) ٢- سورة النساء: ١) ٣- سورة يوسف: ٨٦) ٤- سورة لقمان: ١٠) ٥- سورة الشورى: ٢٩) ٦- سورة الجاثية: ٤) ٧- سورة الواقعة: ٦) ٨- سورة الغاشية: ١٦) ٩- سورة القارعة: ٤).

٤- « « (العهن) « « « « : مرتين:

إحداهما- سورة المعارج: ٩) ثانيهما- سورة القارعة: ٥).

٥- « « (النفش) « « « « : مرتين:

إحداهما- سورة الأنبياء: ٧٨) ثانيهما- سورة القارعة: ٥).

٦- « « (الوزن) « « « « : ٢٣ مرة:

٧- « « (العيش) « « « « :ثمان مرات:

١- سورة الاعراف: ١٠) ٢- سورة الحجر: ٢٠) ٣- سورة طه: ١٢٤) ٤- سورة القصص: ٥٨) ٥- سورة الزخرف: ٣٢) ٦- سورة الحاقة: ٢١) ٧- سورة النبأ: ١١) ٨- سورة القارعة: ٧).

٨- « « (الخفّ) « « « « : ١٧ مرة:

٩- « « (هيه) « « « « :مرة واحدة

وهي في سورة القارعة: ١٠)

١٠- « « (الحمى) « « « « :ست مرات:

١- سورة المائدة: ١٠٣) ٢- سورة التوبة: ٣٥) ٣ و٤- سورة الفتح: ٢٦) ٥- سورة الغاشية: ٤) ٦- سورة القارعة: ١١).

﴿ التناسب ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

أما الاولى: فانّ هذه السورة نزلت بعد سورة « قريش » فلمّا أمر الله جلّ وعلا في السورة السابقة نزولاً قريشاً بعبادته تعالى لما أنعم عليهم من نعمه المادّية و المعنوية، رغّب في هذه السورة النّاس كلّهم إلى ما يثقل على الموازين يوم القيامة من الايمان و الأعمال الصالحة بذكر مايؤول إليه أمر الايمان وصالح الأعمال من الجنّة ونعيمها، والعيش الهنيء المرضيّ به، ورهّبهم عما يخفّ على الموازين من الكفر وفساد الأعمال بذكر ما تصير إليه عاقبة الكفر والعمل الفاسد من النار والعذاب.

أما الثانية: فالتناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً فبامور:

أحدها ـ ان سورة « العاديات » لمّا ختمت بقوله عزّ وجلّ: « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . . . » اشير في هذه السورة إلى كيفيّة البعث و أحوال المبعوثين حين البعث، و ذكر ما فيه نجاتهم من أهوال يوم البعث وما يستتبعه من العيش المرضيّ به لترغيبهم إليه في الحياة الدنيا، و ذكر ما

فيه فزعهم في الدار الآخرة و يستتبعه من النار و العذاب لترهيبهم عنه في الحياة الدنيا .

ثانيها - انّ آخر السورة السابقة كان في وصف يوم القيامة ، جاءت هذا السورة بأسرها في وصف ذلك اليوم ، و ما يكون فيه من الأهوال والأحوال ، فاتصلت هذه السورة بما قبلها إتصال النظير بالنظير فانّ كلتيهما في ذكر القيامة.

ثالثها - لمّا ختمت السابقة بقوله تعالى : « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصّل ما في الصّدور انّ ربّهم بهم يومئذ لخبير» وفيها دعوة الناس إلى أن يحاسبوا أنفسهم في الحياة الدنيا قبل أن يحاسبوا يوم القيامة ، جاءت سورة « القارعة » تقرع الناس بهذا اليوم: يوم الجزاء و الحساب ، وتدعوهم إلى الحساب و الجزاءِ بعد أن أخذوا الفرصة الممكنة لهم من حساب أنفسهم و إعدادها لهذا اليوم.

أما الثالثة : فلمّا بدئت السورة بما تقرع به الأسماع ، ويترعرع عنه القلوب زاد أمرها تعظيماً ، تنبيهاً إلى أنّه مما لايكتنه به علماً، ولمّا ذكرالله عزّ وجلّ ان إدراك حقيقة «القارعة » مما لاسبيل إليه أخذ يعرف بزمانها الّذي تكون فيه وما يحدث فيه من الأهوال وللنّاس من الأحوال... فاشير إلى بعض أوصاف الظرف وبعض أحوال المظروف...

ولمّا ذكر بعض أوصاف الظرف وأحوال المظروف يوم القيامة اشيرإلى أنّ النّاس يومئذ على فريقين: فريق تثقل موازينهم، فتسكن بها قلوبهم ، فلا خوف عليهم يومئذ ولاهم يحزنون ، فيستتبعهم العيش المرضيّ به ، وفي ذكره ترغيب الناس إلى تلك الموازين في الحياة الدنيا لينجوابها من عذاب الآخرة ، و فريق تخفّ موازينهم فترعرع بها قلوبهم و تحيط بهم

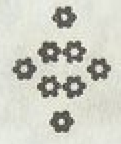
الأهوال و الأفزاع فيتهافتون على نار جهنم كتهافت الفراش على النار ، و في ذكر ترهيب الناس عن تلك الموازين ...

و ان" الانسان إذا علم أن" أعماله ستوزن أمام الناس و مرآهم كان ذلك أقرب ما يدعوهم إلى الايمان و الطاعة وصالح العمل ، ويجنّبهم عن الكفر والمعصية وفساد العمل.



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً أومتشابهاً، فآيها محكمات والله تعالى هو أعلم.



تحقيق فى الأقوال

١- (القارعه)

في «القارعة» أقوال: ١- عن إبن عبّاس وقتادة: القارعة من اسماء يوم القيامة عظمه الله جلّ وعلا وحذّره عباده.

قيل: وجه تسمية القيامة بالقارعة: أنّ الأجرام العلويّة والسّفلية تصطكان إصطكاكاً شديداً عند تخريب العالم فتقرع أعداء الله بالعذاب والخزي والنكال، و أمّا المؤمنون «وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ٨٩) كماسمّيت بأسماء اخرى يشير كلّ واحد منها إلى سمة وحالة خاصّة:

منها: أسماء مفردة كالطّامة و الغاشية و الحاقّة و الصّاخّة و الواقعة و الساعة...

ومنها: أسماء مركّبة إضافيّة كاليوم الموعود واليوم الآخر ويوم التغابن ويوم الجمع، ويوم أليم ويوم عسير ويوم عظيم ويوم القيامة، ويوم كبير و يوم عصيب ويوم شاهد و مشهود و يوم الحساب و يوم الدين و يوم الآزفة و يوم التناد ويوم الفصل ويوم الخلود ويوم الحسرة ويوم التأويل...

ومنها: أسماء مركّبة بيانيّة كيوم تبلى السرائر، ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة، ويوم لابيع فيه ولاخلّة، ويوم ندعو كل اناس بامامهم، ويوم ينفخ في الصّور، ويوم توفّى كل نفس ما عملت، ويوم تشخص فيه الأبصار، ويوم لاتكلّم نفس إلّا باذنه، ويوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات، ويوم يقوم الأشهاد، و

يوم ترجف الراجفة ...

ويوم القيامة يومان: يوم الإحياء والآيات الكريمة تبحث عن اليومين وتعبّر عنهما جميعاً بيوم القيامة.

٢- قيل: القارعة: هي البليّة التي تقرع القلوب بشدّة مخافتها، كأنّها المقرعة التي تقع يومئذ على رؤس الخلائق بضربة مفاجئة. ٣- قيل: القارعة: هي الصيحة التي تموت وتحيى بهاحين البعث، وهذه الصيحة صيحتان: صيحة تموت بها الخلائق كلهم بالنفخة الاولى، وصيحة تحيي بها الخلائق أجمعون بالنفخة الثانية للحساب والجزاء.

أقول: و على الأوّل جمهور المفسرين و إن كان لكلّ وجه من غير تناف بين الأقوال الثلاثة.

٤- (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

في الآية الكريمة أقوال: ١-قيل: أي تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. قال قتادة وأبوعبيدة وإبن زيد: الفراش: الطير الذي يتساقط في النار والسراج وليس هذا الطير بذباب ولا بعوض. والمعنى: انّهم يتهافتون يوم القيامة في النار كتهافت الفراش على السّراج والنار.

وقيل: إن أوّل حالهم كالفراش لاوجه له، يتحيّر في كلّ وجه، ثم يكونون كالجراد لأنّ لها وجهاً تقصده كقوله تعالى: «كأنّهم جراد منتشر» القمر: ٧) و المعنى: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث لهول القارعة فيتفرّقون إلى جهات شتّى بلاقصد لأنّهم كانوا في الحياة الدنيا في اتجاهات شتّى، فكلّ إنسان كان يعمل على شاكلته، فيرجع إلي شاكلته شاء أم لا، ثم يتوجهون كلّ إلى مقاصدهم ومنازلهم المختلفة سعادة وشقاء ...

٢- عن الفراء: الفراش هو الهمج الطائر من بعوض وغيره، ومنه الجراد و هو أطيش من فراشة وقال:

طـويش مـن نـفـر أطياش أطيش مـن طائـرة الفراش

وقال الآخر :

و قد كان أقوام رددت قلوبهم إليهم وكانوا كالفراش من الجهل

والفراش : هو الحشرة الّتي ترى تترامى على ضوء السراج ليلاً، وبها يضرب المثل في الجهل بالعاقبة وغاية الضعف و الحمق واللاهدف ، و هكذا يصير مصير الانسان الّذي عاش حياته كالفراش المبثوت إلّا من ثقلت موازينه .

قال جرير :

ان الفرزدق ما عملت و قومه مثل الفراش غشين نار المصطلى

٣- عن الفرّاء أيضاً وابن عبّاس: «كالفراش المبثوث» كغوغاءِ الجراد يركب بعضها بعضاً كذلك النّاس يجول بعضهم في بعض إذا بعثوا للحيرة إلى أن يدعوا للحساب .

أقول : وعلى الأوّل أكثر المفسّرين .

٥- (و تكون الجبال كالعهن المنفوش)

في «العهن المنفوش» أقوال : ١- عن قتادة : أي الصّوف الّذي ينفش باليد أى تصير هباء وتـزول كقولـه تعالى : «هباء منبثّاً» الواقعه :٦) فتفكك شعيراتـه بعضها عن بعض حتّى صار على حال يطير مع أضعف ريح، فالجبال لتفتّتها وتفرّق أجزائها لم يبق لها إلّا صورة الصوف المنفوش ، فلا تلبث أن تذهب و تتطايـر ، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها و هـو على ذلك الجسم الضعيف السريع الإنحلال .

٢- عن قتادة أيضاً ومجاهد : أي كالصّوف المصبوغ المندوف . والمنفوش من النفش و هو نشر الصّوف بندف ونحوه ، فـالعهن المنفوش : الصـوف المنتشر . و المعنى: انّ الجبال تزول عن أماكنها وتصير خفيفة السير حتّى تستوي مع الأرض، فأجزائها تتفرّق وتتطاير في الجوّ ، فيالها من وقعة قارعة ، ودكّة مفرغة ، تهزم

الجبال فتهزم في هذه المعركة الدامية ، فهذه سماؤه كالمهل : «يوم تكون السماء كالمهل » المعارج: ٨) أي حمراء كالملطوم المجروح، وهذه جباله كالعهن المنفوش: الصّوف نشر بندف ، فنداف القارعة هكذا يندف وينفش الجبال ، فياله من مشهد تطيرله القلوب وترجف منه الأوصال ويكأنّ كلّ شيء في الكون يسيرحول الإنسان هباءاً فماذا إذاً حال الإنسان في الختام .

٣ـ قيل : أي الصّوف ذوالألوان المختلفة ... ٤ ـ عن الحسن: أي كالصّوف الأحمر و هو أضعف الصّوف و قال : إنّ الجبال تلين بعد الشدّة و تتفرق بعدالإجتماع وتصير أوّلا كثيباً رملامهيلاً، ثم تصير عهناً منفوشاً ثم هباء منثوراً.

٥ـ قيل : أي كالصّوف في الخفّة والطيران بالريح .

أقول : و على الثالث أكثر المفسّرين من غير تناف بينه و بين الأقوال الاخر .

٦ـ (فأما من ثقلت موازينه)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن عبدالله بن عمر: أي توزن صحائف أعمال العباد .

قيل : الميزان : الكتاب الّذي فيه أعمال الخلق لأنّ الأعمال أعراض لايجوز عليها الإعادة ولايكون لها وزن ولاتقوم بأنفسها ، فتوزن صحائف الأعمال ...

فالمعنى : انّ الموازين تثقل بالكتب الّتي فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف لماروى: «إنّ ميزان بعض بني آدم كاد يخف بالحسنات، فيوضع فيه رقّ مكتوب فيه: «لا إله إلّا الله» فيثقل» فيكون ثواب كلمة الشهادة أوفى وأوفر من سائر الأعمال لأنّ معرفة الله عزّ وجلّ هوأصل جميع العقائد الحقّة وهو شرط لقبول الأعمال الحسنة .

فقد علم أنّ ذلك يرجع إلى وزن ما كتب فيه الاعمال لأنفس الأعمال ، وانّ الله تعالى يخفّف الميزان إذا أراد ويثقله إذا أراد بما يوضع في كفّتيه من

الصحف الّتي فيها الأعمال ... فالوزن يعود إلى الصحف الّتي كتبت فيها أعمال العباد ...

٢- عن إبن عبّاس والحسن والجبائي: توزن الحسنات والسيّئات في ميزان له لسان و كفّتان، فأمّا المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفّة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته... ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفّة الميزان فيخفّف وزنه حتّى يقع في النار .

فالمعنى : فمن ثقلت موازين حسناته و رجحت على موازين سيّئاته ... و من خفّت موازين سيئاته ورجحت على موازين حسناته ...

فالموازين جمع الميزان ، قيل : إنّه يدلّ بظاهره على أنّ لكلّ مكلف ميزاناً توزن به أعماله، فتوضع الحسنات في كفّة والسيئات في كفّة اخرى، فتوزن أعمال الناس كلّهم بالميزان .

وقيل : إنّ الله تعالى يخلق كلّ جزء من أعمال العباد جوهراً فيقع الوزن على تلك الجواهر .

وعن إبن عبّاس أيضاً : يظهر للحسنات صورة حسنة وهي وزنها الثقيل ، وللسيئات صورة سيئة وهي وزنها فلاتوزن الأعمال في الميزان بل صور الأعمال هي وزنها . وقال الجبائي أيضاً : يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس .

٣- قيل: إنّ المراد بوزن الأعمال وخفّتها هو وزن عامليها من حيث عملهم لقوله تعالى في الكافرين : «فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف : ١٠٥) بأنّ من حبطت أعماله فلاوزن له فيبقى الوزن لمن لم تحبط أعماله . وعن عبيد بن عمير : أي توزن نفس المؤمن والكافر ويؤتى بالرجل العظيم الجثّة فلايزن جناح بعوضة .

٤- عن مجاهد : الميزان : الحسنات والسيّئات بأعيانها ، فمن أحاطت

حسناته بسيّئاته أذهبت حسناته سيئاته ، ومن أحاطت سيّئاته بحسناته فقدخفت موازينه أي أذهبت سيئاته حسناته .

قيل : إنّ الحسنات توجب ثقل الميزان ، والسيئات خفّة الميزان لا أن توزن الحسنات فيؤخذ مالها من الثقل ثم السّيئات ويؤخذ مالها من الثقل ، ثم يقايس الثقلان فأيّهما كان أكثر كان القضاء له فان كان الثقل للحسنة كان القضاء بالجنة وإن كان للسيّئة كان القضاء بالنار ولازم ذلك صحّة فرض أن يتعادل الثقلان كما في الموازين الدائرة بيننا من ذي الكفّتين والقبّان وغيرهما. قيل: اريد بذلك الموازنة بين الأعمال بعد تجسّمها يوم القيامة وبين موازين الحق بأنّ لكل عمل مقياساً معيناً، فان وازنه العمل ووافقه وفاقاً تاماً فهو ثقيل وله القدر عند الله عزّ وجلّ فيستتبعه العيش المرضيّ به ، و إن لم يوافقه فهو خفيف لا يعبأ به فيستتبعه العذاب والنار .

٥ ـ قيل : أي يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله . . . كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله ... فكل حادثة لها ميزان

فيكون لكلّ نوع من أنواع الطاعات والمعاصي يوم القيامة ميزان. وقيل: و يجوز أن يكون كلّ ميزان صنفاً من أصناف أعماله ، و يؤيّد هذا ما جاء في الخبر : « انّ الصلاة ميزان فمن و فى استوفى » فيكون لأفعال القلوب ميزان ، و لأفعال الجوارح ميزان ، و لما يتعلّق بالقول ميزان .

فهناك أمر تقاس به الأعمال والأقوال والعقائد ، والثقل له فما كان منها حسنة إنطبق عليه و وزن به ، و هو ثقل الميزان ، و ما كان منها سيّئة لم ينطبق عليه و لم يوزن به ، و هو خفّة الميزان كما نشاهده فيما عندنا من الموازين ، فانّ فيها مقياساً وهو الواحد من الثقل كالمثقال يوضع في إحدى الكفّتين ، ثمّ يوضع المتاع في الكفّة الاخرى فان عادل المثقال وزناً بوجه على ما يدلّ عليه الميزان اخذ به و إلّا فهو الترك لا محالة ، والمثقال في الحقيقة هو الميزان الّذي

يوزن به ، و أمّا القبّان و ذوالكفّتين و نظائرهما فهي مقدّمة لما يبيّنه المثقال من حال المتاع الموزون به ثقلاً و خفّة كما أنّ واحد الطول ، و هو الذراع أو المترمثلاً ميزان يوزن به الأطوال ، فان انطبق الطّول على الواحد القياس فهو و إلّا ترك .

ففي العقائد والأعمال والأقوال واحد مقياس توزن به فللتوحيد مثلاً ميزان يوزن به وهو التوحيد الخالص من الشرك و أنواع الرياء ، و للصلاة ميزان توزن به و هي الصلاة التّامّة الّتي هى حقّ الصلاة وللزكاة والإنفاق وما إليها و للكلام والقول حقّ القول الّذي لا يشتمل على باطل ، فلكلّ واحد موازين كثيرة من جهة إختلاف الحقّ الّذي يوزن به باختلاف الأعمال فالحق في الصّلاة وهوحقّ الصّلاة غيرالحقّ في الزكاة والصّيام والحجّ وغيرها .

٦ ـ قيل: للميزان كفّتان وخيوط ولسان والشاهين ، فالجمع يرجع إلى أجزاء الميزان . ٧ ـ عن مجاهد أيضاً و قتادة والضحاك والبلخي : ذكر الميزان مثل ، و ليس ثمّ ميزان ، و إنّما هو العدل فلا ظلم فيها على أحد ، يقال: كلام فلان موزون و أفعاله موزونة يـراد بذلك انّها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها و لا زائدة عليها زيادة مضرّة أو داخلة في باب العبث ، قال مالك بن أسماء الفزارى :

و حديث ألـذّه هـو مما	ينعت الناعتون يوزن وزناً
منطق صائب و يلحن أحيا	نا وخيرالحديث ماكان لحناً

أي يعرض في الكلام ولايصرّح به . وقيل: إنّه من اللحن الّذي هو سرعة الفهم والفطنة ، وعلى هذا فيكون معنى الوزن انّه قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك ، فالمراد بالموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ، و وضع كلّ جزاء في موضعه و ايصال كل ذي حق إلى حقّه .

٧ ـ قيل : يكون ذلك ميزاناً واحداً عبّر عنه بلفظ الجمع كما تقول :

خرج فلان إلى مكّة على البغال وخرج إلى البصرة في السفن ، قال الله عزّ وجلّ : « كذّبت قوم نوح المرسلين ـ كذّبت عاد المرسلين » الشعراء : ١٠٥ و ١١٣) و إنّما هو رسول واحد في أحد التأويلين . ٨ ـ قيل : الموازين جمع موزون لا جمع ميزان أراد بالموازين الأعمال الموزونة .

٩ ـ عن أبي مسلم : انّ المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ، ومقدار الكافر في الذلّة كما قال تعالى : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » فمن أتى بالعمل الصالح الّذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ، ومن أتى بالعمل السيّىء الّذي لا وزن له و لا قيمة فقد خسر . ١٠ ـ عن عبد العزيز بن يحيى : الموازين هي الحجج والدلائل . ١١ ـ قيل : إنّ جمع الموازين باعتبار إختلاف الموزونات و تجدّد الوزن و كثرة الموزون لهم كقوله تعالى : « عن الأهلّة » و إنّما هو هلال واحد .

١٢ ـ عن مجاهد أيضاً والضّحاك والأعمش : الوزن والميزان بمعنى العدل أي يعادله ويساويه و إن لم يكن هناك وزن . وقال الزجاج : هذا سائغ من جهة اللسان فالمراد بالميزان هو العدل لأنّ العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلّا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازاً عن العدل . و عن القشيري : لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصّراط على الدّين الحقّ والجنّة والنّار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد والشياطين والجنّ على الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة .

١٣ـ قيل: إنّ الله تعالى ينصب يوم القيامة ميزاناً له لسان و كفّتان، فتوزن به أعمال العباد من الحسنات والسّيئات ، و انّ نسبة الخفّة والثقل إلى الموازين باعتبار كفّة الحسنات و انّ المراد بمن خفّت موازينه من خفّت كفّة حسناته بسبب ثقل كفّة سيئاته .

أقول: وعلى الخامس أكثر المحققين ، من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال

الاخر كما لاينافي ما ورد من الأخبار : أن أهل بيت الوحي هم صلوات الله عليهم أجمعين موازين القسط يوم القيامة ، سواء أقلنا : إن أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم مقاييس لأعمال العباد وأقوالهم وعقائدهم ؟ أم هم بأنفسهم حاضرون عند الأعمال . . . يوم الحساب، ويحكمون عليها كما أنّ الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السلام هو قسيم الجنّة والنار بين أهلها .

و إنّ إضافة الموازين إلى عامل العمل مشعر بأنّ لكلّ واحد من العاملين موازين يوزن بكلّ واحد منها صنف من أعماله . . .

٧ـ (فهو في عيشة راضية)

في « عيشة راضية » أقوال : ١ ـ عن مجاهد و قتادة : أي في عيشة قدر فيها في الجنّة . ٢ ـ قيل : أي معيشة ذات رضي يرضاها صاحبها و يهنأ بها فالمعنى : عيشى مرضيّ يرضاه صاحبها .

٣ـ قيل: أي انّ العيشة هي فاعلة للرضا وهو اللين والإنقياد لأهلها، فالفعل للعيشة لأنّها اعطت الرضا من نفسها وهو اللين والإنقياد ، فالعيشة كلمة تجمع النعم الّتي في الجنّة فهي فاعلة للرضا كالفرش المرفوعة و إرتفاعها مقدار مأة عام، فاذادنا منها وليّ الله اتضعت حتّى يستوي عليها ثم ترتفع كهيئتها ، و مثل الشجرة فروعها كذلك أيضاً من الإرتفاع ، فاذا اشتهى ولى الله ثمرتها تدلّت إليه حتّى يتناولها وليّ الله قاعداً و قائماً ، و ذلك قوله تعالى : « قطوفها تذليلاً » الانسان : ١٤) .

وحيث ما مشى أو ينتقل من مكان إلى مكان جرى معه نهر حيث شاء علواً وسفلاً و ذلك قوله عزّ وجل : « يفجّرونها تفجيراً » الانسان: ٦) فيروى في الخبر: « انه يشير بقضيبه فيجرى من غير اخدود حيث شاء من قصوره وفي مجالسه » فهذه الأشياء كلّها عيشة قد أعطت الرضا من نفسها فهي فاعلة للرضا و هي انذلّت و إنقادت بذلاً و سماحة .

أقول: و لكلّ وجه باعتبار .

٩ـ (فامه هاوية)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس و إبن زيد : أي جهنم وسمّاها امّاًلأنه يأوي إليها كما يأوي الولد إلى امّه ، ولأنّ الأصل: السكون إلى الامّهات. فالمعنى: فمأوى الكافر جهنم ومسكنه النار ، و كلّ شيء جمع شيئاً و ضمّه إليه فهو امّ له ، ومن ذلك امّ الرأس: مجتمع الدّماغ . ومنه قول اميّة بن أبي الصّلت :

فالأرض معقلنا و كانت امّنا فيها مقابرنا و فيها نولد

وقيل : كلّ شيء من قريب ، يقال: أهوى و كل شيء من بعيد يقال: هوى كما قال الله تعالى : « والنجم إذا هوى » لأنه من بعيد أقسم الله عزّ وجل بنجم القرآن أي بنزوله .

٢ـ قيل : سمّيت النار هاوية لأنّ الكفار والمجرمين يهوون فيها مع بعد قعرها والهاوية من أسماء جهنّم وهي المهواة التي لايدرك قعرها . وقيل : إنّ الهاوية : إسم الباب الأسفل من النار . وعن عكرمة والكلبي وأبي صالح : إنّما قال: « فامه هاوية » لأنّ أهلها يهوون فيها على امّ رؤسهم في النار فيلقون فيها على ام رأسهم . وتهاوى القوم في المهواة : إذا سقط بعضهم في إثر بعض .

٣ـ عن قتادة : أي فمصيره ومأواه إلى النّار ، وقال: الهاوية كلمة عربيّة كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قيل : هوت امّه . وعن الأخفش: « امه » أي مستقرّه و قال الشاعر :

يا عمرو لو نالتك أرماحنا كنت كمن تهوى به الهاوية

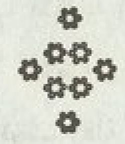
وقيل: الام : الأصل ، والهاوية من أسماء النار لأنّها نار عتيقة ، والمعنى : منزله و مأواه الذي يأوي إليه . والهاوية : المهواة وتقول :.هوت امّه فهي هاوية أي ثاكلة . قال كعب بن سعد الغنوي :

هوت امّه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يؤدّي الليل حين يؤوب

٤ ـ قيل : الامّ هي المعروفة ، والهاوية : الهالكة ، و هذا من مستعملات

العرب يقولون : هوت امّه أي هلكت وسقطت يعنون الدعاء عليه بالويل والثبور والخزي والهوان .

أقول: والمعاني متقاربة والمآل واحد أعاذنا الله تعالى منها بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿التفسير والتأويل﴾

١ـ (القارعة)

«القارعة» : الحادثة العظيمة المفزعة المفاجئة الواقعة يوم القيامة ، تفرع بها القلوب،ويفزع منها النّاس إلّا المؤمنون الصّالحون.

قال الله عزّ وجل: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ٨٩)

وقال : « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون» الزمر: ٦٧ و ٦٨)

وقال: «يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين» الزخرف: ٦٨ و٦٩)

وقال: «ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله» النمل: ٨٧).

وقال: «لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذى كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطيّ السّجلّ للكتب» الأنبياء: ١٠٣ـ١٠٤).

وقال : « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون» المائدة: ٦٩).

وقال: «فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» البقرة: ٣٨).

وسمّيت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة في قوله تعالى: «ولايزال الّذين كفروا تصيبهم بماصنعوا قارعة» الرعد: ٣١) أي حادثة عظيمة مفاجأة مفزعة تقرع قلوبهم وتصكّ أجسامهم فيألمون لها.

«القارعة» إسم من أسماء يوم القيامة يشير إلى سمته كأمثالها من أسمائها الّتي يشير كلّ إلى سمة و حالة خاصّة كالحاقة و الصّاخة والطامّة والغاشية و الواقعة ... وقد سمّيت بها القيامة باعتبار وقوعها فيها ، لأنّها تقع في الساعة الّتي تقرع قلوب الكفّار والمستكبرين بأهوالها، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عند وقوعها، وذلك صبيحة لا ليل بعدها، وهي الّتي تقرع آذان الفجّار والمجرمين بشدّة مخافتها وأفزاعها كانّها المقرعة الّتي تقع على رؤسهم حين وقوعها بضربة مفاجئة، وهي الّتي تقرع أسماع أعداءالله جلّ وعلا بنارها وعذابها فلاأهول ولاأفزع ولا أشدّ منها.

فانّها تقع حين تقرع السموات بالإنشقاق والإنفطار، وتقرع الشمس والقمر بالجمع والتكوير، والكواكب والنجوم بالإنكدار والإنتثار، والجبال بالدّك و النسف، والأرض بالطيّ و التبديل ... وانّها يوم التضارب يتضارب الكون فيها ، ويوم التداق والتداكّ يتصادم ما في العالم العلوي والسفلي بعضه بعضاً، وبها تقرع إنسانها بما قدّمت نفسه من قوارع العقائد والأفكار والأقوال والأعمال وتبدّل الأرض غير الأرض.

قال الله عزّ وجل: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» إبراهيم: ٤٨).

٢ـ (ما القارعة)

أيّ شيء هي القارعة الّتي يقرع الكفرة الفجرة هولها؟ ما أفزعها؟ ماأهولها؟ ما أفظعها؟ وأيّ شيء هو أعظم منها؟؟؟

وهذا اسلوب يراد به تهويل أمرها وحالها وتعظيم شأنها وهولها كسؤال يصوّر رهبة الموقف كأنها لشدّة ما يكون فيها من الأهوال التي تفزع منها النفوس وتدهش لها العقول، يصعب تصوّرها و يتعذّر إدراك حقيقتها لحدّ كأنّه خفي على النّبي ّالكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك لما سمع الناس كلمة «القارعة» وقع عليهم الفزع والرعب واستبدّ بهم الخوف من مجرّد التلفّظ بها ، فكأنّهم إتّجهوا بهذا السؤال إلى النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذي ألقى بها على أسماعهم ... كقوله عزّ وجل: «الحاقّة ما الحاقّة» الحاقة: ١ و٢).

فالقارعة هي التي تقرع الكون بقرع ولطم شديدين قلباً وقالباً، و تقرع القلوب المقلوبة التي تذرعتها الشياطين لقرع الحياة وقلبها إلى غير ما تعنيه، والقوالب كلّها مقروعة في هذه الدّكة العظيمة الشاملة ... وإنّما تسلم القلوب السليمة ، الثقيلة الموازين، الشديدة الرباط بالله العظيم.

قال الله تعالى: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة» النازعات: ٦-٩).

وقال: «يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار» النور: ٣٧).

وقال حكاية عن إبراهيم عليه السلام : « ولا تخزني يوم يبعثون يوم لاينفع مال و لابنون إلّا من أتى الله بقلب سليم» الشعراء: ٨٧-٨٩).

٣- (وما أدراك ما القارعة)

وأيّ شيء أعلمك ما هي القارعة ؟ وأيّ شيء عرّفك ما هي القارعة ؟ وما أشعرك أيّ شيء هي القارعة ؟ وقد بلغت من الشدّة والفزع من الصيحة والخوف، و من الرعب والهول أن لا يبلغها علم المخلوقين، ولا يبلغ حقيقتها وصف الواصفين، و لا كنها خبر المخبرين لكونها خارجة عن دائرة علم المخلوقين لعظم شأنها ومدى هولها وشدّتها، فلا تحيط بها العبارة، ومهما يقدّر الإنسان حالها فهي أعظم من ذلك

وقوعه، فلايدرى أحد حقيقتها إلّا بعد وقوعها، وإن كنت تدرى وصفها بما عرّفك الله جلّ وعلا وأدراك بها بما في الآيات التالية ...

إذ ليس لها مثيل ولا نظير في دنيا الحياة حتّى يدركها في عقباها، وإنّما هو الوحي: وحي السماء: يدريك ماهي القارعة.

نظير قوله عزّ وجل: «وما أدراك ما الحاقّة» الحاقة : ٣).

وقوله تعالى: «ثم ما أدراك ما يوم الدّين » الانفطار: ١٨).

و قوله جلّ وعلا: « وما أدراك ما سقر» المدثر: ٢٧) إذ وصف الله تعالى: «الحاقة» «يوم الدين» و «سقر» بالآيات التاليات من غير بيان كنهها و حقيقتها إذ لايمكن العلم بما لم تقع وما رإى نظيره في الحياة الدنيا عادة، فالحوادث العظيمة الواقعة في الدنيا ليست إلّاشبيهة بها في الاسم كتشابه نعم الآخرة بنعم الدين وعذاب الآخرة بعذاب الدين... فشتّان بينهما !

٤ـ (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

تقع القارعة يوم يكون النّاس كالفراش المتفرّق لهولها ، فيتفرّقون إذا خرجوا من قبورهم وأحاط بهم الخوف والفزع، فيموج بعضهم في بعض بلا قصد و لاهدف، فيتفرّقون على جهات مختلفة حيارى هائمين على وجوههم لايدرون ماذا يفعلون ولا ماذا يرادبهم كالفراش إذا ثار لم يتّجه إلى جهة واحدة، بل يذهب كلّ فراشة إلى جهة غيرما تذهب إليها الاخرى ، فيكون النّاس من هول ذلك اليوم كالفراش المنتشر في إنطلاقهم إلى الحشر وفي حومهم حول النّار كمايحوم الفراش إلى أن يدعوا للحساب والجزاء، فيتوجّهون إلى منازلهم المختلفة إما جهنم و عذابها وإما الجنّة ونعيمها.

قال الله عزّ وجل: «يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر» القمر: ٦ـ٨) .

وقال بعض الظرفاء: إنّ الفراش تتهافت في النار والسراج لضعف أبصارها، فهي تنسى ضوء النهار فاذا رأت المسكينة ضوء السراج أو النار بالليل ظنّت أنها بيت مظلم فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها إلى النار حتّى تحترق، ولعلك تظن أنّ هذا لنقصان فهمها وجهلها، وجهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الانسان في الإنكباب على الشهوات والتهافت فيها أعظم جهلاً منها لأنّه لا يزال يرمي نفسه في النار بانكبابه على الشهوات والمعاصي إلى أن يغمس في النار ويهلك هلا كاً مؤبّداً، فليت الجهل الآدمي كجهل الفراش فانّها باغترارها بظاهر الضوء احترقت و تخلّصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبد الآبدين أو مدّة مديدة، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنكم تتهافتون في النّار تهافت الفراش».

٥- (و تكون الجبال كالعهن المنفوش)

وتكون الجبال عند وقوع البعث كالصّوف ذي الألوان المختلفة تفرّق شعراته بعضها عن بعض حتّى صار على حال يطير مع أضعف ريح.

وقد شبّه الجبال حين وقوع الساعة بالصّوف في تلوّنها ألواناً، واختلاف أجزاءها في البياض والحمرة والسّواد والصفرة لقوله عزّ وجل: «ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود» فاطر: ٢٧).

فتتلاشى الجبال على إختلاف أنواعها وألوانها، وتزول عن أماكنها، وتفرّق أجزائها، ويزول تأليفها بتلك القارعة، فتخرّ هدّاً وتنسف نسفاً، وتصير خفيفة السير فتكون هباء منبثاً.

قال الله تعالى: «فاذا نفخ في الصّور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة: ١٣-١٥).

وقال: «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له و خشعت الأصوات للرحمن فلاتسمع إلّا همساً» طه: ١٠٥-١٠٨).

وقال: «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل:١٤)

وقال: «ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» الكهف: ٤٧).

وقال: «انّ عذاب ربك لواقع ـ يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً» الطور: ٧ـ١٠).

وقال: «وسيّرت الجبال فكانت سراباً» النبأ: ٢٠).

وقال : «إذا رجّت الأرض رجاً وبسّت الجبال بساً فكانت هباءاً منبثاً» الواقعة: ٤ـ٦) كلّ ذلك ليبيّن أنّ تلك الأجسام العظيمة الّتي من طبعها الاستقرار والثبات تؤثر فيها هذه القارعة فما بالك أيّها المخلوق الضعيف الّذي لاقوّة له ؟

٦ـ (فأما من ثقلت موازينه)

فأمّا من وافقت عقيدته حق العقيدة لاباطل فيها، ووازن عملـه حق العمل لافساد فيه ، وطابق قوله حق القول لا كذب فيه...

٧ـ (فهو فى عيشة راضية)

فهوفي عيشة بالغة في الرضا لثقل موازينه بالايمان وصالح العمـل و حسن القول، فيتنعّم بنعيم الجنّة الّتي عرضهـا السموات والأرض اعدّت لأهل التقوى واليقين وانّ هذه العيشة عيشة هنيئة راضية في ذاتها إذا اجتمع لها كل أسباب الرضوان لأصحابها تقرّ بهـا أعينهم، وتسرّ بها نفوسهم، فكأنّها الرضا عينـه: رضا العبد و رضوان من الله جلّ وعلا رضوان مزدوج.

قال الله عزّ وجل : «فأمّا من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيهـ فهوفي عيشة راضية في جنّة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيّام الخالية» الحاقة: ١٩ـ٢٤).

وقال : «والوزن يومئذ الحـق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون» الاعراف: ٨).

وقال:«يا أيّتها النفس المطمئنّة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في

عبادي وادخلي جنّتي» الفجر: ٢٧ـ٣٠).

٨ـ (وأما من خفت موازينه)

وأما من لم توافق عقيدته حقّ العقيدة بالكفر والشرك والرياء والباطل، ولم يوازن عمله حق العمل بالافساد، ولم يطابق قوله حق القول بالكذب والزور ..

٩ـ (فامه هاوية)

فامّ من خفّت موازينه نارجهنم يأوى إليها كما يأوى الولد إلى امّه لتضمّه، لأنّ الامّ مأوى الولد و مفزعه ، فلمّا كانت الامّ كافلة الولد وغاذيته ومأواه و مربّيته ، وكانت النار للكافر كذلك جعلها امّه لأنّه يأوي إليها كما يأوى الولد إلى امّه، ولمّا كان حال الكافر ينتهى به إلى النار شبهت حاله بحال الولد إلى امّه، وإنّما جعلت امّه لضمّها له وإشتمالها عليه، فالكافر والمجرم والفاجر والمستكبر و من إليهم يهوون في نارجهنم، وهي التي تضمّهم إليها وتحنو عليهم حيث تهوي بأصحابها إلى قرار الجحيم ومسكنهم، ويشبه ذلك قوله تعالى: «مأواكم النار وبئس المصير» فبئست الام وبئس الولد، وبئس المولى وبئس المصير، وتسميتها بهاوية لهوىّ من القى فيها أي سقوطه إلى الدّرك الأسفل من النار.

قال الله عزّ وجل: «ومن خفّت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون» المؤمنون: ١٠٣ـ١٠٤).

وقال: «وأمّا من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ـ خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انّه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلّا من غسلين لا يأكله إلّا الخاطئون» الحاقة: ٢٥ـ٣٧).

وقال: «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمر الله وغرّكم

بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم و بئس المصير» الحديد: ١٣-١٥) و ما ورد في المقام فمن باب التأويل فتأمل جيداً.

١٠- (وما أدراك ماهيه)

وما أعلمك ما الهاوية؟ وأيّ شيء يخبرك بما هي تلك الهاوية؟ وأنّها أيّ شيء تكون، فلا تعلم كنهها ولا تفصيلها وأنواع ما فيها من العقاب عادة، وإن كنت تعرفها على طريق الاجمال بذكر بعض أوصافها...

نظير قوله تعالى: «وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة» الهمزة: ٥-٦).

وقوله عزّ وجلّ: «وما أدراك ما سقر لاتبقي ولاتذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر» المدثر: ٢٧-٣٠).

١١- (نار حامية)

نار ملتهبة يهوى فيها الكافر والمجرم، والطاغي والمستكبر ليلقوا جزاء ما قدّموا من أعمال فاسدة، وما اجترحوا من سيئات، نار شديدة الحرارة تأكل أهلها كما تأكل النار الحطب، نار بلغت النهاية في الحرارة قد حميت من الوقود عليها كأنّ نيران الدنيا إذا قيست بها ووزنت حالها بحالها لم تكن حامية، وذلك دليل على قوّة حرارتها وشدّة إستعارها، فتكوى بها جباه الكفار والمنافقين و جنوبهم وظهورهم.

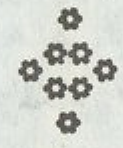
قال الله عزّ وجلّ: «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلّا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع» الغاشية: ٢-٧).

وقال: «انّ الّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون في بطونهم إلّا النّار ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم اولئك الّذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم

على النّار» البقرة ١٧٤-١٧٥) .

وقال: «ان الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» النساء: ١٠٠).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا انّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله والّذين يكنزون الذهب و الفضّة و ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» التوبة: ٣٤-٣٥) .



﴿ جملة المعاني ﴾

٦١٥٨ـ (القارعة)

الحادثة العظيمة المهولة المفاجئة المفزعة الواقعة يوم القيامة تقرع بها القلوب إلّا المؤمنون الصالحون .

٦١٥٩ـ (ما القارعة)

أيّ شيء عجيب هي القارعة؟ ما أفزعها؟ ما أهولها؟ وأيّ شيء هو أعظم منها؟

٦١٦٠ـ (وما أدراك ما القارعة)

وأيّ شيء أعلمك ما هي القارعة ؟ ومن علّمك إياها ما هي؟ فلا تكتنه علماً عادة وإن عرفتها إجمالاً بذكر بعض علائمها وآثارها ، وهي تحدث :

٦١٦١ـ (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)

تقع تلك الحادثة يوم يكون الناس يومئذ كالفراش المتفرّق لهولها فيتفرّقون إذا خرجوا من قبورهم على جهات شتّى حيارى إلى أن يدعوا للحساب والجزاء .

٦١٦٢ـ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

وتكون الجبال يومئذ كالصوف ذي الألوان المختلفة تفرّق شعيراته بعضها من بعض حتّى صار على حال يطير مع أضعف ريح .

٦١٦٣ـ (فأما من ثقلت موازينه)

فأمّا من وازن عمله حق العمل لا فساد فيه ، ووافقت عقيدته حق العقيدة لا باطل فيها ، وقوله حق القول لا كذب فيه ولا زور .

٦١٦٤- (فهو في عيشة راضية)

فهو في عيشة بالغة في الرضا كأنّها الرضا عينه .

٦١٦٥- (وأما من خفت موازينه)

وأمّا من لم يوازن عمله حق العمل بالإفساد، ولا عقيدته حق العقيدة بالباطل، ولاقوله حق القول بالكذب والزور .

٦١٦٦- (فامه هاوية)

فمأواه جهنم يأوى إليها كأوى الصبي إلى امّه .

٦١٦٧- (وما أدراك ماهيه)

وما أشعرك ما هي الهاوية؟ ومن عرّفك إيّاها أيّ شيء هي ؟

٦١٦٨- (نارحامية)

نارحارّة شديدة الحرارة قد حميت من الوقود عليها كأن نيران الدنيا بالنسبة إليها غيرحامية .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : «القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة» يرددها الله لهولها وفزع بها الناس «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» قال: العهن : الصّوف.

وفي الدر المنثور : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيّام سئل عنه ، فان كان غائباً دعاله ، و إن كان شاهداً زاره ، و إن كان مريضاً عاده ، ففقد رجل من الأنصار في اليوم الثالث فسئل عنه ، فقالوا تركناه مثل الفرخ لا يدخل في رأسه شيء إلّا خرج من دبره قال صلى الله عليه وآله وسلم : عودوا أخاكم، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعوده فلمّا دخلنا عليه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف تجدك ؟ قال : لايدخل في رأسي شيء إلّا خرج من دبري قال : و ممّ ذاك ؟ قال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت بك ، و أنت تصلّي المغرب فصلّيت معك وأنت تقرأ هذه السورة : «القارعة ما القارعة - إلى آخرها - نارحامية»

فقلت : ألّلهم ما كان من ذنب أنت معذّبي عليه في الآخرة فاقبل لي عقوبته في الدنيا ، فنزل بي ماترى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بئس ما قلت ألّا سئلت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة ، و في الآخرة حسنة و يقيك عذاب النار فأمره النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بذلك، ودعاله النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام كأنّما نشط من عقال.

أقول : و ذلك انّ أسماء الله جلّ و علا طبّ روحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق ، فيحصل بها الشفاء باذن الله تعالى ، فلمّا عزّ هذا النوع فزع الناس إلي الطب الجسماني ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لوأنّ رجلاً موقناً

قرأبها على جبل لزال».

و في تفسير القمي : «وأما من خفّت موازينه» قال: من الحسنات، «فامّه هاوية» قال : امّ رأسه يقذف (بقلب خ) في النّار على رأسه ثمّ قال : «وما أدراك» يا محمّد «ماهيه» يعني الهاوية ثمّ قال : «نار حامية».

و في الدر المنثور : أخرج إبن مردويه عن أبي أيّوب الأنصاري : أنّ رسول الله قال : إنّ نفس المؤمن إذا قبضت يلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير من أهل الدنيا ، فيقولون : انظروا صاحبكم يستريح فانّه كان في كرب شديد ثم يسئلونه ما فعل فلان و فلانة ؟ هل تزوّجت ؟ فاذا اسئلوه عن الرجل قدمات قبله فيقول : هيهات قدمات ذاك قبلي فيقولون : إنا لله و إنّا إليه راجعون ذهب به إلى امّه الهاوية فبئست الام وبئست المربّية .

و في الجامع لاحكام القرآن : و في صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها و هو يذبهنّ عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار و أنتم تفلّتون من يدي».

و فيه : و في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : «نار كم هذه الّتي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنّم» قالوا : و الله إن كانت لكافية يا رسول الله قال : «فانّها فضلت عليها بتسعة و ستين جزءاً كلّها مثل حرّها» .

و في الدر المنثور: مرّ عيسى عليه السلام بقرية قدمات أهلها : انسها وجنّها و هوامّها و أنعامها و طيورها ، فقام ينظر إليها ساعة ثمّ أقبل على أصحابه ، فقال: مات هؤلاء بعذاب الله ولوماتوا بغير ذلك ماتوا متفرّقين، ثمّ ناداهم يا أهل القرية فأجابه مجيب لبّيك يا روح الله قال : ما كان جنايتكم ؟ قالوا : عبادة الطاغوت و حبّ الدّنيا ، قال : و ما كانت عبادتكم الطّاغوت ! قال الطاعة لأهل معاصى الله

تعالى قال : فما كان حبّكم الـدنيا ؟ قالوا : كحب" الصبي" لامّـه كنّا إذا اقبلت فرحنا ، وإذا ادبرت حزنّامع أمل بعيد وإدبار عن طاعة الله و إقبال في سخط الله.

قال : و كيف كان شأنكم ؟ قالوا : بتناليلة في عافية و أصبحنا في الهاوية ، فقال عيسى عليه السلام و ما الهاوية ؟ قال : سجّين ، قال : وما سجّين ؟ قال : جمرة من نارمثل اطباق الدنيا كلّهادفنت أرواحنا فيها، قال : فمابال أصحابك لايتكلّمون؟ قال: لايستطيعون أن يتكلّموا ملجمون بلجام من نارقال : فكيف كلّمتني أنت من بينهم ؟ قال : إنّي كنت فيهم ولم أكن على حالهم، فلمّا جاء البلاء عمّني معهم ، فانا معهم بشعرة في الهاويـة لا أدري أكردس في النارأم انجوا فقال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم : لا كل" خبز الشعير وشرب ماء القراح والنوم على المزابل مـع الكلاب كثيرمع عافية الدنيا والآخرة .

وفى البرهان: : إبن شهرآشوب قال الإمامان الجعفران عليهما السلام في قوله تعالى: «فأمّا من ثقلت موازينه» فهو أميرالمؤمنين عليه السلام «فهو في عيشة راضية» «و أما من خفّت موازينه» وأنكر ولاية علي عليه السلام «فأمّه هاوية» فهي النار جعلها الله امّه ومأواه .

وفى العلل: باسناده عن سهل الحلواني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينا عيسى بن مريم عليه السلام في سياحته إذمر" بقرية ، فوجد أهلها موتى في الطريق والدورقال: فقال : إن هؤلاء ماتوا بسخطة ، ولوماتوا بغيرها تدافنوا قال: فقال أصحابه: وددنا اناعرفنا قصّتهم، فقيل له : نادهم يا روح الله! قال: فقال : يا أهل القرية ، فأجابه مجيب منهم لبّيك يا روح الله قال : ما حالكم و ما قصّتكم قـال : أصبحنا في عافية ، وبتنا في الهاوية ، قال : فقال : وما الهاوية؟ قال : بحارمن نارفيها جبال من نارقال : وما بلغ بكم ما أرى؟

قال : حب" الدنيا وعبادة الطّاغوت ، قال : وما بلغ من حبّكم للدنيا ؟ قال : حب" الصبي" لأمّه ، إذا أقبلت فرح ، وإذا أدبرت حزن ، قال : وما بلغ من

عبادتكم الطّاغوت ؟ قال : كانوا إذا أمروا أطعنا هم ، قال : فكيف أجبتني أنت من بينهم؟قال: لأنّهم ملجمون بلجم من نارعليهم ملائكة غلاظ شداد وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلما أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلّق بشجرة أخاف اكبكب في النّارقال : فقال عيسى عليه السلام لأصحابه : النوم على المزابل و أكل خبز الشعير كثيرمع سلامة الدين .

وفي الكافي: باسناده عن مهاجر الأسدي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم على قرية قدمات أهلها وطيرها ودوابّها ، فقال: أما انّهم لم يموتوا إلّا بسخطة ولوماتوا امتفرّقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح الله و كلمته ادع الله أن يحييهم لنا فتخبرو نا ما كانت أعمالهم فنجتنبها ، فدعى عيسى ربّه فنودى من الجوان نادهم ، فقال عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال : يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب: لبّيك يا روح الله و كلمته، فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم ؟ قال : عبادة الطاغوت و حبّ الدنيا مع خوف قليل و أمل بعيدوغفلة في لهو ولعب ، فقال : كيف حبّكم للدنيا ؟

قال : كحبّ الصّبي لامّه ، إذا أقبلت علينا رضينا وفرحنا وسررنا ، و إذا أدبرت بكينا وحزنّا ، قال : كيف كان عبادتكم الطّاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي ، قال : كيف كان أمركم ؟ قال : بتناليلتنا في عافية ، وأصبحنا في الهاوية، فقال: وما الهاوية؟ فقال: سجّين ، قال: وما سجّين؟ قال: جبال من حجر(جمرخ) توقد علينا إلى يوم القيامة ، قال : فما قلتم ؟ وما قيل لكم ؟ قال : قلنا : ردّنا إلى الدنيا نزهد فيها ، قيل لنا : كذبتم قال : و يحك لم لم يكلّمني غيرك من بينهم ؟ قال : يا روح الله انهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد وإني كنت فيهم ، ولم أكن منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فأنا معلق بشعرة على شفير جهنّم لاأدرى اكبكب فيها أم أنجو فالتفت عيسى إلى الحواريين فقال : ياأولياءالله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش خير كثيرمع عافية الدنيا والاخرة .

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد استدلت المرجئة بقوله تعالى: «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأمّا من خفّت موازينه فامّه هاوية» القارعة: ٦-٩) على أنّ المعصية لاتضرّ مع الايمان، فقالوا: إنّ الله تعالى حصر أهل الموقف في هذه السورة على فريقين: فريق تزيد حسناتهم على سيئاتهم ، فهم أهل الجنّة ونعيمها، وفريق تزيد سيئاتهم على حسناتهم فهم أهل النّار وعذابها، ولا ريب أنّ المتأخرين أهل الكفر لأنّه تعالى حكم عليهم بأنّهم أهل النّار وهذا لايليق بالكافر ولئن سلّم أنّ العاصي معاقب لكنّه يعاقب أيّاماً ثم يعفى عنه، ويتخلّص إلى رحمة الله تعالى لقوله عزّ وجلّ: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم» التوبة: ١٠٢)

فالناس على طوائف ثلاث : الاولى من محّض الايمان ، و الثانية من محّض الكفر والثالثة خلطوا بينهما، فالآيات الكريمة تحدث عن الطائفتين الاولين دون الثالثة .

وقال بعض الظرفاء : إن تسئل كيف قال الله عزّ وجل : «وأمّا من خفّت موازينه» أي رجحت سيئاته على حسناته «فامّه هاوية» أي فمسكنه النّار وأكثر المؤمنين سيئاتهم راجحة على حسناتهم ؟

تجيب : انّ قوله تعالى: «فامّه هاوية» لايدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن بقدر ما تقتضيه ذنوبه ثم تخرج منها إلى الجنّة. وقيل: إنّ المراد بخفّة

الموازين خلوها من الحسنات بالكلّيّة وتلك موازين الكفّار.

وقال بعضهم: إنّ في الآيات الكريمة: «فمن ثقلت موازينه...» ٦:٤-٩) دلالة على أنّ الذي تكون حسناته وسيئاته متعادلتين متساويتين غير موجود يوم القيامة.

أقول: وقد سبق البحث منّا مراراً: أنّ للايمان أركاناً ثلاثة: الإعتقاد بالجنان والاقرار باللسان، والعمل بالجوارح، فمن لم يبتن ايمانه على تلك الأركان كلّها فهو إمّا كافر وإما مسلم، فليس بمؤمن.

قال الله عزّ وجلّ: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم - إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون» الحجرات: ١٤-١٥) وإنّما نار جهنّم قد حرّمت على هؤلاء المؤمنين، وأمّا المسلمون فكثير منهم يحكم عليهم بالكفر إمّا حين الموت، وإمّا يوم البعث وعند الحساب، فهم في زمرة الكافرين فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، وأمّا الباقون فيدخلون الجنّة بالعفو والشفاعة ولادلالة في الآيات على عدم وجدان تساوى الحسنات والسيّئات يوم القيامة أيضاً حيث أنّ الآيات الكريمة بصدد بيان رجحان أحد طرفي الحسنات والسيئات على الاخرى.

ويستدل بقوله عزّ وجلّ: «يوم يكون الناس كالفراش المثبوث - إلى قوله - وأمّا من خفّت موازينه» القارعة: ٤-٨) على المعاد الجسماني، وعلى تجسّم الأعمال يوم القيامة، وعلى مسئوليّة الناس عن أعمالهم، وأنها إنّما تصدر عن كسبهم وإختيارهم غير مجبورين فيها، وأنّهم إنّما ينالون جزاءها حقاً وعدلاً وفاقاً لها.

﴿الموازين وحقيقتها﴾

قال الله تعالى: «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية» القارعة: ٦_٩)

واعلم أنّ الموازين: جمع الميزان وهو على قسمين:

أحدهما ـ ميزان صناعيّ وهو آلة ذات كفّتين يوزن بها الأشياء فيعرف مقدارها خفّة وثقلاً، وقد يتخلّف هذا القسم من الميزان في الوزن إمّا من جهة نفسه للنقص فيه، وإمّا من جانب من يزن به الشيء، والأخير هو الأكثر الأغلب.

ثانيهما ـ ميزان طبيعي لا تخلّف فيه أبداً، ومنه ما أنزل الله عزّ وجلّ على رسله صلوات الله عليهم أجمعين ليحكموا به بين الناس، وهم يقومون بالقسط، كما يشير إليه قوله عزّ وجلّ: «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» الحديد: ٢٤)

وبهذا الميزان تزن عقائد الناس وأقوالهم وأحوالهم وأعمالهم وما إليها في الحياة الدنيا، وهذا ميزان الدنيا.

وأما ميزان الآخرة : فقد اختلف فيه كلمات المفسّرين والمحدّثين و الحكماء والمتكلمين وغيرهم قديماً وحديثاً إختلافاً كثيراً لاجدوى لذكر جميعها، فنشير إلى أهمّها:

فمنهم : من قال: يبتني على كيفيّة ميزان الآخرة تجسّم الأعمال وعدمه،

فعلى الأوّل فميزانها كالميزان الصناعي، ولكن بلا تخلّف فيه، ولا فيمن يزن به: يزن به ما يتعلق بالإنسان من العقائد والأقوال والأعمال بعد تجسّمها يوم القيامة. وعلى الثاني فميزان الآخرة كالميزان الطبيعي وهو عدل الله تعالى، فثقيل الأعمال ما يوافقه وخفيفها ما يخالفه.

ومنهم: من قال: بعدم الابتناء بل يتجسّم كلّ ما يتعلّق بالانسان فيوزن بالقسط، لقوله تعالى: «والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فاولئك الّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون» الاعراف: ٨-٩)

وقوله عزّ وجلّ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» الأنبياء: ٤٧)

فللحسنات بعد تجسّمها ولصاحبها قدر لتوافقها على القسط، فيتبعه العيش المرضيّ به قال الله جلّ وعلا: «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» القارعة: ٦)

و ليس للسيّئات ولا لعاملها بعد ذلك قدر لعدم توافقها على الحق فتتبعه النار والعذاب.

قال الله سبحانه: «وأمّا من خفّت موازينه فامّه هاوية» القارعة: ٨)

وهذا القول هو الّذي يمكن فيه الجمع بين الروايات الواردة في تجسّم الأعمال، وأنّ الأعمال لا توزن كالأشياء الّتي توزن بالقبّان ونظائره، وأنّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هم الموازين يوم القيامة، فيتجسّم كلّ ما يتعلّق بالانسان من العقائد والأعمال والأقوال و الأحوال في الدار الآخرة ليسرّ به الناظر إن كانت خيراً وحقاً، فيحكم عليه بالثقل لموازنته الخير والحق فيتبعه العيش المرضى به، و ليحزن به الناظر إن كانت شرّاً و باطلاً، ولئلاّ ينكرها صاحبها، فيحكم عليه بالخفّة لعدم موازنتها ثقل الخير والحق، فلا قدر له ولا لصاحبها، فتتبعه النار والعذاب.

ففي الآخرة ماله الثقل وتقايس به ما يتعلّق بالانسان من العقائد والأعمال

والأقوال والأحوال فما وافقه منها وانطبق عليه، فهو ثقل الميزان وما خالفه منها ولم ينطبق عليه، فهو خفّة الميزان، كما أنّ لكلّ شيء في الحياة الدنيا اصولاً وضوابط وقواعد علماً كانت أم أدباً أو عملاً أم فنّاً أو شيئاً، وبها يتميّز شيء عن غيره، فيعرف جيّده من رديئه، وحقّه من باطله، صحيحه من فاسده، وحسنه من قبيحه، وطيّبه من خبيثه، وثقيله من خفيفه .. وتسمّى تلك الأصول والضوابط و القواعد ميزاناً ومقياساً ومنهاجاً وحكماً.

فالمثقال أوالمنّ مثلاً له الثقل،فيوضع في إحدي الكفّتين ثمّ يوضع المتاع في الكفّة الاخرى،فانّ عادل المثقال أوالمنّ وزناً بوجه على ما يدلّ عليه الميزان أخذبه وإلّا ترك قطعاً،فالمثقال أوالمنّ في الواقع هو الميزان الّذي يوزن به الشيء، وأمّا القبّان وما إليه فمقدّمة لما يبيّنه المثقال، أوالمنّ من حال المتاع الموزون به ثقلاً وخفّة، كما أنّ واحد الطول وهو الذراع أوالمتر مثلاً ميزان توزن به الأطوال، فان إنطبق الطّول على الواحد المقياس فهو وإلّاترك، فلكلّ عمل وقول وعقيدة واحد مقياس يوزن كل واحد بمقياسه ، فللصّلاة مثلاً ميزان توزن به ، وهي الصّلاة التامّة الّتي هي حقّ الصّلاة، وللزّكاة والإنفاق والقول وما إليها ...

ويشير إلى ذلك قوله عزّوجلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حق تقاته» آل عمران: ١٠٢)

وقوله تعالى: «الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون» البقرة: ١٢١)

وقوله عزّ وجلّ: «وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدّل لكلماته وهو السميع العليم-وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربى وبعهدالله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكّرون وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون» الأنعام: ١١٥-١٥٣).

وقوله جلّ وعلا: «حقيق على أن لاأقول على الله إلّا الحق - ألم يؤخذ عليهم

ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلّا الحق ودرسوا مافيه» الاعراف: ١٠٥ـ١٦٩)

ولا ينجو من خطر الميزان إلّا من حاسب في الحياة الدنيا نفسه، ووزن فيها بميزان الشرع عقيدته وأقواله وأعماله وسلك مسلك الأنبياء والأوصياء والأولياء، فانّهم الموازين يومئذ يوزن بهم العقائد والأقوال والأعمال...

قال الله عزّ وجل: «وأشرقت الأرض بنور ربّها و وضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون» الزمر: ٦٩)

وفي كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: «أحوال القيامة من الميزان و الصراط والحساب وتطاير الكتب امور ممكنة، وقد أخبر الله تعالى بوقوعها، فيجب التصديق بها لكن إختلفوا في كيفيّة الميزان، وقال شيوخ المعتزلة: إنّه يوضع ميزان حقيقي له كفّتان يوزن به مايتبيّن من حال المكلّفين في ذلك الوقت لأهل الموقف بأن يوضع كتاب الطاعات في كفّة الخير، ويوضع كتاب المعاصي في كفّة الشرّ، ويجعل رجحان أحدهما دليلاً على إحدي الحالتين أو بنحو من ذلك لورود الميزان سمعاً، والأصل في الكلام الحقيقة مع إمكانها، و قال عباد وجماعة من البصريين وآخرون من البغداديين: المراد بالموازين العدل دون الحقيقة» إنتهى كلامه.

وفي الأسفار: قال: «في قدرة الله أن يكشف للخلائق جميع أعمالهم وميزان حسناتهم وسيئاتهم وثوابها وعقابها في لحظة واحدة وهو أسرع الحاسبين ثمّ قال: «انّ ميزان الآخرة هو مايعرف به صحّة العلم والايمان بالله وصفاته وأفعاله، و بملائكته و كتبه ورسله، وباليوم الآخر وهذا الميزان هو القرآن الذي أنزله الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرئيل عليه السلام فباحكام القرآن يقاس علم الانسان وعقله وجميع أقواله وأفعاله، وتعرف حسناته من سيئّاته، فان كان الرجحان للحسنات فصاحبها من أهل السعادة، وإن كان للسيّئات فصاحبها من أهل الشقاوة و مع تساوي الحسنات والسيئات، فصاحبهما موقوف حتّى يحكم الله تعالى فيه بالعذاب أو العفو ولكن جانب الرحمة أرجح لأنّ الله غفور رحيم»

وفي العرشية : قال: «وأما وضع الموازين فالميزان عبارة عن معيار صحيح يعرف به قدر الشيء ووزنه، سواء كان آلة مخصوصة أو غيرها، وميزان كل موزون من جنسه وإن لم يسار ميزان الآخرة لميزان الدنيا ولاموازين العلوم و الأعمال لموازين الأجرام والأثقال كمالايساوي ميزان الحنطة والشعير والأقط و الدّبس لميزان الشعر كالعروض وميزان الفكر كالمنطق وميزان الإعراب والبناء كالنحو، وميزان مقادير الساعات كالاسطرلاب والارتفاعات والأعمدة كالشاقول أوالدوائر واستدارات كالفرجار والاضلاع والاستقامات كالمسطرة والعقل ميزان الكلّ».

وبالجملة: ميزان الآخرة نوع آخر من الموازين، فتوزن به الكتب و الصحائف وتجعل فيه ، ومما وردفي هذا الباب عن أئمّتنا عليهم السلام مارواه محمّدبن علي بن بابويه: انه سئل هشام بن سالم عن قول الله عزّ وجلّ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»؟ قال: هم الأنبياء والأوصياء»

ثم قال ملاصدرا: «واعلم أنّ كل عمل بدنيّ أوقلبيّ و كلّ ذكر أونيّة يوضع في الميزان ويدخل فيه ويقابله شيء إلّا كلمة التوحيد من قول: «لاإله إلّاالله» مخلصاً لأنّ كلّ عمل له مقابل في هذا العالم: عالم التضاد، وليس للتوحيد مقابل إلّا الشرك وهما لايجتمعان في ميزان واحد لأنّ اليقين الدائم لايجامع مع نقيضه في قلب واحد ولا يتعاقبان على موضوع كماأومأنا إليه من أنّ نفس المؤمن الموحّد بحسب الجوهر والذّات تخالف نفس الكافر مخالفة النوعية فضلاً عن الشخصيّة، فليست للكلمة ما يقابلها ويعادلها في الكفّة الاخرى من قول أوعمل أونيّة، فضلاً عن أن يرجّح عليها كما يدل عليه حديث صاحب السّجلات.

ولهذا روى عن أبي عبدالله عليه السلام : أنّه قال: كمالاينفع مع الكفر شيء، لايضرّ مع الايمان شيء وروى أبو الصّامت عنه عليه السلام: ان الله يغفر للمؤمن وإن جاء بمثل ذا وأومأ بيده قال: قلت : وإن جاء بمثل تلك الهيئات فقال: إي والله وإن جاء بمثل تلك الهيئات فقال: إي والله مرّتين، وفي رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإن زنى وإن سرق.

ثم قال: «اعلم أنّ أفعال الجوارح خيرها وشرّها كلّها مما يدخل في الموازين وأمّا الأعمال الباطنة فلا يدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيه العدل وهوميزان الحكمي المعنوي، فالمحسوس يوزن بالمحسوس والمعنى بالمعنى، فلذا توزن الأعمال من حيث ماهي مكتوبة، وآخرما وضع في الميزان قول الإنسان: «الحمدلله» وبه يملا الميزان وإليه الاشارة فيما قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحمدلله يملا الميزان» ومن اللطائف الكشفية: أن كفّة ميزان كل أحد بقدر عمله لازيادة ولا نقصان» إنتهى كلامه.

وفي أسرار الآيات: قال ملا صدار: «وأمّا القول في ميزان الأعمال: فاعلم أنّ لكل عمل من الأعمال الحسنة كالصلاة والصيام والقيام وغيرها باعتبار تأثيره في النفس وتخليصها من اسر الشهوات وتطهيرها عن غواسق الطبيعة وجذبها من الدنيا إلى الآخرة وإصعادها عن المنزل الأدنى الأسفل إلى المحلّ الأرفع الأعلى مقداراً معيّناً وقوّة معيّنة، وكذلك لكلّ عمل من الأعمال السيّئة قدراً معيّناً من التأثير في اظلام جوهر النفس، وتكثيفها وتكديرها و تعليقها بالدنيا وشهواتها و تقييدها بسلاسلها وأغلالها، وكلّ ذلك محجوب عن مشاهدة الخلق في الدنيا، و عند وقوع القيامة ينكشف لهم لأجل رفع الحجاب و كشف النقاب حقيقة الأمر في ذلك.

فكلّ أحد يرى غاية عمله وسعيه في الدنيا والآخرة، وقوّة إنجذابه إلى النعيم والجحيم، ويرى ثقل أحد جانبي ميزانه ورجحان أحد كفّتي ميزانه رفعاً ووضعاً، وبالجملة كلّ واحد من أفراد النّاس له تفاريق أعمال، إمّا حسنات أوسيئات أومختلفات، فاذا جمعت يوم القيامة متفرّقات حسناته أوسيئاته كان إمّا لأحدهما الرجحان أولا، فان كان الرجحان للاولى كان من أهل السعادة وإن كان للثاني كان من أهل الشقاوة، ومن استوت حسناته وسيئاته كان متوسطاً بين الجانبين حتّى يحكم الله فيه، وهيهنا قسم آخر أرفع من الثلاثة وهم الّذين إستغرقوا في شهود جلال الله ولا

إلتفات لهم إلى عمل صالح أو سيّيء فكسروا كفتّي ميزانهم، وخلصوا من عالم الموازين والأعمال إلى عالم المعارف والأحوال وأنوار الجمال والجلال .

فنقول من الرأس: كلّ أحد مالم يتخلّص ذاته بقوّة اليقين ونور الايمان عن قيد الطبيعة واسر الدنيا، فذاته مرهونة بعمله فهو بحسب مزاولة الأعمال والأفعال وثمراتها ونتائجها وتجاذبها للنفس إلى شيء من الجانبين بمنزلة ميزان ذي كفتّين إحدي كفتّيه تميل إلى الجانب الأسفل أعني الجحيم بقدر مافيها من متاعها متاع الدنيا الفانية وزادها، والاخرى تميل إلى العالم الأعلى ودار النعيم بقدر مافيها من متاع الآخرة وزادها، ففي يوم القيامة ويوم العرض الأكبر إذا وقع تعارض بين الكفتّين والتجاذب إلى الجنبتين، فالحكم من الله العلي الكبير لكل أحد في إدخاله إحدي الدارين: دار النعيم ودار الجحيم على حسب ميزانه من جهة رجحان إحدي الكفتّين: كفّة الحسنات وكفّة السيّئات.

واعلم أنّ كفّة الحسنات في جانب المشرق وكفّة السيئات في جانب المغرب، وانّ الاولى كفّة أصحاب اليمين والاخرى كفّة أصحاب الشمال ثم لايذهب عليك انه إذا وقع الترجيح والمجازاة ونفذ الحكم وقضي الأمر تصير الكفتّان كلتاهما في حكم واحدة في اليمينية والشمالية والمشرقية والمغربية والجنانية والجحيمية، فأهل السعادة كلتا يديهم تصير يمينية وكلتا يدي أهل الشقاوة تصير شمالية» إنتهى كلامه.

وفي المنار: عن الشعراني أنّه صوّر الميزان الالهي الذي يزن به أعمال العباد المعنوية كلّها في وقت واحد قصير لأنّه تعالى أسرع الحاسبين بصورة الموازين البشرية التي إخترعوها بفنون الصناعة، ثمّ قال صاحب المنار: نحن نرى البشر قد اخترعوا في هذا العصر أنواعاً من الموازين الدقيقة للاثقال المادية، وللامور المعنوية كالرطوبة والحرارة والبرودة والسرعة حتّى انّهم ليعرفون أثقال الكواكب وان ركاب السفينة الغوّاصة ليعلمون وهم في لجّة البحر مايكون حولهم إلى أبعاد عظيمة من أحوال المراكب التي على ظهر البحر وأثقالها وبعض مايتحرك في البحر أيضاً.

وفي الجامع لأحكام القرآن: قال إبن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أنّ الأعراض يستحيل وزنها إذ لاتقوم بأنفسها، و من المتكلمين من يقول: إنّ الله تعالى يقلّب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة و هذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح: انّ الموازين تثقل بالكتب الّتي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخفّ.

أقول: ان كلام إبن فورك و أذنا به مردود بتجسّم جبرئيل عليه السلام و نزوله بصورة دحية الكلبي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزوله على مريم عليها السلام بشراً سوياً مع كونه عليه السلام من الجواهر.

و **قال الشيخ البهائي** قدّس سرّه: الحق أنّ الموزون في الآخرة هو نفس الأعمال لاصحائفها، و ما يقال من انّ تجسّم العرض طور خلاف طور العقل، فكلام ظاهري عامي، و الّذي عليه الخواص من أهل التحقيق انّ سنخ الشي وحقيقته مغايرة للصورة الّتي يتجلّى بها على المشاعر الظاهرة، ويلبسها لدي المدارك الباطنة، وانّه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب إختلاف المواطن و النشآت، فيلبس في كل موطن لباساً ويتجلبب في كل نشأة بجلباب كما قالوا: إنّ لون الماء لون إنائه، وأما الأصل الّذي تتوارد هذه الصورة عليه، ويعبّرون عنه تارة بالسنخ ومرّة بالوجه واخرى بالروح فلا يعلمه إلّاعلّام الغيوب، فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضاً وفي آخر جوهراً ألاترى إلى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم، فانّه في تلك النشأة أمر عرضي، ثم انّه يظهر في النّوم بصورة اللبن، فالظاهر في الصّورتين سنخ واحد تجلى في كل موطن بصورة فقد تجسّم في مقام ماكان عرضاً في مقام آخر.

و **قال العلامة المجلسي** رضوان الله تعالى عليه: جميع الأحوال والأفعال في الدنيا تتجسّم وتتمثّل في النشأة الاخرى إما بخلق الأمثلة الشبيهة بها بازائها أوبتحوّل الأعراض هناك جواهر والأول أوفق بحكم العقل ولا ينافيه صريح ماورد في النقل.

وفي دعاء الجوشن الكبير : - رقم٤٢- «يامن في البرّ والبحر سبيله، يامن في الافاق آياته ، يا من في الآيات برهانه، يامن في الممات قدرته، يا من في القبور عبرته ، يا من في القيامة ملكه ، يا من في الحساب هيبته ، يا من في الميزان قضائه، يا من في الجنّة ثوابه ، يا من في النار عقابه» .

وقال بعض المفسرين : لا يعني بميزان الآخرة وزن الجسد ، وإنّما مـا به الإنسان إنسان من موازين العقل والايمان وأعمال الايمان ، وعلى حدّ تعبير الإمام الصّادق عليه السلام : «الموازين هي موازين الانسانية» والميزان هو آلة الوزن و القياس ما يوزن به الشيء ويقاس ، فان كان ذلك الشيء جسماً فالميزان الجسماني على إختلاف حالات الأجسام ، فاختلاف موازينها ، فلا يوزن ما يسوى غراماً بما يوزن به أطنان ، ولا يوزن النور بما يوزن به سائر الأجسام غير النورانية، وكما لاتوزن الدوائر والقسى أو الحرارة والبرودة والأعمدة والخطوط أو الشعر والفلسفة لاتوزن هذه وأمثالها بالقبّان وغيره .

ثمّ الـروحانيات و الصفات و العقول و الأرواح إنّها أحرى أن تـوزن بالمثل العليا من أمثالها ، وفي هذا الباب ليس الثقل إلّا للصّالحات دون الطالحات فالصالحات هي ثقل الميزان و السيئات هي خفتها إذ ليس للسيّئات ثقل ، فانّما الوزن هو الحق والموازين هي القسط : ««والوزن يومئذ الحق» الاعراف : ٧)

لا : الوزن حق ، مع أنّه حق ، إنّما الوزن هو الحق ، فالحق هو الميزان و الميزان هو الحق ، دون أن يكـون وزن أو ميزان للباطل ، فلا يقام للكافر ميزان لحبط أعماله : ««اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف : ١٠٥) .

فالقسط والحق هما الميزان وهما ثقل الميزان: ««ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» الأنبياء : ٤٧)

فافراد القسط هنا لجمع الموازين يوحي لنا أن مجموعة الموازين تتحدفي أنها القسط ، دون أن يكون للظلم ميزان ولاوزن حتّى توزن به السيئات ، إنّما هو ميزان واحد هو الحق و القسط و العدل ، و إذا كان القسط و الحق و العدل هى الميزان ، فأحرى أن يكون النّبيّ الكريم ﷺ و أهل بيته المعصومون هم الموازين كسائر الأنبياء وأوصياء هم كقول الإمام الصادق عليه السلام : «إن الموازين هم الأنبياء والأوصياء»

فلا الموازين تكون مادّية ، و لا ما يوزن فيه الموازين ، إنّما هي القيم و المثل العليا للانسان أيّاً كان، وإنّها ـ رغم إختلافها صورياً ـ تتّحد في كونهاحقاً و قسطاً ، تظهرفي مظاهر عدّة حسب عديد الأعمال و الأقوال و مراتب الايمان و الأحوال، فالحق الّذي يوزن به الايمان هوحقّ الايمان ، وما توزن بهالصلاة هو حق الصلاة وأمثالها لأمثاله»

و منهم : من قال : إنّ الموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها ، ووضع كل جزاء في موضعه وايصال كلّ ذي حق إلى حقّه.

و منهم :-من قال : إنّ الموازين هي الموازنة بين الحسنات و السيئات .

وغيرها من الأقوال الّتي لانرى لها وجهاً ولا لذكرها فائدة .

فبالجملة : ان أصل الميزان مما لاشك فيه و لاشبهة تعتريه و إنكاره كفر ، و إنّما الخلاف في معنى الميزان ، فالذي عليه أكثر المفسرين و المحدثين و الحكماء و المتكلمين قديماً و حديثاً من العامّة و الخاصّة الحمل على ظاهره بأنّ الله تعالى ينصب يوم القيامة ميزاناً له لسان و كفّتان فتوزن به أعمال العباد: حسناتها وسيئاتها...

وقال الآخرون : بل يظهرالرجحان في الكفّة ، وفي هذا إشارة إلى أنّ أعمال الناس الّتي تعرض عليهم يوم القيامة ليست لمجرّد عرضها والعلم بها ، وإنّما لتكون موضع حساب ومناقشة ، فتوزن أعمال كلّ إنسان بميزان الحق والعدل،

وان ّ جمع الموازين مشعر إلى أن ّ لكل إنسان ميزاناً توزن به أعماله ، فلا ينتظر غيره حتّى يفرغ من حسابه و وزن أعماله ... بل لكل إنسان موازين كثيرة : بعضها لحسناته و بعضها لسيئاته ، ولكل عمل من أعماله من الحسنات و السيئات ميزان خاص ّ.

ولعل ّ الفائدة في وضع الميزان يوم القيامة لاعمال العباد هي ظهور الرجحان لأهل الموقف وإزدياد الفرح والسرور للمؤمن ، وبالضدّ ّ للكافر .

وقال بعضهم: في كيفيّة وزن الأعمال طريقان : أحد هما ـ أن توزن صحائف الأعمال، والثاني : أن تجعل في كفّة الحسنات جواهر بيض مشرقة ، فيوجب ثقلها، وفي كفّة السيئات جواهر سود مظلمة فتوجب خفّتها .

وفى دعاء الحوائج للدنيا والآخرة ـ: «واجعلنى من الّذين صبروا وعلى ربهم يتوكّلون وثبّتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وبارك لي في المحيا والممات والموقف والنشور والحساب والميزان وأهوال يوم القيامة وسلّمني على الصراط وأجزني عليه ... » الدعاء

وفى دعاء العديلة : ـ «وأشهد أن ّ الموت حق، ومسائلة القبر حق ، والبعث حق، والنشور حق، والصراط حق ، والميزان حق، والحساب حق ، والكتاب حق، والجنّة حق ، والنار حق ، و أن ّ الساعة آتية لاريب فيها وأن ّ الله يبعث من في القبور ... » الدعاء



﴿ الموازين و انواعها ﴾

قال الله عزّ وجلّ : «فأمّا من ثقلت موازينه ـ وأما من خفّت موازينه» القارعة: ٦ـ٩) لعلّ ايثار الموازين بصيغة الجمع إشارة أنّ الموازين أنواع كثيرة فمنها ميزان العقائد وما في الصدور ، ومنها ميزان الأقوال ، ومنها ميزان الأحوال و الصفات ، ومنها ميزان العلوم ...

وقد سئل الإمام السادس جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « و نضع الموازين القسط ليوم القيامة » الأنبياء : ٤٧) قال عليه السلام الموازين الأنبياء والأصياء .

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه رحمة الله تعالى عليه: اعتقاد نا في الحساب أنّه حق منه من يتولّاه الله عزّ وجلّ ، ومنه من يتولّاه حججه فحساب الأنبياء و الائمّة يتولّاه الله عزّ وجلّ ، و يتولّى كل نبيّ حساب أوصيائه ويتولّى الأوصياء حساب الامم ، والله تبارك وتعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل و هم الشهداء على الاوصياء والأئمّة شهداء على النّاس و ذلك قول الله عزّ و جلّ : «ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس» وقوله تعالى : «فكيف إذا جئنا من كلّ امّة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيداً» وقوله تعالى : «إن إلينا إيابهم ثمّ إنّ علينا حسابهم » .

أمّا ميزان العلوم فاعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد وضع ميزاناً مستقيماً أنزل من السّماء ليعرف بأقسامه مكائيل الأغذية المعنوية ، و مثاقيل الأرزاق الروحانية

الباطنية ، و يعلم بها حقّها من باطلها ، ويوزن بها نقود الحقائق العقلية وجواهر الصّور الإدراكيّة ليميّز رايجها في سوق الآخرة من زيفها وخالصها من مغشوشها، وعلمنا بتعليم رسول الله ﷺ كيفية الوزن به ، معرفة أقسامه الخمسة ، وتميز مستقيمها عن مايلها ، حيث قال : وزنوا بالقسطاس المستقيم ، فمن يعلم هذه الموازين الخمسة الّتي أنزلها في كتابها المنزل على رسوله وعلم بها أنبيائه وعباده الصالحين فقد اهتدى، ومن عدل عنها، وعمل بالرأي والتخمين ، فقد ضلّ وغوى وتردى إلى الجحيم.

ان تسئل : أين ميزان العلوم في القرآن الكريم و هل هذا إلّا إفك و بهتان ؟؟؟

تجيب عنه : ألم تسمع قوله تعالى في سورة الرحمن: «الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان ـ والسماء رفعها ووضع الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان» : ١ ـ ٩) ؟

ألم تسمع قوله عزّ وجلّ : «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط» الحديد : ٢٤) ؟

أتزعم أيّها العاقل أنّ الميزان المنزل من عند الله عزّ وجلّ مع إنزال الكتاب المقرون إسمه باسم الكتاب هو ميزان البرّ والشعير والارز والأقط وغيرها؟ أتتوهّم أنّ الميزان المقابل وضعه لرفع السماء هو القبان والطيار ونظائرهما ؟ ما أبعد هذا الزعم و الحسبان ؟ و ما أسخف هذا الافتراء و البهتان ؟ و اتق الله جلّ و علا يا أخي و لاتتعسّف في باب التأويل و اترك الجهالة و اللجاج : «إني أعظك أن تكون من الجاهلين» .

و اعلم أنّ هذا الميزان برهان معرفة الله عزّ و جلّ و صفاته و أفعاله و ملائكته و كتبه و رسله و ملكه و ملكوته ليعلم كيفيّة الوزن به تعليماً من قبل أنبيائه عليهم السلام كما تعلم الأنبياء من ملائكته ، فالله عزّ و جلّ هو المعلّم

الأوّل، و المعلّم الثاني جبرئيل، وثالث المعلّمين هو النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و أوّل من استعمل هذا الميزان بتعليم الله تعالى وتعليم جبرئيل هو أب الأنبياء وشيخهم إبراهيم الخليل عليه السلام ثم سائر الأنبياء إلى إبنه المقدّس خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقد شهد الله تعالى لهم بالصّدق.

واعلم أنّ الموازين الواردة في القرآن الكريم في الأصل ثلاثة: ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعاند.

أمّا ميزان التعادل فينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأكبر و الأوسط و الأصغر، فيصير الجميع خمسة:

الأول: الميزان الأكبر من موازين التعادل وهو ميزان الخليل إبراهيم عليه السلام وقد استعمله مع نمرود وهو كما حكى الله عزّ وجلّ بقوله: «قال ربّي الذي يحيي ويميت۔ فبهت الذي كفر» البقرة: ٢٥٨).

وقد أثنى الله تعالى عليه في إستعماله لهذا الميزان قال: «وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء انّ ربك حكيم عليم» الأنبياء: ٨٣) فان في حجّته الثانية التي بها صار نمرود مبهوتاً لأنّه أدركها ولم يبلغ دركه إلى الحجة الاولى أصلين إذ مدار القرآن الكريم على الحذف والايجاز، و كمال صورة هذا الميزان أن يقال: كلّ من قدر على إطلاع الشمس من المشرق هو الإله، هذا أحد الأصلين، وإلهي هو القادر على إطلاعها منه الأصل الاخر فلزم من مجموعها انّ إلهي هو الإله دونك يا نمرود والأصل الأوّل مقدّمة ضرورية متفق عليها، و الثاني من المشاهدات، ويلزم منهما النتيجة، فكلّ حجّة صورتها هذه الصّورة، وصحّ فيها أصلان كان حكمها في لزوم النتيجة المناسبة هذا الحكم، إذ لادخل لخصوص المثال، فاذا جردنا روح الميزانية عن خصوصية المثال نستعملها في أيّ موضع أردنا وننتفع بها كما يأخذ الناس معياراً صحيحاً وصنجة معروفة فيزنون الذهب والفضّة وغيرهما بتلك الصنجة المعروفة.

الثانى: الميزان الأوسط و هو أيضاً واضعه الله عزّ وجلّ و مستعمله الأوّل خليل عليه السلام حيث قال: «لا احبّ الآفلين» الأنعام: ٧٦) و كماصورته انّ القمر آفل، والإله ليس بآفل فالقمر ليس باله ، وأمّا حدّ هذاالبرهان و روحه فهو انّ كل شيئين وصف أحدهما بوصف يسلب عن الآخر فهما متباينان .

الثالث: الميزان الأصغر فهوأيضاً مبناه من الله عزّ وجلّ حيث علم به نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وآله في القرآن الكريم وهو قوله تعالى : « و ما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر » الأنعام : ٩١) و وجه الوزن به أن يقال قولهم بنفي إنزال الوحي على البشر قول باطل للازدواج بين أصلين : أحدهما ـ أنّ موسى وعيسى عليهما السلام بشر . ثانيهما ـ انّه منزل عليهما الكتاب فيبطل بها الدعوى العامّة بأنّه لاينزل الكتاب على بشر أصلاً .

الرابع: ميزان التلازم وهوالمستفاد من قوله تعالى: « قل لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا » الأنبياء : ٢٢) و كذا من قوله : « لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها » الأنبياء : ٩٩) .

وأمّا حدّ هذا الميزان و روحه وعياره فهو انّ من علم لزوم أمر لأمر آخر و علم وجود الملزوم يعلم منه وجود اللازم ، و كذا لو علم نفي اللازم يعلم منه نفي الملزوم ، أمّا الاستعلام من وجود اللازم على وجود الملزوم أو من نفي الملزوم على نفي اللازم فهوملحق بموازين الشيطان إذ ربّما كان الملزوم أخصّ من لازمه .

الخامس: ميزان التعاند وهو المستفاد من قوله عزّ وجلّ تعليماً لنبيّه صلّى الله عليه وآله : « قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله و إنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » سبأ : ٢٤) .

ففيه إضمار أصل آخر لامحالة ، إذليس الغرض منه ثبوت التسوية بينه وبينهم وهو انّه معلوم أنّا لسنا في ضلال مبين ، فيعلم من إزدواج هذين الأصلين نتيجة ضرورية وهي انكم في ضلال مبين ، وأمّا حدّ هذا الميزان وعياره فكلّ ما انقسم

إلى قسمين متباينين فيلزم من ثبوت أحدهما نفي الآخر وبالعكس لكن بشرط أنّ القسمة حاصرة لامنتشرة، فالوزن بالقسمة الغير المنحصرة وزن الشيطان فهذه هي الموازين المستخرجة من القرآن الكريم و هي بالحقيقة سلاليم العروج إلى عالم السماء بل إلى معرفة خالق الأرض والسماء وهذه الاصول المذكورة فيها هي درجات السلاليم . . . و أمّا المعراج الجسماني فلا يفى به سعة قوّة كلّ أحد بل يختصّ ذلك بالقوّة النبوية .

ان تسئل : فما وجه التطابق بين الميزان الروحاني والميزان الجسماني ؟ و أين في ميزان الآخرة العمود الواحد والكفّتان ؟ و أين في موازين الآخرة ما يشبه القبّان ؟

تجيب عنه : و قد مرّ ان هذه المعارف الّتي هي سبب عروج النفس إلى معارج الملكوت مستفادة من أصلين، فكلّ أصل كفّة والحدّ المشترك بين الأصلين الداخل فيهما عمود ، و أما ما يشبه القبّان فهو ميزان التلازم إذ أحد طرفيه أطول والآخر أقصر و يتولّد النتيجة من إزدواج أصلين يدخل شيء من أحدهما في الآخر فهذه الموازين الخمسة التي يعرف بها مثاقيل الأفكار و مكائيل الأنكار في العلوم الحقيقية الّتي هي الأرزاق المعنوية لأهل الآخرة ، و قد أنزل الله عزّ وجلّ هذه الموازين من السماء ليعلم كلّ أحد مقدار علمه وعقله وميزان سعيه وعمله ، ويحسب حساب رزقه وأجله ، ويحضر كتاب عمره و أمله .

فانّ لكل مخلوق رزقاً خاصّاً وبحسب كلّ رزق له أجل مكتوب وحساب محسوب والأرزاق المعنوية كالارزاق الحسّية متفاوتة في الأكل متفاضلة في دوام الحيوة والأجل كمّاً و كيفاً و نفعاً و ضراً بل الأرزاق الاخروية أكثر تفاوتاً و أشدّ تفضيلا من الأرزاق الدنيوية كما في قوله تعالى : « و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً » الاسراء : ٢١) .

و قال أيضاً مخاطباً لنبيّه المنذر صلى الله عليه وآله وسلم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن » النحل : ١٢٥) .

وقال : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني » يوسف: ١٠٨) .

و قال : « و أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥٣) .

فأمر الله عزّ وجلّ خاتم رسله محمّداً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعوا النّاس بمعيار واحد إلى أنواع مختلفة من الرزق حسب تفاوت الغرائز والجبلّات للخلق ، فالقرآن الكريم بمنزلة مائدة نازلة من السماء إلى الأرض ، مشتملة على أقسام من الرزق لطوائف من النّاس ، ولكلّ منها رزق معلوم وحياة مقسومة ، فالحكمة والبرهان لقوم والموعظة والخطابة لقوم والجدل والشهرة لقوم ، و يوجد فيه لغير هؤلاء الطوائف الثلاث أغذية ليست بهذه المثابة من اللطف ، بل أنزل منها على حسب مقاماتهم في الكثافة والسفالة إلى حدّ القشور والنخالة كما في قوله عزّوجل : « ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين » الأنعام : ٥٩) وقوله تعالى : « و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » النحل : ٨٩) .

فكما يوجد فيه اللبوب كذلك يوجد فيه التبن والقشور وهي للعوام الّذين درجتهم درجة الأنعام كما قال: « متاعاً لكم ولأنعامكم » عبس: ٣٢) و ذلك لأنّ الغذاء يجب أن يكون مشابهاً للمغتذي .

و من الامور الّتي لابدّ من معرفتها لكلّ أحد ممن آمن بالله تعالى و برسوله صلى الله عليه وآله وسلم و بكتابه وباليوم الآخر و هو أن يعلم كيفيّة الموازنة بين الامور الدنيوية والاخروية وتحقق التطابق بين النشأتين ، فمن فتح على قلبه باذن الله تعالى باب الموازنة بين العالمين : عالم الملك والملكوت ، وعالمي الغيب والشهادة ، يسهل عليه سلوك سبيل الله تعالى و ملكوته ، و اطلع على أكثر أسرار القرآن و اغواره و شاهد حقائق آياته و أنواره مما غفل أكثر الخواص وكافة العوام عن

هذه الموازنة، و هي باب عظيم في معرفة أحوال الأشياء وحقائق الموجودات على ماهي عليها، سيّما معرفة امور المعاد، وهو أوّل مقامات النبوّة والرسالة وشرط الدعوة الحقة لأن مبادىء أحوال الأنبياء عليهم السلام أن يتجلّى لهم في المنام النشأة الثانية، و يتصوّروا حقائق الأشياء في كسوة الأشباح المثالية لأنّ الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوّة، ولايتجلّى حقائق الأشياء بلا إلتباس إلّا في عالم القيامة لقيامها بذواتها . . .

وأما في هذا العالم فهي في أغطية من الصّور الحسيّة والآن: « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ق: ٢٢) فتأمل في هذا المقام فمساك أن تنفتح لك روزنة إلى عالم الملكوت، وإلّا فمازلت متوجّهاً إلى ملابس العالم الحيواني، مصروف الهمّة والوجهة إليه من أنوار الملكوت مستفيداً من آثار الحسّ، فمحال أن يتجلّى لك شيء من عجائب الحكمة و غوامض أسرار القيامة .

و اعلم أنك أيّها القاريء الخبير و كل إنسان مسافر من الدنيا إلى الآخرة، و كلّ واحد تاجر أيضاً، و رأس ماله حيوته الدنيوية، و تجارته هي الايمان و صالح العمل والتقوى و إكتساب القنية العلمية و هي زاد سفره إلى معاده، وفائدته و ربحه هي حياته الأبدية ينعمها برضوان الله جلّ وعلا وجنّته، وخسرانه هو هلاك نفسه باحتجابه عن دار كرامته و وقوعه على ام رأسه في نار جحيمه .

و ليعلم كل أحد انّ الناقد بصير لا يقبل من أحد إلّا الخالص من ذهب المعرفة و فضّة الطاعة، فوزن حسناته بميزان صدق و احسب حساب نفسه قبل أن يوافي عمره وقبل أن يحاسب عليه في وقت لايمكنه التدارك والتلافي، فموازين الدار الآخرة مرفوعة ليوم الحساب وفيه الثواب والعقاب: « فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأمّا من خفّت موازينه فامّه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية » القارعة: ٦ - ١١) .

﴿بحث روائي في الموازين﴾

وقد وردت روايات كثيرة حول موازين القيامة نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ في نهج البلاغة قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا».

٢ـ في شرح النهج لإبن أبي الحديد ـ من الحكم المنسوبة إلى الامام علي عليه السلام ـ انه قال: «لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك».

٣ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن أبي عمير عن حفص بن البختري عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: وقع بين سلمان الفارسي رحمه الله وبين رجل كلام وخصومة، فقال له الرجل: من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أمّا أولي وأولك فنطفة قذرة، وأمّا آخرى وآخرك فجيفة منتنة، فاذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم، ومن خفّ ميزانه فهو اللئيم.

٤ـ في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي في قوله تعالى: «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» القارعة: ٦ـ٧) باسناده عن إبن عبّاس قال: أوّل من يرجح كفّة حسناته في الميزان يوم القيامة علي بن أبيطالب عليه السلام و ذلك ان ميزانه لا يكون فيه إلّا الحسنات ويبقى كفّة السيئات فارغة لا سيئة فيها، لأنه

لم يعص الله طرفة عين!!! فذلك قوله: «فأمّا من ثقلت موازينه فهوفي عيشة راضية» أي في عيش في جنّة قد رضي عيشه فيها.

٥- في تفسير روح البيان: روى: أنّ داود عليه السلام سئل ربّه أن يريه الميزان فأراه إيّاه في المنـام فلمّا رآى عظمته غشي عليه ، فلمّا أفاق قال : إلهى من الّذي يقدر أن يملأ كفّته من الحسنات فقال: يا داود إنّي إذا رضيت عن عبدى أملأها بتمرة .

٦- في تفسير النيسابوري : عن عبـدالله بن سلام: انّ ميزان رب العالمين ينصب بين الجنّ والانس يستقبل به العرش إحدي كفّتي الميزان على الجنّة ، و الاخرى على جهنّم ولو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن وجبريل أخذ بعموده ناظراً إلى لسانه.

٧- **فى الجامع لاحكام القرآن**: عن أنس بن مالك مرفـوعاً: «انّ ملكاً موكّلاً بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفّتي الميزان، فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق ! سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبداً، وإن خفّ نادى الملك شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبداً»

٨- و فيه : وقال أبوسعيد الخدري : «يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلاتزن شيئاً ».

٩- و فيـه و قال عليه الصّلاة والسـلام - يعنى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - حين ضحكوا من حمش ساق - يعنى دقيقها- إبن مسعود وهو يصعد النخلة: « تضحكون من ساق توزن بعمل أهل الأرض » فدلّ هـذا على أنّ الأشخاص توزن ذكره الغزنوى .

١٠- وفيه: قال عبيد بن عمير: «يؤتى يوم القيامة بالرجـل العظيم الطويل الأكول الشروب فلايزن عندالله جناح بعوضة».

١١ـ و فيه : عن صحيح البخاري و مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « إنّه ليأتي الرجل العظيم السّمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة إقرؤا إن شئتم : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» والمعنى : أنّهم لاثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة و من لاحسنة له فهوفي النار.

١٢ـ وفيه : وروى عن النّبي ﷺ : أنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: «يا آدم أبرز إلى جانب الكرسي عند الميزان و انظرما يرفع إليك من أعمال بنيك فمن رجح خيره على شرّه مثقال حبّة فله الجنّة، ومن رجح شرّه على خيره مثقال حبّة فله النار حتّى تعلم أنّي لا اعذّب إلّا ظالماً.

١٣ـ وفيه: وفي الخبر: «إذا خفّت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفّة الميزان اليمنى الّتي فيها حسناته، فترجّح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنّبي ﷺ بأبي أنت واُمّي ما أحسن وجهك وماأحسن خلقك! فمن أنت؟ فيقول: أنا محمد نبيّك وهذه صلواتك الّتي كنت تصلّى عليّ قد وفّيتك أحوج مايكون إليها».

قوله ﷺ : « بطاقة » ـ بكسر الباء ـ : رقعة فيها رقم المتاع بلغة أهل مصر.

١٤ـ وفيه : قال حذيفة : صاحب الميزان يوم القيامة جبرئيل عليه السلام يقول الله تعالى: «يا جبرئيل زن بينهم فردّ من بعض على بعض» قال: وليس ثمّ ذهب ولافضّة فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فردّ على المظلوم، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتحمل على الظالم، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال.

١٥ـ في تحف العقول عن الإمام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في قوله تعالى: «فلمّا أتاهم العذاب قالوا يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين».

قال عليه السلام : فان قلتم أيها الناس: إنّ الله إنّما عنى بهذا أهل الشرك فكيف ذاك وهو يقول: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان

مثقال حبّة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين»؟

إعلموا عباد الله أنّ أهل الشرك لاتنصب لهم الموازين ولاتنشر لهم الدواوين وإنّما يحشرون إلى جهنم زمراً، وإنّما تنصب الموازين وتنشر الدواوين لأهل الاسلام... الحديث.

١٦- في أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله الصّادق عليه السلام يقول: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه.

١٧- في الاحتجاج- في حديث طويل -: قال الزنديق: فما معنى الميزان؟ قال عليه السلام: العدل، قال: فما معناه في كتابه: «فمن ثقلت موازينه»؟ قال عليه السلام: فمن رجح عمله.

١٨- في الدر المنثور: عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة.

١٩- وفيه: عن أنس قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباذر فقال: ألا أدلّك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر و أثقل في الميزان عن غيرهما قال: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: عليك بحسن الخلق و طول الصمت، فوالّذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما.

٢٠- في المنار: عن أبي الدرداء عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن خلق.

٢١- في نور الثقلين: بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: ما في الميزان شيء أثقل من الصّلاة على محمّد وآل محمّد وانّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به، فيخرج الصّلاة فيضعها في ميزانه فيرجّح.

٢٢- في التوحيد عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن

أبيطالب عليه السلام - في حديث - و قد سئله رجل عمّا إشتبه عليه من الآيات - و أمّا قوله تبارك وتعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » فهوميزان العدل يؤخذبه الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك و تعالى الخلق بعضهم ببعض بالموازين.

٢٣- في المعاني باسناده عن هشام قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً» قال : هم الأنبياء والأوصياء.

أقول : لعلّ المعنى: انّهم عليهم السلام أصحاب الميزان والحا كمون عنده.

٢٤- في البرهان عن جميل بن درّاج عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» قال: الرسل والأئمة من آل بيت محمّد عليهم السلام.

٢٥- وفيه: عن إبن عباس قال: الموازين: الأنبياء والأولياء.

٢٦- في الاحتجاج - في حديث طويل - عن الامام عليّ عليه السلام في جواب الزنديق إذ سئل عن آي متشابهة فقال عليه السلام: وأمّا قوله عزّ وجلّ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً» فهوميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك وتعالى الخلائق بعضهم من بعض ويجزيهم بأعمالهم ويقتص للمظلوم من الظالم، ومعنى قوله: «فمن ثقلت موازينه - ومن خفّت موازينه» فهو قلّة الحساب و كثرته ، والنّاس يومئذ على طبقات ومنازل ، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً، و ينقلب إلى أهله مسروراً ومنهم الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب لأنّهم لم يتلبسوا من امر الدنيا، وإنّما الحساب هناك على من تلبس بها هيهنا، و منهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير ومنهم أئمّة الكفر و قادة الضّلالة، فاولئك لايقيم لهم وزناً ولا يعبؤ بهم بأمره ونهيه يوم القيامة، و هم في جهنّم خالدون وتلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

٢٧ ـ في صحيح مسلم عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في النجوى؟ ـ يريد مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة ـ قال: سمعته يقول: « يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتّى يضع عليه كنفه، فيقرّره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربّ أعرف قال: فانّي قد سترتها عليك في الدنيا، و إنّي أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته، و أمّا الكفّار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الّذين كذبوا على الله.

قوله صلى الله عليه وآله: « فيعطى صحيفة حسناته » دليل على أنّ الأعمال تكتب في الصحف و توزن.

٢٨ ـ في تفسير النيسابوري: يروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عمّا يوزن يوم القيامة؟ فقال: الصحف.

٢٩ـ في نور الثقلين عن مصباح الشريعة قال الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام ـ في حديث طويل ـ: فاذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد معناك و غور دعواك و غيرهما بقسطاس من الله عزّوجلّ كأنّك في القيامة ـ قال الله تعالى: « والوزن يومئذ الحق » فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصّدق.

أقول: و ذلك كما ورد: « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيّئوا للعرض الأكبر » لقوله عزّوجلّ: « ولتنظر نفس ما قدّمت يداه ».

وانّ لسان ميزان الحق هو صفة العدل، و إحدي كفّتيه هو عالم الحسّ، والكفّة الاخرى هو عالم العقل، فمن كانت له صفات المعقولة من الأخلاق الفاضلة، و أوصاف الظاهرة الحسّيّة من الأعمال الخيرية المقرونة بالنيّات الصادقة «ثقلت» أي كانت ذات قدر و وزن، ومن كانت له صفات الخبيثة الباطنية بأنواعها والرذائل المحسوسة من اللذات الزائلة والشهوات الفاسدة والأخلاق الرديئة « خفت » أي

لاقدر لها ولا اعتداد بها ولا لصاحبها فكلاهما خفيفان .

٣٠- في تفسير الصّافي عن الإحتجاج عن الإمام جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام : انّه سئل أو ليس توزن الأعمال ؟ قال : لا لأنّ الأعمال ليست أجساماً ، و إنّما هي صفة ماعملوا و إنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولايعرف ثقلها وخفّتها ، و انّ الله لايخفى عليه شيء قيل : فما معنى الميزان ؟ قال: العدل قيل: فما معناه في كتابه : « فمن ثقلت موازينه » ؟ قال : فمن رجح عمله .

قال الفيض رحمة الله تعالى عليه : وسرّ ذلك أن ميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشيء ، فميزان النّاس يوم القيامة : ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله لتجزى كلّ نفس بما كسبت، وليس ذلك إلّا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إذبهم ، وباتباع شريعتهم وإقتفاء آثارهم ، وترك ذلك وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم و سيّئاتهم . . .

فميزان كلّ امّة هو نبيّ تلك الامّة ، و وصيّ نبيّها و الشريعة الّتي أتى بها ، فمن ثقلت حسناته و كثرت هم المفلحون ، ومن خفّت و قلّت فاولئك الّذين خسروا أنفسهم بظلمهم عليها من جهة تكذيبهم للأنبياء والأوصياء أو عدم إتباعهم .

٣١ - في تفسير الرازي : عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ، ويؤتى له تسعة وتسعون سجلّ ، كلّ سجلّ منها مدّ البصر فيها خطاياه و ذنوبه ، فتوضع في كفّة الميزان ، ثمّ يخرج له قرطاس كالأنملة فيها شهادة : « أن لا إله إلّا الله و أنّ محمداً عبده و رسوله » فيوضع في الآخر فيرجّح .

٣٢- وفيه : وعن الحسن : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ، واضع رأسه في حجر عائشة قد اغفى إذ سالت الدموع من عينها ، فقال : ما أصابك ؟ ما أبكاك ؟ قالت: ذكرت حشر النّاس ، و هل يذكر أحد أحداً فقال لها : يحشرون حفاة

عراة، و قرأ : « لكلّ امريء منهم يومئذ شأن يغنيه » لا يذكر فيها أحداً عند الصحف و عند وزن الحسنات والسيئات .

٣٣- في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام : عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله يبعث يوم القيامة أقواماً يمتليء من جهة السيّئات موازينهم فيقال لهم : هذه السيئات فأين الحسنات ؟ وإلّا فقد عصيتم ! فيقولون : يا ربّنا ما نعرف لنا حسنات ، فاذاً النداء من قبل الله عزّ وجلّ : لئن لم تعرفوا لأنفسكم عبادي حسنات فانّي أعرفها لكم و اوفّرها عليكم ، ثمّ يأتي بصحيفة صغيرة يطرحها في كفّة حسناتهم ، فترجح بسيّئاتهم بأكثر ممّا بين السماء والأرض ، فيقال لأحدهم: خذ بيد أبيك و امّك و إخوانك و أخواتك و قراباتك و أخدامك و معارفك ، فادخلهم الجنّة ، فيقول أهل المحشر : يا ربّ أمّا الحشر : يا ربّ أمّا الذنوب فقد عرفناها فماذا كانت حسناتهم ؟

فيقول الله عزّ وجلّ : ياعبادي مشى أحدهم ببقيّة دين لأخيه إلى أخيه فقال : خذها فانّي احبّك بحبّك عليّ بن أبيطالب ، فقال له الآخر : قد تركتها لك بحبك علياً ولك من مالي ماشئت ، فشكر الله تعالى ذلك لهما فحطّ به خطاياهما وجعل ذلك في حشو صحيفتهما وموازينهما ، و أوجب لهما ولوالديهما الجنّة ، ثم قال : يا بريدة يدخل النار ببغض عليّ أكثر من حصى الخذف الّذي يرمى عند الجمرات ، فايّاك أن تكون منهم .

قوله صلى الله عليه وآله : « الخذف » : هو الرمي بالحصي ، وحصى الحذف : يرمى به .

٣٤- في كتاب فضائل الشيعة للشيخ الصّدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله حبّي و حبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر ، وعند النشور وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند الصراط .

﴿الموازين والاعمال﴾

وفى الكافى: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التسبيح نصف الميزان، والحمدلله يملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض.

وفى روضة الكافى: -في خطبة الوسيله لأمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام- قال: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادتان ترفعان القول، وتضاعفان العمل خف ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه.

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزانه توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان منه».

وفى الخصال: باسناده عن محمد بن موسى قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إن الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة، وإن الشر خف على أهل الدنيا على قدر خفته في موازينهم يوم القيامة.

وفى العلل: باسناده إلى الحسن بن عبدالله عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن أبيطالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث طويل في تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وقوله: لا إله إلا الله يعني بوحدانيته لا يقبل الله الأعمال إلا بها و هي كلمة التقوى يثقل الله بها الموازين يوم القيامة.

وفي الدر المنثور : أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي في البعث عن أنس قال: سئلت النبي صلى الله عليه وآله أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل قلت : يارسول الله أين أطلبك ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قلت : فان لم القك على الصراط ؟ قال : فاطلبني عندالميزان ، قلت : فان لم ألقك عندالميزان ؟ قال : فاطلبني عندالحوض فانّي لا اخطيء هذه الثلاثة مواطن .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن الحسين بن علي عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الصلاة ميزان امّتي من وفى إستوفى .

و في أمالي الصدوق : باسناده عن مدرك بن عبدالرحمن عن أبي عبدالله الصّادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : «إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء» .

وفي أمالي الشيخ المفيد : باسناد المجاشعي عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا كان يوم القيامة وزّن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء».

و في أمالي الصدوق : عن سعيد بن المسيّب عن عليّ بن الحسين عليه السلام - في حديث - قال : ثمّ رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب، فقال عزّ وجل : «ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك ليقولنّ يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين» فان قلتم أيّها النّاس ! إنّ الله عزّ وجلّ إنّما عنى بهذا أهل الشرك فكيف ذلك وهو يقول : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينابها وكفى بنا حاسبين» ؟ إعلموا عباد الله أنّ أهل الشرك لاتنصب لهم الموازين ولاتنشر لهم الدواوين وإنّما تنشر الدواوين لأهل الإسلام ... الخبر .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام - في ثواب

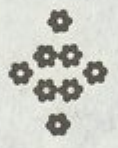
قراءة سورة يس- إلى أن قال - : «ولم يزل له في قبره نورساطع إلى أعنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره فاذا أخرجه لم يزل ملائكة الله معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكل خير حتّى يجوزوا به الصّراط والميزان...» الحديث .

وقال حاتم (الطائي ظ) : «من سوّف أربعاً إلى أربع دخل الجنّة : النّوم إلى القبر، والفخر إلى الميزان ، والراحة إلى الصّراط ، والشهوة إلى الجنّة »

وفي الدعاء : بعد زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «اللهم إنّا نعوذ بك من عثرة اللسان وسوء المقام وخفّة الميزان ... » الدعاء .

و في أعمال ليلة العرفة : - «وأسئلك بحق هـذا القرآن العظيم وبحق محمد خاتم النبيين وبحق إبراهيم وبحق فصلك يوم القضاء وبحق الموازين إذا نصبت و الصحف إذا نشرت - وبحق هذه الأسماء وبهذه الدعوات أن تغفر لنا ما قدّمنا وما أخّرنا وما أسررنا وما أعلنّا وما أبدينا وما أخفينا وما أنت أعلم به منّا إنك على كلّ شيء قدير برحمتك يا أرحم الراحمين ... » الدعاء .

وفي مناجاة خمس عشرة : - «الهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء والليل والنهار والأعلان والأسرار وفي السّرّاء والضّراء وآنسنا بالذكر الخفي واستعملنا بالعمل الزكي والسعي المرضيّ وجازنا بالميزان الوفى ... » الدعاء .



﴿اهل بيت الوحي عليهم السلام وشيعتهم وموازين القيامة﴾

في البحار: عن الفضل عن الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: من أقرّ بتوحيد الله - إلى أن قال - : وأقرّ بالرجعة والمتعتين و آمن بالمعراج و المسئلة في القبر والحوض و الشفاعة وخلق الجنّة و النار و الصراط و الميزان و البعث و النشور و الجزاء و الحساب فهو مؤمن حقاً و هو من شيعتنا أهل البيت.

و في روضة الكافي: باسناده عن ثوير بن أبي فاختة عن عليّ بن الحسين عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: إذا كان يوم القيامة و نصبت الموازين و احضر النبيّون والشهداء - و هم الأئمة - يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ، و دعاهم إلى سبيل الله ... الخبر.

وفي رواية: قال عليّ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ سئلت ربّي فيك خمس خصال فأعطاني: أما أوّلها فسئلت ربّي أن أكون أوّل من تنشق عنه الأرض و انفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، و أمّا الثانية فسئلت ربّي أن يقفني عند كفّة الميزان و أنت معي فأعطاني، وأمّا الثالثة فسئلت ربّي أن يجعلك في القيامة صاحب لوائي فأعطاني، وأمّا الرابعة فسئلت ربّي أن يسقى امّتي من حوضي بيدك فأعطاني، و أمّا الخامسة فسئلت ربي أن يجعلك قائد امّتي إلى الجنّة فأعطاني فالحمد لله الّذي من عليّ بذلك.

وفى رواية: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة، و في القبر، و عند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ إن الله أعطى شيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنّور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصّراط، ودخول الجنّة قبل الامم بأربعين عاماً.

وفى رواية: عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنت ذات يوم عند النّبي صلى الله عليه وآله إذا أقبل بوجهه على عليّ بن أبيطالب عليه السلام فقال ألا ابشّرك يا أبا الحسن؟ قال: بلى يا رسول الله قال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله عزّ وجلّ انّه قال: قد أعطى شيعتك ومحبّيك تسع خصال: الرفق عند الموت، و الانس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، و الأمن عند الفزع، و القسط عند الميزان، و الجواز على الصّراط، و دخول الجنّة قبل ساير الناس، ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكم بالصّدقة فانّ فيها عشر خصال: خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة: أمّا الدّنيا تطهير أموالكم و تطهير أبدانكم، و دواء مرضاكم و دخول المسرّة في القلوب، و زيادة الأموال وسعة الرزق، وأمّا في العقبى فظلّ في القيامة، و سهولة الحساب، و رجحان الميزان بالثواب، وجواز على الصّراط، ودرجة الأعلى.

و فى رواية: انّ بعض الصحابة سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى: «لـه مقاليد السموات و الأرض» فقال: سئلتني عن شيء عظيم ماسئلني غيرك هو: «لاإلـه إلاّ الله والله أكبر، وسبحان الله والحمدلله، و استغفرالله، ولاحول ولاقوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن لـه الملك ولـه الحمد يحيي ويميت و هو حيّ لايموت بيده الخير و

هو على كلّ شيء قدير » فمن قالها عشراً حين يصبح وحين يمسى اعطى ست خصال : فأوّل خصلة أن يحرسه الله من شرّ إبليس وجنوده ، الثانية يعطى قنطاراً من الثواب يكون في ميزانه أثقل من جبل احد الثالثة يرفع الله له درجة في الجنّة لاينالها إلّا الأبرار الرابعة يزوّجه الله من الحور العين الخامسة يشهده إثنى عشر ملكاً يكتبونه في رق منشور يشهدون له به يوم القيامة السادسة كان كمن قرأ الكتب الأربعة و كتب له حجّة مقبولة و عمرة مبرورة ، و إن مات في يومه أوليلته أوشهره طبع له بطابع الشهداء و كان في زمرتهم.

و في رواية : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من رزقه الله حبّ الأئمّة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة ، فلا يشكن أحد انّه في الجنّة فانّ في حبّ أهل بيتي عشرون خصلة : عشر منها في الدنيا ، و عشر منها في الآخرة ، أمّا في الدنيا فالزهد و الحرص على العمل (العلم خ) و الورع في الدين و الرغبة في العبادة ، و التوبة قبل الموت والنشأة في قيام الليل واليأس مما في أيدي الناس ، والحفظ لأمرالله ونهيه عزّوجلّ ، و التاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء،وأمّا في الآخرة فلا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويعطى كتابه بيمينه و يكتب له براءة من النار ويبيض وجهه،ويكسى من حلل الجنّة، ويشفع في مأة من أهل بيته و ينظر الله عزّوجلّ إليه بالرحمة ويتوج من تيجان الجنّة،والعاشرة يدخل الجنّة بغير حساب، فطوبى لمحبّي أهل بيتي.

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خمس ما أثقلهن في الميزان : سبحان الله و الحمدلله و لا إله إلّا الله و الله أكبر و الولد الصالح يتوفى لمسلم فيصبر و يحتسب .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايرد دعاء أوّله : « بسم الله الرحمن الرحيم » فانّ امتي يؤتون يوم القيامة و هم يقولون: « بسم الله الرحمن

الرحيم » فيثقل حسناتهم في الميزان فيقال إلّا ما أرجح موازين امّة محمد صلى الله عليه وآله فتقول الأنبياء عليهم السلام : انّ إبتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله لو وضعت في كفّة الميزان و وضعت سيئات الخلق في كفّة اخرى أرجحت حسناتهم .

وفي رواية: قال الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتّى اخلصه من أهوالها : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً ، وعند الصّراط، وعند الميزان.

و في دعاء اذن الدخول : في البقاع الشريفة لأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ـ : «اللهم فاذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات ، وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلّل جوارحنا بذلّ العبودية وفرض الطاعة حتّى نقرّ بما يجب لهم من الأوصاف و نعترف بأنّهم شفعاء الخلائق إذا نصبت الموازين في يوم الأعراف والحمدلله و سلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .»

وفي الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام : ـ « السلام على يعسوب الدين و الايمان و كلمة الرحمن، السلام على ميزان الأعمال و مقلّب الأحوال وسيف ذي الجلال وساقي السلسبيل الزلال...» الزيارة.

وفي زيارة الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام في يوم ولادته ـ: « السلام عليك يا ميزان يوم الحساب ، السلام عليك يا فاصل الحكم الناطق بالصواب ...» الزيارة .

﴿ كلمات قصار حول الموازين ﴾

غرر حكم و درر كلم عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين حول الموازين نشير إلى ما يسعه المقام:

١- قال مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «زن الرجال بموازينهم»

٢- وقال عليه السلام: «إنّك موزون بعقلك فز كّه بالعلم»

٣- وقال عليه السلام: «رأى الرجل ميزان عقله»

٤- وقال عليه السلام: «ظنّ الانسان ميزان عقله وفعله أصدق شاهد على أصله»

٥- وقال عليه السلام: «لن يزان العقل حتّى يوازره الحلم»

٦- وقال عليه السلام: «اللسان ميزان الانسان»

٧- وقال عليه السلام: «كلام الرجل ميزان عقله»

٨- وقال عليه السلام: «رسولك ميزان نبلك وقلمك أبلغ من ينطق عنك»

٩- وقال عليه السلام: «الحازم من تخيّر لخلّته فانّ المرء يوزن بخليله»

١٠- وقال عليه السلام: «السفر ميزان الأخلاق»

١١- وقال عليه السلام: «بالتواضع تزان الرفعة»

١٢- وقال عليه السلام: «إجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك وأحبّ له ما تحبّ لنفسك وأكره له ماتكره لها، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك، ولا تظلم كما

تحبّ أن لا تظلم»

١٣- وقال عليه السلام: «بالسخاء تزان الأفعال»

١٤- وقال عليه السلام: «خير الأعمال مازانه الرفق»

١٥- وقال عليه السلام: «إنّ العدل ميزان الله سبحانه الّذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه ولاتعارضه في سلطانه»

١٦- وقال عليه السلام: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا و تنفّسوا من ضيق الخناق قبل عنف السياق»

١٧- وقال عليه السلام: «سفهك على من في درجتك نقار كنقار الديكين وهراش كهراش الكلبين، ولن يتفرّقا إلّا مجروحين أو مفضوحين، وليس ذلك فعل الحكماء ولا سنّة العقلاء ولعلّه أن يحلم عنك فيكون أوزن منك وأكرم وأنت أنقص منه والأم». قوله عليه السلام: «سفهك»: مجادلك ومنازعك.

١٨- وقال عليه السلام: «شيئان لا يوزن ثوابها: العفو والعدل»

١٩- وقال عليه السلام: «شيئان لا يوزنهما عمل: حسن الورع والاحسان إلى المؤمنين»

٢٠- وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أوّل مايوضع في الميزان الخلق الحسن»

٢١- وقال صلّى الله عليه وآله: «أوّل ما يوزن في الميزان الخلق الحسن»

٢٢- وقال صلّى الله عليه وآله: «أوّل مايوضع في الميزان العبد نفقته على أهله»

٢٣- وقال صلّى الله عليه وآله: «مايوضع في ميزان امرء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»

٢٤- وقال الامام علي عليه السلام: «أوّل مايوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الايمان قال: اللهمّ قوّني فقوّاه بحسن الخلق والسخاء»

٢٥- وقال عليه السلام: «مثل الصّلاه المكتوبة كالميزان من أوفى إستوفى»

٢٦- وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «وهديّة الميزان أربعة أشياء: كظم الغيظ، و ورع صادق، والمشي إلى الجماعات والتداعي إلى المغفرات»

٢٧- وقال صلّى الله عليه وآله: «الصلاة عمود الدين وفيها عشر خصال: زين الوجه، و

نور القلب وراحة البدن، وانس القبور، ومنزل الرحمة، ومصباح السماء، وثقل الميزان ومرضاة الرب، وثمن الجنّة وحجاب من النار ومن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين».

تمت سورة القارعة والحمدلله فى الاولى والآخرة
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة

سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانِي آيَاتٍ

نزلت بعد سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

صدق الله العلي العظيم

﴿ فضلها وخواصها ﴾

في الكافي : باسناده عن درست عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ «ألهاكم التكاثر» عند النّوم وقي فتنة القبر.

أقول: رواه الصدوق في ثواب الأعمال، والطبرسي في المجمع ، والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نورالثقلين إلاّ أنّ في ثواب الأعمال والبحار «وقي من فتنة القبر» بدل «وقي فتنة القبر».

وذلك من قرأها إذا ينوم متدبّراً فيهـا فحصل له اليقين بالموت والقبر و الحساب والجزاءِ ويرى الجحيم عين اليقين ثم مات وقاه الله عزّ وجلّ من وحشة القبر وعذابه كما يقيه من فزع يوم القيامة وأهواله ...

قال الله تعالى: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» فصلت : ٣٠ ـ ٣١)

وقال : «ألا إنّ أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الّذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» يونس : ٦٢ ـ ٦٤)

وقال : «فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولا هـم يحزنون ـ بلى من أسلم وجهه لله وهومحسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولايحزنون» البقرة: ٣٨ و ١١٢)

وقال: «لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم

توعدون» الأنبياء : ١٠٣)

وإنّما الوحشة والفزع والعذاب لمن لايستيقن بيوم الحساب .

قال الله جلّ وعلا : «وإذا قيل إنّ وعدالله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندري ما الساعة إن نظن إلّا ظنّاً ومانحن بمستيقنين وبدالهم سيّئات ماعملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزون وقيل اليوم ننسا كم كمانسيتم لقاء يومكم هذا» الجاثية: ٣٢ - ٣٤)

وقال : «يتساء لون عن المجرمين ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين وكنّا نكذّب بيوم الدين حتّى أتانا اليقين» المدثر: ٤٠ - ٤٧)

فشتّان بين الميتّين والمماتين : المؤمن وموته ، والكافر وموته ؟؟؟

قال الله تعالى: «أم حسب الّذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» الجاثية : ٢١)

و في أمالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ سورة « ألها كم التكاثر» في فريضة كتب الله له ثواب و أجرمأة شهيد ، ومن قرأها في نافلة كتب الله له ثواب خمسين شهيداً وصلّى معه في فريضته أربعون صفاً من الملائكة إن شاءالله .

أقول: رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين بأدنى تفاوت ، والمجلسي في البحار مثل مافي ثواب الأعمال .

وفي دعوات قطب الدين الراوندي رحمة الله تعالى عليه: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من قرأ «ألها كم التكاثر» عند النوم وقي فتنة القبر و كفاه الله شرّ منكر و نكير».

وفي الدر المنثور : عن إبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا يستطيع أحد كم أن يقرأ ألف آية كلّ يوم؟ قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية ؟ قال : أما يستطيع أحد كم أن يقرأ «ألها كم التكاثر» ؟

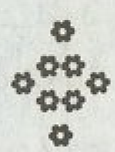
وفي المجمع: في حديث ابيّ : ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الّذي أنعم عليه في دار الدنيا واعطى من الأجر كأنّما قرأ ألف آية .

وفي البرهان : روى عن النّبيّ ﷺ انه قال : من قرأ هذه السورة لم يحاسبه الله بالنعم الّتي أنعم بها عليه في الدنيا ، و من قرأها عند نزول المطر غفر الله ذنوبه وقت فراغه .

وفيه: وقال الصّادق عليه السلام: من قرأها وقت نزول المطر غفر الله له ومن قرأها وقت صلاة العصر كان في أمان الله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني باذن الله تعالى.

وفيه: عن بستان الواعظين عن زينب بنت جحش عن النّبيّ ﷺ انه قال: إذا قرأ القاريء : «ألهاكم التكاثر» يدعى في ملكوت السموات مؤدّى الشكر لله.

أقول: كلّ ذلك لمن آمن بالله جلّ وعلا ورسوله ﷺ وبكتابه وباليوم الآخر وعمل صالحاً .

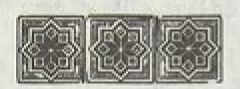


﴿الغرض﴾

غرض السورة ـ على ما يستفاد من طرفيها من السور نزولاً ومصحفاً ـ تنبيه إلى تلهّى أكثر الناس بالتكاثر في الأموال و الأولاد و القوى الظاهرة الفانية ، و إستغراقهم في متاع الدنيا وغفلتهم عن الدار الآخرة، وتوبيخهم على ذلك ، و إلى تفاخرهم بالأنساب والأحساب والجاه والمقام، وتنديدهم بذلك، وغفلتهم عما وراءه من تبعة الخسران والنار والعذاب ، وانّ كل ذلك ناشيء عن المراء والغفلة .

إذا لو كان لهم يقين بماوراء ذلك لماتلهّوا بها ، وما بدّ لوا نعمة الله عزّ وجلّ التي أنعمها عليهم كفراً وطغياناً، وتنبيه لهم بأنّهم سوف يعلمون علماً يقينياً بأنّهم كانوا مخطئين في تلهّيهم وإستغراقهم فيما ألهاهم عن الموت والتفكير فيما بعده.

فليس الخطاب لأصحاب الأموال والأولاد والمتنعّمين إطلاقاً، وخاصّة الذين يؤدّون حق الله عزّ وجل بالايمان والطاعة والشكر وحق النّاس بالبر ويلتزمون القصد والإعتدال في ذلك كلّه .



﴿النزول﴾

سورة « التكاثر » مكيّة نزلت بعد سورة « الكوثر » وقبل سورة « الماعون » وهي السورة السادسة العشرة نزولاً ، والثانية والمأة مصحفاً .

وهي تشتمل على ثمان آيات ، سبقت عليها /٢٩٤ آية نزولاً ، و /٦١٦٨ آية مصحفاً على التحقيق ، و مشتملة على /٢٨ كلمة ، و /١٢٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

وقد اختلفت كلمات الباحثين في نزول السورة :

في أسباب النزول للواحدي النيسابوري عن مقاتل والكلبي : انّ السورة نزلت في حيين من قريش بني عبدمناف ، و بني سهم كان بينهما لحاً فتعاند السادة والأشراف أيّهم أكثر؟ فقال بنو عبدمناف : نحن أكثر سيّداً وعزّاً عزيزاً وأعظم نفراً ، و قال بنوسهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبدمناف ثمّ قالوا : نعد موتانا حتّى زاروا القبور فعدّوا موتاهم فكثرهم بنوسهم لأنّهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية .

وفيه: وقال قتادة : نزلت في اليهود قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، و بنو فلان أكثر من بني فلان ، ألهاهم ذلك حتّى ماتوا ضلالاً .

و في أسباب النزول للسيوطي أخرج إبن أبي حاتم عن إبن بريدة قال : نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة و بني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما فيكم مثل فلان وفلان ، وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا : إنطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان ومثل

فلان يشيرون إلى القبر وتقول الاخرى مثل ذلك فأنزل الله: « ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر ».

وفى المجمع: عن أبي بريدة : نزلت في فخذ من الأنصار تفاخروا .

و فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبي عن عمرو بن دينار : حلف انّ هذه السورة نزلت في التجار ، وعن شيبان عن قتادة قال: نزلت في أهل الكتاب .

ثم قال القرطبي : قلت : الآية تعمّ جميع ما ذكر وغيره .

و فى جامع البيان للطبري عن أنس بن مالك و ابيّ بن كعب قال: كنّا نرى ان هذا الحديث من القرآن : « لو أنّ لإبن آدم وادين من مال لتمنّى وادياً ثالثاً، ولايملأ جوف إبن آدم إلّا التراب ، ثمّ يتوب الله على من تاب حتّى نزلت هذه السورة : « ألهاكم التكاثر » إلى آخرها .

وفى الجامع لاحكام القرآن: فقد روى أنّ أبابكر لما نزلت هذه الآية : « ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » قال : يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن اليتهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب ، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الّذي نسئل عنه؟ فقال صلّى الله عليه وآله : ذلك للكفار ثم قرأ : « و هل يجازى إلّا الكفور » .

قوله : « قد ذنب » محرّكة : أي بدافيه الإرطاب .

وفيه: وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: لمّا نزلت هذه الآية : « ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » قال النّاس: يارسول الله عن أيّ النعيم نسئل؟ فانّماهما الأسودان والعدوّ حاضر وسيوفنا على عواتقنا، قال: إنّ ذلك سيكون . قوله: «الأسودان» : التمر والماء .

﴿القراءة﴾

قرأ إبن عباس «آلها كم» بادخال الألف توبيخاً على لفظ الاستفهام، فلمّا إلتقت همزتان: همزة التوبيخ و همزة القطع ليّنوا الثانية كقوله تعالى: «آنذرتهم» وقرأ الكسائي «أألها كم» بهمزتين على الأصل نحو: «أأنذرتهم» والباقون «ألها كم» بغير همزة الإستفهام وقرأ إبن عامر «لترونّ» بضمّ التاء من الإرائة مبنيّاً للمفعول من أريته الشيّء أي تحشرون إليها فترونها، وروى ذلك عن الإمام علي عليه السلام وقرأ الباقون بفتح التاء من الرؤية مبنيّاً للفاعل أي لترون الجحيم بأبصارهم على البعد، وأمّا «لترونّها» فهي متّفقة الفتح.

﴿الوقف والوصل﴾

«التكاثر لا» للغاية، و«المقابر ط» لأنّ «كلّا» بمعنى حقّاً، وقد يحمل على الردع عن التكاثر، و«تعلمون لا» للعطف التالي، و«اليقين ط» لأنّ جواب «لو» محذوف، وقوله: «لترون» جواب للقسم، و «الجحيم لا» للعطف، و «اليقين لا» للعطف أيضاً.

﴿ اللغة ﴾

٥٠ - اللهو والالهاء - ١٣٨٧

لها الرجل بالشّيء يلهو لهواً - واوي" من باب نصر نحو : دعا - : لعب . ولهابه : اولع به ، ولهت المرأة إلى حديث الرجل : انست به وأعجبها .

اللهو: تناول مالا يجدى من الأعمال و هو بهذا المعنى مصدر ، لها يلهو : تسلّى وشغل نفسه بما فيه لذّتها أو بما لايجدى من الأعمال .

قال الله تعالى: « ومن النّاس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم » لقمان : ٦) لهو الحديث هو: الحديث غير المجدى أو الخيالي الذي لايستند إلى أساس واقعي أو هو كلّ ما شغلك عن عبادة الله تعالى و ذكره من السمر والأضاحيك والأباطيل والخرافات والغناء ونحوه : « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » الجمعة : ١١) أي مما تلهون وتتسلون من الأعراس وحفلات الطرب و نحوها . . .

اللهو : الشّيء الّذي يتلذّذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي ، وقيل : اللهو: الترويح عن النفس بما لاتقتضيه الحكمة ، والمرأة الملهوّ بها ، ولهوة : إسم إمرأة ، واللهوة : ما يشغل به الرحى مما يطرح فيه ، و سمّيت العطيّة لهوة تشبيهاً بها ، واللهوة : المرّة واللهية - بالضمّ - : العطيّة أو أفضل العطايا و أجز لها .

اللهو بمعنى الإسمي: ما يلهو به المرء ويتسلّى من الأعمال غير المجدية كالغناء

والأساطير الوهمية ، واللهو : الطبل ، وقد يعبّر عن كل ما به إستمتاع باللهو ، وقد يكنّى باللهو عن الجماع .

قال الله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو » الأنعام : ٣٢) أي وما الأعمال الّتي تتناولونها في هذه الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو إذا قيست بأعمال الآخرة أو وما الحياة الدنيا نفسها إلّا لعب ولهو إذا قيست بالآخرة .

ألهاه عن الشّيء يلهيه إلهاءً ـ من باب الافعال ـ : أشغله أو صرفه عنه ، وألهى الرجل : إذا اشتغل بسماع الغناء .

قال الله عزّ وجلّ : « ألهاكم التكاثر » التكاثر : ١) أي أشغلكم التفاخر بكثرة أولادكم وأموالكم عن أداء ما عليكم من واجبات ، وعن الموت وما بعده .

لهي عن الشّيء يلهي لهاً ، ولهياً ـ نحو ضرباً ـ ولهيّاً ـ بضمّ اللام وكسر الهاء وتشديد الياء ـ ولهياناً ـ بكسر اللام ـ يائيّ من باب علم نحو : رضي ـ : إنصرف وغفل فهو لاه وهي لاهية ، ولهي به : أحبّه ، ولهي عنه : ترك ذكره وغفل عنه وأعرض عنه .

قال الله تعالى : « وهم يلعبون لاهية قلوبهم » الأنبياء : ٣) متشاغلة عما يدعون إليه ساهية مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره ، منصرفة عن الإعتراف بالحق .

وفي الحديث : « سئلت ربّي ألّا يعذّب اللاهين من ذرّية البشر فأعطانيهم » قيل : هم البله الغافلون ، وقيل : الّذين لم يتعمّدوا الذنوب ، وإنّما فرط منهم سهواً ونسياناً ، وقيل : هم الأطفال الّذين لم يقترفوا ذنباً .

لاهاه ملاهاة : قاربه ، ولاها فلاناً : نازعه ، ولاها الشّيء : داناه ، ولاها الغلام الفطام : دنا منه وقرب .

الملهى ـ بكسر الميم ـ : آلة اللهو جمعه : ملاه وآلات الملاهي : آلات الموسيقي ، واللهاء ـ كالزهاء ـ : المقدار ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ، جمعها لهوات

ولهيات ولهي ـ بكسر اللام و ضمّها مع كسر الهاء ـ ولهاً ولهاء ـ بكسر اللام و فتحها.

وفي الحديث: «تحرّك الرجل لسانه في لهواته» هي بالتحريك جمع لهات كحصاة وهي سقف الفم، والملهي: اللهو و زمانه وموضعه، يقال: هذا ملهي القوم: موضع إقامتهم.

و في دعاء الخلوة: «الحمدلله الّذي أخرج عنّي أذاه وأبقى في قوته يالها نعمة» ثلاثاً، وقيل: إنّ اللام في «يالها» نعمة للاختصاص دخلت هنا للتعجّب، والضمير يرجع إلى النعمة المذكورة سابقاً أو إلى ما دلّ عليه المقام من النعمة، ونصب نعمة على التمييز نحو: «جاءني زيد فياله رجلاً» ولفظ «ثلاثاً» قيد لهذه الجملة الأخيرة أو لمجموع الدعاء.

تلهّى عن الشيء يتلهّى تلهّياً: إنصرف أو شغل عنه.

قال الله تعالى: «فأنت عنه تلهّى» عبس: 10) أي تتلهّى بمعنى تنصرف و تشغل بغيره، حذفت منه إحدي التائين، وتلهّى به: تروّح بالاقبال عليه، وتلاهى بالملاهي تلاهياً: إشتغل بها وتلاعب.

في المفردات: اللهو: مايشغل الانسان عمّا يعنيه ويهمّه يقال: لهوت بكذا ولهيت عن كذا: إشتغلت عنه بلهو، ويقال: ألهاه كذا أي شغله عمّا هو أهمّ إليه، قال تعالى: «ألهاكم التكاثر ـ رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله» وليس ذلك نهياً عن التجارة و كراهية لها، بل هو نهى عن التهافت فيها، والإشتغال عن الصّلوات والعبادات بها، ألا ترى إلى قوله: «ليشهدوا منافع لهم ـ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم» وقوله: «لاهية قلوبهم» أي ساهية مشتغلة بما لايعنيها.

وفي اللسان: يلهو إزارها إلى الكفل، فلايفارقه، والانسان اللاهي إلى الشي: إذا لم يفارقه، ويقال: قدلاهى الشّيء: إذا داناه وقاربه، فالهاء: الصرف إلى اللهو، واللهو: الإنصراف إلى ما تدعو إليه الإنسان هواه، ولايخفى في أنّ الإنصراف إلى

الشيء سبب للإعراض عن غيره و ضدّه .

المكاثرة بين الإثنين والأكثر في المال والأولاد والعدّة والعدّة وما إليها من العوارض سريعة الزوال ، فيقول كلّ واحد لصاحبه : أنا أكثر منك مالاً و ولداً وعدداً وعشيرة وما إليها فيتفاخر ويتباهى كلّ واحد على غيره .

٣٦ - الزور والزيارة - ٦٥٣

زاره يزوره زوراً و زيارة و زوارة و زواراً و مزاراً - من باب نصر نحو : قال - : قصد و مال إليه ، و زار البعير : شدّه بالزيار .

قال الله تعالى : « حتّى زرتم المقابر » التكاثر : ٢) أي إلى أن متمّ فدفنتم في المقابر أو إلى أن تفاخرتم بأجداد كم المقبورين .

زور الشيء يزور زوراً - من باب علم نحو : خاف فانّ أصله خوف - : مال و زور الرجل والفرس : إعوجّ زوره أي صدره أو أشرف أحد جانبي زوره على الآخر .

الزور - بالضمّ - : الباطل والرأي و لذّة الطّعام و طيّبه و لين الثوب و نقائه والزور - بالضمّ - : العقل لغة في الزور - بالفتح - والكذب والشرك بالله سبحانه وأعياد اليهود والنصارى ، والرئيس ومجلس الغناء ومايعبدون من دون الله كالزون - بالنون - والقوّة ، يقال : ماله زور ولاصيّور أي لاقوّة له ولامرجع إليه ، والزور - بالضمّ - : التهمة والغناء والأقوال اللاغية واللاهية وقد تكرر ذكر شهادة الزور في حديث وهي من الكبائر . . .

فمنها قوله : « عدلت شهادة الزور والشرك بالله » و إنّما عادلته لقوله : « والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر » ثم قال بعدها : « والذين لايشهدون الزور » .

قال الله تعالى : « و اجتنبوا قول الزّور » الحجّ : ٣٠) .

والزور - بالفتح - : مصدر و وسط الصدر ، وقيل: ما ارتفع منه إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث إجتمعت ، ومنه فرس عريض الزور ، ويسمّى الصّنم زوراً ليكون ذلك كذباً و ميلاً عن الحق، ويقال للكذوب: زور لأنّه يميل عن الصّدق والواقع والحق .

والزور - بالفتح - : العقل والسيّد والخيال يرى في النوم وقوّة العزيمة ، والحجر الّذي يظهر لحافر البئر فيعجز عن كسره فيدعه ظاهراً ، ويوم الزور من أيام حروب العرب ، و رجل زور : زائر .

والزور - محرّكة - : الميل .

الزارة : الجماعة الضخمة من الإبل والغنم والاجمة ذات الماء والحلفاء والقصب ، و زاورة القطاة - مفتوحة الواو - : ماحملت فيه الماء لفراخها، والزارة : الجماعة من الناس ، والزارة : قرية كبيرة .

الزوار - بكسر الزاء - والزيار - بقلب الواو ياء - : كلّ شيء كان صلاحاً لشيء وعصمة، وحبل يجعل بين التصدير والحقب، جمعه: أزورة، والزيار: خشبتان يضغط بهما البيطار جحفلة الفرس ليذلّ فيتمكّن من بيطرته .

الزير - بقلب الواو ياء - : الكتّان والدنّ والعادة ، والّذي يحبّ محادثة النساء لغير شرّ، جمعه: أزوار بردّ الواو على الأصل ، يقال: فتية أزوار وزيرة و أزيار بابقاء الياء على الحال و هي زيّر أيضاً أو خاصّ بالرجال ، والدقيق من الأوتار و أحدّها ، والزيرة أيضاً : هيئة الزيارة يقال: زرته زيرة الحبّ و قطعة الكتان ، والزيّر - كسيّد - : الغضبان المقاطع لصاحبه ، والزيّر : ما استحكم فتله من الأوتار ، والزرّ - على قلب الواو راء - لغة من الزور .

الزوّر - بكسر الزاء وفتح الواو وتشديد الراء - : السير الشديد ، والشديد مطلقاً، والبعير المهيّا للأسفار والسيّد والرئيس والرأس ، و كلّ شيء يتّخذ رباً ويعبد من دون الله تعالى .

الزوير : بفتح الزاء و كسر الواو - والزوير - بضمّ الزاء وفتح الواو مصغّراً - : سيّد القوم و زعيمهم ، و يوم الزوير - كيوم الزور - : يوم من أيّام حروب العرب المشهورة .

الازور : من به زور، والأزور : المائل تقول : هوأزورعن مقام الذلّ ، و تقول : قوم عن مواقف الحق زور : فعلهم رياء وقولهم زور، والأزور: كلب إستدق جوشن صدره، والأزور: الناظر بمؤخر عينيه، والّذي يقبل على شقّ إذا اشتدّ السير وإن لم يكن في صدره ميل .

المزار: الزيارة وموضعها ، ومايزار من أماكن الأولياء ، جمعه : مزارات، وزوّار - ككفّار - : الزائر وفي الحديث: «حقّ على الله أن يكرم زواره» أي زائره أي قاصده ، وفي الدعاء : «اللهم اجعلني من زوّارك» أي من القاصدين لك والملتجئين إليك، وفي الحديث: «من فعل كذا فقد زار الله في عرشه» زيارة الله عزّ وجلّ زيارة أنبيائه وحججه عليهم السلام فمن زارهم فقد زار الله تعالى كما أنّ من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله ومن تابعهم فقد تابع الله تعالى ، وليس ذلك على ماتأوّله المشبهة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، والزيارة : قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به ، وتزاوروا : زار بعضهم بعضاً .

الزوراء : بالفتح والمدّ - : مؤنث الازور و البئر البعيدة القعر والقدح و إناء من فضّة والقوس تقول : رمى بالزوراء والزوراء : دجلة بغداد ، و الزوراء : مدينة بغداد أيضاً سمّيت بذلك لأنّ المنصور لمّا عمّرها جعل أبوابها الداخلة مزوّرة عن الأبواب الخارجة البعيدة من الأراضي أي ليست على سمتها ، فمدينة الزوراء ببغداد في الجانب الشرقي سمّيت زوراء لازوار قبلتها ، ومفازة زوراء : مائلة عن السمت والقصد ، و كلمة زوراء : دنيّة معوّجة ، منارة زوراء : مائلة عن السمت ، فلاة زوراء : بعيدة ، والزوراء : موضع بالمدينة يقف المؤذّنون على سطحه للنداء الثالث قبل خروج إمام الجمعة ليسعوا إلى ذكر الله ولاتفوتهم الخطبة،

و النداء الأوّل بعده عند صعوده للخطبة ، والثاني الإقامة بعد نزوله من المنبر ، وهذا الأذان أمر به عثمان بن عفان ، و هذا بدعة من بدعه .

و الزوراء في شعر إبن أبي عقبة :

وشجر بالزوراء منهم لدى ضحى ثمانون ألفاً مثل ما تنحر البدن

هو جبل بالري يقتل فيه ثمانون ألفاً من ولد فلان كلّهم يصلح للخلافة يقتلهم أولاد العجم ـ كذا مرويّ عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام وربّما كان ذلك في دولة القائم عليه السلام .

و الزوراء : دار بالحيرة بناها النعمان بن المنذر و انّ أبا جعفر هدم الزوراء بالحيرة في أيامه . و الزوراء : المرأة و العبد و الناقة الّتي تنظر بمؤخّر عينها لشدّتها .

ورجل زور: زائر. أزاره : حمله على الزيارة ، وأزار الشيء فلاناً : ساقه إليه ومنه ، وأزورعنه ازويراراً : عدل عنه وانحرف .

زوّر فلان يزوّر تزويراً : زيّن الكذب والباطل ، وزوّر الشيء: حسّنه و قوّمه أي أزال زوره وزوّر الزائر: أكرمه ، و زوّر الشهادة: أبطلها ، و زوّرت فلان معناه : إستضعف فغمز و غمزت شهادته فأسقطت ، و قيل : رحم الله امرءاً زوّر نفسه على نفسه أي قوّمها وحسّنها، وزوّر الطائر. إمتلأت حوصلته .

المزوّر ـ إسم مفعول ـ من الإبل : الّذي إذا سلّه المزمّر من بطن امّه إعوجّ صدره فيغمزه ليقيمه فيبقى فيه من غمزه اثر يعلم منه انّه مزوّر، والمزوّرة ـ إسم مفعول ـ من التزوير وهو الكذب أو الباطل .

تزوّر الشيء : زوّره لنفسه ، و تزاور عنه يتزاور تزاوراً : مال وتنحّى و انحرف عنه .

قال الله عزّ وجلّ : «وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين» الكهف : ١٧) أصلها : تتزاورو في الحديث : « تزاوروا تلاقوا و تذاكروا أمرنا

و احيوه» أي زوروا إخوانكم و يزورونكم و لاقوا إخوانكم و يلاقونكم ، وتذاكروا فيما بينكم أمرنا وما نحن عليه واحيوه ولاتميتوه يعني تدرسونه .

في المفردات : الزور: أعلى الصدر وزرت فلاناً: تلقّيته بزوري أوقصدت زوره نحو و جهته ، ورجل زائر و قوم زور نحو سافر و سفر و قد يقال: رجل زور فيكون مصدراً موصوفاً به نحو ضيف . و قيل لكذب : زور لكونه مائلا عن جهته .

في المجمع: الزور: الكذب والباطل والبهتة، والمزار - بفتح الميم- : مصدر أو موضع الزيارة ، و الزيارة في العرف : قصد المزور إكراماً و تعظيماً له وإستيناساً به،والتزوير: تزيين الكذب .

وفي النهاية : و فيه «ان لزورك عليك حقاً» الزور : الزائر و هو في الأصل مصدر وضع موضع الإسم كصوم و نوم بمعنى صائم و نائم ، و قد يكون الزور جمع زائر، والتزوير: إصلاح الشيء، و كلام مزوّر أي محسّن .

وفي اللسان: - الأزور : الذي ينظر بمؤخّر عينيه ، و ناقة زورة : تنظر بمؤخّر عينها لشدّتها وحدّتها ، و زور القوم - بفتح الزاء فسكون الواو - : رئيسهم وسيّدهم ، والزور: العزيمة ، وليس لهم زورأي ليس لهم قوّة ولارأي.

٣ - القبر - ١١٥٩

قبر الميّت يقبره قبراً - من باب نصر وضرب : دفنه .

القبر - مصدر - : مقرّ الميّت و مدفنه ، جمعه : القبور.

قال الله عزّوجلّ : «ولاتقم على قبره» التوبة : ٨٤)

وقال ، «وأنّ الله يبعث من في القبور» الحج : ٧)

والمقبر - كمسكن - : موضع القبور تقول: هذا مقبر فلان .

والمقبرة ـ مثلثة الباء ـ : موضع القبور كقوله : «لكل اناس مقبر بفنائهم» وجمع المقبرة : مقابر.

قال الله تعالى : « ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقـابر » التكاثر : ٢) زيارة المقابر : كنـاية عن الموت. و المقبرى ـ بفتح البـاء و ضمّها ـ : نسبـة إلى المقبرة .

وفي الحديث : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر» أي لاتجعلوهـا لكم كالقبور فلا تصلّوا فيها لأنّ العبد إذا مات وصار في قبره لم يصلّ ، ويشهد له قوله : «إجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولاتتخذوها قبوراً» .

والقبور ـ كصبور ـ : الأرض الغامضة والنخلة السريعة الحمل، وقيل: الّتي يكون حملها في سعفها .

القبر ـ بالكسر ـ : موضع متآ كل في عود الطيب ، والقبر ـ كصرد: عنب أبيض ، طويل جيّد الزبيب ، والقبّرى ـ بالقصر : العظيم الأنف ، و قيل : الأنف نفسه ، تقول : رفع قبّراه : إذا تكبّر ، والقبّراة ـ بكسر القاف و الباء ـ : طرف الأنف ، ورأس القنفاء تصغيره : قبيرة .

أقبره : أمر أن يقبر أو جعله ذا قبر و أقبره : جعل قبراً يوارى فيه و يدفن فيه ، و أقبر : إذا أمر إنساناً بحفر قبر سيد فـن فيه الميّت ، و أقبرته : أمرت بأن يقبر .

قال الله عزّ وجلّ : «ثم أماته فأقبره» عبس: ٢١) أي جعله مقبورا ممن يقبّر ولم يجعله ممّن يلقى للطير والسباع والكلاب ، ولاممن يلقى في النواويس، كان القبر مما أكرم به المسلم ، ولم يقل: فقبره لأنّ القابر هو الدافن بيده ، والمقبر هو الله تعالى لأنّه صيّره ذا قبر وليس فعله كفعل الآدمي .

والاقبار : أن يهيّيء له قبراً أو ينزله منزله.

المقبور «ولد مقبوراً» وقال إبن عباس في الدّجال «ولد مقبوراً» قيل :معناه:

انّ امّه و ضعته في جلـدة مصمتة لاشقّ فيها و لاثقب ، فقـالت : قابلته هذه سلعـة ليس فيها ولد فقالت امّه : بل فيها ولد و هو مقبور فيها فشقّوا عنه فاستهلّ .

القبّار ـ كشدّاد ـ : قوم يجتمعون لجرّ ما في الشباك من الصيد .

والقبّر ـ وقد يخفّف ـ : نوع من العصافير، الواحدة : قبّرة .

و في الحديث : « القبّرة كثيرة التسبيح لله و تسبيحها لله : لعن الله مبغضي آل محمّد عليهم السلام » .

١٧ - اليقين - ١٧٢٩

يقن الأمر ييقن يقناً ـ بسكون القاف و فتحها ـ من باب علم ـ: و ضح و ثبت .

الوصف : يقين ، ويقال اليقين للعلم الّذي انتفت عنه الشكوك والشبه ويقال خبر يقين : لاشك فيه .

قال الله تعالى : «وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين» النمل : ٢٢)

و اليقين من صفة العلم فوق المعرفة و الدرايـة و أخواتها ، يقـال : علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين ، وهوسكون الفهم مع ثبات الحكم ، قال الله تعالى: « كلاّ لو تعلمون علم اليقين ـ ثمّ لترونّها عين اليقين» التكاثر: ٥-٧) .

و قال: «انّ هذا لهو حق اليقين» الواقعة: ٩٥)

و قد أضاف العلم والعين والحق إلى اليقين، وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه لأنّ كل واحد من الثلاثة غير اليقين، وإنّما هو خالصه وأصحه ، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل .

ويقال: اليقين للموت لأنّه لايمترى فيه أحد. قال الله تعالى: «واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين» الحجر: ٩٩) بناء على تفسير اليقين بالموت، سمّى باليقين لتيقن لحاقه لكل مخلوق حيّ، سمّى به حقيقة كما عليه الأكثر ومجازاً كما عليه الآخرون من تسمية الشّيء بما يتعلق به.

اليقين: العلم وإزاحة الريب وتحقيق الأمر، واليقين: نقيض الشك، والعلم: نقيض الجهل.

وفي الحديث: «لم يقسم بين الناس أقل من اليقين» وقد فسّر بالتوكل على الله تعالى والتسليم لله والرضا بقضائه والتفويض إليه.

وفي الإصطلاح: اليقين: إعتقاد الشّيء بأنّه كذا مع إعتقاد أنّه لايمكن إلّا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال، و القيد الأوّل جنس يشمل الظنّ و الثاني يخرجه، و الثالث يخرج الجهل المركّب، و الرابع يخرج إعتقاد المقلّد المصيب و عند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوّة الايمان لا بالحجّة و البرهان. و قيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب و ملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.

وقوله عزّوجلّ: «وما قتلوه يقيناً» النساء: ١٥٧) أي ما قتلوه قتلاً تيقنوه بل إنّما حكموا تخميناً ووهماً.

رجل ذو يقن - بفتح الياء والقاف -: لايسمع شيئاً إلّا أيقن به كالاذن - بضمّ الألف والذال -

أيقن الأمر وأيقن به: علمه وتحقّقه علماً وتحقيقاً لاشك فيه، والوصف: موقن، والايقان عند الإطلاق هو الايقان بما يجب الايمان به في الدين.

إستيقن الأمر واستيقن به: أيقنه وعلمه، والوصف: مستيقن، قال الله تعالى: «إن نحن إلّا ظنّاً وما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣٢).

١٤- الجحيم -٢٣٠

جحمت النار تجحم جحوماً - من باب كرم - : عظمت وتأجّجت .

وجحمت النار تجحم وجحماً - بفتح الجيم وسكونها - وجحوماً - من باب علم ومنع- : إضطرمت وكثر جمرها وتوقّدها، وجحمت النار أجحمها جحماً : أجّجتها، وجحم النار: أوقدها، وجحم العين: فتحها، والجاحمة : العين الشاخصة ، ونار جاحمة: شديدة الحرّ ، والأجحم الشديد: حمرة العينين مع سعتهما، مؤنّثه: جحماء وجمعه جحم - بضمّتين، وجحمى، وجحم- بضمّ ففتح-: طائر والجحام : داء يأخذ الكلب في رأسه فيكوى منه مابين عينيه، وقد يصيب الانسان فترم عيناه وجحمت الأسد عيناه لتوقّدهما.

الجاحم: الجمر الشديد الإشتعال، والجاحم من الحرب: معظمها وشدّة القتل في معركتها، يقال: «إصطلى فلان بجاحم الحرب وذاق جاحم الحرب فبرد» أي فتر وسكنت حفيظته.

الجحيم: إسم من أسماء جهنم من باب إطلاق الوصف على الموصوف مبالغة وأصله: ما اشتدّ لهبه من النيران .

قال الله تعالى: «لترونّ الجحيم» التكاثر:٦) والجحيم: النار الشديدة التأجّج، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم والمكان الشديد الحرّ .

والجحمة: كلّ نار بعضها فوق بعض، والجحمة: شدّة تأجّج النار ويقال للنار: جاحم أي توقّد وإلتهاب، وعين جاحمة: شاخصة.

وجحّمه بعينيه تجحيماً: أحدّ إليه النظر وأجحم عنه: كفّ عنه، وأجحم الرجل: دنا أن يهلكه، وتجحّم: إحترق حرصاً وبخلاً، والمكان والقلب: تضايق من جحم وجهه من شدّة الغضب، إستعارة من جحمة النار وذلك من ثوران حرارة

القلب، والجحم - بضمّتين -: القليلوالحياء يقال: قول جحم وهوجمع أجحم.

٦٢- النعمة والنعيم - ١٥٣٧

نعم الرجل ينعم نعمة ومنعماً - من باب نصر ومنع - : رفه فهو ناعم وهي ناعمة: كان في رفاهية من العيش وترف ولذاذة وحياة فتمتّع بذلك وقرّت عينه، ونعم عيش الرجل: طاب ولان واتسع.

ونعم العود ينعم نعماً - محرّكة - من باب علم -: إخضرّ ونضر.

ونعم ينعم نعمة - من باب حسب - و هو شاذّ، يقال: «هذا منزل ينعمهم بتثليث العين» أي كثير النعمة موافق، يقال: نعمت بهذا عيناً: سررت وفرحت وعيناً منصوب على التمييز من ضمير الفاعل، ولمّا كثر إستعماله لهذا المعنى صار مثلاً في الرضا حتّى قيل: نعم الله بك عيناً، ونعمك أي أقرّ بك عين من تحبّه أو أقرّ عينك بمن تحبّه.

ونعم ينعم نعومة - من باب كرم - : لان ملمسه فهوناعم وهي ناعمة، كان ليّن العيش ناضراً، ويقال من هذا: وجه ناعم أي ناضر ذوبهجة ورواء.

قال الله عزّ وجلّ: «وجوه يومئذ ناعمة» الغاشية: ٨) أي منعّمة في أنواع اللذّات ظاهر عليها آثار النعم والسرور مضيئة مشرقة.

الناعم: النبت المستقيم المستوى، والثوب الليّن الملمس، وعيش ناعم: ذونعمة و طرائة والناعمة: مؤنّث الناعم، والناعمة: الروضة، وجارية ناعمة: حسنة العيش والغذاء.

و في حديث الميّت مع الملائكة في القبر: «نم نومة الشابّ الناعم» قيل: هو من .**النعمة** - بالكسر - وهومايتنعّم به الإنسان من المال ونحوه أو بالفتح وهي

النفس المتنعّمة، وفي الحديث : «انها لطير ناعمة» أي سمان مترفة، وثوب ناعم : لين، ومنه قول بعض الوصّاف: «عليهم الثياب الناعمة»

النعمة: الخير الذي يصل إلى المرء في دينه أو دنياه من القوى الظاهرة المتصلة والمنفصلة والقوى الباطنة، فالمال والجاه والايمان والدين والقرآن و الطاعة و التوفيق لعمل الصالح والعلم والحكمة والولاية الحقة العلوية والأولاد و السمع والبصر والبيان... كلها نعمة إلهية.

قال الله تعالى: «ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جائته» البقرة: ٢١١) أي الدين والإسلام والنبوة والدعوة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الحديث قال الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا فاز من فاز»

يقال: فلان واسع النعمة: واسع المال، قال الله تعالى: «ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل» الزمر: ٨)

والنعمة: اليد والصنيعة والمنّة ، وما أنعم الله بـه عليك ، وقد يراد بالنعمة الجنس فتوضع موضع النعم ، و قد تـوضع النعمة موضع الأنعام ، فتكون إسم مصدر من أنعم.

قال الله تعالى: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» إبراهيم : ٣٤) النعمة هنا في معنى الجمع .

وقال: «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» القلم: ٢) النعمة هنا بمعنى الأنعام.

وجمع النعمة: نعم وأنعم ونعمات ـ بكسر النون وسكون العين وفتحها و كسرها ـ . قال الله تعالى: «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان: ٢٠)

وقال: «فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف» النحل: ١١٢)

أنعم : أفضل وزاد وأنعم القوم : أتاهم متنعّماً على قدميه حافياً على غير دابّة ، و أنعم صديقه :شيّعه حافياً خطوات ، وأنعم في الأمر : بالغ كأمعن، يقال : إذا أعملت

عملاً فأنعمه : فأجده ، وأنعم النظر في كذا: حقّق النظر وبالغ فيه ، ويقال: دققت الدواء وأنعمت : بالغت وزدت فيه ، وأنعم عليه : أوصل إليه خيراً وأحسن إليه أو دفع عنه ضرّاً أوعفى عنه فلم يصبه بسوء ، وإنّما يكون الأنعام على ذوي العقول، فلا تقول : أنعمت على الفرس ، وتقول : أنعم عليه بخير وأنعم عليه نعمة جليلة، ولن أنسي نعمتك التي أنعمتها عليّ.

قال الله تعالى : «صراط الّذين أنعمت عليهم» الفاتحة : ٧)

أنعم الله النعمة عليه ، و أنعمه بالنعمة : أحسن و أوصلها إليه ، و أنعم الله صباحك: جعله ذانعومة ولين وطراءة، وعم صباحاًومساء - بحذف الهمزة والنون تخفيفاً لكثرة الاستعمال -: كلمة تحيّة أي صباحك ومساءك ناعمين، وهذا منزل ينعم أي كثير الخير موافق للطبع.

و النعمة - بالفتح -: المرّة ، وإسم من التنعّم والتمتّع ونعمة العيش : حنسه وغضارته.

النعيم : كلّ ما يتلذّذ به و ويتنعّم من مطعم ومفرش و مركب وأمن وصحة و غيرذلك ، وقد فسّر النعيم بالنعم الكثيرة كما فسّربلين العيش و رغده، و قد يأتي بمعنى التلذذ بالنعم والتمتع بها ، و كثيراً ما اضيفت الجنّة والجنّات إلى النعيم.

قال الله تعالى: «فروح وريحان وجنّة نعيم» الواقعة : ٨٩).

وقال: «ولأدخلناهم جنات النعيم» المائدة: ٦٥).

وقال: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» التكاثر: ٨) أي تسئلون يوم القيامة عن كلما استمتعتم به في الدنيا.

النعيم: الخفض والدعة والمال، يقال: رجل نعيم البال: هادىء البال مرتاحه، نعيم الله تعالى: عطيّته.

النعم - بالتحريك وسكون العين - في أصل وضعها: الإبل ، سمّيت بذلك

لنعومة مشيها ولينه أولأنّها عندالعرب أجلّ النعم، وقد يتوسّع في النعم ، فيقال للابل والبقر والغنم إذا اريد جماعة الأصناف الثلاثة، فيقال: تجب الزكاة في النعم، ولايقال للبقر وحدها ولا للغنم وحدها: نعم، وجمعه : نعمـان وأنعام، فالأنعام في الأصل: الابل، ويقال للثلاثة : الأنعام توسّعاً، وقد ورد النعم والأنعام في القرآن الكريم مراداً بهما الابل والبقر والغنم.

قال الله تعالى: «ومن قتلـه منكم متعمّداً فجزاؤه مثل ما قتـل من النعم» المائدة: ٩٥).

وقال: «والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمـة والأنعام» آل عمران: ١٤) وجمع الجمع: أناعيم.

وان النعم ـ بالفتح فسكون ـ لغة في النعم ـ محرّكة.

النعم ـ بضمّ النـون وسكون العين ـ: خلاف البؤس تقول: يوم نعم ويوم بؤس، جمعه: أنعم وأبؤس، والنعم ـ بالضم والسكون ـ: إسم إمرأة.

نعمـ بكسر النون وسكون العين وفتح الميم ـ: فعل لإنشاء المدح، غير متصرّف بازاء بئس للذّم تقول: نعم الفتى عليّ، وتقول: نعـم ما تقول ونعمّا تقول وأصل نعمّا: نعم ماتقول فحرّكت العين بالكسرة إتباعاً لحركة النون قبلهـا و ادغم الميمان وجرى الوصل في الكتابة، وتقول: نعم ماهو ونعم ماهي وعلى طريقة الادغام تقول: نعمّا هو ونعمّا هي.

قال الله عزّ وجلّ: «ونعم أجر العاملين» آل عمران: ١٣٦).

و قال : «نعمّا يعظكم به» النساء: ٥٨) أي نعم شيئاً يعظم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به.

وقال: «إن تبدوا الصّدقات فنعمّا هي» البقرة: ٢٧١) أي نعـم شيئاً، وهي يأتي للتأنيث، فيقال: نعمت المرأة صدّيقة، ولايأتي مثنّى وجمعاً إلّا قليلاً، فيقال: نعما و نعموا و نعمتا و نعمن.

وفي الحديث: «من توضأ يوم الجمعة فبهـا ونعمت» وإن قلت: إن فعلت كذا فبها ونعمت أي نعمت الخصلة أو الفعلة هي، فحذف المخصوص بالمدح ومنه الحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»

نعم - محرّكة -: حرف جواب وهي لاثبات ما وقعت جواباً له وتقريره في الاثبات والنفي، تقول: أحضر زيد؟ فاذا اجيب بنعم كان المعنى انّه حضر و إذا قيل؟ ألم يحضر زيد؟ فاجيب بنعم كان المعنى: أنّه لم يحضر. ونعم معناه التصديق ان وقع بعد الماضي نحو: هل قام و الوعد إن وقع بعد المستقبل نحو: هل تقول. وقال سيبويه: نعم عدة في الاستفهام وتصديق للاخبار.

قال الله عزّ وجلّ: «فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم» الأعراف: ٤٤) و نعام - بالفتح - لغة في نعم، ويقال في نعم و بفتح النون و كسر العين و كسرهما أيضاً.

النعماء - بالفتح -: النعمة واليد البيضاء الصالحة، جمعها: أنعم كبأساء و أبوس، والنعماء بازاء الضرّاء.

قال الله تعالى: «ولئن أذقناه نعماء بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ ذهب السيئات عني» هود: ١٠).

قيل: النعمآء - بالفتح والمدّ -: النعم الباطنة، والآلاء هي: النعم الظاهرة.

رجل منعام - بكسر الميم -: مفضال، و كلام منعّم: ليّن، والمنعم - بالكسر -: المكنسة، والمنعم - إسم فاعل -: مولى النعمة ومولى العتاقة، والمنعم عليـه - إسم مفعول -: الكثير المال والحسن الحال.

النعام - بفتح النون -: المفازة، والنعـام الصادر أربعة كواكب، والنعام الوارد أربعة كواكب اخرى وهي من منازل القمر والنعائم أيضاً: منزل من منازل القمر صورته كالنعامة وهي ثمانية كأنّها سرير معوّج.

ونعام عين - بالتثليث - والنصب باضمار الفعل أي إفعل ذلك إنعاماً لعينك

و إكراماً وما أشبهه، و نعمة عين -بالضم- : قرة عين يعني أقر عينك بطاعتك و إتباع أمرك ، يقال: جاء فلان كالنعامة : رجع خائباً خاسراً ، ما أنت إلّا نعامة يقال لمن يكثر علله عليك : أنت كصاحبة النعامة: مثل يضرب في المزرية على من يشق بغير الثقة لأنّها وجدت نعامة قد غصّت بصعرور أي بصبمعة فأخذتها فربطتها بخمارها إلى شجرة ثم دنت من الحيّ فهتف من كان يحفّنا و يرفّنا ، فليترك و قوّضت بيتها لتجمل على النعامة، فانتهت إليها ، و أساعت غصّتها وافلتت، فبقيت المرآة لاصيدها احرزت ولايصيبها من الحيّ حفظت.

النعامى - بالضمّ -: ريح الجنوب الناعمة الهبوب لأنّها أبلّ الرياح و أرطبها، جمعها: نعائم، ونعامى عين كنعام عين.

والنعمى- بالضم -: الحفض والدعة والمال واليد البيضاء الصالحة، والنعمى: نقيض البؤسى.

ابن النعامة : عظم الساق وقيل: صدرها، والساقي على البئر، وقيل: الطريق و الفرس .

النعمان - بالضمّ -: إسم من أسماء الدم ولقب كلّ من ملك الحيرة، و نعمان بن المنذر: ملك العرب نسبت إليه شقائق لأنّه حماه و- بالفتح -: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، وشقائق النعمان: نبات أحمر يشبه بالدّم.

النعامة -كسحابة -: حيوان مركّب من خلقة الطير والجمل أخذ من الجمل العنق و الوظيف و المنسم ، و من الطير الجناح و المنقار و الريش تقال بالفارسيّة : « شتر مرغ » و يقال لها : امّ البيض و امّ الثلاثين ، و يقال : أصمّ من نعامة لأنّها لا تلوى على شيء إذا جفلت و لكن له شمّ بليغ ولذلك يقال : فلان أشمّ من نعامة ، و هي تذكّر و تؤنث جمعها : نعام ونعامات ونعائم كلّها بفتح النون .

والنعامة : أشدّ الأشياء نفاداً ولهذا قيل للرجل إذا فزع من شيء وارتحل

أومات: نفرت نعامته ويقال للمنهزمين: اضحوا نعاماً، ويقال: فلان ركب جناحي النعامة: جدّ في أمره ويقال للفرس: له ساقا نعامة يقصر ساقيه، وله جؤجؤ نعامة لإرتفاع جؤجؤها.

والنعامة: الخشبة المعترضة على الزرنوقين، والنعامة: القدم وقيل: باطنها، والنعامة: الرجل وقيل: ما تحته، و كلّ بناء على الجبل كالظلّة، ومن الفرس: دماغه أوفمه، والطريق و النفس و الفرح و السرور والإكرام والفيج المستعجل، و النعـامة: صخرة ناشزة في البئر والظلمة و الجهل و العلم المرفوع، والجلدة تغشّي الدماغ وجماعة القوم والمحجّة الواضحة، وشالت نعامتهم: تفرّقت كلمتهم و ذهب عزّهم و درست طريقتهم، ويقال: سكنت نعامته: جهلـه، ويقال للانسان ضعيف العقل: انّه لخفيف النعامة، والنعامة: خطّ في باطن الرجل.

نعّمه: جعله في سعة عيش وترف و رفاهية، يقال: نعّم أولاده و نعّمه: رفّهه.

قال الله تعالى: «فأمّا الانسان إذا ما ابتلاه ربّه فاكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن» الفجر: ١٥).

نعّمه تنعيماً فتنعّم: جعله في نعمة أي لين عيش وخصب.

التنعيمة: شجرة ناعمة الورق، ورقها كورق السلق ولاتنبت إلّا على ماءٍلا ثمر لها وهي خضراء غليظة.

التنعيم: موضع قريب من مكّة وهو أقرب إلى أطراف الحلّ إلى مكّة ويقال: بينه وبين مكّة أربعة أميال ويعرف بمسجد عائشة.

ناعم الرجل مناعمة: ترفّه، وفلاناً رفّهه، وناعم حبله وغيره: أحكمه.

تنعّم الرجل: تناول ما فيه النعمة، وطيب العيش كترفّه و تمتّع ومشى حافياً وتنعّم فلاناً بالمكان: طلبه فيه، وتنعّم الدابة: ألحّ عليهـا سوقاً دائماً، وتنعّم قدميه: إبتذلهما.

فى المفـردات : النعمة : الحالة الحسنة و بنـاء النعمة بناء الحالة الّتي يكون عليهـا الانسان كالجلسة و الركبـة ، و النعمة ـ بالفتـح ـ : التنعّم و بناؤها بناء المرّة من الفعل كالضربة و الشتمة ، و النّعمة للجنس تقال للقليـل و الكثير .

والأنعام: ايصال الاحسان إلى الغير، ولا يقال إلّا إذاكان الموصل إليـه من جنس الناطقين فانّه لايقال: أنعم فلان على فرسه.

وفى اللسان : النعمة ـبكسرالنون ـ: إسم من أنعم الله عليه ينعم إنعاماً ونعمة اقيم الاسم مقام الانعام.



﴿النحو﴾

١- (ألهاكم التكاثر)

«ألهى» فعل ماض من باب الإفعال، و«كم» ضمير وصل لخطاب الجمع المذكّر في موضع نصب، مفعول به، و«التكاثر» مصدر من باب التفاعل، فاعل الفعل.

٢- (حتى زرتم المقابر)

«حتّى» حرف غاية، ينصب المضارع باضمار «أن» ويخفض الأسماء باضمار «إلى» و«زرتم» فعل ماض لخطاب الجمع المذكّر نحو: «قلتم» أجوف واويّ و «المقابر» صيغة منتهى الجموع، جمع المقبرة - بفتح الباء وضمّها - والتاء فيه غير قياس، والقبور: جمع القبر، و«المقابر» نصب على المفعولية.

٣- (كلا سوف تعلمون)

«كلاّ» حرف ردع وزجر وليس باسم، وتضمّنه معنى إرتدع لايدلّ على أنّه كصه بمعنى اسكت، ومه بمعنى اكفف ألاترى أنّ أمّا تتضمّن معنى مهمايكن من شيء وهو حرف فكذلك «كلاّ» فيكون حرفاً.

قال أبو علي: لو كان «كلاّ» إسماً لتعاقب عليه التعريف والتنكير كما يتعاقب على (صه ومه) وقال إبن أبي حاتم: «كلاّ» بمعنى «إلاّ» وقال الفراء بمعنى «حقاً».

و«سوف» حرف تنفيس للوعيد والتهديد في المقام و «تعلمون» فعل مضارع لخطاب الجمع المذكّر.

٤- (ثم كلا سوف تعلمون)

«ثم» حرف عطف، و«كلاّ سوف تعلمون» عطف على الجملة السابقة، و«كلا»

بدل من الأوّل، وإنمّا تكرّر لتأكيد الوعيد والتهديد نظير قوله تعالى: «ويل يومئذ للمكذّبين» مكرّراً في سورة المرسلات على قول، ولكن التحقيق عندي هو المغايرة في العطف.

٥- (كلا لو تعلمون علم اليقين)

«كلاّ» فيه هنا وجهان: أحدهما - أنّه حرف ردع وزجر كالسابق فتأكيد لما تقدّم ثانيهما - أنّه بمعنى «حقاً» و«لو» حرف إمتناع يمتنع به الشيء لإمتناع غيره وجوابه محذوف لأنّ قوله تعالى: «لتسئلن» أمر واقع قطعاً، فلو كان «لترون» جواباً للشرط لكانت الرؤية محققة الوقوع أمراً مشكوكاً فيه حيث إنّ جواب «لو» الإمتناعية لا يتحقّق، فيلزم المخالفة بين المعطوفات أو الشك فيما هو واقع قطعاً وكلاهما غير سديد.

وفي تقدير الجواب وجوه: أحدها - عن الأخفش أنّه قال: أي لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر. ثانيها - عن أبي مسلم أنّه قال: لو علمتم ما يجب عليكم وما خلقتم لأجله لاشتغلتم به. ثالثها - قيل: أي لو علمتم لرجعتم عن كفركم. رابعها - عن أهل البيان: ان الأولى تقدير ما هو عام في كلّ شيء وهو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه كنهه ولكنكم ضلال جهلة. خامسها - أنّ الجواب هو قوله تعالى: «لترونّ» وهو الصواب سيأتي وجهه في البحث البياني فانتظر. «علم» مصدر، نصب على المصدرية أي لو تعلمون ذلك علماً يقيناً حقاً لا شك فيه، اضيف إلى «اليقين» من إضافة الموصوف إلى الصّفة نحو: «ولدار الآخرة خير للذين اتقوا» يوسف: ١٠٩)

فالمعنى: علماً يقيناً، وإضافة العلم إلى بعض أنواعه جائزة نحو: علم الطّب وعلم الدين وعلم الحساب. وقال الأخفش «علم» منصوب بنزع الخافض على حذف واو القسم والأصل: وعلم اليقين، فلما حذفت الواو نصبت كقوله تعالى: «وحبّ الحصيد» ق: ٩).

٦- (لترون الجحيم)

اللام لام توكيد، والنون المشدّدة نون تأكيد، وأصل «ترون»: ترأيون

فحذفت الهمزة من ترى في المستقبل تخفيفاً ونقلت حركتها إلى الراء فبقي تريون، فتحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصار تراون، فاجتمعت الألف والواو وهما ساكنان، فحذفت الألف لإلتقاء الساكنين، وكان حذف الألف أولى من الواو لأنّ الألف لم تدخل لمعنى، وكان حذفها بخلاف الواو لأنّها علامة الجمع التي لا تحذف، فلمّا حذفت الألف بقي ترون، ثم ادخلت عليه نون التوكيد بعد حذف نون الإعراب للبناء لأنّ نون التوكيد إذا دخلت على الفعل أكّدت فيه الفعلية، فردته إلى أصله من البناء.

فلمّا حذفت نون الإعراب بقيت الواو ساكنة، و النون الاولى من النون المشدّدة للتأكيد ساكنة لأنّ الحرف المشدّد بحرفين: الأوّل ساكن و الثاني متحرّك، فوجب تحريك الواو لإلتقاء الساكنين، وإنّما وجب حركتها دون حذفها لأنّ قبلها فتحة فلا يكون في اللفظ دلالة على حذفها بخلاف ما إذا كان قبلها ضمّة، فانّها تحذف لدلالة الضمّة عليها، فوجب هيهنا تحريكها و كان تحريكها بالضمّ أولى لأنّه من جنسها ولهذا ضمّوها في قوله تعالى: «اولئك الّذين اشتروا الضّلالة» البقرة: ١٦)

ولم تقلب الواو همزة لأنّها ضمّة عارضة غير لازمة، وإنّما تقلب الواو همزة إذا كانت ضمّتها لازمة غير عارضة، فصار «لترون» ومنهم من يقلبها همزة يجريها مجرى الضمّة اللازمة وليس بقوى في القياس ووزن «لترون» «لتفون» لذهاب العين واللام.

«الجحيم» مفعول به على تقدير المضاف أي عذاب الجحيم لأنّ الوعيد برؤية العذاب لا برؤيتها لأنّ المؤمنين أيضاً يرونها قال الله تعالى: «و إن منكم إلّا واردها» مريم: ٧١) بناء على عموم الخطاب للسامعين أجمعين.

٨- (ثم لترونها علم اليقين)

«ثم» حرف عطف و«لترونّها» عطف على «لترون» وضمير التأنيث راجع إلى «الجحيم» و«عين اليقين» مصدر على المعنى لأنّ رأى وعاين بمعنى واحد، منصوب

على التأكيد كقولك : رأيت زيداً عينه نفسه والمعنى : لتعاينُنَّها عياناً يقيناً .

٨- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

«ثم» حرف عطف، واللام في «لتسئلنّ» للتأكيد ومدخولها فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مبنيّ للمفعول، مؤكّد بنون التأكيد، والأصل: لتسألون فسقطت الواو لسكونها وسكون النون .

«يومئذ» منصوب على الظرفية، و«يوم» اضيف إلى «إذ» ولمّا كانت المعروف لا يضاف إليها جعلوا لإذ مزيّة على غيرها فنوّنوها. و«عن النعيم» متعلق به «لتسئلن».



﴿البيان﴾

١- (ألهاكم التكاثر)

تنديد شديد بالمستغرقين في متاع الحياة الدنيا و زخارفها بما هم فيه من المباراة في الإستكثار من الأموال و الأولاد و التفاخر بالعدّة و العدّة، و التباهي بكثرة الأنصار و التفاخر بازدياد الثروة و التسابق في ميدان الجاه و المقام إستغراقاً يمنعهم من التفكير في الموت و ما بعده بحيث لا ينتهون عما هم فيه إلّا إذا جاءهم الموت فإذا ماتوا انتبهوا.

و لا يخفى على الأديب الأريب: أنّ خطابات السورة و إن كانت موجّهة إلى المخاطبين، و لكنّها لا تحتوي الاشارة إلى موقف معيّن، فتكون عامّة العرض و التوجيه إلى كلّ من تلهيه أمواله و أولاده و عدّته و عدّته و جاهه و مقامه فيرى نفسه مخلّداً في هذه الأرض و يتّبع هواه و يستغرق في شهواته فلا يستيقن لها حساباً و جزاء...

و انّ هذه السورة تحتوي تلقيناً جليلاً مستمرى المدى و متّسقاً مع التلقينات الّتي إحتوتها السور السابقة المماثلة و هو وجوب تنبّه الناس إلى واجباتهم نحو الله تعالى و نحو النّاس في الحياة الدنيا، و عدم الإندفاع في الإستكثار و من الإستغراق في النعيم، و جعل شهوات الحياة و نعيمها قصارى الهمّ و المطلب.

و قد حذف الملهى عنه مبالغة في الالهاء بأنّه ألهاهم عن كل خير و صلاح.

فروح الآيات الكريمة تلهم أنّ التنديد و التنبيه موجّهان إلى كل من تلهيه الأموال و الأولاد و الشهوات و ما إليها من العوارض الزائلة عن واجباته نحو الله

عزّ وجلّ ونحو الناس، ويستغرق في ذلك إستغراقاً يملك عليه تفكيره ويعمى بصيرته ويجعله لايحسب للعواقب حساباً، ويوهمه بأنّه في أمن دائم وليس ورائه نار وعذاب، لا إلى أصحاب الأموال والأولاد والمتنعّمين إطلاقاً، وخاصّة الّذين يؤدون حق الله تعالى بالايمان والطاعة والشكر وحقّ النّاس بالبرّ والإحسان، وحق النفس بالتقوى والإعتدال...

ويشير إلى ذلك قوله عزّ وجلّ: «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ـ وأن تقولوا على الله مالا تعلمون» الاعراف: ٣١ـ٣٣)

٢ـ (حتى زرتم المقابر)

زيارة القبور كناية عن الموت، وهو غاية الهاء على أنّ الغفلة عماوراء عمايرونه بسبب الالهاء عمتهم مدى حياتهم، وفي ايثار الماضي تعجّب من حالهم: انهم زاروا القبور في معرض المفاخرة والإستغراق في حبّ مالا طائل تحته من التباهي بالكثرة والتباري فيها مع أنّ زيارة القبور مظنّة ترقيق القلب وإزالة القساوة.

ومن المحتمل أن تكون زيارة المقابر كناية عن ذكر الموتى، ففي التعبير عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكّم بهم على أنكم تكاثرتم بالاحياء حتّى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التفاخم والتفاخر والتكاثر وبالأموال...

٣ـ (كلا سوف تعلمون)

ردع عن الإشتغال بالتكاثر في الأموال والأولاد، وزجر عن التفاخر بالمقام والجاه وما إليها مما لايهمّهم عما يعنيهم أو بهاو بالعظام البالية، وتنبيه على وخامة عاقبتها وتخطئة لهم على ماهم عليه وتهديد ووعيد شديد عليهم بتبعة تلهيهم هذا ومعرفتهم بها إذا انقطعت عنهم الحياة الدنيا، وتبصير لهم أيضاً بأنّهم سوف يعلمون علماً يقينياً بأنّهم مخطئون في تلهيهم.

٤ـ (ثم كلا سوف تعلمون)

في التراخي ايماء باستقلال الردع والزجر والتهديد والتوبيخ، وبتعدد الموقف،

وقيل: اريد بالأوّل علمهم بها عند الموت، وبالثاني علمهم بها عندالحشر وقيل: تأكيد بعد تأكيد.

٥- (كلا لو تعلمون علم اليقين)

ردع بعدردع وزجر بعد زجر وتوبيخ بعد توبيخ، وتهديد بعد تهديدلتعدّد المواقف، و «لو» حرف شرط تدلّ على إمتناع الجواب لإمتناع الشرط، وذلك محقّق في الماضي لأنّ الشرط لم يقع فامتنع لذلك وقوع الجواب، وأمّا إذا جاء الشرط والجواب مضارعين كان الحكم معلّقاً، فقد يقع الشرط فيقع الجواب تبعاً، وقد لايقع الشرط فلايقع الجواب، تقول: لوجاء الضيف لأكرمته، وهذا يعني أنّ الضيف لم يجيء وبالتالي لم يقع إكرامه، وتقول: لويجيء الضيف لأكرمنّه، فالضيف لم يجيء بعد وقد يجيء فاذا جاء لم يكن بدّ من إكرامه، وتوكيد جواب «لو» هنا «لترونّ» واجب لتحقق وقوعه مستقبلاً لأنّه حلّ محلّ فعل غلب أن يكون ممتنعاً وقوعه وهو جواب «لو» الماضي الّذي يجيء فعلاً ماضياً، فلزم توكيد الجواب هنا ليقطع كلّ إحتمال لإمتناع وقوعه.

وقد نفى عنهم اليقين مع الإخبار بحصوله بعد، قال الله تعالى: «وكنّا نكذّب بيوم الدين حتّى أتانا اليقين» المدثر: ٤٦-٤٧)

٦- (لترون الجحيم)

جواب ا «لو» على التحقيق، وهذا وعيد آخر، وتقرير لما ينتهي إليه إلهاهم التكاثر في متاع الدنيا وشهواتها من عذاب الآخرة بعد خزي الدنيا وذلّتها، وقد علّقت الرؤية على علم اليقين، وهو يحصل بالموت لمن لم يحصل من قبل بكشف الغطاء، فانّهم إذا ماتوا إنتبهوا قال الله عزّ وجلّ: ««وجاءت سكرة الموت بالحق - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق:١٩-٢٢)

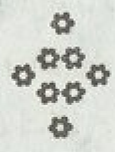
٧- (ثم لترونها عين اليقين)

في التراخي ايماء إلى إستقلال الرؤيتين مع الإخبار عن دوام مقامهم في النار

أي هي رؤية دائمة متصلة.

٨- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

سؤال تقريع وتبكيت، وفي التراخي ايماء إلى إختلاف مواقف الرؤية و السؤال عن النعيم، وان خطابات السورة، وإن كانت متوجّهة إلى عامّة الناس ظاهراً، ولكنّها واقعة بتوبيخها وتهديدها على المتلاهين والمتكاثرين خاصّة.



﴿الاعجاز﴾

ومن البيّن انّ العربية لغة دين قائم على أصل خالد وهو القرآن الكريم: «إنا أنزلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون» يوسف: ٢) لايمكن الإنكار من إعجازه بفصاحته وبلاغته من الصديق والعدوّ إلّا من لاعقل ولاشعور له لملازمة العقل على إدراك دقائقها، والفهم لفنون بلاغتها، والشعور بسلامة الذوق فيها.

ولقد كانت القبائل العربية مادّة لهذه اللغة وسبب إتساعها و إستفاضتها وكان فحول الشعراء الجاهلية كأنّ كل واحد منهم قبيلة في التفنّن والابداع مجازاً و إستعارة وبديعاً، حتّى جاء القرآن الكريم فكان هو الغاية كلّها ثم تتابع الشعراء والكتّاب والادباء فمن لم يزد منهم على الموجود لم ينقص منه.

إذا أمعنّا النظر في عربيّة القرآن المجيد وفصاحتها و سموّها وقيامها في تربية الملكة، و إرهاف المنطق، وصقل الذوق مقام نشأة خالصة في أفصح قبائل العرب نجد أنفسنا كأنّنا فيهم، و كأنّهم فينا وحفظها لنا منطق رسول الله ﷺ و منطق الفصحاء من قومه حتّى لكأنّ ألسنتهم عند التلاوة هي تدور في أفواهنا و سلائقهم هي تقيمنا على أوزانها، و كون القرآن المجيد من العربية بمنزلة القطب من الرحى ببلاغته وجزالته...

وانّ في العربية لسرّاً خالداً هو هذا الكتاب المبين: «القرآن» الّذي يجب أن يؤدّي على وجهه العربي الصريح، ويحكم منطقاً وإعراباً بحيث يكون الاخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيغ بالكلمة في وجهها، وبالجملة عن مؤدّاها، و

انّ القرآن الكريم ليس كتاباً يجمع بين دفتيه مايجمع كتاب أو كتب فحسب إذ لو كان هذا أكبر أمره لتحللت عقده وإن كانت وثيقة ولاستبان فيه مساغ التحريف والتبديل من غال أو مبطل ، ولكانت عربيته الصريحة الخالصة عذراً للعوام و المستعجمين في إحالته إلى أوضاعهم إذا كانت لهم القدرة على ذلك.

بل إنّما القرآن المجيد جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية ، فلا يزال أهله مستعربين به، متميّزين بهذا الجنسية حقيقة أو حكماً ولولا هذا العربية الّتي حفظها القرآن المجيد على النّاس وردّهم إليها عليهم لمّا تماسكت أجزاء هذه الامّة ولا استقلت بها الوحدة الاسلامية.

أو يمكن الإستنكار بعد مشاهدة الآيات الحسيّة من القرآن المجيد وآيته الكبرى وهي الإعجاز بما فيه من علوم الهداية ودقائق البلاغة وانباء الغيب على أنّه من امّي عاش أربعين سنة لم يؤثر عندئذ فيها شيء من العلم، ولم يزاحم فحول البلاغة في نثر ولا نظم ، وفهم تلك الدلائل إنّما يكون من ذوي العقول الحرّة والقلوب السليمة الّذين لطف شعورهم، ورقّ وجدانهم وصحّت أذواقهم...

وانّ التدبّر في هذه السورة ونظمها واسلوبها ومضامينها يلهمنا باعجازها من ناحيتين: ناحية اللفظ، وناحية المعنى يعجز الانس والجن من معارضتها:

أمّا اللفظ فلا يستطيع أحد بأداء ما اريد منها بغير ما جائت به من الألفاظ والاسلوب ...

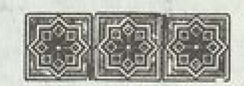
وأمّا المعنى - فباضافة الاخبار بالغيب فيها من صدور تلك الملاهي والتباهي عن المتكاثرين بالتكاثر والاستمرار بالاستمرار حتّى ماتوا أو تفاخروا بعدد موتاهم وبالعظام البالية بعد تباهيهم بأحياهم ومتعلّقاتهم - فاخبار بما سيأتيهم من العلم بوخامة تلاهيهم، وان الاخبار بما مضى دليل صدق على ما سيأتي.

وفي هذه السورة الكريمة وعيد عام على الكافر المتلاهي والمسلم المتفاخر بما يشغله عن الحق والصلاح والسعادة والفلاح ، ولم يذكر فيها أسماء ولم يحدّد

أشخاصاً، وفي ذلك وجه مشرق مزهرمن وجوه الاعجازالقرآني لايقبل مراء و لاجدالاً، ولا يدخل فيه تلبيس ولا عليه تدليس مادامت السموات والأرض تنزيل من ربّ العالمين فتدبّر جيّداً واغتنم جداً.

قال الله عزّ وجلّ: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكر اولوا الألباب» ص: ٢٩).

وقال: «إنّما تنذرمن اتبع الذكروخشي الرحمن بالغيب» يس: ١١).



﴿التكرار﴾

و إعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ستّة امور :

أحدها - انّ السور الّتي افتتحت بالأفعال المحضة ثنتان و عشرون سورة ، اثنتى عشر سورة منها أفعال ماضية : ١ - سورة النحل . ٢ - سورة الأنبياء . ٣ - سورة الفرقان . ٤ - سورة القمر . ٥ - سورة الحديد . ٦ - سورة الحشر . ٧ - سورة الصّفّ . ٨ - سورة الملك . ٩ - سورة المعارج . ١٠ - سورة عبس . ١١ - سورة التكاثر . ١٢ - سورة المسد .

و ثلاث سور منها أفعال مستقبلة : ١ - سورة التغابن . ٢ - سورة الجمعة . ٣ - سورة الأنفال .

و سبع سور منها فعل أمر : ١ - سورة الجنّ . ٢ - سورة الأعلى . ٣ - سورة العلق . ٤ - سورة الكافرون . ٥ - سورة الإخلاص . ٦ - سورة الفلق . ٧ - سورة الناس .

ثانيها - انّ السور الّتي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس سور : ١- سورة الإنشراح . ٢- سورة التين . ٣- سورة البينة . ٤- سورة الزلزال ٥ - سورة التكاثر .

ثالثها - انّ في تكرر كلمة «كلّا» في ثلاثة مواضع من هذه السورة وجوهاً ثلاثة :

١ - ان معناه الردع والزجر عن التكاثر في الأموال والأولاد و زخارف

الدنيا و شهواتها ، فحسن الوقف عليه والإبتداء بما بعده .

٢ ـ انّه يجري مجرى القسم و معناه .

٣ ـ انّ الردع متوجّه على التكاثر في الحياة الدنيا بالمال والجاه ثم التكاثر في المقابر والفخر بها ، فكانت « كلا» الاولى ردعاً في الدنيا بما ينال المتكاثرين من عقوبات مرتبة على الترف. سجلها القرآن الكريم ، والثانية في الآخرة ، ولذلك اقترنت بحرف التراخي : « ثمّ » حيث لا ينفع مال ولا بنون .

رابعها ـ انّ في قوله عزّ وجلّ : « سوف تعلمون » وبعده : « سوف تعلمون » ثلاثة وجوه : ١ـ انالثاني تكرار لما قبله . ٢ـ انهما في وقتين : القبر والقيامة ، فلا يكون تكراراً ، و كذلك قول من قال : الأوّل للكفار والثاني للمؤمنين .

٢ ـ انّ الخطاب فيهما للمتكاثرين بالمال والجاه والأجداد . . .

خامسها ـ انّ في قوله عزّوجلّ : « لترونّ الجحيم ثمّ لترونّها » وجوهاً أربعة : ١ ـ انّ الثاني تأكيد للأوّل . ٢ ـ الأوّل قبل الدخول والثاني بعد الدخول ، و لهذا قال بعده : « عين اليقين » أي عياناً لستم عنها بغائبين . ٣ ـ انّ الأوّل من رؤية القلب ، والثاني من رؤية العين . ٤ ـ الأوّل من رؤية العين والثاني من رؤيةالقلب بدليلقوله عزّوجل قبله : « لوتعلمون علم اليقين لترون » فالخطاب هنا فيالدنيا، و علم اليقين هو: رؤية ما ليس مشهوداً منالامورالغيبية ، و كأنّه مشاهد محسوس ، وجاء بعدها «ثم» الدالّة علىالتراخي ، وقال: « لترونها عين اليقين » أي مشاهدة محسوسة بالعين يوم القيامة وهذا أيضاً دليل علىما قلنا في السورة .

سادسها ـ نشير في المقام إلى صيغ ست لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الإستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ الّتي جائت في هذه السورة و في غيرها من السور القرآنية :

١ ـ جائت كلمة (اللهو) على صيغها في القرآن المجيد نحو : ٦ امرّة :

٢ ـ » » (الزور) » » » : ستّ مرات :

١ـ سورة الحج : ٣٠) ٢ـ سورة المجادلة : ٢) ٣ـ سورة الفرقان : ٧٢) ٤ـ سورة الكهف : ١٧) ٥ ـ سورة الفرقان : ٤) ٦ـ سورة التكاثر).

٣ ـ » » (القبر) » » » : ثمان مرّات :

١ ـ سورة التوبة : ٨٤) ٢ ـ سورة الحج : ٧) ٣ ـ سورة فاطر : ٢٢) ٤ ـ سورة عبس : ٢١) ٥ـ سورة الممتحنة : ١٣) ٦ ـ سورة الإنفطار : ٤) ٧ ـ سورة العاديات : ٩) ٨ ـ سورة التكاثر : ٢).

٤ ـ » » (اليقين) » » » : ٢٨ مرّة :

٥ـ » » (الجحيم) » » » : ٢٦ » :

٦ـ » » (النعمة) » » » : ١٤٤ » :

﴿التناسب﴾

واعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها- التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها -: التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً.

ثالثها -: التناسب بين آيات هذه السورة نفسها.

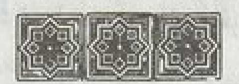
أما الاولى: فانّها نزلت بعد سورة «الكوثر» فلمّا بيّن الله تعالى في السورة السابقة ما أعطاه رسوله الخاتم ﷺ يدور عليه الخير كلّه، وأشار في ختامها إلى أنّ مدار الخير والسعادة ليس على كثرة الأموال والأولاد ولا على العدّة والعدّة وما إليها مما كان عليه مبغضوه، ولا العكس بالعكس أشار في هذه السورة إلى تلاهيهم بالتكاثر في الأموال والأولاد غفلة عن حقيقة الأمر، وانّهم يسئلون يوم القيامة عن النعيم بالكفر والكفران، والأمر مستمر المدى على كلّ من سلك مسلكهم.

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبوجوه: أحدها- انّ الله عزّ وجلّ لمّا أخبر في السورة السابقة عن صفة القيامة أشار في هذه السورة إلى من ألهاه عنها التكاثر، فحديثها متصل بما قبلها من الحديث عن القيامة، وعمّا يذهل النّاس عنها ويشغلهم عن الاعداد لها وهو التكاثر في الأموال والأولاد. ثانيها - لمّا ذكر في السابقة أهوال القيامة وقرعها ذكر في هذه السورة ما يلهي الانسان عنها، و هو المغالبة بالكثرة أو تكلّف الإفتخار بها مالاً وجاهاً وعدة وعدّة عن التدبّر في أمر المعاد فنسى القبر حتّى زاره

ثالثها - لمّا اشار تعالى في السابقة إلى بعض أحوال الناس يوم القيامة وتصنيفهم فيها بصنفين: ثقيل الموازين وخفيفها وإلى جزائهم خيراً وشراً أشار في هذه السورة إلى ما يوجب الغفلة عنها، وما يوجب خفّة الموازين فيها من التلهي بالتكاثر، وإلى ما يسئل عنه المرء عنه فيها.

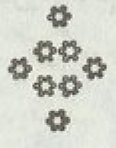
وأما الثالثة: فلمّا بدئت السورة بتلهيهم مدى حياتهم بالتكاثر في الأموال و الأولاد والعدّة والعدّة أخذت بذكر ما يوجب ذلك كما قد يكون العكس و هو الغفلة عما وراء مايرونه، ثمّ تبههم إلى خطأ ماهم فيه و زجرهم عن البقاء على تلك الحال الّتي لها وخيم العاقبة مستشهداً على ذلك بقوله تعالى: «كلاسوف تعلمون» بأنّهم لو كانوا يعلمون علماً يقينياً ليرون تبعة غفلتهم بعين القلب مدى حياتهم في الدنيا كما يرونها غداً بعين رأسهم يوم القيامة.

ثمّ زادعلى التوبيخ والتهديد لتعدد المواقف بقوله عزّ وجلّ: «ثمّ كلاّ سوف تعلمون...» ثم أشار إلى ما ينتهى إليه إلها هم بقوله تعالى: «لترون الجحيم...» ثمّ. زاد في تأنيبهم وشدّد عليهم، فيسئلون عما أنعمهم الله تعالى في الحياة الدنيا فكفروا ولم يؤدّوا حقّه بقوله جلّ وعلا: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم».



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً أومتشابهاً فآيها محكمات والله تعالى هوأعلم.



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (ألهاكم التكاثر)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي شغلتكم المباهاة بكثرة المال والبنين والتفاخر بكثرة العدد عن طاعة الله تعالى وعن ذكر الآخرة حتّى متّم ودفنتم في المقابر. ٢- عن إبن عبّاس و الحسن: أي أنساكم التكاثر في الأموال و الأولاد عن الايمان وصالح الأعمال... ٣- عن قتادة: أي شغلكم التكاثر بالعدد من الأحياء والأموات والتفاخر بالقبائل والعشائر إذ كنتم تقولون نحن أكثر من بني فلان، و نحن أعدّ وأقوى من بني فلان، وأنتم كلّ يوم تتساقطون إلى آخركم، ولاتزالون كذلك حتّى صرتم من أهل القبور كلكم.

فالمعنى: شغلكم التباهي والتباري بكثرة الرجال بأن يقول هؤلاء: نحن أكثر رجالاً، ويقول الآخرون: نحن أكثر حتّى إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى القبور فعددتم الأموات من رجالكم فتكاثرتم بأمواتكم، فشغلكم التكاثر بأحيائكم فلم ترضوا حتّى زرتم المقابر مفتخرين بأمواتكم ... ٤ عن الضحاك و أنس بن مالك و ابيّ بن كعب: أي ألهاكم التشاغل بالمعاش و التجارة، و شغلكم حرصكم على تكثير الأموال من الحلال والحرام عن طاعة ربكم و صالح الأعمال فعقبتكم الغفلة عمّا وراء المادّة. ٥- قيل: إنّ الآية الكريمة تعمّ لجميع ما ذكر وغيره على أنّ اللهو: ما يشغل الانسان عمّا يهمّه سواء أكان مما يسرّ أم لا ثمّ خصّ بما يشغل مما فيه سرور وإذا الهى المرء بشيء فهو غافل

به عمّا سواه ، وانّ التكاثر: التباهي بالكثرة بأن يقول كل للآخر: أنا أكثر منك مالاً وولداً وجاهـاً، أنا أكثر منك رجال ضرب وحرب ، وأنا أكثر منك أعواناً و أنصاراً وقبيلة ...

فقد يكون معنى التكاثر التغالب في الكثرة أي طلب كلّ واحد منهما أن يكون أكثر من الآخر مـالاً أو جاهاً، والسعى إلى ذلك لمجرّد المغالبـة لايبغي الساعي في سعيه إلّا أن يكون ماله أكثر من مال الآخر أو يكون عضده أقوى من عضده لينال بذلك لذّة التعلي والظهور بالقوّة كمـا هو شأن الجمهور الغـالب من طلّاب الثروة والقوّة ، ولا ينظر الدائب منهـم في عمله إلى تلك الغاية الرفيعة ، غاية البذل ممّا يكسب في سبل الخير أو النهوض بالقوّة إلى نصر الحق و حمل المبطلين على معرفته و التوجّه إليـه ، ثمّ المحافظة بعد ذلك عليه، وهذا معنى معقـول ذهب إليه بعض المفسرين و هو يتفق كلّ الاتفـاق مع ما يفهم من لفظ «ألهاكم» فانّ الّذي يلهي الناس عن الحق في كلّ حال وينصرف وجوههم عنه إلى الباطل،هو طمع كل واحد منهم أن يكون أكثر من الآخر مالاً أو عدد رجال ليعلو عليه أو ليستخدمه لسلطانه بقدرما يدخل في إمكانه ، أمّا التفاخر بالأقوال والبيـان فانّما يلهيهم في بعض الأحوال...

٦ـ قيل : أي ألهاكم التبـاهي بكثرة الأموال والأولاد والعدّة والعدّة و الجاه وما إليها من القوى المتصلة و المنفصلـة على إختلاف أنواعها ، و التسابق فيهـا . فشغلتم بذلك و غفلتم عن الحقـائق ، و نسيتم الله جلّ و علا و تركتم الطاعة وصالح الأعمال ، و استغرقتم في شهوات الدنيا و زخارفها، وانهمكتم في معاصي الله تعالى، فصار الحق في مذاقكم مرّاً، والباطل حلواً، واستمرّ الأمر عليكم حتّى متّم وصرتم مقبوراً.

أقول: والأخير هو المؤيّد بالروايات الآتية فانتظر.

و في الخطاب قولان : أحدهمـا ـ خطاب للسامعين، فيعمّ الناس كلّهم في

كلّ وقت ومكان و انّ المؤمنين منهم أولى بهـذا الخطاب من غيرهم ، إذ كان يرجي منهـم أن ينتفعوا به و أن ينظروا إلى أنفسهم نظراً مجـدّداً على ضوئه .

ثانيهما ـ خطاب للكفار والمجرمين والفسّاق والمفسدين،والفجّار والمستكبرين بماهم فيه من المباراة في الاستكثار من الأموال والأولاد والتفاخر بذلك وإستغراقهم بسبب ذلك إستغراقاً يمنعهم من التفكير في الموت ومابعده بحيث لاينتهون مماهم فيه إلّا حين يموتون.

أقول : إنّ التدبر في خطابات ثمان هذه السورة من غيرإلتفـات يلهمنا أنّ التنديد والتهديد والتوبيخ والتنبيه والوعيد كلّها موجـّه إلى من تلهيه أمواله وأولاده وشهواته ومتعه عن واجباته نحوالله جلّ و علا ونحو الناس، ويستغرق في ذلك إستغراقاً يملك عليـه تفكيره و يعمى بصيرته ، ويجعله لا يحسب للعواقب حساباً ، ويوهمه بأنـّه في أمن دائم لا إلى أصحاب الأموال والأولاد والمتنعـّمين إطلاقاً، و خاصّة الذين يؤدّون حق الله عزّوجلّ بالايمان به وعبادته وشكره و حق الناس بالبر والاحسان ، ويلتزمون القصد والإعتدال في جميع شؤونهم ...

٢ـ (حتى زرتم المقابر)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن الحسن وقتادة : أي حتّى أتاكم الموت ولقيتموه وأنتم على التباهي بالامور الواهية و الافتخارات الخالية ، فمتّم ضلّالاً و دخلتم قبوركم ، وما تنبّهتم طول حياتكم في الدنيا على ما هو سبب نجاتكم، فصرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنّة ونار يقال لمن مات: قد زار قبره.

٢ـ قيـل : أي حتّى إذا استوعبتم عدد الأحيـاء صرتم إلى أهـل القبور فعددتموهم من رجالكم ، فتكاثرتم بأمواتكم ، و تفاخرتم بالعظام الباليـة من آبائكم إذ تقولون: هؤلاء الموتى كانواهم في حياتهم ذوي القـوى و الثرى منّا ، و يقول الآخرون : إنّ هؤلاء الموتى كانوا في حيـاتهم الرؤساء و ذوي الجاه

والرئاسة منّا ...

٣ـ عن الجبائي: أي إشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتّى متّم على ذلك ولم تتوبوا فنزلتم في قبوركم ودفنتم فيها، فصرتم من الموتى، فتزوروا القبور فترَوا ماينزل بكم من عذاب الله عزّ وجلّ.

قال جرير:

زار القبور أبو مالك فأصبح ألأم زوّارها

وقال الشاعر:

أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصّخور

أبوا إلّا مباهاة و فخراً على الفقراء حتّى في القبور

فالمقابر ليست دار مقام لكم، وإنّما هي إلمامة تلمّون بها أشبه بالزائر يطرق مكاناً ثم يرحل عنه، وهكذا أنتم في هذه القبور الّتي ستضمّكم يوماً انها زورة ثم تحوّلون عنها إلى الدار الآخرة، إنها منزل على الطريق إلى البعث و الحساب والجزاء.

ان تسئل: ان الزائر هو الّذي يجيىء ساعة ثم ينصرف، والميّت يبقى في قبره مدّة مديدة؟

تجيب عنه: انّ مدّة اللبث في القبر بالنسبة إلى الأبد أقلّ من لحظة كما قال الله تعالى: «كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم»

ان تسئل: انّ قوله عزّ وجلّ: «زرتم» صيغة ماض، فكيف تحمل على المستقبل؟

تجيب عنه: انّ المشرف على الموت كأنّه على شفير القبر أو خبر عمّن تقدّمهم، والخبر عنهم كالخبر عن متأخّريهم لأنّهم كانوا على طريقتهم.

٤ـ عن أبي مسلم: انّ الله تعالى يتكلّم بهذه السورة يوم القيامة تعييراً للكفّار وهم في ذلك الوقت قد تقدّمت منهم زيارة القبور ولذلك جائت بصيغة

الماضي: «زرتم».

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسرين من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الاخر فتأمل جيّداً.

٣- (كلا سوف تعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن الفرّاء: أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر والتباهي بمتاع الدنيا وشهواتها، والتمام على هذا: «كلا سوف تعلمون» أي عاقبة ذلك وتبعتها، فاز دجروا عن مثل هذا العمل الّذي لا تكون عاقبته إلّا القطيعة والهجران و الضغينة والأحقاد و الجئوا إلى التناصر على الحق والتكاتف على اعمال البرّ و التضافر على ما فيه حياة الأفراد و الجماعات، من تقويم الأخلاق وتطهير الأعراق، و إنكم سوف تعلمون عاقبة ما أنتم فيه من التكاثر إذا استمرّ بكم هذا التفاخر بالباطل بدون عمل صحيح نافع لكم في العقبى.

٢- عن إبن عبّاس: أي إرتدعوا عن التكاثر سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبر. ٣- قيل: أي كلا سوف تعلمون عند المعاينة أنّ ما دعوتكم إليه حق. ٤- قيل: أي كلاسوف تعلمون إذا نزل بكم الموت وجائتكم رسلي لنزع أرواحكم. ٥- قيل: أي كلّا سوف تعلمون عند النشور أنّكم مبعوثون. ٦- قيل: أي كلّا سوف تعلمون إذا رأيتم دار الأبرار.

٧- قيل: أي ليس هذا هو الموقف السليم الّذي ينبغي أن يقفه الانسان في الحياة، وليس هو الطريق القويم الّذي يحق له أن يسلكه، فانّ جمع المال للتلهّي به، وإشباع شهوات النفس منه، وإرضاء غرورها بالتعالي والتشامخ على الناس لا لكسب محمدة أوقضاء حق لله تعالى أوللناس - هو ضلال و وبال... وستعلمون حقيقة هذا لو أنّكم نظرتم نظراً عاقلاً مستبصراً.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر.

٤ ـ (ثم كلا سوف تعلمون)

في الآية الكريمة أقوال : ١ـ عن مجاهد والحسن ومقاتل: هذا وعيد بعد وعيد في مقام الزجر والتوبيخ كما يقول السيد لعبده : أقول لك : لا تفعل ، ثم أقول لك : لاتفعل . والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثر كم إذا نزل بكم الموت . ٢ ـ عن الفرّاء : انّ الجملة تأكيد للردع والتهديد السابقين ، و انّ حرف التراخي : « ثم » للدلالة على أنّ الثاني أبلغ من الأوّل . و قد تكرّر للتغليظ و ذلك انّ العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرّروا الكلمة مرّتين ، و قد تؤكّد بكلّا و حقاً .

٣ ـ قيل : أي سوف تعلمون في الآخرة إذا حلّ بكم العذاب ، فالأوّل في القبر والثاني في الآخرة ، فالتكرار للحالتين والزمانين . ٤ ـ قيل : أي كلا سوف تعلمون عند البعث والحشر انّ ما وعدتكم به صدق . ٥ ـ قيل : أي كلا سوف تعلمون إذا دخلتم قبور كم وجائكم منكر و نكير و حاط بكم هوالسؤال و انقطع منكم الجواب . ٦ ـ قيل : أي ثمّ كلّا سوف تعلمون في القيامة انكم معذّبون .

٧ ـ قيل: أي ثمّ كلّا سوف تعلمون إذا رأيتم دارالفجّار . ٨ ـ قيل: أي كلّا إنّكم لم تحسنوا النظر و لم تمعنوا الفكر فمازال علمكم بما أنتم عليه من ضلال علماً لا يحرّك شعوراً و لا يثير خاطراً و لا ينزع بكم إلى أخذ إتجاه غير إتجاهكم ، فاعيدوا النظر وجدّدوا البحث في حالكم تلك وسوف تعلمون .

٩ ـ عن الضحّاك انّه قال : أراد « سوف تعلمون » أيّها الكفار « ثم كلّا سوف تعلمون » أيّها المؤمنون، فالأوّل وعيد والثاني وعد . ١٠ـ قيل: إنّ كلّ واحد يعلم قبح الكذب والظلم و حسن الصدق والعدل ، ولكن لا يعرف مقدار آثارها ونتائجها ، فالله تعالى يقول : « سوف تعلمون » علماً تفصيلياً إستدراجياً شيئاً فشيئاً عندالموت ثم عند البعث ثم في النار أو في الجنّة فعلم الثاني أرقى من

الأوّل ، فهناك علمان متتابعان يفوت بعضهما بعضاً بعـد الجهل المتمادي العامد يوم الدنيا .

١١- قيل: أي كلا سوف تعلمون عند سكرات الموت وهو بداية العلم ، ثم كلاسوف تعلمون عندالقبر . ١٢-قيل: اريد بالأوّل علمهم بها عندالموت وبالثاني علمهم بها عندالبعث والحساب على طريقي الاجمال والتفصيل .

أقول: وعلى الثالث جمهورالمفسّرين .

٥ - (كلا لو تعلمون علم اليقين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: هذا زجر وتنبيه لأنّه عقّب كل واحد بشيء آخر كأنّه قال : لا تفعلوا ذلك فانكم تندمون ، لا تفعلـوا هكذا فانكم تستوجبون الخزي والعقاب .

فمعنى الآية : إرتدعوا أيّها الكفار والمفسدون عن تغريـركم بأنفسكم ، فإنّكم لو تعلمون عاقبة أمركم لشغلكم ذلك عن التكاثر وصرفكم إلى صالح الأعمال، وإنّ ماتدعونه علماً ليس في الحقيقة بعلم، وإنّما هو ظنّ ووهم لايلبث أن يتغيّر فانّه لايطابق الواقع ، وما ينبغي أن يسمّى علماً هو علم اليقين المطابق للواقع بناء على الحسّ والعيان ، أو الدليل القاطع الذي يؤيّده العقل أو النقل الصحيح عن المعصوم عليه السلام .

و قد ذكرالله تعالى هذا زيادة في زجرهم لتغريرهم بأنفسهم ، إذ جرت عادة الغافلين أنهم إذا ذكّروا بعواقب أحوالهم أن يقولوا : إنهم يعلمون وخامة عواقب أمرهم ، وأنهم في منتهى يقظة وسداد فكرة .

٢ - عن قتادة : اليقين هيهنا : الموت كقوله تعالى : « و اعبد ربك حتّى يأتيك اليقين » فانّ الشك عندئذ يزول ، والأحوال إلى اليقين تؤول والإنسان إذا علم ما يلقاه حين الموت وبعده لم يلهه التكاثر . فالمعنى : لو تعلمون علماً يقينياً بالموت لما شغلكم التكاثر عما بعدالموت من الحساب والجزاء .

٣ ـ عن قتادة أيضاً : اليقين هيهنا : البعث لأنّه إذا جاء البعث زال الشك أي لو تعلمون علم البعث ، على أنّ جواب «لو» محذوف أي لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه إذا جائتكم نفخة الصّور و انشقت اللحود عن جثثكم كيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا . ٤ ـ قيل : أي لو تطايرت الصحف فشقي وسعيد . ٥ ـ عن إبن أبي حاتم أنّه قال: إنّ « كلا» في هذه المواضع الثلاثة بمعنى « ألا » .

٦ ـ عن الفرّاء : أنّه قال : إنّ « كلّا» بمعنى « حقّاً » ، والمعنى : حقّاً لو تعلمون علماً يقيناً عاقبة التفاخر والتكاثر لما اشتغلتم به . ٧ ـ قيل : إنّ هذا كلام آخر فقال : لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالعزّ والكثرة ، وعلم اليقين هو العلم الّذي يثلج به الصّدر بعد إضطراب الشك فيه ، ولهذا لايوصف الله سبحانه بأنّه متيقن . ٨ ـ قيل : هذا تنبيه و تبصير لهم ، فانّهم سوف يعلمون علماً يقينياً بأنّهم مخطئون فيما كانوا عليه من التكاثر والتباهي بالأموال والأولاد والعدّة والعدّة .

٩ ـ قيل : أي كلّا ان هذا العلم الجديد الّذي علمتموه لايعدّ علماً، فما زلتم في شك من البعث، وفي ريب من الحساب والجزاء ولو كان علمكم الجديد علماً عن يقين لتغيّر حالكم ، ولما كان هذا موقفكم في الحياة الدنيا ، حيث انّ علم اليقين هو العلم الّذي يطمئن الإنسان ويخرجه عن تزلزل العقيدة وشكوكها ، وهو اولى مراتب اليقين ، ثم عين اليقين ، ثم حق اليقين ، و انّ اليقين في الأصل هو : سكون النفس مع ثبات الحكم وهو خلاف الظّنّ ، فلو أنّ المتكاثرين الملتهين علموا الحقيقة علم اليقين لكانوا يرون الجحيم في علمهم رؤية علمية دون إرتياب دون رؤية عينية، فكانوا إذ ذاك يرونهم في الجحيم ويرون آمالهم وأعمالهم وأموالهم وأصحاب القبور الّذين تكاثروا وتفاخروا بهم كانوا يرونهم كلهم في الجحيم ; هذا لو كانت الرؤية صادقة بما علموا ولم يعملوا ، ولو علموا علم اليقين وعملوا لكانوا يرون أنفسهم

في الجنّة و يرون من تفاخروا بهم في الجحيم . « لو تعلمون » محال أن تعلموا : إستحالة بالإختيار دون تسيير و إجبار و إذ لم تعلموا في الحياة الدنيا فسوف تعلمون بعده .

١٠ ـ عن الأخفش : أي لو تعلمون الأمر علم اليقين بالبعث والحساب والجزاء لما ألهاكم التكاثر ، ولشغلكم ماتعلمون عن التباهي والتفاخر بالكثرة . ١١ ـ عن قتادة أيضاً وأبي مسلم : أي لو علمتم ما يجب عليكم وما خلقتم لأجله لاشتغلتم به ، فماهكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر لو تعلمون علماً يقينياً أنّ الله جلّ وعلا يبعثكم يوم القيامة من بعد موتكم من قبوركم لما ألهاكم التكاثر عن طاعة ربكم ولسارعتم إلى عبادته والانتهاء إلى أمره و نهيه و رفض الدنيا إشفاقاً على أنفسكم من عقوبته .

قال بعض المحققين من المفسّرين : إنّ في الآية الكريمة بعثاً للعلماء على أن يعملوا بعلمهم ، وإلّا لم يكن بعد فوات إبان العمل سوى الحسرة والندامة .

و يروى : أنّ ذا القرنين لمّا دخل الظلمات أمر لمن معه بأن يأخذوا من الخرز الّذي كانت عنده فأخذ بعضهم و ترك بعضهم ، فلمّا خرجوا من الظلمات وجدوا الخرز جواهر وكان للآخذين فرحاً و سروراً وللتاركين غمّاً وحسرة .

١٢ ـ قيل : أي نعم لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين كعلمكم ما هو يقين عندكم لفعلتم ما لا يوصف ولكنّكم ضلال جهلة . ١٣ـ قيل : أي لو تعلمون علم اليقين مصير الطغاة والمتفاخرين لارتدعتم عن الفخر والتباهي . ١٤ـ قيل : إنّ الآية الكريمة ليست إلّا بصدد نفي العلم عن المتلاهين الغافلين توبيخاً عليهم بذلك بأنّهم لو اجتنبوا عن التباهي والتكاثر والتفاخر الّتي تتبعها الغفلة ، وكانوا عالمين حق العلم بعدم الإنتفاع بذلك حين الموت والبعث والحساب والجزاء ، وكانوا عالمين علماً يقينياً بتبعة الغفلة عندها أيضاً لترون في الحياة الدنيا بعين قلبهم الجحيم فلا يكفرون ، ولا يعصون الله عزّ وجلّ ولا يغفلون عن الحق . ١٥ـ

قيل: أي كلا لوتعلمون علم اليقين بالمعاينة لترون الجحيم بالعيان .

أقول: والأخير هوالمؤيد بالروايات الآتية .

٦ـ (لترون الجحيم)

في الآيةالكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي لترون الجحيم حين الموت . ٢ـ قيل: أي لترونها ليلة القبر . ٣ ـ قيل : أي لترونها عند البعث . ٤ ـ عن مقاتل : أي اقسم بعزّتي و جلالي انّكم أيّها الكفّار لترون الجحيم الّتي هي جزاء هذا التلهّي في الآخرة ، و ذلك حين تبرزالجحيم يوم القيامة قبل دخولهم فيها . ٥ ـ قيل : أي لترون الجحيم أيّها النّاس فالخطاب عام كقوله عزّوجلّ : « و إن منكم إلّا واردها » مريم: ٧١) فالجحيم للكفّار دار مقرّ وللمؤمنين دار ممرّ .

٦ ـ قيل : أي تحشرون إليها فترونها . و هذا بناء على قراءة إبن عامر «لترون» بضمّ التاء من أريتهالشيء . ٧ ـ قيل: أي لترونّ الجحيم بأبصاركم على البعد قبل دخولكم فيها . ٨ ـ قيل: أي لترونّ الجحيم عند ورودها .

٩ـ قيل : أي فلو كنتم تعلمون علم اليقين وأنتم في هذه الدنيا ولعلمتمأنّ العذاب هوجزاء أهل الضلال، وأنّ العاقل ليرى جهنم في الدنيا و كأنّها ماثلةبين عينيه فيتوقاها بالايمان بالله وصالح الأعمال، ويخاف مقام ربّه ويخشي لقاءهبما يجنيمن منكرات... فالمعنى : لترون الجحيم في علمكم رؤية علمية دونإرتياب. وهذا بناء على أنّ المراد رؤيتها قبل يومالقيامة رؤية البصيرة وهي رؤيةالقلب الّتي هي من آثاراليقين، وهذه الرؤية القلبيّة قبل يومالقيامة غيرمحققة لهؤلاء المتلهّين بل ممتنعة في حقهم لإمتناعاليقين عليهم .

أقول: و قد تقدّم منّا في كلمة « لو » في البحث البياني من هذه السورة فراجع .

١٠ـ قيل: أي انّ دارالعذاب الّتي اعدّت لمن يلهوعن الحق لاريب فيها ، ولترونّها بأعينكم ، فاجعلوا صورة عذابها حاضرة فيأذهانكم لتنبّهكم إلى ماهو

خير لكم مما تلهون به، فالمراد برؤية الجحيم ذوق عذابها.

أقول: وعلى الرابع اكثر المفسّرين وفي معناه بعض الاقوال الاخر فتأمل جيّداً.

٧- (ثم لترونها عين اليقين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي لتشاهدونها بالعيان قبل الدخول فيها وبعده من عند البعث إلى الخلود. ٢- قيل: أي ثم لترونّها رؤية هي اليقين نفسه وخالصته إلى أيّ دين أو أيّ شخص كانت نسبتكم فلتتقوا الله تعالى ولتنتهوا عمّا يقذف بكم فيها، و لتنظروا إلى ما أنتم فيه من نعمة ولترعوا حق الله عزّ و جلّ فيها، فاستعملوها فيما أمر أن تستعمل فيه، و لاتجترحوا السيئات و تقترفوا المنكرات، وانكم لتمنّون أنفسكم بأنكم ممّن يعفو الله عنكم ويزجر كم من النار بمجرّد نسبتكم إلى الدين الاسلامي، و تلقيبكم بألقابه مع مخالفتكم أحكام القرآن الكريم وعملكم عمل أعداء الإسلام.

٣- قيل: أي ثم لترون الجحيم بعد الدخول فيها عين اليقين: كما يقال: حقّ الحق ومحض اليقين، ومعناه: ثمّ لترونّها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعذّبتهم بها، ويقال لكم: ذوقوا عذاب النار الّذي كنتم به تكذّبون. ٤- قيل: هذا إخبار عن دوام مقام الكفار في النار أي هي رؤية متصلة.

٥- قيل: أي لو تعلمون اليوم في الحياة الدنيا علم اليقين فيما أمامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فانّ علم اليقين يريكم الجحيم بعين فؤاد كم وهو أن تتصوّروا لكم تارات القيامة وقطع مسافات، ثم لترونها عين اليقين أي عند المعاينة بعين الرأس فترونها يقيناً لا تغيب عنكم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال والعرض.

فالمعنى: لرأيتم الجحيم في الدنيا رؤية علمية يدلّكم عليها العقل فكأنّها ماثلة بين أعينكم ثم انكم بعد ذلك لترونّها عين اليقين أي رؤية بصرية واقعية حيث يشهدها كل من في المحشر ويراها رأي العين.

٦- قيل: تأكيد لما تقدّم، فعين اليقين هو علم اليقين المتقدم، ففي الكلام

تفنّن وتأكيد ، فالتثنية للتكرير والمراد تتابع الرؤية وإتصالها ، فكأنّه قيل لهم: إن كنتم اليوم شاكّين فيها فسترونها رؤية دائمة متصلة. ٧- قيل: انّ قوله تعالى: «لترون الجحيم» رؤيتها من بعيد وقوله تعالى : «لترونّها عين اليقين» رؤيتها من مكان قريب إذا وصلوا إلى شفيرها . ٨- قيل : الاولى عند الورود و الثانية بعد الدخول .

٩- قيل: إنّ قوله تعالى: «علم اليقين» متعلّق بالرؤيتين جميعاً . ١٠- قيل: إنّ قوله عزّ وجلّ : «علم اليقين» متعلّق بالرؤية الثانية فقط لأنّ علمهم بها و بأحوالها و آلامها يزداد شيئاً فشيأ حتّى يصير الخبر عيناً . ١١- قيل : أي إذ دخلتموها ووجدتم أنفسكم في يقين الجحيم نفسه فقد كان لكم أن تروها علم اليقين لكي تتحرزوا عنها فلا ترونها عين اليقين. ١٢- قيل: معنى «عين اليقين» على مثال قولهم هذا : عين الشيء أي حقيقته، وشاهد ذلك قوله تعالى : «وانّه لحق اليقين». ١٣- قيل : معنى : «عين اليقين» أي حاضر اليقين ، ومنه قولهم في المثل تطلب أثر آبعد عين أي غائباً بعد حاضر وعلى ذلك قول الأعشى:

و من لا يصدع له همة فيجعلها بعد عين ضماراً

والضمار: الغائب، والعين : الحاضر ومنه الحديث في زكاة الضمار أي الغائب والنسبة .

أقول: : والسابع من الأقوال هو المؤيّد بالرواية الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر.

٨- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

في «النعيم» أقوال : ١- عن إبن مسعود ومجاهد والحسن وسفيان : النعيم: الأمن والصحّة والعافية . ٢- عن إبن مسعود أيضاً وسعيد بن جبير وعكرمة : أي الصحّة والفراغ . ٣- عن الحسن أيضاً وإبن عباس : النعيم : هو القوى الخمس والإدراك بها من حواس السمع والبصر والشمّ والذوق و اللمس لقوله تعالى :

«ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً» الاسراء: ٣٦) وفي الحديث عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟» فالنعيم هو: الإنتفاع بالحواس السليمة، و النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار ... فيسئل الله تعالى عباده! فيم إستعملوا وهو جل وعلا أعلم بذلك منهم.

٤- قيل: النعيم هو: كل ما أنعم الله تعالى على الإنسان مما فيه كماله الروحي ونموه الجسمي من الايمان والتقوى و القوى الباطنية والظاهرية من المتصلة و المنفصلة... ٥- عن إبن عباس أيضاً وجابر بن عبدالله الأنصاري: النعيم: ملاذ الماكول والمشروب. وعن سعيد بن جبير: ان الله سائل عن النعيم في المأكل والمشرب وغيرها من الملاذ. ٦- عن الحسن أيضاً: النعيم هو الغذاء والعشاء وقال: لا يسئل عن النعيم إلا أهل النار، وقيل: النعيم: دوام الغذاء والعشاء.

٧- قيل: إن هذا السئوال عن كل نعمة إنما يكون في حق الكفار، و عن مقاتل: يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه إذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره وأشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر. ٨- عن مكحول الشامي: النعيم خمس: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، ولذة النوم، واعتدال الخلق. وعن مجاهد أيضاً: النعيم كلما يلتذ به الإنسان من لذائذ الدنيا من مطعم ومشرب ومنكح ومسكن وملبس و ما إليها ومنها الجاه لامحالة.

وقال الماوردي: هذا السئوال يعم الكافر والمؤمن إلا أن سئوال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا و نعيم الآخرة، وسئوال الكافر تقريع أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية. و قال القشيري: و الجمع بين الأخبار: أن الكل يسئلون، ولكن سئوال الكفار سئوال توبيخ لأنه قد ترك الشكر وسئوال المؤمن سئوال تشريف لأنه شكر. وقيل: يكون الغرض من السئوال التقريع حتى يظهر لهم أن

الّذي ظنّوه سبباً للسعادة هوأعظم أسباب الشقاءِ لهم .

و هذا النعيم في كل نعمة ، على أنّ لفظ « النعيم » يعمّ ، والمعنى : ثم لتسئلنّ يا معاشر المكلفين عن النعيم . و قال قتادة : انّ الله تعالى سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه ، وعنه أيضاً : انّ الله جلّ وعزّ سائل كلّ عبد عمّا استودعه من نعمه وحقّه .

٩ـ عن مالك بن أنس : النعيم هو: صحّة البدن وطيب النفس . ١٠ـقيل: النعيم هو: النوم مع الأمن و العافية . ١١ـ عن سفيان بن عينية : النعيم : ما سدّ الجوع و ستر العورة من خشن الطعام واللباس ، لايسئل عنه المرء يوم القيامة ، و إنّما يسئل عن النعيم ، وقال: والدليل عليه انّ الله تعالى اسكن آدم الجنّةفقال به : «إنّ لك ألّاتجوع ولاتعرى وانك لاتظمأ فيها ولا تضحى» فكانت هذه الأشياء الأربعة : ما يسدّ به الجوع وما يدفع بهالعطش، ويستكنّ فيه من الحرّ ويستر به عورته لآدم عليه السلام بالإطلاق لاحساب عليه فيهالأنّه لابدّ له منها . وقال القشيري: إنّ ممّا لايسئل عنه العبد لباساً يواري سوآتهو طعاماً يقيم صلبه ومكاناً يكنّه من الحرّ و البرد .

١٢ـ عن محمّدبن كعب : النعيمهو: ماأنعمالله علينا بمحمد صلى الله عليه وآله لقولهتعالى: «لقد منّ الله علىالمؤمنين إذ بعث فيهمرسولاً من أنفسهم». ١٣ـ عن الحسن أيضاًو المفضّل و الحسين بن الفضل : النعيم هو: تخفيف الشرائع وتيسيرالقرآن الكريم وولاية عليّ بن أبيطالب عليه السلام لقوله تعالى : «وما جعل عليكم في الدين منحرج» وقال: «ولقد يسّرنا القرآن للذكرفهل من مدّكر» وقال : « اليوم أكملتلكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً » و كلّ هذه نعم فيسئل العبد عنها هل شكر ذلك أم كفر .

١٤ ـ عن إبنعمر: النعيم : الماء البارد . ١٥ ـ قيل: الظاهر من «النعيم» هو العموم لأجل لام الجنس إلّا أن سئوال الكافر للتوبيخ لأنّه عصى و كفر ،

و سئوال المؤمن للتشريف فانّه أطاع و شكر ، والظاهر : انّ هذا السئوال في الموقف وهومتقدّم على مشاهدة جهنّم ومعنى «ثم» الترتيب في الإخبار لا الترتيب في الحدوث والوقوع والمعنى: ثم أخبر كم انكم تسئلون يوم القيامة عن النعيم.

وقيل: هذا السئوال هوفي النار توبيخاً لهم لقوله تعالى: «كلّما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير» وقوله جلّ وعلا: «ماسلككم في سقر» وقيل: أي ثم إذترون الجحيم في المحشر تحاسبون على ما أنعم الله تعالى به عليكم من نعم وأجلّها العقل والرسول والدّين فمن رعى هذه النعم وأدّى واجب الشكر عليها نجى من الجحيم ونزل منازل المؤمنين في الجنّة، ومن كفر بهذه النعم حرم نعيم الجنّة و القى به في عذاب الجحيم.

١٦ـ قيل: أي تسئلون عن الأموال الّتي كنتم بها تفاخرون وتباهون: من أين إكتسبتموها؟ من كدّ اليمين أو السلب والنهب؟ وتسئلون في أيّ شيء أنفقتموها في حلال أو حرام؟ ثم تعرضون على الجنّة ويقال لكم : انظروا جيّداً هل هذا هو الغنى و النعيم أم أموالكم في الحياة الدنيا ، ثمّ تقادون إلى عذاب الحريق لتزدادوا ألماً على ألم . فالمعنى : انّ هذا النعيم الّذي تتفاخرون به تعدّونه مما يباهي به بعضكم بعضاً ستسئلون عنه : ماذا صنعتم به ؟ هل أدّيتم حق الله فيه ، وراعيتم حدود أحكامه في التمتّع به ؟ فان لم تفعلوا ذلك كانّ هذا النعيم غاية الشقاء في دار البقاء.

١٧ـ قيل: النعيم : ما تجاهلتموه حتّى و ردتم موردكم في الجحيم فترك النعيم جحيم أينما كان ولا سيّما النعيم الّذي يهمّ الإنسان في شريعة الله انّه النعيم الّذي أخلدكم التحلل و التغافل عنه في التكاثر : من نعيم العقل الّذي عقلتموه وحبستموه في اسر الشهوات، ونعيم الحياة الّتي أخلدتموها في الحيوانات: «أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا و استمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق و بما كنتم تفسقون» ومن نعيم النبيين:

فنعمة الرسالة هي أهمّ النعم التي يسئل عنها : «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك أنت علاّم الغيوب» فهذه الثلاث هي اصول النعم الروحانية التي يسئل عنها .

١٨ـ قيل: اريد بهذا السئوال سئوال عن الشكر لأن كلّ امرىء مكلّف باستعمال مواهبه التي وهبها الله تعالى له، فالمراد بالنعيم مطلقة و هو كلّ ما يصدق عليه أنه نعمة ، فالإنسان مسئول عن كل نعمة أنعم الله بها عليه ، و ذلك أنّ النعمة ـ وهي الأمر الذي يلائم المنعم عليه، ويتضمّن له نوعاً من الخير والنفع ـ إنّما تكون نعمة بالنسبة إلى المنعم عليه إذا استعملها بحيث يسعد بها ، فينتفع وأمّالو استعملها على خلاف ذلك كانت نقمة بالنسبة إليه وإن كانت نعمة بالنظر إلى نفسها، وقد خلق الله عزّ وجلّ الإنسان وجعل غاية خلقته التي هي سعادته ومنتهى منتهى كماله التقرّب العبودي إليه كما قال : « و ما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون» الذاريات : ٥٦) و هي الولاية الالهيّة لعبده و قد هيّأ الله سبحانه له كل ما يسعد وينتفع به في سلوكه نحو الغاية التي خلق لها ، وهي النعم فأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

فاستعمال هذه النعم على نحو يرتضيه الله جلّ وعلا وينتهي بالانسان إلى غايته المطلوبة هو الطريق إلى بلوغ الغاية و هو الطاعة ، و إستعمالها بالجمود عليها و نسيان ما وراءها غيّ و ضلال و إنقطاع عن الغاية و هو المعصية ، و قدقضى سبحانه قضاء لايردّ ولا يبدّل أن يرجع الانسان إليه فيسئله عن عمله، فيحاسبه و يجزيه و عمله هو إستعماله للنعم الالهيّة ، قال الله تعالى : «و أن ليس للانسان إلاّ ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثمّ يجزاه الجزاء الأوفى و أن إلى ربك المنتهى » النجم : ٤٢) فالسئوال عن عمل العبد سئوال عن النعيم كيف إستعمله أشكر النعمة أم كفر بها ؟

١٩ـ قيل : النعيم هو : خبز البرّ والماء العذب . ٢٠ـ قيل : النعيم هو

الرطب. ٢١- قيل: النعيم هو: النورة في الحمّام. و في كتاب إعراب ثلاثين سورة لإبن خالويه ما لفظه: « و قيل: عن النورة في الحمام - أي يسئل عنها - و ذلك انّ عمر بن الخطاب كان رجلاً أهلب فقيل: يا أمير المؤمنين لو تنوّرت! فقال: إنه من النعيم».

أقول: و الثاني عشر و الثالث عشر هما المؤيّدان بظاهر السياق، و بالترتيب النزولي والمصحفي من طرفي هذه السورة، و بالروايات الواردة في المقام من غير تناف بينهما و بين السئوال عن نعيميّة سائر النعم، و ذلك انّ تلك النعم الالهية التي أنعمها الله عزّ وجلّ على عباده لو سئل عن شيء منها فلا يسئل عنها بما أنّها صحّة أو أمن، أو عافية أو فراغ، أو إدراك بحواس خمس أو أنها مال أو ولد أو جاه أو علم أو إشتهار أو أنّها لحم أو خبز أو رطب أو ماء بارد و ما إليها من النعم التي فيها كمال الانسان الروحي و نموّه الجسمي من الدين و الولاية لأهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجمعين و من القوى الباطنة و الظاهرة متصلها ومنفصلها... و إنّما يسئل عنها بما أنّها نعمة خلقها الله جلّ وعلا للانسان: « ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات و ما في الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة » لقمان: ٢٠) و أوقعها في طريق كمال الإنسان و الحصول على التقرّب العبودي: « و ما خلقت الجن و الإنس إلّا ليعبدون » الذاريات: ٥٦) و دعاه إلى أن يستعملها شكراً لا كفراً: « و لا يرضى لعباده الكفر وإن تشكر وا يرضه لكم» الزمر: ٧٠).

فالمسئول عنها هي النعمة بما أنها نعمة إلهيّة أنعمها الله عزّ وجل على عباده لكمالهم لا لإنحطاطهم، لصلاحهم لا لفسادهم، لفلاحهم لا لخسرانهم، لسعادتهم لا لشقاءهم، و لنيلهم بها إلى العزّة لا الذلّة... و من المعلوم أن الدال على نعيميّة النعيم و كيفيّة إستعماله شكراً، و المبيّن لذلك كلّه هو الدّين الّذي جاء به محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم و نصب لبيانه الأئمّة من أهل بيته المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين ، فمرجع السؤال عن النعيم هو السؤال عن العمل بالدين في كلّ حركة وسكون ، و من المعلوم أيضاً أنّ السؤال عن النعيم الّذي هو الدين سؤال عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من بعده الذين إفترض الله عزّ وجل طاعتهم،وأوجب إتباعهم في السلوك إلى الله تعالى الّذي طريقه إستعمال النعم كما بيّنه النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ، و إلى كون السؤال عن النعيم سؤالاً عن الدين يشير ما في رواية أبي خالد الكابلي من قول الإمام الخامس باقر العلوم محمدبن عليّ عليه السلام: «إنّما يسئلكم عما أنتم عليه من الحق».

وإلى كونه سؤالاً عن النعيم الّذي هو النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله و أهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين يشير ما في رواية أبي حمزة من قول الإمام السادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام: «و لكن يسئلكم عمّا أنعم به عليكم بمحمّد و بآل محمد عليهم السلام» وما في رواية الحسكاني الحنفي عن جعفر بن محمد عليه السلام: «نحن النعيم» و ما في رواية أبي حفص الصائغ من قول عبدالله بن الحسن: «يعنى ولايتنا والله باحفص » و في رواية العيّاشي عن ابى عبدالله عليه السلام : « النعيم ولايتنا أهل البيت...» و في رواية جميل عن الإمام الصادق عليه السلام: «تسئل هذه الامّة عما أنعم الله عليهم برسول الله ثم بأهل بيته» و في رواية الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : «ولكن النعيم حبّنا أهل البيت» وفي رواية الكلبي عن الصّادق عليه السلام: «النعيم نحن الّذي أنقذ الناس بنا عن الضلالة » و في بعض الرواية: «النعيم هو رسول الله صلى الله عليه وآله أنعم الله به على أهل العالم فاستنقذهم من الضلالة» وغيرها من الروايات الواردة سيأتي ذكرها في البحث الروائي فانتظر والمآل واحد و من ولاية أهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم أجمعين إفتراض طاعتهم و إتباعهم فيما يسلكونه من طريق العبودية.

﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (ألهاكم التكاثر)

شغلكم أيّها الكفار والمفسدون التكاثر في الأموال و تبذيرها على الفساد والمظاهر الفارغة عمّا يهمّكم من الايمان وطاعة ربكم ، فقطعتم حياتكم في جمع المال و كنزه ، شغلكم أيّها الفجّار والمجرمون التفاخر بكثرة الأعوان والأنصار والتباهي بمتاع الدنيا و زخارفها و زينتها و شهواتها ، والتسابق في تكثير العدّة والعدّة عن التدبّر في أمر آخرتكم ، وعن الجدّ في صالح الأعمال فكنتم في لهو بالقول عن الفعل ، وفي غرور وإعجاب بالآباء والأعضاد . . .

وصرفكم أيّها الفسّاق والمستكبرون المغالبة في تحصيل الجاه والمقام والرئاسة والسلطان عن الحق والسعادة ، عن الخير والعزّة ، عن الصلاح والفلاح ، وعن توجيه قواكم إلى العمل بما فرض عليكم لأنفسكم و أهليكم ، فلا تلتفتون إلى ما يجمّل العقل ، ويغذّي الروح ويكمل النفس من الدين والطاعة والبرّ وما ينجيكم من سخط ربكم عليكم ، مضيعين أعمالكم و سعيكم و حياتكم في طلب الدنيا وعوارضها الزائلة الفانية ، تاركين ماهو أهمّ وهو السعي للآخرة ، فعمتكم الغفلة عن تبعة ذلك من النار والعذاب ، وأحاطكم الجهل والشك فيما وراء ذلك مدى حياتكم إذ مازال ذلك ديدنكم و دأبكم الذي سرتم عليه .

والأمر مستمرّ على كلّ من سلك هذا ، وليس المراد من التكاثر الأكثرية في ذلك على الكلّ ، بل كلّ من زاد له من ذلك على من لم ينل بذلك أصلاً

أو قدراً و إن كان هو أقل في ذلك من غيره . فيا أيها الانسان لا تغرنك كثرة من ترى حولك من الأموال والأولاد والأعوان والأنصار . . . فانك تموت وحدك ، وتكون في القبر وحدك ، وتبعث وحدك وتحاسب وحدك .

قال الله عز وجل : « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو و زينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ـ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » الحديد : ١٩) .

و قال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و يقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ـ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة و أكثر أموالاً و أولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم و خضتم كالذين خاضوا اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة و اولئك هم الخاسرون » التوبة : ٦٧ـ٦٩) .

وقال: « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جائتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده و كفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون » غافر : ٨٢ ـ ٨٥) .

وقال: « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ـ و زين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء و كنتم قوماً بوراً » الفتح : ١١ـ١٢) .

و قال : « الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً و غرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » الأعراف : ٥١) .

و قال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون » الروم : ٧) .

وقال: « إقترب للنّاس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلّا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ـ و اقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا ياويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين » الأنبياء : ١ـ٩٧) .

ولايخفى على القاريء الخبير أنّ التكاثر مطلقاً ليس بمذموم لأنّ التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة و إكتساب الحلال و صالح الأعمال ليس بمذموم إذا كان المراد أن يقتدى به غيره و أن يحسن إلى الناس كما أحسن الله تعالى .

قال الله عزّ وجلّ : « ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض » القصص: ٧٧) .

وقال: « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا واشربوا ولاتسرفوا إنّه لايحبّ المسرفين قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق » الأعراف : ٣١ـ٣٢) .

وقال: « وأمّا بنعمة ربّك فحدّث » الضحى: ١١) .

وإنّما المذموم مايكون الباعث عليه الإستكبار والإفساد في الأرض والإستبداد والتباهي والإستغلال والإستثمار وحبّ الجاه والمقام بغير حق ، والغلبة والتفاخر بما لاسعادة حقيقية فيه ، وليست السعادة الحقيقية إلّا فيما يرجع إلى العلم والعمل أو إلى ما يعين عليهما من الامور الخارجية .

فالمؤمن حقّاً لاتلهيه الأموال والأولاد ومتاع الدنيا عن ذكر الله جلّ وعلا وعن الطاعة والدار الآخرة . . .

قال الله تعالى : « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة

و ايتاءِ الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار » النور: ٣٧) أي لا يشغلهم عن ذكر الله تعالى شيء من امور الدنيا

وقال: « يا أيها الّذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » المنافقون: ٩) أي لا يكن إهتمامكم بأموالكم و أولادكم سبباً في إنصرافكم عن القرآن الكريم وتعاليمه . . .

٢ ـ (حتى زرتم المقابر)

شغلكم التباهي بتلك الامور عن الحقائق ، فغرّتكم الأماني وعرض الحياة الدنيا ، فأضعتم أعماركم فيما لا يجدي فائدة ، ولا يعود عليكم بعائدة في حياتكم الباقية الخالدة ، فنسيتم الله عزّ وجلّ ولقاء الآخرة ، و كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا حتّى كنتم تضمّون موتاكم في التكاثر بأحياكم عند إستيعابهم ، و كنتم ذاهبين إلى أهل القبور فتكاثرون بأهلها ، و دمتم على ذلك حتّى أتاكم الموت و صرتم منضمّين بهم فيها و أنتم كافرون .

قال الله تعالى: « ولكنّكم فتنتم أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتّى جاء أمر الله » الحديد : ١٤) .

وقال : « وأمّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم و ماتوا و هم كافرون » التوبة : ١٢٥) .

وقال : « وغرّتهم الحياة الدنيا و شهدوا على أنفسهم انّهم كانوا كافرين » الأنعام : ١٣٠) .

و قال : « حتّى إذا جائتهم رسلنا يتوفّونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين » الأعراف: ٣٧) .

٣ ـ (كلا سوف تعلمون)

إرتدعوا أيّها الكفّار والمجرمون عن التكاثر في الأموال والأولاد ، وعن المغالبة في تحصيل الجاه والمقام ، وازدجروا أيّها الفجّار والمستكبرون عن التفاخر

بالعدّة والعدّة، والتباهي بالأحياء والأموات والعظام البالية... سوف تعلمون خطأ رأيكم وإنحراف سبيلكم إذا انقطعتم عن الحياة الدنيا، إذ يرتفع الحجاب وغشاوة الجهل المعمّد بالإنخلاع عن ستار الدنيا وحياتها، سوف تعلمون تبعاتها إذا زرتم المقابر، و سوف تعلمون ما يحلّ بكم من العذاب عند دخولكم في القبر و ليلته إجمالاً.

قال الله عزّ وجلّ: «حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا انها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

وقال: «فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتّى إذا جائتهم رسلنا يتوفّونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين» الأعراف: ٣٧).

وقال: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون» الأنعام: ٩٣).

٤ - (ثم كلا سوف تعلمون)

ليس الأمر على ما تعرفون عند الموت و دخول القبر بالاجمال من عدم نفع التلهّي والتكاثر، وما تشاهدون من تبعاتهما، وإنّما تفصيل ذلك ماسوف تعرفون وتشاهدون بالعيان يوم البعث والحساب والجزاء من سوء عاقبة تفاخركم وتباهيكم وتكاثركم...

قال الله عزّ وجلّ: «قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتّى إذا جائتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرّطنا فيها وهم يحملون أو زارهم ألا ساء ما يزرون» الأنعام: ٣١).

وقال: «وإذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدّمت وأخّرت يا أيّها الإنسان

ما غرّك بربّك الكريم » الإنفطار : ٤ ـ ٦) .

و قال : « و إذا الصّحف نشرت ـ علمت نفس ما أحضرت » التكوير : ١٠ ـ ١٤)

وقال: «يوم تجد كل نفس ماعملت من خيرمحضراًوماعملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران: ٣٠)

وقال: «حتّى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب و إما الساعة فسيعلمون من هوشرّ مكاناً و أضعف جنداً» مريم: ٧٥)

وقال: «فقالوا أبشراً منّا واحداً نتّبعه إنّا إذاً لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر سيعلمون غداً من الكذّاب الأشر» القمر : ٢٤ ـ ٢٦)

وقال: «حتّى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً» الجنّ : ٢٤)

وقال: «قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنّى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدارانّه لايفلح الظالمون» الأنعام: ١٣٥)

وقال: «وسيعلم الكفارلمن عقبى الدار» الرعد : ٤٢)

وقال: «قل كل متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السويّ و من اهتدى» طه : ١٣٥)

وقال: «فستعلمون من هو في ضلال مبين» الملك: ٢٩)

وقال : «ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون» الحجر:٣)

وقال: «يوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جائني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ـ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٢٧ ـ ٤٢)

وقال: «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» الشعراء: ٢٢٧)

٥- (كلالو تعلمون علم اليقين)

لاينتهي علمكم أيها الكفرة الفجرة، والفسقة والعاصية إلى الموقفين: القبر والبعث ولا يقصر فيهما، بل إنكم لوتعلمون يوم القيامة علم اليقين بمعاينة تبعات التكاثر في الأموال و الأولاد، بمعاينة وخامة عواقب المغالبة في النيل إلى الجاه و المقام والرئاسة، وبمعاينة عاقبة سوء التفاخر بالعدّة والعدّة والأعضاد والعظام البالية... إذ يكشف الغطاء يومئذ فبصر كم اليوم حديد.

قال الله تعالى: «ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون ـ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم و ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون» السجدة: ١٢ ـ ١٤)

وقال: «ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الأنعام: ٣٠)

وقال: «ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ـ و أمّا الّذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم و كنتم قوماً مجرمين وإذا قيل إنّ وعد الله حق و الساعة لاريب فيها قلتم ماندري ما الساعة إن نظنّ إلّا ظنّاً و ما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار و مالكم من ناصرين ذلكم بأنّكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرّتكم الحياة الدنيا» الجاثية: ٢٨ ـ ٣٥)

و قال: «و نفخ في الصّور ذلك يوم الوعيد و جاءت كلّ نفس معها سائق و شهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٠ ـ ٢٢)

٦- (لترون الجحيم)

لترون أيّها الكفار والمستكبرون، أيّها الفجّار والمجرمون، وأيّها الفسّاق

والمفسدون لترونّ الجحيم الموعودة بأعينكم يوم القيامة من مكان بعيد قبل دخولكم فيها لاتغيبون عنها .

قال الله تعالى : «فاذا جائت الطامّة الكبرى يومئذ يتذكّر الانسان ما سعى وبرّزت الجحيم لمن يرى» النازعات : ٣٤ ـ ٣٦)

و قال : « و أعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً و زفيراً ـ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلا» الفرقان : ١١ ـ ٤٢)

و قال: «وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أوينتصرون» الشعراء : ٩١ ـ ٩٣)

و قال : « و ترى الظالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذلّ ينظرون من طرف خفيّ » الشورى: ٤٤ ـ ٤٥)

٧ـ (ثم لترونها عين اليقين)

ثم لترونّ أيّها الطغاة و الفجرة الجحيم بعين اليقين ، من شفيرها إلى الخلود فيها ، وأيّ علم أعلى يقيناً من علم المشاهدة والعيان و ملامسة المرئيّ و ذوقه .

قال الله تعالى: «ولو ترى إذ وقفوا على النارفقالوا يا ليتنا نردّ ولانكذّب بآيات ربّنا و نكون من المؤمنين ـ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الأنعام: ٢٧ ـ ٣٠)

وقال: «ورأ المجرمون النارفظنّوا أنّهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً» الكهف: ٥٣)

والظنّ هيهنا بمعنى اليقين والقطع.

وقال: «فاطلع فرآه في سواء الجحيم» الصّافات: ٥٥)

وقال : «فامّا من طغى و آثر الحياة الدنيا فانّ الجحيم هي المأوى» النازعات ٣٧ ـ ٣٩)

٨ـ (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

ثم أنتم أيّها الكافرون الفجرة ، و المجرمون الفسقة ، و المفسدون الظلمة والمستكبرون الجابرة لتسئلنّ يوم القيامة عند دخولكم الجحيم و بعده عن الدين و من جاء كم به ومن نصبه عليكم من بعده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين إفترض الله جلّ وعلا طاعتهم ، وأوجب إتباعهم في السلوك إلى الله تعالى العباد.

قال الله تعالى: «هذا يوم الفصل الّذي كنتم به تكذّبون احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم انّهم مسئولون» الصافّات : ٢١ ـ ٢٤)

وقال: «فاستمسك بالّذي اوحي إليك إنّك على صراط مستقيم وانّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون » الزخرف : ٤٣ ـ ٤٤)

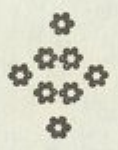
وقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ـ مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الّذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا» المائدة: ٣ ـ ٧)

و قال :«فلنسئلنّ الّذين ارسل إليهم» الاعراف : ٦)

و قـال : « كلّما القي فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلّا في ضلال كبير» الملك ٨ ـ ٩)

و قال : « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين و لم نك نطعم المسكين و كنّا نخوض مع الخائضين و كنّا نكذّب بيوم الدين حتّى أتانا اليقين» المدثر: ٤٢ـ٤٧)

مع أنّكم أيّها الكفرة و الفجرة و الفسقة تسئلن عن عقائد كم الباطلة، و أقوالكم المنكرة، و أعمالكم الفاسدة، وعما قضيتموه في حياة النعيم الّتي ألهتكم عن الدار الآخرة و التفكير فيها، واستغرقتم في النعيم، وجعلتم شهوات الحياة و نعيمها قصارى همّكم ومطلبكم، فتملك الشهوات عليكم تفكير كم، وتعمى بصيرتكم وتجعلكم لاتحسبون للعواقب حساباً و توهمكم بأنكم في أمن دائم و عيش رغيد لافناء و لازوال، ولتسئلنّ يوم رؤية الجحيم عن النعيم عن كل ما تلتذّون به في الحياة الدنيا من الصّحّة و الفراغ و الأمن و المطعم و المشرب و المسكن و ما إليها من النعيم ماذا عملتم فيه؟ من أين وصلتم إليه، وفيم أصبتموه ؟؟؟ قال الله تعالى: «فوربك لتسئلن أجمعين عما كانوا يعملون» الحجر: ٩٢ ـ ٩٣)



﴿ جملة المعانى ﴾

٦١٦٩ـ (ألهاكم التكاثر)

شغلكم أيّها الكفار والمجرمون التكاثر في الأموال والأولاد والتفاخر بالعدّة والعدّة، والتباهي بعرض الحياة الدنيا الزائلة والتسابق فيها عمّا يهمّكم من الطاعة وصالح الأعمال وذكر الآخرة، فعمتكم الغفلة، وأحاطكم الجهل والشك فيما وراء ذلك مدى حياتكم.

٦١٧٠ـ (حتى زرتم المقابر)

حتّى كنتم تضمّون موتاكم في التكاثر بأحياكم عند إستيعابهم، فتذهبون إلى أهل القبور فتكاثرون بأهلها، ودمتم على ذلك حتّى أتاكم الموت وصرتم منضمّين بهم فيها وأنتم كافرون.

٦١٧١ـ (كلا سوف تعلمون)

إرتدعوا أيّها الكفرة والفجرة عن التكاثر، سوف تعلمون خطأ رأيكم عند الإحتضار وكشف الغطاء ودخول القبر إجمالاً .

٦١٧٢ـ (ثم كلا سوف تعلمون)

ليس الأمر مقصوراً فيما عرفتم عند الموت والقبر إجمالاً ، بل سوف تعلمون تفصيل هذا الإجمال فتشاهدون تبعات التكاثر والتفاخر والتباهي حين البعث وموقف الحساب والجزاء بالحسّ والعيان .

٦١٧٣- (كلا لو تعلمون علم اليقين)

لا يقصر علمكم أيها الفسقة والظلمة في الاجمال والتفصيل المتقدمين، بل انكم لو تعلمون يوم القيامة علم اليقين بمعاينة تلك التبعات، و و خامة العواقب ...

٦١٧٤- (لترون الجحيم)

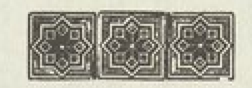
لترون أيّها الجبابرة والمستكبرون الجحيم الموعودة بأعينكم يوم القيامة من مكان بعيد قبل دخولكم فيها لاتغيبون عنها .

٦١٧٥- (ثم لترونها عين اليقين)

ثم لترون أيّها الطغاة الباغية الجحيم بعين اليقين من شفيرها إلى الخلود فيها ومن ذوق نارها و حرافتها .

٦١٧٦- (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)

ثم أنتم أيّها المفسدون والمستبدّون لتسئلن يوم القيامة عند دخولكم الجحيم وبعده عن الدين ومن جاء كم به وهو النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله و من نصبه عليكم من بعده من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿ بحث روائي ﴾

في نهج البلاغة: ومن كلام مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام قاله بعد تلاوته: «ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر» ياله مراماً ما أبعده! وزوراً ما أغفله: وخطراً ما أفظعه! لقد استخلوا منهم، أيّ مدّكر و تناوشوهم من مكان بعيد! أفبمصارع آبائهم يفخرون! أم بعديد الهلكى يتكاثرون! يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلّة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة لقد نظروا إليهم بابصار العشوة، وضربوا منهم في غمرة جهالة.

ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدّيار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الأرض ضلّالاً وذهبتم في أعقابهم جهّالاً تطئون في هامهم و تستنبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خرّبوا وإنّما الأيام بينكم و بينهم بواك ونوائح عليهم، اولئكم سلف غايتكم، وفرّاط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العزّ وحلبات الفجر ملوكاً وسوقاً».

قوله عليه السلام: «ياله مراماً» اللام للتعجّب و«مراماً» منصوب على التمييز و المرام: المقصد بأن كان مقصدهم التفاخر وإثبات المنقبة لأنفسهم فالمعنى: التعجّب من بعد ذلك المرام، فانّ الغاية المطلوبة لايدركها إنسان لأنّ كل غاية بلغها فانّ فوقها غاية اخرى قد أدركها غيره فيطمح نفسه إليها أو ما أبعده عن نظر العقل و عما هو الغاية الأصليّة التي لابدّ من السعي في الوصل إليها فلا فخر في ذلك، وطلب

الفخر من هذا الباب بعيد جداً ، وإنما الفخر بتقوى الله وطاعته ، فالفخر بالميت كالفخر بالجماد.

وقوله عليه السلام : « وزوراً ما أغفله» الزور: الزائرون للمقابر ، و فيه إشارة إلى الذين كانوا يفتخرون بهم فجعلهم الإمام عليه السلام بتذكير الأموات السالفين كالزائرين لقبورهم لذلك ، فتركوا العبادة والطاعة و صرموا الأوقات بالمفاخرة بالعظام البالية .

وقوله عليه السلام: «وخطراً ما أفظعه» الخطر: الإشراف على الهلاك، وفظع الشيء فهو فظيع أي شديد شنيع مجاوز للحدّ، والخطر الفظيع: الموت أو شدائد الآخرة اللازمة لتلك الغفلة و«لقد استخلوا منهم أي مدّكر» أي إتخذوا هؤلاء الأحياء تخلية الذكر من اولئك الأموات دأبهم وشأنهم أي مدّكر وواعظ لهم في ذلك.

وقوله عليه السلام: «وتناوشهم»: تناولهم، والمراد انّهم ذكروا موتاهم و تحدّثوا عنهم فكأنّهم تناولوهم من مكان بعيد عنهم وعن تناولهم فانّهم بأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً قال الله عزّ وجل: «وأنى لهم التناوش من مكان بعيد» سبأ : ٥٢) أي أنّى لهم تناول الايمان بعد فوات الأمر!

وقوله عليه السلام : «يرتجعون منهم أجساداً خوت» أي يطلبون رجوع أجسادهم خوت: خلت من الأرواح ، والمعنى: انّهم يذكرون آبائهم الموتى فكأنّهم بأن يردونهم إلى الدنيا بذكرهم والإفتخار بهم من قبورهم ، وهؤلاء الموتى أحقّ بأن يكونوا لاولئك الأحياء عبرة وعظة من أن يكونوا لهم فخراً وشرفاً ، وانّ هؤلاء المفتخرين بهم اولى بالهبوط إلى جانب الذّلة منهم بالقيام مقام العزّ ، و «جناب»: فناء و«أجحى» : أجدر.

وقوله عليه السلام : « لقد نظروا إليهم بابصار العشوة » أي لم ينظروا النظر المفضى إلى الرؤية لأنّ أبصارهم ذات عشوة و هو مرض في العين ينقص به الإبصار .

وقوله عليه السلام: «و ضربوا بهم في غمرة جهالة» أي ضربوا من ذكر هؤلاء الموتى في بحر جهل و هو تسفيه رأي المفتخرين بالموتى و القاطعين الوقت بالتكاثر بهم إعراضاً عما يجب إنفاقه من العمر في الطاعة و العبادة و صالح العمل.

وقوله عليه السلام: «ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية» أي لو سئلوا هؤلاء الأحياء عن اولئك الموتى ديارهم التي خلت منهم أوالمراد بالديار والربوع: القبور «ولقالت» تلك الديار والربوع «ذهبوا» هؤلاء الموتى في الأرض هالكين، فتفصح تلك الديار والربوع عن أحوال الموتى، ونطقت بلسان الحال أو المقال، «ذهبتم» أيها الأحياء «في أعقابهم» بعدهم «جهّالاً» لغفلتكم وغروركم، «تطئون»: تمشون «في هامهم»: على قبورهم، والهام: جمع الهامة: الرأس:

وقوله عليه السلام: «وتستنبتون»: تزرعون النبات «في أجسادهم» و ذلك لأنّ أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الموتى فالزرع لا محالة يكون نابتاً في الأجزاء الترابية التي هي أبدان الحيوان، و «ترتعون»: تأكلون فيما لفظوا: ما خلّفوه وتركوه أوتأكلون الفواكه التي تنبت في أجزاء ترابيّة خالطها الصديد الجاري من أفواههم. واللفظ: الرمي من الفم.

وقوله عليه السلام: و «تسكنون فيما خرّبوا» أي تسكنون في المساكن التي لم يعمروها بالذكر والعبادة فكأنّهم أخربوها في الحقيقة ثم سكنتم فيها بعدهم، أوالمراد انّ كل دارعامرة قد كانت من قبل خربة، وإنّما أخربها قوم بادوا و ماتوا فلا ساكن إلّا و هوكان خراباً من قبل أو أنكم تسكنون في دور فارقوها و أخلوها على إطلاق الخلوعلى الخراب مجازاً.

وقوله عليه السلام: «إنّما الأيّام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم» أي انّ الأيّام والليالي تشيّع رائحاً إلى المقابر وتبكي وتنوح على الباقين الّذين سيلحقون بهم عن قريب.

وقوله عليه السلام : «اولئكم سلف غايتكم» السلف: المتقدمون ، و الغاية : الحد ّ الّذي ينتهي إليه إمّا حسيّاً أومعنوياً والمراد هيهنا الموت ، و «فراط مناهلكم» فرط القوم: من سبقهم إلى الماء و المنهل : المورد و هو عين ماء ترده الإبل في المرعي ، و تسمّى المنازل الّتي في المفاوز على طرف السفار منا هل لأن فيها ماء .

وقوله عليه السلام : «مقاوم العز»: دعائمه جمع مقوم، وأصليها الخشبة الّتي تمسكها الحر ّاث، و«حلبات الفخر» جمع حلبة و هي الخيل تجمع للسباق، و«سوقاً» جمع سوقة وهومن دون الملك .

و في مجالس الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الزهري عن أحدهما عليه السلام انه قال : ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال: من قال: «لا إله إلاّ الله» فلن يلج ملكوت السماء حتّى يتم ّقوله بعمل صالح و لادين لمن دان الله بطاعة الظالم ثم ّ قال: و كل القوم ألهاهم التكاثر حتّى زاروا المقابر.

وفي الكافي: باسناده عن إبراهيم بن محمد النوفلي رفعه إلى علي ّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال: مر ّ رسول الله صلى الله عليه وآله براعي إبل فبعث يستسقيه فقال : أما ما في ضروعها فصبوح الحي ّ ، وأما ما في آنيتنا فغبوقهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم أكثرماله وولده ثم مر ّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب به مافي ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعث إليه بشاة وقال: هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك ؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم ارزقه الكفاف فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله صلى الله عليه وآله دعوت للّذي رد ّك بدعاء عامتنا نحبّه ، و دعوت للّذي اسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن ّ ما قل ّ و كفى خيرمما كثر وألهى : اللهم ارزق محمداً و آل محمد الكفاف .

وقوله عليه السلام: « فصبوح» : ما يشرب بالغداة ، والغبوق : ما يشرب بالعشي ّ

و«ا كفأ» : قلب و كب ، و«اسعفك بحاجتك» : قضاها لك و«ألهى» أي شغل عن الله وعن عبادته .

وفي المجمع: وروى قتادة عن مطرف بن عبدالله الشخير عن أبيه قال: إنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : «ألهاكم التكاثر» السورة قال : يقول إبن آدم : مالي مالي و مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت .

و في الجامع لاحكام القرآن : للقرطبي: وروى البخاري عن إبن شهاب أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو أن لا بن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان و لن يملأفاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » .

وفيه : و قال إبن عباس : قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ألهاكم التكاثر» قال : تكاثر الأموال: جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الأوعية» .

وفي الخصال: عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في حديث طويل - قال: «والتكاثر لهو وشغل وإستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ... »

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أخشى عليكم الفقر و لكن أخشى عليكم التكاثر» .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : «ألهاكم التكاثر» أي أغفلكم كثرتكم، و قوله : «حتى زرتم المقابر» : و لم تذكروا الموت (الموتى خ) و قوله : «لترون الجحيم» أي لابد أن ترونها .

وفي نهج البلاغة : قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لأمر ما يعرف

له سبب ولا علّة، أمّا إبليس فتعصّب على آدم لأصله وطعن عليه في خلقته، فقال: أنا ناريٌّ وأنت طينيٌّ، وأمّا الأغنياء من مترفة الامم، فتعصّبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين فان كان لابدّ من العصبية فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور الّتي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة والآثار المحمودة، فتعصّبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام، والطاعة للبرّ والمعصية للكبر والأخذ بالفضل، والكفّ عن البغي والاعظام للقتل والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، وإجتناب الفساد في الأرض».

وقوله عليه السلام: «تمويه»: تلبيس من موّهت النحاس: إذا طليته بالذهب ليخفى، و«تليط» من لاط فلان الحوض: طلاه من طين ومسّه، ويعني: إلتصق، و«مترفة» هم الّذين أطغتهم النعم الكثيرة، و «يعاسيب» جمع يعسوب أي رؤساء القبائل وأميرهم، و «الرغيبة»: الخصلة يرغب فيها، و «الأحلام»: العقول و «الأخطار»: الأقدار.

و في البرهان: بالاسناد عن عبدالله بن نجيح اليماني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام قوله عزّ وجل: «كلاّ سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» قال: يعني مرّة في الكرة ومرّة في يوم القيامة.

و في الاختصاص: عن عبدالله بن نجيح اليماني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» قال: النعيم الّذي أنعم الله عليكم بمحمد وآل محمّد صلّى الله عليه وعليهم، وفي قوله تعالى: «لو تعلمون علم اليقين» قال: المعاينة، وفي قوله تعالى: «كلا سوف تعلمون» قال: مرّة بالكرّة واخرى يوم القيامة

و في البرهان: بالاسناد عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله:

«لو تعلمون علم اليقين» قال: المعاينة.

وفي رواية : قال الإمام علي عليه السلام : «ضع فخرك و احطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرّك».

وفي روضة الواعظين للمفيد عليه الرحمة قال إبن عباس : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله : «ألهاكم التكاثر» قال: التكاثر: الأموال جمعها من غير حقّها ومنعها من حقّها وشدّها في الأوعية «حتّى زرتم المقابر» حتّى دخلتم قبوركم «كلا سوف تعلمون» لو قد دخلتم قبوركم «ثمّ كلا سوف تعلمون» لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم «كلا لو تعلمون علم اليقين» قال: وذلك حين يؤتى بالصراط، فينصب بين جسري جهنم «ثمّ لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: عن خمس: عن شبع البطون، وبارد الشراب، ولذّة النوم، وظلال المساكين، وإعتدال الخلق.

وفي الكافي : باسناده عن أبي حمزة قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة فدعا بطعام مالنا عهد بمثله لذاذة وطيباً وأتينا بتمر ننظر فيه أوجهنا من صفائه و حسنه، فقال رجل : لتسئلن عن هذا النعيم الّذي تنعمتم به عند إبن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ أكرم و أجلّ أن يطعمكم طعاماً فيسوغكموه ثم يسئلكم عنه . و لكن يسئلكم عمّا أنعم به عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وبآل محمد عليهم السلام.

وفيه : باسناده عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت علي أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغدا فأكلت معه طعاماً ما أكلت طعاماً قطّ أطيب منه ولا أنظف، فلمّا فرغنا من الطعام، قال : يا باخالد كيف رأيت طعاماً أو قال طعامنا؟ قلت: جعلت فداك ما رأيت أطيب منه قطّ و لا أنظف، ولكنّي ذكرت الآية في كتاب الله عزّ و جلّ: «ولتسئلن يومئذ عن النعيم» قال أبوجعفر عليه السلام : إنّما يسئلكم عمّا أنتم عليه من الحق.

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى

يسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين إكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به»؟.

وفي رواية : عنه صلى الله عليه وآله : «عن عمره وماله وشبابه وعمله»

وفي المجمع: عن إبن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس : الصّحّة والفراغ.

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن غياث بن إبراهيم الدارمي عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من ذكر إسم الله على الطعام لم يسئل عن ذلك الطعام أبداً.

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله تعالى: «لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: نحن النعيم، وقرأ: «وإذ تقول للّذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه»

وفيه : باسناده عن أبي حفص الصائغ قال: قال عبدالله بن الحسن في قوله تعالى: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: يعني عن ولايتنا والله يا أباحفص.

وفي المجمع : وروى: أنّه بعض الصحابة أضاف النّبي صلى الله عليه وآله مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمراً وماء بارداً فأكلوا فلمّا خرجوا قال : هذا من النعيم الّذي تسئلون عنه.

وفيه : و روى العياشي باسناده ـ في حديث طويل ـ قال : أبوحنيفة أبا عبدالله عليه السلام (سئل أبو عبدالله عليه السلام أبا حنيفة خ) عن هذه الآية فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان ؟ قال : القوت من الطعام و الماء البارد فقال عليه السلام : لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسئلك عن كل أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك ؟ قال: نحن أهل البيت النعيم الّذي (قال: النعيم ولايتنا أهل البيت ونحن الّذين خ) أنعم الله بنا على العباد وبنا إئتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء

وبنا هداهم الله للاسلام وهي النعمة الّتي لاتنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم ألذي أنعم الله به عليهم وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته.

وفي الجامع لاحكام القرآن: وروى أبوالأحوص عن عبدالله عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ الله تعالى ليعدّد نعمه على العبد يوم القيامة حتّى يعدّ عليه: سئلتني فلانة أن ازوّجكها فيسمّيها باسمها فزوّجتكها»

وفيه: وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أوّل ما يسئل عنه يوم القيامة - يعني العبد - أن يقال له: ألم نصحّ لك جسمك ونرويك من الماء البارد»

وفيه: وروى من حديث إبن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسئله عن جاهه كما يسئله عن ماله» والجاه من نعيم الدنيا لامحالة.

وفي الاحتجاج: عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - في حديث طويل - قال: «وألزمهم الحجّة بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على إنفراده وتوحيده وبانّ لهم أولياء تجرى أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون، وهم النعيم الّذي يسئل عنه، انّ الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن حل محلّه من أصفياء الله الّذين قال: «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» الّذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الّذى فرض عليهم منها لنفسه.

وفي التهذيب: - في الدعاء بعد صلاة الغدير المسند إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام -: «اللهم وكما كان من شأنك يا صادق الوعد، يا من لا يخلف الميعاد يا من هو كل يوم في شأن، أن أنعمت علينا بموالاة أوليائك المسئول عنها عبادك فانك قلت وقولك الحق: «ثمّ لتسئلن يومئذ عن النعيم» وقلت: «وقفوهم انّهم مسئولون»

و في تفسير القمي: باسناده عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: قول الله: «لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: تسئل هذه الامة عمّا أنعم الله عليهم برسول الله ثم بأهل بيته.

و في عيون الاخبار: باسناده عن إبراهيم بن عبّاس الصولى الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين و مأتين قال: كنّا يوماً بين يدي عليّ بن موسى عليهما السلام فقال لي: ليس في الدنيا نعيم حقيقي فقال له بعض الفقهاء ممّن يحضره: فيقول الله عزّ وجل: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» أمّا هذا النعيم في الدنيا و هو الماء البارد فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب فقالت طائفة: هو الماء البارد وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو النوم الطيّب قال الرضا عليه السلام:

و لقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبدالله الصادق عليه السلام: أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» فغضب عليه السلام وقال: إن الله عزّ وجلّ لا يسئل عباده عمّا تفضل عليهم به، و لا يمنّ بذلك عليهم والامتنان بالأنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ و ما لا يرضى المخلوق به؟ و لكن النعيم حبّنا أهل البيت و مولاتنا يسئل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوّة لأنّ العبد إذا و في بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الذي لايزول ولقد حدّثني بذلك أبي عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ انّ أوّل ما يسئل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلّا الله و ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و انك وليّ المؤمنين بما جعله الله و جعلته لك، فمن أقرّ بذلك و كان يعتقده صار إلى النعيم الّذي لا زوال له، فقال لي أبو ذكوان بعد أن حدّثني بهذا الحديث مبتدياً من غير سئوال: احدّثك بهذا من جهات: منها لقصدك لى من البصرة، ومنها انّ عمّك

أفادنيه، و منها إني كنت مشغولاً باللغة و الأشعار ولا أعول على غيرهما، فرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في النوم و الناس يسلمون عليه و يجيبهم فسلّمت فما ردّ عليّ، فقلت: أما أنا من امّتك يا رسول الله؟ قال لي: بلى و لكن حدّث الناس بحديث النعيم الّذي سمعته من إبراهيم، قال الصّولي وهذا حديث قد رواه الناس عن النّبيّ صلى الله عليه وآله إلّا انّه ليس فيه ذكر النعيم، والآية و تفسيرها إنّما رووا ان أوّل ما يسئل عنه العبد يوم القيامة: الشهادة و النبوة و موالاة عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

وفي المسند الامام الرضا عليه السلام: عن الطائي عن أبيه عن الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ بن أبيطالب عليه السلام في قول الله عزّ وجل: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» قال: الرطب والماء البارد.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث لا يحاسب بهنّ العبد: ظلّ خص يستظلّ به و كسر يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته»

وفي تفسير المراغي: روى عن عمر أنّه قال: «أيّ نعيم نسئل عنه يا رسول الله صلى الله عليه وآله و قد اخرجنا من ديارنا و أموالنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ظلال المساكن والأشجار و الأخبية الّتي تقيكم الحرّ والبرد والماء البارد في اليوم الحار»

وفيه: وروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»

وفي أمالي الشيخ رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو بن راشد أبي سليمان عن جعفر بن محمّد عليه السلام في قوله: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» قال: نحن النعيم وفي قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» قال: نحن الحبل.

وفي البرهان: عن أصبغ بن نباته عن عليّ عليه السلام قال: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم»؟ قال: نحن النعيم.

وفيه : عن محمّد بن أبي عمير عن أبي الحسن موسى عليه السلام في قولـه عزّ وجلّ : «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» قال: نحن نعيم المؤمن وعلقم الكافر.

وفيه : عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على محمّد بن عليّ عليه السلام فقدم طعاماً لم آكل أطيب منه، فقال لي : يا أبا خالد كيف رأيت طعامنا؟ قلت: جعلت فداك ما أطيبـه غير أني ذكرت آية في كتاب الله فغضب فقال : و ما هي ؟ قلت : « ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » فقال : و الله لا تسئل عن هـذا الطعام أبداً ثمّ ضحك حتّى إفترضا حكتاه و بدت أضراسـه وقال : أتدرى ما النعيم ؟ قلت : لا قال : نحن النعيم .

وفيه : الشيخ المفيد باسناده إلى محمّدبن العائر عن الكلبي ، قال : لمّا قدم الصادق عليه السلام العراق ونزل الحيرة ، فدخل عليـه أبوحنيفة وسئله عن مسائل ، و كان مما سئله أن قال له : جعلت فداك ما الأمر بالمعروف؟ فقال عليه السلام : المعروف في أهل السماءِ المعـروف في أهل الأرض ذاك أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام قـال : جعلت فداك فما المنكر؟ قال: اللذان ظلماه حقّه و ابتزاه أمره و حمل (حملاخ)النّاس على كتفه قال:ألاهو أن ترى الرجل على معاصي الله فتنهاه عنها؟فقال أبوعبدالله عليه السلام: ليس ذلك أمراً بالمعروف، ولا نهياً عن المنكر إنّما ذاك خيرقدمه قال أبوحنيفة:

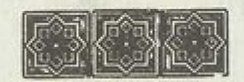
أخبرني جعلت فداك عن قول الله عزّ وجلّ: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم»؟ قال : فمـا عندك يا أبا حنيفة ؟ قال : قـال: الأمن في السرب و صحّة البدن و القوت الحاضر فقال : يا أبا حنيفة لئن أوقفك الله يوم القيامـة حتّى يسئلك عن أكلة أكلتها و شربـة شربتها ليطولن وقوفك ، قال : فما النعيم جعلت فداك ؟ قال : النعيم نحن الّذي انقذ الناس بنا عن الضلال و بصرهم بنـا من العمى ، و علمهم بنا من الجهـل قال : جعلت فداك فكيف كان القرآن جداً أبداً ؟ قال : لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان فتخلقه الأيام ولو كان كذلك لفنى القرآن قبل

فناء العالم.

وفيه: إبن شهر آشوب عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» يعني الأمن والصحّة ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

و فيه: و عن طريق المخالفين عن أبي نعيم الحافظ يرفعه إلى جعفر بن محمد في قوله تعالى: «ثمّ لتسئلن يومئذ عن النعيم» يعني الأمن و الصحّة و ولاية عليّ عليه السلام.

وفيه: الشيخ ورام عن عليّ عليه السلام في قوله تعالى: «لتسئلن يومئذ عن النعيم» قال: الأمن والصحّة والعافية.



﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدلّ بعض الفقهاء بقوله عزّ وجل: «حتّى زرتم المقابر» التكاثر: ٢) على جواز زيارة القبور للرجال والنساء لعموم الخطاب كما في قول النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانّها تزهّد في الدنيا و تذكّر الآخرة» فلمّا رخّص النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم زيارة القبور دخل في رخصته الرجال والنساء لعموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور».

و قال بعضهم: تكره زيارة القبور للنساء لقلّة صبرهنّ و كثرة جزعهنّ.

أقول: ان جواز زيارة القبور للرجال متفق عليه عند الفقهاء، مختلف فيه للنساء، ويحرم على الشوابّ الخروج لزيارة القبور عند بعضهم، وأمّا القواعد فمباح لهنّ ذلك و يجوز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال و أما إذا خيفت الفتنة من إجتماع الرجال والنساء في موضع أو وقت فلا يجوز خروج النساء لزيارة القبور.

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد استدل بعض المحققين من المفسرين بقوله عز وجل: «حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» التكاثر: ٢-٤) على صحة القول بعذاب القبر لمن استحق، والسؤال فيه عن القبور مطلقاً، على أن معنى الآيات: إذا صرتم إلى المقابر ودخلتم قبوركم فدفنتم فيها، وجاء كم منكر ونكير وحاط بكم هول السؤال وانقطع عنكم الجواب إلا من جاء بقلب سليم. وذلك ان الله تعالى أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر: أنهم سيعلمون مايلقون إذا هم زاروا القبور وعيداً منه تعالى لهم وتهديداً عليهم أعاذنا الله جل وعلا من عذاب القبر وأهواله بعصمة حبيبه محمد المصطفى وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

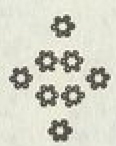
وقد اختلفت الآراء والمذاهب في سؤال نكير ومنكر عن المقبورين سواء أكانوا مؤمنين أم كانوا كافرين؟ متقين كانوا أم فاجرين؟ مصلحين كانوا أم مفسدون؟ مفلحين كانوا أم خاسرين ؟؟؟ و في عذاب القبر لمن استحق به إختلافاً كثيراً، فأنكر طائفة، وأثبت آخرون.

وقد ذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقة إلى وجوب الايمان به، و لزوم التصديق به حسب ما أخبر به الصادق المعصوم عليه السلام.

في أمالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمار عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شعيتنا: المعراج والمسائلة في القبر والشفاعة».

وذلك ان ٱللّه عزّ وجل يحيي العبد المكلّف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعل له من العقل في مثل الوصف الّذي عاش عليه من قبل ليعقل مايسئل عنه ومايجيب به، ويفهم من أتاه من ربّه، وما أعدّ له في قبره من راحة أو هول، ومن كرامة أو هوان...

وفي تحف العقول: في موعظة الإمام الرابع سيّد الساجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام : «ويحك يابن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه، ان أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدركك فكأن قد أوفيت أجلك، وقد قبض الملك روحك وصيرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك روحك، واقتحم عليك ملكاك: منكر ونكير لمسائلتك وشديد إمتحانك ... » الحديث .



﴿ كلمات العامة وزيارة القبور ﴾

وقد وردت من أعلام العامـة كلمات كثيرة في جواز زيارة القبور وترغيب المسلمين فيها نشير إلى نبذة منها:

في تفسير الجامع لأحكام القرآن (جزء ٧٩ ص ٧٢٦٠ ط دار الشعب) للقرطبي: قال: «لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلّا في هذه السورة ـ سورة التكاثر ـ و زيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي، لأنّها تذكّر الموت والآخرة ، و ذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها. قال النبيّ ﷺ: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانّها تزهّد في الدنيـا وتذكّر الآخرة » رواه إبن مسعود أخرجه إبن ماجه، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «فانّها تذكّر الموت» وفي الترمـذي عن بريدة : «فانّها تذكر الآخرة» قال: هذا حديث حسن صحيح، وفيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور. قال: وفي الباب عن إبن عبّاس و حسان بن ثابت. قال أبو عيسى : وهـذا حديث حسن صحيح. وقد رأى بعض أهل العلم: أن هـذا كان قبل أن يرخّص النبيّ ﷺ في زيارة القبور فلمّا رخّص دخل في رخصته الرجال والنساء. وقال بعضهم: إنّما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهنّ و كثرة جزعهن.

ثم قال القرطبي :

قلت : زيارة القبور للرجال متّفق عليه عند العلماء، مختلف فيـه للنساء

أمّا الشّواب فحرام عليهن الخروج ، وأمّا القواعد فمباح لهن ذلك ، و جائز لجميعهن ذلك إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا تختلف في هذا إن شاء الله و على هذا المعنى يكون قوله: « زوروا القبور» عاماً وأمّاموضع أووقت يخشى فيه الفتنة من إجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا يجوز، فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على إمرأة فيفتتن وبالعكس ، فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مازوراً غيرمأجوروالله أعلم.

ثم قال العلماء : ينبغي لمن أراد علاج قلبه وإنقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربّه أن يكثر من هاذم - أي قاطع - اللذّات و مفرّق الجماعات ، و موتم البنين و البنات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين و زيارة قبور أموات المسلمين ، فهذه ثلاثة امور ينبغي لمن قسى قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه، و يستصرخ بها على فتن الشيطان و أعوانه ، فان انتفع بالاكثار من ذكر الموت و انجلت به قساوة قلبه فذاك ، وإن عظم عليه ران قلبه و استحكمت فيه دواعي الذنب ، فانّ مشاهدة المحتضرين و زيارة قبور أموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأوّل لأنّ ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير و قائم له مقام التخويف والتحذير، وفي مشاهدة من احتضروزيارة قبرمن مات من المسلمين معاينة ومشاهدة، فلذلك كان أبلغ من الأوّل قال ﷺ : «ليس الخبر كالمعاينة» رواه إبن عبّاس .

فأمّا الإعتبار بحال المحتضرين فغيرممكن في كلّ الأوقات، وقد لا يتّفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات ، وأمّا زيارة القبور فوجودها أسرع ، و الإنتفاع بها أليق و أجدر فينبغى لمن عزم على الزيارة أن يتأدّب بآدابها ، و يحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظّه منها التطواف على الأجداث فيها فانهذه حالة تشاركه فيها بهيمة ، و نعوذ بالله من ذلك ، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى و إصلاح فساد قلبه ، أو نفع الميّت بما يتلو عنده من القرآن و الدعاء

و يتجنّب المشي على المقابر و الجلوس عليها ، و يسلّم إذا دخل المقابر و إذا وصل إلى قبر ميّته الّذي يعرفه سلّم عليه أيضاً و أتاه من تلقاء وجهه لأنّه في زيارته كمخاطبته حيّاً ، و لو خاطبه حيّاً لكان الأدب إستقباله بوجهه فكذلك هيهنا .

ثمّ يعتبر بمن صار تحت التراب و إنقطع عن الأهل و الأحباب بعد أن قاد الجيوش و العساكر و نافس الأصحاب و العشائر و جمع الأموال و الذخائر فجائه الموت في وقت لم يحتسبه و هول لم يرتقبه ، فليتامّل الزائر حال من مضى من إخوانه ، و درج من أقرانه الّذين بلغوا الآمال ، و جمعوا الأموال ، كيف إنقطعت آمالهم، و لم تغن عنهم أموالهم ، ومحى التراب محاسن وجوههم و افترقت في القبور أجزاؤهم و ترمّل من بعدهم نساؤهم ، و شمل ذلّ اليتم أولادهم . و اقتسم غيرهم طريفهم و تلادهم ، و ليتذكر تردّدهم في المآرب (تزوّدهم المآب خ) وحرصهم على نيل المطالب، وإنخداعهم لمواتاة الاسباب وركونهم إلى الصحّة والشباب.

و ليعلم أنّ ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، و غفلته عمّا بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنّه لابدّ صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردّداً في أغراضه ، و كيف تهدّمت رجلاه، و كان يتلذّذ بالنظر إلى ما خوّله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، و يضحك لمواتاة دهره ، وقد أبلى التراب أسنانه ، و ليتحقّق أنّ حاله كحاله ومآله كمآله ، وعند هذا التذكير والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، و يقبل على الأعمال الاخروية، فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه ويلين قلبه و تخشع جوارحه.

وفي المنار (ج ٦ ص ١٢٨): عن إبن ماجه قال رسول الله ﷺ : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة».

ثم قال صاحب المنار: «ان الأمر: «زوروها» بعد الحظر للاباحة وقد يجب أو يندب أو يحظر لعارض يقتضي ذلك».

وفي تفسير روح البيان (ج١ ص ٨٧٩) ما لفظه: «قال الشيخ عبدالغني النابلسي في كشف النور عن أصحاب القبور ما خلاصته: ان البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمّى سنّة فبناء القباب على قبور العلماء والأولياء والصلحاء و وضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم أمر جائز إذا كان القصد بذلك: التعظيم في أعين العامّة حتّى لا يحتقروا صاحب هذا القبر و كذا ايقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصلحاء من باب التعظيم والإجلال أيضاً للأولياء فالمقصد فيها مقصد حسن، ونذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم تعظيماً لهم، ومحبّة فيهم جائز أيضاً لا ينبغي النهي عنه، ومنها الدخول والقعود فيها والمكث والعبادة والذكر ودراسة العلوم ونحو ذلك».

وفي تفسير طنطاوى (ج ٢١ ص ٢٠١) ما لفظه: «ان صديقنا الأستاذ الشيخ محمد منصور أحد علماء شبين القناطر هو الّذي اشرت له آنفاً - إذ قال في ج٢١ ص ٢٠٠ من تفسيره - ما لفظه: وأنا لا يتسنى لى في هذا التفسير أن أكتب من أفواه الرجال فخبر الواحد لا ثقة به، ولكن جاء صديق من متخرّجي الأزهر فاسمعني كلاماً سمعته من كثير غيره و لكنّي لم أرد أن أكتب عن أحد شيئاً، فقال لي هو - الصديق -: انه زار قبر نبيّ الله هود عليه السلام و سمع بقبر نبيّ الله صالح فى تلك البلاد فقلت له: انظر هذه الخريطة وقد كان أهدا هالي بعض الفضلاء من بيت السقاف المشهور فلمّا نظرها و رآى مكان قبر هود قال: هذه الخريطة حق، ولقد رأيت في قبر نبي الله هود نقوشاً بعيني رأسي لا أعرف أنا ولا غيري منها شيئاً.

فاذا رجل بعض علماء الآثار إلى تلك البلاد والوصول إليها سهل، فان ذلك يفتح باباً للعلم واسعاً، فعسى أن يقوم أرباب العلم بهذا ليرفعوا النقاب عن

وجه التاريخ فانظر إلى العجب العجاب، وكيف نرى قبور هود عليه السلام في واد قريب من قبر صالح عليه السلام وانظر كيف نرى واد المسيلة التي فيه قبر هود متصلاً بواد سر الذي فيه قبر صالح عليه السلام، وكيف نسمع انهم في تلك البلاد يشدّون الرحال لزيارة قبر النبيين كما يزور أهل بلادنا قبر السيّد أحمد البدي، وانه (الشيخ محمد منصور) زار قبر هود عليه السلام ولم يكن ورد لي منه خطاب في هذا المعنى، ولما كتبت ما تقدّم ورد خطابه وقد جاء فيه بعد الديباجة ما نصّه بالحرف الواحد:

أمّا مسئلة سيّد هود وسيّدنا صالح عليهما الصّلاة والسلام فهاك حديثهما « في اليوم الثامن عشر من شهر جمادي الثانية سنة: ١٣٤٥ هجرية خرجت بصحبة فقيد الشرق، والاسلام السيّد محمّد بن عقيل الحضرمي وإبن عمّه السيّد أحمد ابن عمر السري الشهير لإدارة التعليم بحضرموت، وهي بلاد الأحقاف الوارد ذكرها في القرآن الكريم وقد وصلنا إليها في اليوم السادس من شهر شعبان لتلك السنة المذكورة وحينما وصلنا إليها وجدنا البلاد في هياج وحركة غير عادية، ونظراً لأنّي غريب عن البلاد رأيت عدم الاسراع بالسؤال عن سبب هذه الحركة، ولم ألبث إلّا يسيراً حتّى حضر عندى في الجناح المعدّ لسكناي من سراى أحمد بن عمر الفخمة السيّد أحمد بن عمر نفسه.

وعرض عليّ التوجّه لزيارة قبر سيّدنا هود عليه السلام فعلمت حينئذ السرّ في هذه الحركة وباستمرار حديثي مع حضرة السيّد تبيّن لي أنّ البلاد من أقصاها إلى أقصاها تتوجّه إلى شعب هود عليه السلام في اليوم العاشر من شهر شعبان كلّ سنة لأداء هذه الزيارة والليلة الختاميّة لهذه الزيارة هي ليلة النصف من شهر شعبان ولهم هناك مراسيم اعتادها السادة العلويون بحضرموت.

وهناك بقبر هود عليه السلام صخرة عظيمة جداً يسمّونها الناقة وفي صباح ليلة النصف من شعبان يبكرون قافلين إلى بلادهم وإعتقاد أنّ هذا قبر هود عليه السلام متواتر عن سكّان البلاد قبل الإسلام وكذا هناك قبر سيّدنا صالح عليه السلام وهو مشهود

شهرة قبر هود عليه السلام غير أنّ إعتناء أهالي البلاد بزيارة سيّدنا صالح أقلّ من إعتنائها بزيارة هود عليه السلام هذا ما يتعلّق بوجود هذين القبرين ببلاد حضرموت الّتي هي بلاد الأحقاف إني رأيت ما تقدّم بعيني رأسي و شاهدته مع مئات الألوف من أهالي البلاد و إذا كان هناك شك في أنّ ببلاد العرب بلدة تسمّى مكّة توارث الناس علمها جيلاً بعد جيل جاهليّة و إسلاماً، فليصحّ أن يوجد من يشك في أنّ ببلاد الأحقاف الّتي هي حضر موت قبري هود و صالح عليهما الصّلاة والسلام».

و في **احياء العلوم** (ج ٤ ص ٤٩٠) قال الغزالي: «زيارة القبور مستحبّة على الجملة للتذكّر والإعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبّة لأجل التبرّك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد.

ثم قال: والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً بوجهة الميت ـ ولا بأس بقراءة القرآن على القبور».

ثم قال: «فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها، وللمزور الإنتفاع بدعائه، فلا ينبغي الزائر عن الدعاء لنفسه و للميت ولا عن الإعتبار به: و إنّما يحصل له الإعتبار بأن يصوّر في قلبه الميّت كيف تفرّقت أجزائه؟ و كيف يبعث من قبره؟ و انه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبي بكر الهذ لي قال: كانت عجوز في عبد القيس متعبّدة، فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب، و إذا جاء النهار خرجت إلى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلّا رسوم البلى، و إنّى لآتى القبور فكأنّي أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، و كأنّي أنظر إلى تلك الوجوه المستعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيّرة، وإلى تلك الأجفان الدسمة، فيالها من نظرة لوأشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للأنفس وأشدّ تلفها للأبدان».

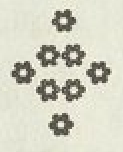
وفى تفسير المراغى (ج٣٠ ص ٢٣٠ ط مصر) ما لفظه: «قال العلماء: إنّ زيارة القبور من أعظم الدواء للقلب القاسي لأنّها تذكر بالموت والآخرة و ذلك يحمل على قصر الأمل والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها ومن ثم قال ﷺ : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تزهّد في الدنيا و تذكّركم الآخرة».

كما لا خلاف في منع زيارتها إذا حدث في ذلك منكرات وأشياء مما نهى عنه الدين كاختلاط الرجال بالنساء وحدوث فتن لا تحمد عقباها».

وفى تفسير غرائب القرآن للنيشابورى (ج٣٠ ص ١٥٤ المطبوع بهامش تفسير البيان للطبري ط مصر) ما لفظه: «ويروى أن بني سهم تفاخروا أيّهم أكثر عدداً، فكثرهم أي غلبهم بالكثرة بنو عبد مناف فقالت بنو سهم: ان البغى أهلكنا في الجاهلية ، فعادّونا بالأحياء والأموات أي عدوا مجموع أحيائنا و أمواتنا مع مجموع أحيائكم و أمواتكم ، ففعلوا فزاد بنو سهم، فنزلت الآية ، و هذه الرواية شديدة الطباق لظاهر الآية لقوله : «زرتم» بصيغة الماضي ، و فيه تعجّب من حالهم أنهم زاروا القبور في معرض المفاخرة والإستغراق في حبّ ما لا طائل تحته من التباهي بالكثرة والتباري فيها مع أنّ زيارة القبور مظنّة ترقيق القلب و إزالة القساوة كما قال ﷺ : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بد الي فزوروها فانّ في زيارتها تذكرة، ومن هنا قال بعضهم: أراد أنّ الحرص على المال قد شغلكم عن الدين فلا تلتفتون إليه إلّا إذا زرتم المقابر، فحينئذ ترق قلوبكم يعني أنّ حظّكم من دينكم ليس إلّا هذا القدر ونظيره قوله: «قليلا ما تشكرون» أي لا أقنع منكم بهذا القدر من الشكر».

وفى دائرة المعارف (ج ١٠ ص ٨٧٠ ط بيروت سنة ١٩٧١ م) ما لفظه : «مما يؤخذ على الوهابيين غلوّ بعضهم في اصولهم ، فقد عدوّا رفع القباب على القبور وايقاد السرج عليها، وإدخالها في المسجد وزخرفة المساجد من البدع و

هي في الحقيقة بدع بنص" السنة ، ولكنّهم غلوا فـي محوها فمحوها بشيء من الحمـاسة فجر"دوا مسجد رسول الله ﷺ من أمتعته بصورة جبروتيـة ، عدّها المسلمون إهانة فرموهم عن قوس و كرهوهم، وكان لابد" لهم في مبدإ أمرهم من حسن السياسة وإستعمال الدهاء في تفهيم الناس مغزى ما يرمون إليـه ، الخلاصة أنّهم لم يكونوا أهلاً لما ندبوا أنفسهم إليه، وقد حفظ الله هـذا الحادث الجلل و هو إرجـاع الإسلام لأصله إلى الطائفة المتعلّمة من المسلمين فيما يظهر لأنّ العصر عصر العلم وما لم يرتّبه العلم إضمحل" والله ولي" المؤمنين».



«الوهابية وزيارة القبور»

جدير لنا أن نذكر أوّلاً مخرج مذهب الوهّابية الّذي جعل وسيلة لتدسيس بين الإسلام والمسلمين، وتفريقاً بينهم، وقد استشرب من هذا المخرج بعض منتحلي الإسلام لذلك، وبعضهم جهلاً وتقليداً عمياناً، ثم نشير ثانياً إلى أنّ زيارة القبور هل هي شرك بالله جلّ وعلا كما ذهب إليه الوهّابيّون المدسوسون وأذنابهم! أم لا كما ذهب إليه جميع فرق المسلمين وعلمائهم من خاصّتهم وعامتهم؟

وقد ورد من الباحثين المحقّقين: أن أوّل من نثر في أرض الإسلام المقدّسة بذر الوهّابية السامّة، والجرائيم المهلكة هو أحمد بن تيمية في أواخر القرن السابع من الهجرة النبوية، ولمّا أحسّ أهل ذلك القرن بفضل كفائتهم ان جميع تعاليمه ومبادئه شرّ وبلاء على الإسلام والمسلمين يجرّ عليهم الويلات، وأيّ شرّ وبلاء أعظم من تكفير الوهّابية قاطبة المسلمين على إختلاف نزعاتهم أخذ وحبس برهة ثم قتل - ولكن بقيت من تلك الشجرة الخبيثة دفينة تراب، وكمينة بلاء وعذاب حتّى إنطوت ثلاثة قرون بل نحو أربعة قرون.

فنبغ بل نزغ محمد بن عبد الوهّاب - وهو ولد سنة: ١١١٥ هـ - تقدّم منّا فيه كلام في هذا التفسير (ج ٤٤ ص ٤٨٠) فمن شاء فليراجع.

فنبش تلك الدفينة، واستخرج هاتيك الكوامن، وسقى تلك الجرائيم المميتة والبذور المهلكة، فسقاها بمياه من تزويق لسانه وزخرف بيانه، فأثمرت ولكن بقطف النفوس، وقطع الرؤوس وهلاك الإسلام والمسلمين وراجت تلك السلعة الكاسدة و

الاوهام الفاسدة على امراء نجد واتخذوها ظهيراً لما اعتادوا عليه من شن الغارات، ومداومة الحروب والغزوات من بعضهم على بعض، وقدنها هم الفرقان المبين، و السنّة النبوية على تلك العادات الوحشية والأخلاق الرذيلة، بملأفمه، وجوامع كلمه، وقد عقد بينهم الاخوّة الايمانية، والمودّة الإسلاميّة، وقال: «مال المؤمن على المؤمن حرام كحرمة دمه وعرضه»

قال الله تعالى: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» النساء: ٩٤)

أراد الله عزّ وجلّ أن يجعلهم فيما بينهم إخواناً، وعلى الأعداء أعواناً، أراد أن يكونوا يداً واحدة على من سواهم للإستظهار على الأغيار من أعداء الإسلام والمسلمين لئلاّ تكون على وجه الأرض فتنة، ويكون الدين كلّه لله تعالى.

فنقض إبن عبدالوهّاب تلك القاعدة الأساسية الالهية الأبدية، والدعامة الإسلامية وعكس أمرالله عزّ وجل. فصار يكفّر المسلمين ويضرب بعضهم ببعض وما انجلت تلك الغبرة إلّاوهم آلة بأيدي الأعداء ينقضون دعائم الدين المبين، ويقتلون بهم المسلمين، ويصلون ما أمرالله تعالى بقطعه، ويقطعون ما أمرالله جلّ و علا بوصله، فاذا طولبوا بالدليل والبرهان والسنّة والقرآن، فالجواب هوعندهم: السيف والسنان، والنصف مع البغي والعدوان والحقّ مع القوّة والسطوة والعدل والسواء في الغلبة والاستيلاء.

نعم: ليس للقوم فيما وقفنا عليه من كتب أوائلهم وأواخرهم، وحاضرهم وغابرهم حجّة عليها مسحة من العلم أو روعة من البيان، وطلاء من الحقيقة سوى قولهم: إنّ المسلمين في زيارتهم للقبور وطوافهم حولها وإستغاثتهم بها، وتوسّل الزائر بالملحود في تلك المقابر قد صاروا كالمشركين الّذين كانوا يعبدون الأصنام، وأصبحوا يعبدون غيرالله تعالى ليقرّبهم إلى الله سبحانه.

هذه هي امّ شبهات الوهّابيه المدسّسة المدسوسة، وأسّ إحتجاجاتهم، و أقوى براهينهم ودلالاتهم، وإليها ترجع جميع مؤاخذاتهم على غيرهم من طوائف

المسلمين من مسئلة الشفاعة والتوسّل والتبرّك والزيارة وتشييد القبور وما إليها مما يزعمون أنّه عبادة لغير الله تعالى، حتّى وطأت تلك الشبهات الواهية أفئدة بعض متفسّري العامة...

منهم المراغي: في (تفسيره ج ٩ ص ١٤٢) مالفظه: «ان‌ّ الأصنام و التماثيل والقبور الّتي تعظّم تعظيماً دينياً عمل لم يأذن به الله و كلها سواء في كونها وضعت للتذكير بأناس عرفوا بالصّلاح، وكانوا هم المقصودين بالدعاء تخيّلاً من عابديها بأنّ لها تأثيراً في إرادة الله، أو التصرف الغيبي في ملك الله وذلك من أفحش الشرك وأقبحه، ولا فرق بين إشراك الصنم والوثن وإشراك الولي‌ّ أو النّبي‌ّ أو الملك».

وقال في (تفسيره ج ١١ ص ٨٢): في هذا «و يعبدون من دون الله مالا يضرّهم و لاينفعهم» حجّة أيّما حجّة على زوّار الأضرحة و القبور الّذين يقولون: إنّ هؤلاء الأولياء أحياء عند ربّهم كالشهداء فهم يضرّون. وينفعون لا كالأصنام، وقد جهلوا ان‌ّ الله يقول للنصارى: إنّ المسيح لايملك لهم ضرّاً ولانفعاً بعبادتهم له مع ما آتاه من المعجزات وأظن‌ّ أن‌ّ الأمر لا يبلغ بهم أن يجعلوا السيّد البدوي وسيّدنا الحسين والسيّدة زينب أفضل عند الله ولا أقرب منه».

وفي المنار: (ج ١١ ص ٩) قال صاحب المنار - إستشراباً من مخرج الوهّابية -: لايكاد مسجد من مساجدهم يخلو من قبر مشرف مشيد توقد عليه السرج و المصابيح، و قد لعن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فاعليها و يتوجّه إليه الرجال و النساء في كل صباح و مساء يدعون من دون الله من يعتقدون انهم أحياء يقيمون فيها، و يتقرّبون إليهم بالهدايا و النذور من الامّيين، و بعرائض الإستغاثة و الدعاء من المتعلّمين ليكشفوا عنهم الضرّ و يهبوا لهم ما يرجون من النفع، و من أمامهم و ورائهم عمائم مكسورة - مكوّرة - و لحى طويلة أو مقصرّة يسمون شركهم الأكبر توسّلاً وإستغاثتهم إستشفاعاً و نذورهم لغير الله صدقات مشروعة وطوافهم بالقبور المعبودة زيارات مقبولة ...»

أقول: ولسنا نحن معاشر الشيعة الامامية الاثنى عشرية بمتأسفين من تلك المقالات السخيفة، و الكلمات الجزافية ، و لا من غمض عين بعض المدسوسين الذين وطأت قلوبهم شبهات الشياطين، ولامن غض أبصارهم عن الآيات الكريمة في أمر التوسل ، وعن الروايات الواردة عن طريق العامة في ترغيب زيارة القبور خاصة قبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فانها من آثار إستشراب مخرج الوهابية المدسة المدسوسة المصنوعة من انجلترا و نتاجها .

وإنما الاسف على من يتبع تلك المقالات، وتقبلها بقبول حسن من غير تتبع، غفلة عن حقيقة الأمر و على من يقف من العامة والشيعة عند الشبهات ولم يفش فضاحتها .

ليت شعرى! هل هذا شرك باعتقادهم السخيفة المدسة؟ أم باعتقاد من يزور القبور؟ ولو كان كذلك فما الفرق بين الطواف حول الكعبة ؟ فهل تعبد الكعبة و أحجارها السودة؟ أم يعبدالله جل وعلا في تلك البقاع المقدسة وحول تلك الهيا كل الشريفة التي شرفها الله جل و علا ، و دعا عباده فيها و ان العبادة على الحقيقة هي كون العبد في مقام الاعتراف و الإذعان بالعبودية مقروناً بما يليق بها من إستعمال ما يدل على أقصى مراتب الخضوع و الذلة بالسجود و الركوع و الهرولة بين الصفا و المروة أو الطواف حول الكعبة و غير ذلك مما و صفته الشرايع ، و أو عزت إليه الاديان من معلوم الحكمة و مجهولها و مبهم الحقيقة ومعقولها...

فهل تحس أن أحداً من زوار القبور والمتوسلين يقصد أن القبر الذي يطوف حوله ، أو صاحبه الملحود فيه هو صانعه أو خالقه أو رازقه ، وأنه بزيارته يريد أن يتظاهر بالعبودية له ، فتكون عبادة له ، أو أن أحداً من الزائرين يقول للقبر أو لمن فيه: ياخالقي أو يارازقي أو يامعبودي أو ياربي ... كلا ثم كلا .

ما أحسب أنّ أحداً يخطر على باله شيء من تلك المعاني مهما كان من الجهل والهمجية كيف وهو يعتقد أن صاحب القبر بشر مثله ، عاش و مات ، نعم يعتقد أن روحه باقية عندالله جلّ وعلا رفيعة القدر والمنزلة عنده فهو بها يسمع و يرى . . .

قال الله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون » البقرة : ١٥٤) .

و قال : « ولاتحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران : ١٦٩) .

ونظراً إلى هؤلاء الأحياء يخاطبونهم ويسلّمون عليهم ويتوسّلون بهم إلى الله عزّ وجلّ لمكانتهم عنده تعالى .

قال الله جلّ وعلا : « يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة » المائدة : ٣٥) .

ويطلبون منهم الشفاعة ، فهل من الايمان انّ الزائر يعبد الأصنام لا ثمّ لا والله تعالى ، إنّما هم يريدون أن يدحضوا بتلك الشبهات الحق ، و أن يأخذوا توجّه الناس عن أهل الحق و أن يصدّوهم عن طريقة ، و يلقحوا شرر الفساد في الأرض ، و يريقوا دماء المسلمين و يتملكوا ذخائرهم ظلماً و عدواناً .

فيجب على المسلمين كافّة أن يطردوا حولهم الإختلافات الداخلية الّتي كلّها نشأت ووقعت من دسيسة أعداء الاسلام والمسلمين لإنفصام عروة وحدتهم ، وتفريق إجتماعاتهم ، فيصيروا جميعهم أذلاء حيارى عبيداً لأعداءهم . . .

فمن تدبّر - و هو ذومسكة - في ذلك كلّه يعلم أن غرضهم هو إلقاء تلك الشبهات في الأذهان و تشبثاتهم بأسبابها في فكرة المسلمين لإبعادهم عن الأرواح العالية ، وعن منزلتهم عندالله تعالى بايمانهم و صالح أعمالهم و عن كونهم قدوة لهم في جميع شئونهم . . . مع أنّ عمل رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بيده وعمل المسلمين

و سيرتهم القطعية في جميع الأقطار والأمصار ملأ المسامع والأبصار على إختلاف طبقاتهم من العامة والخاصّة وغيرهم .

و أيّ بلد من البلاد الإسلامية من مصر و سوريا أو العراق والحجاز وهلمّ جرّاً ليس لها جبانة شاسعة الأطراف ، واسعة الأكناف ، و فيها القبور المشيّدة والضرائح المنجدة حتّى للشافعي بمصر ، و لأبي حنيفة ببغداد ، ولمالك بالمدينة ، وتلك قبورهم من عصرهم إلى اليوم ، سامقة المباني ، شاهقة القباب ، وأحمدبن حنبل مباءة الوهّابية ومرجعهم في الفروع كان له قبر مشيّد في بغداد جرفه شطّ دجلة حتّى قيل: « أطبق البحر على البحر » .

و كل تلك القبور قد شيّدت و بنيت في الأزمنة الّتي كانت حافلة بالعلماء ، و أرباب الفتوى و زعماء المذاهب ، فما أنكر منهم ناكر بل كلّ منهم محبّذ وشاكر . . . فليس هذا من خواص الإسلام ولا من خواص الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الذين يحذون حذو نبيهم محمّد المصطفى وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بل هو جار في جميع الملل والأديان من اليهود والنصارى وغيرهم . . . حتّى الماديين المنكرين بماوراء الحسّ .

بل هو من غرائز البشر ومقتضيات الحضارة والعمران ، و شارات التمدّن والرقي والدين القويم المتكفّل بسعادة الدارين، فهل بهذا تحكم الوهّابية المدسّسة المدسوسة بكفر من يزور قبر النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين ، ولو أنتم أيّها القارؤون تعتقدون بذلك فويل لكم !!!

فليس التوسّل والاستشفاع والزيارة لقبور النّبيّ الكريم و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و قبور الأولياء والعلماء العاملين والصلحاء المؤمنين قدّس الله أرواحهم ومسئلة الله جلّ وعلا بحقّهم في قضاء الحوائج ، وتقبيل قبورهم ، والتبرّك بتربتهم ، وتعظيم آثارهم شركاً بالله سبحانه ، ولامنهيّاً عنه في الدين الاسلامي .

والتوهّم بأنّ هذا النوع من التوجّه العبادي فيه إعطاء تأثير ربوبيّ لغير الله تعالى و هو شرك ، و أصحاب الأوثان إنّما أشركوا لقولهم في أوثانهم : انّ هؤلاءِ شفعاؤُنا عندالله : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولاينفعهم و يقولون هؤلاءِ شفعاؤُنا عندالله » يونس : ١٨) و قولهم : « ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى » الزمر : ٣) فلافرق في عبادة غيرالله بين أن يكون ذلك الغير نبيّاً أو وليّاً أو ملائكة أو صورة صنم أو جبّاراً من الجبابرة أو غيرهم ، فالجميع شرك منهيّ عنه ، كلّ ذلك بعد العناد واللجاج والدسّ في الاسلام و تفريق المسلمين ناش عن غفلة أنّ ثبوت التأثير سواء كان مادياً أو غير ماديّ في غيره تعالى ضروري لايمكن الإنكار .

و قد اسند الله عزّوجلّ في كلامه التأثير بجميع أنواعه إلى غيره ، و نفى التأثير عن غيره تعالى مطلقاً يستلزم إبطال قاعدة العلّيّة والمعلولية العام الّذي هوالركن في جميع أدلّة التوحيد ، وفيه هدم بنيان التوحيد نعم المنفي من التأثير عن غيره جلّ وعلا هوالإستقلال في التأثير ولا كلام لأحد فيه ، و أمّا نفي مطلق التأثير ففيه إنكار بديهة العقل والخروج من الفطرة الإنسانية ، و ان التوسّل والاستشفاع والزيارة و مسئلة الله تعالى بحق الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام في قضاءِ الحوائج ، و ما إليها لاتختصّ بالإسلام .

و ان قول الله عزّوجلّ في أصل تأثير الغير في الامور لايقبل التأويل ولا الانكار إلّا من أنكر إليه الجميع ، وقد أمرالله تعالى المتقين المؤمنين في وصولهم بحوائجهم بطلبهم الوسيلة في قوله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » المائدة : ٣٥) فاذا لم تكن هذه الوسيلة الأنبياء والأوصياء والأولياء فمن هذه الوسيلة من غير جعلها مستقلة في التأثير .

ففغفلوا عن الفرق بين أن يعبد غيرالله رجاء أن يشفع عندالله عزّوجلّ أو يقرّب إلى الله زلفى ، وبين أن يعبدالله تعالى وحده وجعل من عرّفهالله عزّوجلّ

وسيلة للاستشفاع والتقرّب بهم إلى الله جلّ وعلا من غير أن تكون العبادة لهذه الوسيلة ، فانّ الاولى هي إعطاء الإستقلال و إخلاص العبـادة لغيرالله سبحانه أو جعل غيره تعالى شريكاً لله سبحانه في العبادة وهو شرك في العبودية والعبادة قطعاً، منهيّ عنه بالآيات الكريمة والروايات الشريفة، ويخرج بذلك من حظيرة الاسلام ، وأمّا الثّانية فهي تخصيص العبادة وتمحيضها لله تعالى وحده لاشريك له في العبودية والعبادة ، وإنّما ذمّ الله عزّ وجلّ المشركين على الاولى في قوله تعالى : « اولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة » الاسراء : 57) وحكاية عن قولهم : « ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى » الزمر : 3) .

فهم يجعلون عبادتهم لغيرالله عزّ وجلّ ، و كانوا يرجون بعبادتهم للأصنام أن تشفع لهم الأصنام والأنداد على أنواعها في معتقداتهم ، وهم لو قالوا : إنّما نعبدالله وحده ولكنّا نرجو مع ذلك أن يشفع لنا ملائكته أو رسله أو أوليائه عليهم السلام باذنه تعالى لمكانتهم عنده تعالى أو نتوسّل بهم لقربهم من الله جل وعلا لما كفروا بذلك وما أشركوا بالله سبحانه .

كما أنّ الكعبة المعظّمة في الدين الإسلامي وجهة وليست بمعبودة ، وإنّما يعبد بالتوجّه إليها الله جلّ وعلا ، وليت شعري مايقول هؤلاء الغافلون الجامدون في الحجر الأسود وإستلامه ممّا شرع في الاسلام وتقبيله و كذا في الكعبة المكرّمة من غير خلاف بين المسلمين في جوازها، فهل تكون هذه مستثناة من الشرك المنهيّ عنه أو تكون من عبادة الله تعالى محضاً، وللحجر حكم الطريق والجهة لا العبادة والعبودية وهذا مما لايخفى على ذى مسكة .

﴿زيارة المشاهد المشرفة و نهي ابن تيمية عنها﴾

و اعلم أن للعلّامة الأميني قدّس الله روحه و حشره مع مواليه أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بحثاً عميقاً جيّداً في المقام في كتابه الشريف: (الغدير ج ٥ ص ٨٦) لاينبغي لأصحاب التحقيق الغفلة عنه، و هذا هو التالي:

و قد جرت السيرة المطّردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأوّلين والتابعين لهم باحسان على زيارة قبور ضمنت في كنفها نبيّاً مرسلاً أو إماماً طاهراً، أو وليّاً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين، وفي مقدّمها قبر النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم وكانت الصلاة لديها، والدعاء عندها، والتبرّك والتوسّل بها، والتقرّب إلى الله و إبتغاء الزلفة لديه باتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين فرق المسلمين من دون أيّ نكير من آحادهم، و أيّ غميزة من أحد منهم على إختلاف مذاهبهم...

حتّى ولد الدهر إبن تيميّة الحرّاني فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي ولايبالي، فترءو أنكر تلكم السنّة الجارية: سنّة الله التي لاتبديل لها ولن تجد لسنّة الله تحويلاً، وخالف هاتيك السيرة المتّبعة، وشذّ عن تلكم الآداب الإسلامية الحميدة، و شدّد النكير عليها بلسان بذيّ وبيان تافه، و وجوه خارجة عن نطاق العقل السليم، بعيداً عن أدب العلم، أدب الكتابة، أدب العفّة، وأفتى بحرمة شدّ الرّحال لزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و عدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة، فخالفه أعلام عصره و رجالات قومه، فقابلوه بالطعن والرّدّ الشديد، فأفرد هذا

بالوقيعة عليه تأليفاً حافلاً - كشفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي، والدرّة المضيئة في الرّد على إبن تيمية للسبكي أيضاً ، والمقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبي عبدالله الاخنائي، ونجم المهتدى ورجم المقتدى للفخر ابن المعلم القرشي، ودفع الشبه لتقي الدين الحصني، والتحفة المختارة في الرّد على منكر الزيارة لتاج الدين الفاكهاني المتوفى : ٨٣٤ و تأليف أبي عبدالله محمّد بن عبدالمجيد الفاسي المتوفى : ١٢٢٩ - وجاء ذلك يزيّف آراءه ومعتقداته في طيّ تآليفه القيّمة - كالصواعق الالهية في الرّد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرّد على أخيه محمّد بن عبد الوهّاب النجدي، والفتاوى الحديثية لابن حجر ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ، و شرح المواهب للزرقاني و كتب اخرى كثيرة - و هناك ثالث يترجمه بعجره و بجره و يعرّفه للملأ ببدعه و ضلالاته .

وقد أصدر الشاميّون فتيا و كتب عليها البرهان إبن الفركاح الفزاري نحو أربعين سطراً بأشياء إلى أن قال بتكفيره ، و وافقه على ذلك الشهاب بن جهبل و كتب تحت خطّه كذلك المالكي ، ثمّ عرضت الفتيا القاضي القضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة ، فكتب على ظاهر الفتوى : الحمدلله هذا المنقول باطنها جواب عن السئوال عن قوله : ان زيارة الأنبياء والصّالحين بدعة و ما ذكره من نحو ذلك ، و من أنّه لايرخّص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه ، و قد نقل جماعة من العلماء انّ زيارة النّبي ﷺ فضيلة وسنّة مجمع عليها، وهذا المفتي المذكور - يعني إبن تيميّة - ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ، ويمنع من الفتاوى الغريبة ، ويحبس إذا لم يمنع من ذلك ، ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به .

و كتبه محمّد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الشافعيّ ، و كذلك يقول محمّد بن الجريري الأنصاري الحنفي ، لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً ، و كذلك يقول

محمد بن أبي بكر المالكي و يبالغ في زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد ، و كذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي ، راجع (دفع الشبه ص ٤٥ ـ ٤٧) و هؤلاء الأربعة هم قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيّام تلك الفتنة في سنة : ٧٢٦ ـ راجع تكملة السيف الصيقل للشيخ محمد زاهد الكوثري : ص ١٥٥ ـ .

و كان من معاصريه من ينهاه عن غيّه كالذهبي فانه كتب إليه بنصحه ، وإليك نصّ خطابه إيّاه :

« الحمدلله على ذلّتي ، يارب ّ ارحمني وأقلني عثرتي ، و احفظ عليّ ايماني ، واحزناه على قلّة حزني ، و واأسفاه على السنّة وأهلها ، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم و أهل التقوى و كنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال و أخ مونس ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، و تبّاً لمن شغله عيوب النّاس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك ، وتنسى الجذع في عينيك ؟ إلى كم تمدح نفسك ، وشقاشقك وعباراتك ، وتذمّ العلماء وتتبّع عورات الناس ؟ مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : لاتذكروا موتاكم إلّا بخير فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا » .

بل أعرف انك تقول لي لتنصر نفسك : إنّما الوقيعة في هؤلاء الّذين ما شمّوا رائحة الإسلام ، ولاعرفوا ماجاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو جهاد بل والله عرفوا خيراً كثيراً ممّا إذا عمل به فقدفاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممالايعنيهم ، ومن حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه ، يارجل! بالله عليك كفّ عنّا ، فانك محجاج عليهم اللسان لاتقرّ ولاتنام ، إيّاكم والغلوطات في الدين ، كره نبيّك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها و نهى عن كثرة السؤال ، وقال : « إن أخوف ما أخاف على امّتي كلّ منافق عليم اللسان » و كثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف كان في عبارات اليونسيّة والفلاسفة ، وتلك الكفريات الّتي تعمى

القلوب ، والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فالى كم تنبش دقائق الكفريّات الفلسفية ؟ لنردّ عليها بعقولنا ، يا رجل !

قد بلغت « سموم » الفلاسفة و تصنيفاتهم مرّات ، و كثرة إستعمال السموم يدمن عليه الجسم ، وتكمن والله في البدن ، واشوقاه إلى مجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، بل عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجّاج و لسان إبن حزم شقيقين فواخيتهما ، بالله خلّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدّوا في ذكر بدع كنّا نعدّها من أساس الضّلال ، قد صارت هي محض السنّة وأساس التوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أوحمار ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون و تعدّ النصارى مثلها ، والله في القلوب شكوك ، إن سلم لك ايمانك بالشهادتين ، فأنت سعيد يا خيبة من اتبعك فانّه معرض للزندقة والانحلال .

لاسيّما إذاكان قليل العلم والدين باطولياً شهوانياً ، لكنّه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه ، و في الباطن عدوّ لك بحاله و قلبه ، فهل معظم أتباعك إلّا قعيد مربوط خفيف العقل ؟ أو عاميّ كذّاب بليد الذهن ؟ أو غريب واجم قويّ المكر ؟ أو ناشف صالح عديم الفهم ؟ فان لم تصدّقني ففتّشهم و زنهم بالعدل يامسلم ! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ ! إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار ؟ ! إلى كم تعظّمها وتصغّر العباد ؟ ! إلى متى تخاللها وتمقت الزهّاد ؟ ! إلى متى تمدح كلامك بكيفيّة لاتمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك ! بل في كلّ وقت تغير عليها بالتضعيف والأهدار أو بالتأويل والأنكار ، أما آن لك أن ترعوى ؟ ! أما حان لك أن تتوب وتنيب ؟ ! أما أنت في عشر السبعين ، وقد قرب الرحيل ؟ ! بلى - والله - ما أذّكر انك تذكّر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت .

فما أظنّك تقبل على قولي ولاتصغي إلى وعظي ، بل لك همّة كبيرة في نقض

هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول: ألبتة سكت، فاذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك ؟! و أعداؤك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة و كذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر، قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سراً [فرحم الله امرءاً اهدى إلي عيوبي] فانني كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتى من علام الغيوب و دوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين » راجع تكملة السيف الصقيل للكوثري ص ١٩٠ كتبه من خط قاضي القضاة برهان الدين إبن جماعة و كتبه هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلائي، و قد كتبه من خط الذهبي و ذكر شطراً منه العزامي في الفرقان ص ١٢٩ .

فمن هنا وهناك بادوا عليه ما أبدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة والآراء المحدثة الشاذة عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ونودي عليه بدمشق : من اعتقد عقيدة إبن تيمية حل دمه و ماله - راجع (الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ١٤٧) - فذهبت تلكم البدع السخيفة إدراج الرياح كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

ثم قيض المولى سبحانه في كل قرن، وفي كل قطر رجالاً نصروا الحقيقة، وأحيوا كلمة الحق، وأماتوا بذرة الضلال، وقابلوا تلكم الأضاليل المحدثة بحجج قوية و براهين ساطعة، فجائت الامة الإسلامية تتبع الطريق المهيع، وتسلك جدد السبيل تباعاً وراء الكتاب والسنة، تعظم شعائر الله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب، إلى أن ألقى الشر جرانه، وجاد الدهر بولائد الجهل، و ربتهم أيدي الهوى، و أرضعتهم امهات الضلال، و شاخلتهم رجالات الفساد،

و تمثّلوا في الملأ بشراً سوياً ، و سجيّتهم الضلال ، فجاسوا خلال الديار و ضلّوا وأضلّوا واتبعوا سبيل الغيّ وصدّوا عن سبيل الله ومن اولئك الجماهير « القصيمى » صاحب « الصّراع » حذا حذو إبن تيميّة و اتّخذ و تيرته و اتبع هواه فجاء في القرن العشرين كشيخه بموّه و يدجّل و يتسدّج و يتحرّش بالسباب المقذع ، ويقذف مخالفيه بالكفر والردّة ، ويرميهم بكلّ معرّة ومسبّة ، ويرى المجتمع انّ هاتيك الأعمال من الزيارة والدعاء عند القبور المشرّفة والصّلاة لديها ، والتبرّك والتوسّل والاستشفاع بها كلّها من آفات الشيعة ، و هم بذلك ملعونون خارجون عن ربقة الإسلام ، و بسط القول في هذه كلّها بألسنة حداد مقذعاً مستهتراً خارجاً عن أدب المناظرة والجدال ، قال في (الصراع ج ١ ص ٥٤) :

« و بهذا الغلوّ الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمّتهم ، و بهذا التأليه الّذي سمعت منهم لعليّ و ولده عبدوا القبور وأصحاب القبور وأشادوا المشاهد ، و أتوها من كلّ مكان سحيق و فجّ عميق ، و قدّموا لها النذور والهدايا والقرابين ، وأراقوا فوقها الدماء والدموع و رفعوا لها خالص الخضوع والخشوع ، و أخلصوا لها ذلك ، و خصّوها به دون الله ربّ الموحدين » . و قال في (ج ١ ص ١٧٨) :

« الأشياء المشروعة كالصّلاة والسلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين القرب والنأى ، فانّها حاصلة في الحالتين ، و أمّا مشاهدة القبر الشريف نفسه ، ومشاهدة الأحجار نفسها ، فلافضل فيها ولاثواب بلاخلاف بين علماء الإسلام ، بل إنّ مشاهدته عليه الصّلاة والسلام حينما كان حيّاً لا فضل لها بذاتها ، و إنّما الفضل في الايمان به والتعلّم منه والإقتداء به والنهج منهجه ومناصرته ، وبالاجمال انّ أحداً من النّاس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلاً ما ، و هذا واضح من سيرة المسلمين الأوّلين إلى آخر خرافاته ومخاريقه » .

لعلّ القارىء يزعم من شدّة الرجل هذه و حدّته في النكير ، والجلبة

واللغط في القول ـ التي هي شنشنة يعرف بها إبن تيميّة شيخ البدع والضّلال والمرجع الوحيد في هذه الخزايات والخزعبلات ـ إنّ لكلامه مقيلاً من الحقيقة و رمزاً من الصّدق ، ذاهلاً عن أنّ أعلام المذاهب الإسلاميّة في القرون الخالية ، منذ القرن الثامن من يوم إبن تيميّة و بعده يوم محمّد بن عبد الوهّاب الّذي أعاد لتلكم الدوارس جدّتها وحتّى العصر الحاضر أنكروا على هذه السفسطات والسفاسف وحكموا بكفر من ذهب إلى هذه الآراء المضلّة والمعتقدات الشاذّة عن سيرة المسلمين ، وشنّوا عليه الغارة وبالغوا في الرّدّ عليه .

والقاريء جدّ عليم بأن هذه اللهجة القارصة ليست من شأن من أسلم وجهه لله و هو محسن ، و آمن بالنّبيّ الطاهر ، و اعتنق بماجاء به من كتاب و سنّة ، ولاتسوّغها مكارم الأخلاق ومباديء الإنسانيّة ، ولايحبذها أدب الإسلام المقدّس ، أيجوز لمسلم أن يسوّي بين مشاهدة الأحجار ، وبين رؤية النّبيّ ﷺ في حال حياته ؟ أيسوغ له أن لا يرى لزيارته حيّاً و ميّتاً قيمة و لا كرامة ؟ ولا يعتبر لها فضلا ما ، وينعق بذلك في الملأ الديني ؟ أليست من السيرة المطّردة بين البشر أنّ كلّ ملّة من الملل تستعظم زيارة كبرائها و زعمائها ، و تراها فضلاً و شرفاً ، و تعدّها للزائر مفخرة و محمدة ، وتكثر إليها رغبات أفرادها ، لما يرون فيها من الكرامة ؟

وقد جرت على هذه سيرة العقلاء من الملل والنحل ، وعليه تصافقت الأجيال في أدوار الدنيا ، وكان يقدّر النّاس سلفاً و خلفاً أعلام الدين بالزّيارة والتبرّك بهم ، قال أبوحاتم : كان أبومسهر عبد الأعلى الدمشقي الغسّاني المتوفّى : ٢١٨ : « إذا خرج إلى المسجد إصطفّ النّاس يسلّمون عليه و يقبّلون يده » راجع (تاريخ الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٧٣) .

وقال أبوسعيد : كان أبوالقاسم سعدبن على شيخ الحرم الزنجاني المتوفّى : ٤٧١ : إذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف ويقبّلون يده أكثر ممّا يقبّلون الحجر

الأسود » راجع (تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٣٤٦) و (صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٥١) .

وقال إبن كثير في (تاريخه ج ١٢ ص ١٢٠) : كان النّاس يتبرّكون به ويقبّلون يده أكثر مما يقبّلون الحجر الأسود .

وكان أبو إسحق إبراهيم بن عليّ الشيرازي المتوفّى : ٤٧٦ كلّما مرّ على بلدة خرج أهلها يتلقّونه بأولادهم ونساءهم يتبرّكون به ، ويتمسّحون بركابه ، وربّما أخذوا من تراب حافر بغلته ، ولمّا وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها ، وما مرّ بسوق منها إلّا نثروا عليه من لطيف ماعندهم . راجع (البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ص١٢٣) و (شذورات الذهب ج ٣ ص ٣٥٠) .

وكان الشريف أبوجعفر الحنبلي المتوفّى : ٤٧٦يدخل عليه فقهاء وغيرهم وغيرهم، ويقبّلون يده ورأسه . راجع (البداية والنهاية ج ١٢ ص ١١٩) .

م و كان الحافظ أبو محمّد عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفّي : ٦٠٠ : إذا خرج في مصر يوم الجمعة إلى الجامع لايقدر يمشى من كثرة الخلق يتبرّكون به ، ويجتمعون حوله . هب ٤ ص ٣٤٦) .

وكان أبو بكرعبدالكريم بن عبدالحنبلي المتوفّى: ٦٣٥ منقطعاً عن النّاس في قريته يقصده الناس لزيارته والتبرك به هب ٥ ص ١٧١) .

وقال الحافظ أبوعبدالله محمّدبن أبي الحسين اليونيني الحنبلي المتوفّى: ٦٥٨ من الحرمة والتقدّم ما لم ينله أحد وكانت الملوك تقبّل يده و تقدّم مداسه هب ٥ ص ٢٩٤) .

وكان الجزري محمّدبن محمّد المتوفّي: ٨٣٢ توفّى بشيراز وكانت جنازته مشهودة تبادر الأشراف والخواص والعوام إلى حملها وتقبيلها و مسّها تبرّكاً بها ، و من لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرّك بمن تبرّك بهـا . (مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٩٤) .

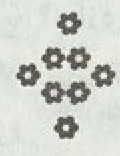
وكان لأهل دمشق في الشيخ مسعود بن عبدالله المغربي المتوفى: ٩٨٥ كبير إعتقاد يتبرّكون به، و يقبّلون يديه، قال النجم الغزّي و لقد دعالي و مسح على رأسي، وأنا أجد بركة دعائه الآن . هب ٨ ص ٤٠٩) فما ظنّك بزيارة سيّد ولد آدم من نيطت به سعادة البشر و رقيّه و تقدّمه؟ و هذه ملائكة السموات تزور ذلك القبر الشريف كل يوم، فما من يوم يطلع إلّا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتّى يحفوا بقبره ﷺ و يصلّون عليه حتّى إذا أمسوا عرجوا و هبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك حتّى إذا انشقّت عنه الأرض . أخرجه الدارمي في (سننه ج ١ ص ٤٤) و ذكره القسطلاني في « المواهب اللدنية » و إبن حجر في « الجوهر المنظم » عن الدارمي، و إبن المبارك، و إسماعيل القاضي، والبيهقي، و ذكر الزرقاني في « شرح المواهب ج ٥ ص ٣٤٠ » ما اسقط منه القسطلاني و ذكره الحمزاوي في « كنز المطالب ص ٢٢٣ » .

وشتّان بين هذا الرأي «القصيمي» الفاسد وبين قول الشيخ تقيّ الدين السبكي في « الشفاء ص ٩٦ » : إن من المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرّك ببعض الموتى من الصّالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين، و من ادّعى انّ قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطائه فيه، وفيه حطّ لدرجة النبيّ ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفر متيقّن، فانّ من حطّ رتبة النبيّ ﷺ عمّا يجب له فقد كفر؟

والخطب الفظيع وقل الفاحشة المبيّنة انّ الرجل يحذو حذو إبن تيميّة ويرى ما يهذو به من البدع والضلالات من سيرة المسلمين الأوّلين، كأنّ القرون الإسلاميّة تدهورت وتقلّبت على سيرتها الاولى، وشذّت الامّة عنها، فلم يبق عاملاً بتلك السيرة إلّا الرجل « القصيمي » وشيخه في ضلاله « إبن تيميّة » .

و انظر إلى الرجل كيف يرى زيارة القبور و إتيانها والدعاء عندها من الردّة والكفر عند جميع المسلمين على إختلاف مذاهبهم ناشئة عن الغلوّ في

التشيّع والتأليه لعليّ و ولـده؟! و قد مـرّ عنه في صفحة «٤٥»: انّ الشيعة يرون عليّاً و ولده أنبياء يوحى إليهم إن كلّها إلّا شنشنة الدعـونة ، و صبغة الإحن والشحناء في كلّ اموىّ لفّ عجاجته على الشيعة و على أئمّتها ، فها نحن نقدّم بين يدي القاريء سيرة المسلمين فى زيارة النبى الأقدس ﷺ وغيره منذ عصر الصحابة الأوّلين والتابعين لهم باحسان حتّى اليوم ، ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة».



﴿زيارة قبر النبي الاقدس ﷺ و اهل السنة﴾

و قد أورد أئمّة المذاهب الأربعة و حفّاظ العامة و أعلامهم في صحاحهم و مسانيدهم و أسفارهم روايات كثيرة في زيارة قبر النّبيّ الأقدس ﷺ نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ روى الدولابي أبو بشر محمد الرازي في (الكنى و الأسماء ج ٢ ص ٦٤) عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»

رواه جماعة من حملة أسفارهم :

منهم: أقضى القضاة أبوالحسن الماوردي في (الأحكام السلطانية ص ١٠٥)

و منهم : أبوعبدالله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير با بن الحاجّ في (المدخل ج ١ ص ٢٦١)

و منهم : تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي بسط القول في ذكر طرقه في (شفاء السقام ص ٣ ـ ١١) و قال في (ص ٨) : و الرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقات لاريبة فيهم ، و موسى بن هلال قال إبن عدي : أرجوانّه لابأس به ، و هو من مشايخ أحمد و أحمد لم يكن يروي إلاّ عن ثقة ، و قد صرّح الخصم بذلك في الرّدّ على البكري ، ثمّ ذكر شواهد لقوّة سنده فقال : و بذلك تبيّن ان أقلّ درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحّته ـ إلى أن قال ـ : و بهذابل بأقلّ منه يتبيّن إفتراء من ادّعى : أنّ جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة ، فسبحان الله أما استحى من الله

و من رسوله في هذه المقالة الّتي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل لا من أهل الحديث ولا من غيرهم ؟ !

و لا ذكر أحد موسى بن هلال و لا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع و لا اتّهمه به فيما علمنا ، فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كـلّ الأحاديث الّتي هو واحد منها انّها موضوعة؟ ! و لم ينقل إليه ذلك عن عالم نقله ، و لا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدّثين للحكم بالوضع ، ولا حكم متنه مما يخالف الشريعة، فمن أيّ وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسن وصحيح .

و منهم : الشيخ شعيب عبدالله بن سعد المصري ثم المكّي الشهير بالحريفيش في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

و منهم : السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ص ٣٩٤)

و منهم : السيوطي في (الجامع الكبير) كما في ترتيبه (ج ٨ ص ٩٩)

و منهم : الشيباني في (تمييز الطيّب من الخبيث ص ١٦٢)

و منهم : الخطيب الشربيني في (المغني ج ١ص ٤٩٤) عن صحيح إبن خزيمة .

و منهم : المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١)

و منهم : الزرقاني المصري المالكي في (شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٨)

و منهم : الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥) نقلاً عن غير واحد من أئمّة الحديث.

و منهم : عدّة من فقهاء المذاهب الأربعة في مصر اليوم في (الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٥٩٠)

٢ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من جاء ني زائراً لاتعمله إلّا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون لـه شفيعاً يوم القيامة . و في لفظ : لا تحمله إلّا زيارتي .

وفي ثالث : لم تنزعه حاجة إلّا زيارتي . و في رابع : لا ينزعه إلّا زيارتي كان حقاً على الله عزّ وجل . و في خامس للغزالي : لا يهمّه إلّا زيارتي . رواه جماعة من أعلام العامّة:

منهم : أبوعلي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي في كتابه: (السنن الصحاح) جعل في آخر كتاب الحجّ : «باب ثواب من زار قبر النّبي» ولم يذكر في الباب غير هذا الحديث. قال السبكي في (شفاء السقام ص ١٦) : وذلك منه حكم بأنّه مجمع على صحّته بمقتضى الشرط الّذي شرطه في الخطبة.

و منهم : أبوحامد الغزالي الشافعي في (إحياء العلوم ج ١ ص ٢٤٦)

و منهم : إبن عساكر في (تاريخ الشام)

و منهم : السبكي الشافعي في (شفاء السقام ص ١٣ ـ ١٦)

و منهم : السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٦)

و منهم : الخطيب الشربيني في (مغني المحتاج)في شرح (المنهاج ج ١ ص ٤٩٤)

٣ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» و في غير واحد من طرقه زيادة: «وصحبني»

رواه جماعة من حملة آثارهم:

و منهم : إبن عساكر الدمشقي في (تاريخه).

و منهم :إبن الجوزي في (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن)

و منهم : إبن النجار البغدادي في (الدرّة الثمينة في أخبار المدينة)

و منهم : الخطيب التبريزي في (مشكاة المصابيح في باب حرم المدينة في الفصل الثالث)

و منهم : تقي الدين السبكي بسط القول في طرقه في (شفاء السقام ص ١٦ ـ ٢١) رواه عن كثير من أعلامهم.

و منهم : المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

و منهم : السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٧)

و منهم : السيوطي في (الجامع الكبيرج ٨ ص ٩٩) كما في ترتيبه .

ومنهم: قاضي القضاة الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء ج ٣ ص ٥٦٧)

ومنهم: الشوكاني في (نيل الأوطارج ٣ ص ٣٢٥)

ومنهم: الدمياطي الشافعي في (مصباح الظلام ج ٢ ص ١٤٤)

٤ـ عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني .

أخرجه جماعة منهم:

تقي الدين السبكي من غيرطريق في (شفاء السقام ص ٢٢)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٧)

ومنهم: القسطلاني في (المواهب اللدنية) نقلاً عن إبن عدي وإبن حبّان و الدارقطني .

ومنهم: الجراحي العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٧٨)

ومنهم: الزبيدي الحنفي في (تاج العروس ج ١ ص ٧٤)

ومنهم: الشوكاني في (نيل الأوطارج ٤ ص ٣٢٥)

٥ـ عن عمر مرفوعاً : من زار قبري أو « من زارني » كنت له شفيعاً « أو شهيداً» ومن مات فى أحدالحرمين بعثه الله عزّ وجلّ في الآمنين يوم القيامة.

أخرجه جماعة من حملة آثارهم:

منهم: أبو داودالطيالسي في (مسنده ج ١ ص١٢)

ومنهم: البيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٤٥)

ومنهم: تقي الدين السبكي في (شفاء السقام ص ٢٢)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٩)

ومنهم: القسطلاني في (المواهب اللدينة)

ومنهم: إبن الديبع في (تمييزالطيب ص ١٦٢)

ومنهم: المناوي في (كنوزالحقائق ص ١٤١)

ومنهم: العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ص ٢٧٨)

٦- عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي ومن مات في أحدالحرمين بعث يوم‌القيامة من الآمنين.

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: الدارقطني في (السنن)

ومنهم: السبكي في (شفاء السقام ص ٢٥)

ومنهم: المصري في (الروض الفائق ج ٢ص ١٣٧)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٩)

ومنهم: القسطلاني في (المواهب‌اللدنية) عن البيهقي.

ومنهم: الجراحي‌العجلواني‌في (كشف‌الخفاء ج ٢ ص٥٥١)عن إبن‌عساكر والذهبي، وحكى عن الأخير أنّه قال: إنّ هذا الحديث من أجود أحاديث‌الباب إسناداً.

ومنهم: الشوكاني في (نيل الأوطارج ٤ ص ٣٢٥)

ومنهم: البيروتي في (حسن الأثرص ٢٤٦)

٧- عن‌عبدالله بن‌عمر مرفوعاً: من حجّ حجّة الإسلام وزارقبري وغزاغزوة وصلّى عليّ في بيت‌المقدّس لم يسئله‌الله عزّوجل فيما افترض عليه. رواه‌أبوالفتح الأزدي في (فوائده) وتقي‌الدين السبكي في (شفاء السقام ص ٢٥) والسمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠) والشوكاني في (نيل‌الأوطارج ٤ ص ٣٢٦)

٨- عن أبي هريرة مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنّمازارني وأناحيّ ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة.

أخرجه أبوالفتوح اليعقوبي في (فوائده) والسبكي‌في (شفاء السقام ص٢٦)

والسمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠)

٩ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً.
و في رواية اخرى عنه أيضاً: من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة

وفي لفظ ثالث له زيادة: و كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة.

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: البيهقي في (شعب الايمان)

ومنهم: القاضى عياض المالكي في (الشفاء)

ومنهم: إبن الجوزي في (مثير الغرام الساكن)

ومنهم: العبدري المالكي في (المدخل ج ١ ص ٢٦١)

ومنهم: إبن القيّم الجوزية في (زاد المعاد ج ٢ ص ٤٧)

ومنهم: تقي الدين السبكي في (الشفاء السقام ص ٢٧)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠)

ومنهم: القسطلاني في (المواهب اللدنية)

ومنهم: السيوطي في (الجامع الكبير) كما في ترتيبة (ج ٨ ص ٩٩)

ومنهم: الشوكاني في (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٦)

ومنهم: الزرقاني المالكي في (شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٩)

ومنهم: الجراحي العجلواني في (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥١)

ومنهم: الدمياطي الشافعي في (مصباح الظلام ج ٢ ص ١٤٣)

١٠ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني ميتاً فكأنّما زارني حيّاً، ومن زارقبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من امّتي له سعة ثمّ لم يزرني فليس له عذر.

أخرجه إبن النجّار في (الدرّة الثمينة في فضائل المدينة) و السبكي

فى (شفاء السقام ص ٢٨) و السمهـودي فى (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٠) و القسطلانى فى (المواهب اللدنية) والعجلوانى فى (كشف الخفاء ج ٣ ص ٢٧٨)

١١- عن إبن عبّاس مرفوعاً: من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتّى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً. أوقال: شفيعاً أخرجه ابن عساكر كما فى (شفاء السقام ص ٢١) و (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١) و (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٥-٣٢٦)

١٢- عن علي أمير المؤمنين عليه السلام مرفوعاً وغير مرفوع: «من زار قبري بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي ، ومن لم يزر قبري فقد جفاني»

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم : أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسني في (أخبار المدينة)

ومنهم: أبو سعيد عبدالملك بن محمّد النيسابوري الخركوشي في (شرف المصطفى)

ومنهم: إبن النجار في (الدرّة الثمينة)

ومنهم: تقي الدين السبكي في (شفاء السقام ص ٢٩)

ومنهم: شعيب المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١)

ومنهم: المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١)

١٣- عن بكر بن عبدالله مرفوعاً: من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً.

أخرجه الحسني في (أخبار المدينة) و السبكي في (شفاء السقام ص ٣٠) و السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٢)

١٤- عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي .

رواه جماعة من حملة آثارهم :

منهم: قاضي القضاة الخفاجي الحنفي في (شرح الشفاء ج ٣ ص ٥٦٥)

نقله عن البيهقي والدارقطني والطبراني وإبن منصور

ومنهم: المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٤١) بلفظ : «من زار قبري بعد موتي»

ومنهم: العجلواني فى (كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥١)

١٥- عن إبن عباس مرفوعاً: من حجّ إلى مكّة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجّتان مبرورتان.

أخرجه الفردوس فى مسنده كما فى (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠١) وفى (نيل الأوطار ج ٤ ص ٣٢٦)

١٦- عن رجل من آل الخطّاب مرفوعاً: من زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين (من الآمنين) وزاد الشحامي عقب قوله (يوم القيامة) : و من سكن المدينة و صبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة.

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: البيهقي فى (شعب الايمان)

ومنهم: إبن عساكر الدمشقي فى تاريخه.

ومنهم: الخطيب العمري التبريزي فى (مشكاة المصابيح فى باب حرم المدينة في الفصل الثالث)

ومنهم: السبكي فى (شفاء السقام ص ٢٤)

ومنهم: السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٩)

١٧ - عن عبدالله بن مرفوعاً : من زارني إلى المدينة كنت له شهيداً و شفيعاً ، أخرجه الدار قطني باسناده فى (السنن) كما فى (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٩٨)

روى عن رسول الله ﷺ قال : من وجد سعة و لم يفد (يغد) إلي فقد جفاني.

ذكره إبن فرحون في مناسكه ، و الغزالى فى (الإحياء ج ٢ ص ٢٤٦) و القسطلانى فى (المواهب اللدنية) والعجلوانى فى (كشف الخفاء ج٢ ص ٢٧٨)

١٩- قال رسول الله ﷺ : من زارني بعد وفاتي وسلّم عليّ رددت عليه السلام عشراً وزاره عشرة من الملائكة، كلّهم يسلّمون عليه، ومن سلّم عليّ في بيته ردّ الله تعالى عليّ روحي حتّى اسلم عليه.

رواه المصرى فى (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

٢٠ - عن أبي عبدالله محمّد بن العلاء قال : دخلت المدينة و قد غلب عليّ الجوع ، فزرت قبر النبيّ ﷺ و سلّمت عليه و على الشيخين ، و قلت : يا رسول الله جئت و بي من الفاقة و الجوع مالا يعلمه إلاّ الله عزّ و جلّ ، و أنا ضيفك فى هذه الليلة ثمّ غلبني النوم ، فرأيت النبيّ ﷺ فى المنام فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه ، ثمّ إنتبهت من المنام و فى يدي نصفه الآخر ، فتحقّق عندي قول النبيّ ﷺ من رآني في المنام فقد رآني حقاً فانّ الشيطان لا يتمثّل بي ثمّ نوديت: يا أبا عبدالله ! لا يزور قبري أحد إلاّ غفر له ونال شفاعتي غداً .

ذكره الشيخ المصري فى (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٨) فقال في المعنى:

من زار قبر محمّد   نال الشفاعة فى غد

بالله كرّر ذكره   و حديثه يا منشدي

و اجعل صلاتك دائماً   جهراً عليه تهتدي

فهو الرسول المصطفى   ذوالجود والكفّ الندى

و هو المشفّع فى الورى   من هول يوم الموعد

و الحوض مخصوص به   فى الحشر عذب المورد

صلّى عليه ربّنا   مالاح نجم الفرقد

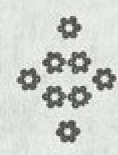
٢١- مرفوعاً عنه ﷺ : لاعذر لمن كان له سعة من امتّى ولم يزرني.

رواه الشيخ عبدالرحمن شيخ زادة في (مجمع الأنهر) في شرح (ملتقى الأبحر ج ١ ص ١٥٧) وعدّة من أدلّة الباب من دون غمز فيه.

٢٢- عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جواره.

أخرجه إبن عساكر كما في (نيل الأوطارج ٤ ص ٣٢٦)

قال الله عزّ و جل : «فلعلّك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » الكهف: ٦) وقال: «فبأيّ حديث بعده يؤمنون» الاعراف: ١٨٥).



«اهل السنة و زيارة القبور»

قال الله عزّ وجل: «ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» التكاثر: ١-٤).

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق أهل السنّة في ترغيب زيارة القبور، و خاصّة قبر النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، نشير إلى مايسعه المقام، ثم نشير إلى نبذة ماورد من كلامهم في ذلك:

١ـ روى إبن حسنويه الموصلي في (درّ بحر المناقب ص ١٠٧) بالاسناد عن الأئمّة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «ان الله يخلق كثيراً من الملائكة، وانه ينزل من كل سماء في كل يوم سبعين ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم حتّى إذا طلع الفجر ينصرفون إلى قبر النّبي صلى الله عليه وآله فيسلّمون عليه ثم يأتون قبر عليّ فيسلّمون عليه، ثمّ يعرجون إلى السماء قبل طلوع الفجر ثمّ ينزل عوضهم في النهار ثمّ يعرجون قبل مغيب الشمس، والّذي نفسي بيده انّ حول قبر ولدي الحسين أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك، يقال له: منصور وانّ الملائكة عون لمن زاره فلا يزوره زاير إلّا استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلّا شيّعوه ولايمرض إلّا عادوه ولايموت إلّا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته.

٢ـ روى عبد الملك بن محمّد الخر كوشي في (شرف النّبى ص ٢٩٠) عن

أمير المؤمنين عليه السلام قال: زارنا رسول الله عليه السلام فعملنا له حريرة واهدت إلينا إمرأة قعباً من لبن وزبد وصحنة من تمر فاكل رسول الله صلى الله عليه وآله ثم توضّأ رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح رأسه ووجهه بيده ثم استقبل القبلة، فدعا الله ماشاء ثم اكب على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر فهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نسئله فوثب الحسين واكب على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا أبت رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله، فقال: يا بني! إنّي سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله، وان جبرئيل عليه السلام حبيبي أتاني فاخبرني بما يصنع بكم، وانكم تقتلون، فدعوت الله لكم بالخيرة قال الحسين عليه السلام: فمن يزورنا ويتعهّد قبورنا قال صلى الله عليه وآله: طائفة من امّتي يريدون برّي وصلتي إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف وأخذت أعضدهم فأنجيتهم من أهواله وشدائده.

أقول: رواه السمهودي في (خلاصة الوفاء ص ٢١٨) بأدنى تفاوت.

٣- روى الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٢٤ ط مصر) ما لفظه: «ومن ذلك أيضاً ما أخبر به العلاّمة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي انه كان يتردّد إلى الزيارة غالباً، فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا، فلمّا وصل في الدعاء إلى قوله: «واجعل ثواباً مثل ذلك» فأراد أن يقول في صحائف سيّدنا الحسين ساكن هذا الرمس، فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده انه الحسين رضي الله عنه، فقال: في صحائف هذا وأشار بيده إليه، فلمّا أتمّ الدعاء فذهب إلى الشيخ الجليل عبد الوهّاب الشعراني فأخبره بذلك، فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك ثمّ ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي فأخبره بذلك فقال الشيخ كريم الدين: صدقت وانا مازرت هذا المكان إلّا باذن من النّبي صلى الله عليه وآله».

٤- روى السيوطي في الدّرّ المنثور عن محمد بن إبراهيم قال: كان النّبي صلى الله عليه وآله يأتي قبور الشهداء على رأس كلّ حول، فيقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. كذلك أبو بكر وعمر وعثمان.

أقول : رواه جماعة منهم:

١- إبن كثير الدمشقي في (تفسيره ج ٢ ص ٥١١)

٢- الآلوسي البغدادي في تفسير (روح المعاني ج ١٣ ص١٣٠).

٣- الحجازي في تفسير (الواضح ج ١٣ص ٣٩).

٤- المراغي في (تفسيره ج ١٣ ص ٩٥) وغيرهم من مفسّريهم. و في الدّر المنثور مثل الحديث المتقدّم عن أنس بن مالك. وفي تفسير إرشاد عقل سليم: «وكذا عن الخلفاء الأربعة» بدل : «كذلك أبو بكر وعمر وعثمان».

٥- روى الغزالي في الاحياء عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكر كم الآخرة غير أن لا تقولوا هجراً .

أقول : رواه أحمد في مسنده، وإبن أبي الدنيا في كتاب القبور.

٦- وفي الاحياء وقال إبن أبي مليكة: أقبلت عائشة يوماً من المقابر فقلت: يا ام المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت : من قبر أخي عبدالرحمن ، فقلت: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عنها ؟ قالت: نعم ثمّ أمر بها.

أخرج إبن أبي الدنيا الحديث في القبور باسناد جيّد.

٧- وفي الاحياء قال أبوذر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصلّ على الجنائز لعلّ ذلك أن يحزنك فانّ الحزين في ظلّ الله.

رواه الحاكم في المسند وإبن أبي الدنيا في كتاب القبور باسناد جيّد.

٨- وفي الاحياء قال إبن أبي مليكة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : زوروا موتاكم و سلّموا عليهم فانّ لكم فيها عبرة.

٩- وفيه عن جعفر بن محمد عن أبيه انّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله كانت تزور قبر عمّها حمزة في الأيام فتصلّي وتبكي عنده.

١٠- وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله: من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة غفر له و كتب برّاً.

١١- وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله: من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي.

١٢- وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم: من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً و شهيداً يوم القيامة.

١٣- وفيه قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مامن رجل يزور قبر أخيه و يجلس عنده إلّا استأنس به ورد عليه حتّى يقوم.

أقول: رواه إبن أبي الدنيا في كتاب القبور، وإبن عبدالبر في كتاب التمهيد وصحّحه عبدالحق الاشبيلي.

١٤- و فيه قال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاءِ الّذين يأتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم.

١٥- في الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: قال النّبى صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانّها تزهّد في الدنيا و تذكّر الآخرة» رواه إبن مسعود أخرجه ابن ماجه، و في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة: «فانّها تذكّر الموت» وفي الترمذي عن بريدة: «فانها تذكر الآخرة» قال: هذا حديث حسن صحيح وفى تفسير المراغي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهّد في الدنيا وتذكركم الآخرة».

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار.

وما ورد في بعضها من تسوية القبور فامّا مطرود بتعارضه الروايات الكثيرة وانّ رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم «لاينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى».

فكيف يأمر النّبى صلى الله عليه وآله وسلم بهدم القبور ثمّ يأمر بزيارتها و هو يزورها فلابدّ من الجمع بينهما على ما تقتضيه صناعة الإجتهاد وطريقة الإستنباط و

قواعد الفنّ المقرّرة في الاصول ـ من حمل الظاهر على الأظهر ، و تأويل الضعيف من المتعارضين و صرفه إلى المعنى الموافق للقوى ، فيكون القوى قرينة على التصرف في الضعيف و إرادة خلاف الظاهر منه ، و لكنّا إذا تدبّرنا نجدها غير متعارضين، فلا نحتاج إلى التأويل والجمع، وذلك أن لايخفى على من له حظّ في فهم التراكيب العربية و التصاريف اللغوية : الفرق بين «التسوية» و بين «المساواة».

فتأويل قول النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ عليه السلام : «و لا تدع قبراً مشرفاً إلّاسويته» إلى معنى ساويته بالأرض أي هدمته تأويل لا يرضى صاحبه ، فان تسوية الشيء عبارة عن تعديل سطحه و تسطيعه في قبال تقعيره أو تحديبه و تسنيمه ، فمعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ولا تدع قبراً مشرفاً» أي مسنماً إلّا سطحته وعدلت سطحه . وليس معناه: إلّا هدمته وساويته بالأرض كي يعارض ما ورد من الحثّ على زيارة القبور وإستحباب إتيانها ، و الترغيب في تشييدها و التنويه بها كما فهم هذا المعنى مسلم، وذكر في كتابه: (صحيح مسلم) تحت عنوان: «باب تسوية القبور».

وفهم هذا المعنى شارحوا صحيح مسلم، والنوى الشهير، فليس هذا من شعار الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقة على ما نسب إليهم من أهل الدسّ والمدسوسين عناداً ولجاجاً، فلاتعارض بين الروايات، مع بناء القبور في زمن الوحى والرسالة ، بل النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله بذاته بنى قبر ولده إبراهيم.

نعم : لو اتّخذ أحد قبراً تمثالاً لصاحبه ويعبده من دون الله تعالى كما كانت اليهود والنصارى وغيرهم يتخذون قبور صلحائهم تمثالاً لصاحب القبر فيعبدونه من دون الله لكان شركاً بريء منه الإسلام والمسلمون ، أواتخذ الموتى مفاخر لنفسه، فيضمّهم بالأحياء عند إستيعاب الاحياء فيتكاثر بجميعهم لوبّخه القرآن الكريم كما في هذه السورة: «حتّى زرتم المقابر» على وجه.

و أمّا المسلمون من عهد النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليـوم، فليس منهم من يعبد صاحب القبر، و إنّما يعبـدون الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له في الوجود و الايجاد، و لا في التدبير و العبادة، و إنّما يعبدون الله تعالى وحده في تلك البقـاع الشريفـة المتبرّكة المتضمّنة لتلك الأجساد الطيّبـة المركبة بالأرواح العالية.



﴿ علماء العامة وزيارة قبر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

وقد اتفقت كلمات أعلام المذاهب الأربعة على جواز زيارة قبر النّبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، وقد افتى جمهورهم باستحبابها ويراها بعضهم واجبة، ويراها الآخرون تعظيماً للنّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لابدّ له منهم:

١- قال القاضي عياض المالكى المتوفى: (٥٤٤) في (الشفاء): وزيارة قبره صلى الله عليه وآله سنّة مجمع عليها، وفضيلة مرغّب فيها. ثم ذكر عدّة من أحاديث الباب فقال: قال إسحق بن إبراهيم الفقيه: وممّا لم يزل من شأن من حجّ المزور - بكسر الميم وسكون الزاء وفتح الواو مصدر ميمي بمعنى الزيارة - بالمدينة والقصد إلى الصّلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتبرّك برؤية روضته ومنبره و قبره و مجلسه و ملامس يديه و مواطن قدميه، و العمود الّذي استند إليه و منزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصّحابة وأئمّة المسلمين والإعتبار بذلك كلّه».

٢- قال إبن هبيرة المتوفى: (٥٦٠) في كتاب (إتفاق الأئمّة): إتّفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل على أن زيارة النّبى صلى الله عليه وآله مستحبّة راجع (المدخل ج ١ ص ٢٥٦) لابن الحاجّ.

٣- ألف الشيخ تقى الدين السبكى الشافعي المتوفى: (٧٥٦) كتاباً حافلاً فى زيارة النّبى الأعظم فى (١٨٧) صحيفة وسمّاه (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام) ردّاً على إبن تيميّة. وذكر كثيراً من أحاديث الباب، ثمّ جعل باباً فى

نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على إستحبابها، و ان ذلك مجمع عليه بين المسلمين وقال في (ص ٤٨) : لا حاجة إلى تتبّع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم باجماعهم و إجماع سائر العلماء عليه، و الحنفيّة قالوا: إنّ زيارة قبر النّبيّ صلى الله عليه من أفضل المندوبات و المستحبات ، بل يقرب من درجة الواجبات ، و ممّن صرّح بذلك أبو منصور محمّد بن مكرم الكرماني في مناسكه، وعبدالله بن محمود ابن بلدحى في شرح المختار ، وفي فتاوى أبى الليث السمرقندي في باب أداء الحجّ .

و قال في (ص ٥٩) : كيف يتخيّل في أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم و هم مجمعون على زيارة سائر الموتى، و سنذكر ذلك ، و ما ورد من الأحاديث و الآثار في زيارتهم ، وحكى في (ص ٦١) عن القاضي عياض و أبي زكريا النووي إجماع العلماء و المسلمين على إستحباب الزيارة ، وقال في (ص ٦٣) : وإذا استحبّ زيارة قبر غيره صلى الله عليه وآله وسلم فقبره صلى الله عليه وآله وسلم أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم.

فان قلت: الفرق ـ يعني بين زيارة قبر النّبي صلى الله عليه وغيره ـ انّ غيره يزار للاستغفار له لإحتياجه إلى ذلك كما فعل النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في زيارته أهل البقيع، والنّبيّ صلى الله عليه مستغن عن ذلك. قلت : زيارته صلى الله عليه إنّما هي لتعظيمه والتبرّك به ، ولتنا لنا الرحمة بصلاتنا و سلامنا عليه ، كما أنّا مأمورون بالصّلاة عليه و التسليم و سؤال الوسيلة و غيرذلك ممّا يعلم أنّه حاصل له صلى الله عليه بغيرسؤالنا ولكنّ النّبيّ صلى الله عليه أرشدنا إلى ذلك لنكون بدعائنا له متعرّضين للرّحمة الّتي رتّبها الله على ذلك.

فان قلت : الفرق أيضاً أن غيره لايخشى فيه محذور و قبره صلى الله عليه يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد. قلت: هذا كلام تقشعرّ منه الجلود ولولا خشية إغترار الجهّال به لما ذكرته ، فانّ فيه تركاً لما دلّت عليه الأدلّة الشرعيّة بالآراء

الفاسدة الخياليّة، وكيف تقدّم على تخصيص قوله ﷺ: «زوروا القبور»؟ وعلى ترك قوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»؟ وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الّذي لم يشهد به كتاب ولا سنّة؟ بخلاف النهي عن إتخاذه مسجداً، وكون الصّحابة إحترزوا عن ذلك المعنى المذكور لأنّ ذلك قد ورد النهي فيه، وليس لنا أن نشرّع أحكاما من قبلنا، أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟

فمن منع زيارة قبر النّبيّ ﷺ فقد شرع من الدين والتعظيم والوقوف عند الحدّ الّذي لا يجوز مجاوزته بالأدلّة الشرعية، وبذلك يحصل الأمر من عبادة غير الله تعالى، ومن أراد الله ضلاله من أفراد من الجهّال، فلن يستطيع أحد هدايته، فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوّة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبيّة فقد كذب على الله تعالى، وضيّع ما أمر به في حق رسله كما أنّ من أفرط وجاوز الحدّ إلى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيّع ما امروا به في حقّ ربهم سبحانه وتعالى، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين، وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضي إلى محذور.

وعقد في (ص ٧٥ـ٨٧) باباً في كون السفر إلى الزيارة قربة، وبسط القول فيه، وأثبته بالكتاب والسنّة والإجماع والقياس، واستدلّ عليه من الكتاب بقوله تعالى: «ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً» بتقريب صدق المجيء وعدم فرق بين حياته ﷺ ومماته.

ومن السنّة بعموم قوله ﷺ: «من زار قبري» وصريح صحيحة إبن السكن: «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي» وبما دلّ من السنّة على خروج النّبيّ من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد، فقد ثبت في الصحيح خروجه ﷺ إلى البقيع - أخرجه مسلم في صحيحه - بأمر من الله تعالى وتعليم عايشة كيفيّة السلام على أهل البقيع - وخروجه إلى قبور الشهداء -

أخرجه أبو داود في (سننه ج ١ ص ٣١٩) - ثم قال:

الرابع الإجماع لإطباق السلف والخلف، فانّ الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحجّ يتوجّهون إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم و منهم من يفعل ذلك قبل الحجّ هكذا شاهدناه من قبلنا، وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث. وذلك أمر لا يرتاب فيه، و كلّهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه، و إن لم يكن طريقهم و يقطعون فيه مسافة بعيدة، و ينفقون فيه الأموال و يبذلون فيه المهج، معتقدين أنّ ذلك قربة و طاعة، و إطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على ممرّ السنين، وفيهم العلماء و الصلحاء و غيرهم يستحيل أن يكون خطأ، و كلّهم يفعلون ذلك على وجه التقرّب به إلى الله عزّ جل ومن تأخّر عنه من المسلمين، فانّما يتأخّر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسّفه عليه و ودّه لو تيسّر له، ومن ادّعى انّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطي.

٤- قال السمهودي المتوفّى: (٩١١) في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤١٢) بعد ذكر أحاديث الباب: وأمّا الإجماع: فأجمع العلماء على إستحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، و قد اختلفوا في النساء وقد امتاز القبر الشريف بالأدلّة الخاصّة به كما سبق، قال السبكي: ولهذا أقول: إنّه لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء. وقال الجمال الريمي في «التقفية»: يستثنى أي من محلّ الخلاف قبر النبّي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فانّ زيارتهم مستحبّة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحجّ: يستحبّ لمن حجّ أن يزور قبر النبّي صلى الله عليه وآله وسلم وحينئذ فيقال: معاياة قبور يستحب زيارتها للنساء بالإتفاق، و قد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير، وأضاف إليه قبور الأولياء و الصالحين والشهداء، ثم بسط القول في أنّ السفر للزيارة قربة كالزيارة نفسها.

٥- قال إبن حجر الهيتمي المكّي الشافعي المتوفي: (٩٧٣) في كتابه (الجوهر

المنظّم فى زيارة القبر المكرّم ص ١٢ ط سنة ١٢٧٩ بمصر) بعد ما استدلّ على المشروعيّة زيارة قبر النبى ﷺ بعدّة أدلّة منها : الإجماع: فان قلت: كيف تحكى الإجماع على مشروعيّة الزيارة والسفر إليها وطلبها ، وإبن تيميّة من متأخري الحنابلة منكر لمشروعيّة ذلك كلّه كما رآه السبكى فى خطه؟! وقد أطال إبن تيميّة الإستدلال لذلك بما تمجّه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً ، وانّه لاتقصر فيه الصّلاة وانّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه، قلت: من هو إبن تيمية؟ حتّى ينظر إليه أو يعوّل فى شيء من امور الدين عليه، وهل هو إلّا كما قال جماعة من الأئمّة الذين تعقّبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتّى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعزّ بن جماعة:

عبد أضلّه الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزي وأرداه ، وبوّأه من قوّة الإفتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان، ولقد تصدّى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته وإجتهاده وصلاحه وإمامته التقىّ السبكى قدّس الله روحه ونوّر ضريحه للردّ عليه فى تصنيف مستقلّ أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصّواب ثم قال: هذا وماوقع من إبن تيميّة ممّا ذكر وإن كان عثرة لاتقال أبداً ، ومصيبة يستمرّ شؤمها سرمداً ، وليس بعجيب فانّه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ، ومادرى المحروم انه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم فى مسائل كثيرة، وتدارك على أئمّتهم سيّما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتّى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزّه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال أنفس.

فنسب إليه الكبائر والعظائم ، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامّة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدّمين و المتأخرين حتّى قام عليه علماء عصره ، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره

فحبسه إلى أن مات ، وخمدت تلك البدع ، و زالت تلك الضلالات ، ثمّ انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً ، ولم يظهر لهم جاهاً و لا بأساً ، بل ضربت عليهم الذّلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

٦ـ وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى: (١٠٦٩) في شرح (الشفا ج ٣ ص ٥٦٦) : و اعلم أنّ هذا الحديث ـ حديث شدّ الرحال إلى المساجد ـ هو الّذي دعا إبن تيميّة ومن معه كابن القيّم إلى مقالته الشنيعة الّتي كفّروه بها ، و صنّف فيها السبكي مصنّفاً مستقلاً و هي منعه من زيارة قبر النّبيّ ﷺ وشدّ الرحال إليه وهو كما قيل :

لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب وعند ذاك المرجّى ينتهي الطلب

فتوهّم انّه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانّها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل سامحه الله تعالى .

و أمّا قوله ﷺ : « لا تتّخذوا قبري عيداً » فقيل : كره الإجتماع عنده في يوم معيّن على هيئة مخصوصة . وقيل: المراد لا تزوره في العام مرّة فقط بل أكثروا الزيارة له ، وأمّا إحتماله للنهي عنها فهو بفرض أنّه المراد محمول على حالة مخصوصة أي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه و إظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الأعياد بل لا يؤتى إلّا للزيارة والسّلام والدعاء ثم ينصرف .

وقال في صحيفة (٥٧٧) في شرح حديث : « لا تجعلوا قبري عيداً » أي كالعيد باجتماع الناس ، و قد تقدّم تأويل الحديث و انه لا حجّة فيه لما قاله إبن تيميّة وغيره فان إجماع الامّة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فانّه نزعة شيطانية .

٧ ـ قال الشيخ محمّد أمين ابن عابدين المتوفى: (١٢٥٣) في (ردّ المختار على الدرّ المختار ج٢ ص٢٦٣) عند العبارة المذكورة : مندوبة باجماع المسلمين كما في (اللباب) ـ إلى أن قال ـ : و هل تستحبّ زيارة قبره ﷺ للنساء ؟ ألصحيح : نعم ، بلا كراهة بشروطها على ما صرّح به بعض العلماء ، أمّا على الأصحّ من مذهبنا

وهو قول الكرخي وغيره من أنّ الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً فلا إشكال، وأمّا على غيره فذلك نقول بالإستحباب لاطلاق الأصحاب ـ بل قيل: واجبة ـ ذكره في شرح اللباب، وقال: كما بيّنته في «الدّرّة المضيئة في الزيارة المصطفوية».

وذكره أيضاً الخير الرملي في حاشية «المنح» عن إبن حجر وقال: وانتصر له. نعم عبارة اللباب والفتح وشرح المختار أنّها قريبة من الوجوب لمن له سعة ـ إلى أن قال ـ: قال إبن الهمام: والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف: تجريد النيّة لزيارة قبره عليه الصّلاة والسّلام، ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد أو يستمنح فضل الله تعالى في مرّة اخرى ينويها لأنّ في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله ويوافقه ظاهر ما ذكرناه من قوله ﷺ: من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة. إنتهى.

ونقل الرحمتي عن العارف الملّا جامي: أنه أفرز الزيارة عن الحجّ حتّى لا يكون له مقصد غيرها في سفره ثمّ ذكر حديث: لا تشدّ الرحال إلّا لثلاثة مساجد فقال: والمعنى كما أفاده في «الاحياء» انه لا تشدّ الرحال لمسجد من المساجد إلّا لهذه الثلاثة لما فيها من المضاعفة بخلاف بقيّة المساجد فانّها متساوية في ذلك فلا يردّ انه قد تشدّ الرّحال لغير ذلك كصلة رحم وتعلّم علم، وزيارة المشاهد كقبر النبّي ﷺ وقبر الخليل عليه السلام وسائر الأئمّة.

٨ ـ جمل الشيخ حسن العدوى الحمزاوي الشافعي المتوفى: (١٣٠٣) خاتمة في كتابه (كنز المطالب ص١٧٩ ـ ٢٣٩) لزيارة النبّي ﷺ وفصّل فيها القول وذكر مطلوبيّتها كتاباً وسنّة وإجماعاً وقياساً، وبسط الكلام في شدّ الرّحال إلى ذلك القبر الشريف، وذكر جملة من آداب الزائر ووظائف الزيارة وقال في (ص١٩٥) بعد نقل جملة من الأحاديث الواردة في أنّ النبي ﷺ يسمع سلام زائريه، ويردّ عليهم: إذا علمت ذلك علمت أنّ ردّه ﷺ سلام الزائر عليه

بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لاشك فيه ، وإنما الخلاف في ردّه على المسلّم عليه من غير الزائرين .

فهذه فضيلة اخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة ، وبين ردّه عليهم سلامهم بنفسه ، فأنّى لمن سمع لهذين بل بأحدهما أن يتأخّر عن زيارته ﷺ أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول في حضرته ﷺ ؟! تالله ما يتأخّر عن ذلك مع القدرة عليه إلّا من حقّ عليه البعد من الخيرات ، والطرد عن مواسم أعظم القربات ، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنّه و كرمه آمين ، وعلم من تلك الأحاديث أيضاً أنّه ﷺ حيّ على الدّوام ، إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كلّه عن واحد يسلّم عليه في ليل أو نهار فنحن نؤمن و نصدّق بأنّه ﷺ حيّ يرزق ، و ان جسده الشريف لا تأكله الأرض ، و كذا سائر الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام والإجماع على هذا .

٩ ـ قال الشيخ محمّد زاهد الكوثري في (تكملة السيف الصقيل ص١٥٦) :

والأحاديث في زيارته ﷺ في الغاية من الكثرة ، وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائي في جزء كما سبق ، وعلى العمل بموجبها إستمرّت الامّة إلى أن شذّ إبن تيميّة عن جماعة المسلمين في ذلك ، قال عليّ القاريء في شرح «الشفاء» وقد فرط إبن تيميّة من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبيّ ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضّرورة ، وجاحده محكوم عليه بالكفر ، ولعلّ الثاني أقرب إلى الصّواب لأنّ تحريم ما أجمع العلماء فيه بالإستحباب يكون كفراً لأنّه فوق تحريم المباح المتّفق عليه .

فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ يدلّ على ضغينة كامنة فيه ، نحو الرسول ﷺ و كيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسّل في المسلمين الّذين يعتقدون في حقّه ﷺ انه عبده و رسوله ، وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرّة في كلّ يوم على أقلّ تقدير إدامة لذكري ذلك ؟ ولم يزل أهل العلم ينهون

العوام عن البدع في كلّ شؤونهم، و يرشدونهم إلى السنّة في الزيارة و غيرها إذا صدرت منهم بدعة في شيء و لم يعدّهم في يوم من الأيّام مشركين بسبب الزيارة أو التوسّل، كيف؟ وقد أنقذهم الله من الشرك، وأدخل في قلوبهم الايمان، و أوّل من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو إبن تيميّة، وجرى خلفه من أراد إستباحة أموال المسلمين و دماءهم لحاجة في النفس.

ولم يخف إبن تيميّة من الله في رواية عدّ السّفر لزيارة النّبيّ ﷺ سفر معصية لاتقصر فيه الصّلاة عن الإمام إبن الوفاء إبن عقيل الحنبلي - و حاشاه عن ذلك - راجع كتاب (التذكرة) له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسّل به كما هو مذهب الحنابلة، ثم ذكر كلامه وفيه القول باستحباب قدوم المدينة و زيارة النّبيّ ﷺ و كيفيّة زيارته ﷺ - وإتيان مسجد قبا والصّلاة فيه وإتيان قبور الشهداء و زيارتهم وإكثار الدعاء في تلك المشاهد ثم قال: وأنت رأيت نصّ عبارته في المسئلة على خلاف ما يعزو إليه إبن تيميّة.

١٠ - قال أبو الحسن أحمد بن محمّد المحاملي الشافعي المتوفّى (٤٢٥) في «التجريد»: ويستحبّ للحاجّ إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النّبيّ ﷺ.

١١ - قال القاضي أبو الطيّب طاهر بن عبدالله الطبري المتوفى (٤٥٠): ويستحبّ أن يزور النّبيّ ﷺ بعد أن يحجّ و يعتمر.

١٢ - قال أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفّى (٤٥٠) في (الأحكام السلطانية ص ١٠٥): فاذا عاد - ولىّ الحاجّ - سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ليجمع لهم بين حجّ بيت الله عزّ وجلّ، و زيارة قبر رسول الله رعاية لحرمته و قياماً بحقوق طاعته، و ذلك وان لم يكن من فروض الحجّ فهو من مندوبات الشرع المستحبّة وعبادات الحجيج المستحسنة.

وقال في (الحاوي): أما زيارة قبر النّبى ﷺ فمأمور بها ومندوب إليها.

١٣- قال أبو اسحق: إبراهيم بن محمّد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفّى (٤٧٦)

في (المهذّب) : «يستحبّ زيارة قبر رسول الله ﷺ».

١٤- قال أبو الخطّاب محفوظ بن أحمد الكلوداني الفقيه البغدادي الحنبلي المتوفّى : (٥١٠) في كتاب (الهداية) : « وإذا فرغ من الحجّ استحبّ له زيارة قبر النبيّ ﷺ ».

١٥ - قال أبو محمّد عبد الكريم بن عطاءالله المالكي المتوفّى : (٦١٢) في مناسكه : « فصل : إذا كمل لك حجّك و عمرتك على الوجه المشروع لم يبق بعد ذلك إلّا إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النّبي ﷺ والدعاء عنده - والوصول إلى البقيع و زيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين والصّلاة في مسجد الرسول ﷺ فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه .

١٦ - قال أبو عبدالله محمّد بن عبدالله بن الحسين السامري الحنبلي المعروف بابن أبي سنينة المتوفى: (٦١٦) في كتاب(المستوعب) : باب زيارة قبر الرسول ﷺ وإذا قدم مدينة الرسول ﷺ استحبّ له أن يغتسل لدخولها ، ثم ذكر أدب الزيارة و كيفيّة السلام والدعاء والوداع .

١٧ - قال الشيخ موفّق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفى : (٦٢٠) في كتابه(المغني) - وهذا الكتاب شرح مختصر الخرقى في فروع الحنابلة تأليف الشيخ أبي القاسم عمر الحنبلي المتوفى : (٣٣٤) والشرح المذكور من أعظم كتب الحنابلة الّتي يعتمدون عليها - : « فصل : يستحبّ زيارة قبر النّبي ﷺ ثم ذكر حديثي إبن عمر و أبي هريرة من طريق الدار قطني وأحمد .

١٨- قال محيي الدين النووي الشافعي المتوفّى حدود : (٦٧٧) في(المنهاج) المطبوع بهامش شرحه (المغنى ج ١ ص ٤٩٤) : «يسنّ شرب ماء زمزم وزيارة قبر رسول الله ﷺ بعد فراغ الحجّ».

١٩ - قال نجم الدين إبن حمدان الحنبلي المتوفّى : (٦٩٥) في (الرعاية الكبرى) في الفروع الحنبليّة : « يسنّ لمن فرغ عن نسكه زيارة قبر النّبي ﷺ

ـ وله ذلك بعد فراغ حجّه وإن شاء قبل فراغه .

٢٠ ـ قال القاضي الحسين : إذا فرغ من الحجّ فالسنّة أن يقف بالملتزم ويدعو ثمّ يشرب من ماء زمزم ، ثمّ يأتي المدينة ويزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الشفاء) .

٢١ ـ قال القاضي أبو العبّاس أحمد السروجي الحنفي المتوفى : (٧١٠) في (الغاية) : إذا انصرف الحاجّ والمعتمرون من مكّة فليتوجّهوا إلى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله و زيارة قبره فانّها من أنجح المساعي .

٢٢ ـ ذكر شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي المتوفّى (٩٢٥) في (أسنى المطالب) شرح (روض الطالب ج ١ ص ٥٠١) لشرف الدين إسمعيل بن المقري اليمني : ما يستحبّ لمن حجّ ، وقال : ثم يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله و يسلّم عليه ـ ثم ذكر شطراً من أدلتها وجملة من آداب الزيارة .

٢٣ ـ قال أبو عبدالله محمد بن عبدالباقي الزرقاني المالكي المصري المتوفى : (١١٢٢) في (شرح المواهب ج ٨ ص ٢٩٩) : قد كانت زيارته مشهورة في زمن كبار الصحابة معروفة بينهم ، لمّا صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدّس جاءه كعب الأحبار فأسلم ففرح به ، و قال : هل لك أن تسير معي إلى المدينة و تزور قبره صلى الله عليه وآله وسلم و تتمتّع بزيارته ؟ قال : نعم .

٢٤ ـ قال الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت البيروتي المتوفى: (١٢٧٦) في تعليق (حسن الأثر ص٢٤٦) : زيارة النبي صلى الله عليه وآله مطلوبة لأنّه واسطة الخلق و زيارته بعد وفاته كالهجرة إليه في حياته ، ومن أنكرها فان كان ذلك إنكاراً لها من أصلها فخطاؤه عظيم ، وإن كان لما يعرض من الجهلة مما لا ينبغي فليبيّن ذلك .

٢٥ ـ قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي المتوفى : (١٢٧٧) في حاشيته على شرح إبن الغزي على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي ج١ ص٣٤٧ : ويسنّ زيارة قبره صلى الله عليه وآله ولو لغير حاجّ و معتمر كالّذي قبله ، ويسنّ لمن قصد المدينة الشريفة لزيارته صلى الله عليه وآله أن يكثر من الصّلاة والسلام عليه في طريقه ، ويزيد

في ذلك إذا رآى حرم المدينة وأشجارها ويسئل الله أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبلها منه . ثم ذكر جملة كثيرة من آداب الزيارة و ألفاظها .

٢٦ ـ قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ على الفاخوري مفتي بيروت في (الكفاية لذوي العناية ص ١٢٥) : الفصل الثاني عشر في زيارة النبي ﷺ وهي متأكدة مطلوبة ، ومستحبة محبوبة ، وتسن زيارته في المدينة كزيارته حياً هو في حجرته حي يرد على من سلم عليه ، وهي من أنجح المساعي ، وأهم القربات ، و أفضل الأعمال و أزكى العبادات ، وقد قال ﷺ : «من زار قبري وجبت له شفاعتي » ومعنى «وجبت» ثبتت بالوعد الصادق الذي لابد من وقوعه وحصوله ، و تحصل الزيارة في أي وقت ، و كونها بعد تمام الحج أحب ، و يجب على من أراد الزيارة التوبة من كل شيء يخالف طريقته و سننه ﷺ ثم ذكر شطراً وافراً من آداب الزيارة ، والزيارة الاولى الآتية في الآداب ، فقال: ومن عجز عن حفظ هذا فليقتصر على بعضه و أقله : السلام عليك يارسول الله ـ إلى أن قال ـ : ويستحب التبرك بالاسطوانات التي لها فضل و شرف و هي ثمانية :

أسطوانة محل صلاته ﷺ و اسطوانة عائشة و تسمى اسطوانة القرعة ، و اسطوانة التوبة محل إعتكافه ﷺ و اسطوانة السرير ، و اسطوانة علي رضي الله عنه ، و اسطوانة الوفود ، و اسطوانة جبريل عليه السلام و اسطوانة التهجد .

٢٧ ـ قال فقهاء المذاهب الأربعة المصريين في (الفقه على المذاهب الأربعة ج١ ص٥٩٠) : زيارة قبر النبي ﷺ أفضل المندوبات ، وقد ورد فيها أحاديث ثم ذكروا ستة من الأحاديث وجملة من أدب الزائر و زيارة للنبي ﷺ .

٢٨ ـ حكى عبد الحق بن محمد الصقيلي المتوفى : (٤٦٦) في كتابه (تهذيب الطالب) عن الشيخ أبي عمران المالكي أنه قال: إنما كره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها، وزيارة قبر النبي ﷺ واجبة . قال عبد الحق : يعني من السنن الواجبة في (المدخل ج ١ ص ٢٥٦)

يريد وجوب السنن المؤكّدة .

٢٩ - قال الشيخ زين الدين عبد الرؤف المناوي المتوفّى : (١٠٣١) في (شرح الجامع الصغير ج٦ ص١٤٠) : و زيارة قبره ﷺ الشريف من كمالات الحجّ ، بل زيارته عند الصوفيّة فرض وعندهم الهجرة إلى قبره كهي إليه حيّاً، قال الحكيم : زيارة قبر المصطفى ﷺ هجرة المضطرين هاجروا إليه فوجدوه مقبوضاً فانصرفوا فحقيق أن لايخيبهم بل يوجب لهم شفاعة تقيم حرمة زيارتهم .

وقال في شرح الحديث الأوّل المذكور (ص٩٣) : إنّ أثر الزيارة إمّا الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر ، و إمّا شفاعة تخصّ الزائر أخصّ من العامة ، وقوله ﷺ : «شفاعتي» في الإضافة إليه تشريف لها إذ الملائكة و خواصّ البشر يشفعون ، فللزائر نسبة خاصّة، فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الزائر .

٣٠ - جعل الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي في (مراقي الفلاح بامداد الفتاح) فصلاً في زيارة النّبيّ ﷺ وقال : زيارة النّبيّ ﷺ من أفضل القربات وأحسن المستحبّات تقرب من درجة مالزم من الواجبات، فانّه ﷺ حرّض عليها وبالغ في الندب إليها فقال : « من وجد سعة فلم يزرني فقد جفاني » وقال ﷺ : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » وقال ﷺ : « من زارني بعد مماتي فكأنّما زارني في حياتي » إلى غير ذلك من الأحاديث ، و ممّا هو مقرّر عند المحقّقين إنّه ﷺ حيّ يرزق ، ممتّع بجميع الملاذّ و العبادات ، غير أنّه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات ، و رأينا أكثر النّاس غافلين عن أداء حق زيارته ، ومايسنّ للزائر من الجزئيات والكليّات أحببنا أن نذكر بعد المناسك وآدابها ما فيه نبذة من الآداب تتميماً لفائدة الكتاب .

٣١ - قال الشيخ محمّد بن عليّ الشوكاني المتوفّى : (١٢٥٠) في (نيل الأوطار ج٤ ص ٣٢٤) : قد اختلفت فيها - في زيارة النّبيّ ﷺ - أقوال أهل العلم ، فذهب الجمهور إلى أنّها مندوبة ، و ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنّها

واجبة وقالت الحنفية : إنّها قريبة من الواجبات ، و ذهب إبن تيمية الحنبلي حفيد المصنّف المعروف بشيخ الإسلام إلى أنّها غير مشروعة . ثم فصّل الكلام في الأقوال - إلى أن قال في آخر كلامه - : واحتجّ أيضاً من قال بالمشروعية بأنّه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحجّ في جميع الأزمان على تباين الديار و إختلاف المذاهب الوصول إلى المدينة المشرّفة لقصد زيارته ، و يعدّون ذلك من أفضل الأعمال ، ولم ينقل أنّ أحداً أنكر ذلك عليهم فكان إجماعاً .

٣٢ - قال السيّد محمّد بن عبدالله الجرداني الدمياطي الشافعي المتوفّى : (١٣٠٧) في (مصباح الظلام ج٢ ص١٤٥) : قال بعضهم : ولزائر قبر النّبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر كرامات : إحداهنّ يعطى أرفع المراتب ، الثانية : يبلغ أسنى المطالب . الثالثة : قضاء المآرب . الرابعة : بذل المواهب . الخامسة : الأمن من المعاطب . السادسة : التطهير من المعائب. السابعة: تسهيل المصائب. الثامنة: كفاية النوائب . التاسعة: حسن العواقب. العاشرة : رحمة ربّ المشارق والمغارب وما أحسن ما قيل:

هنيئاً لمن زار خير الورى و حطّ عن النفس أو زارها

فإنّ السعادة مضمونة لمن حلّ طيبة أو زارها

وبالجملة فزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم من أعظم الطاعات وأفضل القربات حتّى أنّ بعضهم جرى على أنّها واجبة ، فينبغي أن يحرص عليها ، و ليحذر كلّ الحذر من التخلّف عنها مع القدرة ، وخصوصاً بعد حجّة الإسلام لأنّ حقّه صلى الله عليه وآله وسلم على امّته عظيم ، و لو أنّ أحدهم يجيىء على رأسه أو على بصره من بعد موضع من الأرض لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم لم يقم بالحق الّذي عليه لنبيّه جزاه الله عن المسلمين أتم الجزاء .

زر من تحبّ و إن شطّت بك الدار و حال من دونه ترب و أحجار

لا يمنعنّك بعد عن زيارته إنّ المحبّ لمن يهواه زوّار

و يسنّ لمن قصد المدينة الشريفة - إلى أن فصّل القول في آداب الزيارة

وذكر زيارة السيّدة فاطمة وأهل البقيع والمزارات المشهورة وهي نحو ثلاثين موضعاً كما قال.

٣٣- قال أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي المتوفّى: (٤٠٣) في كتابه (المنهاج في شعب الايمان) بعد ذكر جملة من تعظيم النبيّ ﷺ: فأمّا اليوم فمن تعظيمه زيارته.

٣٤- قال الإمام القدوة إبن الحاجّ محمّد بن محمّد العبدري القيرواني المالكى المتوفّى: (٧٣٧) في (المدخل في فصل زيارة القبور ج١ ص ٢٥٧): وأمّا عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر ويتعيّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فاذا جاء إليهم فليتصف بالذلّ والإنكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والإضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم و إلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنّهم لا يبلون ولا يتغيّرون ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثمّ يصلّي عليهم ويترضّى على أصحابهم، ثم يترحّم على التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين، ثمّ يتوسّل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، و يستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم و يقوّي حسن ظنّه في ذلك، فانهم باب الله المفتوح، وجرت سنّته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فانّهم السادة الكرام، و الكرام لا يردّون من سئلهم ولا من توسّل بهم ومن قصدهم ولا من لجأ إليهم. هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً ثمّ قال:

فصل: و أمّا في زيارة سيّد الأوّلين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الإنكسار و الذلّ و المسكنة لأنّه الشافع المشفّع الذي لا تردّ شفاعته، ولا يخيب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنّه عليه الصّلاة و السلام قطب دائرة الكمال

- إلى أن قال -: فمن توسّل به أو استغاث به، اوطلب حوائجه منه، فلا يردّ و لا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، و يحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصّلاة و السلام، وقد قال علمائنا -: إن الزائر يشعر نفسه بأنّه واقف بين يديه عليه الصّلاة والسلام كما هوفي حياته إذ لافرق بين موته وحياته - أعني في مشاهدته لامّته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، ذلك عنده جليّ لاخفاء فيه - إلى أن قال -:

فالتوسل به عليه الصّلاة والسلام هو محلّ حطّ أحمال الأوزار وأثقال الذنوب و الخطايا لانّ بركة شفاعته عليه الصّلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنّها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره، وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيّه عليه الصّلاة والسلام من لم يزره، اللهم لاتحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين رب العالمين، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ: «و لو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول ...» الآية؟ فمن جاءه و وقف ببابه وتوسّل به وجد الله توّاباً رحيماً لأنّ الله منزّه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتّوبة لمن جاءه ووقف ببابه و سئله واستغفر ربه، فهذا لايشكّ فيه ولايرتاب إلّا جاحد للدين، معاند لله ولرسوله ﷺ نعوذ بالله من الحرمان.

٣٥- قال زين الدين أبوبكر بن الحسين بن عمر القريشي العثماني المصرى المراغي المتوفّى: (٨١٦) في (تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة): وينبغي لكلّ مسلم إعتقاد كون زيارته ﷺ قربة عظيمة للأحاديث الواردة في ذلك، ولقوله تعالى: «ولو أنّهم إذ ظلموا جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ...» الآية لأنّ تعظيمه لاينقطع بموته ولا يقال: إن إستغفار الرسول لهم إنّما هو في حياته و ليست الزيارة كذلك لما أجاب به بعض الأئمّة المحقّقين انّ الآية دلّت على تعليق وجدان الله تعالى توّاباً رحيماً بثلاثة امور: المجيء، وإستغفارهم وإستغفار

الرسول لهم، وقد حصل إستغفار الرسول لجميع المؤمنين لأنّه قد استغفر للجميع قال الله تعالى: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين و المؤمنات» فاذا وجد مجيئهم و إستغفارهم كملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته. راجع (المواهب اللدنية) للقسطلاني.

٣٦- قال الحافظ أبوالعبّاس القسطلاني المصري المتوفّى: (٩٢٣) في (المواهب اللدنية): الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف و مسجد المنيف إعلم أنّ زيارة قبره الشريف من أعظم القربات و أرجى الطاعات و السبيل إلى أعلى الدّرجات، ومن اعتقد غيرهذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام، وقد أطلق بعض المالكية وهوأبوعمران الفاسي كماذكره في «المدخل» عن (تهذيب الطالب) لعبد الحق: أنّها واجبة قال: ولعلّه أرادوجوب السنن المؤكّدة.

وقال القاضي عياض: إنّها من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها. ثم ذكر جملة من الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ فقال: وقد أجمع المسلمون على إستحباب زيارة القبور كما حكاه النووي و أو جبها الظاهرية، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص كما سبق، و لأنّ زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب و لهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء وإن كان محلّ الإجماع على إستحباب زيارة القبور الرجال و في النساء خلاف، الأشهر في مذهب الشافعي الكراهة. قال إبن حبيب من المالكية: ولا تدع في زيارة قبره ﷺ والصّلاة في مسجده فانّ فيه من الرغبة مالا غنى بك،وبأحد عنه، وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصّلاة فيه.

٣٧- قال الشيخ محمّد الخطيب الشربيني المتوفّى: (٩٧٧) في (مغني المحتاج ج ١ ص ٣٥٧): ومحل هذه الأقوال - يعني الأقوال في زيارة القبور للنساء من

الندب والكراهة والحرمة والإباحة - في غير زيارة قبر سيّد المرسلين ، أما زيارته صلى الله عليه وسلم فمن أعظم القربات للرجال والنساء، والحق الدمنهوري به قبور بقيّة الأنبياء والصّالحين والشهداء وهو ظاهر وإن قال الأذرعي: لم أره للمتقدّمين.

قال إبن شهبة: فان صحّ ذلك فينبغي أن يكون زيارة قبر أبويها واخوتها وسائر أقاربها كذلك فانّهم أولى بالصلة من الصّالحين.

و قال في (ص ٤٩٤) بعد بيان مندوبيّة زيارة قبر الشريف صلى الله عليه وسلم و ذكر جملة من أدلّتها : ليس المراد إختصاص طلب الزيارة بالحجّ ، فانّها مندوبة مطلقاً كما مرّ بعد حجّ أو عمرة أو قبلهما أو لامع نسك ، بل المراد - يعني من قول المصنف بعد فراغ الحج - تأكّد الزيارة فيها لأمرين : أحدهما: أنّ الغالب على الحجيج الورود من آفاق بعيدة ، فاذا قربوا من المدينة يقبح تركهم الزيارة والثاني لحديث من حجّ ولم يزرني فقد جفاني رواه إبن عدي في الكامل وغيره وهذا يدلّ على أنه يتأكّد للحاجّ أكثر من غيره وحكم المعتمر حكم الحاج في تأكّد ذلك.

٣٨- قال الشيخ عبدالرحمن شيخ زاده المتوفّى: (١٠٨٧) في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ج١ ص ١٥٧) : من أحسن المندوبات بل يقرب من درجه الواجبات زيارة قبر نبيّنا وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد حرّض عليه السلام على زيارته وبالغ في الندب إليها بمثل قوله عليه السلام : «من زار قبري» فذكر ستّة من أحاديث الباب ثمّ قال: فان كان الحج فرضاً ، فالأحسن أن يبدأ به إذا لم يقع في طريق الحاجّ المدينة المنوّرة ثم يثنى بالزيارة، فاذا نواها فلينو معها زيارة مسجد الرسول عليه السلام ثم ذكر جملة كبيرة من آداب الزائر.

٣٩- قال الشيخ محمد بن عليّ بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي المفتي بدمشق المتوفّى (١٠٨٨) في (الدرّ المختار في شرح تنوير الأبصار) في آخر كتاب الحج : وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم مندوبة بل قيل: واجبة لمن له سعة، ويبدأ

بالحج لو فرضاً ويخيّر لو نفلاً مالم يمرّ به، فيبدأ بزيارته لامحالة، ولينوممعهزيارة مسجده ﷺ.

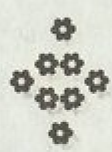
٤٠- قال أبوالحسن السندي محمد بن عبد الهادي الحنفي المتوفّى: (١١٣٨) في شرح (سنن إبن ماجة ج ٢ ص ٢٦٨) : قال لدميري : فائدة زيارة النّبيّ ﷺ من أفضل الطاعات و أعظم القربات لقوله ﷺ : «من زار قبري و جبت له شفاعتي» رواه الدار قطني و غيره وصحّحه عبدالحق، و لقوله ﷺ : «من جائني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي كان حقّاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» رواه الجماعة منهم الحافظ أبوعلي إبن السكن في كتابه المسمّى بالسنن الصّحاح، فهذان إمامان صحّحا هذين الحديثين و قولهما أولى من قول من طعن ذلك.

٤١- قال الشيخ عبدالمعطي السقافي (الإرشادات السنيّة ص ٢٦٠) : زيارة النّبيّ ﷺ إذا أراد الحاجّ أو المعتمر الإنصراف من مكّة أدام الله تشريفها و تعظيمها طلب منه أن يتوجّه إلى المدينة المنورة للفوز بزيارته عليه الصّلاة والسلام فانّها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعي المشكورة ولا يختص طلب الزيارة بالحاجّ غيرأنها في حقّه آكد، والأولى تقديم الزيارة على الحج إذا اتسع الوقت فانّه ربما يعوقه عنها عائق، و قد ورد في فضل زيارته ﷺ أحاديث منها قوله ﷺ : «من زارقبري و جبت له شفاعتي» و ينبغي الحرص عليها، و عدم التخلّف عنها عند القدرة على أدائها خصوصاً بعد حجّة الإسلام لأنّ حقّه ﷺ على امّته عظيم، و ينبغي لمريد الزيارة أن يكثر من الصّلاة والسلام عليه ﷺ في طريق ذهابه إليها، و إذا وصلها استحبّ له أن يغتسل ثمّ يتوضأ أو يتيمّم عند فقد الماء ثم ذكر جملة من آداب الزيارة ولفظاً مختصراً من زيارة النّبي ﷺ.

٤٢- قال الملاّ عليّ الهروي الحنفي في (المرقاة شرح المشكاة ج ٢ ص ٤٠٤)

في زيارة القبور: الأمر فيها للرخصة أو الإستحباب، وعليه الجمهور بل إدعى بعضهم الإجماع، بل حكى إبن عبدالبرّ عن بعضهم وجوبها.

٤٣- قال منصور علي ناصف في (التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول ج١ ص ٤١٨): الأمر - في زيارة القبور - للندب عندالجمهور وللوجوب عند إبن حزم ولو مرّة واحدة في العمر. وقال في (ص ٤١٩): زيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج، وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة لعموم الحديث - الأوّل - ولقول عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ إلخ ولزيارة عائشة لقبر أخيها عبدالرحمن، فلمّا إعترضها عبدالله قالت: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها. رواه أحمد وإبن ماجة.



﴿جواز التبرك بقبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عند العامة﴾

وقد أجاز أعلام المذاهب الأربعة العامّة التبرك بقبر النّبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم بالتزام و تمريغ و تقبيل: على ما ورد عن طريقهم روايات كثيرة في المقام نشير إلى نبذة منها:

١ ـ أخرج الحافظ إبن عساكر في (التحفة) من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدّثني أبي عن جدّي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: لمّا رمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فوقفت على قبره صلى الله عليه وآله وسلم و أخذت قبضة من تراب القبر و وضعت على عينيها وبكت و أنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد	أن لايشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها	صبّت على الأيّام عدن لياليا

رواه جماعة من أعلام العامّة:

١ـ ابن الجوزي في (الوفاء)

٢ـ إبن سيّد النّاس في (السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٤٠)

٣ـ القسطلاني في (المواهب) مختصراً.

٤ـ القاريء في شرح (الشمائل ج ٢ ص ٢١٠)

٥ـ الشبراوي في (الإتحاف ص ٩)

٦ـ السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٤)

٧- الخالدي في (صلح الإخوان ص ٥٧)

٨- الحمزاوي في (مشارق الأنوار ص ٦٣)

٩- السيّد أحمد زيني دحلان في (السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٩١)

١٠- عمر رضا كحالة في (أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٥)

١١ - ذكر إبن حجر في (الفتاوي الفقهيّة ج ٢ ص ١٨) البيتين لها سلام الله عليها .

١٢- الخطيب الشربيني في (تفسيره ص ٣٤٩)

١٣- القسطلاني في (إرشاد الساري ج ٢ ص ٣٩٠)

٢- عن أبي الدّرداء قال: «إن بلالاً -مؤذّن النّبي ّ صلى الله عليه وآله - رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: ماهذه الجفوة يا بلال ؟! أما آن لك أن تزورني يا بلال؟! فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النّبي ّ صلى الله عليه وآله فجعل يبكي عنده ويمرّغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمّهما ويقبّلهما. الحديث.

رواه جماعة من حملة آثارهم:

١- أخرجه الحافظ إبن عساكر في (تاريخ الشام) مسنداً بطريق في موضعين- كما في (شفاء السقام ص ٣٩- ٤٠) و في ترجمة إبراهيم بن محمّد الأنصاري (ج ٢ ص ٢٥٦) وفي ترجمة بلال. غير أن مهذّب الكتاب حذف الإسناد في الموضع الأوّل وأبقى المتن وأسقطه رأساً سنداً ومتناً في الثاني ، وقد أخطأ وأساء على الحديث والكتاب معاً .

٢- الحافظ أبو محمّد عبدالغنى المقدسي في (الكمال) في ترجمة بلال.

٣- أبوالحجّاج المزّي في (التهذيب)

٤- السبكي في (شفاء السقام ص ٣٩) و قال : روينا ذلك باسناد جيّد و لا حاجة إلى النظر في الإسنادين اللذين رواه إبن عساكر بهما ، و إن كان رجالهما

معروفين مشهورين.

٥ـ إبن الأثيرفي (أسدالغابة ج ١ ص ٢٠٨)

٦ـ السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٨) وقال: سند جيّد و(ص٤٤٣) وقال: إسناده جيّد.

٧ـ القسطلاني في(المواهب اللدنية).

٨ـ الخالدي في (صلح الإخوان ص ٥٧)

٩ـ الحمزاوي في (مشارق الأنوارص ٥٧)

٣ـ عن علي" أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قدم علينا أعرابي" بعد ما دفنّارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيّام فرمى بنفسه على قبرالنبي" صلى الله عليه وآله وسلم وحثامن ترابه على رأسه، وقال: يارسول الله قلت: فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعيناعنك، وكان فيما أنزل عليك: «ولوأنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك ...» الآية وقد ظلمت وجئتك تستغفر لى، فنودى من القبر: قد غفرلك.

أخرجه جماعة منهم:

١ـ الحافظ أبوعبدالله إبن نعمان المالكي في (مصباح الظلام)

٢ـ المصري في (الروض الفائق ج ٢ ص ١٣٧)

٣ـ السمهودي في (وفاءالوفاء ج ٢ ص ٤١٢)

٤ـ القسطلاني في (المواهب اللدنية)

٥ـ الشيخ داود الخالدي في (صلح الإخوان ص ٥٤٠)

٦ـ الحمزاوي المالكي في (مشارق الأرض ص ٥٧)

٤ ـ عن داود بن أبي صالح: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه (جبهته) على القبر فأخذ مروان برقبته ثم"قال: هل تدري ماتصنع؟ فأقبل عليه فاذا أبوأيّوب الأنصاري، فقال: نعم إنّي لم آت الحجر إنّما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لاتبكوا على الدين إذاولّيه أهله، ولكن

أبكوا على الدين إذا ولاه غير أهله.

رواه جماعة من أعلامهم:

١ - الحاكم فى (المستدرك ج ٤ ص ٥١٥) وصحّحه هو و الذهبى فى تلخيصه .

٢ـ أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسينى فى (أخبار المدينة) باسناد آخر عن المطلب بن عبدالله بن حنطب كما في (شفاء السقام ص ١١٣) قال السبكي بعد حكايته: فان صحّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر، وإنّما أردنا بذ كره القدح فى القطع بكراهة ذلك.

٣ـ السمهودي فى (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤١٠ و٤٤٣) نقلاً عن إمام الحنابلة أحمد قال: رأيته بخطّ الحافظ أبى الفتح المراغى المدنى.

٤ـ الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢) نقلاً عن أحمد.

ولايخفى ان هذا الحديث يعطى القاريء الخبير: انّ المنع عن التوسل بالقبور الطاهرة إنّما هو من بدع الامويّين وضلالاتهم منذ عهد الصّحابة، ولم تسمع اذن الدنيا قطّ صحابياً ينكر ذلك غير وليد بيت اميّة مروان الغاشم، نعم: الثور يحمى أنفه بروقه، وبعلة الورشان يأكل رطب الوشان، نعم: لبنى اميّة عامة ولمروان خاصّة ضغينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ يوم لم يبق له صلى الله عليه وآله في الاسرة الاموية حرمة إلّا هتكها، ولا ناموساً إلّا مزّقه، ولا ركناً إلّا أباده، وذلك بوقيعته صلى الله عليه وآله فيهم وهو «ولا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى علّمه شديد القوى» وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله قوله : إذا بلغت بنو امية أربعين إتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً و كتاب الله دغلاً.

وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً.

وصحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: إنّي اريت في منامي كان بني الحكم بن أبي العاص

ينزون على منبري كما تنزو القردة قال: فما رؤى النبيّ ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتّى توفّى.

وصحّ عنه ﷺ قوله : لمّا استأذن الحكم بن أبي العاص عليه : عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمن منهم وقليل ماهم ، يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق .

وصحّ عنه ﷺ قوله لما ادخل عليه مروان بن الحكم: هو الوزغ إبن الوزغ ، الملعون إبن الملعون .

وصحّ عن عائشة قولها : إنّ رسول الله ﷺ قال : لعن الله أبا مروان ومروان في صلبه ، فمروان فضض من لعنة الله عزّ وجلّ .

وصحّ عن عبدالله بن الزبير : انّ رسول الله ﷺ لعن الحكم و ولده .

هذه الأحاديث أخرجها جمع من الحفّاظ بطرقهم ، و قد جمعها الحاكم وصحّحها في (المستدرك ج ٤ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٢) .

فحقيق على مروان أن يرى الامّة الإسلاميّة انّه يحامي عن التوحيد وقد رام أن يتخذّ لها عن نبيّها ويصغّره عندها، وكيف يروقه نبيّ كان هذا هتافه فيه ، وفي أبيه وجدّه وأصله وشجرته : تلك الشجرة الملعونة التي اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار ، فلايحقّ لمسلم أن يستظل هذه الشجرة الملعونة ، ويقول بقولهم ، و يتخذ برأيهم و يتّبع إثر اولئك أشباه الرجال الّذين اتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً و كتاب الله حولاً .

٥ ـ عن أبي خيثمة ـ زهير بن حرب الثقة المأمون المتوفى : ٢٣٤ ـ قال : حدّثنا مصعب بن عبدالله ، حدّثنا إسمعيل بن يعقوب التيمي قال: كان ابن المنكدر ـ وهو محمّد بن المنكدر القرشي التيمي أحد الأئمة الأعلام من التابعين توفي: ١٣٠ ـ يجلس مع أصحابه قال : وكان يصيبه الصّمات ، فكان يقوم كما هو يضع خدّه على قبر النّبيّ ﷺ ثمّ يرجع فعوتب في ذلك ، فقال: إنّه ليصيبني خطرة فاذا

وجدت ذلك استشفيت بقبر النّبي ﷺ وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرّغ فيه و يضطجع فقيل له في ذلك فقال : إنّي رأيت النّبي ﷺ في هذه الموضع - يعني في النوم - راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٤) للسمهودي .

٦ - قال العزّ بن جماعة الحموي الشافعي في كتاب (العلل والسؤالات) لعبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبي عليّ بن الصّوف عنه ، قال عبدالله : سئلت أبي عن الرجل يمس ّمنبر رسول الله ﷺ ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ؟ قال: لابأس به . راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٣) .

٧ - قال العلّامة أحمد بن محمّد المقري المالكي في (فتح المتعال بصفة النعال) نقلاً عن وليّ الدين العراقي : قال : أخبر الحافظ أبوسعيد بن العلا قال : رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزءٍ قديم عليه خطّ إبن ناصر وغيره من الحفّاظ : انّ الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره ؟ فقال: لابأس بذلك ، قال : فأريناه التقي إبن تيميّة فصار يتعجّب من ذلك ، ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل هذا كلامه أو معنى كلامه . وقال : وأيّ عجب في ذلك و قد روينا عن الإمام أحمد أنّه غسل قميصاً للشافعي و شرب الماء الّذي غسله به ؟ - ذكره ابن الجوزي في (مناقب أحمد ص ٤٥٥) وابن كثير في (تاريخه ج ١٠ ص ٣٣١) - و إذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير الصّحابة ؟ و كيف بآثار الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام ؟

و ما أحسن ما قاله مجنون ليلي :

أمرّ على الدّيار ديار ليلي اقبّل ذا الجدار و ذا الجدارا
و ما حب الدّيار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

٨ - ذكر الخطيب إبن حملة انّ عبدالله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف ، و انّ بلالاً رضي الله تعالى عنه وضع خدّيه عليه أيضاً و رأيت في كتاب

(السئوالات) لعبدالله بن الإمام أحمد - و ذكر ما تقدم عن إبن جماعة ثم قال - : ولاشك ان الإستغراق في المحبة يحمل على الاذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته ، فاناس حين يرونه لايملكون أنفسهم بل يبادرون إليه واناس فيهم أناة يتأخرون والكل محل خير .

٩ - في (الشفاء) للقاضي : رؤى إبن عمر واضعاً يده على مقعد رسول الله من المنبر ثم وضعها على وجهه . راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٤) .

١٠- قال شيخ مشايخ الشافعية الشافعي الصغير محمد بن أحمد الرملي في شرح (المنهاج) : ويكره أن يجعل على القبر مظلة ، و أن يقبل التابوت الذي يجعل فوق القبر وإستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء .

نعم : إن قصد التبرك لايكره كما أفتى به الولد فقد صرحوا بأنه إذا عجز عن إستلام الحجر سن له أن يشير بعصا و أن يقبلها .

حكاه الشبرأملسى الشيخ أبي الضياء في (حاشية المواهب اللدنية) والحمزاوي في (كنز المطالب ص ١٩) .

١١ - أخرج الحميدي في الجمع بين الصحيحين و أبوداود في مسنده : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يشير إلى الحجر الأسود بمحجنته و يقبل المحجن .

١٢- قال أبو العباس أحمد الرملي الكبير الأنصاري شيخ الشيوخ في حاشية (روض الطالب) المطبوعة في هامش (أسنى المطالب ج ١ ص ٣٣١) عند قول المصنف في أدب مطلق زيارة القبور - أن يدنو منه دنوه منه حياً - : قال في المجموع : ولايستلم القبر ولايقبله، ويستقبل وجهه للسلام والقبلة للدعاء وذكره أبو موسى الاصبهاني قال شيخنا : نعم : إن كان قبر نبي أو ولي أو عالم واستمله أو قبله بقصد التبرك فلا بأس به .

١٣- نقل الطيب الناشري عن محب الدين الطبري الشافعي : انه يجوز

تقبيل القبر و مسّه ، قال : و عليه عمل العلماء الصّالحين و أنشد :

لو رأينا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألف للأثر

راجع (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٤) .

١٤ - قال القاضي عياض المالكي في (الشفاء) بعد كلام طويل في تعظيم قبر النّبيّ ﷺ : وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل ، وتردّد بها جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربيتها على سيّد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنّة نبيّه ما انتشر ، مدارس آيات ومساجد وصلوات ، ومشاهد الفضائل والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، و مواقف سيّد المرسلين و متبوّء خاتم النبيين حيث إنفجرت النبوّة ، و أين فاض عبابها، ومواطن تهبط الرسالة ، و أوّل أرض مسّ جلد المصطفى ترابها ، أن تعظّم عرصاتها ، و تنسّم نفحاتها ، و تقبّل ربوعها وجدرانها .

يا دار خير المرسلين و من به هدى الأنام و خصّ بالآيات

عندي لأجلك لوعة و صبابة و تشوّق متوقّد الجمرات

و عليّ عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدران والعرصات

لاعفّرنّ مصون شيبتي بينها من كثرة التقبيل والرّشفات

لولا العوادي والأعادي زرتها أبداً و لو سحبا على الوجنات

لكن سأهدى من حفيل تحيّتي لقطين تلك الدار والحجرات

١٥ - قال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي في شرح (الشفاء ج ٣ ص ٥٧٧) عند قول القاضي: - ونقل من كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر أن لايلصق به ولا يمسّه - : بشيء من جسده فلايقبّله فيكره فيه ، و هذا أمر غير مجمع عليه ، ولذا قال أحمد والطبري : لابأس بتقبيله وإلتزامه . و روى أن أبا أيّوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف ، قيل : وهذا لغير من لم يغلبه

الشوق والمحبّة وهو كلام حسن .

وقال في (ج ٣ ص ٥٧١) عند قول إبن أبي مليكة ـ من أحبّ أن يكون و جاه النبيّ فيجعل القنديل الّذي في القبلة عند القبر على رأسه ـ : هو إرشاد لكيفيّة الزيارة و أن يكون بينه وبين القبر فاصل ، فقيل: إنّه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع ، وقيل : ثلاثة ، وهذا مبنيّ على أن البعد أولى و أليق بالأدب كما كان في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وعليه الأكثر ، و ذهب بعض المالكية إلى أنّ القرب أولى ، وقيل: يعامله معاملته في حياته ، فيختلف ذلك باختلاف النّاس ، و هذا باعتبار ما كان في العصر الأوّل ، و أمّا اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنوّ الزائر فيقف عند الشباك .

١٦ـ نقل عن إبن أبي الصّيف اليماني أحد علماء مكّة من الشافعيّة : جواز تقبيل المصحف و أجزاء الحديث و قبور الصالحين .

١٧ ـ قال الحافظ إبن حجر : استنبط بعضهم من مشروعيّة تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كلّ من يستحقّ التعظيم من آدميّ وغيره فأمّا تقبيل يد الآدميّ فسبق في الأدب ، وأمّا غيره فنقل عن أحمد انه سئل عن تقبيل منبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقبره فلم يربه بأساً و استبعد بعض أتباعه صحّته عنه .

أقول: و قد سبق مراداً : أنّ المستبعد هو إبن تيميّة و أذنابه الوهّابيون من أهل الأهواء الضالّة المضلة الذين لايعتنا بهم ولا بآرائهم في دين الله تعالى و سنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

١٨ ـ قال الزرقاني المصري المالكي في شرح (المواهب اللدنية ج ٨ ص ٣١٥) : تقبيل القبر الشريف مكروه إلّا لقصد التبرّك فلا كراهة كما اعتقده الرملي .

١٩ـ قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي في حاشيته على شرح إبن قاسم الغزّي على متن الشيخ أبي شجاع في الفقه الشافعي (ج ١ ص ٢٧٦) : يكره تقبيل

القبر و إستلامه ومثله التابوت الّذي يجعل فوقه و كذلك تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء إلاّ أن قصد به التبرّك بهم فلا يكره و إذا عجز عن ذلك لازدحام ونحوه كاختلاط الرجال بالنساء كما يقع في زيارة سيّدي أحمد البدوي وقف في مكان يتمكّن فيه من الوقوف بلامشقّة و قرأ ما تيسّر و أشار بيده أو نحوها ثمّ قبّل ذلك فقد صرّحوا بأنّه إذا عجز عن إستلام الحجر الأسود يسنّ له أن يشير بيده أو عصا ثمّ يقبّلها .

٢٠ـ قال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي في (كنز المطالب ص٢٠) و (مشارق الأنوار ص٦٦) بعد نقل عبارة الرملي المذكور : ولامرية حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلاّ للتبرّك فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك ، فيحمل ماقاله العارف على هذا المقصد لاسيّما وان قبره الشريف روضة من رياض الجنّة .

٢١ ـ قال الشيخ سلامة العزّامي الشافعي في (فرقان القرآن ص١٣٣) : وقال ـ يعني إبن تيميّة ـ : من طاف بقبور الصّالحين أو تمسّح بها كان مرتكباً أعظم العظائم ، و أتى بكلام ملتبس فمرّة يجعله من الكبائر و اخرى من الشرك إلى مسائل من أشباه ذلك ، قد فرغ العلماء المحقّقون والفقهاء المدقّقون من بحثها و تدوينها قبل أن يولد هو بقرون ، فيأتي إلاّ أن يخالفهم ، و ربّما إدّعى الإجماع على مايقول ، و كثيراً مايكون الإجماع قد انعقد قبله خلاف قوله كما يعلم ذلك من أمعن في كلامه ، و كلام من قبله و كلام من بعده ممّن تعقّبه من أهل الفهم المستقيم ، والنقد السليم ، و إليك مثالاً : التمسّح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين فأهل العلم فيه على ثلاثة أقوال :

الجواز مطلقاً ، والمنع مطلقاً على وجه كراهة التنزيه الشديدة ، ولكنّها لاتبلغ حدّ التحريم ، والتفصيل بين من غلبه شدّة شوق إلى المزور فتنتفى عنه هذه الكراهة ومن لا ، فالأدب تركه ، و أنت إذا تأمّلت في الامور التي كفّر بها

المسلمين وجعلها عبادة لغير الله وجدت حجّته ترجع إلى مقدّمتين صدقت كبراهما وهي: كلّ عبادة لغير الله شرك، وهي معلومة من الدين بالضرورة، ثمّ يسوق عليه الأدلّة بالآيات الواردة في المشركين و كذبت صغراهما وهي قوله: كل نداء لميّت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسّح به أو ذبح أو نذر لصاحبه ـ إلخ ـ فهو عبادة لغير الله.

ثم يسوق الآيات والأحاديث الصّحاح التي لم يفهمها أو تعمّد في تأويلها على غير وجهها، ثم يخرج من هذا القياس الّذي فسدت إحدى مقدّمتيه بنتيجة لامحالة كاذبة وهي: ان جمهور المسلمين إلّا إيّاه ومن شايعه مشركون كافرون، و قد أجاد تلخيص هذا المذهب و أدلّته وتزييفها منطقياً و اصولياً كلّ الإجادة سيّد أهل التحقيق، وتاج أهل التدقيق الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالمجيد الفاسي المتوفى: (١٢٢٩) و ألف في مؤلف ردّ به على ذلك المذهب ينطق بعلوّ كعب هذا الامام ـ إلى أن قال ـ:

ولقد تعدّى هذا الرجل حتّى على الجناب المحمّدي فقال: إن شدّ الرّحال إلى زيارته معصية، و إنّ من ناداه مستغيثاً به عليه الصّلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرك فتارة بجعله شركاً أصغر، واخرى يجعله شركاً أكبر وإن كان المستغيث ممتليء القلب بأنّه لاخالق ولامؤثّر إلّا الله، وانّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّما ترفع إليه الحوائج ويستغاث به، على أنّ الله جعله منبع كل خير، مقبول الشفاعة، مستجاب الدعاء صلى الله عليه وآله وسلم كما هي عقيدة جميع المسلمة مهما كانوا من العامّة. إنتهى.

وأخبر جمال الدين عبدالله بن محمد الأنصاري المحدّث قال: رحلنا مع شيخنا تاج الدين الفاكهاني إلى دمشق، فقصد زيارة نعل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي بدار الحديث الأشرفيّة بدمشق، و كنت معه فلمّا رأى النعل المكرّمة حسر عن رأسه و جعل يقبّله و يمرّغ وجهه عليه و دموعه تسيل و أنشد:

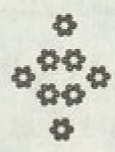
فلو قيل للمجنون: ليلي و وصلها تريد أم الدنيا و ما في طواياها؟

لقال : غبار من تراب نعالها أحبّ إلى نفسي و أشفى لبلواها

راجع (الديباج المذهب ص ١٨٧) .

٢٢ـ أخرج محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٤) حديثاً طويلاً فيما اتفق بالأبواء بين عمر بن الخطاب لمّا خرج حاجّاً في نفر من أصحابه و بين شيخ استغاث به وفيه : لمّا انصرف عمر و نزل ذلك المنزل و استخبر عن الشيخ و عرف موته ، فكأنّي أنظر إلى عمر وقد وثب مباعداً ما بين خطاه حتّى وقف على القبر ـ قبر الشيخ ـ فصلّى عليه ثمّ اعتنقه وبكى .

فلو جاز لمثل عمر الوقوف على قبر رجل عاديّ و إعتناقه ، والبكاء عليه ، فما وازع الامّة عن الوقوف على قبر رسولها الكريم ﷺ و إعتناقه والبكاء عليه أو قبور عترته الطاهرة ؟!



﴿في استحباب زيارة أئمة البقيع وبقية المزارات﴾

فيها عند العامة

وقد جاءت كلمات عديدة عن أعلام العامة في استحباب زيارة قبور أئمة البقيع عليهم السلام وسائر المزارات فيها نشير إلى نبذة منها:

«ويستحب بعد زيارته صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج - الزائر - إلى البقيع كل يوم و يوم الجمعة آكد» كما قال الفاكهي. وفي إحياء العلوم: «يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع» وكذا قال النووي والفاخوري وزاد الأخير: ويخص يوم الجمعة، يأتي المشاهد والمزارات فيزور العبّاس ومعه الحسن بن علي، وزين العابدين، و إبنه محمد الباقر وإبنه جعفر الصادق - و قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجماعة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمته صفية و كثيراً من الصحابة والتابعين - إلى أن قال -: ويقول:

«سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، سلام عليكم دار قوم مؤمنين و إنا إن شاء الله بكم لاحقون. ويقرأ آية الكرسي وسورة الإخلاص» وقال النووي: يقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل البقيع الفرقد، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم» وزاد القاضي حسين:

«اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا و

هي بك مؤمنة ادخل عليها روحاً منك وسلاماً منّي، اللهمّ برّد مضاجعهم عليهم واغفر لهم» راجع (وفاء الوفاء ج٢ ص ٤٤٨) للسمهودي.

روى البيهقي في (السنن ج٤ ص ٧٩) وفي (ج ٥ ص ٢٤٩) عن عائشة: كان ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ماتوعدون غداً مؤجّلون، وإنّا بكم إن شاء الله لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

أخرجه مسلم في (صحيحه) والشربيني في (المغني ج١ ص ٣٥٧).

وقال إبن الحاج في (المدخل ج ١ ص ٢٦٥): هو بالخيار إن شاء أن يخرج إلى البقيع ليزور من فيه إقتداء بالنّبي ﷺ - إلى أن قال -: ثم يأتي قبر العبّاس عمّ النّبي ﷺ ثم يأتي من بعده من الأكابر وينوي إمتثال السنّة في كونه عليه الصّلاة والسلام كان يزور أهل البقيع الغرقد، وهذا نصّ في الزيارة فدلّ على أنّها قربة بنفسها، مستحبّة، معمول بها في الدين، ظاهرة بركتها عند السلف والخلف.

أقول: الغرقد - بفتح الغين وسكون الراء وفتح القاف -: بياض البيض فوق المحّ، وشجر عظام، وقيل: هي العوسج إذا عظم، واحدته: غرقدة، وبقيع الغرقد: مقبرة المدينة لأنّه كان فيه غرقد وقطع، وانّ المشاهد المقصودة بالبقيع الغرقد كانت مشهودة قبل إستيلاء يد العبث و الفساد الأثيمة عليها، و هي كثيرة جمعها و بسط القول فيها السمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٥) و هناك فوائد هامّة.

عن عائشة مرفوعاً: قال ﷺ: أتاني جبرئيل فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون.

أخرجه مسلم في صحيحه وجمع آخر من الفقهاء والحفّاظ، وفي رواية:

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون أسئل الله لنا ولكم العافية. أخرجه البيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٩).

وروى أحمد ومسلم وأبوداود والنسائي عن أبي هريرة: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون.

وروى البغوي في (المصابيح ج ١ ص ١١٦) عن إبن عبّاس قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر.

وروى البيهقي في (سننه ج ٤ ص ٧٩) عن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلّمهم إذا خرجوا المقابر: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، و إنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وأنتم لنا فرط ونحن لكم تبع نسئل الله العافية.

وروى الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٦٠) عن مجمع بن حارثة قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله في جنازة حتّى إنتهى إلى المقبرة فقال: السلام على أهل القبور -ثلاث مرّات- من كان منكم من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، عافانا الله وإيّاكم.

وأخرج الطبراني عن امير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام انه قال في زيارة قبور بالكوفة: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين و المسلمين، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع عمّا قليل لاحق، اللهم اغفر لنا ولهم و تجاوز عنّا و عنهم، طوبى لمن أراد المعاد وعمل الحسنات، وقنع بالكفاف، و رضي عن الله عزّ وجل.

رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٩) و ذكره الجاحظ في (البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٩) بلفظ يقرب من هذا.

وفي (العقد الفريد ج ٢ ص ٦): كان عليّ بن أبيطالب «أمير المؤمنين» كرّم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحالّ

المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفرلنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنّا وعنهم، ثم يقول: الحمدلله الّذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً، والحمدلله الّذي منها خلقنا وإليها معادنا، وعليها محشرنا، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل الحسنات وقنع بالكفاف ورضي عن الله عزّ وجل.

وفي (العقد الفريد ج ٢ ص ٨): وقف محمّد بن الحنفيّة على قبر الحسن بن عليّ «الامام» رضي الله عنهما فخنقته العبرة ثمّ نطق فقال: رحمك الله أبا محمّد فلئن عزّت حياتك فلقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك، وكيف لايكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس (رابع ظ) أصحاب الكساء، غذتك أكفّ الحق وربيّت في حجر الاسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيّبة بفراقك ولا شاكّة في الخبار لك.

وقال الفيروزآبادي صاحب القاموس في (سفر السعادة ص ٥٧): ومن العادات النبويـة زيارة القبور والدعاء والإستغفار ومثل هذه الزيارة مستحبّ وقال: إذا رأيتم المقابر فقولوا: السلام عليكم أهل الديار ـ إلى آخر ما ذكر ـ ثم قال: وكان يقرأ وقت الزيارة من نوع الدعاء الّذي كان يقرؤه في صلاة الميت.

وفي (العقد الفريد ج ٢ ص ٧): وقف عليّ بن أبيطالب «أمير المؤمنين» على قبر خباب فقال: رحم الله خباباً لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش مجاهداً، و ابتلى في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

وفيه (ج ٢ ص ٦): كان الحسن البصري إذا دخل المقبرة قال: اللهم ربّ هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة الّتي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنـة، ادخل روحاً منك وسلاماً منّا.

و في (المستطرف ج ٣ ص ٨٢): قال إبن السّماك على قبر أبي سليمـان داود بن نصير الطائي فقال: يا داود! كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون و كنت تسلم إذ الناس يخوضون و كنت تربح إذ الناس يخسرون، حتّى عدّ فضائله كلّها.

زيارة شهداء احد :

يستحبّ للحاج أن يزورشهداء احد قال النووي وشرنبلالي وغيرهما : أفضلها وأحسنها يوم الخميس خصوصاً قبرسيّدنا حمزة. و قال الفاخوري في «الكفاية» : ويخصّ بها يوم الإثنين. وقال إبن حجر : ويسنّ له أن يأتي متطهّراً قبور الشهداء باحد ويبدأ بسيّدالشهداء حمزة رضي‌الله عنه. وقال الفاكهي في «حسن الأدب» ص٨٣): وقد ورد: زوروهم وسلّموا عليهم، والّذي‌نفسي‌بيده لايسلّم عليهم‌أحد إلّا ردّوا عليه إلى‌يوم القيامة.

ولايخفى: أن ردّهم السلام دعاء لهم‌بالسلامة، ودعاؤهم مستجاب لقربهم و منزلتهم عندالله جلّ وعلا.

زيارة حمزة عم النبي الكريم ﷺ : فيقول وهو في غاية الأدب و الإجلال :

«السلام عليك يا عمّ المصطفى، السلام عليك يا سيّدالشهداء، السلام عليك‌يا اسدالله ، السلام عليك يا أسد رسول‌الله ، رضي‌الله عنك وأرضاك وجعل‌الجنّة منقلبك ومثواك، السلام عليكم أيّها الشهداء ورحمةالله وبركاته».

قال إبن‌جبيرفي (رحلته ص ١٥٣) : وحول الشهداء - بجبل احد - تربة حمراء هي‌التربة الّتي‌تنسب إلى‌حمزة ويتبرّك الناس‌بها.

روى البيهقي في (سننه ج ٤ ص ٧٨): «كانت فاطمة رضي‌الله عنها تزورقبر عمّهاحمزة كل‌جمعة فتصلّي‌وتبكي عنده».

أخرجه الحاكم في (المستدرك ج١ ص ٣٧٧) وقال: هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات ثم‌قال : و قد استقصيت في البحث عن زيارة القبور تحرّياً للمشاركة في‌الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه انّها سنّة مسنونة وصلّى‌الله على محمّد وآله أجمعين.

زيارة بقية الشهداء :

ثمّ يتوجّه إلى قبور الشهداء الباقين - والمشهور من الشهداء المكرّمين الّذين استشهدوا يوم احدوهم سبعون رجلاً - فيقول: «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار ، السلام عليكم يا شهداء ، السلام عليكم يا سعداء، رضىالله عنكم وأرضاكم».

قال الحمزاوي في (كنز المطالب ص ٢٣٠) : و يتوسّل بهم إلى الله في بلوغ آماله لأنّ هذا المكان محلّ مهبط الرحمات الربانية ، وقد قال خيرالبرية عليه الصلاة وأزكى التحيّة: إنّ لربّكم في دهر كم نفحات ألا فتعرّضوا لنفحات ربكم، ولا شك ولا ريب أنّ هذا المكان محلّ هبوط الرحمات الالهية ، فينبغي للزائرأن يتعرّض لهاتيك النفحات الإحسانيّة، كيف لا؟ وهم الأحبّة والوسيلة العظمى إلى الله و رسوله ، فجدير لمن توسّل بهم أن يبلغ المنى و ينال بهم الدرجات العلى، فانّهم الكرام لا يخيب قاصدهم و هم الأحياء، و لا يردّ من غير إكرام زائرهم .

وقال السمهودي في (وفاء الوفاء ج٢ ص ١١٣): وقد سرد إبن النجارأسماؤهم فتبعته ليسلّم عليهم من شاء بأسمائهم :

١- حمزة بن عبدالمطلب
٢- عبدالله بن جحش
٣- مصعب بن عمير
٤- عمارة بن زياد
٥- شماس بن عثمان
٦- عمرو بن معاذ
٧- الحارث بن أنس
٨- سلمة بن ثابت
٩- عمر بن ثابت
١٠- ثابت بن وقش
١١- رفاعة بن وقش
١٢- حسيل بن جابر
١٣- صيفى بن قبطي
١٤- الحباب بن قبطى
١٥- عباد بن سهل
١٦- الحارث بن أوس
١٧- أياس بن أوس
١٨- عبيد بن التهان
١٩- حبيب بن زيد
٢٠- يزيد بن حاطب
٢١- أبوسفيان بن الحارث
٢٢- أنيس بن قتادة
٢٣- حنظلة بن أبي عامر
٢٤- أبوحيّة بن مسلمة

٢٥- عبيدالله بن جبير	٤١- خارجة بن زيد	٥٧- عبدالله بن عمرو
٢٦- أبو سعد بن خيثمة	٤٢- سعد بن ربيع	٥٨- عمرو بن الجموح
٢٧- عبدالله بن مسلمة	٤٣- أوس بن الأرقم	٥٩- خلّاد بن عمرو
٢٨- سبيع بن حاطب	٤٤- مالك بن سنان	٦٠- أبو أيمن مولى عمرو
٢٩- عمرو بن قيس	٤٥- سعد بن سويد	٦١- عبدة بن عمرو
٣٠- قيس بن عمرو	٤٦- علبة بن ربيع	٦٢- عنترة مولى عبيدة
٣١- ثابت عمرو	٤٧- ثعلبة بن سعد	٦٣- سهل بن قيس
٣٢- عامر بن مخلد	٤٨- نقيب بن فروة	٦٤- ذكوان بن عبد قيس
٣٣- أبو هبيرة بن حارث	٤٩- عبدالله بن عمرو	٦٥- عبيد بن المعلّى
٣٤- عمرو بن مطرف	٥٠- ضمرة الجهني	٦٦- مالك بن نميلة
٣٥- أوس بن ثبت	٥١- نوفل بن عبدالله	٦٧- الحارث بن عدي
٣٦- أنس بن النضر	٥٢- عباس بن عبادة	٦٨- مالك بن أياس
٣٧- قيس بن مخلد	٥٣- نعمان بن مالك	٦٩- أياس بن عدي
٣٨- عمرو بن أياس	٥٤- المحذر بن زياد	٧٠- كيسان مولى بني النجّار
٣٩- سليم بن الحارث	٥٥- عبادة بن الحسحاس	
٤٠- نعمان بن عبد	٥٦- رفاعة بن عمرو	

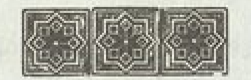
ومن أراد الوقوف على تفصيل أسماء هؤلاء الشهداء السّعداء وعرفان أسرهم فعليه: (سيرة إبن هشام ج ٣ ص ٧٥-٨١) وللسمهودي في (وفاء الوفاء ج ٢ ص ١١٤-١١٩) حول قبور شهداء احد كلمة ضافية فيها فوائد جمّة.

قال الكمال بن الهمام محقّق الحنفيّة: ويزور جبل احد نفسه ففي الصحيح: «احد جبل يحبّنا ونحبّه».

وقد جعل البخاري في صحيحه في آخر غزوة احد باباً في حديث: «احد يحبّنا ونحبّه».

ويستحبّ إستحباباً مؤكّداً كما قال النووي أن يأتي مسجد قباء وفي يوم

السبت أولى ، و قال الفاكهي : في السبت فالإثنين فالخميس أولى سيّما صبيحة سابع عشر رمضان لحديث في ذلك، فيصلّي فيه ويقول بعد دعائه بما أحبّ: يا صريخ المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا مفرّج كرب المكروبين ، يا مجيب دعوة المضطرين، صلّ على سيّدنا محمد و آله و اكشف كربي وحزني كما كشفت عن رسولك حزنه و كربه في هذا المقام، ياحنّان يا منّان يا كثير المعروف والإحسان يا دائم النعم يا أرحم الراحمين ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم.



﴿العامة والحث على زيارة القبور﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة في الأمر بزيارة القبور، فأفتى أعلامهم على إستحبابها ، و قد أفتى بعضهم بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر فنشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ عن بريدة مرفوعاً: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» و زاد الترمذي: فقد أذن الله لنبيه صلى الله عليه وآله في زيارة قبر امّه.

رواه جماعة من حملة آثارهم :

١ـ مسلم في صحيحه. ٢ـ الترمذي في سننه وقال: حديث حسن صحيح. ٣ـ النسائي في (السنن ج ٤ ص ٨٩). ٤ـ الحاكم في (المستدرك ج ١ ص٣٧٤) عن الصحيحين للبخاري و مسلم. ٥ـ البغوي في (مصابيح السنة ج ١ ص ١١٦) وعدّه من الصحاح. ٦ـ المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨). ٧ـ إبن الديبع في (تيسير الوصول ج ٤ ص ٢١٠) وقال: أخرجه الخمسة إلّا البخاري.

٢ـ عن عبيدالله بن مسعود مرفوعاً في حديث: «ألا فزوروا القبور فانّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة».

أخرجه جماعة منهم :

١ـ ابن ماجة في (سننه ج ص ٤٧٦). ٢ـ أبو الوليد محمّد بن عبدالله الأزرقي في (أخبار مكّة ج ٢ ص ١٧٠). ٣ـ الحاكم في (المستدرك ج ١ ص

٣٧٥) و صحّحه. ٤ـ المنـذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨) و قال : إسناد صحيح ٥ـ البيهقي في (السنن الكبرى ج ٤ ص ٧٧).

٣ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكّركم الموت» أخرجه الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٣٧٥) وصحّحه.

٤ـ عن إبن عباس مرفوعاً : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولاتقولوا هجراً » أخرجه الطبراني في الكبير و الأوسط كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) للهيثمي.

٥ـ عن زيد بن الخطّاب في حديث مرفوعاً: « إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء منكم أن يزور فليزر » رواه الطبراني في الكبير ونقله عنه الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).

٦ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : « فزوروا القبور فانّها تذكّر ـ تذكّركم ـ الموت» رواه جماعة من أعلامهم:

١ـ مسلم في صحيحه. ٢ـ أحمد في (مسنده ج ١ ص ٤٤١) . ٣ـ ابن ماجة في (السنن ج ١ ص ٤٧٦) . ٤ـ أبو داود في (سننه ج ٢ ص ٧٢) . ٥ـ النسائي في (السنن ج ٤ ص ٩٠). ٦ـ الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٣٧٦) . ٧ـ البيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٦) . ٨ـ المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨).

٧ـ عن بريدة مرفوعاً: «إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وليزدكم زيارتها خيراً».

أخرجه الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٣٧٦) وصحّحه هو و الذهبي و البيهقي في (سننه ج ٤ ص ٧٦).

٨ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً : « إنّي نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء أن يزور قبراً فليزره فانّه يرقّ القلب ، ويدمع العين ، و يذكّر الآخرة ولا

تقولوا هجراً».

رواه أحمد في (مسنده ج ٣ ص ٢٣٧ و ٢٥٠) و الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٣٧٦) و صحّحه هو وأقرّه الذهبي ، والبيهقي في (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧).

٩ـ عن زيدبن ثابت مرفوعاً : « زوروا القبور ولاتقولوا هجراً» أخرجه الطبراني في الصغير كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).

١٠ـ عن أبي ذر مرفوعاً: « زرالقبورتذكربها الآخرة » أخرجه الحاكم في (المستدرك ج١ ص ٣٧٧).

وقال : حديث رواته عن آخرهم ثقات ، والمنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨).

١١ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في حديث: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروهاولاتقولوا ما يسخط الرب» أخرجه البزّار والهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨» وقال: رجاله رجال الصحيح.

١٢ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبورفزوروها ولا تقولوا هجراً» أخرجه البيهقي فى (سننه الكبرى ج ٤ ص ٧٧).

١٣ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « إنّي نهيتكم عن زيارة القبورفزوروها فانّ فيها عبرة ».

رواه جماعة من أعلامهم:

١ـ أحمد فى (مسنده ج ٣ ص ٣٧) ٢ـ الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٣٧٥) و صحّحه هو و الذهبي . ٣ـ البيهقي في (سننه الكبري ج ٤ ص ٧٧) . ٤ـ المنذري في (الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨) . و قال : رواته محتجّ بهم في الصحيح . ٥ـ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) و قال : رجاله رجال الصحيح.

١٤- عن طلحة بن عبدالله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله يريد قبور الشهداء - إلى أن قال-: فلمّا جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا.

رواه أبوداود في (سننه ج١ ص ٣١٩) والبيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٤٩).

١٥- عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام مرفوعاً في حديث: «إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكّركم الآخرة»

أخرجه أحمد في (مسنده ج ١ ص ١٤٥) و الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨) و أخرجه أحمد في (المسند ج ١ ص ٤٥٢) بلفظ أخصر من طريق عبدالله بن مسعود.

١٦- أخرج أبو الوليد محمّد بن عبدالله الأزرقي في (أخبار مكة ج ٢ ص ١٧٠) قال: أخبرني إبن أبي مليكة في حديث رفعه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ايتوا موتاكم فسلّموا عليهم أو: صلّوا - شك الخزاعي - فان بكم عبرة.

١٧- عن بريدة مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّ في زيارتها تذكرة» أخرجه أبوداود في (سننه ج ٢ ص ٧٢).

١٨- عن ثوبان مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها و اجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم وإستغفاراً لهم» رواه الطبراني في الكبير كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).

١٩- عنه صلى الله عليه وآله: «من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا يقول إلّا خيراً فانّ الميّت يتأذّى ممّا يتأذّى منه الميت».

ذكره الشيخ شعيب المصري في (الروض الفائق ج ١ ص ١٩).

٢٠- عن جابر مرفوعاً: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» أخرجه الخطيب في (تاريخه ج ١٣ ص ٢٦٤).

٢١- عن ام سلمة مرفوعاً: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّ لكم

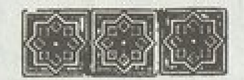
فيها عبرة» أخرجه الطبراني في الكبير كما في (مجمع الزوائد ج٣ ص ٥٨).

٢٢- عن عائشة: إن النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم رخص فيها، أحسبه قال: فانها تذكر الآخرة.

أخرجه البزار والهيثمي في (مجمع الزوائد ج٣ ص ٥٨) وقال: رجاله ثقات.

٢٣- عن عائشة قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم قال: زوروها فان فيها موعظة» أخرجه الخطيب في (تاريخه ج ١٤ ص ٢٢٨).

٢٤- عن عائشة في حديث مرفوعاً: «ألا فزوروا إخوانكم وسلموا عليهم فان فيهم عبرة» رواه الطبراني في الأوسط كما في (مجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٨).



﴿أعلام العامة وحكم زيارة القبور﴾

وقد ورد عن أعلام العامة كلمات عديدة في حكمة زيارة القبور وإستحبابها ينبغي لكل قاريء أن ينظر فيها:

منها: ماقال العبدري المالكي في (المدخل ج١ ص٢٥٤): وصفة السلام على الأموات أن يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين و المسلمات رحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أسئل الله لنا ولكم العافية، ثمّ يقول: «اللهمّ اغفر لنا ولهم» ومازدت أو نقصت فواسع والمقصود الإجتهاد لهم في الدعاء فانّهم أحوج النّاس لذلك لإنقطاع أعمالهم، ثمّ يجلس في قبلة الميّت ويستقبله بوجهه، وهومخيّر في أن يجلس في ناحيه رجليه إلى رأسه أو قبال وجهه، ثمّ يثني على الله تعالى بما حضره من الثناء ثمّ يصلّى على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم الصّلاة المشروعة، ثمّ يدعو للميّت بما أمكنه، و كذلك يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين، ويتضرّع إلى الله تعالى في زوالها و كشفها عنه وعنهم.

وهذه صفة زيارة القبور عموماً، فان كان الميّت المزار ممّن ترجى بركته، فيتوسّل إلى الله تعالى به، و كذلك يتوسّل الزائر بمن يراه الميّت ممّن ترجى بركته إلى النّبي صلى الله عليه وآله بل يبدأ بالتوسّل إلى الله تعالى بالنّبي صلى الله عليه وآله إذ هو العمدة في التوسّل، والأصل في هذا كلّه والمشرّع له فيتوسّل به صلى الله عليه وآله وسلم وبمن تبعه باحسان إلى يوم الدّين، وقد روى النجاري عن أنس: «انّ عمر بن الخطاب كان إذا

قحطوا استقى بالعبّاس فقال: اللهمّ كنّا نتوسّل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيّك فاسقنا فيسقون».

ثم يتوسّل بأهل تلك المقابر أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ثمّ يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذرّيّتهم إلى يوم الدين، ولمن غاب عنه من إخوانه، ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم، ويكثر التوسّل بهم إلى الله تعالى لأنّه سبحانه وتعالى إجتباهم وشرّفهم وكرّمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسّل بهم، فانّهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرّر في الشرع، وعلم ما لله تعالى بهم من الإعتناء وذلك كثير مشهور ومازال النّاس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً يتبرّكون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حسّاً ومعنى، وقد ذكر الشيخ أبو عبدالله بن نعمان في كتابه (سفينة النجاء لأهل الالتجاء) في كرامات الشيخ أبي النجاء في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه:

تحقّق لذوي البصائر والاعتبار أنّ زيارة قبور الصّالحين محبوبة لأجل التبرّك مع الإعتبار فان بركة الصّالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم والدعاء عند قبور الصّالحين، والتشفّع بهم معمول به عند علمائنا المحقّقين من أئمة الدين، ولا يعترض على ما ذكر من أنّ من كانت له حاجة فليذهب إليهم، وليتوسّل بهم، بقوله عليه الصّلاة والسلام: «لا تشدّ الرّحال إلّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى» وقال أبو حامد الغزالي في كتاب آداب السفر من كتاب الإحياء له ما هذا لفظه:

«القسم الثاني وهو أن يسافر لأجل العبادة إمّا لجهاد أو حجّ - إلى أن قال -: ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وقبور الصّحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرّك بمشاهدته في حياته يتبرّك بزيارته بعد وفاته، ويجوز

شدّ الرّحال لهذا الغرض ولايمنع من هذا قوله ﷺ: «لاتشدّ الرحال إلّا لثلاث مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى» لأنّ ذلك في المساجد لأنّها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلّا فلا فرق بين زيارة الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب إختلاف درجاتهم عندالله عزّ وجلّ والله تعالى أعلم».

ومنها : ما قال عزّ الدين الشيخ يوسف الأردبيلي الشافعي في (الأنوار لأعمال الأبرار) في (الفقه الشافعي ج١ ص١٢٤): ويستحبّ للرّجال زيارة القبور وتكره للنساء والسنّة أن يقول: سلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاءالله عن قريب بكم لاحقون، اللهمّ لاتحرمنا أجرهم ولاتفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم، وأن يدنو من القبر كما كان يدنو من صاحبه حيّاً، وأن يقف متوجّهاً إلى القبر و أن يقرأ ويدعو فانّ الميّت كالحاضر يرجى له الرحمة والبركة، والدعاء عقيب القراءة أقرب إلى الإجابة .

ومنها : ماقال الشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم المصري الحنفي في (البحر الرائق) شرح (كنز الدقائق ج٢ ص١٩٥) للنسفي: قال في البدايع: ولابأس بزيارة القبور والدعاء للاموات إن كانوا مؤمنين، من غير وطء القبور لقوله ﷺ: «إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» ولعمل الأمّة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا. وصرّح في (المجتبى) بأنّها مندوبة ، وقيل : تحرم على النساء و الأصح : انّ الرخصة ثابتة لهما، و كان ﷺ يعلّم السلام على الموتى: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين. ذكره إلى آخره ثمّ ذكر قراءة القرآن عند القبور وشيئاً من أدب الزيارة

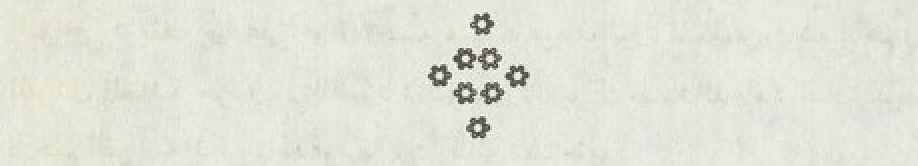
ومنها : ماقال الخطيب الشربيني في (المغني ج١ ص٣٥٧): يسنّ الوضوء لزيارة القبور كما قاله القاضي حسين في شرح الفروع، ويسلّم الزائر للقبور من المسلمين مستقبلاً وجهه، ويقرأ عنده من القرآن ماتيسّر ، ويدعو له عقب القرائة

رجاء الإجابة لأنّ الدعاء ينفع الميّت وهوعقب القراءة أقرب إلى الإجابة وعند الدعاء يستقبل القبلة، وإن قال الخراسانيّون باستحباب إستقبال وجه الميّت. قال المصنّف: ويستحبّ الإكثار من الزّيارة وأن يكثر الوقوف عندقبور أهل الخير والفضل. إنتهى ملخّصاً.

ومنها: ماقال الشيخ عبدالمعطي السقافي في (الإرشادات السنيّة ص١١١): زيارة قبور المسلمين مندوبة للرجال لخبر مسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكّركم الآخرة» أمّا زيارة النساء فمكروهة إن كانت لقبر غير نبيّ وعالم وصالح وقريب، أمّا زيارة القبر النّبيّ ومن ذكر معه فمندوبة لهن بدون محرم إن كانت القبور داخل البلد، و مع محرم إن كانت خارجة و محلّ ندب زيارتهنّ أو كراهتها إذا أذن لهن الحليل أوالولي و أمنت الفتنة، ولم يترتّب على إجتماعهنّ مفسدة كما هو الغالب، بل المحقّق في هذا الزمان، و إلّا فلاريبة في تحريمها. و يستحبّ الإكثار من الزيارة لتحصيل الإعتبار والعظة وتذكّر الآخرة، وتتأكّد الزيارة عشيّة يوم الخميس ويوم الجمعة بتمامه وبكرة يوم السبت.

وينبغي للزائرأن يقصد بزيارته وجه الله و إصلاح فساد قلبه، وأن يكون على طهارة رجاء قبول دعائه لنفسه وللميّت، وأن يسلّم على من بالمقبرة بقوله السلام عليكم دارقوم مؤمنين- وذكرإلى آخره- ثمّ إذا وصل إلى قبرميّته قرب منه ووقف مستقبلاً وجهه خاشعاً قائلاً: السلام عليك. ثم يقرأ عنده ماتيسّر من القرآن كسورة الفاتحة وسورة يس وسورة تبارك وسورة الإخلاص والمعوّذتين، والأفضل أن يكون وقت القرائة جالساً مستقبل القبلة قاصداً نفع الميت بمايتلوه، وأن يكثر من التصدّق وأن يرشّ القبر بالماء الطاهر، وأن يضع عليه جريداً أخضر ونحوه كالريحان والبرسيم وتتأكّد زيارة الأقارب والدعاء لهم سيّما الوالدين. فقد ورد في الحثّ على زيارتهما والدعاء لهما أخبار كثيرة صحيحة.

ومنها : ماقال فقهاء المذاهب الأربعة مؤلفوا كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤١٤) : زيارة القبور مندوبة للاتعاظ و تذكّر الآخرة و تتأكدّ يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها ، وينبغي للزائر الإشتغال بالدعاء و التضرّع و الإعتبار بالموتى و قرائة القرآن للميّت ، فانّ ذلك ينفع الميّت على الأصحّ .



﴿القبور المقصودة بالزيارة عند العامة﴾

هناك قبور تقصد بالزيارة وقد قصدت في القرون الإسلامية منذ يومها الأوّل ولأعلام المذاهب الأربعة حولها كلمات يأخذ الباحث الخبير منها دروساً من شتّى النواحي و يقف بها على فوائد جمّة منها : عرفان سيرة المسلمين و شعارهم في القرون الخالية حول زيارة القبور والتوسّل والتبرّك بها، والدعاء والصلاة لديها و ختم القرآن الكريم لمدفونيها ، و إليك نبذة منها :

١ ـ بلال بن حمامة الحبشي مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتوفّى سنة : (٢٠) قبره بدمشق و في رأس القبر المبارك تاريخ باسمه رضي الله عنه ، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب ، قد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم . راجع (رحلة إبن جبير ص ٢٢٩) .

٢ ـ سلمان الفارسي الصّحابي العظيم المتوفى (٣٦) قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٣٦) : قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى ، عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع و عمارته ، والنظر في أمر مصالحه ، و قد رأيت الموضع وزرته غير مرّة . و قال إبن الجوزي في (المنتظم ج ٥ ص ٧٥) : قال القلانسي و سمنون : زرنا قبر سلمان و انصرفنا .

٣ ـ أبو أيّوب الأنصاري الصحابي المتوفّى (٥٢) بالروم قال الحاكم في (المستدرك ج٣ ص٤٥٨) : يتعاهدون قبره و يزورونه ويستسقون به إذا قحطوا ، و ذكره ابن الجوزي في (صفة الصفوة ج ١ ص ١٨٧) .

و قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج١ ص١٥٤) : قال الوليد : حدّثني شيخ من أهل فلسطين : أنه رأى بنيّة بيضاء دون حائط القسطنطنية فقالوا : هذا قبر أبي أيّوب الأنصاري صاحب النبيّ صلّى الله عليه و آله فأتيت تلك البنيّة فرأيت قبره في تلك البنيّة و عليه قنديل معلّق بسلسلة .

وفي (تاريخ إبن كثير ج ٨ ص ٥٩) : وعلى قبره مزار ومسجد وهم - أي الروم - يعظّمونه. و قال الذهبي في (الدول الإسلامية ج ١ ص ٢٢) : فالروم تعظّم قبره و يستشفعون إلى اليوم به .

٤ - مصعب بن الزبير المتوفّى (١٥٧) قال إبن الجوزي في (المنتظم ج ٧ ص ٢٠٦) : زارت العامّة قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين عليه السلام .

٥ - عبيدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٢٣) : باب البردان فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل وعند المصلّى المرسوم بصلاة العيد قبر كان يعرف بقبر النذور ويقال: إنّ المدفون فيه رجل من ولد عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه يتبرّك النّاس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته ، حدّثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدّثني أبي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدّولة ونحن مخيّمون بالقرب من مصلّى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أوّل يوم نزل المعسكر فوقع طرفه على البناء الّذي على قبر النذور فقال لي : ما هذا البناء ؟ فقلت :

هذا مشهد النذور ولم أقل : قبره لعلمي بطيرته من دون هذا و استحسن اللفظة ، و قال : قد علمت أنّه قبر النذور و إنّما أردت شرح أمره فقلت : هذا يقال : إنه قبر عبيدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب ، ويقال: إنّه قبر عبيدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبيطالب ، و إنّ بعض الخلفاء

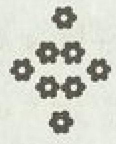
أراد قتله خفياً فجعلت له، هناك زبية وسير عليها وهو لايعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً، و إنّما شهر بقبر النذور لأنّه ما يكاد ينذر له نذر إلّا صحّ و بلغ الناذر ما يريد، و لزمه الوفاء بالنذور و أنا أحد من نذر له مراراً لا احصيها كثرة نذوراً على امور متعدّدة فبلغتها و لزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبّل هذا القول و تكلّم بما دلّ على أنّ هذا إنّما يقع منه اليسير إتفاقاً، فيتسوّق العوام بأضعافه و يسيّرون الأحاديث فيه.

فأمسكت فلمّا كان أيّام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور فركبت و ركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله و زار القبر و صلّى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجات بما لم يسمعه أحد ثمّ ركبنا معه إلى خيمته و أقمنا أيّاماً ثمّ رحل و رحلنا معه يريد همذان فبلغناها، و أقمنا فيها معه شهوراً فلمّا كان بعد ذلك إستدعاني، و قال لي: ألست تذكر ما حدّثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى، فقال: إنّي خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي إعتماداً لإحسان عشرتك، والّذي كان في نفسي في الحقيقة انّ جميع ما يقال فيه كذب، فلمّا كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمر خشيت أن يقع و يتمّ و أعملت فكري في الإحتيال لزواله، و لو بجميع ما في بيوت أموالي و سائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهباً، فذكرت ما أخبرتني به في النذر بمقبرة النذور فقلت:

لم لا اجرّب ذلك؟ فنذرت: إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل لصندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً، فلمّا كان اليوم جائتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدّمت إلى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف - يعني كاتبه - أن يكتب إلى أبي الريّان - و كان خليفته في بغداد - يحملها إلى المشهد ثم إلتفت إلى عبد العزيز - و كان حاضراً - فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك

و نفذ الكتاب .

٦ـ السيّدة نفيسة إبنة أبي محمّد الحسن بن زيدبن عليّ بن أبيطالب ، توفّيت سنة : (٢٠٨) و دفنت بدرب السّباع و قبرها معروف باجابة الدعاء عنده و هو مجرّب رضي‌الله عنها . راجع (حل ج ٢ ص ٣٠٢) .



﴿زيارة قبور ائمتنا المعصومين عليهم السلام عند العامة﴾

وقد وردت كلمات أعلام العامة في الحث على زيارة قبور أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، والتوسل بهم والتبرك بقبورهم و الدعاء و الصلاة و قراءة القرآن المجيد لديها نشير إلى ما يسعه مقام الإختصار:

١ـ رأس الحسين ـ الإمام السبط الشهيد عليه السلام ـ بمصر قال إبن جبير المتوفي: (٦١٤) في (رحلته ص١٢): هو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض، ومنه ما هو دون ذلك قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة، ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون، والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة و شمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع

ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه

المرآة الهندية الحديثة الصقل، وشاهدنا من إستلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم به وإنكبابهم عليه وتمسّحهم بالكسوة الّتي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسّلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين بما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم، وانّما وقع الإلماع بنبذة من صفته مستدلاً على ماوراء ذلك، إذ لاينبغي لعاقل أن يتصدّى لوصفه لأنّه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجملة فما أظنّ في الوجود كلّه مصنعاً أحفل منه، ولامرأى من البناء أعجب ولا أبدع، قدّس الله العضو الكريم الّذي فيه بمنّه وكرمه.

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بالجبّانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً إحدى عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت والصّحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والزّهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة، وإنّما ذكرنا منها ما أمكننا مشاهدته، فمنها: قبر إبن النّبيّ صالح، وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسية إمرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء، وعلى كل واحد منها بناء حفيل، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيان، قد وكّل بها قوم يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متّصلة لقوامها في كلّ شهر ثمّ ذكر تفصيل المشاهد:

عقد الشبراوي الشيخ عبدالله الشافعي المتوفّى: (١١٧٢) في كتابه (الإتحاف بحبّ الأشراف ص٢٥-٤٠) باباً في ذلك المشهد وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له، وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته، وقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئيّة، والنفحات العائدة على زائريه غير خفيّة، وهي بصحّة الدعوى مليّة، و الأعمال بالنيّة ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلّف، واستفتى القاضي

زكيّ الدين عبدالعظيم في ذلك فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة، والإعتقاد فيه خير والسلام، وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسي الفداء لمشهد أسراره	من دونها ستر النبوّة مسبل
ورواق عزّ فيه أشرف بقعة	ظلّت تحارلها العقول وتذهل
تغضي لبهجته النواظر هيبة	ويردّ عنه طرفه المتأمّل
حسدت مكانته النجوم فودّ لو	أمسى يجاوره السّماك الأعزل
وسماعلوّاً أن تقبّل تربة	شفة فأضحى بالجباه يقبّل

وقال في ذكر الكرامات:

منها: أن رجلاً يقال له: شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلّم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينيه فكفّ بصره وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيّدي أنا جارك قد كفّ بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليّ ولو عيناً واحدة فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسئل عنهم فقيل له: هذا النّبيّ ﷺ والصّحابة معه جاؤا لزيارة السيّد الحسين رضي الله عنه فدخل معهم، ثم قال: ماكان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جدّه وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل، فقال النّبيّ ﷺ للامام عليّ رضي الله عنه: يا عليّ كحّله، فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له:

تقدّم حتّى اكحلك فتقدّم فلوّث المرود ووضعه في عينه اليمنى، فأحسّ بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة، فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط الّتي تفرش في مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه وكتب عليها وقفاً ولم تزل تفرش حتّى تولّى مصر الوزير المعظم محمّد باشا الشريف من طرف حضرت

مولانا السلطان محمّد خان نصره الله فجدّد بسطاً اخرى، وهي الّتي تفرش إلى الآن، ثمّ ذكر كرامة اخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السّادة الخلوتيّة، وقال بعد بيان إختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ولنذكر في هذا الباب نبذة من القصائد الّتي مدحت بها آل البيت الشريف وتوسّلت فيها بساكن هذا المشهد المنيف فممّا قلت فيه:

آل طه ! ومن يقل آل طه　　مستجيراً بجاهكم لايردّ
حبّكم مذهبي وعقد يقيني　　ليس لي مذهب سواه و عقد
منكم أستمدّ بل كلّ من في الكـ　　ـون من فيض فضلكم يستمدّ
بينكم مهبط الرسالة و الـ　　ـوحي و منكم نور النبوّة يبدو
ولكم في العلا مقام رفيع　　ما لكم فيه آل يس ندّ
يابن بنت الرسول من ذا يضاهيـ　　ـك إفتخاراً وأنت للفخر عقد؟
يا حسيناً هل مثل امّك ام　　لشريف ؟ أو مثل جدّك جدّ؟
رام قوم أن يلحقوك ولكن　　بينهم في العلا وبينك بعد
خصّك الله بالسعادة في دنيـ　　ـاك ثمّ بالشهادة بعد
لك في القبر يا حسيناً مقام　　ولأ عداك فيه خزي و طرد
يا كريم الدارين يا من له الدهـ　　ـر على رغم من يعاند عبد
أنت سيف على عداك ولكن　　فيك حلم و ما لفضلك حدّ
كلّ من رام حصر فضلك غرّ　　فضل آل النّبيّ ليس يعدّ
طيبة فاقت البقاع جميعاً　　حين أضحى فيها لجدّك لحدّ
ولمصر فخر على كلّ مصر　　ولها طالع بقبرك سعد
مشهد أنت فيه مشهد مجد　　كم سعى نحوه جواد مجدّ؟
وضريح حوى علاك ضريح　　كلّه مندل يفوح و ندّ
مدد ماله إنتهاء و سرّ　　لايضاهي و رونق لايحدّ

رحمات للزائرين توالت		و جزيل من العطاء و رفد
رضي الله عنكم آل طه		و دعاء المقل مثلي جهد
وسلام عليكم كل وقت		ما تغنت بكم تهام و نجد
أنا في عرض تربة أنت فيها		يا حسيناً و بعد حاشا أرد
أنا في عرض جدك الطاهر الط		هر إذا ما الزمان بالخطب يعدو
أنا في عرض من يعود كل الـ		ـرسل عليه و مالهم عنه بد
أنا في عرض من أتته غزال		فحماها والخصيم خصم ألد
أنا في عرض جدك المصطفى من		كل عام له الرحال تشد

وقلت فيهم أيضاً رضي الله تعالى عنهم:

آل بيت النبي! مالي سواكم		ملجأ أرتجيه للكرب في غد
لست أخشى ريب الزمان و أنتم		عمدتي في الخطوب يا آل أحمد!
من يضا هي فخاركم آل طه؟		وعليكم سرادق العز ممتد
كل فضل لغيركم فاليكم		يا بني الطهر بالأصالة يسند
لاعدمنا لكم موائد جود		كل يوم لزائريكم تجدد
يا ملوكاً لهم لواء المعالي		و عليهم تاج السعادة يعقد
أي بيت كبيتكم آل طه؟		طهر الله ساكنيه و مجد
روضة المجد و المفاخر أنتم		و عليكم طير المكارم غرد
ولكم في الكتاب ذكر جميل		يهتدى منه كل قار ويسعد
وعليكم أثنى الكتاب وهل بعـ		ـد ثناء الكتاب مجد وسودد؟!
ولكم في الفخار يا آل طه!		منزل شامخ رفيع مشيد
قد قصدناك يابن بنت رسو		ل الله والخير من جنابك يقصد
يا حسيناً ما مثل مجدك مجد		لشريف ولا كجدك من جد
يا حسيناً بحق جدك عطفاً		لمحب بالخير منك تعود

كل وقت يود يلثم قبراً — أنت فيه بمقلتيه و يشهد
سادتي أنجدوا محباً أناكم — مطلق الدمع في هواكم مقيد
و أغيثوا مقصراً ما له غير — حماكم إن أعضل الأمر واشتد
فعليكم قصرت حبي و حاشا — بعد حبي لكم اقابل بالرد
يا إلهي سوى حب آل البيت — آل النبي طه الممجد
أنا عبد مقصر لست أرجو — عملاً غير حب آل محمد إلخ

وقال في المشهد الحسيني أيضاً :

يا نديمي قم بي إلى الصهباء — و اسقنيها في الروضة الغناء
حيث مجرى الخليج والماء فيه — يتثنى كالحية الرقشاء
هاتها يا نديم صرفاً و دعني — من صريع الهوى قتيل الماء
و أدرها ممزوجة بالتهاني — غير ممزوجة بماء السماء
هاتها يا نديم من غير خلط — إن خلط الدواء عين الداء
و القنى يا نديم تحت الأثيلات — سحيراً إذا أردت لقائي
في كثيب من الجزيرة يختال — دلالاً في حلة خضراء
روضة راضها النسيم سحيراً — باعتلال صححت به و اعتلاء
و لطيف النسيم يعبث بالغصن — فيهتز هزة إستهزاء
يا خرير الخليج تفديك نفسي — فلكم نلت في حماك منائي ؟
يا نديمي جدد بذكراه وجدي — و أحي ذاك الغرام بالأغراء
هات حدث عن نيل مصر ودعني — من فرات و دجلة فيحاء
و أعدلي حديث لذات مصر — فحديث اللذات عني نائي
إن مصراً الأحسن الأرض عندي — و على نيلها قصرت رجائي
و غرامي فيها و غاية قصدي — أن أرى سادتي بني الزهراء
و إلى المشهد الحسيني أسعى — داعياً راجياً قبول دعائي

يابن بنت الرسول إنّي محبٌ　　فتعطّف و اجعل قبولي جزائي
يا كرام الأنام يا آل طه ؟　　حبّكم مذهبي و عقد ولائي
ليس لي ملجأ سواكم و ذخر　　أرتجيه في شدّتي ورخائي. إلخ

وقال فيه أيضاً :

يا آل طه ! من أتى حبكم　　مؤمّلاً إحسانكم لايضام
لذنا بكم يا آل طه ! و هل　　يضام من لاذ بقوم كرام ؟
تزدحم النّاس بأعتابكم　　و المنهل العذب كثير الزّحام
من جاء كم مستمطراً فضلكم　　فاز من الجود بأقصى مرام
يا سادتي يا بضعة المصطفى　　يا من لهم في الفضل أعلى مقام !
أنتم ملاذي وعياذي ولي　　قلب بكم يا سادتي مستهام
وحقكم إنّي محبٌ لكم　　محبّة لا يعتريها إنصرام
وقفت في أعتابكم هائماً　　و ما على من هام فيكم ملام
يا سبط طه يا حسيناً على　　ضريحك المأنوس منّي السلام
مشهدك السّامي غدا كعبة　　لنا طواف حوله و استلام
بيت جديد حلّ فيه الهدى　　فصار كالبيت العتيق الحرام
تفديك نفسي يا ضريحاً حوى　　حسيناً السبط الإمام الهمام
إنّي توسّلت بما فيك من　　عزّ ومجد شامخ و إحتشام
يا زائر هذا المقام إغتنم　　فكم لمن يسعى إليه إغتنام ؟
ينشرح الصّدر إذا زرته　　و تنجلي عنه الهموم العظام
كم فيه من نور و من رونق　　كأنّه روضة خير الأنام. إلخ

٢ـ قال الحمزاوي العدوي المتوفّى: (١٣٠٣) في (مشارق الأنوار ص ٩٢) بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين الشريف: واعلم أنّه ينبغي كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسّلاً به إلى الله، ويطلب من هذا الإمام ما كان يطلب منه

في حياته، فانّه باب تفريج الكروب، فبزيارته يزول عن الخطب الخطوب، ويصل إلى الله بأنواره والتوسّل به كل قلب محجوب، ومن ذلك ما وقع لسيّدي العارف بالله تعالى سيّدي محمد سلبي شارح «العزيمة» الشهير بابن الستّ و هو انّه قد سرقت كتبه جميعها من بيته قال: فتحيّر عقله، واشتدّ كربه فأتى إلى مقام وليّ نعمتنا الحسين منشداً لأبيات إستغاث بها فتوجّه إلى بيته بعد الزيارة ومكثه في المقام مدّة، فوجد كتبه في محلّها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها و هاهي الأبيات :

أيحوم حول من التجأ لكم أذى؟ أو يشتكي ضيماً و أنتم سادته ؟

حاشا يردّ من انتمى لجنا بكم يا آل أحمد ! أو تسرّ شوامته

لكم السيادة من ألست بربكم ولكم نطاق العزّ دارت هالته

هل ثمّ باب للنبيّ سواكم من غير كم من ذي الورى ريحانته؟!

تبّاً لطرف لايشاهد مشهداً يحوى الحسين و تستلمه سلامته

فالزم رجاباً ضمّ سبط محمد ما أمّه راج و عيقت حاجته

ها خادماً للحبّ يرفع حاجة مما يلاقي من بلا يا هالته

أمدّنا الله من فيض أمداده ومتّعنا من فيض قربه ، وتقبيل أعتابه ، و ذكر لبعضهم في ذلك المشهد قوله :

منزل كمّل الإله سناه تتوارى البدور عند لقاه

خصّه ربّنا بما شاء في الأر ض تعالى من في السماء إله

صانه زانه حماه وقاه و كساه بمنّه و رضاه

إن غدا مسكناً لعزّة آل ال بيت من ثمّ قدره وعلاه

الإمام الحسين أشرف مولى أيّد الدين سرّه و وقار

مدحته أي الكتاب و جاءت سنّة الهاشمي طرز حلاه

وهناك كلمات ضافية ليم ما ذكر حول المشهد الرأس الشريف لوجمعتها

بدالتأليف لأتت كتاباً حافلاً، وممّن أفرده بالتأليف الشيخ عبد الفتّاح بن أبي بكر الشهير بالرسّام الشافعي له رسالة: (نور العين في مدفن رأس الحسين)

٣- الامام الطاهر موسى بن جعفر عليهما السلام المدفون بالكاظميّة الشهيد سنة: (١٨٣) أخرج الخطيب البغدادي في (تاريخه ج١ ص ١٢٠) باسناده عن أحمد بن جعفر ابن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن إبن إبراهيم أبا علي الخلاّل- شيخ حنابلة عصره- يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلاّ سهّل الله تعالى لي ما احب".

٤- و في (شذرات الذهب ج ٢ ص ٤٨): توفّي ببغداد الشريف أبو جعفر محمّد الجواد إبن عليّ بن موسى الرضا الحسيني أحد الإثنى عشر إماماً الذين تدّعي فيهم الرافضة العصمة، و دفن عند جدّه موسى و مشهدهما ينتابه العامّة بالزيارة.

٥- الإمام الطاهر أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال أبو بكر محمد إبن المؤمّل: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى عليّ بن موسى الرضا بطوس قال: فرأيت من تعظيمه يعني إبن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها و تضرّعه عندها ما تحيّرنا. راجع (يب ج٧ ص٣٨٨).

وقد أجاز أعلام العامة بل حثّوا الناس على زيارة قبور أبي بكر و عمر و عثمان، وقبور أئمّة المذاهب الأربعة وأعلامهم في كتبهم كما في (المذاهب الأربعة ج١ ص٥٥١) و القسطلاني في (المذاهب اللدنية) وشرنبلالي الحنفي في (مراقي الفلاح) وإبن الحاج في (المدخل ج١ ص٢٦٥) و إبن الجوزي في (مناقب أحمد ص٤٥٤ و ٤٨١ و ٤٨٢) وإبن عساكر في (تاريخه ج٢ ص٤٦) و الخطيب البغدادي في (تاريخه) وغيرهم. وهذا قليل من كثير مما تداول بين أجيال المسلمين منذ عهدهم المتقادم من لدن عهد الصحابة الأوّلين والتابعين لهم باحسان، ثمّ في أدوارهم

المتابعة من زيارة قبر نبيّهم الأعظم ﷺ ومراقد الأئمّة والأولياء والصّالحين و العلماء وشدّ الرحال إليها، والتوسل والإستشفاع بها، وفي الزائرين علماء أعلام وأئمّة يقتدى بهم في كلّ من المذاهب، على انّ نقلة هذه الأقاويل علماء و قادة إرتضوا تلكم الأعمال بنقلهم لها في مقام فضيلة المقبورين، وأرباب هاتيك المشاهد فعلى ذلك وقع التسالم بين فرق المسلمين في قرونهم المتطاولة ، و ذلك ينبيء عن الإجماع المتحقّق بين فرق الامة الإسلامية على إستحسان ذلك كلّه و كونه سنّة متبعة .

وأنت أيّها القاريء الكريم المنصف إذا تدبّرت فيما ذكرناه فهل تجد لما يصفه إبن تيمية وأذنابه الوهابيون مقيلاً من الصّدق؟ فهل كان المسلمون الأوّلون يرون ما يأتون به من الأعمال في مشاهد الموتى كفريّة ثم يتقرّبون به إلى الله جلّ وعلا؟حاشا لانتّهم فرق المسلمين عامّة بمثل هذه الفرية الشائنة،وهل تجد شيئاً من هاتيك الأعمال مختصاً بالشيعة فحسب! لاها الله . و هل الأعمال التى تأتى بها الشيعة عند القبور من التوسّل والتبرك بها والدعاء و الصلاة لديها لله جلّ وعلا و ختم القرآن الكريم لمدفونيها ـ وقد زعم هؤلاء البيغاء أنّها كاشفة عن الغلوّ والتأليه لعليّ وولده ـ غير ما يأتي به أهل السنة، وفي مقدّمهم أئمتهم عند تلكم المزارات من لدن عصر الصحابة حتّى اليوم من سرد ألفاظ زيارة جامعة لفضائل المزور، ومن الدعاء عند قبره والصّلاة لديه، وختم القرآن المجيد عنده وإهداء ثوابه إليه ، و التوسل والإستشفاع به، وطلب قضاء الحاجة من الله تعالى بوسيلته والتبرك به بالتزام أو تمريغ أو تقبيل،وتعظيمه بكل ما اقتضته حرمته واستوجبه خطره.فلو صحّت أحلام إبن تيمية وأتباعه وتكون هذه الأعمال بدعة وضلالاً وغلوّاً وتألهاً وفاعلها خارجاً عن ربقة الإسلام لم يبق عندئذ معتنق بالإسلام منذ يومه الأول إلّا إبن تيميّة و من لفّ لفّه .

فحقيق على القاريء الكريم الآن أن يقف على كلمة « القصيمي من

أذناب إبن تيمية ، الاخرى و يكون على بصيرة من أنّ الشيعة ليس بينها و بين المذاهب الأربعة قطّ إختلاف في هذه المواضع الهامّة وإنّما هي مما تسالمت عليه الامّة الاسلاميّة جمعاء غير أنّ كتاب الهواهى هاج هائجهم على الشيعة، فأجّجوا عليهم نيران الإحن و الشحناء و جاؤا يقطعون كلمة التوحيد بأقلام مسمومة ، و يشقّون عصا المسلمين ، و يلقون الخلاف بينهم اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم...

ذكر القصيمي في كتابه (الصراع ج ٢ ص ٦٤٨) قول العلاّمة الأمني من قصيدة له :

لابدع أن كان الدعاء إليه فيـ	ـها صاعداً و بغيرها لم يصعد

ثم قال: هذا القول عند جميع المسلمين على إختلاف مذاهبهم و نحلهم من أقوال الردّة والكفر الواضح و نعوذ بالله من الخذلان .

وقبل هذا البيت:

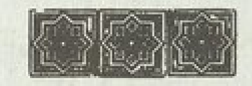
و كذا الصّلاة لدي القبور تبرّكاً	بذوي القبور فليس بالصنع الرّدى
إن الأئمة من سلالة هاشم	ثقل النّبيّ و قدوة للمقتدى
قالوا: الصّلاة لدي محل قبورنا	في الفضل تعدل مثلها في المسجد
عنهم روته لنا الثقات فبالهدى	عنهم إذا شئت الهداية فاقتد
شرف المكان بذي المكان محقّق	و أخو الحجا في ذاك لم يتردّد
خير عبادة ربّنا في مثله	من غيره فاليه فاعمد واقصد
و كذلكم طلب الحوائج عندها	من ربّنا أرجى لنيل المقصد
بركاتها ترجى لداع انّها	بركات شخص في الضريح موسّد
لابدع إن كان الدعاء إليه فيـ	ـها صاعداً و بغيرها لم يصعد

فقال: والقصيدة أغلبها من هذا النوع الفاحش المناقض لدين الإسلام ولغيره من أديان الله. إنتهى.

وعدّ القصيمي القول بالشفاء وإجابة الدعاء عند قبر الحسين السبط عليه السلام من من آفات الشيعة في (الصراع ج٢ ص٢١).

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً» الكهف: ٥)

إنتهى كلام العلّامة الأميني قدّس سرّه في هذا الباب على طريق الإختصار منّا.



﴿الشيعة وزيارة القبور﴾

وقد وردت روايات كثيرة في ترغيب الأحياء وحثّهم على زيارة الأموات، وخاصّة زيارة قبر النّبي الأقدس وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين عن طريق الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقّة نشير إلى ما يسعه المقام:

١ ـ روى الصّدوق رضوان الله تعالى عليه في الأمالي باسناده عن العلاء بن المسيّب عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبه ما جزاء من زارك؟ فقال: من زارني أو زار أباك أو زارك أو زار أخاك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة حتّى أخلصه من ذنوبه.

٢ ـ روى الصدوق عليه الرحمة في ثواب الأعمال باسناده عن عليّ بن الحسين قال: قال الحسين عليه السلام: يا أبتاه ما لمن زارنا؟ قال: يا بني من زارني حيّاً و ميّتاً و من زار أباك حيّاً وميّتاً، ومن زارك حيّاً وميّتاً، و من زار أخاك حيّاً وميّتاً كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة و أخلصه من ذنوبه و أدخله الجنّة.

٣ ـ وفيه باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتب الله تعالى في أعلى علّيّين.

٤ ـ وفيه باسناده عن الحسن بن محمّد القمي قال: قال أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام: أدنى ما يثاب به زائر أبي عبدالله عليه السلام بشطّ الفرات إذا عرف حقّه و حرمته و ولايته أن يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

٥ ـ وفيه باسناده عن موسى بن القاسم الحضرمي قال : ورد أبوعبدالله عليه السلام في أوّل ولاية أبي جعفر فنزل النجف ، فقال: ياموسى إذهب إلى الطريق الأعظم ، فقف على الطريق فانظر فانّه سيجيئك رجل من ناحية القادسية فاذا دنامنك ، فقل له: هيهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك ، فيجيىء معك قال : فذهبت حتّى قمت على الطريق، والحرّ شديد فلم أزل قائماً حتّى كدت اعصى وانصرف وادعه إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير قال: فلم أزل أنظر إليه حتّى دنا منّي، فقلت له : ياهذا هيهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك وقد وصفك لي قال: إذهب بنا إليه قال: فجئته حتّى اناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة قال:

فدعا به فدخل الأعرابي إليه ، و دنوت أنا فصرت باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما فقال أبوعبدالله عليه السلام : من أين قدمت ؟ قال : من أقصى اليمن ، قال : فأنت من موضع كذا و كذا ؟ قال : نعم أنا من موضع كذا و كذا قال : فما جئت هيهنا ؟ قال : جئت زائر الحسين عليه السلام فقال أبوعبدالله عليه السلام : فجئت من غير حاجة ليس إلّا الزيارة ؟ قال: جئت من غير حاجة ليس إلّا أن اصلّي عنده وأزوره واسلّم عليه و أرجع إلى أهلي .

قال أبوعبدالله عليه السلام : وماترون من زيارته ؟ قال : نرى في زيارته البركة في أنفسنا و أهالينا و أولادنا و أموالنا ، و معايشنا و قضاء حوائجنا قال : فقال له أبو عبدالله عليه السلام : فلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن ؟ قال : زدني يابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن زيارة أبي عبدالله عليه السلام تعدل حجّة مقبولة متقبّلة زاكية مع رسول الله عليه السلام فتعجّب من ذلك فقال : اي والله حجّتين مبرورتين متقبّلتين زاكيتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتعجّب من ذلك ، فلم يزل أبوعبدالله عليه السلام يزيد حتّى قال : ثلاثين حجّة مبرورة متقبّلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

٦ ـ وفيه باسناده عن الحسن بن عليّ الوشاء قال: قلت للرضا عليه السلام : ما لمن أتى قبر أحد من الأئمّة عليهم السلام ؟ قال له : مثل ما لمن أتى قبر أبي عبدالله عليه السلام قال :

فقلت: ما لمن زار قبر أبي الحسن عليه السلام؟ قال: له مثل ما لمن زار قبر أبي عبدالله عليه السلام.

٧ ـ وفيه باسناده عن بزنطي قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام: ابلغ شيعتي ان زيارتي تعدل عندالله ألف حجّة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألف حجّة؟ قال: إي والله و ألف ألف حجّة لمن زاره عارفاً بحقّه.

٨ ـ وفيه باسناده عن سعد بن سعد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سئلته عن فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام فقال: من زارها فله الجنّة.

٩ ـ و فيه باسناده عن محمد بن يحيي العطّار عمّن دخل على أبي الحسن عليّ بن محمد الهادي من أهل الرّي قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام فقال: أين كنت؟ قلت: زرت الحسين عليه السلام قال: أما انك لو زرت قبر عبدالعظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن عليّ عليهما السلام.

١٠ـ وفي رواية عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه الحسين عن أبيه عليّ عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: لتقتلن في أرض العراق وتدفن بها، فقلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا و عمّرها و تعاهد؟ فقال: يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنّة، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم و تعمر قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرّباً إلى الله تعالى و مودّة منهم لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

١١ ـ روى الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي باسناده عن حفص بن البختري وجميل بن درّاج عن أبي عبدالله عليه السلام في زيارة القبور قال: إنهم يأنسون بكم، فاذا غبتم عنهم استوحشوا.

١٢ ـ وفيه باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسة و سبعين يوماً لم تر كاشرة و لا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرّتين: الاثنين والخميس، فتقول: هيهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هيهنا كان المشركون.

١٣ ـ وفيه باسناده عن إسحق بن عمّار عن أبي الحسن عليه السلام قال : قلت له : المؤمن يعلم بمن يزور قبره ؟ قال : نعم ولايزال مستأنساً به مادام عند قبره فاذا قام و انصرف من قبره دخله من إنصرافه عن قبره وحشة .

١٤ ـ وفيه باسناده عن عمرو بن أبي المقدام قال : مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة قال: فوقف عليه عليه السلام فقال: اللهم ارحم غربته وصل وحدته و آنس وحشته واسكن إليه من رحمتك مايستغنى بها عن رحمة من سواك و ألحقه بمن كان يتولاّه .

١٥ ـ و فيه عن محمّد بن أحمد قال : كنت بفيد فمشيت مع عليّ بن بلال إلى قبر محمّد بن إسمعيل بن بزيع ، فقال عليّ بن بلال قال لى صاحب هذا القبر عن الرضا عليه السلام قال: من أتى قبر أخيه ثمّ وضع يده على القبر وقرأ « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » سبع مرّات أمن يوم الفزع الأكبر أو يوم الفزع .

١٦ ـ وفيه باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام زوروا موتاكم ، فانّهم يفرحون بزيارتكم وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه ، وعند قبر امّه بما يدعو لهما .

١٧ ـ وفيه باسناده عن الجراح المدائني قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام كيف التسليم على القبور ؟ قال : تقول : السلام على أهل الدّيار من المسلمين والمؤمنين رحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين و إنّا إن شاءالله بكم لاحقون .

١٨ ـ في كامل الزيارات باسناده عن عمرو بن عثمان الرازي قال : سمعت أباالحسن الأوّل عليه السلام يقول : من لم يقدر أن يزورنا فليزر صالحي موالينا، يكتب له ثواب زيارتنا ، و من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا ، يكتب له ثواب صلتنا .

١٩ ـ وفيه باسناده عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام كيف أضع يدي على قبور المسلمين (المؤمنين خ) ؟ فأشار بيده إلى الأرض فوضعها

عليها وهو مقابل القبلة .

٢٠ ـ في دعوات الراوندي عن داود الرقى قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام يقوم الرجل على قبر أبيه وقريبه ، وغير قريبه هل ينفعه ذلك؟ قال: نعم إنّ ذلك يدخل عليه كما يدخل على أحدكم الهديّة ، يفرح بها .

٢١ـ في كامل الزيارات باسناده عن صفوان الجمّال قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في ملأ من النّاس من أصحابه كلّ عشية خميس إلى بقيع المدنيّين فيقول: السلام عليكم أهل الديار ـ ثلاثاًـ رحمكم الله ـ ثلاثاًـ ثم يلتفت إلى أصحابه فيقول: هؤلاء خير منكم ، فيقولون: يارسول الله ولم؟ آمنوا وآمنّا وجاهدوا وجاهدنا ؟ فيقول : ان هؤلاء آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم ومضوا على ذلك وأنا لهم على ذلك شهيد وأنتم تبقون بعدي ولا أدري ماتحدثون بعدي .

٢٢ ـ وفيه باسناده عن عبدالله بن سنان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : كيف اسلّم على أهل القبور ؟ قال: نعم تقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ، و نحن إن شاء الله بكم لاحقون .

٢٣ـ وفيه عن المفضّل قال: من قرأ « إنّا أنزلناه» عند قبر مؤمن سبع مرّات بعث الله ملكاً يعبدالله عند قبره ويكتب للميّت ثواب مايعمل ذلك الملك ، فاذا بعثه الله من قبره لم يمرّ على هول إلّا صرفه الله عنه بذلك الملك ، حتّى يدخله الله به الجنّة ، ويقرأ مع « إنّا أنزلناه » سورة الحمد والمعوّذتين و « قل هو الله أحد » وآية الكرسي ثلاث مرّات كل سورة وإنّا أنزلناه سبع مرّات .

٢٤ـ وفيه باسناده عن إبن نباته قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على القبور فأخذ في الجادة ثم قال عن يمينه : السلام عليكم يا أهل القبور من أهل القصور أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، و إنّا إن شاء الله بكم لاحقون ثم إلتفت عن يساره وقال: مثل ذلك .

۲۵ ـ و فيه باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يخرج أحدكم إلى القبور فيسلّم فيقول : السلام على أهل القبور السلام على من كان فيها من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، وإنّا بكم لاحقون ، وإنّا لله و إنّا إليه راجعون يا أهل القبور بعد سكنى القصور ، يا أهل القبور بعد النعمة والسرور صرتم إلى القبور يا أهل القبور كيف وجدتم طعم الموت ؟ ثمّ تقول: ويل لمن صار إلى النّار فيهريق دمعته ثمّ ينصرف .

۲۷ ـ في الفقيه : كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء كلّ غداة سبت فتأتي قبر حمزة فتترحّم عليه وتستغفر له .

۲۸ ـ في البحار : وهذا دعاء عليّ عليه السلام لأهل القبور : بسم الله الرحمن الرحيم « السلام على أهل لا إله إلّا الله من أهل لا إله إلّا الله يا أهل لا إله إلّا الله بحقّ لا إله إلّا الله كيف وجدتم قول لا إله إلّا الله من لا إله إلّا الله يا لا إله إلّا الله بحق لا إله إلّا الله اغفر لمن قال لا إله إلّا الله واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلّا الله محمد رسول الله عليّ وليّ الله » .

فقال عليّ عليه السلام : إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من قرأ هذا الدعاء أعطاه الله سبحانه و تعالى ثواب خمسين سنة ، و كفّر عنه سيّئات خمسين سنة و لأبويه أيضاً .

۲۹ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من تكلّم بكلام الدنيا في خمسة مواضع أحبط الله عمله سبعون سنة : أوّلها في المسجد ، والثاني عند قراءة القرآن ، والثالث عند تشييع الجنازة ، والرابع في المقبرة ، والخامس عند الأذان .

۳۰ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الله عزّ و جلّ كره لي ستّ خصال ، و كرههن للأوصياء من ولدي و اتباعهم من بعدي : العبث في الصّلاة ، والرفث في الصّوم والمنّ بعد الصّدقة ، وإتيان الجنب مسجداً ، والتطلع في الدور ، والضحك بين القبور .

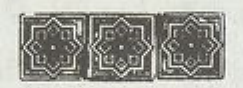
۳۱ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يكره الكلام في سبع مواضع ، فمن تكلّم

فيهن بغير ذكر الله لايستجيب الله دعائه إلى أربعين يوماً : أحدها عند الجنازة ، وعند المقبرة ، وعند المريض ، وفي مجلس العلم ، و في المساجد ، و عند الجماع ، و عند المصيبة .

٣٢ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «عشرة أشياء تورث النسيان: الحجامة على النقرة ، وأكل سؤر الفار ، وأكل التفاح الحامض ، و إلقاء القملة بالحياة ، والبول في الماء الراكد ، وأكل الكزبرة ، والأكل على الجنابة ، والعبث بالذكر ، وقراءة ألواح القبور ، وأكل ما لم يذكر إسم الله عز وجل عليه » .

٣٣ ـ روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال في وصيته له يا علي تسعة أشياء تورث النسيان : أكل التفاح الحامض ، وأكل الكزبرة والجبن ، وسؤر الفار وقراءة كتابة القبور ، والمشي بين إمرأتين ، وطرح القملة ، والحجامة على النقرة ، والبول في الماء الراكد .

٣٤ـ ومماورد من كلام الزهاد : « عشرة أشياء تورث الغم : لبس السراويل قائماً ، والمشى بين الأغنام ، و قص شعر اللحية بالأسنان ، والقعود على أسكنة الباب ، والأكل بالشمال ، و مسح الوجه بالذيل ، والمشي على قشور البيض ، واللعب بالخصية ، والاستنجاء باليمين ، والضحك في المقابر ، و كثرة الإستمتاع » .



﴿زيارة القبور وحكمتها﴾

واعلم أنّ لزيارة القبور آثاراً كثيرة في نفس الزائر وللمزور وأمّا الزائر فأهمّها الإعتبار لمن اعتبر واستيقظ، فيأتمر بما امر به في دينه وينتهى عمّا نهى عنه فيثاب بما يثاب في زيارته...وأمّا المزور فله المغفرة والرحمة بدعاء الزائر والاستغفار له، وقراءة القرآن الكريم عند قبره و الصدقة لتخفيف عذابه أو ترفيع درجاته ... و ان الروايات الواردة في ذلك كثيرة لايسعها مقام الإختصار فنشير إلى نبذة منها:

فى أمالى المفيد رحمةالله تعالى عليه باسناده عن أبي عبدالله الربعي قال: قال الأصمعي: دخلت البصرة فبينما أمشى بشارعها إذ بصرت بجارية أحسن وجهاً، وإذا كالشن البالي، فلم أزل اتبعها وأحبس نفسي عنها حتّى إنتهت إلى المقابر إلى قبر فجلست عنده ثم أنشأت تقول بصوت ما يكاد يبين هذا والله هو المسكن لاما به نعزأ نفساهذا والله هو المفرّق بين الأحباب، والمقرب من الحساب، وبه عرفان الرحمة من العذاب، يا أبه فسح لك في قبرك وتغمدك بما تغمد به نبيك اما انّي لا أقول خلاف ما اعلم كان علمى بك جواداً وإذا أتيت أتيت وساداً و إذا اعتمدت وجدت عماداً ثمّ قالت:

يا ليت شعري كيف غيرك البلا	ام كيف صار جمال وجهك في الثرى
لله درّك أي كهل غيبوا	تحت الجنادل لا تحسّ ولاترى
لبّاً و حلماً بعد حزم زانه	بأس وجود حين يطرق للقرى
لما نقلت إلى المقابر و البلى	دنت الهموم فغاب عن عيني الكبرى

وفيه: باسناده عن مالك بن دينار يقول: أتيت الجبانة فوقفت عليها فقلت:

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم و المحتقر
و أين المدلى إذا ما دعا ... وأين العزيز إذا ما افتخر
وأين المدل بسلطانه ... وأين القوى إذا ما قدر

قال: فأجابني صوت من ناحية المقابر ولا أرى صورة:

تفانوا جميعاً فما مختبر ... فماتوا جميعاً و مات الخبر
تروح وتعدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصوّر
فياسائلى عن اناس مضوا ... أما لك فيما ترى معتبر

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - وقد رجع من صفّين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة -: «يا أهل الدّيار الموحشة والمحالّ المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أمّا الدّور فقد سكنت، وأمّا الأزواج فقد نكحت، وأمّا الأموال فقد قسّمت هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عند كم؟

ثمّ إلتفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو أذن لهم في الكلام، لاخبروكم أنّ خير الزّاد التقوى».

قوله عليه السلام: «فرط» الفرط: المتقدّمون.

وفي وصيّة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أباذر رضي الله عنه: «زر القبور تذكر بها الآخرة ولاتزرها ليلاً، وغسّل الموتى يتحرّك قلبك، فانّ الجسد الخاوي عظة بليغة، وصلّ على الموتى، فانّ ذلك يحزنك، فانّ الحزين في ظلّ الله».

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الخاوي»: الخالي من الروح.

وجد على قبر مكتوباً:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت رقيب

تزيد بلى في كلّ يوم و ليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وقال الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: «مات صديق لنا صالح، فدفنّاه ومددنا على القبر ثوباً، فجاء صلة بن أشيم، فرفع طرف الثوب ونادى! يافلان:

إن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلّا فانّي لا إخالك ناجياً

وفي الحديث المرفوع: أنّه عليه السلام كان إذا تبع الجنازة أكثر الصّمات، ورئى عليه كآبة ظاهرة، وأكثر حديث النفس.

سمع أبوالدّرداء رجلاً يقول في جنازة: من هذا؟ فقال: أنت، فان كرهت فأنا.

سمع الحسن عليه السلام إمرأة تبكى خلف جنازة، وتقول: يا أبتاه، مثل يومك لم أره! فقال: بل أبوك مثل يومه لم يره.

وكان مكحول إذا رآى جنازة قال: اغد فانّا رائحون.

قال إبن شوذب: اطّلعت إمرأة صالحة في لحد فقالت لامرأة معها: هذا كندوج العمل -يعني خزانته- وكانت تعطيها الشيء بعد الشيء تأمرها أن تتصدّق به، فتقول: اذهبي فضعي هذا في كندوج العمل.

أجازعة ردينة أن أتاها نعيّ أم يكون لها إصطبار!

إذا ما أهل قبري ودّعوني وراحوا والأكفّ بها غبار

و غودر أعظمى في لحد قبر تراوحه الجنائب والقطار

تهبّ الريح فوق محطّ قبري ويرعى جوله اللّهق النّوار

مقيم لا يكلّمني صديق بقفر لا أزور ولا أزار

فذاك النأي لا الهجران حولاً وحولاً ثمّ تجتمع الديار

وقال آخر:

كأنّي باخواني على حافتي قبري يهيلونه فوقي و أدمعهم تجري

فيأيّها المذرى عليّ دموعه ستعرض في يومين عنّي وعن ذكري

عفا الله عنّي يوم اترك ثاوياً		ازار فلا أدرى و أجفى فلا أدرى

وفي الحديث المرفوع: «ما رأيت منظراً إلّا والقبر أفظع منه».

وفى رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليه السلام: «زر القبور تذكر بها الآخرة، وغسّل الموتى يتحرّك قلبك، فانّ الجسد الخاوي عظة بليغة وصلّ على الجنائز لعلّه يحزنك، فانّ الحزين قريب من الله».

وفى رواية: قال الإمام عليّ عليه السلام - إذ مرّ بمقبرة -: «السلام عليكم يا أهل الدّيار الموحشة، والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، تزور كم عمّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير اللهمّ اغفر لنا ولهم وتجاوز عنّا وعنهم، الحمد لله الّذي جعل الأرض كفاتاً، أحياء وأمواتاً، والحمدلله الّذي منها خلقنا وعليها ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يعيدنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف، وأعد للحساب».

وفى احقاق الحق: قال جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام قال: «لم أر أوعظ من المقبرة ولا آنس من كتاب الله...» الحديث.

وفى دعوات الراوندى: وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما شأنك جاورت المقبرة؟ فقال: إنّي أجدهم جيران صدوق يكفّون السيّئة ويذكّرون الآخرة.

وفيه: وقال إبن عبّاس: إنّ رجلاً ضرب خباءه على قبر ولم يعلم أنّه قبر من؟ فقرأ «تبارك الّذي بيده الملك» فسمع صائحاً يقول: هي المنجية، فذكر ذلك للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هي المنجية من عذاب القبر.

وفى كامل الزيارات: باسناده عن مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: دخل عليّ أمير المؤمنين عليه السلام مقبرة ومعه أصحابه، فنادى: يا أهل التربة ويا أهل الغربة، ويا أهل الخمود، ويا أهل الهمود أمّا أخبار ما عندنا فأموالكم قد قسمت، ونساؤكم قد نكحت، ودور كم قد سكنت فما خبر ما عند كم؟ ثمّ إلتفت إلى أصحابه فقال: أما والله لو يؤذن لهم في الكلام لقالوا:

لم يتزوّد مثل التقوى زاد.

قوله عليه السلام: «الخمود» خمود النار: سكون لهبها، يقال: أخمد: إذا سكن وسكت، و «الهمود»: الموت، و طفؤا النار أو ذهاب حرارتها، والهامد: البالي المسودّ المتغيّر.

وفي النوادر: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا زرتم موتاكم قبل طلوع الشمس سمعوا وأجابوكم، وإذا زرتموهم بعد طلوع الشمس سمعوا ولم يجيبوكم.

وفي كامل الزيارة: باسناده عن إبن أبي المقدام عن أبيه قال: مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك هذا قبر رجل من الشيعة، قال: فوقف عليه، وقال: أللهم ارحم غربته وصل وحدته، وآنس وحشته، وآمن روعته، وأسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك وألحقه بمن كان يتولّاه.

وفي مصباح الزيارة: إذا أردت زيارة المؤمنين فينبغي أن يكون يوم الخميس، وإلّا ففي أيّ وقت شئت وصفتها أن تستقبل القبلة وتضع يدك على القبر وتقول: اللهم ارحم غربته وصل وحدته وآنس وحشته، وآمن روعته وأسكن إليه من رحمتك رحمة يستغني بها عن رحمة من سواك وألحقه بمن كان يتولّاه ثم قرأ: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرّات».

وفي رواية: عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: نزور الموتى؟ فقال: نعم قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ قال: إي والله ليعلمون بكم ويفرحون بكم، ويستأنسون إليكم، قال: قلت: فأيّ شيء نقول إذا أتيناهم؟ قال: قل: اللهم جاف الأرض عن جنوبهم، وصاعد إليك أرواحهم، ولقّهم منك رضواناً واسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم، وتونس به وحشتهم انك عن كلّ شيء قدير.

وإذا كنت بين القبور فاقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرّة، وأهد ذلك لهم، فقد روى أنّ الله يثيبه على عدد الأموات.

وفى الفقيــه : وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : إذا دخلت المقابر فطأ القبور فمن كان مؤمناً استروح إلى ذلك، ومن كان منافقاً وجد ألمه.

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ آية من كتاب الله في مقبرة من مقابر المسلمين أعطاه الله ثواب سبعين نبياً، ومن ترحّم على أهل المقابر نجى من النّار ودخل الجنّة وهو يضحك.

وفى رواية اخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قرأ المؤمن آيـة الكرسي و جعل ثواب قرائته لأهل القبور أدخله الله تعالى قبر كل ميت ويرفع الله للقاري درجة ستيّن نبياً، وخلق الله من كلّ حرف ملكاً يسبّح له إلى يوم القيامة.

وفى البحار : وروى عن الحسين بن علي عليهما السلام: قال: من دخل المقابر فقال: اللهمّ ربّ هذه الأرواح الفانية، والأجساد البالية والعظام النخرة الّتي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً منّي كتب الله له بعدد الخلق من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة.

وفيه: وروى أن أحسن مايقال في المقابر إذا مررت عليه أن تقف وتقول: اللهمّ ولّهم ماتولّوا واحشرهم مع من أحبّوا.

وفى عدة الداعي: روى عن النّبي صلى الله عليه وآله : من دخـل المقابر فقرأ سورة «يس» خفّف الله عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات.

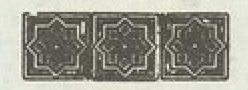
وفى البحار: عن معلّى بن خنيس قال: سمعت أبا عبـد الله عليه السلام يقول : إذا انصرف الرجل من إخوانكم من زيارتنا أو زيارة قبورنا، فاستقبلوه وسلّموا عليه وهنّؤوه بما وهب الله له فانّ لكم مثل ثوابه، ويغشاكم ثواب مثل ثوابه من رحمة الله وانه مامن رجل يزورنا أويزورقبورنا إلّا غشيته الرحمة وغفرت له ذنوبه.

وفى رواية : قال الله تعالى لعيسى عليه السلام: يا عيسى هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع، وقم على قبور الأموات فنادهم بالصّوت الرفيع ، فلعلّك تأخذ موعظتك منهم وقل: إنّي لاحق في الاحقين»

وفي رواية : عن الإمام علي ٭ قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء قالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ قال : فان كنتم فاعلين فلا يبيتن أحدكم إلّا وأجله بين عينيه وليحفظ الرأس وما وعا، والبطن وما حوى، وليذكر القبر والبلى، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الدنيا».

وفي رواية : أنه أوحى الله تعالى إلى عيسى ٭ يا عيسى هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع ، واكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطالون وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرفيع لعلك تأخذ موعظتك منهم وقل: إني لاحق بهم في اللاحقين.

وفي دعاء الجوشن الكبير- رقم ٤٢ -: «يا من في القبور عبرته...».



﴿ غرر الحكم ودرر كلم حول القبر وأصحابه وزائريه ﴾

كلمات قصار في المقام عن نبيّنا محمّد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فيها مواعظ ونصائح، وحكم ومعارف ولطائف ينبغي لكلّ قاريء خبير أن ينظر فيها نظر إعتبار ويقظة، ونظر إتعاظ وبصيرة ثمّ يعظ بها غيره بل ينبغي أن تكتب على أبواب المقابر فنشير إلى نبذة منها لانّا على جناح الإختصار:

١- قال النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «إطّلع في القبور واعتبر بالنشور».

٢- و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أزهد النّاس من لم ينس القبر و البلاء و ترك أفضل زينة الدنيا، و آثر ما يبقى على ما يفنى ، و لم يعدّ غداً من أيّامه و عدّ نفسه في الموتى».

٣- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «انّ الصّدقة لتطفيء عن أهلها حرّ القبور وإنّما يستظل المومن يوم القيامة في ظلّ صدقته».

٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : انّ العين لتدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر».

٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «من رآى عورة فسترها كان كمن أحيى سوأة من قبرها».

٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «وصلّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور».

٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «أربعة يخرجون من القبور ويدخلون في النّار بغير حساب: النائمون في الغداة، والغافلون في العشيات، والمانعون الزكاة، والمصرّون في السيئات».

٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «وهديّة القبر أربعة أشياء: ترك النميمة وإستبراؤه من البول، وقراءة القرآن، وصلاة الليل».

٩- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا ومن مات على حبّ آل محمد فتح الله له في قبره باباً إلى الجنان ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة».

١٠- و قال صلى الله عليه وآله وسلم - في تسعة عشر شيئاً وضع عن النساء - : «و لا تقيم عند قبر».

١١- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ الله كره لكم العبث في الصلاة، والرّفث في الصيام، والضحك عند المقابر».

١٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ الميّت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدلّيه في قبره».

١٣- وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «جاوز القبور تعتبر».

١٤- فيما سئل قوم من اليهود عمر بن الخطاب عن الإثنى عشر أمراً منها -: وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه - فما أجاب عن شيء منها عمر فسئلوا علياً عليه السلام عنها فأجاب عنها جميعاً - إلى أن قال - وأما القبر الّذي سار بصاحبه فالحوت سار بيونس في بطنه البحار السبعة ...»

١٥- وقال عليه السلام : «من لم يقهر حسده كان جسده قبراً لنفسه».

١٦- وقال عليه السلام : «أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من قبوركم ويوم وقوفكم بين يدي الله عزّ وجل يهن عليكم المصاب».

١٧- وقال عليه السلام : «من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت فانّها تهون عليه، ومن ضاق به أمر فليذكر القبر فانّه يتّسع».

١٨- وقال الإمام الرابع عليّ بن الحسين عليه السلام : «أشدّ ساعات إبن آدم ثلاث ساعات: الّتي يعاين فيها ملك الموت، والساعة الّتي يقوم فيها من قبره، والساعة الّتي

يقوم فيها بين يدي الله عزّ وجل فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار».

١٩- وقال الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلام: «ثلاثة يتخوّف منهن الجنون: التغوّط بين القبور والمشي في خفّ واحد والرجل ينام وحده».

٢٠- وفي المناجاات المنظومة للامام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام:

إلهي فآنسني بتلقين حجّتي　　إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع

وقيل لابراهيم بن أدهم: بما وجدت الزهد؟ قال: بثلاثة أشياء: رأيت القبر موحشاً وليس لي مونس، ورأيت الطريق طويلاً وليس معي زاد، ورأيت الجبّار قاضياً وليس معي حجّة».



﴿القبر أول منزل من منازل الآخرة﴾

في الخصال: باسناده عن الزهري قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: أشدّ ساعات إبن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فامّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار ثمّ قال: إن نجوت يابن آدم عند الموت فأنت أنت، وإلّا هلكت، وإن نجوت يابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلّا هلكت، وإن نجوت يابن آدم في مقام القيامة فأنت أنت وإلّا هلكت، وإن نجوت يابن آدم حين يحمل الناس على الصّراط فأنت أنت وإلّا هلكت، وإن نجوت يابن آدم حين يقوم النّاس لربّ العالمين فأنت أنت وإلّا هلكت ثمّ تلا: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» قال: هو القبر، وانّ لهم فيه لمعيشة صنكاً.

والله انّ القبر لروضة من رياض الجنّة أوحفرة من حفر النّار ثمّ أقبل على رجل من جلسائه فقال له: قد علم ساكن السماء، ساكن الجنّة من ساكن النّار فأيّ الرجلين أنت وأيّ الدارين دارك.

وفي البحار: عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: القبر أوّل منزل من منازل الآخرة فان نجى منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده شرّ منه.

وفي قرب الاسناد: باسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مستريح ومستراح منه، فأمّا المستريح فالعبد الصّالح إستراح من غمّ الدنيا، وماكان فيه من العبادة إلى الراحة ونعيم الآخرة، وأمّا المستراح منه فالفاجر

يستريح منه ملكاه.

وفى الدر المنثور: عن قتادة قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ مرّت جنازة فقال: مستريح ومستراح منه، فقلنا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب النّار وأذاها إلى رحمة الله سبحانه و تعالى و العبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدّواب.

وفى البحار: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: موت الأبرار راحة لأنفسهم، وموت الفجّار راحة للعالم.

وفيه: قيل: ان من عجائب الدنيا انك تبكي على من تدفنه، وتطرح التراب على وجه من تكرمه.

وفيه: عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مامن بيت إلّا وملك الموت يقف على بابه كلّ يوم خمس مرّات فاذا وجد الإنسان قد نفذ أجله و انقطع أكله، القى عليه الموت فغشيته كرباته، وغمرته غمراته، فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها، الصّارخة بويلها، الباكية بشجوها، فيقول ملك الموت: ويلكم ممّ الفزع؟ وفيم الجزع؟ والله ما أذهبت لأحد منكم مالا ولا قرّبت له أجلا ولا أتيته حتّى امرت ولا قبضت روحه حتّى إستأمرت وان لي إليكم عودة ثمّ عودة حتّى لا أبقي منكم أحداً.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لو يرون مكانه و يسمعون كلامه لذهلوا عن ميّتهم وبكوا على نفوسهم حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرف روحه فوق النعش وهو ينادي: يا أهلي وولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي جمعته من حلّه ومن غير حلّه، وخلفته لغيري والمهنّا له والتبعات عليّ فاحذروا من مثل ما نزل بي.

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «فانكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب! ولقد بصّرتم إن أبصرتم وأسمعتم إن سمعتم، وهديتم إن اهتديتم، وبحقّ أقول لكم: لقد جاهرتكم العبر

وزجرتم بما فيه مزدجر ومايبلّغ عن الله بعدرسل السماء إلّا البشر»

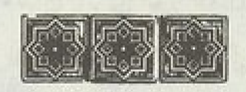
وفي بعض التفاسير: ان المأمون يقرأ سورة مريم وعنده العلماء فلما إنتهى إلى هذه الآية: «فلا تعجل عليهم إنّما نعدّ لهم عدّاً» مريم:٨٤) إلتفت إلى محمّد بن السماك مشيراً إليه بأن يعظه فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ماينفد»

وفيه: إن إبن عباس إذا قرأ هذه الآية بكى ويقول: «آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخول قبرك»

وقال بعض الظرفاء: ان الإنسان مسافر ومنازله ستّة، وقدقطع منها ثلاثة وبقي ثلاثة: فالّتي قطعها: أوّلها من كتم العدم إلى صلب الأب وترائب الامّ كما قال تعالى: «يخرج من بين الصّلب والترائب» وثانيها: رحم الام قال سبحانه: «هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء» وثالثها ـ من الرحم إلى فضاء الدنيا قال عزّ من قائل: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»

وأمّا المنازل الثلاث الّتي لم يقطعها: فأوّلها القبر قال عليه السلام: «القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل منازل الدنيا» وثانيها: فضاء المحشر قال سبحانه: «وعرضوا على ربك صفاً» وثالثها: الجنّة أو النار قال سبحانه: «فريق في الجنّة وفريق في السعير»

ونحن الآن في قطع مرحلة المنزل الرابع ومدّة قطع عمرنا، فأيّامنا فراسخ، وساعاتنا أميال، وأنفاسنا خطوات، فكم من شخص بقي له فراسخ وآخر بقي له خطوات.



﴿القبر و سؤال نكير و منكر﴾

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمارة عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج و المساءلة في القبر والشفاعة».

وفى الحديث: «إذا وضع الميت في القبر أتاه ملكان منكر ونكير» قيل: سميا بذلك حيث يهجمان على الإنسان عند إكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره ويرتاع منه فسميا منكراً ونكيراً.

وفى الكافى: باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لا يسئل في القبر إلا من محض الايمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم.

وفيه: باسناده عن بشير الدهان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يجيىء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يدفن أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطان (يخدان خ) ـ أي يشقان ـ الأرض بأنيابهما ويطأن في شعورهما فيسئلان الميت من ربك ومادينك؟ قال: فاذا كان مؤمناً قال: الله ربي وديني الإسلام، فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: أعن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسئلاني، فيقولان له: تشهد انه رسول الله فيقول: اشهد انه رسول الله فيقولان له: نم نومة لاحلم فيها، ويفسح له في قبره تسعة أذرع ويفتح له باب إلى الجنة ويرى مقعده فيها.

وإذا كان الرجل كافراً دخل عليه، واقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس

فيقولان له: من ربك؟ ومادينك؟ وماتقول في هذا الرجل الّذي قد خرج من بين ظهرانيكم؟ فيقول: لاأدري فيخليان بينه وبين الشيطان، فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنّيناً، لو أنّ تنّيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، ويفتح له باب إلى النّار ويرى مقعده فيها.

و فيه: باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله من المسئولون في قبورهم؟ قال: من محض الايمان، ومن محض الكفر قال: قلت: فبقيّة هذا الخلق؟ قال: يلهى والله عنهم مايعبأبهم قال: قلت: وعمّ يسئلون؟ قال: عن الحجّة القائمة بين أظهر كم فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي، فيقال: نم أنام الله عينك، ويفتح له باب من الجنّة فمايـزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، ويقال للكافر: ما تقول في فلان إبن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به، وما أدري ما هو فيقال له: لادريت قال: ويفتح له باب من النار فلايزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث ـ: «وهديّة منكر ونكير أربعة أشياء: صدق اللسان، وترك الغيبة، وقول الحق، والتواضع لكل أحد».

وقدحكى: قيل لمّا مات وزير كسرى بوذرجمهر وجد مكتوباً على منطقته تسع كلمات: وهي ان كان الله تكفل بارزاق العباد فالهمّ لماذا؟ وإن كانت الأرزاق قسمت فالحرص لماذا؟ وإن كانت الدنيا غرارة فالركون إليها لماذا؟ وإن كانت الجنّة حقاً فترك العمل لماذا؟ وإن كان القبر حقاً فتشييد البنيان لماذا؟ وإن كانت النار حقاً فكثرة الضحك لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فجمع المال لماذا؟ وإن كان يوم القيامة حقاً فقلّة الجزع لماذا؟ وإن كان إبليس عدوّك فاتباعك عدوّك لماذا؟

وفي الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ المؤمن إذا اخرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره، قالت له الأرض: مرحباًبك وأهلاً أمـا والله لقد كنت أحبّ أن يمشي عليّ

مثلك لترينّ ما أصنع بك، فتوسّع له مدّ بصره ويدخل عليه في قبره ملكا القبر و هما قعيدا القبر: منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقوبه، فيقعدانه و يسئلانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: الله فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولان: و من نبيّك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وآله فيقولان: ومن إمامك؟ فيقول: فلان قال: فينادي مناد من السماء: صدق عبدي

افرشوا له في قبره من الجنّة، وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنّة وألبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا، وما عندنا خير له ثمّ يقال له: نم نومة عروس، نم نومة لاحلم فيها، قال: وإن كان كافراً خرجت الملائكة تشيّعه إلى قبره تلعنونه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: لامرحباً بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليّ مثلك لاجرم لترينّ ما أصنع بك اليوم فتضيق عليه حتّى تلتقي جوانحه، قال: ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر: منكر ونكير.

قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال: لا قال: فيقعدان ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له: من ربك؟ فيتلجلج ويقول: قد سمعت النّاس يقولون، فيقولان له: لادريت ويقولان له: ما دينك؟ فيتلجلج، فيقولان له: لادريت، ويقولان له: من نبيّك؟ فيقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له: لادريت، ويسئل عن إمام زمانه قال: فينادي مناد من السماء: كذب عبدي.

افرشوا له في قبره من النار وألبسوه من ثياب النار وافتحوا له باباً إلى النار حتّى يأتينا، وعندنا شرّ له، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلّا يتطاير قبره ناراً لوضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً.

وقال أبو عبدالله عليه السلام: ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً والشيطان يغمّه غمّاً قال: ويسمع عذابه من خلق الله إلّا الجنّ والإنس قال: وانه ليسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم وهو قول الله عزّ وجل: «يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت

في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله مايشاء»

قوله عليه السلام: «لادريت»: دعاء عليه و« كذب عبدي» أي كذب ولم يعتقد ذلك ولم يسمعه بقلبه.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العافية على عشرة أوجه: خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة، فأمّا الّتي في الدنيا: العلم والعبادة والرزق الحلال والصبر على الشدّة والشكر على النعمة، وأما الّتي في الآخرة فانّه يأتيه ملك الموت بلطف ورحمة، ولايروعه منكر ونكير في القبر ويكون آمناً من الفزع الأكبر ويمحى سيئاته وحسناته مقبولة. ويمرّ على الصّراط كالبرق اللامع، ويدخل الجنّة في السلامة.

وفي تحف العقول: عن الإمام الرابع سيّد الساجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام - يعظ شيعته ولسائر أصحابه وتذكيره إياهم كل يوم جمعة -: «أيّها الناس إتقوا الله واعلموا أنّكم إليه راجعون، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه. ويحك يابن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه انّ أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدركك فكأنّ قداوفيت أجلك، وقدقبض الملك روحك، وصيرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك روحك واقتحم عليك ملكاك: منكر ونكير لمساءلتك و شديد إمتحانك، ألا وانّ أوّل مـا يسئلانك عن ربّك الّذي كنت تعبده وعن نبيّك الّذي ارسل إليك وعن دينك الّذي كنت تدين به، وعن كتابك الّذي كنت تتلوه، وعن إمامك الّذي كنت تتولّاه، وعن عمرك فيما أفنيت، وعن مالك من أين إكتسبته وفيما أنفقته؟

فخذحذرك، وانظر لنفسك، واعدّ الجواب قبل الإمتحان والمسئلة والإختبار فان تك مؤمناً عارفاً بدينك متّبعاً للصّادقين، موالياً لأولياء الله لقاك الله حجّتك و أنطق لسانك بالصّواب، فأحسنت الجواب وبشرت بالجنّة والرضوان من الله، و استقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت

حجتك وعييت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك الملائكة- ملائكة العذاب- بنزل من حميم وتصلية جحيم... الحديث.

وغيرها من الروايات الواردة في المقام تركناها روماً للاختصار.

وينبغي لنا أن نشير إلى ما ذهب إليه الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقة في المقام:

في أوائل المقالات: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: «ان القول في نزول الملكين على أصحاب القبور ومسائلتهما عن الإعتقاد صحيح، وعليه إجماع الشيعة وأصحاب الحديث وتفسير مجمله: ان الله تعالى ينزل على من يريد تنعيمه بعد الموت ملكين إسمهما: مبشر وبشير فيسئلانه عن ربه جلّت عظمته وعن نبيه وليه، فيجيبهما بالحق الّذي فارق الدنيا على إعتقاده والصواب، ويكون الغرض في مسائلتهما إستخراج العلامة بما يستحقه من النعيم فيجدانها منه في الجواب.

وينزل جل جلاله على من يريد تعذيبه في البرزخ ملكين إسماهما ناكر ونكير فيوكلهما بعذابه. ويكون الغرض من مسائلتهما له إستخراج علامة إستحقاقه من العذاب بما يظهر من جوابه من التلجلج عن الحق أو الخبر عن سوء الاعتقاد أو ايلامه وعجزه عن الجواب، وليس ينزل الملكان من أصحاب القبور إلّا على من ذكرناه ولا يتوجه سئوالهما منهم إلّا على الاحياء بعد الموت لما وصفناه، وهذا هو مذهب حملة الأخبار من الإمامية، ولهم فيما سطرت منه آثار وليس لمتكلمهم من قبل فيه مقال عرفته فاحكيه على النظام.

وفي شرح عقائد الصدوق رحمه الله تعالى عليه قال: جائت الآثار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله: ان الملائكة تنزل على المقبورين، فتسئلهم عن أديانهم وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة فمنها: ان ملكين لله تعالى يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسئلانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه، فان أجاب بالحق سلّموه إلى ملائكة النعيم، وان ارتج سلموه إلى ملائكة العذاب.

وفي بعض الاخبار: ان إسمي الملكين الّذين ينزلان على الكافر ناكر و

نكيرو إسمي الملكين الذين ينزلان على المؤمن مبشّر و بشير. قيل: إنّما سمّى ملكا الكافر ناكرأ و نكيراً لأنّه ينكر الحق و ينكر ما يأتيانه به و يكرهه، وسمّى ملكا المؤمن مبشرا و بشيراً لأنّهما يبشّرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم، وانّ هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وانهما عبارة عن فعلهما، وهذه امور يتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها.

وقدوردت روايات صحيحة، انّ المؤمن المحض يثاب في القبر، وانّ له روضة من رياض الجنّة، وانّ الكافر المحض يعاقب في القبر وانّ عليه حفرةمن حفر النار و غيرهما يلهى عنه. ثم اختلفت كلمات المحدّثين و المفسرين فيمن يلهى عنه: فمنهم من قال: هم المستضعفون من المسلمين والصبيان والبلهاء، ومنهم من قال: انهم المنافقون والفاسقون، وعلى الأوّل أجلّة العلماء و جمهور المحققين.

وفى أعمال العرفة: -«سبحان الّذي في القبور قضاؤه...»



﴿الاعمال والاصدقاء فى القبر﴾

فى الكافى: باسناده عن أحمد الخراساني قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا وضع الميّت في قبره مثّل له شخص، فقال له: يا هذا كنّا ثلاثة: كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك وكان أهلك فخلّفوك وانصرفوا عنك وكنت عملك ، فبقيت معك أما انّي كنت أهون الثلاثة عليك .

وفيه: باسناده عن أبي سعيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصّلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبرّ يطلّ عليه ويتنحّى الصبر ناحية. وإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصّلاة والزّكاة : دونكما صاحبكم فان عجزتم عنه، فأنا دونه.

وفى شرح ابن أبى الحديد: في الحكم المنسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - قال: «لابدّ لك من رفيق فاجعله حسن الوجه طيب الريح وهو العمل الصّالح»

وفى رواية: قال عليّ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ياعليّ بشّر شيعتك وأنصارك بخصال عشر: أوّلها: طيب المولد، وثانيها: ايمانهم بالله، وثالثها : حبّ الله عزوجل، ورابعها: الفسحة في قبورهم، وخامسها: النور: على الصراط بين أعينهم، وسادسها : نزع الفقر من بين أعينهم وغنى قلوبهم، وسابعها: المقت من الله عزّ وجل لأعدائهم، وثامنها: الأمن من الجذام، ياعليّ وتاسعها: إنحطاط الذنوب والسيّئات عنهم، وعاشرها: هم معي في الجنّة وأنا معهم.

وفي رواية اخرى: عن ضمرة بن حبيب قال: سئل النبي ﷺ عن الصّلاة فقال: الصّلاة من شرائع الدين، وفيها مرضات الرّبّ عزّ وجلّ، وهي منهاج الأنبياء وللمصلّي حبّ الملائكة، وهدى وايمان ونور المعرفة وبركة في الرزق، وراحة للبدن و كراهة للشيطان، وسلاح على الكافر وإجابة للدعاء وقبول للاعمال وزاد للمؤمن من الدنيا إلى الآخرة! وشفيع بينه وبين ملك الموت وانس في قبره و فراش تحت جنبه وجواب لمنكر ونكير.

أقول: وقد حكى لي بعض الزهّاد والتقى من أصد قائي صبيحة الرابع من تاسع رجب المرحب سنة: ١٣٩٢ هـ ق بقم المشرّفة، وعلى دفينها المعصومة آلاف الثناء والتحيّة: أنه رأى بأنّه مات، ودفنّه المومنون، فجاءه نكير ومنكر ليلة دفنه من جانب رجليه فأضيىء قبره، فلما دخلا فيه إستشمّاروس أصابع رجليه، ثمّ رأس ركبتيه، ثمّ كفّيه، ثمّ جبينه، فقال: كنت أراني حيّاً في القبر شاهداً إيّاهما على ذلك، فلمّا أرادا أن يسئلاني عن أعمالي قلت لهما: إنّي أردت أن أسئلكما قبل أن تسئلاني إذ لاصبر لي على شمّكما أعضائي هكذا، فقالا: سل! فقلت: لماذا شممتما أعضائي السبعة من مواضع السجدة؟ فقالا: نحن منكر ونكير فاذا دخلنا في قبر نشمّ تلك المواضع السبعة، فاذا وجدنا فيها آثار العبودية نسئل صاحبها عن عقائده وسائر أعماله، وإلّا فنذهبنّ به إلى مايستحقّه من العذاب.

وفي رواية: قال رجل لأبي ذرالغفاري: أيّ شيء هوزاد ليوم القيامة؟ فقال: حجّ حجّة لعظائم الامور وصم يوماً لزجرة النشور وصلّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور.

وفي نزهة الناظرين: عن أبي الليث السمرقندي: أنّه حكى انّ رجلاً ماتت اخته فغسّلها و كفّنها ودفّنها، فلمّا فرغ من دفنها تذكر بأنّه دفن معها شيء غفل عنه فنبّش قبرها فلمّا نبّشه رآها غير مادفنت من قريب فذهب إلى امّه عاجلاً فسئلها عن اخته وبيّن حالها، فقال: أيّة سيئة إرتكبت اختي عذّبها الله

تعالى هكذا فقالت امّه: ماكانت بنتي إمرأة سوء، ولكنها كانت لم تصلّ وإذا صلّت صلّت متهاونة.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «من يعمل امّتي عمل قوم لوط ثمّ يموت على ذلك فهو مؤجّل إلى أن يوضع في لحده فاذا وضع لم يمكث أكثر من ثلاثة تقذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين فيحشر معهم».

وفي رواية: انّ القبر ينادي الإنسان في كل يوم: يابني آدم! أنا بيت الوحدة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الغربة، أنا بيت العقارب والحيّات.

وفي تفسير مقتنيات الدرر: انّ للانسان أربعة أعداء: المال والأهل والأولاد والأصدقاء وهي لاتدخل في القبر فيبقى فريداً منهم.

وأيضاً له أربعة أصدقاء وهي كلمة الشهادة والصّلاة والصّوم وذكر الله تعالى وهي تدخل في القبر وتشفع عندالله تعالى فتصحب الميت فلايبقى وحيداً.

وفي تفسير روح البيان: كان في زمن حاتم الأصمّ نبّاش، فحضر مجلس حاتم يوماً، فتاب على يده وأحياه الله تعالى بالتوبة فقال له حاتم: كم نبشت من القبور؟ فقال: سبعة آلاف، قال: كم في سنة؟ قال: في عشرين سنة، فغشى على حاتم، فلمّا أفاق قال: قبور المسلمين أم قبور الكافرين قال: بل قبور الكافرين فقال: كم قبر أوجدت صاحبه على غير القبلة؟ قال: وجدت ثلاثمأة قبر صاحبه على القبلة والباقون على غير القبلة فغشى على حاتم.

قوله: «بل قبور الكافرين» يحتمل الأمرين: أحدهما ـ قبور الكافرين فقط. ثانيهما ـ ضمّ الكافرين بالمسلمين، والأخير هو الأوفق، فانّ الكافرين ماكانوا يدفنون على القبلة، ولامراء انّ من حوّل وجهه في الدنيا عن القبلة من منافقي الإسلام، وتاركي الصّلاة فيتحوّل وجهه عنها في القبر.

وفي حياة الحيوان: للدميري عن البيهقي في الشعب عن عبدالحميد بن محمود قال: كنت عند إبن عباس فأتاه رجل فقال: أقبلنا حجاجاً حتّى إذا كنّا

في الصفاح توفّي صاحب لنا ، فحفر ناله فاذاً اسود سالخ ـ نوع من الحيوان يدخل في القبور فيأكل المقبور و له صورة متوحشة ـ قد أخذ اللحد كلّه قال : فحفرنا له قبراً فاذاً اسود سالخ قد أخذ اللحد كلّه قال : فحفرنا لـه ثالثاً فاذاً اسود سالخ قد أخذ اللحد كلّه قال: فتركناه و آتيناك نسئلك ماذا تأمر نابه قال إبن عبّاس ذاك عمله الّذي كان يعمله إذهبوا فادفنوه في بعضها فوالله لوحفرتم له الأرض كلّهالوجدتم ذلك قال: فألقيناه في قبر منها فلمّا قضينا سفرنا آتيناك إمرأته فسئلناها عنه، فقالت: كان يبيع الطعام فيؤخذ قوت أهله كل يوم ثمّ يخلط فيه مثله من قصب الشعير ثم يبيعه، فعذّب بذلك.

وقد ورد: «لمّا احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه تحسّر عند موته فقيل له : على م تأسفك يا أبا عبدالله ؟ فقال : ليس تأسّفي على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا و قال : ليكن بلغة أحدكم كزاد الرّاكب ، وأخاف أن نكون قد جاوزنا أمره، وحولي هذه الأشياء و أشار إلى ما في بيته وإذا هو سيف ودست وجفنة».

وقد حكى : «لمّا مات جالينوس وجد في جيبه رقعة فيها مكتوب : أحمق الحمقاء من يملاء بطنه كل ما يجد فما أكلته فلجسمك و ما تصدقت به فلروحك و ما خلفته ، فلغيرك و المحسن حيّ و إن نقل إلى دار البلى و المسيء ميّت و إن بقي في الدنيا والقناعة تستر الخلّة ، وبالصّبر تدرك الامور و بالتدبير يكثر القليل، ولم أر لإبن آدم شيئاً أنفع من التوكل على الله تبارك و تعالى».

و فى اسد الغابة : باسناده عن عائشة عن النّبيّ ﷺ : انه كان قاعداً و حوله نفر من المهاجرين و الأنصار فقال رسول الله ﷺ : «أيّها النّاس إنّما مثل أحدكم و مثل أهله و ماله و عمله كمثل رجل له اخوة ثلاثة : فقال لأخيه الّذي هو ماله و قد نزل به الموت:ما عندك فقد نزل بي

ماترى؟ فقال: مالك عندي غنى ولا نفع إلا ما دمت حياً فخذ مني الآن ما أردت فاني إذا فارقتك سيذهب بي إلى غير ما ذهبك، و يأخذني غيرك فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قال: هذا أخوه الذي هو ماله فأي أخ ترونه؟ فقالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال لأخيه الذي هو أهله: قد نزل بي الموت و حضرني ما ترى فماذا عندك من الغناء؟ قال: عندي ان أمرضك و أقوم عليك و اعينك فاذامت غسلتك و كفنتك وحنطتك وحملتك في الحاملين، وشيعتك ثم ارجع وأثني بخيره عند ما يسئلني عندك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي أخ ترونه؟ قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال لأخيه الذي هو عمله ماذا عندك ماذا لديك؟ قال: اشيعك إلى قبرك فأونس وحشتك و اذهب غمك و اجادل عنك و اقعد في كفنك فأشول بخطاياك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأي أخ ترون هذا الذي هو عمله؟ قالوا: خير أخ يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فالأمر هكذا.

وفي المثل: «إذا وجدت القبر مجاناً فادخل فيه»

وفي بعض التفاسير: رأى بعض الظرفاء بنتاً تنوح على قبر أبيها، وتقول: يا أبت كنت افرش فراشك، فمن فرشه الليلة، يا أبت كنت اطعمك فمن أطعمك الليلة - إلى غير ذالك، فقال البعض: لا تقولي: كذلك بل قولي: يا أبت وضعناك متوجهاً إلى القبلة، فهل بقيت أو حولت عنها، يا أبت هل كان القبر روضة لك من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران يا أبت هل أجبت الملكين أو لا؟ فقالت: ما أحسن قولك أيها الناصح قبلت نصيحتك.

فعلى كل عاقل ذي مسكة أن يتذكر الموت و يتفكر في بعد السفر و يتأهب بالايمان و طاعة الله تعالى و صالح العمل و إصلاح النفس و كف الأذى عن الناس بترك هضم حقوقهم، و ترك الكذب و الغيبة، و ترك الإفساد على وجه الأرض و الجناية، و ترك الإفتراء و النمامة، و يرحم على نفسه

و يتأمّل في وحدته في القبر إذ لا صديق له فيه إلّا الايمان و الطاعة و صالح الأعمال . . .

وفى الدعاء بعد قراءة القرآن المجيد : «و اجعله لي انساً في قبري و انساً في حشري و اجعلني ممّن ترقيه بكلّ آية قرأتها درجة في أعلى علّين آمين رب العالمين» .

﴿المعاصي و عذاب القبر﴾

ومن البيّن انّ لكل ذنب وطغيان أثراً وضعياً في النفس الإنسانية ، وتتعقّب عليه تبعاته من الشقاء والهوان ، من الذّلة والفساد ، ومن الهلاك والدّمار . . . ثمّ يعذّب في القبر بأنواع العذاب حسب أعماله الفاسدة و عقائده الباطلة ، و أقواله المنكرة قبل بعثه يوم القيامة أعاذنا الله تعالى منها بحق محمد و آله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

في نهج البلاغة : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « فانكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم وسمعتم وأطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب مايطرح الحجاب » .

قال إبن أبي الحديد : و هذا الكلام يدلّ على صحّة القول بعذاب القبر و أصحابنا كلّهم يذهبون إليه .

وفي الدرالمنثور : عن سعدبن أبي وقّاص عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان يدعو: « أللهمّ إنّي أعوذبك من البخل ، وأعوذبك من الجبن ، وأعوذبك أن أردّ إلى أرذل العمر ، وأعوذبك من فتنة الدّنيا ، وأعوذبك من عذاب القبر » .

وفي رواية : عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه مرّ على البقيع فوقف على قبر ثمّ قال : الآن اقعدوه و سئلوه والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لقد ضربوه بمرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً ، ثمّ وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأوّل ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لولا انّي اخشي على قلوبكم لسئلت الله أن يسمعكم من عذاب القبر

مثل الّذي أسمع ، فقالوا : يارسول‌الله ماكان فعل هذين الرجلين ، فقال صلى الله عليه وآله : كان أحد هما يمشى بالنميمة بين النّاس ، و كان الآخر لا يستبرى من البول .

وفى الكافى : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيفلت من ضغطة القبر أحد ؟ قال : فقال : نعوذ بالله منها ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر ، ان رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف رسول‌الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه و قال للنّاس : إنّي ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر قال : فقال : اللهمّ هب لي رقيّة من ضمّة القبر فوهبها الله له ، قال : و انّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثمّ قال : مثل سعد يضمّ ، قال : قلت : جعلت فداك إنّا نحدّث انه كان يستخفّ بالبول ؟ فقال : معاذالله إنّما كان من زعارّة في خلقه على أهله قال : فقالت ام سعد : هنيئاً لك يا سعد قال : فقال لها رسول‌الله صلى الله عليه وآله يا ام سعد لاتحتمي على‌الله .

قوله صلى الله عليه وآله : « زعارّة » بتشديد الراء وتخفيفها: شراسة الخلق أي سيّىء الخلق ، و «لاتحتمي» أي لاتوجبي من عليه الشيء : أوجبه .

وفيه: في رواية سئل أبوعبدالله عليه السلام عن المصلوب: يصيبه عذاب القبر فقال : ان ربّ الأرض هو ربّ الهواء فيوحى الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشدّ من ضغطة القبر .

و فى محاسن البرقى : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ جلّ عذاب القبر في البول .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إنّ عذاب القبر من البول .

وفى دعوات الراوندى : روى عن إبن عبّاس: انّ عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث للغيبة ، و ثلث للنميمة ، و ثلث للبول .

وفي رواية: عن إبن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تهاون في الصّلاة من الرجال والنساء عاقبه الله تعالى بثمانية عشر عقوبة : ستّة في الدنيا، وثلاثة عند موته ، وثلاثة في قبره ، وثلاثة في محشره ، وثلاثة عند الصّراط ، فأمّا الّتي في الدنيا ذهاب البركة من رزقه ، و ذهاب البركة من حياته ، و ذهاب النّور من وجهه ولاحظّ له في الاسلام ، ولايشركه الله في دعاء الصّالحين ولا يستجاب دعائه، وأمّا الّتي عند الموت فالأوّل يموت ذليلاً ، وعليه ثقلاً كأنّه الجبل ، وبه ضعفاً كأنّه يضرب بالسياط ، والثانية يموت عطشاناً ولو شرب ماء الدنيا لم يرو والثالثة يموت جائعاً و لو أكل طعام الدنيا لم يشبع ، وأمّا الّتي في قبره فالأوّل الغمّ الشديد ويظلم عليه قبره ، والثانية يضيق عليه القبر ويكون معذّباً إلى يوم القيامة ، والثالثة لاتبشره الملائكة بالرحمة .

و أمّا الّتي في المحشر فانّه يقوم على صورة الحمار و يعطى كتابه بشماله ويحاسبه الله حساباً طويلاً، وأمّا الّتي على الصّراط فلا ينظر الله إليه ولايزكّيه ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ويحاسبه الله على الصراط ألف عام ثمّ يأمر به إلى النار مع الداخلين و هو قوله تعالى : « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين » .

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ -في حديث- : « ومن قال بعد صلاة المغرب مأة مرّة : لاإله إلّا الله محمّد رسول الله فعل الله معه ثلاثة: لايزول ايمانه بالذنب، ويرضى الله عنه ، ويأمنه من عذاب القبر . . . » الحديث .

قوله ﷺ : « لايزول ايمانه بالذنب » أي من صغائر الذّنوب من غير إصرار عليها ، ولايخلو منها غير المعصومين .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : « قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكّل بكم » عن إبن أبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ : لمّا اسرى بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لايلتفت يميناً ولاشمالاً لامقبلاً عليه كهيئة الحزين ، فقلت: من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا ملك

الموت مشغول في قبض الأرواح فقلت : ادنني منه ياجبرئيل لأكلّمه فادناني منه فقلت له: يا ملك الموت أكلّ من مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال : نعم قلت : وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم ما الدنيا كلّها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني فيها إلّا كالدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء .

و ما من دار في الدّنيا إلّا و أدخلها في كلّ يوم خمس مرّات ، و أقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم : لاتبكوا عليه فانّ لي إليكم عودة و عودة حتّى لايبقي منكم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تفى بالموت طامّة ياجبرئيل؟ فقال جبرئيل: إنّما بعد الموت اطم و أعظم من الموت .

وفي رواية: و قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنّم ، و من عذاب القبر ، و من فتنة المحيا والممات ، و من شرّ المسيح الدّجّال .

و عن إبن عباس : أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلّمهم هذا الدعاء كما يعلّمهم السورة من القرآن يقول: قولوا : اللهمّ إنّي أعوذبك من عذاب جهنم ، وعذاب القبر ، و أعوذبك من فتنة المسيح الدجال ، و أعوذبك من فتنة المحيا والممات .

وفي «المسيح الدجال» أقوال أربعة: أحدها- انّ المسيح لقب الدجال مأخوذ من مساحة الأرض . ثانيها- الدّجّال : الكذّاب . ثالثها- المسيح : ممسوح العين أي إحدي عينيه ذاهبة . رابعها - أي أبعد عن كل خير .

وفي رواية: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قصر (قصّ خ) شاربه أعطاه الله ثلاثة أنوار : نور في وجهه ، و نور في قبره ، و نور في القيامة ، و رفع عنه ثلاثة أنواع من العذاب : عذاب القبر و عذاب منكر و نكير ، و شدّة القيامة .

وفي رواية: قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : من طوّل شاربه عوقب بأربعة مواطن : الأوّل لايجد شفاعتي ، والثاني لايشرب من حوضي ، والثالث يعذّب في قبره ، والرابع يبعث إليه منكر و نكير بالغضب .

وفي رواية: جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام فقال: أسئلك عن أربع مسائل؟ فقال: سل وإن كانت أربعين، فقال: ما الواجب؟ وما الأوجب؟ وما القريب؟ وما الأقرب؟ وما العجيب؟ وما الأعجب؟ وما الصعب؟ وما الأصعب؟ قال عليه السلام: أمّا الواجب فطاعة الله تعالى، وأمّا الأوجب فترك الذنوب، وأمّا القريب فالقيامة، والأقرب منها الموت، وأمّا العجيب فالدنيا والأعجب منها حب الدنيا، وأمّا الصعب فالقبر، والأصعب منه الذهاب بلازاد.

وفي رواية: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سيأتي زمان على امّتي يحبّون خمساً وينسون خمساً: يحبّون الدنيا وينسون الآخرة، ويحبّون المال وينسون الحساب، ويحبّون النساء وينسون الحور، ويحبّون القصور وينسون القبور، ويحبّون النفس وينسون الربّ، اولئك بريئون منّي و أنا بريء منهم.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا و انّ القبر ينادي بخمس كلمات: فيقول: يابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني، تفرح على ظهري ثم تحزن في بطني، تذنب على ظهري وتعذّب في بطني، تضحك على ظهري وتبكي في بطني، تأكل الحرام على ظهري ثمّ تأكلك الديدان في بطني.

وفي رواية: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: القبر ينادي بخمس كلمات: أنا بيت الوحدة فاحملوا إليّ أنيساً، و أنا بيت الحيّات فاحملوا إليّ ترياقاً، و أنا بيت الظلم فاحملوا إليّ سراجاً، وأنا بيت التراب فاحملوا إليّ فراشاً، وأنا بيت الفقر فاحملوا إليّ كنزاً.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للشهيد عند الله ستّ خصال: يغفر له في أوّل وقعة و يرى مقعده في الجنّة، و يجار من عذاب القبر، و يأمن من الفزع الأكبر، و يوضع على رأسه تاج الوقار والياقوتة منها خير من الدنيا و ما فيها، و يزوّج ثنتين و سبعين زوجة من الحور العين و يشفع في سبعين من أقربائه.

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لعلي عليه السلام : يا علي إن الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق عنه القبر، وأنت أول من يقف على الصراط معي ، و أنت أول من يكسى إذا كسيت، وتحيى إذا حييت وأنت أول من يسكن معي عليين، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك.

و في رواية : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور وعند الكتاب، وعند الحساب ، وعند الميزان، وعند الصراط.

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي إن الله اعطى شيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت ، والانس عند الوحشة ، و النور عند الظلمة ، والأمن عند الفزع ، و القسط عند الميزان، والجواز على الصراط، و دخول الجنة قبل الامم بأربعين عاماً.

و في رواية : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من تهاون في الصلوات الخمس في الجماعة عاقبه الله باثنتى عشرة خصلة : ثلاثة في الدنيا وثلاثة في القبر وثلاثة عند الموت ، و ثلاثة يوم القيامة ، أمّا التي في الدنيا يرفع الله بركته من كسبه ، و ينزع سيماء الخير من وجهه ، ويكون بغيضاً في قلوب المؤمنين ، و أمّا التي عند الموت فانه يقبض روحه جائعاً عطشاناً ، شديد الفزع، وأمّا التي في القبر مسائلة منكر ونكير، و ظلمة القبر و ضيق اللحد وأمّا التي في القيامة شدة الحساب وغضب الرب والعقاب بالنار وقد حكى انه قال : من سوّف أربعاً إلى أربع دخل الجنة، النوم إلى القبر، والفخر إلى الميزان، والراحة إلى الصراط، و الشهوة إلى الجنة.

وفى احياء العلوم : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً و يضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر

هل تدرون فيما ذا انزلت: «فانّ له معيشة ضنكاً» ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: عذاب الكافر في قبره يسلّط عليـه تسعة وتسعون تنّيناً ، هل تدرون ما التنّين : تسعة وتسعون حيّة لكل حيّة تسعة رؤوس يخدشونه ويلحسونـه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون».

قال الغزالى : ولا ينبغي أن يتعجّب من هذا العـدد على الخصوص فانّ أعداده هذه الحيّات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغلّ والحقد وسائر الصّفات، فانّ لها اصولاً معدودة ثم تتشعّب منها فروع معدودة ثمّ تنقسم فروعها إلى أقسام، وتلك الصّفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوى منها يلدغ لدغ التنّين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينهما يؤذى ايذاء الحيّة.

وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات و إنشعاب فروعهـا إلاّ أنّ مقدار عددهـا لا يوقف عليـه إلاّ بنور النبوّة ، فامثال هـذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفيّة و لكنّها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف لـه حقائقها ، فلا ينبغي أن ينكر ظواهرهـا بل أقلّ درجات الايمان: التصديق والتسليم ، و إنّما تكثر الحيات و العقارب في قبور الأغنياء الذين إستحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة، وفرحوا بها واطمأنّوا إليهـا وغفلوا بها عن ماورائها.

وفيه : عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ للقبر ضغطة ولو سلم أو نجى منها لنجى سعد بن معاذ.

رواه أحمد في مسنده بسند جيّد.

وفي **نهج المسترشدين :** قال العلاّمة الحلّي أعلى الله مقامه : «عـذاب القبر والصّراط والميزان والحساب وإنطاق الجوارح وتطاير الكتب ، وأحوال الجنّة والنّار امور ممكنة، والله تعالى قادر على جميع الممكنات وقد أخبر الصّادق

عليه السلام بثبوتها فتكون واقعة ».

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن قال: قلت: فتضمّنت السورة ـ سورة التكاثر ـ القول في عذاب القبر وقد ذكرنا في كتاب « التذكرة» انّ الايمان به واجب والتصديق به لازم ، حسب ما أخبر به الصّادق ، وانّ الله تعالى يحيى العبد المكلّف في قبره بردّ الحياة إليه و يجعل له من العقل في مثل الوصف الّذي عاش عليه ليعقل ما يسئل عنه، وما يجيب به و يفهم ما أتاه من ربه وما أعدّ له في قبره من كرامة وهوان وهذا مذهب أهل السنّة والّذين عليه الجماعة من أهل الملّة.

و في نظريـة التكليف : ومن الآيات الّتي يستدلّ القاضي ـ عبدالجبار المتكلّم ـ بها على ثبوته ـ عذاب القبر ـ قوله تعالى : « ربّنا أمتّنـا اثنتين و أحييتنا اثنتين » فالإماتة و الإحياء لا يكونان مرّتين إلّا بتصوّر مرحلة القبر و عذابه ، و من الأحاديث استـدلّ بما روى من أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بقبرين ، فقال: إنّهما ليعذبان وما يعذبان من كبير كان أحدهما يمشي بالنميمة والآخر لا يستنزه من البول، أمّا عن كيفيّة حصول عذاب القبر فانّ رأى القاضي مستمدّ من نظريته في التكليف أيضاً فهو يخالف من يقول : إنّ أهل القبور يعذّبون و هم موتى ، ويرى أنّ الله إذا أراد تعذيبهم فلابد أن يحييهم أوّلاً لأنّ تعـذيب الجماد لايتصوّر.

وثانياً لأنّه لايصحّ أن يعذّبوا وهم يظنّـون الظلم بهم، ولذلك فقد وجب ليس فقط أن يحييهم، وإنّما يخلق فيهم العقل مرّة اخرى حتّى لا يعتقدوا انهم مظلومين لأنّ العقل هو الّذي يتعلّق بحقيقة التكليف، أمّا كيف يكون هذا العذاب؟ و كيف يكون سئوال منكر ونكير؟فانّ الطريق إليه السمع فقط، وأمّا وقته فلاسبيل إلى تحديده تماماً، وإن كان أقرب إلى وقت الوفاة،وأمّا فائدته فانّه نوع من اللطف بالمكلّفين لأنّ المكلّف إذا علم أنّه إذا أقدم على القبائح عذب في القبر ثمّ في نار جهنم

كان أولى إلى أن يعتبر ويفعل الواجب المكلّف به.

و في شرح ابن أبي الحديد : قال : «واعلم أنّ لقاضي القضاة في كتاب (طبقات المعتزلة) في باب «القبر وسؤال منكر و نكير» كلاماً أنا أوردها هنا بعضه ، قال : إنّ عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو ولمّا كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظنّ كثير من النّاس أنّ ذلك مما أنكرته المعتزلة ، و ليس الأمر كذلك ، بل المعتزلة رجلان : أحدهما يجوّز عذاب القبر ولا يقطع به و هم الأقلّون و الآخر يقطع على ذلك وهم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه ، و إنّما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهلة إنّهم يعذّبون وهم موتى لأنّ العقل يمنع من ذلك ، و إذا كان الانسان مع قرب العهد بموته ، و لمّا يدفن يعلمون أنّه لا يسمع و لا يبصر ولا يدرك ولا يألم و لا يلتذّ ، فكيف يجوز عليه ذلك و هو ميّت في قبره! وما روى من أنّ الموتى يسمعون لا يصحّ إلّا أن يراد به أنّ الله تعالى أحياهم، و قوّى حاسّة سمعهم، فسمعوا و هم أحياء.

قال: وأنكر أيضاً مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائماً في كل حال لأنّ الأخبار إنّما وردت بذلك في الجملة، فالّذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون مازاد عليه مما لا دليل عليه، ولذلك لسنا نوقّت في التعذيب وقتاً، وإن كان الأقرب في الأخبار أنّها الأوقات المقارنة للدفن وإن كان لا نعينها بأعيانها.

هكذا قال قاضي القضاة والّذي أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضي القضاة أنّ الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين، ثم إنّ قاضي القضاة سئل نفسه فقال: إذا كانت الآخرة هي وقت المجازاة فكيف يعذّب في القبر في أيّام الدنيا؟ وأجاب بأنّ القليل من العقاب المستحقّ قد يجوز أن يجعله الله في الدنيا لبعض المصالح كما فعل في تعجيل إقامة الحدود على من يستحقّها، فلا يمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النّار.

ثمّ سئل نفسه فقال : إذا كان بالموت قد زال عنه التكليف ، فكيف يقولون: يكون ذلك من مصالحه ؟ و أجاب بأنّا لم نقل : إنّ ذلك من مصالحه وهو ميّت ، وإنّما نقول : إنّه مصلحة أن نعلم فى الدنيا ذلك من حال الموتى لأنّه إذا تصوّر أنّه مات عوجل بضرب من العقاب في القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثيرمن المعاصي وقد يجوزأن يكون ذلك لطفاً للملائكة الّذين يتولّون هذا التعذيب.

ـ إلى أن قال ـ: وروى في المسائلة في القبر أخبار كثيرة و كلّ ذلك ممّا لاقبح فيه، بل يجوزأن يكون من مصالح المكلّفين، فلا يصحّ المنع عنه وجملة الأمر: أنّ كلّ مائبت من ذلك بالتواتروالإجماع وليس بمستحيل في القدرة، ولا قبيح في الحكمة يجب القول به.

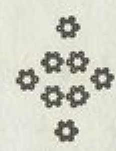
وفى دعاء الليلة الاولى من شهر رجب المرجب ـ : «أللهم إنّي أعوذ بك من العديلة عند الموت ، ومن شرّ المرجع في القبور ومن الندامة يوم الآزفة ...»

وفى دعاء أبي حمزة الثمالي ـ : «إلهي إن عفوت فمن أولى منك بالعفو، وإن عذّبت فمن أعدل منك في الحكم، إرحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي...» الدعاء.

وفى أدعية الصباح و المساء ـ: «اللهم إنّي أعوذبك من عذاب القبر ومن ضغطة القبر ومن ضيق القبر...» الدعاء.

وفى مناجات الامام على بن أبيطالب عليه السلام قال : « إلهي ارحم غربتنا إذا تضمّنتنا بطون لحودنا وعمّيت علينا باللبن سقوف بيوتنا ، و اضجعنا على الايمان في قبورنا ، و خلفنا فرادى في أضيق المضاجع ، و صرعتنا المنايا في أنكر المصارع ، وصرنا في ديار قوم كأنّها مأهولة وهي منهم بلاقع ـ إلهي كيف تفرح بصحبة الدنيا صدورنا ؟ و كيف تلتئم في عمرانها امورنا ؟ و كيف يخلص

فيهـا سرورنا؟ وكيف يملكنـا باللهو و اللعب غرورنا؟ و قد دعتنا باقتراب آجالنا قبورنا ـ إلهـي كأنّي بنفسي قد اضطجعت في حفرتها و انصرف عنهـا المشيّعون من عشيرتها ونادأها من شفير القبر ذوومودّتها ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين إليها ذلّ فاقتها، ولا على من قد رآها توسّدت الثرى عجز حيلتهاـ يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي، ويا ثاني كل وحيد إرحم في القبر وحدتي...»



﴿ كلمات قصار حول القبر ﴾

غرر حكم ودرر كلم في المقام نشير إلى نبذة منها:

١- قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «فأوفق أيّها السامع من غفلتك، واختصر من عجلتك، واشدد أزرك، وخذ حذرك، و اذكر قبرك فإنّ عليه ممرّك»

٢- وقال عليه السلام أيضاً : «نعم الصّهر القبر»

٣- وقال عليه السلام أيضاً - خطاباً لعباد الله - : « فكيف بكم لو تناهت الامور و بعثرت القبور وحصّل ما في الصّدور»

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « كن في الدنيا كأنّك غريب و كأنّك عابر سبيل وعد نفسك في أصحاب القبور»

٥- وقال صلى الله عليه وآله : «لا يعذّب أحد في قبره إلّا باحدي ثلاث: الغيبة و النميمة و البول»

٦- وقال صلى الله عليه وآله - وعلي الباب السادس من أبواب الجنة - مكتوب: « لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ّولي ّالله من أحبّ أن يكون قبره واسعاً فليأت المساجد، من أحبّ أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد ، من أحبّ أن لا يظلم لحده فلينوّر المساجد، من أحبّ أن يبقى طرياً تحت الأرض فليشتر بسط المساجد »

٧- وقال صلى الله عليه وآله: «ومن مشى في نميمة بين إثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً

تحرقه إلى يوم القيامة، وإذا خرج من قبره سلّط الله عليه تنّيناً اسود ينهش لحمه حتى يدخل النار»

٨- وقال صلى الله عليه وآله: «يا أباذر كن في الدنيا كأنك غريب و كعابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور (من أصحاب القبور خ)»

٩- وقال صلى الله عليه وآله: «أخلاّء إبن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه، و الثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره، والّذي يتبعه إلى محشره فعمله»

١٠- قال رجل: يا رسول الله صلّى الله عليك! من أزهد النّاس؟ قال: من لم ينس القبر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر مايبقى على مايفنى، ولم يعدّ غداً من أيّامه وعدّ نفسه من أهل القبور»

١١- وقال صلى الله عليه وآله: «الارب مسرور مقبور ولا يشعر يأكل ويشرب ويضحك وحقّ له من الله أن سيصلى السعير»

١٢- وقال صلى الله عليه وآله: «رشّوا الماء على القبر رشّاً، ولا تطيّنوه من غير طينه»

١٣- وقال صلى الله عليه وآله: «ضغطة القبر للمؤمن تكفير لما كان من تضييع النعم»

١٤- وقال صلى الله عليه وآله: «المبطون لايعذّب في قبره»

١٥- وقال الإمام عليّ عليه السلام: «إذا وضع الميّت في قبره إعتورته نيران أربع: فتجيء الصّلاة فتطفىء واحدة، ويجيىء الصّوم فيطفىء واحدة، وتجيىء الصّدقة فتطفىء واحدة، ويجيىء العلم فيطفىء الرابعة، ويقول: لوأدركتهنّ لأطفأتهنّ كلّهنّ فقرّ عيناً فأنا معك ولن ترى بؤساً»

١٦- وقال عليه السلام أيضاً: «القبر خير من الفقر»

١٧- وقال عليه السلام: «السّجن أحد القبرين»

١٨- وقال عليه السلام: «الإحتمال قبر العيوب»

١٩- وقال عليه السلام: «ولو أنّ مقبوراً من الأموات قيل له: هذه الدنيا أوّلها إلى آخرها تخلّفها لولدك الّذي لم يكن لك همّ غيرهم أو يوم نردّه إليك، فتعمل فيه

لنفسك لاختار يوماً يستعتب فيه من سيّئ ما أسلف على جميع الدنيا يودّ نها ولده خلفه فما يمنعك أيّها المغترّ المضطرّ المؤتنف أن تعمل على مهل قبل حلول الأجل، وما يجعل المقبور أشدّ تعظيماً لما في يديك منك، ألا تسعى في تحرير رقبتك، وفكاك رقّك، ورقاء نفسك من النار الّتي عليها ملائكة غلاظ شداد»

٢٠- وقال عليه السلام: في الطغاة الجبابرة -: «واستبدلوا بالقصور المشيّدة والسرر والنمارق الممهّدة الصّخور والأحجار المسنّدة في القبور اللاطية الملحدة الّتي قد بيّن الخراب فناءها، وشيّد التراب بناءها، فمحلّها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلّة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون كتواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدّار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلى، فأكلهم الجنادل والثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات: «كلاّ إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى، والوحدة في دار الموتى وارتهنتم ذلك المضجع وضمّكم ذلك المستودع»

قوله عليه السلام: «النمارق»: جمع النمرقة وهي الوسادة، و«اللاطية»: الملتصقة بالأرض، و«بكلكلة»: بصدره و«غضارة»: نعمة وسعة.

٢١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا حمل عدوّ الله إلى قبره نادى حملته: ألا تسمعون يا إخوتاه أنّي أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقي، إنّ عدوّ الله خدعني فأوردني ثمّ لم يصدرني وأقسم لي إنّه ناصح لي فغشّني، وأشكو إليكم دنياً غرّتني حتّى إذا اطمأننت إليها صرعتني...»

٢٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما رأيت منظراً إلّا ورأيت القبر أفظع منه»

النعيم والسؤال عن الولاية

قال الله تعالى: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» التكاثر: ٨).

و قد وردت روايات عديدة عن الطريقين: أن المراد بالنعيم في الآية الكريمة هو الولاية لأمير المؤمنين مولى الموحدين إمام المتقين علي بن أبيطالب عليه السلام تسئل عنها الامة الإسلامية يوم القيامة، فنشير إلى مايسعه مقام الإختصار:

في تفسير روح المعاني للآلوسي: ومن رواية العياشي ان أبا عبدالله عليه السلام قال لأبي حنيفة في الآية: «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم»: ما النعيم عندك يا نعمان؟ فقال: القوت من الطعام والماء البارد فقال أبوعبدالله عليه السلام: لئن أوقفك الله تعالى بين يديه حتى يسئلك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه، فقال أبوحنيفة: فما النعيم؟ قال: نحن أهل البيت النعيم أنعم الله تعالى بنا على العباد وبنا إئتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله تعالى بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو النعمة التي لاتنقطع، والله تعالى سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم سبحانه به عليهم وهو محمد وعترته عليه وعليهم السلام.

وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي عن أبي نعيم الحافظ بسنده عن جعفر الصادق رضي الله عنه في هذه الآية قال: النعيم ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب كرم الله وجهه.

وفيه: عن الحاكم البيهقي عن إبراهيم بن العبّاس الصولي الكاتب قال: كنّا يوماً بين يدي عليّ بن موسى الرضا رضي الله عنهما قال له بعض الفقهاء: إنّ النعيم في هذه الآية هو الماء البارد فقال له بارتفاع صوته: كذا فسّرتموه أنتم و جعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد وقال آخرون: هو النوم وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، ولقد حدّثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام إذ أقوا لكم هذه ذكرت عنده فغضب وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسئل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يمنّ بذلك عليهم، وهو مستقبح من المخلوقين كيف يضاف إلى الخالق جلّت عظمته ما لا يرضى للمخلوقين، ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا يسئل الله عنه بعد التوحيد ونبوّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ العبد إذا وافى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الّذي لا يزول.

وفيه: قال إبن موسى: لقد حدّثني أبي جعفر عن أبيه محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبيطالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عليّ! إنّ أوّل ما يسئل عنه العبد بعد موته: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وأنك وليّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك، فمن أقرّ بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له.

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركناها للاختصار، وقد سبقت نبذة منها في البحث الروائي فراجع.

وأما الروايات الواردة عن طريق الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الحقّة فكثيرة لا يسعها المقام فمنها:

في الكافي: باسناده عن أبي حمزة قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة و طيباً، و او تينا بتمر تنظر فيه أو جهنا من صفائه و حسنه، فقال رجل: لتسئلنّ عن هذا النعيم الّذي تنعّمتم به عند إبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجل أكرم و أجلّ أن

يطعم طعاماً فيسوّغكموه ثم يسئلكم عنه، إنّما يسئلكم عمّا أنعم عليكم بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله.

وفيه: باسناده عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغذاء فأكلت معه طعاماً ما أكلت طعاماً أطيب منه قطّ ولا ألطف، فلمّا فرغنا من الطعام قال: يا أباخالد! كيف رأيت طعامك؟ أوقال: طعامنا؟ قلت: جعلت فداك ما أكلت طعاماً أطيب منه قطّ ولا أنظف (ألطف خ) ولكن ذكرت الآية التي في كتاب الله عزّ وجل: «ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» فقال أبوجعفر عليه السلام: إنّما يسئلكم عمّا أنتم عليه من الحق.

وفي البحار: عن كنز جامع الفوائد عن الشيخ المفيد أعلى الله مقامه باسناده إلى محمّد بن السائب الكلبي قال: لمّا قدّم الصّادق عليه السلام العراق نزل الحيرة فدخل عليه أبوحنيفة وسئله عن مسائل وكان ممّا سئله أن قال له: جعلت فداك ما الأمر بالمعروف؟ فقال عليه السلام: المعروف يا أبا حنيفة! المعروف في أهل السماء المعروف في أهل الأرض، و ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: جعلت فداك فما المنكر؟ قال: اللذان ظلماه حقّه و ابتزّاه أمره ـ أي استلباه قهراً ـ وحملا النّاس على كتفه، قال: ألاهو أن ترى الرجل على معاصي الله فتنهاه عنها؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: ليس ذاك أمر بمعروف ولانهي عن منكر إنّما ذاك خير قدّمه.

قال أبوحنيفة: أخبرني جعلت فداك عن قول الله عزّ وجل: «ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» قال: فما هو عندك يا أبا حنيفة؟ قال: الأمن في السرب و صحّة البدن والقوت الحاضر فقال: يا أباحنيفة لئن وقفك الله أو أوقفك يوم القيامة حتّى يسئلك عن كلّ أكلة أكلتها، وشربة شربتها ليطولنّ وقوفك، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: النعيم نحن الّذين أنقذ الله الناس بنا من الضّلالة: وبصّرهم بنا من العمى، وعلّمهم بنا من الجهل. قال: جعلت فداك فكيف كان القرآن

جديداً أبداً؟ قال: لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان فتخلقه الأيّام، ولو كان كذلك لفنى القرآن قبل فناء العالم.

وفيه: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «وجدت بخطّ بعض الأفاضل نقلاً من خطّ الشهيد رفع الله درجته قال: قال أبوحنيفة النعمان بن ثابت: جئت إلى حجّام بمنى ليحلق رأسي فقال: أدن ميامنك واستقبل القبلة، وسمّ الله فتعلّمت منه ثلاث خصال لم تكن عندي، فقلت له: مملوك أنت أم حرّ؟ فقال: مملوك قلت: لمن؟ قال: لجعفر بن محمّد العلوي عليه السلام قلت: أشاهد هو أم غائب؟ قال: شاهد فصرت إلى بابه، واستأذنت عليه، فحجبني وجاء قوم من أهل الكوفة، فاستأذنوا فأذن لهم، فدخلت معهم فلمّا صرت عنده قلت له: يابن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفة، فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله فانّي تركت بها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم فقال: لايقبلون منّي.

فقلت: ومن لا يقبل منك وأنت إبن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فقال: أنت ممّن لم تقبل منّي، دخلت داري بغير إذني، وجلست بغير أمري، وتكلّمت بغير رأيي، وقد بلغني أنك تقول بالقياس، قلت: نعم به أقول قال: ويحك يا نعمان أوّل من قاس الله تعالى إبليس حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام و قال: خلقتني من نار و خلقته من طين، أيّما أكبر يا نعمان القتل أو الزنا؟ قلت: القتل قال: فلم جعل الله في القتل شاهدين، و في الزنا أربعة؟ اينقاس لك هذا؟ قلت: لا.

قال: فأيّما أكبر البول أو المنيّ؟ قلت: البول قال: فلم أمر الله في البول بالوضوء وفي المنيّ بالغسل؟ أينقاس لك هذا؟ قلت: لا قال: فأيّما أكبر الصّلاة أو الصّيام؟ قلت: الصّلاة قال: فلم وجب على الحائض أن تقضي الصّوم ولا تقضي الصّلاة؟ أينقاس لك هذا؟ قلت: لا قال: فأيّما أضعف المرأة أم الرجل؟ قلت: المرأة قال: فلم جعل الله تعالى في الميراث للرجل سهمين وللمرأة سهماً؟ أينقاس

لك هذا ؟ قلت: لا قال: فلم حكم الله تعالى فيمن سرق عشرة دراهم بالقطع وإذا قطع رجل ، يد رجل فعليه ديتها خمسة آلاف درهم ؟ أينقاس لك هذا ؟ قلت: لا .

قال : وقد بلغني أنك تفسّر آية في كتاب الله وهي: «ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم» انّه الطعام الطيّب ، والماء البارد في اليوم الصّائف ؟ قلت : نعم قال له : دعاك رجل و أطعمك طعاماً طيّباً، وأسقاك ماءاً بارداً ثم إمتنّ عليك به ما كنت تنسبه إليه ؟ قلت : إلى البخل قال: أفيبخل الله تعالى؟ قلت : فما هو ؟ قال: حبّنا أهل البيت .

وفي تفسير البرهان : بالإسناد عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ أبابكر منّي لبمنزلة السمع ، و إنّ عمر منّي لبمنزلة البصر ، و إنّ عثمان منّي لبمنزلة الفؤاد فقال : فلمّا كان من الغد دخلت عليه و عنده أمير المؤمنين عليه السلام و أبوبكر و عمر و عثمان ، فقلت له : يا أبت سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولاً فما هو ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم ثمّ أشار إليهم ، فقال : هم السمع والبصر والفؤاد وسيسئلون عن ولاية وصيّي هذا ، وأشار إلى عليّ بن أبيطالب عليه السلام ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول (قال خ) : «إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسئولاً» ثم قال : وعزّة ربّي انّ جميع امّتي لموقوفون يوم القيامة ، ومسئولون عن ولايته عليه السلام و ذلك قول الله عزّ وجلّ : «وقفوهم انهم مسئولون» .

ومن المعلوم والبداهة : عقلاً وشرعاً: أنّ النّاس كلهم يسئلون يوم القيامة عن الدين ، ومن البيّن : أنّ السئوال عن الدين هو سئوال عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله تعالى : «فلنسئلنّ الّذين ارسل إليهم» الأعراف : ٦) .

وقال : «فاستمسك بالذي اوحي إليك انك على صراط مستقيم وانّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» الزخرف : ٤٣ ـ ٤٤) .

و انّ السئوال عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو سئوال عن وصيّه من بعده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين إفترض الله طاعتهم و أناط كمال الدين

والرسالة وإتمام النعمة على الولاية العلوية إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ - ٦٧).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» النساء: ٥٩) ومما لامراء فيه والمتيقّن والمتعيّن: أنّ اولى الأمر هم أهل بيت الوحي المعصومون الاثنى عشر إماماً أوّلهم عليّ بن أبيطالب وآخرهم المهدي المنتظر حجّة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين فأوجب الله عزّ وجلّ إتّباعهم في السلوك إلى الله تعالى الّذي طريقه إستعمال نعمه جلّ وعلا على ما بيّنه الرسول وأهل بيته المعصومون عليهم السلام.

وان السئوال عن النعيم ليس سئوالاً عنها بما أنّها خبز أو تمر أو ماء بارد وما إليها، أو أنّها سمع أو بصر أو يد أو رجل أو لسان وما إليها من القوى الظاهرة والباطنة متّصلها أو منفصلها من النعم، وإنّما يسئل عنها بما أنّها نعمة خلقها الله تعالى للإنسان، وأوقعها في طريق كماله وسعادته، في طريق خيره وصلاحه، في طريق عزّته وفلاحه، وفي طريق نجاته وسيادته... بيّنه الدّين الّذي جاء به النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ونصب لبيانه إثنى عشر إماماً من أهل بيته كلّهم معصومون صلوات الله عليهم أجمعين، فمرجع السئوال عن النعيم هو السئوال عن العمل بالدين في كل حركة وسكون، وفي تقدمته هو الولاية لأهل بيت النّبوّة عليهم السلام.

قال الله تعالى: «فوربك لنسئلنّهم أجمعين عما كانوا يعملون» الحجر: ٩٢ - ٩٣).

وفى الكافى: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصّوم والحجّ والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية.

وفيه: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن ... الحديث.

وفيه: باسناده عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير.

وفي الفقيه: عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وإبن رسوله صلى الله عليه وآله أعلم فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله عز وجل بغير ولا يتنا لم ينفعه ذلك شيئاً.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمار بن موسى الساباطي - في حديث - : قال الصادق عليه السلام: إن أول ما يسئل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضات، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فان أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وان لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل منه شيئاً من أعماله.

وفي الجامع لاحاديث الشيعة: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: انه قال: لا يقبل الله عملاً لعبد إلا بولايتنا فمن لم يوالنا كان من أهل هذه الآية: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً».

وفي جامع الأخبار: روى عن الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: مر أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقنبر معه فرأى رجلاً قائماً يصلي فقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً أحسن صلاة من هذا فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مه يا قنبر

فوالله لرجل على يقين من ولايتنا أهل البيت خير ممّن له عبادة ألف سنة ، و لو عبداً عبدالله ألف سنة لا يقبل الله منه حتّى يعرف ولايتنا أهل البيت ، ولو أنّ عبداً عبدالله ألف سنة وجاء بعمل إثنين وسبعين نبياً ما يقبل الله منه حتّى يعرف ولايتنا أهل البيت وإلّا أكبّه الله على منخريه في نار جهنم .

وفي تفسير البرهان : بالإسناد عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله : « ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » قال: نحن النعيم ، وفي قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » قال : نحن الحبل .

وفيه: بالإسناد عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: « لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » قال : تسئل هذه الامّة عما أنعم الله عليها برسوله ثم بأهل بيته عليهم السلام .

و في الاحتجاج : ـ في حديث طويل ـ عن مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال فيه : « و ألزمهم الحجّة بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على إنفراده و توحيده وبأنّ لهم أولياء تجري أفعالهم و أحكامهم مجرى فعله فهم العباد المكرمون وهم النعيم الّذي يسئل عنه ، انّ الله تبارك وتعالى أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم ، قال السائل: من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حلّ محلّه من أصفياء الله الّذين قال: « فأينما تولّوا فثمّ وجه الله » الّذين قرنهم الله بنفسه ، وبرسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الّذي فرض عليهم منها لنفسه .

وفي التهذيب : ـ في الدعاء بعد صلاة الغدير ـ بالإسناد عن الصادق عليه السلام : « اللهمّ و كما كان من شأنك ياصادق الوعد ، يامن لايخلف الميعاد ، يامن هو كل يوم في شأن ، إن أنعمت علينا بموالاة أوليائك المسئول عنها عبادك فانك قلت وقولك الحق : « ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » وقلت: « وقفوهم انهم مسئولون » .

وفي نور الثقلين : بالإسناد عن حفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : « لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » قال: إنّ الله أكرم أن يسئل مؤمناً عن أكله

و شربه .

وفيه: عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاثة أشياء لايحاسب العبد المؤمن عليهنّ: طعام يأكله وثوب يلبسه وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه .

وفي الكافي: مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يسئل الميّت في قبره عن خمس: عن صلاته و زكاته و حجّه و صيامه و ولايته إيّانا أهل البيت ، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع ، ما دخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه .

أقول: ونختم بحث السورة بذكر ما قال الشاعر ونعم ما قال وأنا أقول معه :

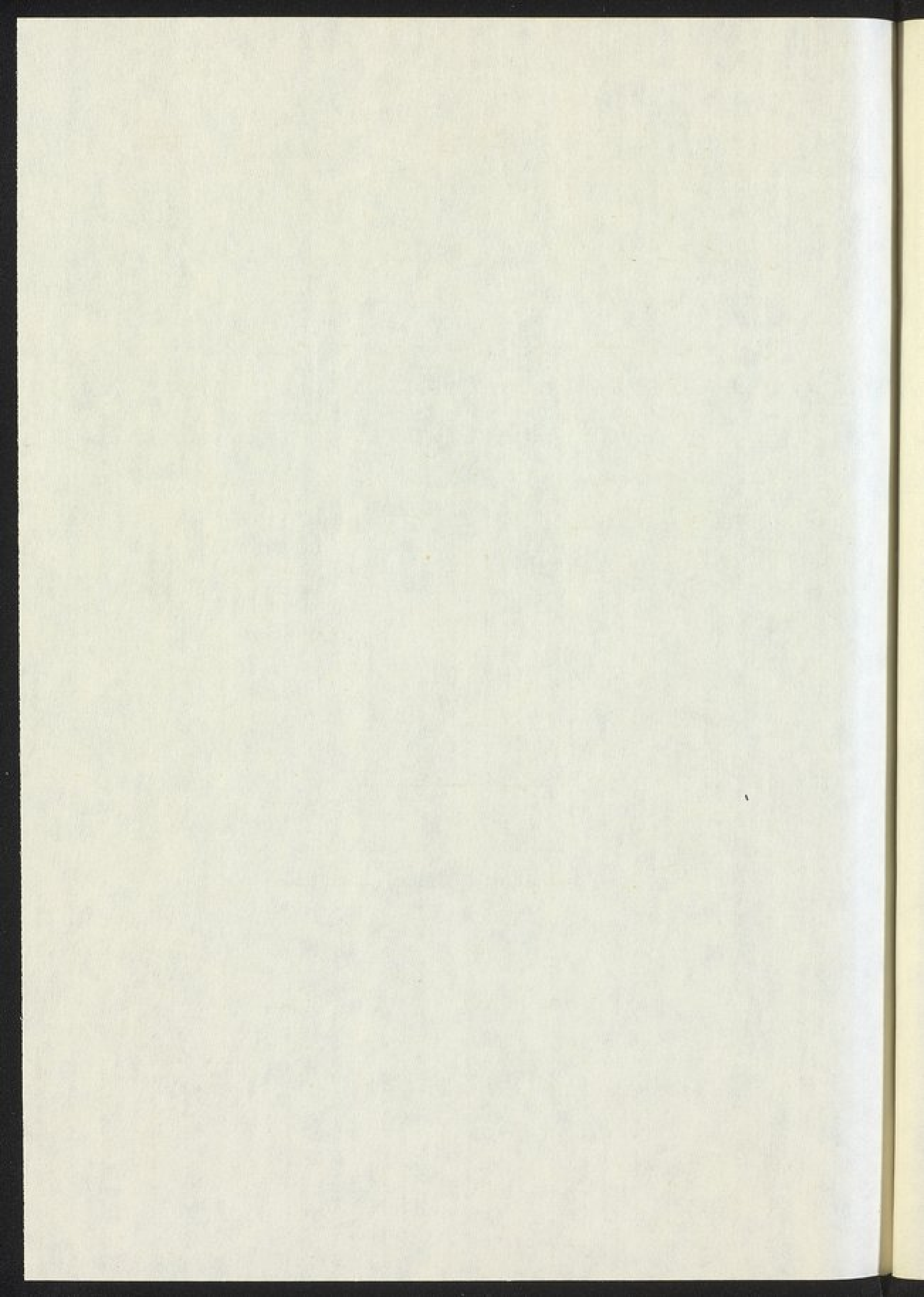
مواهب الله عندي جاوزت أملي		و ليس يبلغها قولي و لا عملي

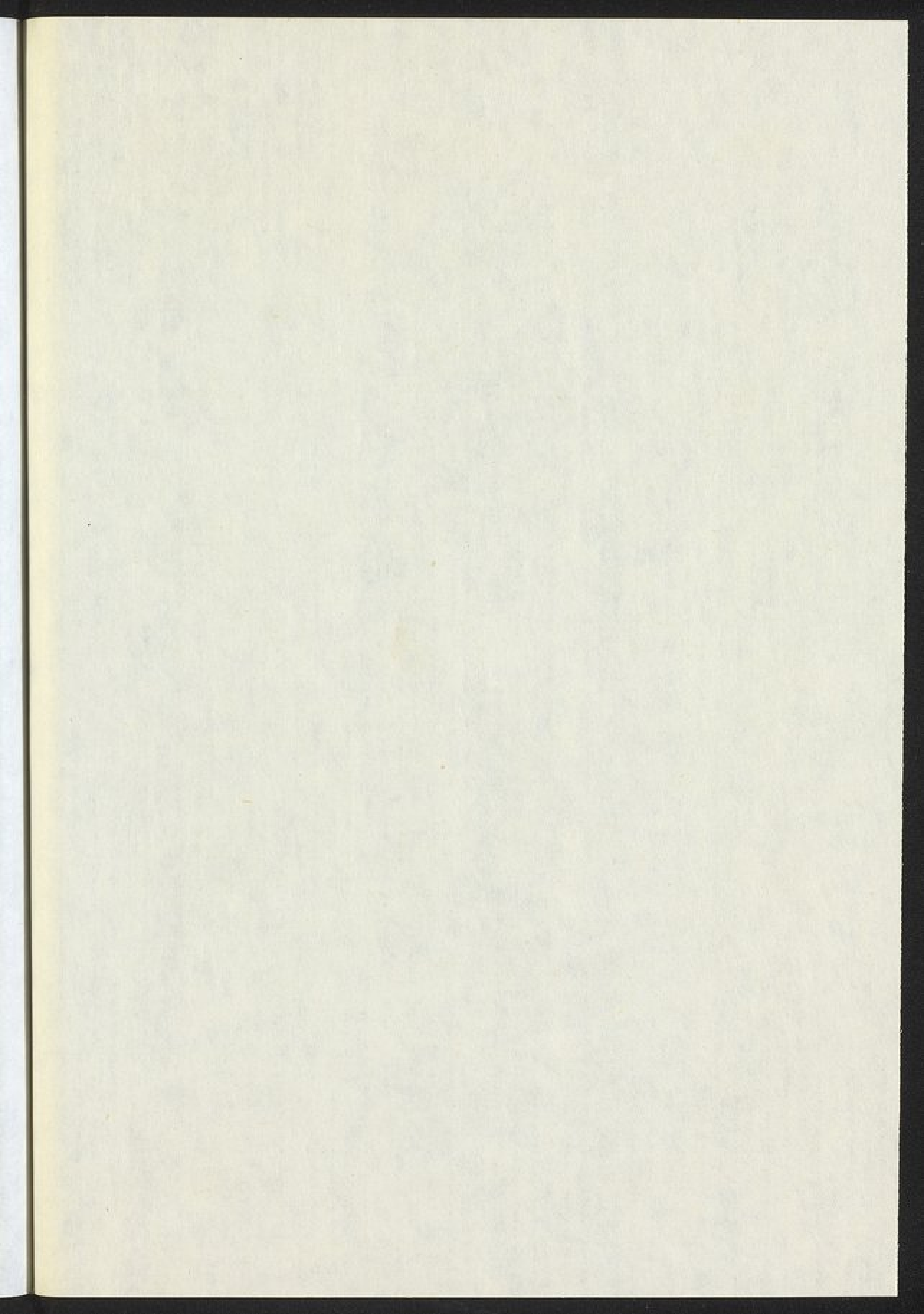
لكن أفضلها عندي و أجملها		ولايتي لأمير المؤمنين عليّ

تمت سورة التكاثر

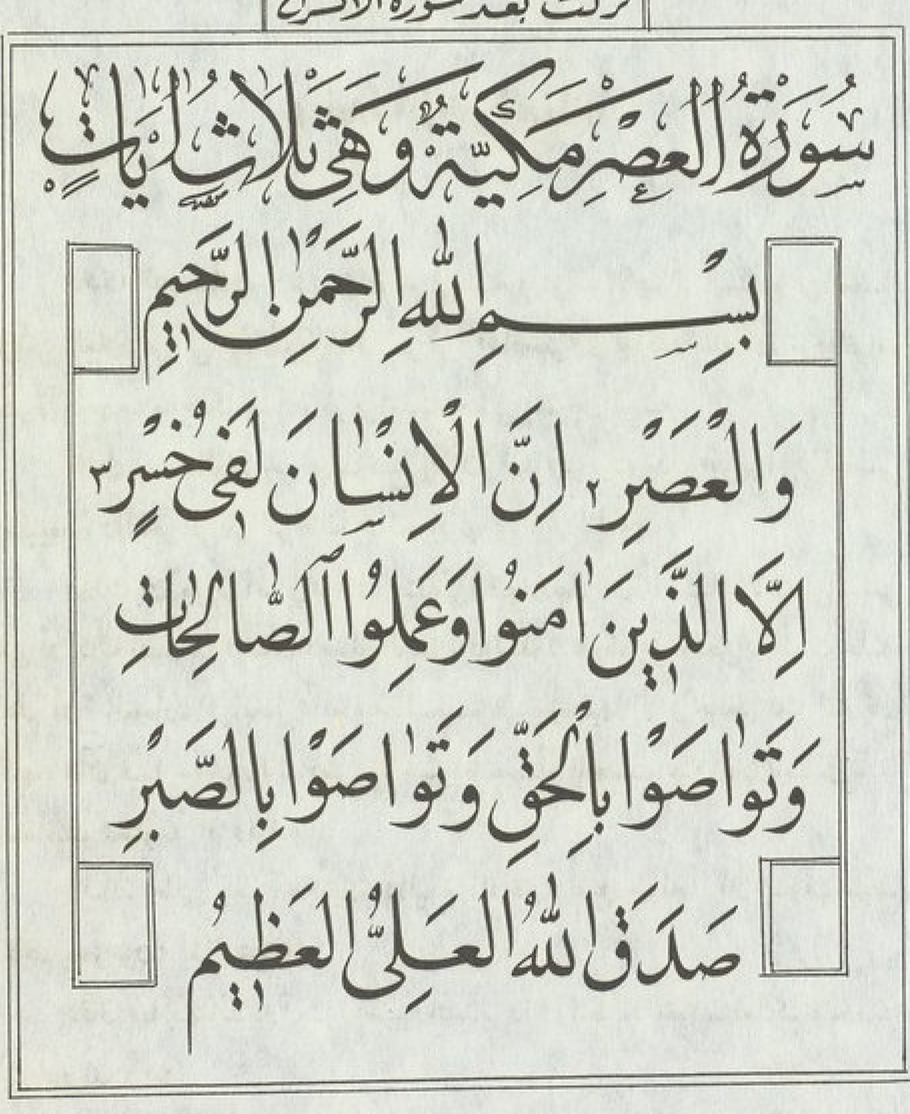
والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وأهل بيته المعصومين





نزلت بعد سورة الانشراح



سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ١ إن الإنسان لفي خسر ٢

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ٣

صدق الله العلي العظيم

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ «والعصر» في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه، ضاحكاً سنّه، قريراً عينه حتّى يدخل الجنّة.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع إلّا أنّ فيه «قريرة» بدل «قريراً» والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين.

وذلك انّ من قرأها في نوافله متدبّراً فيها، وعلم أنّ الكمال الانساني يبتني على أركان أربعة: الايمان وصالح العمل، والسلوك في طريق الحق والثبات عليه، وعلم أنّ التجارة الرابحة والعاقبة السعيدة لاشقوة فيها إلّا في حفظ تلك الأركان كلّها، وأنّ فيما سوى ذلك ليس إلّا خسراناً مبيناً، فاجتنب عنه، فلا يجد في نفسه ريبة فيما تحتويه الرواية.

قال الله تعالى: «من آمن بالله واليوم الآخر و عمل صالحاً فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» المائدة:٦٩)

وقال: «ياأيّها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تفلحون» آل عمران:٢٠٠)

وقال: «ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار و مساكن

طيّبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم» الصّف: ١٠-١٢)

وقال: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس: ٣٨، ٣٩)

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف: ١٠٤-١٠٥)

وفي المجمع: في حديث ابيّ: ومن قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة.

وفي تفسير البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: من قرأ هذه السورة كتب الله له عشر حسنات، وختم له بخير وكان من أصحاب الحق، وإن قرأت على ما يدفن تحت الأرض أو يخزن حفظه الله إلى أن يخرجه صاحبه.

وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أدمن قرائتها ختم الله له بالخير وكان من أصحاب الحقّ، وإن قرئت على ما يخزن حفظه إلى أن يرجع إلى صاحبه.

وفيه: وقال الصّادق عليه السلام: إذا قرأت على ما يدفن حفظ باذن الله ووكّل به من يحرسه إلى أن يخرجه صاحبه.

أقول: وفي الروايات الأربع الأخيرة مالا يخفى على من له الدراية، من غير تناف بين ما تحتويه الروايات وبين مضامين السورة، ومن غير بعيد أن يكون من خواصّ السورة ما ورد في تلك الروايات والله جلّ وعلا هو أعلم.

﴿الغرض﴾

غرض السورة تحديد طريق الكمال والسعادة الإنسانية والمجتمع البشري بالايمان والعمل الصّالح، وقيام الجماعة المسلمة متضامّة على حراسة الحق، مزودة بزاد التقوى، والثبات على ذلك كلّه، وإطلاق عنان الخسران فيما سوى ذلك، و انّ هذه السورة تنطوي خلاصة جميع معارف القرآن الكريم ومقاصده، ومبادي عامّة محكمة من مباديء الدعوة السماوية بأوجز بيان، فانّها مع قصرها جائت باسلوب حاسم قوىّ لتهتف بالناس كافة : أنّ لافلاح ولانجاح ولاصلاح لهم إلاّ في الايمان وصالح الأعمال، والتواصي بالحق والصّبر والثبات على ذلك.

ومن ثمّ كان الرجلان من أصحاب النّبيّ ﷺ إذا التقيا يتعاهدان على هذا الدستور الإلهي يتعاهدان على الايمان والعمل الصّالح، يتعاهدان على التواصي بالحقّ والتواصي بالصّبر، يتعاهدان على أنّهما حارسان بهذا الدستور، ويتعاهدان على أنّهما من هذه الامّة القائمة اخرجت على هذا الدستور، وانّهم خير امّة مادامو على هذا التعاهد وانحطّوا وذلّوا إذا تركوه، ولعمري لو أنّ الناس تدبّروا في هذه السورة لوسعتهم، فهي على وجازتها خلاصة هدف الدّعوة الإسلامية الموجّهة إلى الإنسانية جمعاء، وفيها تبشير في الدعوة بكلّ ما فيه جماع الخير وسعادة الدارين من رحمة ومكرمة، وفيها إنذار الخسر وتبعة الخسران على كلّ من ينحرف عن هذا السبيل.

وقد قيل: لو لم ينزل من القرآن سوى هذه السورة لكفت الناس.

﴿النزول﴾

سورة «العصر» مكيّة، نزلت بعد سورة «الإنشراح» وقبل سورة «العاديات» وهي السورة الثالثة عشر نزولاً، والثالثة والمأة مصحفاً، و تشتمل على ثلاث آيات، سبقت عليها ٢٧٧/ آية نزولاً، و ٦١٧٦/ آية مصحفاً على التحقيق، وتشتمل على ١٤/ كلمة، و ٦٨/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في الدر المنثور: أخرجه الطبراني في الأوسط و البيهقي في شعب الايمان عن أبي مليكة الداري و كانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقيا لم يتفرّقا حتّى يقرأ أحدهما على الآخر سورة «العصر» ثم يسلّم أحدهما على الآخر».

وفي تفسير المراغي: وقد كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقيا لم يتفرّقا حتّى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلّم أحدهما على الآخر ليذكر كل واحد صاحبه بما يجب أن يكون عليه.

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي: انّ الرجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقيا لم يفترقا إلاّ بعد أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثمّ يسلّم أحدهما على الآخر.

وفي الاحتجاج: باسناده إلى محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث الغدير - قال صلى الله عليه وآله وسلم: معاشر النّاس ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه و ذرّيتي من صلب عليّ عليه السلام معاشر الناس! إن إبليس أخرج آدم من الجنّة بالحسد فلا

تحسدوه فتحبط أعمالكم ، و تزّل أقد امكم فانّ آدم أهبط إلى الأرض لخطيئة واحدة، و هو صفوةالله عزّ وجلّ، و كيف بكم وأنتم أنتم و منكم أعداءالله، انه لايبغض علياً إلّا شقيّ، ولا يتوالى علياً إلّا تقيّ،ولا يؤمن به إلّا مؤمن مخلص، وفي عليّ عليه السلام واللهنزلت سورة والعصر: «بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إنّ الانسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

وفي الدرالمنثور: أخرج إبن مردويه عن إبن عبّاس في قوله: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر» يعني أباجهل بن هشام «إلّا الّذين آمنوا وعملواالصّالحات» ذكر علياً وسلمان.

رواه الآلوسي في (روح المعاني) وإبن عيسى الاربلي في (كشف الغمة) و غيرهم.

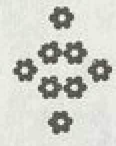
وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبي امامةقال: حدّثني أبي بن كعب قال: قرأت على النّبي صلى الله عليه وآله: «والعصرإنّ الانسان لفي خسر» أبوجهل إبن هشام «إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر» عليّ بن أبي طالب.

وفيه: باسناده عن أبي أمامة:عن أبيّ بن كعب قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر» فقلت: بأبي أنت وامّي يا رسول الله ما تفسيرها؟ فقال: «والعصر» قسم من الله ، أقسم ربكم في آخر النهار إنّ الإنسان لفي خسر و هو أبوجهل.

و في البحار : عن ابيّ بن كعب نزلت « والعصر» في أميرالمؤمنين عليه السلام و أعدائه بيانه: « إلّا الّذين آمنوا» لقوله : « إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا » الآية و قوله : « وعملوا الصّالحات » لقوله تعالى : « و يقيمون الصّلاة و يؤتون الزكاة » و قوله : « وتواصوا بالحقّ » لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحق مع علي وعليّ مع الحق » ، « وتواصوا بالصبر » لقوله: « والصابرين في البأساء و الضرّاء

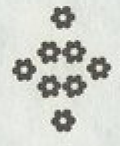
و حين البأس».

وفي كشف الغمة: عن إبن مردويه في قوله تعالى: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات» عن إبن عبّاس: «إنّ الإنسان لفي خسر» يعني أباجهل «إلّا الذين آمنوا» عليّ عليه السلام و سلمان «وتواصوا بالصبر» عن إبن عبّاس انها نزلت في عليّ عليه السلام.



﴿الوقف والوصل﴾

«والعصر لا» لجواب القسم، و «لفي خسر لا» لمكان الإستثناء التالي.



﴿ اللغة ﴾

٥٠ - العصر - ١٠١٥

عصر يعصر عصراً - من باب ضرب -: ضغط الشيء بقوّة حتى يتحلّب ماؤه أو دهنه، وعصر العنب ونحوه: إستخرج ماؤه، وعصر الثوب: إستخرج ماء بليّه، وعصر الدمل: استخرج مدته وعصر الركض الفرس: عرّقه، وعصر البارح العيدان: أيبسها، وعصر الشيء عنه: منعه، وعصر فلاناً: أعطاه العطيّة، وعصر فلاناً: حبسه، يقال: فلان عاصر: ممسك أو قليل الخير، جائني فلان عصراً: بطيئاً.

العصر: إستخراج الشيء بالضغط قال الله عزّ وجلّ حكاية عن المسجون: «إني أراني أعصر خمراً» يوسف: ٣٦).

وقال: «عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» يوسف: ٤٩) أي يستغلون في غير ضائقة.

وقيل: أي يستنبطون منه الخير. وقيل: أي يعصرون العنب والزيتون. وقيل: أي يحلبون الضروع.

الحسّيّ من المادّة هو القوّة في صورة ضغطها، ومن هذه القوّة يكون العصر - مثلثة العين وسكون الصّاد وضمّهما معاً -: الدّهر، والعصران: الليل والنهار والعصران: الغداة والعشيّ، ويطلق على كل منهما العصر، وعلى صلاة الفجر و صلاة العصر، وفي الحديث: «حافظ على العصرين» يريد صلاة الفجر و صلاة

العصر، سمّاهما العصرين لأنّهما يقعان في طرفي العصرين وهما الليل والنهار. قيل: والأشبه انّه من باب التغليب، فغلّب أحد الإسمين على الآخر. وقد جاء تفسيرهما في الحديث: «قيل: وما العصران؟ قال: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها».

و في الحديث قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «ذكّرهم بأيّام الله واجلس لهم العصرين» أي بكرة وعشياً. كالقمرين للشمس والقمر. وجمع العصر: أعصر وعصور.

وقد ورد من المادّة الزمن في قوله تعالى: «والعصر» العصر: ١) ومنه عصر الدّهر فانّه الوقت الّذي يمكن فيه فتل الامور كما يفتل الثوب، و قد أقسم الله تعالى بالدهر لأنّ فيه عبرة لاولي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار. وقد قالوا بقوّة الدّهر حين، قالوا: «وما يهلكنا إلّا الدّهر» الجاثية: ٢٤) و حدثوا عن جذب الليالي و إفنائها للناس، ومن هذا قالوا: ضغط شيء بقوّة حتّى يتحلّب ماؤه أو دهنه: عصر له، والعواصر: ثلاثة أحجار يعصر بها العنب.

ومن القوّة الضاغطة دفعاً الإعصار: الريح الشديدة الّتي تسمّى الزوبعة.

قال الله تعالى: «فأصابها إعصار فيه نار فا حترقت» البقرة: ٢٦٦) أي الريح الشديدة الّتي ترتفع بتراب بين السماء والأرض و تستدير كأنّها عمود يقال بالفارسيّة: «گردباد» يقال: «إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصار» مثل يضرب للمدلّ بنفسه إذا صلّى بنار من هو أدهى منه وأشدّ، ويقال: وعده إعصار ليس بعد إعصار أي لاوفاء له، والإعصار الأوّل: الزوبعة، والثاني مصدر أعصر القوم إذا أمطروا. وقيل: الإعصار: ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق.

المعصار: الّذي يجعل فيه الشيء فيعصر حتّى يتحلّب ماؤه، و المعصر: إسم مكان و رجل كريم المعصر: جواد عند المسئلة، و المعصر والمعصرة ـ بكسر

الميم وسكون العين وفتح الصّاد ـ: ما يعصر فيه العنب، وموضع العصر جمعهما: معاصر.

والمعصرات: السحاب تنزل المطر وتعصر الماء، وأعصر ـ مبنياً للمفعول ـ: النّاس امطروا. قال الله عزّ وجلّ: «وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجاً» النبأ: ١٤) أي السحاب الّتي تنزل المطر. وقيل: الّتي تأتي بالإعصار.

ومن صورة القوّة الضاغطة: الإستمساك القوي بالشيء، والتعلّق به، يقال: له إعتصار أي إلتجاء ويقال: اعتصرت بفلان: إلتجأت إليه واستمسكت به.

والعصر ـ متحرّكة ـ: الملجأ والمنجاة، وتتفرّع عن ذلك معان واضحة الإتصال.

والعصرة ـ بالضّمّ ـ: المنجاة، والعصرة ـ فعلة ـ: المرّة وشجرة كبيرة، والعصرة ـ محركة ـ: فوحة الطيب والغبار، ويقال: مرت ولذيلها عصرة: غبرة من كثرة الطيب، و العصرة: المنجاة كقوله: «ولقد كان عصرة المنجود» أي ملجأه، والعصرة: الدنية ـ بكسر الدال وسكون النون ـ يقال: هؤلاء موالينا عصرة أي دنية دون سواهم: والعصرة: منع البنت من التزويج، و يقال: بلّ المطر ثيا به حتّى صارت عصرة أي كادت أن تعصر، ويقال: أخذ عصرة العطاء أي ثوابه.

والعصر: الرهط والعشيرة يقال: تولّى عصرك: رهطك وعشيرتك، وقيل: عصر الرجل: عصبته. والعصر ـ محرّكة ـ: جبل بين المدينة و وادي الفرع وعنده مسجد صلّى به النّبيّ ﷺ وفي حديث خيبر: «سلك رسول الله ﷺ في مسيره إليها على عصر».

العاصر ـ إسم فاعل ـ جمعه: عاصرون وعصرة، وعاصرة جمعها: عاصرات و عواصر و العاصر و العصور: الوالد الّذي يعتصر ويعصر من مال ولده شيئاً بغير إذنه.

والعصّار - كشدّاد - للمبالغة : الملك والملجأ ، والعصار - بالكسر و التخفيف - : الغبار الشديد والحين ، يقال : جاء فلان على عصار من الدهر أي حين. والعصار - بالضم - : ماتحلّب مما عصر، والعصارة - بالضم - : ماتحلّب من الشيء المعصور وما بقي من الثفل بعد العصر وهو نفاية مايعصر، يقال: رجل كريم العصارة: أي جواد عند المسئلة، ويقال: اشتفّ عصارة أرضي: أخذ غلّتها ، وعصارة الشيء خلاصته، وعصارة أهل النار: مايسيل عنهم من الدّم والقيح.

وعصّر - من باب التفعيل - : عصره مرّة بعد اخرى، وعصّرت المرأة: بلغت شبابها وقيل: ادركت، وقيل: زاهقت العشرين، وقيل: ولدت، والمعصّر - كمعظّم - : المرأة التي حاضت ودخلت في عصر شبابها، ومنه الحديث: «انّ رجلاً من مواليك تزوّج جارية معصّراً» قيل: سمّيت المرأة معصّراً لانعصار دم حيضها ونزول ماء تريبتها للجماع. وعصّر الزرع: نبتت إكمام سنبله، والمعصّر - كمكرّم - : الملجاء والمنجاة. والاعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام.

أعصر - من باب الافعال - الرجل : دخل في العصر فهو معصر ، جمعه : معاصر و معاصير و أعصر الريح : جائت بالاعصار، و اعصر - مجهولاً - القوم : امطروا، ويقال: «ما بينهما عصر ولا يصر ولا أعصر ولا أيصر» أي ما بينهما مودّة ولا قرابة.

و عاصره معاصرة : كان في عصره و لا ذبه ، و يقال : فلان معاصر فلان : كان يعيش في زمانه و كان من أقرانه في العلوم و الفنون. و تعاصرا: جمعهما عصر واحد.

إعتصر العطيّة : إرتجعها، واعتصر بالماء: ما غصّ به من الطعام: شربه قليلاً قليلاً ليسيغه كقولهم: «كنت كالغصّان بالماء إعتصاري» و اعتصر على فلان : بخل عليه ، واعتصر بفلان : إلتجأ إليه ولا ذبه. والمعتصر: من يريد أن يضرب الغائط أي قاضي الحاجة ، وعليه الحديث : «أمر بلالاً أن يؤذّن قبل الفجر ليعتصر

معتصرهم» هو الّذي يحتاج إلى الغائط ليتأهّب للصّلاة قبل دخول وقتها وهو من العصر - بفتح العين وسكون الصّاد - أو من العصر - محركة -: وهو الملجأ و المستخفى. والمعتصر - إسم مفعول -: الهرم، ويقال: «رجل منيع المعتصر و كريم المعتصر»: منيع الملجأ جواد عند المسئلة.

العنصر: الأصل والنسب، والجمع: العناصر ومنه حديث وصف أهل بيت الوحي من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «أنتم عناصر الأبرار» و منه: «لا يخالطه - يعني النّبي صلى الله عليه وآله وسلم - في عنصره سفاح» يعني زنا. وفي الحديث: «خشن عنصره غلظ كبده».

تعصّر - مطاوع -: عصّر يقال: عصّره فتعصّر وبه إلتجأ، وتعصّر الرجل: بكى وبمعنى تعسّر بالسين المهملة. يقال: هذا أمر تعصّرت به الشبيبة أي تقضي عليه زمن الشباب.

٦٦ - الانسان - ٦٦

أنس الشّيء وبه وإليه يأنس أنساً وأنسة - من باب علم و كرم وضرب -: ألفه وألف به وإليه، وسكن قلبه به، ولم ينفر منه، ضدّ توحّش.

الإنسان: إسم جنس يطلق على الذكر والانثى، وعلى الواحد والجمع من بني آدم.

وفي إشتقاقه ثلاثة أقوال: أحدها - إن أصل الإنسان إنسيان لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره: انيسيان، فدلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره إلّا أنهم حذفوها لما كثر في كلامهم، وقد سمّي إنساناً لنسيانه ما يقع عليه من الامور بعد أيام غالباً. ثانيها - أنّه مشتقّ من الايناس وهو الإبصار و العلم و الاحساس لوقوفه على الأشياء بطريق العلم، ووصوله إليها بطريق الرؤية وإدراكه بوسيلة

الحواس. ثالثها - إشتقاقه من النوس وهو التحرّك، وقد سمّى إنساناً لتحركه في الامور العظام وتصرّفه في الاحوال المختلفة وانواع المصالح..

وقد جاء لفظ الإنسان في القرآن الكريم لاحد وعشرين معنى أكثرها على طريق النزول وبيان المصاديق:

احدها - اريد به الجنس فيشمل لآدم وحوّاء عليهما السلام و بنيهما كلهم كقوله عزّ وجل: «والعصر إنّ الانسان لفي خسر...» العصر: ١-٣) وقوله: «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه» الاسراء: ١٣).

ثانيها - اريد به آدم أبو البشر كقوله تعالى: «بدأ خلق الانسان من طين» على السجدة: ٧).

ثالثها - اريد به بنو آدم عليه السلام كقوله سبحانه: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً» الانسان: ٢).

رابعها - اريد به أبو طالب عليه السلام على قول كقوله عزّ وجل: «فلينظر الإنسان ممّ خلق» الطارق: ٥) بناء على نزول السورة في أبيطالب عليه السلام.

خامسها - اريد به هشام بن المغيرة أو وليد بن المغيرة على إختلاف كقوله تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» التين: ٤) وقوله: «وإذا مسّ الانسان ضرّ دعانا لجنبه» يونس: ١٢) أي هشام بن المغيرة.

سادسها - اريد به اميّة بن خلف كقوله سبحانه: «فأمّا الانسان إذا ما ابتلاه ربه ...» الفجر: ١٥ و ١٦) وقوله جلّ وعلا: «يومئذ يتذكّر الإنسان و أنّى له الذكرى» الفجر: ٢٣).

سابعها - اريد به قرظ بن عبدالله بن عمرو أبو حباب كقوله سبحانه: «إنّ الانسان لربه لكنود» العاديات: ٦).

ثامنها: اريد به عتبة بن أبي لهب كقوله عزّ وجل: «قتل الإنسان ما أكفره» عبس: ١٧).

تاسعها ـ اريدبه أبو جهل كقوله تعالى: «كلاّ إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق: ٦ و٧).

عاشرها ـ اريدبه ابيّ بن خلف الجمحي كقوله سبحانه: «أو لا يذكر الانسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» مريم: ٦٧) وقوله: «أو لم ير الانسان أنّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين» يس: ٧٧).

الحادي عشر: اريدبه عديّ بن الربيعة كقوله تعالى: «أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه» القيامة: ٣).

الثاني عشر: اريد به عتبة بن الربيعة كقوله عزّ وجل: «وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه» الاسراء: ٨٣) وقوله: «ولئن أذقنا الانسان منّا رحمة» هود: ٩).

الثالث عشر: اريدبه نصر بن الحارث كقوله سبحانه: «ويدع الانسان بالشرّ دعاءه بالخير» الاسراء: ١١).

الرابع عشر: اريدبه عبدالرحمن بن أبي بكر كقوله تعالى: «ووصّينا الانسان بوالديه إحساناً حملته امّه كرهاً» الأحقاف: ١٥).

الخامس عشر: اريدبه برصيصاء العابد كقوله سبحانه: «كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريء منك» الحشر: ١٦).

السادس عشر: اريدبه سعدبن أبي وقّاص كقوله عزّ وجل: «ووصّينا الإنسان بوالديه» لقمان: ١٤)

السابع عشر: اريد به بديل بن ورقاء كقوله سبحانه: «انّ الإنسان لكفور» الحج: ٦٦)

الثامن عشر: اريد به أخنس بن شريق كقوله تعالى: «انّ الإنسان خلق هلوعاً» المعارج: ١٩)

التاسع عشر: اريد به اسيدبن خلف كقوله جلّ وعلا: «يا أيّها الانسان ما

غرّك بربك الكريم» الانفطار: ٦)

العشرون : اريد به كلدة بن اسيد كقوله سبحانه : «لقد خلقنا الإنسان في كبد» البلد: ٤)

الحادي والعشرون: اريد به عقبةبن أبي معيط كقوله تعالى:«وكان الشيطان للانسان خذولاً» الفرقان: ٢٩)

ولا يخفى على القارىء الخبيران أكثرذلك على ما ورد في النزول والإنطباق وذكر المصاديق من غيرتناف بينه و بين إرادة العموم لمن سلك مسالك المصاديق ، حيث انّ النزول لايكون مخصّصاً إذا لم يكن المورد خاصّاً .

وقد اطلق الإنسان في الروايات ولغة العرب على معان اخر :

الانسان: ظلّ الإنسان، وظلّ الجبل، ورأس الجبل، والأرض الّتي لم تزرع، والانسان: المثال يرى في سواد العين، وإنسان العين: ناظرها، والإنسان: الأنملة، و إنسان السيف والهمّ : حدّهما.جمعه: أناسيّ وأناسيّة و آناس بالمدّ. والإنسانية: ما اختصّ به الإنسان من المحامد من نحو الجودة و كرم الأخلاق...

وإنسيّ القدم : ما أقبل عليها ، و وحشيّها ما أدبرمنها ، وإنسيّ الانسان والدابّة: جانبهما الأيسر، وقيل: الأيمن، وإنسيّ القوس: ما أقبل عليك منها ، و قيل: إنسيّ القوس ما ولى الرامي ووحشيّها ماولي الصيد، والإنسي من الدّوابّ هوالجانب الأيسر الّذي منه يركب ويحتلب، وهومن الآدمي: الجانب الّذي يلي الرجل الاخرى، والوحشى من الانسان : الجانب الذى يلي الأرض، والإنسيّ: الأيسر من كلّ شيء ،وقيل: الأيمن،وكلّ إثنين من الانسان مثل الساعدين والزندين والقدمين فما أقبل منهما على الإنسان فهو إنسيّ وما أدبر عنه فهووحشيّ.

الإنس :الناس، الواحد:إنسيّ وأنسى قال الله تعالى:«فيومئذلايسئل عن ذنبه إنس ولاجانّ» الرحمن:٣٩) وقال: «وماخلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون» الذاريات : ٥٦) والإنس: خلاف الجنّ سمّي إنساً لظهورهم و كذلك الانسان سمّي إنساناً

لظهوره. وجمع الإنس: اناس وجمع الانسي: أناسي مثل كرسيّ و كراسيّ.

قال الله تعالى: «يوم ندعوا كل اناس بامامهم» الاسراء: ٧١)

وقال: «ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً» الفرقان: ٤٩)

الأناس: الجماعة من النّاس و يسمّون الانسيّين لأنّهم يؤنسون أي يرون كما أنّ الجنّ سمّي جنّاً لأنّه مستور عن الرؤية.

الأنس جمع الجنس يكون بطرح ياء النسبة مثل رومي وروم، ويجوز أن يكون أناسيّ جمع إنسان، فيكون الياء بدلاً من النون لأنّ الأصل اناسين بالنون مثل سراحين جمع سرحان، فلمّا القيت النون من آخره عوضت النون بالياء.

الأنس ـ محرّكة ـ: من تأنّس به جمعه: آناس لغة في الإنس، والأنس: أهل المحلّ، والأنس ـ محرّكة ـ: الجماعة الكثيرة من النّاس تقول: رأيت بمكان كذا و كذا أنساً كثيراً أي ناساً كثيراً، والأنس: الحيّ المقيمون.

إنسك وإبن إنسك أي كيف نفسك، ويقال: فلان إبن إنس فلان: صفيّه وأنيسه وخاصّته، ويقال: فلان إبن إنسك: صفيّك وأليفك وحليفك. وتقول العرب للرجل: كيف ترى إبن إنسك: إذا خاطبت الرجل عن نفسك. والإنس: الطمأنينة.

الأنس ـ بالضمّ ـ: الألفة وضدّ الوحشة، والانسي: خلاف الوحشي.

وفي الحديث: «إن أوحشتم الغربة انسهم ذكرك» أي سرّهم ذكرك. والأنس: حديث النساء ومؤانستهن. الإنسيّ: المنسوب إلى الانس.

قال الله تعالى: «إنّي نذرت للرحمن صوماً فلن اكلّم اليوم إنسياً» مريم: ٢٦)

الأنوس: الكثير الأنس، ومن الكلاب: ضدّ العقور، كلب أنوس: ضدّ العقور.

الأنسة: الطيّبة النفس جمعها أوانس، والأنيس: الحليف والصفيّ والأليف وخاصّة الإنسان، والأنيس: كل مأنوس به، ويقال: «ما بالدار من أنيس» أي أحد،

والأنيس: الديك.

المؤنسات: السلاح كلّه قال الشاعر:

و لكنّني أجمع المؤنسات إذا ما استخفّ الرجال الحديدا

يعنى انّه يقاتل بجميع السلاح، وقد سمّاها بالمؤنسات لأنّهنّ يؤنسنه فيؤمنّه أويحسنّ ظنّه، و قد كانت العرب القدماء تسمّي يوم الخميس مؤنساً لأنّهم كانوا يميلون فيه إلى الملاذّ. وقال إبن عبّاس: قال لي علي عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الفردوس يوم الخميس وسمّاها مؤنساً».

آنسه يؤانسه ويؤنسه ايناساً: لاطفه وألفه، وآنس الصّوت: سمعه وأحسّ وترفّق به، وآنس الشيء يؤنس: أدركه وأحسّه ببصره أوعلمه، والايناس: خلاف الايحاش، والايناس: الرؤية والعلم واليقين والمعرفة، والإدراك والإحساس بالشيء.

قال الله تعالى: «فلمّا قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً» القصص: ٢٩) أي أحسّ وأبصر.

وقال: «فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم» النساء: ٦) أي أدركتم وعلمتم ووجدتم فيهم رشداً. ومنه حديث إبن عبّاس: «حتّى يؤنس منه الرشد» أي يعلم منه كمال العقل وسداد الفعل وحسن التصرف. وفي حديث هاجر وإسمعيل عليهما السلام: «فلمّا جاء إسمعيل عليه السلام كأنّه آنس شيئاً» أي أبصر ورأى شيئاً لم يعهده، و منه حديث إبن مسعود: «كان إذا دخل داره إستأنس وتكلّم» أي إستعلم وتبصّر قبل الدخول، ومنه الحديث: «ألم تر الجنّ وإبلاسها ويأسها من بعد ايناسها» أي انّها يئست ممّا كانت تعرفه وتدركه من إستراق السمع ببعثة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله.

إستأنس: ذهب توحّشه، واستأنس به وإليه: أنس به وإليه، والإستئناس: التأنّس.

قال الله عزّ وجلّ: «لاتدخلوا بيوتاً غيربيوتكم حتّى تستأنسوا وتسلّموا على

أهلها» النور: ٢٧) أي حتّى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل اجيز لكم الدخول أم لا؟ قد تكون من الإستئناس الّذي هو خلاف الاستيحاش لأنّ الّذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن إستأنس فهو من باب الكناية والإرداف لأنّ هذا النوع من الإستئناس يردف الاذن، فوضع موضع الاذن، وقد تكون من الإستئناس الّذي هو الإستعلام والإستكشاف إستفعال من آنس الشيء أبصره ظاهراً مكشوفاً، والمعنى: حتّى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا.

قال الله تعالى: «فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث» الأحزاب: ٥٣) أي ولا متحدّثين بعد فراغكم من أكل الطعام ، ايناساً مـن بعضكم لبعض لأجل حديث يحدثه به .

وفي الخبر: «يا رسول الله ما استيناس؟ قال: يتكلّم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح ويؤذن أهل البيت»

إستأنس الوحشي: أحسّ إنسياً. وتأنّس: صار إنساناً وضدّ توحّش ، وتأنّس السبع : أحسّ بالفريسة من بعد ، المتأنّس : الأسد و قيل : الّذي يحسّ الفريسة من بعد .

فى المفردات: الإنسان قيل: سمّي بذلك لأنّه خلق خلقة لا قوام له إلّا بانس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلّا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سمّي لأنّه يأنس بكل ما يألفه، وقيل: هو إفعلان وأصله: إنسيان سمّي بذلك لأنّه عهد إليه فنسي.

وفى المجمع: الايناس: الرؤية والعلم والإحساس بالشيء قال إبن الاعرابي: و بهذا سمّي الإنس لأنّهم يؤنسون أي يرون بانسان العين . واختلف في إشتقاق الإنسان مع إتّفاقهم على زيادة النون الأخيرة، فقال البصريون: من الإنس والهمزة أصليّة وزنه فعلان، وقال الكوفيون: مشتقّ من النسيان، فالهمزة زائدة، و وزنه

افعال على النقص، و الأصل أنسيان على أفعلان، ولهذا يرد إلى أصله مع التصغير فيقال: أنيسيان.

وأنس بن مالك صحابي قال له علي عليه السلام ذات يوم وقد كان بعثه إلى طلحة و الزبير لمّا جاءا إلى البصرة: يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما، فلوى عن ذلك فقال: إنّي آنست ذلك الأمر فقال علي عليه السلام: «إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لامعة لاتواريها العمامة» يعني البرص فأصاب أنس هذا الداء في وجهه فكان لايرى فيما بعد إلّا متبرقعاً.

وفي النهاية: «انه صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الخمر الانسيّة يوم خيبر» يعني التي تألف البيوت والمشهور فيها كسر الهمزة، منسوبة إلى الانس وهم بنو آدم، الواحد إنسيّ.

وفيه: «لو أطاع الله النّاس لم يكن ناس» قيل: معناه: انّ النّاس إنّما يحبّون أن يولد لهم الذكران دون الاناث، ولو لم تكن الاناث ذهبت الناس، ومعنى أطاع: إستجاب دعائهم. وفي حديث إبن صيّاد: «قال النّبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم: إنطلقوا بنا إلى انيسيان قد رابنا شأنه» هو تصغير إنسان جاء شاذّاً على غير قياس، وقياس تصغيره انيسان.

وفي اللسان: جارية آنسة: إذا كانت طيبة النفس، تحبّ قربك وحديثك و جمعها: آنسات وأوانس، وما به أنيس أي أحد والانس - بضمّ الألف والنون -: الجمع.

وفي القاموس: وشرحه: للانسان خمسة معان: الأنملة، وظلّ الإنسان، و رأس الجبل، والأرض التي لم تزرع، والمثال الذي يرى في سواد العين، ويقال له: إنسان العين.

٢٥- الخسر والخسران -٤١٣

خسر فلان يخسر خسراً -بضم الخاء وفتحها مع سكون السين و-خسر-متحركة- وخساراً وخسارة وخسراناً - من باب علم - : أصابه نقص أوضياع في نفسه أوفيما ينسب إليه من أهله وماله ومايتعلّق به فهو خاسر وهي خاسرة، وخسر التاجر في بيعه: وضع في تجارته أوغبن، وخسر الميزان: نقصه، وخسر المال: ضيّعه.

الخسر - بالضّم - : ضدّ الربح ، والخسران في البيع: إنتقاص رأس المال ، وهذا في كلّ شيء مايناسبه.

قال الله عزّ وجل: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر» العصر : ١-٢)

ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحّة والسلامة والعقل والايمان والثواب وهو الّذي جعله الله تعالى الخسران المبين .

قال الله جلّ وعلا: «ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون» البقرة: ١٢١)

و قال : « الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه - اولئك هم الخاسرون » البقرة : ٢٧)

وقال: «وخسر هنالك المبطلون - وخسر هنالك الكافرون» غافر: ٧٨-٨٥)

أي تبيّن لهم خسرانهم لمّا رأوا العذاب وإلّا فهم كانوا خاسرين في كل وقت.

وخسر فلان نفسه وأهله وماله يخسرها خسراً- بالضم فسكون - : أضاعها وأهلكها، فلم ينتفع بها.

قال الله تعالى: «وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» الحج: ١١) أي أضاعهما وأهلكهما فلم ينتفع بهما.

وقال : « الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون » الأنعام: ١٢) أي أضاعوها

و أهلكوها فلم ينتفعوا بها .

وقال : « و من يتّخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً » النساء : ١١٩) أي أصابه النقص أو الضياع .

و خسر فلان : ضلّ و هلك . والخاسرة : الضعاف من النّاس و صغارهم ، والخاسرة : أهل الخيانة والغدر واللؤم ، وتجارة خاسرة وتجارة رابحة ، ومن لم يؤمن بالله ولم يطعه فهو خاسر . والخسر ـ بالضّمّ ـ : العقوبة بالذنب .

أخسر الميزان أو المكيال: أدخل عليهما النقص، فهو مخسر وهم مخسرون .

قال الله تعالى: « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » الرحمن: ٩) .

وقال : « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين » الشعراء : ١٨١) .

يجوز أن يكون الإخسار فيهما إشارة إلى تحرّي العدالة في الوزن والكيل ، وترك الحيف فيما يتعاطاه فيهما، وأن يكون إشارة إلى تعاطي مالا يكون به ميزانه في القيامة خاسراً ، فيكون ممّن قال تعالى فيه: « فمن خفّت موازينه » الأعراف : ٩) . و كلا المعنيين يتلازمان . وخسر فلان : ضلّ و هلك .

و إنّ أكثر الخسران الّذي ذكر في القرآن الكريم فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلّق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية . و أخسر فلاناً : أضرّه ، نقيض أربحه ، وأخسر الرجل نفسه : وقع في الخسران .

أفعل التفضيل : أخسر أي أكثر خسراناً وهم الأخسرون .

قال الله عزّ وجلّ : « لا جرم انّهم في الآخرة هم الأخسرون » هود : ٢٢) .

وقال: « قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً » الكهف : ١٠٣) .

روى عن الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلام : « انها في الدين يتمادون بحجج الإسلام يسوّفونه » ومعنى الأخسرين أعمالاً: الناقصين الأعمال من أخسرته : نقصته .

والخسر : ذهاب رأس المال تماماً أو إنتقاصه ، وقد ينسب إلى عمر الإنسان

فيقال : خسر فلان في عمره بأن لم يحصل لنفسه في حياته سعادة بالايمان و صالح العمل ، وقد ينسب إلى فعله ، فيقال: خسر فلان في تجارته أي لم يربح فيها أو ذهب رأس ماله أو انتقص .

خسّره تخسيراً : جعله يخسر ، وخسّره سوء عمله : أهلكه .

قال الله تعالى : « فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير » هود : ٦٣) أي ما تزيدونني إن اتبعتكم إلّا تخسيراً أو كلّما دعوتكم إلى هدى إزددتم تكذيباً فزادت خسارتكم .

في المفردات : الخسر والخسران : إنتقاص رأس المال و ينسب ذلك إلى الإنسان ، فيقال: خسر فلان و إلى الفعل ، خسرت تجارته . قال تعالى : « تلك إذاً كرّة خاسرة » أي غير نافعة .

و في اللسان : الخسار والخسارة والخيسرى : الضلال والهلاك والياء فيه زيادة .

و في القاموس و شرحه : الخاسرة : الضعاف من الناس و صغارهم ، والخاسرة : أهل الخيانة والغدر واللؤم . و ان سلم بن عمرو ابن عطاء بن زبان الحميري قدم بغداد و مدح المهدي والهادي والبرامكة و لقبه الخاسر ، و إنّما قيل له : ذلك لأنّه باع مصحفاً و اشترى بثمنه ديوان شعر أبي نواس ، و قيل : اشترى بثمنه عود لهو .

وقيل: لأنّه حصلت له أموال كثيرة فبذرها وأتلفها في معاشرة إدبار الفتيان .

٧٨ - العمل - ١٠٤٣

عمل الرجل يعمل عملاً - من باب علم - : مهن و صنع و فعل .

العمل : ما يفعله الإنسان بقصد ، فيفترق عن الفعل ، فانّ الفعل قد يكون

بقصد وبغيره ، وانّ الفعل قد ينسب إلى الجماد و قلّما ينسب إليه العمل ، و انّ العمل يعمّ أفعال القلوب والجوارح ، وعمل لما كان مع إمتداد زمان نحو يعملون له مايشاء ، وفعل بخلافه نحو : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » والعمل لايقال إلّا فيما كان عن فكر و رويّة ، ولهذا قرن بالعلم ، والفعل أعمّ من العمل .

قال الله تعالى : « إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات » العصر : ٣) .

والعمل يقال في الصّالح والسيّيء ، و عمل على كذا أي تولّاه و استعمله على كذا : ولّاه ، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلّا في قولهم: البقر العوامل ، وفي الحديث : « ليس في العوامل شيء » يعني زكاة « إنّما الزكاة على السائمة » والعوامل: جمع عاملة وهي الّتي يستقى عليها ويحرث وتستعمل في الاشغال وهذا الحكم مطّرد في الإبل ، عوامل الدابّة: قوائمها، والعوامل: بقر الحرث والدياسة . والعوامل : الأرجل .

العامل: الّذي يتولى أمر نفسه في العبادة والعمل الصالح ، والعامل: الّذي يعمل بمقتضى علمه ، فيقال: فلان عالم عامل .

قال الله تعالى : « أنّي لا اضيع عمل عامل منكم » آل عمران : ١٩٥) .

العامل هو الّذي يتولّى امور الرجل في ماله وملكه ، ومنه قيل للّذي يستخرج الزكاة : عامل .

قال الله تعالى : « والعاملين عليها » التوبة : ٦٠) أي وهم السعاة والجباة الّذين يأخذون الصّدقات من أربابها ويحفظونها، ويتولّون عليها حتّى يؤدّوها إلى من يقسّمها .

والعامل: عامل السلطان ، والعامل : كل من يعمل بيده في طين وبناء ونحوه جمعه : عمّال و عاملون وعملة ، وفي إصطلاح أرباب السياسة العامل هو الرئيس والوالي ، ومن تولّى إيالته وحرفته ، وعامل الرمح : مايلي السنان . والعاملة : مؤنّث العامل ، جمعها : عاملات وعوامل .

وجمع العمل : الأعمال ، وأعمال البلد : مايكون تحت حكمها ، و يضاف إليها ويقال : « بعلبك من أعمال دمشق » .

يقال : فلان إبن عمل : رجل قويّ عليه ، ويقال لمشاة اليمن : بنو عمل ، وبنو عمل : المشاة على أرجلهم من المسافرين ، و رجل عمل : ذوعمل أو مطبوع عليه ، وجمل عمل : سريع ، وبرق عمل : دائم ، وعملت الناقة باذنيها : أسرعت ، و منه حديث الاسراء والبراق : « فعملت بأذنيها » أي أسرعت لأنّها إذا أسرعت حرّكت اذنيها لشدّة السير ، ومنه حديث لقمان : « يعمل الناقة والساق » أخبر أنه قويّ على السير راكباً و ماشياً ، فهو يجمع بين الأمرين و أنّه حاذق بالركوب والمشي .

وبنوعاملة بن سبأ: حيّ باليمن نسبوا إلى امّهم عاملة بنت مالك بن وديعة ، وعاملة أيضاً: جبل بالشام . وعملت الناقة : كانت عملة ، وعملت الكلمة في الكلمة : أحدثت فيها نوعاً من الإعراب ، وعمل لفلان على البلد : كان عاملاً له ، وعمل على الصدقة : سعى في جمعها .

أعمله : جعله عاملاً ، وأعمل الكلمة في الكلمة : جعلها تعمل فيها ، و أعمل آلته و رأيه : عمل به ، وأعمل الرمح : طعن بعامله ، و أعمل فلان ذهنه في كذا و كذا : إذا دبّره بفهمه ، واعمل رأيه و آلته ولسانه واستعمله : عمل به .

العمالة ـ بالفتح ـ : عمل الناقة و نجابتها ، و ـ بالضمّ والكسر ـ : أجر العامل و رزقه ، ومنه الحديث : « اجروا عليه العمالة » ومثله : « عليّ عليه السلام اعتق فيروزاً وعياضاً و رباحاً وعليهم عمالة كذا و كذا » .

والعملة ـ بالفتح ـ : المرّة والسرقة أوالخيانة ، ولاتستعمل إلّا في الشرّ ، و ـ بالكسر ـ : هيئة العمل ، وماعمل به ، وباطنة الرجل في الشرّ وأجر العمل ، و ـ بالضمّ ـ : أجر العمل وعمل به ، والعمّلين ـ بكسر العين والميم وتشديد اللام ـ : بالغ في أذاه وعمله به واستقصى في شتمه .

العمّال ـ فعّال ـ للمبالغة في العامل ، والعمول : ذوالعمل الكثير ، وقيل: المطبوع عليه ، و رجل عمول : إذا كان كسوباً، والعملة ـ بكسرالعين وسكون الميم ـ : حالـة العمل ، و رجل خبيث العملة : إذا كان خبيث الكسب ، و عملة الرجل: باطنته في الشرّ خاصّة ، والعملة ـ محرّكة ـ : القوم يعملون بأيديهم ضروباً من العمل في طين أوحفر أوغيره . والمعمل : موضع العمل ، جمعه: معامل ، والمعمل : إسم ملك لبني هاشم بوادي بيشة ، وطريق معمل أي لحبّ مسلوك .

المعمول من الشراب: مافيه اللبن والعسل، واليعملة: الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ، والجمل يعمل ، و لا يوصف بهما إنّما هما إسمان والياء فيهما زائدة جمعهما: يعملات ويعامل . يقال: ناقة يعملة ونوق يعملات ويعامل . ويوم يعملة : من أيّام حروب العرب .

عمّل فلاناً يعمّله تعميلاً : أعطاه العمالة ، و عمّله على البلد : ولّاه عمله ، وعمّل ـ مجهولاً ـ فلان عليهم : امّر عليهم ، والتعميل: تولية العمل .

عامله يعامله معاملة: سامه بعمل. والمعاملة عندأهل الأمصار يرادبها التصرف من البيع ونحوه ، والمعاملات : الأحكام الشرعية المتعلّقة بأمر الدنيا باعتبار بقاء الشخص كالبيع والشراء والإجارة ونحوها .

إعتمل الرجل: عمل عملاً متعلّقاً بنفسه ، يقال: فلان يعتمل لنفسه ، ويستعمل غيره و اعتمل فلان : إضطرب في العمل .

إستعمله : جعله عاملاً ، وسئله أن يعمل ، واستعمل آلته و رأيه : عمل به واستعمل الثوب ونحوه : أعمله فيما يعدّ له . والماء المستعمل : المعمول به ، ومنه الحديث : « لاتتوضأ بالماء المستعمل » .

تعمّل فلان لكذا : تكلّف العمل كقوله: « فلم تتعمّل للسيادة فيهم » وتعمّل في حاجات النّاس ، ومن أجل فلان : تعنّى واجتهد ·

فى النهاية: في حدبث خيبر : « دفع إليهم أرضهم على أن يعتملوها من

أموالهم » الإعتمال : إفتعال من العمل أي إنّهم يقومون بما تحتاج إليه من عمارة و زراعة و تلقيح وحراسة ونحو ذلك .

وفي المجمع : في الدعاء : « أعوذ بك من شرّ ما عملت و من شرّ ما لم أعمل » ومعنى إستعاذته صلى الله عليه وآله وسلم مما لم يعمل على وجهين : أحدهما ـ أن لا يبتلى به في مستقبل عمره . والثاني : أن لا يتداخله العجب في ترك ذلك و لا يراه من قوّة به ، وصبر وعزيمة منه بل من فضل ربّه ، فانّ المعصوم من عصمه الله .

وفي الحديث : « إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً » .

وفي اللسان: العمل : المهنة والفعل ، والمعاملة : المساقاة .

و في تاج العروس : العمل: حركة البدن بكلّه أو بعضه ، و ربّما اطلق على حركة النفس فهو إحداث أمر قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب ، لكن الاسبق للفهم إختصاصه بالجارحة ، و خصّه البعض بما لا يكون قولاً ، و نوقش بأنّ تخصيص الفعل به أولى من حيث إستعمالهما متقابلين ، فيقال : الأقوال والأفعال ، وقيل: القول لا يسمّى عملاً عرفاً، ولهذا يعطف عليه فمن حلف لا يعمل فقال : لم يحنث ، وقيل : التحقيق انّه لا يدخل في العمل والفعل إلّا مجازاً .

وفي الفروق اللغوية : « الفرق بين الفعل والعمل: أنّ العمل ايجاد الأثر في الشيء ، يقال: فلان يعمل الطين خزفاً ، ويعمل الخوص زنبيلاً ، والأديم سقاءاً ، ولا يقال : يفعل ذلك لأنّ فعل ذلك الشّيء هو ايجاده على ما ذكرناه و قال الله تعالى : « والله خلقكم و ما تعملون » أي خلقكم و خلق ما تؤثرون فيه بنحتكم إيّاه أو صوغكم له وقال البلخي رحمه الله تعالى : من الأفعال مايقع في علاج وتعب وإحتيال ولا يقال للفعل الواحد : عمل ، وعنده أنّ الصّفة لله بالعمل مجاز ، وعند أبي رحمه الله أنّها حقيقة ، و أصل العمل في اللغة الدؤوب و منه سمّيت الراحلة بعملة و قال الشاعر :

وقالوا قف و لا تعجل　　　وإن كنّا على عجل

قليـل في هـواك اليو م ما نلقى من العمـل

أي من الدؤوب في السير وقال غيره: «والبرق يحدث شوقاً كلّما عملا».

ويقال: عمل الرجل يعمل واعتمل إذا عمل بنفسه وأنشد الخليل:

إنّ الكريم وأبيك يعتمل إن لم يجد يوماً على من يتكل

قوله: «الدؤوب»: الجدّ والتعب والإستمرار على السير.

٣٩ـ الصلح والصلاح و الصالح ـ ٨٦٩

صلح الشّيء يصلح صلحاً و صلاحاً وصلوحاً و صلاحية ـ من باب منع و نصر ـ: ضدّ فسد أو زال عنه الفساد وصلحت حال فلان وصلح الرجل في عمله: لزم الصلاح.

وفي الدعاء: «إجعل دعائي آخره صلاحاً» هو من الصّلاح الّذي هو ضدّ الفساد وفي الدعاء أيضاً: «إجعل أوّل نهاري صلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره فلاحاً» أي صلاحاً في ديننا بأن يصدر منّا ما ننخرط به في الصّالحين، ثمّ إذا اشتغلنا بقضاء إربنا في دنيانا لما هو صلاح في ديننا فأنجحها، واجعل خاتمة أمرنا بالفوز بطالبنا مما هو سبب دخول الجنّة.

وقد ورد صلح يصلح صلوحاً ـ من باب كرم ـ: خلاف فسد شاذاً. والوصف منه: صليح والصليح: الصّالح أيضاً جمعه صلحاء وصلوح ـ بضمّ الصاد فيهما، و فتح لام الاولى وضمّ لام الثانية ـ والصّلاحيّة: حالة يكون بها الشّيء صالحاً، و الصّلوح: الصالح، يقال: قوم صلوح: متصالحون كأنهم وصفوا بالمصدر. وهو صالح للولاية: له أهليّة للقيام بها.

الصّالح: ضدّ الفاسد، والقائم بما عليه من حقوق العباد وحقوق الله تعالى، يقال: هو صالح لكذا أي أهليّة القيام له، واستعملوا الصّالح بمعنى الكثير فقالوا:

مطرة صالحة أي كثيرة، ويقال : كان حظّ صالح من الأدب: وافر ويقال: إئتني صالحة من فلان أي نعمة وافرة أوحسنة أو نحوها ، والصّالح بمعنى المناسب ، فقالوا: هذا يصلح لك أي من بابتك، وبمعنى تقديم الشّيء الحسن، فقالوا : أصلح إلى الدابة : إذا أحسن إليها وتعهّدها.

واختصّ الصّلح بمعنى إزالة النفار بين النّاس، وقد اصطلحوا وصالحوا و اصّلحوا وتصالحوا واصّالحوا وهم صلوح أي متصالحون،وأصلح بينهم وصالحهم مصالحة وصلاحاً والصلح:السلم وهوإسم من المصالحة، يذكّر ويؤنّث، يقال: وقع الصّلح ووقعت الصّلح، ومنه «صلح الحديبية».

وفي الحديث: «الصّلح جائز بين المسلمين إلّا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً» أراد بالصّلح : التراضي بين المتنازعين لأنّه عقد شرع لقطع المنازعة، و له في الفقه شروط تطلب منه.

وقال بعض الأفاضل: أنفع العقود الصلح لعموم فائدته فانّه عند فائدة سائر عقود المعاوضات من البيع والإجارة والعارية ونحوذلك ويصحّ على ما في الذمّة من غيرعوض لأنّه ليس من شرطه حصول العوض، وإنّما شرع لقطع المنازعة ، و يجوزمع الإقرار والإنكار خلافاً لأبي حنيفة فانّه لايجيزه مع الإنكار وللشافعي فانّه لايجوزه مع الإقرار.

ويصحّ الصلح أيضاً مع علم المصطلحين بما وقعت عليه المنازعة ، قيل: ومع جهالتهما في الدّين والعين، واشترط بعضهم العلم بالعوض والمعوّض إذا كانا عينين أو عيناً عمّا في الذمّة مع إمكان العلم بهما و لو كانا جاهلين صحّ ، و لو كان أحدهما عالماً و الآخر جاهلاً إشترط إعلام الجاهل بقدر ما يصالح عليه، فلوصالحه بغير إعلامه لم يصحّ لما فيه من الغرر و لأنّه ربما إذا علم بقدره لم يرض بالعوض.

و فى الكافى : باسناده عن عليّ بن أبي حمزة قال : « قلت لأبى الحسن

عليه السلام: رجل يهودي أو نصراني كان له عندي أربعة آلاف درهم فهلك أيجوز لي أن اصالح ورثته ولا اعلمهم كم كان؟ قال: لا يجوز حتى تخبرهم» وفيه دلالة على هذا الشرط.

قال الله تعالى: «فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير» النساء: ١٢٨) أي من الفرقة و النشوز و الإعراض و سوء العشرة أو الصلح خير من الخصومة. و أصلح بين القوم: وفّق. و تصالح القوم و اصطلحوا بمعنى.

و قال: «و إصلاح بين النّاس» النساء: ١١٤) و هو التأليف بينهم بالمودّة.

وقال: «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها» الأعراف: ٥٦).

وقال: «والله يعلم المفسد من المصلح» البقرة: ٢٢٠) المفسد يضادّ الله تعالى في فعله فانّه يفسد والله تعالى يتحرّى في جميع أفعاله الصلاح فهو إذاً لا يصلح عمله.

المصلحة: ما يترتّب على الفعل، ويبعث على الصّلاح يقال: رآى الإمام المصلحة في ذلك أي هو ما يحمل على الصّلاح، ومنه سمّي ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه مصلحة، جمعها: مصالح، يقال: فلان من أهل المفاسد لا المصالح، وقد يقال: فلان أهل المصالح لا المفاسد. وقد يقال: في الأمر مصلحة: أي خير.

انّ الصّالح قد يوصف به العامل وهو الذي يؤدّي فرائض الله جلّ وعلا و حقوق نفسه وحقوق الناس. قال الله تعالى: «انّ الأرض يرثها عبادي الصالحون» الأنبياء: ١٠٥).

وقال: «و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم» النور: ٣٢).

كما يوصف به العمل وهو الّذي يحسن في الدين واجباً كان أم مستحباً، عبادة أم غيرها.

قال الله تعالى: «إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات» العصر: ٣).

وقال: «إليه يصعد الكلم الطّيب والعمل الصّالح يرفعه» فاطر: ٤٠).

وقال: «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً» الكهف: ١١٠).

وأصلح الشيء: أزال مافيه من فساد، وأصلحه: ضدّ أفسده وبعد فساده: أقامه، وقد جاء من الثلاثي فعلاً ووصفاً بهذا المعنى كقوله تعالى: «جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم» الرعد: ٢٣) وقوله: «إلّا كتب لهم به عمل صالح» التوبة: ١٢٠).

وورد من المزيد في معنى الصلاح: ضدّ الفساد كقوله عزّ وجل: «فمن تاب بعد ظلمه وأصلح» المائدة: ٣٩).

وأصلح إليه: أحسن إليه، وفي الدعاء: «وأصلح دنياي وآخرتي» أي إجعل الدنيا كفاية وحلالاً وكن لي معيناً على الطاعة، وإصلاح المعاد باللطف والتوفيق لذلك.

وفي الحديث: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه و بين النّاس» و ذلك لأنّ التقوى صلاح لقوتي الشهوة و الغضب اللذين فسادهما مبدأ الفساد بين النّاس و من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه لأنّ الدنيا المطلوبة لمن أصلح أمر آخرته سهلة تكفلت بها العناية الإلهيّة باصلاحها، و لأنّ مصلح أمر آخرته معامل للخلق بمكارم الأخلاق و ذلك مستلزم لصلاح دنياه. وأصلح الله المؤمن: أي فعل تعالى بعبده مافيه الصّلاح والنفع، وأصلحك الله: وفّقك لصلاح دينك والعمل بفرائضه وأداء حقوقه. وفي الحديث: «يوم الجمعة يوم صالح» أي صالح للعمل لتضاعف الحسنات فيه.

العبد الصالح يرادبه اسكندر ذوالقرنين، و إذا ذكر في الحديث يراد به

أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وفي الحديث: «إذا ضللت الطريق فناد: يا صالح أرشدنا إلى الطريق يرحمك الله» وذلك لما روى من أنّ البرّ موكّل به صالح و البحر موكّل به حمزة. وأبو صالح كنّي به الحجّة بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عجّل الله فرجه الشريف.

و صالح: إسم للنّبي عليه السلام من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وهو ولد ثمود بن عاد بن أرم بن سام! و كانت منازل قومه عليه السلام في الحجر و هو بين تبوك و الحجاز قال الله تعالى: «قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا» هود: ٦٢).

وقال: «لئن أتيتنا صالحاً» الأعراف: ١٨٩) أي إن وهبت لنا ولداً سوياً قد صلح بدنه أو ولداً ذكراً، وكانت عادتهم يأدّون البنات.

وقال: «وأصلحنا له زوجه» الأنبياء: ٩٠) أي جعلناها صالحة لأن تلد بعد أن كانت عاقراً، وقيل: جعلنا حسنة الخلق بعد أن كانت سيئة الخلق، وقيل: رددنا عليها شبابها.

والرؤيا الصالحة: الحسنة أو الصّادقة أي الصحيحة لموافقته للواقع.

صالحه: وافقه، ضدّ خاصمه.

و الصّالحيّة: فرقة من المعتزلة أصحاب الصّالحي، و الصلحية: قوم يدر كون العقول و النفوس و يجهلون ما بعدهما، والصالحيّة: محلة ببغداد و إسم لبلدان.

الإصطلاح: هو العرف الخاصّ وهو عبارة عن إتّفاق طائفة مخصوصة على وضع الشيء جمعه: إصطلاحات، والإصطلاحي: ما يتعلّق بالإصطلاح.

في المفردات: الصلاح: ضدّ الفساد وهما مختصّان في أكثر الإستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد واخرى بالسيّئة. قال الله تعالى: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً».

و إصلاح الله تعالى الإنسان تكون تارة بخلقه إيّاه صالحاً ، وتارة بازالة ما فيه من فساد بعد وجوده ، و تارة يكون بالحكم له بالصّلاح ، قال الله تعالى: « وأصلح بالهم ـ يصلح لكم أعمالكم ـ وأصلح لي في ذرّيتي ـ انّ الله لايصلح عمل المفسدين ».

وفى اللسان : صلاح من أسماء مكّة شرّفها الله تعالى ويجوز أن يكون من الصّلح لقوله عزّ وجل : «حرماً آمناً» ويجوز أن يكون من الصّلاح. و الصلح: نهر بميسان.

وفى القاموس وشرحه : الصلح: إسم جماعة متصالحين، يقال: هم لنا صلح أي متصالحون.

٦١ ـ الحق و الحقوق ـ ٣٤٩

حقّ الأمر يحق حقاً وحقّة ـ من باب ضربْ ـ: ثبت وصار حقاً لايشكّ فيه و وجب ، ويأتي المصدر : «حقاً» ويكون معناه : ثابتاً أو واجباً، و حق عليه : وجب عليه.

قال الله تعالى: «فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضّلالة» الأعراف: ٣٠).

وقال: «لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين» يس: ٧٠).

وحقّ الأمر يحقّه حقاً ـ من باب نصر ـ: أثبته وصدّقه و أوجبه، وحقّه: غلبه على الحقّ ، و حق الأمر : كان على يقين منه ، وحقّ الخبر: وقف على حقيقته ، ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه : « أنا أحقّ لكم هذا الخبر » أي أعلمه لكم و أعرف حقيقته. وحق الطريق: ركب حاقه أي وسطه ، وحق فلاناً : ضربه في حاقّ رأسه أو في حقّ كتفه ، و حققت حذره :

فعلت ما كان يحذره وحققت الأمر: تحققته وتيقّنته، وحقّ الفرس: وضع حافر رجله موضع يده.

الحقّ: نقيض الباطل، وجمعه: حقوق وحقاق، وليس له بناء أدنى عدد، و الحقّ لفظ كثير الورود في القرآن الكريم، والمراد منه على سبيل التعين يختلف باختلاف المقام الّذي وردت فيه الآيات الكريمة، ومعناه العام لايخلو من معنى الثبوت والموافقة والمطابقة للواقع وبهذا المعنى العام:

قال الله عزّ وجل: «وتواصوا بالحق» العصر: ٣).

و يأتي فيما ذكر على وجوه متعدّدة يستعمل إستعمال الواجب واللازم و الجدير و هو الجائز.

أمّا حقّ الله تعالى فهو بمعنى الواجب واللازم، وأمّا حق العباد فهو بمعنى الجدير من حيث انّ الإحسان إلى من لم يتّخذ ربّاً سواه مطابقة للحكمة، و يجوز أن يكون سمّاه حقاً لأنّه في مقابلة حق الله تعالى من جهة الثواب. ومنه الحديث: «أتدري ما حق العباد على الله؟» أي ثوابهم الّذي وعدهم به فهو واجب الإنجاز ثابت بوعده الحق.

وقد جائت كلمة الحق لمعان كثيرة:

الحق: هو الله عزّ وجل لأنّه هو الموجود الثابت لذاته.

قال الله تعالى: «ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربّي إنّه لحق» يونس: ٥٣) أي ثابت وجوده، ومتحقّق الوهيته.

وقال: «ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق» الأنعام: ٦٢) أي الثابت الّذي لا يتغيّر.

وفي وصفه جلّ وعلا: «لا تدركه العقول بمشاهدة العيان ولكن تدركه العقول بحقائق الايمان» حقائق الايمان هي: أركانه من التصديق بوجوده الثابت الدائم الأزلي ووحدانيته والوهيته، وإعتبار أسمائه الحسنى، ومحصّله الحقائق الّتي

ثبت بها الايمان، وفي حديث التلبية: «لبّيك لبّيك حقاً حقاً» أي غير باطل وتكريره لزيادة التأكيد.

الحق: هو النبّي الكريم ﷺ لأنّه الثابت الصحيح الموافق للواقع، ضدّ الباطل.

قال الله تعالى: «وشهدوا أنّ الرسول حق» آل عمران: ٨٦) أى انّ الرسول ﷺ رسالته ثابتة فهو باعتبار رسالته المطابقة للواقع حق.

الحق: هو القرآن الكريم لأنّه يشتمل على الصحيح الثابت من الأحكام...

قال الله عزّ وجل: «يا أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم» النساء: ١٧٠) أى بالقرآن الكريم لما فيه من الشرائع والحقائق الثابتة.

وقال: «إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» البقرة: ١١٩) أى بالقرآن المجيد لأنّه مشتمل بالصدق والحكمة والأخبار والعقائد المطابقة للواقع.

وقال: «انّ هذا لهو حق اليقين» الواقعة: ٩٥) أى اليقين الثابت الموافق للواقع.

الحق: هو الإسلام لأنّه الثابت المطابق لواقع الفطرة البشريّة الّتي فطر الناس عليها.

قال الله جلّ وعلا: «هو الّذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق» الصف: ٩) أى دين الإسلام، فانّه دين لا يتغيّر.

قال الله تعالى: «إنّ الدّين عند الله الإسلام - ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: ١٩-٨٥).

الحق: الشرائع والعقائد والحقائق والكتب السماوية ومافيها من الأحكام والأخبار والهداية.

قال الله تعالى: «قد جاءت رسل ربنا بالحق» الأعراف: ٥٣٠) أى الثابت الصحيح من الكتب ومافيها من العقائد والشرائع والدعوة الحقة.

الحق: العلم الصحيح يطابق الواقع :

قال الله تعالى : « إنّ الظنّ لا يغني من الحـق شيئاً » يونس : ٣٦) أي العلم الصحيح .

الحق: التام الكامل .

قال الله عزّ وجلّ : « له دعوة الحق » الرعد : ١٤) أي الدّعـوة الكاملة والموافقة للواقع .

و قال : « الملك يومئذ الحق للرحمن » الفرقان : ٢٦) أي الملك التام الكامل .

وإذا اضيف الحق إلى المصدر كان معناه : أنّه على أكمل وجه .

قال الله عزّ وجلّ : « الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » البقرة : ١٢١) أي على أكمل وجه ، فلا يحرّفونه ولايغيّرون مافيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وقيل: حق تلاوته : هوالوقوف عند ذكر الجنّة والنار يسئل في الاولى و يستعيذ في الاخرى .

الحق: الواقع لامحالة الّذي لايتخلّف .

قال الله تعالى: « ألا إنّ وعدالله حق » يونس: ٥٥) أي لابدّ أن يقع ويثبت .

وقال: « فحقّ عليهم القول » الاسراء : ١٦) أي ثبت و وجب عليهم الوعيد فيقع لامحالة .

وفي الحديث : « أتدري ماحق العباد على الله ؟ » أي ثوابهم الّذي وعدهم به فهو واجب الايجاز ثابت بوعده الحق .

الحق: الأمر المقضي الثابت .

قال الله جلّ وعلا : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إنّ هذا لسحرمبين » يونس : ٧٦) أي الأمر الثابت وهو معجزة موسى عليه السلام .

وقال : « و كان حقّاً علينا نصرالمؤمنين » الروم : ٤٧) أي ايجاباً حققت

عليه القضاء .

و قال : « و ما ننزّل الملائكة إلّا بالحق » الحجر : ١٥) .

الحق: أحد حقوق العباد و هو ما وجب للغير و يتقاضاه .

قال الله سبحانه : « قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق » هود : ٧٩)

أي من واجب نتقاضاه وقيل: أي ليس لنا في بناتك من حاجة و رغبة .

وقال: « والّذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » المعارج: ٢٤-٢٥)

أي واجب مقرّر يتقاضونه . و قال : « وليملل الّذي عليه الحق » البقرة : ٢٨٢)

أي الدّين .

الحق: الشّيء المعلوم غير الزكاة و هو شيء يفرضه الرجل على نفسه على قدر طاقته و وسعه كما جاءت به الرواية .

قال الله عزّ وجلّ : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات : ١٩) .

وقال : « و آتوا حقه يوم حصاده » الأنعام : ١٤١) و هو أن يأخذ الضغث فيعطيه المسكين ثمّ المسكين حتّى يفرغ وعند الحصاد الحفنة بعد الحفنة حتّى يفرغ .

الحق: الواجب الّذي ينبغي أن يطلب وهو النصيب الّذي فرض للمحق غير الزكاة والصّدقات ، و هو الّذي لايتملك به المحق بأسباب التمليك المحاورة بين الناس ، وإنّما هو تمليك من الله تعالى في زمن رسول الله ﷺ كما أن للوارث نصيباً مفروضاً من مال مورّثه بعد موته .

قال الله تعالى : « و آت ذا القربى حقه » الاسراء : ٢٦) فكان فدك نصيباً فرضه الله تعالى لفاطمة سلام الله عليها .

وقال : « فآت ذا القربى حقه » الروم : ٣٨) ومنه الحديث : « إن الله أعطى كلّ ذي حق حقّه فلا وصيّة لوارث » أي حظّه و نصيبه الّذي فرض له .

الحق: العدل :

قال الله عزّ وجلّ : « والوزن يومئذ الحق » الأعراف : ٨) أي العدل .

و قال : « ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق » الاعراف : ٨٩) أي احكم بيننا بما جرت به سنّتك في الفصل بالعدل بين المهتدين والضالّين .

وقال : « رب احكم بالحق » الأنبياء : ١١٢) أي بالعدل .

الحق: الصدق المطابق للواقع :

قال الله تعالى: « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق » النساء : ٢٧) أي بالصدق والواقع .

وقال : « إن الحكم إلاّ لله يقصّ الحق » الأنعام : ٥٧) أي يحدث بالصدق .

وقال : « حقيق على أن لا أقول على الله إلاّ الحق » الأعراف : ١٠٥) أي الصدق والثابت عنه .

وفي الحديث : « أميناً حق أمين » أي صدقاً . وقيل: واجباً ثابتاً له الأمانة .

وفي الحديث : « من رآني فقد رأى الحق » أي رؤياً صادقة ليست من أضغاث الأحلام : وقيل : فقد رآني حقيقة غير مشبّه .

الحق: البيّن الواضح :

قال الله سبحانه: « قالوا الآن جئت بالحق » البقرة : ٧١) أي بالبيّن الواضح الّذي يمكن إمتثاله أو بما ينبغي أن يطلب .

الحق: الحكمة الّتي فعل الفعل لها .

قال الله جلّ و علا : « ما خلقنا السموات والأرض ومابينهما إلاّ بالحق » الأحقاف : ٣) أي متلبّسة بالحكمة :

و قال : « الله الّذي أنزل الكتاب بالحق والميزان » الشورى : ١٧) أي متلبساً بالحكمة و مشتملاً عليها .

الحق: التوحيد :

قال تعالى: « ولايملك الّذين يدعون من دونه الشفاعة إلاّ من شهد بالحق »

الزخرف : ٨٦) أي أقرّ بالتوحيد .

وقال : « فعلموا أنّ الحق لله » القصص: ٧٥) أي التوحيد والوحدانية ثابتة لله تعالى وحده لايشاركه فيها سواه .

الحق: المسوّغ بحسب الواقع .

قال الله عزّ وجلّ : « ويقتلون النبيين بغير حق » آل عمران : ٢١) أي بغير حصول سبب يسوغه .

وقال : « ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق » الأنعام : ١٥١) أي إلّا بسبب يسوغه .

وقال : « والبغي بغير الحق » الأعراف : ٣٣) أي بدون مسوّغ صحيح .

الحق: النصر والظفر .

قال الله تعالى : « و قلبوا لك الامور حتّى جاء الحق » التوبة : ٤٨) أي النصر والظفر .

الحق: الأمر الثابت الصحيح المطابق للواقع .

قال الله جلّ وعلا : « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » الأعراف : ١١٨) أى فظهر الأمر الثابت وهو معجزة موسى عليه السلام وصدقه في الرسالة .

وقال : « وانّ الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انّه الحق من ربهم » البقرة : ١٤٤) أي انّ تحويل القبلة هو الثابت الصحيح من ربهم .

وقال : « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » البقرة : ١٤٧) أي الأمر الثابت الصحيح المطابق للواقع الذي يتبع هو من عند ربك .

وقال : « يظنّون بالله غير الحق » آل عمران : ١٥٤) أي غير الثابت له وهو مالا يتصف به .

الحق: أمر النبّي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الرسالة وما اتى به من القرآن المجيد .

قال الله تعالى: « ويحقّ الحق بكلماته » الشورى : ٢٤) أي يؤيد ماجاء به

الرسول ﷺ .

وقال : « وإذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » المائدة : ٨٣) .

وقال : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق و أنتم تعلمون » آل عمران : ٧١) .

الحق: الجزاء العدل الّذي يستحقه الناس بأعمالهم و عقائدهم و أقوالهم خيراً و شراً .

قال الله سبحانه : « فأخذتهم الصيحة بالحق » المؤمنون : ٤١) أي بالجزاء العدل الّذي يستحقونه .

وقال: « يومئذ يوفّيهم الله دينهم الحق » النور : ٢٥) أي جزاءهم العادل .

الحق: الموت الّذي واقع لامحالة .

قال الله جلّ و علا : « وجاءت سكرة الموت بالحق » ق : ١٩) أي جاءت السكرة الّتي تدلّ الإنسان على أنّه ميّت بالحق أي بالموت الّذي خلق له ونطقت به كتب الله و رسله عليهم السلام .

الحق: البعث الّذي يقع لامحالة .

قال الله عزّ وجلّ : « يوم يسمعون الصيحة بالحق » ق : ٤٢) أي بالأمر الثابت الواقع وهو البعث .

وقال: « ذلك اليوم الحق » النبأ : ٣٩) .

الحقيقة: ما يصير إليه حقّ الأمر و وجوبه ، وبلغ حقيقة الأمر أي يقين شأنه ، وحقيقة الشيء : منتهاه وأصله المشتمل عليه ومنه الحديث : « لايبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتّى لايعيب مسلماً بعيب هو فيه » يعني خالص الايمان ومحضه و كنهه ، وحقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه و منعه ويحقّ عليه الدفاع عنه من أهل بيته ، والحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه ، يقال: هو حامي الحقيقة ،

وهومن حماة الحقائق أى يحمى ما لزمه الدفاع عنه . والعرب تقول: فلان يسوق الوسيقة ، وينسل الوديعة ، ويحمي الحقيقة . أمّا الوسيقة فهي الطريدة من الإبل سمّيت وسيقة لأن طاردها يسقها إذا ساقها أى يقبضها ، وأمّا الوديعة فهي شدّة الحر ، و أمّا الحقيقة فهي ما يحقّ عليه أن يحميه .

الحقيقة: الراية ، ومنه: أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر أي رايته ، والحقيقة : الحرمة ، والحقيقة : الفناء . والحقيقة في اللغة : ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه والمجاز ماكان يضدّ ذلك ، فالمجاز : ضدالحقيقة ، وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة : وهي الإتساع والتوكيد والتشبيه ، فانّ عدم هذه الأوصاف كان الحقيقة ألبتّة . وجمعها : الحقائق ، وحقائق الشيء : ما حق وثبت والحقيقة في إصطلاح العلماء : ما قابل المجاز وهي فعيلة من الحق الثابت المقابل للباطل أو المثبت لأنّ فعيلاً تارة يكون بمعنى فاعل كعليم و قدير و تارة اخرى بمعنى مفعول كجريح وقتيل ، والتاء في الحقيقة للنقل من الوصفية إلى الإسميّة المحضة كما في العلّامة لا للتأنيث ، ولذا لايقال: شاة أكيلة ولانطيحة ، والحقيقة لغوية وعرفية ، وفي ثبوت الشرعية خلاف ، وفي حديث الأخذ بالكتاب والسنّة : «انّ على كل حقّ حقيقة وعلى كل صواب نوراً » أى انّ كل واقعة ورد فيها حكم من الله تعالى نصب عليها دليلاً يدلّ عليها و حق ـ مجهولاً ـ له : ثبت له .

قال الله تعالى: « و أذنت لربّها وحقّت » الانشقاق : ٢) أى وكان حقاً ثابتاً أن تنقاد وحقّ لها أن تسمع فانّها مخلوقة لله عزّ وجلّ .

وحقّت الناقة : سمنت وحقّت القيامة : أحاطت بالخلائق فهي حاقّة وحقّت الحاجة : نزلت و اشتدّت فهي حاقّة أيضاً ، و حقّت الإبل : طعنت في الرابعة ، أحقّت البكرة : طعنت في السنة الرابعة .

الحاق اسم فاعل - : الوسط ، يقال : سقط فلان غلى حاقّ رأسه : وسط رأسه ، و جئته في حاقّ الشتاء : وسطه ، وأخذني حاقّ الجوع : صادقه ، و رجل

حاقّ الرجل وحاقّ الشجاع : كامل في الرجولية والشجاعة ، والحاقّة : القيامة .

قال الله تعالى : « الحاقّة ما الحاقّة و ما أدراك ما الحاقّة » الحاقة : ١-٣) وقد سمّيت القيامة بالحاقة لأنّها تحقّ كلّ إنسان من خير أو شرّ ، وفيها حواق الامور الثابتة الوقوع كالحساب والثواب والعقاب . و قيل : لأنّها تحاق الكفّار الّذين حاقّوا الأنبياء عليهم السلام يعني خاصموهم ، وقيل: الحاقّة: النازلة .

حقيق على كذا: حريص عليه ، وحقيق عليّ أي واجب عليّ .

قال الله عزّ وجلّ : « حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلّا الحق » الأعراف : ١٠٥) أي حريص على ذلك ، وفي قراءة : « حقيق عليّ » أى واجب عليّ ، والحقيق : الجدير والخليق ، يقال: هو حقيق به ، وحقيق أن يفعل أى جدير جمعه : أحقّاء ، ونبات الحقيق - مصغّراً - : نوع من التمر ، والمحقوق - إسم مفعول - : الخليق ، ومنه : أنت محقوق أن تفعله يقال : هو محقوق به أى خليق له . و حقّ به : جدير . والحقق - بضمّتين - : القريبو العهد بالامور : خيرها و شرها والحقق والمحقون لما ادّعوا أيضاً .

الحق - بالكسر - : مصدر ومن الإبل : إبن ثلاث سنين و دخل في الرابعة ، وسمّي بذلك لإستحقاقه أن يحمل عليه وينتفع به ، ويركب ، والانثى : حقة ، سمّيت لأنّها استحقت أن يطرقها الفحل ، و هي دون الجذعة بسنة ، والحق - بالكسر - أيضاً : الناقة سقطت أسنانها هرماً، والحقة - بالكسر - : الناقة الّتي تؤخذ في الصّدقة إذا جازت عدتها خمساً و أربعين ، وفي حديث الزكاة ذكر الحق والحقة - بالكسر فيهما - والجمع : حقق و حقائق ، والحق والحقة في حديث صدقات الإبل والديات : البعير إذا استكمل السنة الثالثة و دخل في الرابعة فهو حينئذ حق والانثى حقة .

والحقة - بالكسر - : الحقّ الواجب ، تقول : هذه حقّتي - بالكسر - وهذا حقّي - بالفتح - بمعنى واحد .

والحق ـ بالضم ـ : النقرة في رأس الكتف و بيت العنكبوت ، و رأس الورك الّذي فيه عظم الفخذ ، و رأس العضد الّذي فيه الوابلة ، والحق ـ بالضمّ ـ : الحجر في الأرض ، والأرض المستديرة والمطمئنّة ، يقال : زرع كل حق ولق أي كل مطمئنة ومرتفعة من الأرض، جمعه: حقاق ، وحق ـ بالضمّ ـ الطيب : وعاؤه ، والحقة ـ بالضمّ ـ : وعاء من خشب و قد تسوّى من العاج ، والحقة : الداهية لثبوتها، والمرأة ، وامّ حقة : إسم إمرأة ، جمعها: حق ـ بالضم ـ وحقق ـ بضمّتين ـ وحقاق ـ بالكسر ـ وأحقاق ، والحقى ـ بالضمّ ـ : نوع من التمر ، والحقة ـ بالكسر ـ : لقب امّ جرير الشاعر بن الخطفى .

الحقة ـ بالفتح ـ : الحق وهي أخصّ منه لدلالتها على حصّة معيّنة منه ، تقول: « هذه حقتي » أي حقّي المخصوص ، والحقة : حقيقة الأمر تقول : وقفت على حقة ذلك الأمر أي على حقيقته ، والحقة : النازلة الثابتة والداهية .

أحق الله تعالى الحق : أظهره و أثبته للناس ، و أحقّ الأمر : صيّره حقاً و يقال: أحققت الأمر إحقاقاً: إذا أحكمته وصحّحته وأحقّه : كان منه على يقين .

قال الله عزّ وجلّ : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » الأنفال: ٧) أي يظهره ويثبته ، وأحقّ القوم من الربيع إحقاقاً: إذا أسمنوا وقيل: سمنت مواشيهم . والمحق : ضدّ المبطل .

أحقّ : أفعل تفضيل بمعنى : أولى . قال الله جلّ وعلا : « ونحن أحق بالملك منه » البقرة : ٢٤٧) أي أولى. وأحق بمعنى: أصحاب الحق قال تعالى: « وبعولتهنّ أحقّ بردّهن في ذلك » البقرة : ٢٢٨) أي أصحاب الحق .

الأحق : الفرس الّذى يضع حافر رجله موضع يده وهو عيب ، والأحق من الخيل : الّذى لا يعرق .

و حقق الشيء تحقيقا ـ من باب التفعيل ـ : أوجبه وأكّده وأثبته ، وحقّق قوله و ظنّه : صدّقه ، ثوب محقّق عليه وشيء على صورة الحقق ، كما يقال :

برد مرجّل ، ومحكم النسج ، و كلام محقّق : محكم منظّم رصين .

حاقه في الامر محاقة و حقاقا - من بـاب المفاعلـة - : إدّعى أنّه أولى بالحق منه ، و خاصمه و رافعه ، و حاقّه : خاصمه ، و ادّعى كل واحد منهما الحق ، فاذا غلبه قيل : حقه . والحقاق : مصدر حاق ، ومنه حديث الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « إذا بلغن نصّ الحقاق فالعصبة أولى » أى إذا بلغن الغايـة الّتي قدرن فيها على الخصام ، حقاق العرفط : صغاره ومنه الحديث : « من وراء حقاق العرفط » أى صغارها وشوابها تشبيهاً بحقاق الإبل ، و انه لنزق الحقاق : مخاصم في صغار الامور ، والمحاق - بالفتح - من المال : الّتي لم تنتج في العـام المـاضي و لم تحلب .

احتق الفرس احتقاقاً - من باب الإفتعال - : ضمر ، و احتقّ القوم : قال كل منهم : الحق بيدي ، و منه الحديث : « فجاء رجلان يحتقّان في ولـد » أي يختصمان و يطلب كل منهما حقّه ، ولايقال للواحد كما لايقال : إختصم للواحد دون الآخر . وفي حديث إبن عبّاس في قرّاء القرآن الكريم : « متى ما تغلوا في القرآن تحتقّوا » يعني المراء في القرآن . و معنى تحتقّوا : تختصموا فيقـول كل واحد منهم : الحق بيدي ومعي . وفي حديث تأخير الصّلاة : « وتحتقّونها إلى شرق الموتى » أي تضيّقون وقتها إلى ذلك الوقت ، يقال : هو في حاقّ من كذا أي في ضيق .

المحتق من الطعن : النافذ إلى الجوف .

انحقت العقدة انحقاقاً - من باب الإنفعال - : إنشدّت .

تحقق الخبر تحققاً - من باب التفعّل - : صحّ وثبت ، وتحقّق زيد الأمر: تيقّنه وجعله ثابتاً لازماً ، وطعنة متحقّقة : لازيغ فيها وقد نفذت .

تحاقا تحاققاً - من بـاب التفاعل - : تخاصما و ترافعا ، و منه حديث الحضانة : « فجاء رجلان يتحاقّان في ولد » أي يختصمان و يطلب كل واحد منهما

حقه، و ماله فيه حق : أي خصومة، والتحاق : التخاصم . و في حديث وهب : « كان فيما كلّم الله أيوب عليه السلام : أتحاقّني بخطئك ؟ » .

استحق الشيء يستحقه استحقاقاً ـ من باب الإستفعال ـ : إستوجبه .

قال الله عزّ وجلّ : « فان عثر على أنّهما إستحقا إثماً » المائدة : ١٠٧) أي إستوجبا إثماً . واستحق الدين: حان أجله ، واستحق الرجل: أذنب ذنباً إستوجب به عقوبة .

إستحقّ فلان الأمر : إستوجبه ، ومنه: « إذا استحققت ولاية الله والسعادة إن كنت مستحقّهما و مستوجبهما بعمل صالح جاء الأجل بين العينين ، و ذهب الأمل ، وإذا استحققت ولاية الشيطان والشقاوة إن كنت مستحقاً لهما بعمل فاسد غير صالح جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر » .

إستحقّ عليه : وقع عليه .

قال الله تعالى: « فآخران يقومان مقامهما من الّذين إستحق عليهم الأوليان » المائدة : ١٠٧) أي فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الّذين وقع عليهم ضرر الشهادة وجنى عليهم بها وهما الأوليان الأحقّان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما .

و استحقّ المبيع على المشتري أى ملكه .

وفي الحديث : « لاتتعرّضوا للحقوق » أى لاتشغلوا ذممكم بحقوق النّاس ولا بحقوق الله ولكن إذا شغلتم ذممكم فاصبروا لها وتحمّلوا مشاقّها . والمراد بحقوق الناس: الضّمان والكفّارات وغير ذلك وحقوق الله كنذر و نحوه .

فى المفردات: أصل الحقّ : المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب في حقّه لدورانه على إستقامة ، والحق يقال على أوجه :

الاول : يقال لموجد الشّيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، و لهذا قيل في الله تعالى: هو الحق قال الله تعالى: « ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق » وقيل بعيد ذلك: « فذلكم الله ربكم الحق ـ فماذا بعد الحق إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون » .

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ، ولهذا يقال : فعل الله تعالى كلّه حق ، وقال تعالى: « هو الّذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ـ إلى قوله تعالى ـ ماخلق الله ذلك إلّا بالحق » .

والثالث: في الإعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا: إعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنّة والنار حقّ قال الله تعالى: « فهدى الله الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق » .

والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر مايجب ، وفي الوقت الّذي يجب كقولنا : فعلك حق وقولك: حق ، قال الله تعالى: « كذلك حقّت كلمة ربك ـ حقّ القول منّي لأملأن جهنّم » و قوله عزّ وجلّ : « و لو اتّبع الحق أهواءهم » يصحّ أن يكون المراد به الله تعالى، و يصحّ أن يراد به الحكم الّذي هو بحسب مقتضى الحكمة ، ويقال: أحققت كذا أي أثبتّه حقاً أو حكمت بكونه حقاً . وقوله تعالى: « ليحق الحق » فاحقاق الحق على ضربين : أحدهما ـ باظهار الأدلّة والآيات كما قال تعالى : « واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً » أي حجّة قوية . والثاني باكمال الشريعة وبثّها في الكافة كقوله تعالى : « والله متمّ نوره و لو كره الكافرون ـ هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كلّه » .

والحقيقة : تستعمل تارة في الشيء الّذي له ثبات و وجود كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لحارثة : « لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » أى ما الّذى ينبىء عن كون ما تدّعيه حقاً ، وفلان يحمى حقيقته أى ما يحق عليه أن يحمى ، وتارة تستعمل في الإعتقاد كما تقدّم وتارة في العمل وفي القول ، فيقال : فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرائياً فيه ، و لقوله حقيقة إذا لم يكن فيه مترخّصاً ومستزيداً و يستعمل في ضدّه المتجوّز والمتوسّع والمتفسّح ، و قيل : الدنيا باطل ، والآخرة حقيقة تنبيهاً على زوال هذه وبقاء تلك ، وأما في تعارف الفقهاء والمتكلّمين فهي اللفظ

المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة.

وفى النهاية: في أسماء الله تعالى: «الحق» هو الموجود حقيقة المتحقّق وجوده و إلهيّته، والحق: ضدّ الباطل.

ومنه الحديث: «ليلة الضيف حقّ، فمن أصبح بفنائه ضيف فهو عليه دين» جعلها حقاً من طريق المعروف والمروءة و لم يزل قرى الضّيف من شيم الكرام ومنع القرى مذموم. و فيه: «ليس للنساء أن يحققن الطريق» هو أن يركبن حقّها - بضمّ الحاء - وهو وسطها، يقال: سقط على حاقّ القفا وحقّه. وفي حديث حذيفة: «ما حق القول على بني إسرائيل حتّى استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء» أى وجب ولزم. وفي حديث عمرو بن العاص: «قال لمعاوية: لقد تلافيت أمرك وهو أشدّ إنفضاجاً من حقّ الكهول» حق - بالضم - الكهول: بيت العنكبوت وهو جمع حقة - بالضم -: أى أمرك ضعيف.

وفى المصباح: هو أحق من فلان يستعمل بمعنيين: أحدهما - إختصاصه بذلك من غير مشاركة نحو زيد أحق بماله أى لا حقّ لغيره فيه. والثاني: أن يكون أفعل التفضيل فيقتضى إشتراكه مع غيره وترجيحه على غيره كقولهم: زيد أحسن وجهاً من فلان ومعناه: ثبوت الحسن لهما وترجيحه للأوّل.

وفى القاموس وشرحه: الحق: من أسماء الله تعالى أو من صفاته، والحق: القرآن والحق: أمر النّبيّ ﷺ وماجاء به القرآن، والحق: خلاف الباطل، والحق: الأمر المقضي، والحق: العدل، والحق: الإسلام، والحق: المال، والحق: الملك، والحق: الموجود الثابت الّذى لا يسوّغ إنكاره، والحق: الصّدق في الحديث، والحق: الموت، والحق: الحزم، والحق: أصل رأس الورك الّذى فيه عظم رأس الفخذ وقيل هو: رأس العضد الّذى فيه الوابلة، والأرض المستديرة أو هي المطمئنة.

وفى شرح العقائد: الحق عرفاً: الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال

والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار إشتمالها على ذلك و يقابل الباطل ، و أمّا الصّدق فشاع في الأقوال فقط ، ويقابله الكذب وفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع ، وفي الصّدق من جانب الحكم ، فمتى صدق الحكم صدق مطابقته للواقع ، ومعنى حقيقته حقية مطابقة الواقع إيّاه ، وانّ ما به الشيء هو هو باعتبار حقيقته حقيقة ، و باعتبار تشخّصه هويّة ، ومع قطع النظر عن ذلك ماهية .

٥ - الصبر - ٨٣٥

صبر يصبر صبراً ـ من بـاب ضرب ـ : حبس . والصبر في اللغـة : الحبس والكفّ في ضيق ، وصبر الرجل على الأمر صبراً : نقيض جزع أى جروء و شجع وتجلّد ، فهو صابر وصبر عن الشّيء : أمسك ، وصبر الدابة : حبسها بلاعلف ، و صبر فلاناً : أكرهه وألزمه حلفه صبراً أو قتله صبراً ، وصبر فلاناً يمين الصبر : لزمته ، وصبر فلان يمين فلان : حلّفه بالله جهد القسم ، و صبر فلاناً عن الأمر : حبسه عنه ، وصبر الإنسان وغيره على القتل : حبسه و رماه حتّى يموت ، وتقول : صبرت نفسي على كذا : حبستها ، و تقول : « صبرت على ما اكره و صبرت عما احبّ » .

وفي الحديث : «انه نهى عن قتل شيء من الدواب صبراً» هو أن يمسك شيء من ذوات الروح حيا ثم يرمى بشيء حتّى يموت، يقال للرجل إذا شدّت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتّى يضرب عنقه أو حبس حتّى يقتل : قتل صبراً ، و كذا إذا حبس على اليمين حتّى يحلف يقال : «حلف صبراً» و كل ذى روح يصبر حياً ثم يرمى حتّى يقتل فقد قتل صبراً .

و في الحديث : « انّ رجلاً إستحلف رجلاً من أهل الكتاب بيمين صبر »

يمين الصبر هي الّتي يمسك الحكم عليها حتّى يحلف، ولو حلف بغير إحلاف لم يكن صبراً، وإن شئت قلت: يمين الصبر الّتي يصبر فيها أي يحبس فيصير ملزوماً باليمين، ولا يوجد ذلك إلّا بعد التداعي.

الصبر ـ في الأصل ـ: الحبس المادّي ومنه استعمل في المعنوي من حبس النفس على كذا أو حبسها عن كذا، والصبر: ضدّ الدعة والطلاقة في الأصل، و ضدّ الجزع في العرف، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، و الصبر: حبس النفس عما يقتضي العقل والشرع منعها منه، وحبس النفس: ضبطها وهذا معنى عام ينتظم الكثير من الفضائل، وتختلف أسماؤها باختلاف موقعه، و اكتفى بالصبر في حبس النفس على ألم مصيبة، ويسمّى حبسها على مكاره الحرب شجاعة وحبسها على المضجر رحابة صدر، وحبسها عن الكلام كتماناً، ويشمل الصبر ذلك كلّه إطلاقاً، ولعلّ القرآن الكريم قد سمّى كل أنواع الحبس صبراً وتنبيه على ذلك بقوله عزّ وجل: «وتواصوا بالصبر» العصر: ٣) وقوله: «والصابرين في البأساء و الضرّاء وحين البأس» البقرة: ١٧٧).

الصبر: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى لا إلى الله عزّ وجل فاذا دعا الله العبد في كشف الضرّ عنه لا يقدح في صبره.

الصبر: حبس النفس على المكروه إمتثالاً لأمر الله تعالى وهو من أفضل الأعمال حتّى قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الايمان شطران: شطر صبر وشطر شكر».

في الكافي: عن الصّادق عليه السلام: «نحن صبّر وشيعتنا أصبر منّا وذلك انا صبرنا على ما نعلم وصبروا على ما لا يعلمون».

الصبر صبران: صبر عما تهوى وصبر على ما تكره.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عما تحبّ» فالصّبر الأوّل مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها و ثباتها و عدم إنفعالها، وقد يسمّى

سعة الصّدر وهو داخل تحت الشجاعة، والصبر الثاني مقاومة النفس لقوّتها الشهويّة وهو فضيلة داخلة تحت العفّة.

و انّ الصبر تارة يستعمل بعن كما في المعاصي وتارة بعلى كما في الطاعات يقال: صبر على الصّلاة ، والصّبر الّذي يصبر في الضّراء كما يصبر في السراء و في الفاقة كما يصبر في الغناء وفي البلاء كما يصبر في العافية، ولا يشكو خالقه عند المخلوق بما يصيبه من البلاء.

قال الله تعالى: «والصابرين على ما أصابهم» الحج: ٣٥).

وفي الخبر: «يأتي زمان الصّابر على دينه كالصّابر على الجمر».

شهر الصبر: شهر الصوم ، وسمّي الصّوم صبراً لكونه كالنّوع له وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صيام شهر الصبر وثلاثة أيّام في كل شهر يذهب وحر الصدر » وفي حديث الصّوم: « صم شهر الصّبر» وهو شهر رمضان ، و سمّي صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح وما إليها من مفطرات الصّوم... وسمّيت الصلاة صبراً فقال عزّ وجل: «فاعبده واصطبر لعبادته» مريم: ٦٥) أي تحمّل الصّبر بجهدك.

وقال: « وامر أهلك بالصّلاة و اصطبر عليها» طه: ١٣٢) أي احمل نفسك على الصّلاة و مشاقّها و إن نازعتك الطبيعة الّتي تركها طلباً للراحة فاقهرها و اقصد الصّلاة مبالغاً فى الصّبر ليصير ذلك ملكة لك ، و لذلك عدل عن الصّبر إلى الاصطبار لأنّ الافتعال فيه زيادة معنى ليس في الثلاثي وهو القصد والتصرف، و سمّي الجهاد صبراً لما فيه من مخالفة الهواء وتحمّل المشقّات ، وغيرها من الأوامر ... كما سمّي حبس النفس عما يقتضي العقل و الشرع منعها منه من النواهي صبراً.

ويكثر حذف مفعوله للدّلالة على أنّه صار كالطبع في الفاعل، ولم يجيء في القرآن الكريم مع مفعول إلّا في قوله عزّ وجل : « و اصبر نفسك مع الذين

يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ» الكهف: ٢٨) اي احبس نفسك معهم ولاترغب عنهم إلى غيرهم.

ومنه الحديث في رجل أمسك رجلاً فقتله آخر قال: «اقتلوا القاتل واصبروا الصابر» أي احبسوا الّذى حبسه للموت حتّى يموت كفعله به، و كل من قتل في غير معركة ولاحرب ولاخطأ فانّه مقتول صبراً. وفي الحديث: «نهى عن المصبورة و نهي عن صبر ذي الروح».

صبر به يصبر صبراً وصبارة ـ من باب نصر ـ: كفل به فهو صبير وصبر فلاناً: أعطاه كفيلاً، وتقول: «إصبرني» بصيغة الأمر أي أعطني كفيلاً، والصبير: الصابر فعيل ـ بمعنى فاعل، والصّبير: مقدّم القوم في امورهم، والصبير: الجبل، جمعه: صبراء ـ كعلماء ـ وفي الحديث: «من أسلف سلفاً فلا يأخذن رهناً ولا صبيراً» أي كفيلاً، والصّبير: السحابة البيضاء أو الكثيفة الّتي فوق السحابة، و قيل: السحاب الأبيض الّذي يصبر بعضه فوق بعض درجاً، وقيل: القطعة الواقفة منه، جمعها: صبر ـ بضمّتين ـ والصّبير: الرّقاقة العريضة تبسط تحت مايؤكل من الطعام، و قيل: رقاقة يغرف عليها طعام العرس، والصبيرة: الصّبير للرقاقة المذكورة.

أبو صبيرة ـ مصغّراً ـ: طائر أحمر البطن، أسود الظهر والرأس والذّنب. و الصبرة: الطعام المجتمع كالكومة، وجمعها: صبر.

و في الحديث: «انه مرّ في السوق على صبرة طعام فادخل يده فيها» والأصبرة ـ كالأمثلة ـ: من الغنم و الابل: الّتي تروح و تغدو ولا تعزب و لا واحد لها.

الصبر ـ بالكسر والضمّ ـ: ناحية الشّيء وحرفه وغلظه، وقيل: هو قلب البصر و السحابة البيضاء جمعه: أصبار، يقال: ملا الكأس إلى أصبارها أي إلى رأسها و يقال: أخذه بأصباره أي تامّاً بأجمعه، وإذا لقى الرجل الشدّة بكمالها قيل: لقاها

بأصبارها. والصبر -بالضم فسكون -: الأعلى، وصبر كل شيء: أعلاه وفي حديث إبن مسعود: «سدرة المنتهى صبر الجنّة» أي أعلى نواحيها.

الصبر -بالضم فسكون- و -بضمتين -: الأرض ذات الحصباء، وليست بغليظة ومنه قيل للحرّة: ام صبّار، والصبر - محرّكة -: الحمد جمعه أيضاً: أصبار و الصبر- بفتح الصاد و كسر الباء -: عصارة شجرة مرّ جمعه: صبور الواحدة: صبرة ولا تسكن باؤه إلّا في ضرورة الشعر كقوله: صبرت على شيء أمرّ من الصبر، والصبرة -بالفتح والسكون -: المرّة وشدّة البرد وماتلبّد في الحوض من البول والسرقين والبعر، وصبرة الشتاء: وسطه.

الصبرة -بالضم فسكون -: ماجمع من الطعام بلا كيل ولاوزن يقال: أخذه صبرة أي جملة بلاوزن ولا كيل، وهي منصوبة على الحال على تأويل مجموعة أو على أنها فعلة بمعنى مفعولة، فلم يحتج إلى التأويل، والصبرة: الطعام المنخول، و الحجارة الغليظة المجتمعة جمعها: صبار- بكسر الصّاد- والصبار -بالكسر- أيضاً: السّداد وحمل شجرة حامضة و - بالضمّ وتشديد الباء -: التمر الهندي الحامض الذي يتداوى به ، والصبارة : الكفالة والحجارة ، ويثلّث ، وقطعة من حديد أو حجارة وشدّة البرد- وبالضم -: الحجارة، وقيل: الحجارة الملس.

الصبارّة -بتشديد الراء -: شدّة البرد، والصبر-بضمتين-: نبات معروف و ثمرة الواحدة. وفي حديث الامام علي عليه السلام: «قلتم هذه صبارّة القر»: شدّة البرد و قوته كحمارّة القيظ.

أبوصابر: كنية الملح، والصّابورة: مايوضع في بطن المركب من الثقل ولا يميل على جانبيه.

الصبور : الصّابر فعول بمعنى فاعل ، والمعتاد الصبر القويّ عليه، جمعه: صبر - بضمّتين - والصبور : الحليم الّذي لا يعاجل العصاة بالنقمة مع القدرة عليهم بل يعفو أو يؤخّر الإنتقام وهو من الأسماء الحسنى لاستغنائه تعالى عن

التسرّع وهو قريب من معنى الحليم إلّا انّ الحليم مشعر بسلامة المذنب عن العقوبة ولا كذلك الصبور. والصّبور يستعمل للذكر والانثى بغير هاء، ومنه: لو حبس رجل نفسه على شيء يريده قال: صبرت نفسي. والصبورة من الرجال: المصبور أي المحبوس للقتل.

الصبار للمبالغة: عند تكلّف الحبس والمجاهدة، الشديد الصبر يقال فيمن كان فيه ضرب من التكلّف والمجاهدة.

قال الله تعالى: «انّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور» لقمان: ٣١).

امّ صبّار: الحرّة تقول: سلكوا امّ صبار والداهية، يقال: وقعوا في امّ صبّار وام صبّور أي في الداهية والحرب الشديد، والصبّارة: الأرض الغليظة المشرفة لا نبت فيها، ولا تنبت شيئاً، امّ صبّار: امّ صبّور.

أصبر فلاناً يصبره إصباراً - من باب الإفعال -: أمره بالصّبر وجعل له صبراً و أصبر الرجل: أكل الصبيرة ووقع في ام صبّور أي الداهية.

قال الله تعالى: «فما أصبرهم على النار» البقرة: ١٧٥) على معنى ما أجرأهم، والجرأة صبر، وقيل: أى ما أبقاهم على النار أى يطول بقاؤهم عليها بذنوبهم طولاً يحتاج إلى الصبر وقد يفهم من التعبير ما أحوجهم إلى الصبر على النار لطول معاناتهم حرّها، و لعلّه أقرب من تفسير ما أصبرهم بما أبقاهم، والإنتظار من الحبس، ولذا يعبّر عنه بالصّبر لما كان حق الإنتظار أن لا ينفك عن الصبر بل هو نوع من الصّبر كقوله عزّ وجل: «فاصبر لحكم ربك» الطور: ٤٨) أى إنتظر حكمه تعالى لك على الكافرين.

وقيل: ذلك لغة بمعنى الجرأة كقولك لخصمك: ما أصبرك على الله و هذا تصوّر مجاز بصورة حقيقة لأنّ ذلك معناه: ما أصبرك على عذاب الله في تقديرك إذا اجترأت على إرتكاب ذلك، وإلى هذا يعود قول من قال: ما أبقاهم على النار وقول من قال: ما أعملهم بعمل أهل النار وذلك انّه قد يوصف بالصبر من لا

صبر له في الحقيقة إعتباراً بحال الناظر إليــه، وإستعمال التعجّب في مثله إعتبار بالخلق لا بالخالق.

وأصبر الرجل: جلس على الصبير أى الجبل، وشدّ رأس الحوجلة أى القارورة بالصبار، وأصبر اللبن: إشتدّت حموضته إلى المرارة، وأصبر الشيء: صار مرّاً كالصبر وأصبر القاضي فلاناً: إقتصّه من خصمه.

صبّره تصبيراً ـ من باب التفعيل ـ: أمره بالصبر وصبّر فلاناً: طلب منه أن يصبر وصبّر الطعام: جعله صبرة، وصبّر الميّت: جعل الصبر على بطنه لئلاّ تسرع النتانة إليه لم أرها لأحد و لكن القياس لا يأباها، وصبّرته: حملته على الصبر بوعد الاجر، وقلت له: إصبر، والممقّر و المصبّر: الشديدة الحموضة إلى المرارة.

صابره يصابره مصابرة ـ من باب المفاعلة ـ: مطاولة المرء غيره في الصبر أى غالبه في الصبر.

قال الله عزّ وجل: «اصبروا و صابروا و رابطوا» آل عمران: ٢٠٠) أى غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب. وقيل: أى إحبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم. وفي الحديث: «إصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب و رابطوا على الأئمة عليهم السلام».

إصطبر يصطبر إصطباراً ـ من باب الافتعال ـ: يفيد زيادة التحمّل، واصطبر عليه واصّبر تصبّر رمنه: إقتصّ من معنى القصاص، وتصبّر الرجل: تكلّف الصبر و عليه: صبر استبصر الشيء: إستكشف وتراكم واشتدّ و إصبارّ عليه إصبراراً: صبر.

وبالجملة: يراد من الصبر حبس النفس على سبيل الاطلاق مالم يتعدّ بحرف جرّ أو لم يذكر مفعوله، وإذا تعدّى بحرف: «على» أو «اللام» أو «الباء» أو «عن» أو «في» أو ذكر مفعوله، فيتقيّد بمدخول الحرف أو بالمفعول.

قال الله تعالى: «وتواصوا بالصبر» العصر: ٣).

وقال: «اصبروا ان الله مع الصابرين» الأنفال: ٤٦).

وقال: «واصبر على ما أصابك» لقمان: ١٧).

وقال: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» الطور: ٤٨).

وقال: «واصبر وما صبرك إلا بالله» النحل: ١٢٧).

وقال: «والصابرين في البأساء والضرّاء» البقرة: ١٧٧).

وقال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ» الكهف: ٢٨).

في المفردات: الصبر: الامساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة: حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً: خلفته خلفة لا خروج له منها، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فالصّبر لفظ عام، وربّما خولف بين أسماءه بحسب إختلاف مواقعه، فان كان حبس النفس لمصيبة سمّي صبراً لاغير ويضادّه الجزع، وإن كان في محاربة سمّي شجاعاً ويضادّه الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصدر ويضادّه الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمّي كتماناً، ويضادّه المذل وقد سمّي الله تعالى كل ذلك صبراً ونبّه عليه بقوله: «والصّابرين في البأساء والضرّاء - والصّابرين على ما أصابهم و الصابرين والصابرات».

وفي النهاية: في أسماء الله تعالى: «الصبور» هو الذى لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم والفرق بينهما: انّ المذنب لايأ من العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم ومنه الحديث: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عزّوجل» أى أشدّ حلماً عن فاعل ذلك و ترك المعاقبة عليه.

وفي الكليات: الصبر في المصيبة، وأمّا في المحاربة فشجاعة، وفي إمساك النفس عن الفضول أى عن طلب مايفضل عن قوام المعيشة فقناعة وعفّة وفي إمساك

كلام الضمير كتمان، فاختلاف الأسامي باختلاف المواقع.

و فى المجمع : الصبر : حبس النفس عن إظهار الجزع ، و عن بعض الأعلام : الصبر: حبس النفس عن المكروه إمتثالاً لأمر الله تعالى و هومن أفضل الأعمال .

ويمين الصبر هي التي يمسك الحكم عليها حتّى يحلف ، ولو حلف بغير إحلاف لم يكن صبراً، بل يحبس فيصير ملزوماً باليمين ولا يوجد ذلك إلّا بعد التداعي. وفي الحديث: «يحرم من الذبيحة المصبورة» وهي المجروحة تحبس حتّى تموت، و الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

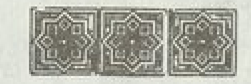
وفى اللسان : الصبر: نصب الانسان للقتل فهو مصبور وصبر الرجل يصبره: لزمه . قال أبوعمرو: سئلت الحليحي عن الصبر فقال : ثلاثة أنواع: الصبر على طاعة الجبّار والصبر على معاصي الجبّار و الصبر على الصبر على طاعته و ترك معصيته .

وقوله تعالى: «واستعينوا بالصبر» أى بالثبات على ما أنتم عليه من الايمان. وصبره: أوثقه، و في حديث عمّار حين ضربه عثمان فلمّا عوتب في ضربه إيّاه قال: هذه يدى لعمّار فليصطبر أى فليقتص. يقال: صبر فلان فلاناً لولي فلان أى حبسه، وأصبره: أقصّه منه فاصطبر أى إقتص. والصبر - بالضم -: قبيلة من غسّان، وصبير: إسم جبل باليمن.

وفى القاموس وشرحه: فالصبر: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش، وقال ذوالنون: الصبر: التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرّع غصص البليّات وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحات المعيشة، وقيل: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: هو الفناء في البلوى بلاظهور شكوى وقيل: إلزام النفس الهجوم على المكاره. وقال عمرو بن عثمان: هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والسعة، وقال الخواص: هو الثبات

على أحكام الكتاب و السنّة، وقيل: الصبر أن ترضى بتلف نفسك في رضا من تحبّه، وقال الجريري: الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة وحال المحنة مع سكون الخاطر فيهما.

وقيل: مراتب الصبر خمسة: صابر ومصطبر ومتصبّر وصبور وصبّار فالصابر أعمّها، والمصطبر: المكتسب للصبر المبتلى به، والمتصبّر: متكلّف الصبر حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر الّذى صبره أشدّ من صبر غيره والصبّار: الشديد الصبر فهذا في القدر والكمّ والّذي قبله في الوصف والكيف.



﴿النحو﴾

١- (والعصر)

الواوللقسم و «العصر» مجرور بواو القسم على تقدير: اقسم بالعصر.

٢- (ان الانسان لفى خسر)

« إنّ » حرف تأكيد ، و « الإنسان » منصوب بحرف التأكيد واللام في « لفي خسر » للتأكيد و الجار و المجرور متعلّق بمحذوف ، و هو الخبر لحرف التأكيد و الجملة جواب للقسم ، و المراد بالإنسان الجنس لمكان الإستثناء التالي.

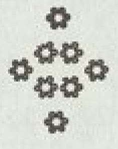
٣- (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر)

«إلّا» حرف إستثناء و«الذين» فيموضع نصب على الإستثناء من «الإنسان» لأنّه بمعنى الجمع حيث اريدبه الجنس، وانّ الإنسان لفظ يقع للذكر والانثى من بني آدم، و «آمنوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الإفعال ، صلة الموصول، والواو للعطف، و «عملوا» فعل ماض لجمع المذكر المغائب عطف على «آمنوا» و«الصّالحات» جمع الصالحة نصبت على المفعولية.

« و تواصوا » الواو للعطف ، و « تواصوا » فعل ماض لجمع المذكّر الغائب من باب التفاعل أصله : تواصيوا فتحرّكت الياء و انفتح ما قبلها ،

فانقلبت ألفـاً فاجتمع ساكنان : الألف و الواو بعدهـا فحذفت الألف لالتقـاء السـاكنين ، فتواصوا على وزن تفاعوا على حـذف اللام ، و « بالحـق » متعلق بـ« تواصوا » .

« وتواصوا » الواو للعطف ، و «تواصوا» عطف على «تواصوا » و «بالصبر» متعلّق بـ«تواصوا» ،



﴿البيان﴾

١ـ (والعصر)

في القسم من تفخيم المقسم به مالا يخفى على الأديب الأريب لفضله الباهر سواء كان المراد به صلاة العصر لشرفها و فضلها على غيرها على أنّها هي الصّلاة الوسطى الّتي هي أفضل الفرائض اليومية أم كان المراد به وقت العصر وهو الطرف الأخير من النهار أقسم الله جل وعلا به تنويهاً بشأن هذا الوقت من الزمن الّذي تبدأ فيه الأحياء تجمع نفسها، وتعود إلى مأواها بما حصلت وجمعت في سعيها في الحياة... وانّه لجدير بالعاقل أن يحاسب نفسه على ما عمل في يومه هذا، وما حصل فيه من خير واقترف فيه من إثم، انّه وقت محاسبة ومراجعة ومراجعـة لأعمال اليوم و تصحيح للاخطاء الّتي وقع فيها، فلا يستأنفها في غده.

أقسم الله تعالى به لفضله على سائر الأوقات، ولما فيه من الدلالة على وحدانية الله جلّ و علا باد بار النهار وإقبال الليل و ذهـاب سلطان الشمس كمـا أقسم بالفجر والضحى وهما طرفا الأول من النهار لما فيهما من حدوث اليوم و سلطان الشمس وإقبال النهار ولأنّ آخر النهار يشبه تخريب العالم وإماتة الأحياء كمـا أنّ أوّل النهار يشبه بعث الأموات و عمارة العالم، فعند ذلك إقامة الأسواق و نصب الموازين و وضع المعاملات فيـه، و أهل الملّتين كانوا يعظّمون هذين الوقتين.

وفيه إشارة إلى أنّ العمر الدنيا مابقي إلّا بقـدر ما بين العصر إلى المغرب،

فعلى الانسان أن يشتغل بتجارة لا خسران فيها، فانّ الوقت قد ضاق وقد لايمكن تدارك مافات، أم كان المراد به الدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارّة والمارّة الدالة على القدرة الربوبية، على تدبير خالقها وحكمة صانعها من تغاير الملل و تبديل الدول، ووقوع الأفعال والحوادث، ومن التنبيه بتصرف الأحوال الكليّة والجزئية، بل نفس الدهر من أعجب الأشياء لأنّه موجود يشبه المعدوم ومتحرّك يضاهي الساكن.

وأرى الزمان سفينة تجري بنا نحو المنون ولا ترى حركاته

وفي الإقسام به إشارة إلى أنّ الانسان يضيف المكاره والنوائب إليه ويحيل شقاوه وخسرانه عليه، فاقسام الله تعالى به دليل على شرفه وانّ الشقاء والخسران إنّما من سوء اختيار الانسان لامن جانب الدّهر، وأقسم بما فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار.

ولايخفى على الأديب الأريب من الفرق مابين الدهر والعصر: ان الدهر: جمع أوقات متوالية مختلفة كانت أو غير مختلفة، و لهذا يقال: الشتاء مدّة ولا يقال: دهر لتساوي أوقاته في برد الهواء وغير ذلك من صفاته، ويقال للسنين: دهر لأنّ أوقاتها مختلفة في الحرّ والبرد وغير ذلك، وأيضاً من المدّة ما يكون أطول من الدهر ألا تراهم يقولون: هذه الدنيا دهور ولا يقال: الدنيا مدّة، والمدّة و الأجل متقاربان فكما أنّ من الأجل ما يكون دهوراً فكذلك المدّة، و أمّا العصر فلكل مختلفين معناهما واحد مثل الشتاء والصيف والليلة واليوم والغداة و السحر يقال لذلك كله: العصر، و قال المبرّد في تأويل قوله عزّ وجل: «و العصر إنّ الانسان لفي خسر» قال: العصر هيهنا الوقت قال: و يقولون: أهل هذا العصر كما يقولون: أهل هذا الزمان، و العصر: إسم للسنين الكثيرة قال الشاعر:

أصبح منّي الشباب قد نكرا إن بان منّي فقد ثوى عصرا

وتقول: عاصرت فلاناً أي كنت في عصره أي في زمانه.

أو كان المراد بالعصر عصر بزوغ الرسالة المحمّدية لظهور فضله على سائر الأعصار أو بزمانه الّذى هو عصر نهار الدنيا تشريفاً له ﷺ وتوبيخاً لمن لم يوقره حق توقير، أو كان المراد به عصر ظهور المهدى الحجّة بن الحسن العسكري ﷺ لظهور الحق و زهاق الباطل.

٢- (ان الانسان لفى خسر)

جواب للقسم وفيه تأكيدات ومبالغات خمس مستفادة من «إنّ» واللام في «لفي» وحرف «في» تدلّ على أنّه غريق الخسر وتنكير «خسر» و ايثار الجواب بالجملة الاسميّة، فكأنّه أثبت له جهات الخسر كلّها، والأعظم حرمانه عن جناب ربّه عزّ وجل، وفيه إشعار بأنّ الانسان الخاسر هوالّذى لا يغتنم فرصة الوقت، ولا يبادر إلى عمل ينتفع به قبل فوات الأوان، وأنّه لم يعرف قدره و لم يرتفع بانسانيّته إلى المقام الّذى أحلّه الله عزّ وجل، و قد خلق الله تعالى الانسان في أحسن تقويم، ولكن الانسان لم يلتفت إلى هذا الخلق و لم يقدره قدره، ولم يأخذ الطريق الّذي يدعو إليه العقل، بل إنقاد لشهواته، وإستخفّ بانسانيته وتحول إلى عالم البهيمية يأكل ويتمتّع كما تأكل الأنعام ... ذلك هو شأن الانسان في معظم أفراده و أحواله .. وقليل هم اولئك الّذين عرفوا قدر إنسانيتهم و ما أودع الله جلّ وعلا فيهم من قوى قادرة على أن ترتفع بهم إلى الملأ الأعلى، لو أنّهم أحسنوا إستعمالها وهؤلاء هم الّذين إستثناهم الله تعالى بقوله: «إلّا الّذين آمنوا...»

اريد بالانسان جنسه لمكان الاستثناء فانّ صحّة الاستثناء من جملة أدلّة العموم والاستغراق، وفي تنكير «خسر» وجوه: أحدها- للتعظيم. ثانيها- للتنويع أي هو في نوع من الخسر غير الخسارات المالية و الجاهية. ثالثها- للشمول فانّ النكرة في سياق النفي سواء كان لفظاً أم معنى تفيد العموم.

فالمعنى: ان كل من لم يكن له الايمان ولم يلتزم بلوازمه فهو محاط بالخسران والضلال لعدم مقاومته عند الشهوة والهوى فينجذب بسرعة وينهمك في الطغيان، فيغرق في العصيان

أمّا في الحياة الدنيا فقال الله تعالى: «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً» طه: ١٢٤) وأمّا في الآخرة فقال عز وجل: «الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزمر: ١٥).

وقيل: في تأكيد جواب القسم بالتأكيدين: ان واللام - إشعار على تثبيت الخسران المطلق على من بقى من المستثنى منه غير الموصوف بالايمان و ملازماته . . .

٣ - (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر)

إستثناء من جنس الانسان الواقع في الخسر والمستثنون هم الأفراد المتلبّسون بالايمان والأعمال الصّالحة فهم آمنون من الخسر.

ان تسئل : ان هذا الاستثناء لا يدل على أن المؤمنين الموصوفين في ربح مع أن الاستثناء إنّما سيق لمدحهم بمضادة حالهم لحال من لم يتناوله الاستثناء ؟.

تجيب : ان الاستثناء وإن لم يدل بصريحه على أنّهم في أعظم ربح، ولكن اتصافهم بتلك الصفات الاربع الشريفة يدل على أنهم في اعظم ربح مع أنّا لو قدرنا أنّهم ليسوا في ربح فالمضادة حاصلة أيضاً لأنّهم ليسوا في خسر بمقتضى الاستثناء.

وذلك ان القرآن الكريم يبيّن أن للانسان حياة دائمة لا تنقطع بالموت، وإنّما الموت إنتقال من دار إلى دار، ويبيّن أن شطراً من هذه الحياة وهي الحياة الدنيا حياة إمتحانية تتعيّن بها صفة الشطر الأخير الذي هو الحياة الآخرة المؤبّدة من سعادة وشقاء.

قال الله عزّ وجل: «الذي خلق الموت والحياة ليبلو كم أيّكم أحسن عملاً» الملك: ٢).

وقال: «وانّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٦٤).

ويبيّن أنّ مقدميّة هذه الحياة لتلك الحياة إنّماهي بمظاهرها من الاعتقاد والعمل، فان كانا حقاً وصالحاً فهما ملاك السعادة الاخروية، وإن كانا باطلاً وفاسداً فهما ملاك الشقاء فيها.

قال الله تعالى: «فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها» الأنعام: ١٠٤).

وقال: «من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون» الروم: ٤٤).

وقد سمّى الله جلّ وعلا ماسيلقاه الانسان في الآخرة جزاء وأجراً إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً.

قال الله تعالى: «وأن ليس للانسان إلّا ماسعى وأنّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى» النجم: ٣٩-٤١).

وقال: «كل نفس ذائقة الموت وإنّما توفّون أُجوركم يوم القيامة» آل عمران: ١٨٥).

فيتبيّن بذلك كلّه انّ الحياة رأس مال للانسان يكسب به ما يعيش به في حياة الهنيئة الدنيوية والاخروية، فمن اتبع الحق في الاعتقاد والعمل فقد ربحت تجارته وبورك في مكسبه، وأمن الشرّ في حاله ومستقبله، ومن اتبع الباطل فيهما فقد خسرت تجارته، وحرم الخير والعيش الهنيء في دنياه وعقباه وهو قوله تعالى: «إنّ الانسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا وعمل الصالحات».

وفي تقديم الايمان على العمل الصّالح إشارة إلى إنبثاق العمل الصالح من الايمان، فالايمان هو الّذى يدفع صاحبه إلى الخير والصلاح ويزعه عن الشر و الفساد، وفي ربط الايمان بالعمل الصّالح إشارة إلى وجوب تلازمهما وإعتبار

العمل الصالح عنواناً أو مظهراً للايمان ، وهذا التلازم بين ذكر الايمان والعمل الصالح يلحظ في كثير من الآيات الشريفة مما يمكن أن يدل على قصد الإشارة إلى شدّة الإرتباط واللحمة والتوافق بينهما وتوكيدها .

و إذا لوحظ انّ الايمان شيء داخليّ أو ذاتيّ في أعماق النفس لايمكن أن يدل على نفسه بنفسه ، ولا يمكن أن يدلّ عليه إلاّ العمل الصّالح بأنّ لها وجه الحق في ذلك .

قال الله عزّ وجلّ : « إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّالحون » الحجرات : ١٥) و انّ الحكمة في هذا ظاهرة قوية .

فالايمان يمنح صاحبه طمأنينة و إستقرار نفس يجعلانه يصدر في أعماله و أهدافه عن يقين و قصد و تثبت و إندفاع و صبر و يتحمّل في سبيل ذلك ما قد يلاقيه من مصاعب وما تمسّ الحاجة إليه من تضحيات ، والايمان بالله عزّ وجلّ يجعل صاحبه يقبل على الخير والعمل الصّالح ، وينقبض عن الشر والاثم والسيّئات إبتغاء لوجه الله تعالى و إتقاء لغضبه و إكتساباً لرضاه و رضوانه دون أن يكون هناك حافز من منفعة عاجلة أو دون أن يكون ذلك مما لابدّ منه على الأقلّ .

أمّا العمل الّذي لا يصدر عن ايمان فانه يكون معرضاً في الأغلب للإنقطاع والتردّد والتأثر بالمؤثّرات والإعتبارات الشخصية والنفعية والظرفية ، و كثيراً ما ينصرف المرء عنه حينما يلقى المصاعب والمشاكل ، أو حينما يتطلب منه التضحيات أو حينما لا يكون من ورائه جلب خير أو دفع شرّ عاجل ، والعمل الصالح من الجهة الاخرى لايكون فيه حيوية و يقين و تثبّت و إستمرار إذا لم يكن منبثقاً من ايمان يجعله لازماً حيّاً قوياً بذاته ، وبصرف النظر عن أيّ إعتبار ويجعل صاحبه لاينصرف عنه مهما لاقى في سبيله من مصاعب ، و اقتضى منه من تضحية وعناء واستنفد من قوّة وجهد .

وتؤيد ذلك كله كلمة الموصول ، وايثار صيغ الماضي الأربع ، فلم يقل : « إلّا الذين يؤمنون و يعملون الصالحات و يتواصون . . . » و لا « إلّا المؤمنون والعاملون والمتواصون . . » أو « إلّا المؤمنين . . . » نصباً فتدبر جيداً واغتنم جداً .

وقد بيّن في هذه السورة ما يبتني عليه الكمال الانساني وهو أربعة أركان : الايمان بما يجب على الإنسان الايمان به ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، ولا يزحزحه عن الدعوة إليه ما يلاقوه من مشقة و بلاء ، فمن فقد شيئاً منها أو جميعها فليس بكامل في إنسانيته ، فخسرانه وإنحطاطه على قدر فقدانه شيئاً منها .

و لا يخفى انّ تعبير « الصّالحات » عام مطلق يتضمّن كل نوع من أنواع الخير والبر والمعروف تعبّدياً كان ام غير تعبّدي ، فعبادة الله وحده و إسلام النفس إليه ونبذ ماسواه عمل صالح والاحسان والبر بالمحتاجين والرحمة والرأفة بالضعفاء عمل صالح ، والجهاد في سبيل الله جلّ و علا ومكافحة الظلم والظالمين ، وتضحية النفس والمال في هذا السبيل عمل صالح ، وإلتزام الحق والعدل والإنصاف والصّدق والأمانة عمل صالح ، والتعاون على البرّ والتقوى والأعمال العامّة عمل صالح ، والكسب الحلال و قيام المرء بواجباته نحو اسرته و أولاده و أقاربه عمل صالح ، ومعاملة المرء الناس بالحسنى عمل صالح . . .

وهكذا يكون تلقين السورة وما انطوى فيها من هدف الدعوة هو التبشير بكل عمل فيه خير و برّ ورحمة ومكرمة وفضيلة وإخلاص لله عزّ وجل ، وبكلمة ثانية بكل ما فيه جماع الخير و سعادة الدارين و أعظم بهما من تلقين و هدف جليلين خالدين ، ومن هنا قيل: لو تدبّر الناس في هذه السورة لوسعتهم .

ان تسئل: لما ذا لم يقل : « وعملوا الخيرات » بدل « الصّالحات » ؟

تجيب : لما بين الخير والصّلاح من الفرق ، على أنّ الصّلاح هو: الإستقامة على ما تدعو إليه الحكمة ، و يكون في الضرّ والنفع كالمرض يكون صلاحاً للانسان في وقت دون الصحّة كما أنّ الحبس والسجن و نفي البلد و ما إليها في

إحقاق الحق و إعانة المظلوم و كسر شوكة الجبابرة والمستبدين تكون صلاحاً للإنسان و ذلك أنّه يؤدّي إلى النفع في باب الدين ، وأمّا الألم الّذي لايؤدّي إلى النفع فلا يسمّى صلاحاً مثل : « عذاب جهنم » فانّه لايؤدّي إلى نفع ، ولا هو نفع في نفسه ويقال : أفعال الله تعالى كلّها خير ولا يقال : عذاب الآخرة خير للمعذّبين به .

و قيل : الصّلاح: التغيّر إلى إستقامة الحال والصّالح المتغيّر إلى إستقامة الحال ، ولهذا لايقال لله عزّ وجلّ : صالح ، والصّالح في الدين يجري على الفرائض والنوافل دون المباحات لأنّه مرغب فيه ، ومأمور به فلايجوز أن يرغب في المباح ولا أن يؤمر به لأنّ ذلك عبث ، والخير هو السرور والحسن ، وإذا لم يكن حسناً لم يكن خيراً لما يؤدّي إليه من الضرر الزائد على المنفعة به ، ولذلك لم تكن المعاصي خيراً ، وإن كانت لذّة و سروراً ولايقال للمرض خير كما يقال له : صلاح ، فاذا جعلت خيراً أفعل فقلت: المرض خير لفلان من الصحّة كان ذلك جائزاً ويقال: الله تعالى خير لنا من غيره ولايقال : هو أصلح لنا من غيره لأنّ أفعل إنّما يزيد على لفظ فاعل مبالغة ، فاذا لم يصحّ أن يوصف بأنّه أصلح من غيره ، والخير إسم من أسماء الله تعالى .

و قيل : ولم يقل : « الخيرات » فانّ الخير يختلف حسب الأنظار والأفكار ولكن صلاح العمل مع الايمان أمر واقعيّ لايختلف ، و صالح العمل هو الّذي يعمل بدافع الايمان ، فقد يكون العمل خيراً وليس صالحاً كمن ينفق لمن يرجو خيره وجزاءه فانّه خير ليس بدافع الايمان فليس صالحاً ولكن الصّالح كلّه خير .

قوله تعالى : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » في ايثار الفعل من باب التفاعل دلالة على زيادة التحمّل في متعلّقه ما ليس في غيره فانّ الايمان و صالح العمل ليس فيهما مشقّة ما في الثبات عليهما والإلتزام بلوازمهما ، ويؤيّد ذلك تكرار الفعل بلفظه في جانب الصبر .

ولايخفى على القارىء الخبير ان تعبير « التواصي » دون « الوصية » قوى لأنه للمشاركة ، فلا يكفى أن يلتزم الإنسان الحق والصبر بنفسه ، بل يجب أن يتضامن النّاس فيهما ويوصى بعضهم بعضاً بهما ، و ان التواصى بالحق يستهدف تضامن أفراد المجتمع في الحق و إحقاقه ، بحيث يكون الحق هو القائم الحاكم المؤيّد من مجموعهم ، و ان التواصى بالصبر يستهدف تضامن أفراد المجتمع في شدّ بعضهم أزر بعض في الأحداث الملمة والمصاعب المدلهمة ، و في مواقف الحق والخير والبر و**الإحسان** . . . دونما وهن ولاضعف ولاجزع ولاتراخ .

و إذا لوحظ أنّ تعبير الحق عام يشمل كلّ شيء من حقوق الله على عباده و حقوق المجتمع على أفراده و حقوق المجتمعات على بعضها ، و حقوق الأفراد على بعضهم و مجتمعاتهم و حقوق الضعفاء والبؤساء والمحرومين على الأقوياء والقادرين والميسورين يبان مدى التلقين القرآني الجليل في التنويه بالتواصي بالحق ، و جعله لازماً للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، و إختصاصه بالذكر من الصّالحات مع أنّه داخل في معناها الشامل ، وما استهدفه هذا التلقين من الإرتفاع بالانسان ، والمجتمع الإنساني إلى مرتبة الكمال من حيث الطمأنينة العامّة والسلامة الإجتماعية ، و إنتفاء أسباب الضغينة والحقد والقطيعة والخصام والبغي والبؤس والقلق الّتي تجتاح المجتمع حينما تنتشر فيه الفردية و تقوى الأنانية ، و يشتدّ عدم مبالاة الفرد بغير نفسه ومصلحته و كيانه الخاص لضمان النفع لنفسه من أي سبيل ، أو حينما يتّسع المجال فيه لبغي النّاس وعدوانهم بعضهم على بعض بدون رادع أو حينما تداس فيه حقوق الضعفاء و تفقد فيه رغبة مساعدة المحتاجين ، و تضعف أو تزول فيه عاطفة البر والتعاطف الإجتماعية .

وهذا المبدأ بهذه السعة من المبادىء الجليلة الّتي قرّرها القرآن الكريم مرّة بعد مرّة و بأساليب متنوّعة ، حتّى كان من أهمّ أهداف الدعوة الإسلامية ، و وروده في هذه السورة المبكرة ، و بهذا الاسلوب القوي يدلّ على أنّه من

اس الدعوة الرئيسية وانّه لكذلك ، و انّه لمن أقوى مرشحات الإسلام للشمول والخلود .

و مثل هذا يقال في صدد الصبر والتواصي به لأنّ ذلك الخلق الشخصي الإجتماعي من لوازم الحياة الإنسانية الصالحة وعمدها ، ويهدف القرآن المجيد إلى تقويته في الأفراد والمجتمع ، و بثّ روح القوّة والطمأنينة فيهم ، و وروده في هذه السورة المبكرة ، وبهذا الاسلوب القوي يدل على إعتباره من أهمّ الأخلاق الّتي يجب أن تقوم عليها الشخصية الإنسانية الإسلامية ، و على ماله من خطورة و ضرورة في حياة الأفراد والمجتمع .

قوله عزوجل : « و تواصوا بالصبر » و فيه إشارة إلى أنّ طريق الايمان والإستقامة على شريعته ليس أمراً هيّناً ، فانّ ذلك إنّما يحتاج إلى معاناة وصبر على مغالبة الشهوات و قهر دواعي الأهواء و وساوس الشيطان ، فطريق الحق طريق محفوف بالمكاره ، وإنّما الصبر هو زاد الّذين يسلكون طريقه ، ويبلغون به غايات الفوز والفلاح ، والخير والصلاح والسعادة والنجاح .

وفي لفظ التواصي وتكريره في الحق والصبر دون الدعاء أو النصيحة تأكيد بليغ كأنّه أمر مهتمّ به كالوصيّة ، وفي لفظ المضي إشارة إلى تحقق وقوعه منهم .

ولعلّ إجمال الخسر : « إن الانسان لفي خسر » وتسريحه إلى بقعة الإبهام ثم تفصيل الربح بأنّه منوط بالايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يدلّ على غاية الستر والكرم و انّ رحمته سبقت غضبه .

﴿الاعجاز﴾

واعلم أنّ سورة العصر هي من قصارى السور القرآنية التي جائت على ثلاث آيات وهي معجزة من جانبي اللفظ والمعنى، ومن ناحيتي التراكيب والمفاهيم...

أما اللفظ : فمن وجهة الاسلوب والنظم، والفاصلة التي جاء بها القرآن الكريم. وبها إنفردت هذه السورة القصيرة خاصّة، والقرآن تماماً عن أن يكون نثراً أو شعراً على نحو ما كان عليه الأدب العربي، وانّها قد جعلت السورة والسور نحواً جديداً من أنحاء الكلام العربي، وجعلتها وإيّاها إعجازاً قائماً بذاته لأنّها نقضت العادة وخرجت على المألوف.

وهذا شأن المعجزة:

فانّ العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة...

منها: الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذى يدور بين النّاس في الحديث.

وقد جاء القرآن الكريم بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة، ولولا أنّ الوزن يحسن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصاناً عظيماً، ولذلك من جاء -بغير الوزن المعروف في الطباع الذى من شأنه أن يحسّن الكلام -بما يفوق الموزون فهو معجزة.

انّ القرآن المجيد - مع خلوّه من الوزن الملتزم الذى يحسّن الكلام، و الذى يجعل للشعر هذه المنزلة ذات الأثر القوى في النفوس - علا بحسنه على كل

حسن، علا بعلمه على كل علم، علا ببلاغته على كل بلاغة، علا بفصاحته على كل فصاحة، وفاق مع تجرّده من الزخرف والحلي كلّ كلام مزخرف محلّى، وبهذا كان معجزاً أعجز الجن والانس في كلّ وقت ومكان عن إتيان أقصر سورة كهذه السورة.

وانّ القرآن الكريم تصرف في فاصلة تصرّفاً معجزاً لايتّسع له جهد البشر ولو اجتمعوا له: «قل لئن إجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الاسراء: ٨٨).

وانّ الفاصلة في القرآن الكريم ألوان وطعوم تكاد تتعدّد ألوانها وطعومها بعدد آياته، وكل فاصلة مقطع من البيان ونغم من الألحان وآية من آيات الإعجاز... في إتصالها بالآية، وفي إنفرادها عنها وفي توازنها مع غيرها أو إستقلالها بذاتها، فينبغي أن نشير إلى بعض الفواصل القرآنية:

١ـ الفواصل المتوازية وهي الّتي تتفق فيها الفاصلتان في الوزن والسجع كقوله عزّ وجل: «فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة» الغاشية: ١٣ـ١٤) فانّ الفاصلتين: مرفوعة وموضوعة متوازيتان وزناً وقافية.

٢ـ الفواصل المطرفة وهي الّتي تتفق فيها الفاصلتان في السجع دون الوزن كقوله تعالى: «مالكم لاترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً» نوح: ١٣ـ١٤) فانّ الفاصلتين: وقاراً وأطواراً مختلفتان وزناً متفقتان سجعاً.

٣ـ الفواصل المتوازنة وهي الّتي تتفق فيها الفاصلتان في الوزن دون السجع كقوله جلّ وعلا: «ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة» الغاشية: ١٥ـ١٦) فانّ الكلمتين: مصفوفة ومبثوثة متفقتان وزناً مختلفتان سجعاً، وهكذا تختلف صور الفواصل القرآنية، وتتشكّل ألواناً وأنغاماً فلا تجد منها الاذن إلّا حسناً مجدّداً، ولا يطعم اللسان منها إلّا طيّبات متنوّعة، ومن هنا لا يثقل على الاذن إستماع آياته، ولا يعيأ اللسان من تلاوته، ومن جانب آخر لا يكلّ الفكر عن التدبّر في مضامينه ومفاهيمه وفي أسراره وحقائقه ومعارفه ...

ومن الفواصل تناسب الفاصلة للآيات، وهي مايجيىء على أنّه بعض الآية، و جزء منها لاتقوم الآيات إلّا بها ولاتستقل هي بمفهوم في غير آياتها، وذلك كثير في القرآن الكريم.

منها: قوله تعالى: «والنجم إذا هوى ماضلّ صاحبكم وما غوى وماينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى» النجم: ١-٤).

وإن أكثر السور القصار جائت فواصلها على هذا النحو من الإتصال.

ومنها: هذه السورة القصيرة: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

ومنها: سورة الكوثر من قصارى السور القرآنية: «إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر».

والذي ينظر إليه في مثل هذه الفواصل أن تقع الفاصلة موقعها الّذي يقتضيه المعنى أتمّ إقتضاء...

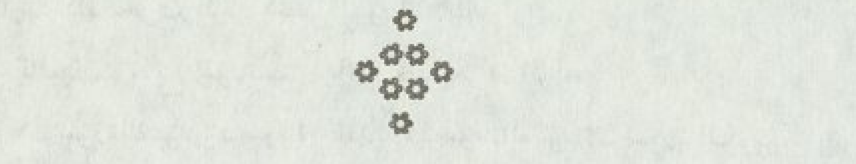
وهذا في القرآن الكريم على أتمّ صورة وأكملها، فلم يكن في إقامة الفاصلة على الوجه الّذي تتوازن أو تتوازى فيه مع غيرها جور على المعنى من بعيد أو قريب! وكيف وقدرة الله عزّ وجل هي القائمة على هذا وماكان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض.

وأما المعنى: فتدبّر في مضامينها ومفاهيمها فتجدها محتوية لجميع المعارف القرآنية بأوجز بيان، ومحدّدة طريق السعادة والكمال الانساني في الايمان و العمل الصالح وقيام الجماعة المؤمنة متضامّة على حراسة الحق، مزودة بزاد التقوى والثبات على ذلك كله، ومطلقة سبيل الشقاء والانحطاط فيما سوى ذلك.

وذلك انّ هذه السورة على ايجازها خلاصة هدف الدعوة الإسلامية الموجهة إلى الإنسانية جمعاء وانها على قصرها جائت باسلوب حاسم قويّ لتهتف بالنّاس أن لا كمال ولافلاح ولانجاح ولاصلاح لهم إلّا في الايمان بما يجب عليهم الايمان به، وفي

العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأن" كل من ينحرف عن هذا السبيل فهو خاسر منحط".

في المجمع : وفي هذه السورة أعظم دلالة إعجاز القرآن ألا ترى أنّها مع قلّة حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين علماً وعملاً. وفي وجوب التواصي بالحق والصبر إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء إلى التوحيد والعدل وأداء الواجبات والإجتناب عن المقبحات.



﴿التكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على امور خمسة:

أحدها ـ انّ ثلاث سور من السور القرآنية يشتمل كل واحد منها لثلاث آيات: ١ـ سورة العصر. ٢ـ سورة الكوثر. ٣ـ سورة النصر. سورتان اوليان منها تمّت آيها كلّها بحرف الراء كنفس السور الثلاث.

ثانيها ـ أربع سور تمّت آياتها كلّها بحرف الراء:

١ـ سورة القمر. ٢ـ سورة القدر. ٣ـ سورة العصر. ٤ـ سورة الكوثر.

ثالثها ـ قال الله تعالى في سورة التين: «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين» : ٥ـ٤) فابتدأ من الكمال إلى النقصان وقال في سورة العصر: «انّ الانسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا...» فعكس القضية لعلّ ذلك مذكور في أحوال البدن، وهذا مذكور في أحوال النفس.

وقيل: إنّ كلتا الآيتين في شأن النفس إلّا أنّه أراد في التين ذكر إستعداده الفطري وهو كرأس المال، وهيهنا أراد حكاية معاملته بعد ما اعطى رأس المال، و لاريب أنّ أكثر الناس منهمكون في طلب اللذات العاجلة من زخارف الدنيا و شهواتها المضيعة للاستعداد الانساني إلّا الموفّقين الموصوفين بالكمال والإكمال.

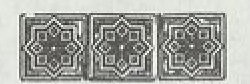
رابعها ـ انّ قوله عزّ وجل: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» كرر لاختلاف المفعولين وهما: بالحق وبالصبر. وقيل: لإختلاف الفاعلين، فقد جاء مرفوعاً «ان الانسان».

خامسها - أن نشير في المقام إلى صيغ سبع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ الّتي جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١- جائت كلمة (العصر) على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمس مرّات:

١- سورة العصر) ٢و٣- سورة يوسف: ٣٦ و٤٩) ٤- سورة البقرة: ٢٦٦) ٥- سورة النبأ: ١٤).

٢-	»	» (الانسان)	»	»	»	: ٩٧ مرّة:
٣-	»	» (الخسر)	»	»	»	: ٦٥ » :
٤-	»	» (العمل)	»	»	»	: ٣٥٩ » :
٥-	»	» (الصلح)	»	»	»	: ١٨٠ » :
٦-	»	» (الحق)	»	»	»	: ٢٨٧ » :
٧-	»	» (الصبر)	»	»	»	: ١٠٣ » :



﴿ التناسب ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها:

أما الاولى: فانّ سورة «العصر» نزلت بعد سورة «الإنشراح» فالتناسب بينهما أنّ الله جل وعلا لمّا عدّ في سورة «الإنشراح» ما أفاض على نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من فنون النعماء العظام الروحية، ومافيه من تطمين نفس رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ومافيه من تذكيره بعنايته تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم ووعده باعطاء السكون الروحي، وما فيه من تقوية النفس وتلقينها بالّتي تساعده صلى الله عليه وآله وسلم على مواجهة الصّعاب والإستخفاف بالعقبات والإستغراق في الدعوة والإندفاع فيها، والثبات والصبر في ذلك كلّه حتّى تمّ له النصر الموعود وتبدّل العسر يسراً وصارت كلمة الله تعالى هي العليا.

بيّن في هذه السورة: «العصر» ما لابدّ للامّة المسلمة في إتباعهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك من الايمان والعمل الصالح وقيامهم متضامّة على حراسة الحق وإعلاء كلمة الله عزّ وجل والثبات والصبر على ذلك كلّه.

وأما الثانية: فالتناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً فبامور:

أحدها - لمّا بيّن في السورة المتقدّمة أنّ الإشتغال بامور الدنيا والتهالك عليها مذموم أراد أن يبيّن في سورة «العصر» مايجب الإشتغال به من الايمان و

العمل الصالح وهو الحظّ الآدمي من جهة كمال نفسه، ومن التواصي بالخيرات و كفّ النفس عن المناهي وهو حظّه من حيث إكمال نوعه، وأكّد ما أراد بقوله جلّ وعلا: «والعصر»

ثانيها - إنّ الله عزّ وجلّ لمّا ذكر في السورة السابقة أنّهم إشتغلوا بالتفاخر بالجاه والمقام والسلطان، والتكاثر في الأموال والأولاد وبكل ما من شأنه أن يلهى عن طاعة الله تعالى دون أن يتزوّد للآخرة بزاد الايمان والتقوى، وذكر أن هوى الانسان داعية له إلى البوار وموقعة له في الدّمار إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ وأزال عنه شرور نفسه، فكأن هذا تعليل لما سلف، وذكر فيها صفة من اتبع نفسه وهواه و جرى مع شيطانه حتّى وقع في التهلكة، وهذا هو الانسان الخاسر وأيّ خسران أكثر من أنّه إشترى الدنيا بالآخرة والضّلالة بالهدى، والباطل بالحق، والكفر بالايمان، والإنحطاط بالكمال... وبالجملة اشترى النار بالجنّة.

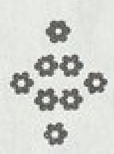
ثالثها - إنّ الله عزّ وجل لمّا وبّخ في السورة السابقة من تلهى بالتكاثر في الأموال **والأولاد** والقوى الظاهرة الزائلة، وانّ المرء لا يسعد بها وقلبه خال عن الايمان، وعمله مجرّد عن الصّلاح، أشار في هذه السورة إلى ما فيه كمال الانسان و خيره وسعادته وفلاحه من الايمان والعمل الصالح والإلتزام بلوازمهما، وإلى أن الإنحطاط والشر والشقاء والخسران فيما سوى ذلك، فالإنسان مختار فامّا شاكراً و إمّا كفوراً.

وأما الثالثة : فمن ترابط الآيات بعضها ببعض فمن تقديم القسم على المقسم عليه المطلق الّذي ثبت له الحكم العام، ثم خرج منه الموصوفون بالايمان والمتلبّسون بالعمل الصالح والملتزمون بلوازمهما المهمّة على سبيل الترتيب مما لا يخفى على المتدبّر الخبير فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

وذلك ان الله عزّ وجل لمّا بيّن خسارة الإنسان مطلق العنان على طريق الاقسام بالعصر بقوله تعالى: «والعصر إنّ الانسان لفي خسر» أخذ بذكر ما فيه كماله

وخيره وسعادته وفلاحه، مقدّماً مافيه تحكيم العلاقات الفردية العقيدية والعملية من الايمان بكل مايجب عليه الايمان به، ومن الأعمال الصادرة بدافع الايمان بالله وبأمر الله تعالى على طريق الاستثناء من هذا المطلق بقوله: «إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ثم أشار إلى ما تحتاج إليه الفئة المؤمنة من تطبيق واجبات جماعيّة ـ بعد إصلاح أفرادها ـ يحافظ بها كرامة مجتمعهم، ويدافع بها عن ظلامة الجوّ و التيار الفاسد الطيار بكل عار وبوار انّها بحاجة ضرورية حيوية إلى التواصي بالحق والتواصي بالصّبر بقوله عزّ وجل: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

فصلاح الفرد والمجتمع الاسلامي يبتني على أربعة أركان: إثنان منها راجعان إلى الفرد وهما الايمان والعمل الصالح، وآخران راجعان إلى المجتمع ـ والفرد منهم ـ وهما التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وعلى قدر رعايتهـا وحفظها سوف يكون تحلل الإنسان عن الخسران، وعلى قدر التحلل سوف يكون الخسران: «وأن ليس للانسان إلّا ماسعى».



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل: إنّ قوله عزّ وجل: «إنّ الانسان لفي خسر» منسوخ بقوله تعالى: «إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات».

أقول: وهذا إستثناء وهذا تبدّل في موضوع الحكم، وتخصيص في عموم العام، وليس من النسخ في شيء، فالإستثناء يغاير النسخ، وبه يتبدّل الموضوع وينتفي به شرط تحقق النسخ.

كقوله جلّ وعلا: «اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلّا الّذين تابوا و أصلحوا...» البقرة: ١٥٩-١٦٠).

وقوله: «ومن يفعل ذلك يلق أثاماً- إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» الفرقان: ٦٨-٧٠).

وقوله: «ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنّهم يقولون مالا يفعلون إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً» الشعراء: ٢٢٥-٢٢٧).

ومعنى الإستثناء هنا: انّ الإنسان بصورة عامّة خال عن الإنسانية محكوم بالخسران، ويستمرّ عليه هذا الحكم ما استمرّت عليه الصورة العامّة إلى أن يتّصف بصفة الإنسانية بالايمان والعمل الصّالح والثبات والصبر على ما يصيبه في طريقهما، فهذا الحكم العام ينقطع حينئذ ويرتفع بطبعه نظراً لتبدّل الموضوع.

وأمّا التشابه فلم أجده فيها فظاهر آيها محكمات، والله جلّ وعلا هو أعلم.

* تحقيق في الاقوال *

١ـ (والعصر)

في «العصر» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والكلبي والجبائي: العصر هو الدهر من عصر الثوب ونحوه وهو فتله لإخراج مائه، والدهر هو جملة الزمان الّذي تقع فيه الأفعال والحوادث، وعصر الدهر هو الوقت الّذي يمكن فيه فتل الامور كما يفتل الثوب ومنه قول الشاعر:

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى عمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

أقسم الله عزّ وجل بالدهر لإشتماله على الأعاجيب: من السرّاء والضرّاء، من النعماء والبأساء، من الصحّة والسقم، من الفرح والحزن، من الغنى والفقر، من العزّ والذلّ ،من الهناء والشقاء، من الحرب والسلم، من الصداقة والعداوة وما إليها من الحوادث الواقعة الدالّة على القدرة الربوبية.

وأقسم تعالى بالدهر لما فيه من التنبيه بتصرّف الأحوال وتبدّلها كالدول البائدة ، و القصور الخاوية، والبلاد العادية، و ماجرى بين الامم من حروب، و ما انتابها من كروب ونوب، ومابين ذلك من فتن وإضطراب، و رفعة وخفض، و لما فيه من عبرة لذوي الأبصار ودلالة على أنّ للعالم خالقاً عليماً، ومدبّراً حكيماً.

ولمّا كان الانسان يضيف المصائب والنوائب إلى الدهر ويشكو منه ويألم به حتّى قيل :

ليت شعري هـذه الدنيـا لمن كلّ من في الكون يشكو دهره

ويقول: هذه نائبة من نوائب الدهر وهذا زمان بلاء، وإنّ الدهر لا يوافقني أقسم الله عزّ وجل بالدهر وأرشد الانسان إلى أنّ الدهر خلق من خلقه، وانّ الدهر ظرف للخير والشر والطاعة والمعصية، وفيه يمتحن الانسان وان الخسران من عمل الانسان في الدهر لا من الدهر نفسه.

٢- عن إبن كيسان: العصر: الليل والنهار يقال لهما: العصران ومنه قول حميد بن ثور:

إذا طلبـا أن يدركا ما تيمّما ولن يلبث العصر ان يوم وليلة

٣- قيل: العصر: الغداة والعشى.

ومنه قول الشاعر:

ويرضى بنصف الدين والأنف راغم و أمطله العصرين حتّى يملّني

يقول: إذا جائني أوّل النهار وعدته آخره.

٤- عن قتادة والحسن: العصر: وقت العشي وهو ما بين زوال الشمس وغروبها. وعن إبن عبّاس أيضاً: العصر: ما يلي المغرب من النّهار.

أقسم الله تعالى بالطرف الأخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله جل وعلا بادبار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالضحى وهـو الطرف الأوّل من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس وإقبال النهـار وأهل الملّتين كانوا يعظّمون هذين الوقتين.

ومنه قول الشاعر:

وفي الروحة الاولى الغنيمة والأجر تروّح بنا يا عمرو قد قصر العصر

٥ - عن قتـادة أيضاً و مقـاتل و ابي مسلم: العصر هـو آخر ساعة من ساعات النهار إلى إحمرار الشمس ويقال له: الأصيل. ومن القوّة الضاغطة يكون العصر.

قد أقسم به كما أقسم بالفجر لأنّ آخر النهار يشبه تخريب العالم و إماتة الأحياء كما أنّ أوّل النهار يشبه بعث الأموات وعمارة العالم، فعند ذلك إقامة الأسواق ونصب الموازين ووضع المعاملات، وفيه إشارة إلى أنّ عمر الدنيا مابقي إلّا بقدر ما بين العصر إلى المغرب، فعلى الانسان أن يشتغل بتجارة لاخسران فيها، فان الوقت قد ضاق، وقد لا يمكن تدارك مافات.

٦- قيل: العصر: وقت صلاة العصر. ٧- عن مقاتل و أبي مسلم أيضاً: العصر هو صلاة العصر و هي الصّلاة الوسطى، أقسم بها لشرفها و فضلها لأنّها أفضل الصّلوات يقال: أذّن للعصر أي لصلاة العصر و صلّيت العصر أي صلاة العصر.

قال الله تعالى: «حافظوا على الصلوات والصّلاة الوسطى» البقرة: ٢٣٨) قيل: وجه فضلها أنّ التكليف في أدائها أشقّ لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم و إستغلالهم بمعاشهم. وقيل: سمّيت صلاة العصر بالعصر لأنّها تعصر أي تحبس عن الاولى.

وفى الحديث: انّ النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان يجلس في المسجد في المدينة لأصحابه بعد هذه الصلاة فيلتفون حوله، ويستمعون إلى تعاليمه وعظاته ويراجعه الناس في مشاكلهم، لانّهم يكونون في هذا الوقت قد فرغوا من مشاغلهم اليومية أو كادوا وتكون شدّة الحرارة في الصيف قد خفّت ومن هنا كان الحث على المحافظة عليها كما هو المتبادر.

٨- قيل: العصر هو عمر الإنسان وهو بعض الدهر وقد أقسم به تنبيهاً إلى أنّ الإنسان يضيف المكاره النوائب إلى الدهر وهو الزمن الّذي يعيش فيه، و يحيل شقاؤه وخسرانه عليه، فاقسام الله تعالى به دليل على شرفه، و ان الشقاء والخسران إنّما لزم الانسان لعيب فيه لا في الزمن الّذي يعيش فيه و لذلك قال صلى الله عليه وآله «لاتسبّوا الدهر».

٩ـ قيل : معناه و رب العصر. ١٠ـ قيل : العصر هو عصر النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أقسم تعالى به لفضله بتجديد النبوة فيه ، وهو عصر طلوع الإسلام على المجتمع البشري المظلم و ظهور الحق على الباطل ، و هو عصر ختمت فيه الرسالات و النبوات كالعصر الّذي يختم به النهار لقول النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّما مثلكم و مثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل إستأجر أجيراً فقال: من يعمل إلى الظهر بقيراط ، فعملت اليهود ثم قال : من يعمل من الظهر إلى العصر بقيراط فعملت النصارى ثمّ قال: من يعمل من العصر إلى المغرب بقيراطين فعملتم أنتم».

وقيل: العصر هوزمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو عصر نهار الدنيا كما جاء في حديث طويل، وقد أقسم بزمن رسالته كما أقسم بمولده في قوله تعالى: «لا اقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد» البلد: ١ـ٢) وبحياته في قوله جلّ وعلا: «لعمرك» الحجر: ٧٢) كل ذلك تعظيماً لزمانه ومكانه وتشريفاً لنفسه صلى الله عليه وآله وإظهاراً لمكانته وجليل قدره، وتوبيخاً لمن لم يوقّره حق توقيره.

١١ـ قيل: اريد بالعصر عصر ظهور المهدي الحجّة بن الحسن العسكرى الإمام الثاني عشر من أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو آخر وصيّ من أوصياء الله تعالى في أرضه لما فيه من تمام ظهور الحق على الباطل ، ومن إكمال الدّين الإسلامي بالعمل كما أكمله يوم الغدير بالعلم و البيان. وهو العصر بمعنى المنجاة والملجأ، ولعلّ التعبير عن الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله فرجه الشريف بولي العصر لأنّه المنجاة وملجأ المؤمنين حيث هلاك الناس و إنحطاط المجتمع البشري.

١٢ـ قيل : اريد بالعصر نوائبه حيث إنّ شياطين الجن والانس يعصرون الإنسان ليخسروه ماء الحياة ويدفعوه إلى الخسران و يدعوه إلى الإنحطاط و يسوقوه إلى الهلكة والعذاب، وانّ النفس الأمّارة بالسوء تعصر العقل و تحصره

حتّى تخسره ، فكل دوافع الخسران فانّها عصر وقسر على الإنسان لتغرقه في الخسران ، فدوافع الخسر هذه : المحسوسة منها و المعقولة تبرهن على واقع الخسر فانّها تخسر الإنسان في حياته و معطياتها ، فلابد لكل إنسان يبتلى لا محالة في حياته أن يعرف إبتلائه بأصله ونوعه ليفكر ويحاول في علاجه ، فانّ كثيراً من الخاسرين في الحياة يحسبون انّهم يحسنون صنعاً و هم الأخسرون أعمالاً .

١٣- قيل: اريد بالعصر شدائد حياة الإنسان ومصائبها- من ضغطة الشّيء بقوة - فانّها من أسباب التكامل الانساني وإرتقائه في حياته لو استقام عليها، فيظهر كماله بالضغط الّذي يواجهه في حياته ويصبر عليه.

أقول : والرابع من الأقوال هو الأنسب بما يتعارف بين الناس مع ملاحظة معناه اللغوي في المقام وضغط النفس في الايمان والعمل الصّالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وانّ الضغط إطلاقاً هو أحد أسباب الإرتقاء وخاصة الإنسان ، و تكامل النفس البشرية من غير تناف بينه وبين الأقوال الاخر فلكلّ وجه ، وإن كان طرفاهذه السورة من السور نزولاً ومصحفاً تؤيّد العاشر من الأقوال، وأمّا الحاديعشر منها فهو من ختام التاسع.

وعلى أيّ ماكان المراد من العصر أنّ الله تعالى أقسم به في هذه السورة بأنّ كل فرد من أفراد الانسان ممّن يصحّ أن يمدح أو يذم، أن يثاب أو يعاقب، و يصحّ أن يخاطب و يتوجّه إليه التكليف من الذكر والانثى ، ومن الأسود و الأبيض يحيط به الخسران بما ركب فيه من غرائز الشهوة و حبّ الإنتقام والحرص على متاع الدنيا وزخارفها ، و من حبّ الجاه و الإشتهار والنفوذ و الإستعلاء... وتلك الغرائز والصفات الرذيلة تدعوه دائماً إلى ركوب الجور و الإستبداد والبغي وسلوك سبل الفساد ولاينجيه من تلك المهالك إلّا الايمان وصالح الأعمال، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

٢ـ (ان الانسان لفى خسر)

في « الانسان » أقوال : عن إبن عبّاس : اريد بالإنسان الكافر ، فاللام للجنس و لكن جنس الكافر لا على الإطلاق. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً والضحّاك : الإنسان: جماعة من المشركين وهم الوليد بن ـ المغيرة ، و العاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزّى، والأسود بن عبد يغوث. فاللام في الانسان للمعهود بن المعينين وهم الّذين كانوا يقولون : إنّ محمّداً لفي خسر فاقسم الله عزّ وجل أنّ الأمر بالضّدّ مما توهّموه و على هذا يكون الإستثناء منقطعاً .

٣ـ قيل: اريد بالإنسان شخص معيّن وهو أبو جهل. وعن مقاتل: هو أبو لهب.

٥ـ قيل: اريد بالإنسان جنس الناس وهو هذا النوع من المخلوقات. فاللام للجنس على الإطلاق فيشمل لهذا النوع كلّه ممّن يصحّ عليه التكليف والثواب و العقاب. أي انّ بني آدم لفي خسر.

أقول : والأخير من الأقوال هو الأنسب بالغرض، و أمّا غيره من الأقوال فمن بيان المصاديق، فانّهم كانوا ائمة الخاسرين فلا منافاة بينها.

وفي «خسر» أقوال: ١ـ عن إبن زيد: أي لفي شرّ. ٢ـ عن إبن الأعرابي : الخاسر الذي ذهب ماله وعقله أي خسرهما. ٣ـ عن الفراء: أي لفي عقوبة لقوله تعالى: «وكان عاقبة أمرها خسراً» الطلاق: ٩). ٤ـ عن الأخفش: أي لفي هلكة. و ذلك انّ الخسران هو النقصان وذهاب رأس المال، والمراد به ههنا : ما ينغمس فيه الإنسان من الآفات المهلكة. ٥ـ قيل: أي لفي غبن. ٦ـ قيل: أي لفي خسر برأس ماله الّذي هو نور الفطرة والهداية والإستعداد لنيل الكمال و السعادة فذهبت عنه بسبب إختياره الحياة الدنيا ولذاتها وشهواتها، وتركه الايمان وصالح العمل، والإنحراف عن فطرته والإضطراب في طريقها فهو في نوع من الخسر غير

الخسارات المالية والجاهيّة.

٧- قيل: أي لفي نقص، وذلك انّ الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم فهو لفي نقص و ضعف و تراجع إلّا المؤمنين، فانّهم تكتب لهم اجورهم الّتي كانوا يعملونها في حال شبابهم كقوله عزّ وجل: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثمّ رددناه أسفل سافلين» التين: ٤-٥) فينقص عمره كل يوم و هو رأس ماله فاذا ذهب رأس ماله و لم يكتسب به الطاعة يكون على نقصان في طول حياته وخسران إذ لاخسران أعظم من إستحقاق العقاب الدائم. فالمراد بالإنسان الكافر بجنسه.

٨- قيل: أي لفي خسر في متاجره ومساعيه وصرف عمره في مباغيه وذهاب إستعداده الفطري بسبب الكفر والطغيان، والبغي والعدوان، و الإستبداد و العصيان، فانّه غريق تضطرب به أمواج الحياة، و تضطرب به إلى أعماق بعيدة من خسران الحياة و معطياة الحياة: يخسر نفسه وحياته، يخسر عقله وماله و ولده، ويخسر كل وسائل التقدّم في حياة الإنسان متذرعاً بها إلى حياة الحيوان و إلى أسفل سافلين. ٩- قيل: أي كل من أعرض عن الايمان والعمل الصالح، ومن ينحرف عن سبيل الحق والهدى ولم يثبت عليه فهوخاسر. ١٠- قيل: أي لفي طريق الخسر وهذا كقوله تعالى في آكل أموال اليتامى: «إنّما يا كلون في بطونهم ناراً» لما كانت عاقبته النار.

١١- قيل: أي لفي ضلال لأنّه لم يعرف قدره ولم يرتفع بانسانيته إلى المقام الّذي أهّله الله جلّ وعلا فلقد خلق الله عزّ وجلّ الانسان في أحسن تقويم ولكن الانسان لم يلتفت إلى هذا الخلق و لم يقدره قدره ولم يأخذ الطريق الّذى يدعوه اليه العقل، بل إنقاد لشهواته واستخفّ بانسانيته، وتحوّل إلى عالم البهيمة يأكل ويتمتّع كما تأكل الأنعام، وذلك هوشأن الانسان في معظم أفراده وأحواله... وقيل هم اولئك الّذين عرفوا قدر إنسانيّتهم وما أودع الله تعالى فيهم

من قوى قادرة على أن ترتفع بهم إلى الملأ الأعلى ، لو أنّهم أحسنوا إستعمالها و هؤلاء هم الّذين إستثناهم الله تعالى بقوله : « إلّا الّذين آمنوا . . . »

انّه ضلّ في مناهجه و صرف عمره في غيرمطالبه ، و ذلك لأنّه جاء إلى هذه الأرض لغرض يقضيه و عمل يقصده و نهاية يرضاها ، و حكمة يلقاها جاء ليصفى نفسه من الغوائل ، ويخلصها من الرذائل حتّى إذا رجع إلى عالم الأرواح كان أقوى جناحاً و أمضى سلاحاً و أرفع مقاماً ، و طار هناك في باحات الهناء وساحات الجمال فلمّا رجع إلى مقرّه في عالم السموات بالموت لم يجد إلّا نقصاً محيطاً به ، وجهلاً أرداه فندم أمام مولاه إلّا طائفة من هذا الإنسان عاشوا في الدنيا مفكّرين ، فآمنوا بأنبيائهم ، وصدّقوا برسلهم و درسوا علوم حكمائهم ، وأحبّوا بني جنسهم .

وأحسنوا إلى إخوانهم ، وعرفوا الحقائق و عملوا الخير وساعدوا النّاس بأموالهم وبأنفسهم ، وشاركوا المجموع فأسعدوه و انتشلوا إخوانهم من الجهالة والمخاطر الدينية والدنيوية ، وصاروا متعاضدين متعاونين بعضهم لبعض ، وصبروا على ما نزل بهم من الحدثان ، و رموا به من البهتان و أصيبوا به من الخذلان أيّام بؤسهم ، و وصى بعضهم بعضا باتباع الحقائق ، والسير على أحسن المناهج والصّبر في كلّ بأساءٍ وضرّاءٍ وحين البأس ، فهؤلاء في الدنيا يفوزون بما يريدون ، وفي الآخرة بالنعيم يفرحون .

١٢ ـ قيل : إنّ الإنسان الخاسر هو الذي لايغتنم فرصة الوقت ، ولايبادر إلى عمل ينتفع به قبل فوات الأوان ، ومن الحكم الخالدة : الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ما فيه صلاحك و سعادتك مع أنّ الانسان إطلاقاً لا ينفكّ عن خسر لأنّ الخسر هو تضييع رأس المال ، و رأس ماله هو عمره وهو قلّما ينفك عن تضييع عمره ، و ذلك لأنّ كل ساعة تمرّ بالإنسان ، فان كانت مصروفة إلى المعصية ، فلاشك في الخسران ، وإن كانت مشغولة في المباحات ، فالخسران أيضاً

لأنّه كما ذهب لم يبق منه أثر مع أنّه كان متمكّناً من أن يعمل فيه عملاً يبقى أثره دائماً .

وإن كانت مشغولة في الطاعات فلاطاعة إلّا ويمكن الإتيان بها أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك لأنّ مراتب الخضوع والخشوع غير متناهية ، فانّ مراتب جلال الله تعالى وقهره غير متناهية ، وكلّما كان علم الإنسان بها أكثر كان خوفه منه عزّ وجلّ أكثر فكان تعظيمه عند الإتيان بالطاعات أتمّ وأكمل ، وترك الأعلى والإقتصار بالأدنى نوع خسران .

أقول: إنّ الخسران قد يقال في أحوال الإنسان النفسية والمعنوية كالايمان والثواب والصحّة وما إليها ، وقد يقال في المكتسبات الخارجيّة عن الشخص كالمال وما إليه ، وإنّ كل خسران ذكر في القرآن الكريم غير الخسر في المكيل والموزون إلّا بالمآل - فقد اشير به إلى تعاطى ما يخف به الميزان يوم القيامة .

٣ - (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

في « عملوا الصالحات » أقوال : ١-قيل: أي أدّوا الفرائض المفترضة عليهم من صلاة وزكاة وحجّ وجهاد وصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢- قيل: أي أدّوا مالزمهم من الفرائض واجتنبوا عما نهوا عنه من المعاصي.
وقيل : إنّ قوله تعالى : « وعملوا الصالحات » إشارة إلى قوّة عمليّة كما أنّ قوله عزّ وجلّ : « إلّا الّذين آمنوا » إشارة إلى قوّة علميّة وهاتان القوّتان خلقتا في الانسان : قوّة العلم وقوّة العمل ، أمّا قوّة العلم فمبدأها الايمان بالله جلّ وعلا ، وأمّا قوّة العمل فقد أبان الشارع الواجب فيها من صلاة وصيام وحج وجهاد وما يليها من الأوامر والنواهي . . .

٣ - قيل : أي تلبّسوا بالأعمال الصّالحة جميعها لأنّ تعبير « الصالحات » عام مطلق يتضمّن كلّ نوع من أنواع الخير والبرّ والمعروف تعبديّاً كان أم غير تعبّدي - لمكان الجنس أو الإستغراق المستفاد من « اللام » لا بعضها دون بعض-

فلا يشمل الاستثناء الفسّاق بترك بعض الصّالحات من المسلمين ، فانّ لازمه أن يكون الخسر هذا أعمّ من الخسر في جميع جهات حياته كما في الكافر المعاند للحق المخلد في العذاب ، والخسر في بعض جهات حياته كالمسلم الفاسق ، مالم يكن فسقه على حدّ يخلّده في النار بل كان على ما ينقطع عنه العذاب بشفاعة ونحوها .

أقول: والأخير هو الظاهر .

وفي قوله تعالى: «بالحق» أقوال : ١ـ عن إبن عباس ومقاتل : أي بالتوحيد والايمان . ٢ـ عن قتادة والحسن : أي بالقرآن . ٣ـ عن السدي : الحقّ هنا هو الله عزّ وجلّ . ٤ ـ قيل: بالحق هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قيل: الحق خلاف الباطل ، وانّ الحق يشتمل الخيرات كلّها ومايحقّ فعله ، والمعنى: تحابّوا أوصى بعضهم بعضاً وحثّ بعضهم بعضاً باتباع الحق وإجتناب الباطل، والدوام عليه ، فليس دين الحق إلّا إتّباع الحق إعتقاداً وعملاً ، والتواصي بالحق أوسع من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لشموله الاعتقاديات ومطلق الترغيب والحثّ على العمل الصالح ، فالتواصي بالحق من العمل الصالح ، فذكره بعد العمل الصالح من قبيل ذكر الخاص بعد العام إهتماماً بأمره كما أنّ التواصي بالصبر من التواصي بالحق و ذكره بعده من ذكر الخاص بعد العام إهتماماً بأمره ، ويؤكّده تكرار ذكر التواصي حيث قال: «و تواصوا بالصبر» ولم يقل: «وتواصوا بالحق والصبر» فذكر تواصيهم بالحق وبالصبر بعد ذكر تلبّسهم بالايمان والعمل الصالح للاشارة إلى حياة قلوبهم و إنشراح صدورهم للإسلام فلهم إهتمام خاصّ وإعتناء تام بظهور سلطان الحق و إنبساطه على الناس حتّى يتّبع ويدوم إتباعه .

٥ ـ قيل : إنّ الحق ما له ثبات و واقع لا يتخلّف ، فيجب على المؤمنين أن يوصي بعضهم بعضاً بالحق على معناه العام والدوام عليه إعتقاداً كان أم عملاً وقولاً ، لله تعالى كان أم للعباد أو للنفس وما يتعلق بها ؛ والمعنى: و أوصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الّذي لاسبيل إلى إنكاره ولازوال في الدّارين لمحاسن آثاره

وهو الخير كله من ايمان بالله عز وجل و إتباع لكتبه و رسله في كل عقد وعمل وقول . وقيل: أي أوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله تعالى في كتابه من أمره و إجتناب ما نهى عنه فيه .

٦- قيل: هو أن يقولوا عندالموت لمخلفيهم لاتموتن إلا وأنتم مسلمون .

٧ - قيل: أي كل مؤمن يوصي غيره بكل حق كما يوصيه غيره و كل يقبل الوصية من غيره كما يرجو القبول من غيره لكي يوجدوا جواً طاهراً نزيهاً عن التخلفات والرذائل كلها ، و ذلك ان الوصية بالحق ليست وظيفة جماعة خاصة دون جماعة من المؤمنين ، بل تجب على المؤمنين كلهم ، كل يوصي أخاه بالحق لكي يصبح المجتمع الإسلامي مجتمع التواصي بكل حق صالح ، كل حسب إمكانيته ، على حد قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته » .

و أياً ما كان التواصي بصورة جماعية مرهبة ناصحة ناصعة ، تفرض الحق كلما كان تاركوا الحق أقوى وأطغى فليكن الموصون بها أكثر كفاحاً وأقوى ، والتواصي يشمل تعليم الشريعة وتعلمها ، والأمر بتطبيقها : تعليم الجاهل وحمل العارف ، و «بالحق» أشمل تعبير يعم كل خير صالح دون إستثناء وان التواصي بالحق يعم التواصي بدراسة الحق وإعتناقه وتطبيقه وتأسيس حكم الحق والدولة الحقة الالهية لتضمين كلما يحق للحق ، و ان التواصي بالحق ضرورة حيث النهوض بالحق عسير ومعارضوه كثير والمعوقات عنه كثيرة ، هوى النفس ، منطق المصلحة ، تصورات البيئة طغيان الطغاة ، وجو التواصي يطمئن الموصين أن معهم غيرهم مهما كثر الطغاة ، فهم يتضاعفون قوة ويأملون النجاح في المعركة .

أقول: ولكل وجه ولكن الأنسب الأوجه هو الأخير لظاهر الاطلاق وفي معناه بعض الأقوال الاخر .

و في قوله تعالى : « وتواصوا بالصبر » أقوال : ١ - عن قتادة والحسن : أي وتوصي بعضهم بعضاً على تحمل المشاق في طاعة الله عز وجل ، والصبر عن معاصيه ،

أي فانّ هؤلاء ليسوا في خسر بل هم في أعظم ربح و زيادة يربحون الثواب باكتساب الطاعات ، و إنفاق العمر فيها فكأن رأس مالهم باق كما أنّ التاجر إذا خرج رأس المال من يده و ربح عليه لم يعدّ ذلك ذهاباً .

٢ـ قيل: أي بالثبات على طاعة الله تعالى وتحمّل المشاق والمكروه في سبيلها وسبيله . ٣ـ قيل: التواصي بالصبر إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى التوحيد والعدل و أداء الواجبات والإجتناب عن المقبحات ، فالصبر يشمل لجميع المناهي فهم بالحقيقة آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر .

والمعنى: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلّة البشرية ، وعلى الطاعات التي يشقّ عليها أداؤها ، و على ما يبتلى الله تعالى به عباده من المصائب ويتلقّاها بالرضا ظاهراً و باطناً ، فلابد للنجاة من الخسران أنّ يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ويمكّنوه من قلوبهم ، ثم يحمل بعضهم بعضاً على سلوك طريقه ، و أن يبعدوا بأنفسهم و بغيرهم عن الأوهام والخيالات التي لاقرار للنفوس عليها ولادليل يهدى إليها .

٤ ـ قيل : اريد بالصبر أعم من الصّبر على طاعة الله عزّ وجلّ ، والصبر عن معصيته والصبر عند النوائب التي تصيبه بقضاء الله تعالى وقدره .

والمعنى: كل مؤمن يوصي غيره بالصبر كما يوصيه غيره به ، و كلّ يقبل الوصية من غيره كما يرجو القبول من غيره ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمع التواصي بكل صبر صالح ، كل حسب إمكانيته ، و انّ الصبر هو زاد الطريق في دعوة الحق ، فانّه طريق شاق طويل ، حافل بالعقبات والأشواك ، مفروش بالدماء والأشلاء بالايذاء والإبتلاء ، و انّ سلوك هذه السبيل يتطلب الصبر والتصابر ، الصبر على امور كثيرة :

الصبر على شهوات النفس و رغائبها ، وأطماعها ومطامحها ، وضعفها ونقصها ، وعجلتها وملالها من قريب ، الصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم ،

و سوء تصوّرهم و تصرّفهم ، و إنحراف طبائعهم و أثرهم و غرورهم و إلتوائهم و إستعجالهم للثمار ، الصّبر على تنفّج الباطل ، و وقاحة الطغيان ، و إنتفاش الشر ، و غلبة الشهوة ، وتصعير الغرور والخيلاء ، الصبر على قلّة الناصر و ضعف المعين ، وطول الطريق ، وغور المعين ، ووساوس الشياطين في ساعات الكرب والضيق .

والصبر على مرارة الجهاد لهذا كلّه وماتثيره في النفس من إنفعالات متنوّعة من الألم والغيظ ، والحنق والضيق ، وضعف الثقة ـ أحياناً ـ في الخير وقلّة الرجاء ـ أحياناً ـ في الفطرة البشرية والملل والسأم واليأس والقنوط ، والصبر بعد ذلك كلّه على ضبط النفس في ساعة القدرة والإنتصار والغلبة و إستقبال الرخاء في تواضع وشكر . . . والبقاء في السرّاء والضرّاء على صلة أصيلة بالله جلّ وعلا و استسلام لقدر الله تعالى و ردّ الأمر كله إلى الله عزّ وجلّ ، في طمأنينة وثقة وخشوع .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق من غير تناف بين الأقوال فتأمّل جيداً .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (والعصر)

إنّ الله جلّ وعلا يقول: اقسم بالعصر.

و من العصر : عصر نزول الوحي السماوى على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لظهور الحق علي الباطل ، و طلوع الاسلام من افق الجزيرة العربية إلى الآفاق جمعاء وعلى المجتمع البشري كلّه إذ كانوا غريقين في الكفر و الفساد ، في الشرك والعناد، وفي البغي واللجاج ، و منهمكين في الشهوات و الطغيان ، في الجهل و العدوان ، وفي الضلالة و العصيان ، و منحطّين غاية الإنحطاط ...

قال الله عزّ وجل: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون» الصّف: ٩).

أرسله صلى الله عليه وآله وسلم الله تعالى لينجى الناس كافّة من ورطة الكفر والإنحطاط ، و ليلجأواهم إليه بالايمان و العمل الصالح و الثبات في طريقهما فينالوا إلى الرحمة والكمال و إلى السعادة والفلاح ، وينجوا من الهلاك والدمار ، و من العذاب والنار .

قال الله جلّ وعلا : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون إنّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلّا رحمة

للعالمين قل إنّما يوحي إلىّ أنّما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» الأنبياء: ١٠٥-١٠٨).

وقال: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً» الأحزاب: ٤٥-٤٧).

وقال: «وما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» سبأ: ٢٨).

وقال: «إنّا أرسلناك شاهداًومبشّراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه وتسبّحوه بكرة وأصيلاً» الفتح: ٨-٩).

وقال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النارفأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكرواولئك هم المفلحون» آل‌عمران : ١٠٣-١٠٤).

و إنّ تمام هذا الظهور والبزوغ علماً و عملاً على العالم كلّه ظهوراً تامّاً و تحقيقاً عامّاً للرسالة المقدّسة المحمّدية ، عصرالكفاح التربوبي بكامله ضدّ عناصر الخسران و أو اصره : عصر خاتم الأوصياء و المعصومين : الإمام الثاني عشر : المهديّ المنتظر : الحجّة بن الحسن العسكرى عجّل الله تعالى فرجه الشّريف وجعلنا من أعوانه وأنصاره بحق محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله عزّوجل: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» القصص:٥).

٢- (ان الانسان لفى خسر)

إنّ الانسان - وهو هذا الهيكل المخصوص المحسوس - لفي إنتقاص في رأس ماله، وضياع في نفسه وفيما ينسب إليه من أهله ومايتعلّق به فهو خاسر.

الإنسان: إسم جنس يطلق على الذكر والانثى، وعلى الواحد والجمع من آدم عليه السلام وبنيه إطلاقاً.

كقوله عزّ وجل: «خلق الانسان علّمه البيان» الرحمن: ٣-٤).

وقوله: «وأن ليس للانسان إلّا ماسعى» النجم: ٣٩).

وقوله: «إنّ الشيطان كان للانسان عدوّاً مبيناً» الاسراء: ٥٣).

و قد اريد بالانسان هنا أفراده على سبيل الإستغراق ثم استثنى منه ما استثنى.

كقوله عزّ وجل حكاية عن يوسف النبيّ عليه السلام: «وما ابرّئ نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلّا مارحم ربّى» يوسف: ٥٣).

انّ كل خسران يذكر في القرآن الكريم حتّى الإخسار في المكيل و الموزون مآلاً فقد اشير به إلى تعاطى مايخفّف به الميزان يوم القيامة من الشرك و الكفر بالله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبآياته وتكذيب البعث والحساب والجزاء، و عدم إبتغاء الإسلام ديناً، من إتخاذ الشيطان ولياً والتحزّب بحزبه ، من إتباع الطواغيت الجبابرة، والحكّام المستبدّة والامراء المستكبرة، من نقض عهد الله جلّ وعلا وقطع ما أمر بوصله ، وصدّ الناس عن سبيل الحق ، وكتمانه، من الافتراء على الله تعالى وأهل الحق والإفساد في الأرض، من حب الدنيا وزخارفها، والإنهماك في شهواتها، والتلهّي بالأموال والأولاد والتفاخر بالقوى الزائلة والجاه والمقام والإشتهار، ومن الظلم والبغي والطغيان...

قال الله عزّ وجل : «ومن خفّت موازينه فاولئك الّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون» الأعراف: ٩).

وقال: «فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزمر: ١٥).

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنّم بما كفروا و اتخذوا آياتي ورسلي هزواً» الكهف: ١٠٣-١٠٦).

وقال: « و الّذين آمنوا بالباطل و كفروا بالله اولئك هم الخاسرون » العنكبوت: ٥٢) .

وقال: «الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون - اولئك الّذين خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ماكانوا يفترون لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون» هود: ١٩-٢٢).

وقال: «ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة وأنّ الله لايهدى القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون لاجرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون» النحل: ١٠٧-١٠٩).

وقال : «انّ الّذين لايؤمنون بالآخرة زيّنّا لهم أعمالهم فهم يعمهون اولئك الّذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون» النمل: ٤-٥).

وقال: «ومن يتّخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً يعدهم ويمنّيهم ومايعدهم الشيطان إلّا غروراً اولئك مأواهم جهنّم ولايجدون عنها محيصاً» النساء: ١١٩-١٢١).

وقال: «إستحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا انّ حزب الشيطان هم الخاسرون» المجادلة: ١٩-٢٠).

وقال: «الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون» البقرة: ٢٧).

و قال : « الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونـه كما يعرفون أبناء هم الّذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ـ قد خسروا الّذين قتلوا أولادهم سفهاً بغيرعلم و حرّموا ما رزقهـم الله افتراء على الله قد ضلّوا و ما كانوا مهتدين » الأنعام : ٢٠_١٤٠) .

وقال : «ومن النّاس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأنّ به و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هوالخسران المبين » الحج: ١١).

وقال: «ومن يبتغ غيرالإسلام ديناًفلن يقبل منه وهوفي الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ٨٥).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكرالله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون» المنافقون: ٩).

٣ ـ (الا الـذين آمنوا و عملوا الصـالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر)

إنّ الله عزّوجل يبيّن هناك طريقاً واحـداً لخروج الإنسان، مطلق العنان من ورطة الخسران وهو الايمان:

الايمـان بالله جلّ و علا و برسوله الخاتم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم و بما جاء به، الايمان بكتبه و رسله و ملائكته بلا تفريق بين ذلك ، و الايمان باليوم الآخـر .

قال الله تعالى: «قل يا أيّها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الّذي له ملك السموات والأرض لا إله إلّا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الامّيّ الّذي يؤمن بالله و كلماته واتبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف: ١٥٨).

وقال: «إنّا أرسلناك شاهداًومبشّراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه وتسبّحوه بكرةوأصيلاً» الفتح: ٨_٩).

وقال : « فآمنوا بالله و رسوله والنور الّذي أنزلنا » التغابن : ٨) .

وقال : « يا أيّها الّذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله والكتاب الّذي نزّل على رسوله والكتاب الّذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » النساء : ١٣٦) .

و قال : « انّ الّذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرّقوا بين الله و رسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم الكافرون حقاً و أعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والّذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيماً » النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢) .

وقال : «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فماجزاء من يفعل ذلك منكم إلّاخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب» البقرة : ٨٥).

وقال : « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و كتبه و رسله لانفرّق بين أحد من رسله » البقرة : ٢٨٥) .

و هذا هو صراط مستقيم فيه نجاة من الخسران لمن اهتدى إليه ، و فيما سوى ذلك خسران هلاك و دمار .

قال الله تعالى: « و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الأنعام : ١٥٣) .

و قوله تعالى : «وعملوا الصالحات» ومن لوازم الايمان و مظاهره الأعمال الصّالحة تعبّديّة كانت أم غيرها من أنواع الخير والبرّ والمعروف ، من ذكر كان أم من انثى، وكل عمل صادر عن غير ايمان لاشأن له عندالله جلّ وعلا إذ لايقبل الله تعالى عملاً إلّا بالايمان .

قال الله تعالى : « إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربّهم يتوكّلون الّذين يقيمون الصلاة

و ممّا رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم و مغفرة و رزق كريم » الأنفال : ۲ ـ ٤) .

وقال: « إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥) .

و قال : « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة و لنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل : ۹۷) .

وقال : « فمن يعمل من الصّالحات و هو مؤمن فلا كفران لسعيه و انّا له كاتبون » الأنبياء : ٩٤) .

وقال : « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصّالحات فاولئك لهم الدرجات العلى » طه : ۷۵) .

وقال : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » الكهف : ۱۰۳ـ١٠٥) .

وقال : « وقال الّذين لايرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا لقد استكبروا في أنفسهم و عتوا عتوّاً كبيراً ـ و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً » الفرقان : ۲۱ـ۲۳) .

وقال : « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً » الاحزاب : ۱۹) .

وقال : « والّذين كفروا فتعساً لهم و أضلّ أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ـ ذلك بأنّهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ـ انّ الّذين كفروا و صدّوا عن سبيل الله و شاقّوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الهدى لن يضرّوا الله شيئاً و سيحبط أعمالهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ۸ـ۳۲) .

وقال : « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ـ

إنّما يتقبّل الله من المتّقين » المائدة : ٥ - ٢٧) .

وقال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا - اولئك الّذين نتقبّل عنهم أحسن ماعملوا » الاحقاف : ١٣ - ١٦) .

وقوله عزوجل : « وتواصوا بالحق » ومن مظاهر الايمان و وظائف المجتمع الإسلامي أن يحبّوا بني جنسهم و يحسنوا إلى إخوانهم الايماني ، فيساعدوهم بأنفسهم وأموالهم ، ويصيروا معهم متعاضدين متعاونين ، فيستمسكوا بالحق بكل وجوهه ، ويدعوا غيرهم إليه ، ثمّ تواصوا به فيما بينهم ، فيوصي كل مؤمن أخاه بالحق ، و ينصح بعضهم بعضاً بالإستقامة عليه ، ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمع التواصي بكل حق صالح ، كل يوصي غيره كما يوصيه غيره بالحق ، و كلّ يقبل الوصية من غيره كما يرجو القبول من غيره ليوجدوا جوّاً طاهراً ، جوّاً صالحاً، جوّاً مستعداً لنيل الإنسان إلى الكمال والخير والسعادة، وجوّاً نزيهاً عن المفاسد والفواحش والرذائل ، وفي هذا ما يقوّى من جبهة الحق ويكثّر من أتباعه . . .

و عليه يقوم الدّين الحق ، وفيه كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، أمر الله تعالى به نبيّه الخاتم محمّداً المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم .

قال الله عزّ وجلّ مخاطباً لهذه الامّة المسلمة و نبيّهم صلّى الله عليه وآله وسلّم : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه - فلذلك فادع و استقم كما امرت ولاتتّبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لأعدل بينكم الله ربّنا و ربّكم » الشورى : ١٣ - ١٥) .

وقوله جل وعلا : « وتواصوا بالصبر » ومن علائم الايمان حقّاً ، وخصال المؤمنين أن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله جلّ وعلا و فرائضه ، بالصبر على التكاليف الشرعية والوظائف الدينية ، بالصبر على ما نزل بهم من الحدثان وما رموا به من الافتراء والبهتان، بالصبر على ما أصابهم من البلايا والمصائب والمكاره

في سبيل الدفاع عن حوزة الحق و أهله ، ومن الخطوب والمحن التي قلّما يخلو المؤمن عنها ، وبالصبر عن معاصي الله عزّ وجلّ .

ومن البيّن : أنّ التواصي بالصبر يستهدف تضامن أفراد المجتمع في شدّ بعضهم أزر بعض في الأحداث الملمّة والمصاعب المدلهمّة ، وفي مواقف الحق والخير دونما وهن ولا ضعف ولا جزع ولا تراخ ولا توان ، و انّ تعبير الصبر هنا عام يشمل لكل صبر جعله الله تعالى لازماً للذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتواصوا بالحق .

وهذا المبدأ بهذه السعة من المبادىء الجليلة التي قرّرها القرآن الكريم مرّة بعد مرّة بأساليب متنوّعة ، حتّى كان من أهمّ أهداف الدعوة الإسلامية ، و وروده في هذه السورة المبكرة وبهذا الاسلوب القوي يدلّ على أنّه من اسس الدعوة الرئيسية ، و انه من أهمّ الأخلاق التي يجب أن تقوم عليها الشخصية الإنسانية الايمانية ، و انه لكذلك ، و انه لمن أقوى مرشّحات الإسلام والخلود ، فانّ ذلك الخلق الشخصى الإجتماعى من لوازم الحياة الإنسانية الصّالحة وعمدها، و يهدف القرآن الكريم إلى تقويته في الأفراد والمجتمع ، و بثّ روح القوّة والطمأنينة فيهم لما له من خطورة و ضرورة في حياة الأفراد والمجتمع .

قال الله عزّ وجلّ : « فاعبده و اصطبر لعبادته » مريم : ٦٥) .

وقال : « و أمر أهلك بالصلوة و اصطبر عليها » طه : ١٣٢) .

وقال : « يا أيّها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون » آل عمران : ٢٠٠) .

وقال : « الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » الحج : ٣٥) .

وقال : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون » الفرقان : ٢٠) .

و قال : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم و إن تصبكم سيّئة يفرحوا بها و إن تصبروا و تتّقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً ـ ولقد نصركم الله ببدر و أنتم أذلّة ـ

بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ـ لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم و لتسمعنّ من الّذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الّذين أشركوا أذى كثيراً و إن تصبروا وتتقوا فانّ ذلك من عزم الامور » آل‌عمران : ١٢٠ ـ ١٨٦) .

وقال: « يا أيّها الّذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة انّ الله مع الصابرين ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصّابرين الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئك هم المهتدون ـ ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصّلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصّابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس اولئك الّذين صدقوا و اولئك هم المتقون » البقرة : ١٥٣ ـ ١٧٧) .

وقال: « وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصّابرين » الأنفال : ٤٦) .

وقال : « فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ـ إنّي جزيتهم اليوم بما صبروا انّهم هم الفائزون » المؤمنون : ١٠٢ ـ ١١١) .

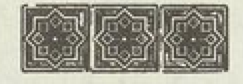
و ما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللبّ ، وما ورد : أنّ المراد بقوله عزّ وجلّ : « إلّا الّذيـن آمنوا » هو عليّ بن أبيطالب عليه السلام مع أنّ الصيغة صيغة جمع فقد ثبت عن الطريقين : انّ ما ورد في القرآن الكريم كلمة الايمان و أهله إلّا و عليّ بن أبيطالب عليه السلام هو أميرهم ، فان شئت فراجع إلـى بحث ايمانه عليه السلام في هذا التفسير .

و أمّا ما ورد عن إبن عبّاس : أنّ قوله تعالى : « و تواصوا بالصبر » هو

عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

فان تسئل : انّ الصبر صفة من الصفات وليس بأعلام حتّى يراد به شخص ؟

تجيب عنه : انّ المراد انّ من تواصوا بالصبر عليّ بن أبيطالب عليه السلام لا نفس الصبر هو علي عليه السلام مع جواز قولك : زيد عدل للمبالغة و بيان كماله في العدل كأنّه هو نفس العدل ، و أمّا صيغة الجمع فقد عبّر الله تعالى عن عليّ عليه السلام بها إعظاماً له وبياناً لكمال صبره ، وان صبره بمنزلة صبر جميع المؤمنين المتواضعين به لشدّة ما يلزم نفسه به ، فلا يقع منه خلاف الصبر الّذي هو صبران : صبر على الطاعة وصبر عن المعصية ، فيكون هو عليه السلام أفضل الامّة ومعصومها وإمامها وأميرها ولنا فيه اسوة حسنة جعلنا الله جلّ وعلا من شيعته حقاً بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿ جملة المعانی ﴾

٦١٧٧- (والعصر)

إنّ الله تعالى يقول: اقسم بالعصر:

ومن العصر: عصر نزول الوحي السماوي على محمّد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام لاكمال الدين وظهوره على الدين كلّه.

ومن العصر: عصر خاتم الأوصياء من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لتمام الظهور والعمل بهذا الدين القيم تمام العمل في أنحاء الأرض كلّها.

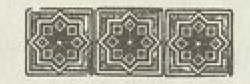
٦١٧٨- (ان الانسان لفی خسر)

إنّ الانسان إطلاقاً الّذين خفّت موازينهم يوم القيامة بالكفر وفساد العمل في الحياة الدنيا، لفي خسر مطلق: خسران الدنيا والآخرة بسبب إطفاء نورما به كماله وإنسانيته بالكفر، وذهاب مافيه عزّه وسعادته في الحياة الدنيا من صالح العمل، و ترك ماكان فيه تنعّمه من نعم الله تعالى في الدار الآخرة من إتباع الحق والـذّب عنه والإلتزام بلوازمه، وجزعه تجاه ماكان هو وسيلة خلوده في الجنّة من الصبر والثبات.

٦١٧٩- (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

إلّا الّذين آمنوا بما يجب عليهم الايمان به، وعملوا الصّالحات من الخير و البرّ والمعروف على أنواعها مما فيه سعادة الدارين تعبّدياً كان أم غير تعبّدي و

تواصوا بالحق بأن يوصي بعضهم بعضاً بالحق على معناه العام والدوام عليه إعتقاداً كان أم عملاً أو قولاً: حق الله جلّ وعلا كان أم حق الناس أو حق النفس، ويوصي بعضهم بعضاً على الصبر المطلق، والثبات على الثلاثة المتقدّمة: الصبر على الايمان والطاعة، الصبر على العمل الصّالح، الصبر على التواصي بالحق وتحمّل المشاق في سبيل الله تعالى والدفاع عن حوزة الحق وأهله، والصبر على المصائب في مواقف الخير والحق، من دون وهن ولا جزع ولا تراخ ولا توان، والصبر عن معصية الله جلّ وعلا وعلى النوائب والشدائد ...



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : قال : « والعصر إن الانسان لفي خسر » قسم و جواب ، وقرأ أبوعبدالله عليه السلام : « والعصر إنّ الانسان لفى خسر » وانّه فيه إلى آخر الدهر « إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات . . . » وأتمروا بالتقوى وأتمروا بالصبر .

وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر » فقال : إستثنى أهل صفوته من خلقه حيث قال : « إنّ الانسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا » يقول : آمنوا بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام و « تواصوا بالحق » ذرّيّاتهم ومن خلفوا بالولاية « وتواصوا » بها وصبروا عليها .

و في الدر المنثور : أخرج إبن مردويه عن إبن عبّاس في قوله : « والعصر إنّ الانسان لفي خسر » يعني أبا جهل بن هشام « إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات » ذكر عليّاً عليه السلام و سلمان .

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن إبن عبّاس قال: جمع الله هذه الخصال كلّها في عليّ : « إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات » وكان أوّل من صلّى وعبدالله من أهل الأرض مع رسول الله « وتواصوا » و أوصاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقضاءِ دينه و بغسله بعد موته ، و أن يبنى حول قبره حائطاً لئلّا يؤذيه النساء بجلوسهنّ على قبره و أوصاه بحفظ الحسن والحسين فذلك قوله : « و تواصوا بالصبر » .

وفيه: قال عليّ بن الحسين النسائي الإمامي قال لي أبوبكر بن مؤمن المفسّر الشيرازي : أخرجت هذه الآيات من إثنى عشر تفسيراً :

الاول : تفسير يعقوب بن سفيان .

والثاني: تفسير إبن جريح .

والثالث: تفسير مقاتل .

والرابع: تفسير وكيع بن الجراح .

والخامس: تفسير يوسف القطان .

والسادس : تفسير قتادة .

والسابع: تفسير أبي عبيدة :

والثامن: تفسير عليّ بن حرب الطائي .

والتاسع: تفسير السدي .

والعاشر: تفسير مجاهد .

والحاديعشر: تفسير مقاتل بن حيّان .

والثانيعشر : تفسير أبي صالح .

وفى الدر المنثور : عن عليّ عليه السلام قوله : « والعصر و نوائب الدهر إنّ الانسان لفي خسر و إنّه لفيه إلى آخر الدهر » .

وفى كمال الدين و تمام النعمة : باسناده عن المفضل بن عمر قال : سئلت الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « والعصر إنّ الإنسان لفي خسر » فقال : العصر : عصر خروج القائم عليه السلام « إنّ الانسان لفي خسر » يعني أعدائنا « إلّا الّذين آمنوا » يعني بآياتنا « و عملوا الصّالحات » يعني بمواساةالاخوان « وتواصوا بالحق » يعني بالإمامة « وتواصوا بالصبر » يعني بالفترة .

أقول: أي بالصبر على ما يلحقهم من الشبه والفتن والحيرة والشدّة في زمن الغيبة .

رواه البحراني في تفسير البرهان، وفي المحجة فيما نزل في القائم الحجة عليه السلام، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

وفي البرهان: بالاسناد عن محمد بن علي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» قال: استثنى الله سبحانه أهل صفوته من خلقه حيث قال: «إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا» بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام «وعملوا الصالحات» أي أدوا الفرائض «وتواصوا بالحق» أي بالولاية «وتواصوا بالصبر» أي وصوا ذراريهم ومن خلقوا من بعدهم بها والصبر عليها.

وفي البحار: «والعصر إن الإنسان لفي خسر» قيل: اقسم بصلاة العصر أو بعصر النبوة «إن الانسان لفي خسر» في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» فانهم إشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية «وتواصوا بالحق» أي بالثابت الذي لا يصح إنكاره من إعتقاد أو عمل «وتواصوا بالصبر» عن المعاصي والطاعات وعلى المصائب وهذا من عطف الخاص على العام.

وفي حديث: «ليس من مؤمن ولا كافر إلا وله منزل في الجنة وأهل وأزواج، فمن أسلم سعد وصار إلى منزله، ومن كفر صار منزله وأزواجه إلى من أسلم وسعد وذلك قوله: «الذين يرثون الفردوس» يقول: يرثون منازل الكفار وهو قوله: «إن الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة» يقول: أهلكوهما»

﴿ بحث فقهي ﴾

و قد استدل بعض المتفقهين بقوله تعالى : « والعصر » العصر : ١) على جواز الحلف بغير الله تعالى من الموجودات المكرّمة و الأماكن المشرّفة و الأزمان المديحة.

أقول : إنّ اليمين شرعاً هو الحلف بالله تعالى أو بأسمائه الخاصّة لتحقيق ما يحتمل الموافقة أو المخالفة في الماضي أو الحال أو المستقبل ، فيترتّب عليه الحنث و الكفّارة و نحوهما من الأحكام الّتي رتّبها الشارع على اليمين.

فلا تنعقد اليمين إلّا بالله عزّ وجل أو بأسمائه الّتي لا يشاركه فيها غيره أو مع إمكان المشاركة و لكن ينصرف إطلاقها إليه تعالى، فالأوّل كقولك: **والّذي** نفسي بيده والثاني مثل: والرحمن. والثالث نحو: والرب.

في الكافي: باسناده عن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عزّ وجل: «والليل إذا يغشى» «والنجم إذا هوى» وما أشبه ذلك، فقال: إنّ الله عزّ وجل أن يقسم من خلقه بما شاء وليس لخلقه أن يقسموا إلّا به.

و في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي: الثانية ـ قال مالك : من حلف ألّا يكلّم رجلاً عصراً لم يكلّمه سنة. قال إبن العربي : « إنّما حمل مالك يمين الحالف ألّا يكلّم امرءاً عصراً على السّنة لأنّه أكثر ما قيل فيه، وذلك على أصله في تغليظ المعنى في الأيمان.

وقال الشافعي: يبرّ بساعة إلّا أن تكون له نيّة وبه أقول، إلّا أن يكون الحالف

عربياً فيقال له: ما أردت؟ فاذا فسّره بما يحتمله قبل منه إلّا أن يكون الأقل، و يجيء على مذهب مالك أن يحمل على ما يفسّر والله أعلم».

أقول: و لو قال : والله لا أتكلّم فلاناً عصراً أو في العصر - لو كان ترك الكلام راجحاً لسبب من الأسباب - يحمل على ما بعد الزوال إلى غروب الشمس لأنّه عرف شرعي إن لم يفهم المراد به فيه بقصد اللافظ أو قرينة تدل على غيره من أحد المعاني المشتركة.

﴿ بحث مذهبي ﴾

يستدلّ بقول الله جلّ وعلا: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا...» على أنّ الإنسان هو الفاعل المختار في معتقداته وأعماله وأقواله وحركاته... وأنّ سوء إختياره هو مصدر شقائه وخسرانه لا الله عزّ وجلّ ولا الزمان ولا المكان ولا الأفراد وأنّ سوء إختياره هو يوقعه في الذلة والهوان، في الهلاك والدمار وفي العذاب والنّار، فذنب المرء في حقّ بارئه تعالى، ومن يمنّ عليه بنعمه الجليلة وآلائه الجسيمة ورحمته الواسعة، وخيره الكثير جريمة لا تعدلها جريمة اخرى، ردّاً على الأشاعرة المجبرة الّذين هم أولياء الشياطين.

قال الله تعالى: «إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين» الأعراف: ٢٧-٢٩).

وقال: «إن تكفروا فانّ الله غنيّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزمر: ٧).

وقال: «وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون» الذاريات: ٥٦).

وقال: «وما امروا إلّا ليعبدوا مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة» البيّنة: ٥).

﴿ الاقسام القرآنية ﴾

قال الله عزّ وجل: «والعصر» العصر: ١).

واعلم أنّ القسم في القرآن الكريم على ضروب:

قسم بذات الله جلّ وعلا وصفاته العليا...

قال الله عزّ وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين» الأنبياء: ٥٧).

وقد أقسم بلفظة الجلالة: «الله» دعوة لهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وهو وحده يليق لها دون ما سواه مضافاً إلى تحقيق ما أقسم عليه.

وقال: «فوربّ السماء والأرض إنّه لحق مثل ما أنكم تنطقون» الذاريات: ٢٣) وقد أقسم بربوبيته لظهورها لكل إنسان، فكأنها أيضاً محسوس، مضافاً إلى تأكيد المقسم عليه.

و قسم بذات رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقته تنبيهاً إلى عظمته و كماله صلى الله عليه وآله وسلم:

فقال: «لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون» الحجر: ٧٢).

أقسم بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته ومنزلته لديه وعلوّ مقامه ورفعة شأنه صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى تذكير ما كانوا عليه من عموهيتهم في سكرانهم.

و قسم بالقرآن الكريم دعوة للناس إليه لما فيه خيرهم و كمالهم، وعزّهم وسعادتهم، وصلاحهم وفلاحهم:

إذ قال: «يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم» يس: ١ـ٤).

وقال: «ص والقرآن ذي الذكر بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق» ص: ١ـ٢).

وقال: «ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب» ق:١ـ٢).

أقسم جلّ وعلا بالقرآن الكريم من حيث إنه معجز مبيّن لطريق الحق و الهدى، مبيّن لسبيل الخير والرشاد، مبيّن لطريق الكمال والفلاح، ومبيّن لما يحتاج إليه البشر في دينه ودنياه من الأحكام والسياسات والعبادات وما إليها، أو بيّن للعرب مايدلّ على أنّه جل وعلا صيّره كذلك، مضافاً إلى تحقيق ما أقسم عليه.

وقسم بمخلوقاته من العلويات والسفليات، من الأعيان والاعراض والصفات والأماكن والأزمان، ومن الجماد والنبات والحيوان والإنسان، وبما يراه الإنسان ومالا يراه تنبيهاً إلى مافيها من الأسرار والحكم والمعارف والعلوم والحقائق، و من البراهين القاطعة والحجج الواضحة على وحدانية خالقها وقدرته و كمال علمه وتدبيره وغاية حكمته وعظمته، ومستشهداً بما فيها من الدلالة على المقسم عليه.

إنّ الله تعالى أقسم في كتابه المجيد بالعصر والفجر، بالصبح والفلق، بالشمس والقمر، بالليل والنهار، بالضّحى والليالي العشر، بالنجم ومواقعها، بربّ المشارق والمغارب، بالشفق وما وسق، بالسماء ذات البروج والنازعات غرقاً، بالناشطات نشطاً والسابحات سبحاً، بالسابقات سبقاً والمدبّرات أمراً وبالنون والقلم وما يسطرون...

أقسم بالذاريات ذرواً والحاملات وقراً، بالجاريات يسراً والمقسّمات أمراً، بالطور وكتاب مسطور، بالبيت المعمور والسقف المرفوع، بالبحر المسجور، بالصافات صفّاً والزاجرات زجراً، بالتاليات ذكراً والمرسلات عرفاً، بالعاصفات عصفاً، و الناشرات نشراً، بالفارقات فرقاً والملقيات ذكراً، بالنجم إذا هوى والشفع والوتر،

باليوم الموعود ، وشاهد ومشهود، بالأرض وماطحاها، بالتين والزيتون ، بالبلد الأمين ووالدوما ولد، بالطور والسينين، بالعاديات ضبحاً، والموريات قدحاً، بالمغيرات صبحاً، ونفس وماسوّاها، وبكل ما خلق وبما تبصرون وما لا تبصرون ...

إنّ الله تعالى أقسم بما ذكر إلفاتاً لنظر الانسان في العلويات والسفليات لما فيه من مفاتيح العلوم والمعارف والحكم كلها...

من المعرفة بالله جلّ وعلا وجلاله، وشمول علمه وغاية حكمته، وكمال قدرته وتدبيره وعظمته، المعرفة بالوحي السماوي وماوراء الطبيعة: المعرفة برسله وأنبيائه عليهم السلام، المعرفة باليوم الآخر والحساب والجزاء، والمعرفة بالنفس وإستعدادها، ومن علم الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة، والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم والحكم في عالمي التكوين والتدوين ونواميس الوجود ونظامه التي جعل الله عزّ وجل تلك الأقسام مفاتيحها لما فيها من ذكر جواهر الأشياء وبسائط الوجود ليلفت إليها العقول والأفكار، ويوقظ بها القلوب والأبصار، ويحرّض البحث عليها العلماء والامم، فعليهم التحقيق والتفكر فيها.

ولعلّ ذلك كلّه من الحكمة لنهي غير الله تعالى عن القسم بغير الله جلّ وعلا ، إذ ليس غرض الحلف المحاور بين الانسان ما ذكر في الأقسام الربانية، فانّ غرضه هو التأكيد والتحقيق للاخبار بوقوع شيء أو عدمه في الماضي أو الحال أو المستقبل.

وقد وردت روايات كثيرة في النهي عن الإقسام بغير الله تعالى منها:

في الفقيه: باسناده عن عليّ بن مهزيار قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: قول الله عزّ وجل : «والليل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى» وقوله عزّ وجل: «والنجم إذا هوى» وما أشبه هذا فقال: إنّ الله عزّ وجل يقسم من خلقه بما شاء وليس لخلقه أن يقسموا إلّا به عز وجلّ.

وفيه: باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عن النّبي صلى الله عليه وآله - في حديث المناهي - انه نهى أن يحلف الرجل بغير الله فليس

من الله في شيء، ونهى أن يحلف الرجل بسورة من كتاب الله عزّ وجلّ، وقال: من حلف بسورة من كتاب الله فعليه بكل آية منها كفّارة يمين، فمن شاء برّ ومن شاء هجر ونهى أن يقول الرجل للرّجل: لا وحياتك وحياة فلان.

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ برحبة القصّابين بالكوفة فسمع رجلاً يقول: لا والّذي احتجب بسبع طباق، قال: فعلاه بالدرّة وقال له: ويحك انّ الله لا يحجبه شيء ولا تحتجب عن شيء، قال الرجل: أنا أكفر عن يميني يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: لا لأنك حلفت بغير الله.

ان تسئل: انّ الله عزّ وجلّ نهى الإنسان عن اليمين بغير الله تعالى تارة وبذاته تارة اخرى فكيف أقسم هو بذاته وبغيره؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها: انّ الله تعالى أقسم في ما ورد من الأقسام في القرآن المجيد كلّها بذاته، بناء على حذف المقسم به أي ورب الذاريات ورب الطور، ورب النجم ورب المرسلات ورب النازعات، ورب التين ورب الزيتون وهكذا البواقي...

ومنها: لمّا كانت العرب تعظم هذه الأشياء، وتقسم بها نزل القرآن الكريم على ما يعرفونه ليوازن بلاغة القرآن المجيد ببلاغتهم.

هاؤم اقرؤا ما كانت العرب تقسم بها:

أقسم زهير بن أبي سلمى للحارث بن عوف وهرم بن سنان من بني غيظ بن مرّة فقال:

فأقسمت بالبيت الّذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

يقول: أقسمت بالبيت الّذي يقصده الناس للطواف حوله لنعم السيدان كنتما على كل حال من سهولة الأمر وصعوبته.

ويقول الله عزّ وجل: «فلا اقسم بمواقع النجوم وانّه لقسم لو تعلمون عظيم انّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلّا المطهرون».

ويقول النابغة في القسم إعتذاراً للنعمان واصفاً الكعبة: «اقسم بالبيت الّذي زرته سنين، وبما اريق من الدماء على الأصنام، وبالله الّذي أمن الطيور اللاجئات للحرم يمسّها تبركابها ركبان مكة السائرون بين الماء الخارج من جبل أبي قبيس المسمّى الغيل والسند وهو سفح الجبل، أقسم بما ذكر أنّي ما أتيت بشيء أنت تكرهه، إذن فلا جعل الله يدي ترفع إلى سوطي وهذا معنى قوله:

فلا لعمر الذي قد زرته حججاً ... وما هريق على الأنصاب من جسد

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكّة بين الغيل والسند

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه ... إذن فلا رفعت سوطى إلى يدي

ويقول الله جلّ وعلا: «والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلّاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها» فتعجّب كيف أخذ يقسم بالشمس إذا ظهر نورها والقمر إذا أتبعها والنهار إذا أظهرها، والليل وظلمته، والسماء وبنائها، والأرض ودحوها والنفوس وحسنها، وما ألهمت من الخيرات، وما أوعت من الشرور وأقسم بهذا كلّه أنّ من طهّرها فقد أفلح، ومن دنسها فقد خاب، تعجّب في هيئة القسمين، وتأمّل في القسم بهما تعرف الفرق بينهما.

جرت عادة العرب أن يقسموا بلفظ: «اقسم» كقوله:

فاقسم أن لو إلتقينا و أنتم ... لكان لكم يوم من الشرّ مظلم

وبلفظ: «يمين» كقوله:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وبلفظ: «العمر» كقوله:

لعمرك ما أدرى وانّي لأوجل ... على أيّنا تعدو المنية أوّل

وبلفظ «يمينا» قال زهير:

يميناً لنعم السيدان وجدتما   على كلّ حال من سحيل ومبرم

ثم جاءبعد ذلك الأقسام القرآنية نحو: مأة قسم ذكرنا جلّاً منها آنفاً.

ومنها: أن تكون تلك المخلوقات التي أقسم الله تعالى بها قد عظمت في أعين كثير من النّاس، وقوى سلطانها في أنفسهم، حتّى اتّخذوها آلهة لهم من دون الله فعبدوها كالنجوم والكواكب والشمس والقمر وما إليها...

فقال: «والنجم إذا هوى ـ والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها ...» فذكر عزّ وجل بجانب ذلك بعض صفاتها الدالة على أنّها مخلوقة له تعالى كتغيّرها من حال إلى حال وما يطرأ عليها من الافول والزوال مما لا يكون من شأن الآلهة المستحقّة للعبادة.

في فروع الكافي: باسناده عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قول الله عزّ وجل: «فلا اقسم بمواقع النجوم» قال: كان أهل الجاهلية يحلفون بها فقال الله عزّ وجل: «فلا اقسم بمواقع النجوم» قال: عظم أمر من يحلف بها، قال وكان الجاهلية يعظمون المحرم ولا يقسمون به ولا شهر رجب ولا يعرضون فيهما لمن كان فيهما ذاهباً أو جائياً، وان كان قتل أباه، ولا لشيء يخرج من الحرم دابة أو شاة أو بعير أو غير ذلك، فقال الله عزّ وجل لنبيه صلّى الله عليه وآله: «لا اقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد» قال: فبلغ من جهلهم انهم استحلّوا قتل النّبيّ وعظّموا أيّام الشهر حيث يقسمون به فيفون.

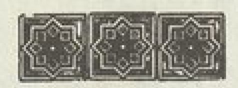
وفي تفسير العياشي: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا تتبعوا خطوات الشيطان، قال: كل يمين بغير الله فهي من خطوات الشيطان.

وفيه: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئلت عن قوله تعالى: «واذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً» قال: إنّ أهل الجاهليّة كان من قولهم: كلا وأبيك وبلى وأبيك فامروا أن يقولوا: لا والله وبلى والله.

وفيه : عن زرارة قال: سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله: «وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون» قال: من ذلك قول الرجل: لا وحياتك.

ومنها : أن تكون مما احتقره النّاس لغفلتهم عن فائدته وذهولهم عن موضع العبرة فيه، فأقسم ببعضها التعريف جلاله وهيبته، وببعضها لتنبيه الإنسان على قدرته وعظمته، وببعضها تذكيراً لنعمه عليه، وببعضها للتشريف في حق رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله ولوأنّهم تدبروا فيما هو عليه من جليل الصنعة، وبديع الحكمة لاهتدوا إلى معرفة خالقه، ونعتوه بما هو أهل له من صفات الجلال والكمال.

ومنها : انّ الاقسام إنّما تكون بما يعظّمه المقسم أو يجلّه وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فاقسم تارة بذاته واخرى بمخلوقاته لأنّها على بارئها وصانعها وإنّ القسم بالمصنوع يستلزم اليمين بالصانع لأنّ ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل لإستحالة المفعول بلافاعل.



﴿ كلمات حول الاقسام القرآنية ﴾

وقدجائت كلمات المفسّرين قديماًوحديثاً حول الأقسام القرآنية وعللها و أهدافها نشير إليها على طريق الإختصار ليتفكّر فيها القاريء الخبير :

منها : انّ الغرض من القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده .

ان قلت : إن كان القسم لأجل المؤمن فهو لغو لأنّ المؤمن مصدّق بمجرّد الإخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده لأنّه مكذّب ، أقسم أولا ؟

قلت : يمكن الجواب بامور :

الاول : انّ الكلام الّذي يخاطب به المنكر يجب أن يؤكّد سواء يقبله أم لا ليتمّ البيان والحجّة عليه ، وهذا مما لايمكن إنكاره و من أسباب التأكيد هو القسم .

والثاني: انّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، و من عادتهم القسم إذا أرادوا التأكيد لكلامهم حتّى أنّ بعض الأعراب إذ سمع قوله تعالى: « وفي السماء رزقكم وماتوعدون فوربّ السماء والأرض انّه لحق » صرخ فقال: من ذا الّذي أغضب الجليل حتّى ألجأه إلى اليمين .

والثالث: انّ الله تعالى في القرآن المجيد سواى ذاته المتعال بالمحسوسات لاثبات أمر غير محسوس إلّا قليلاً لاثبات أمر محسوس ، وليس قبول غير المحسوس كقبول أمر المحسوس فلاجرم إحتاج إلى القسم .

ومنها : انّ من تتبّع آي القرآن الحكيم فيما أقسم الله تعالى به من الأزمنة

والأمكنة والجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان ومانراه وما لانراه وبذاته جلّ وعلا وتأمّل في ذلك كلّه يجد انّه عزّ وجلّ بذلك لاثبات شيء قد أنكر وجوده الانسان أو احتقره أو لم يتنبّه إلى ما فيه من الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته فأقسم لتقرير ما أنكر وجوده أو لتعظيم ما احتقر وجوده أو لتنبيه ما فيه من الدلائل على قدرته جلّ وعلا وعظمته لايعلمه الانسان .

ومنها : انّ القسم إنّما يكون بشيء يخشى المقسم إذا حنث في حلفه به أن يقع تحت المؤاخذة - نعوذبالله أن يتوهّم شيء من هذا في جانب الله جلّ وعلا - و ما كان الله تعالى ليحتاج في تأكيد أخباره إلى القسم بما هو من صنع قدرته ، فليس لشيء في الوجود قدر إذا نسب إلى قدره تعالى ، الّذي لايقدره القادرون ، بل لاوجود لكائن إذا قيس إلى وجوده سبحانه إلّا لأنّه إنبسط عليه شعاع من أشعّة ظهوره جلّ وعلا ، ولذلك قد يسئل السائل عن هذا النوع من الخبر الّذي اختص به القرآن المجيد ، و كيف يوجد في كلام الله تعالى ؟

فيجاب عنه بأنّك إذا رجعت إلى جميع ما أقسم الله تعالى به وجدته إمّا شيئاً أنكره بعض الناس أو احتقره لغفلته عن فائدته أو ذهل عن موضع العبرة فيه وعمى عن حكمة الله عزّ وجلّ في خلقه ، أو إنعكس عليه الرأي في أمره ، فاعتقد فيه غير الحق الّذي قرّر الله تعالى شأنه عليه - فيقسم الله عزّ وجلّ به ، إمّا لتقرير وجوده في عقل من ينكره أو تعظيم شأنه في نفس من يحقّره أو تنبيه الشعور إلى مافيه عند من لايذكره أو لقلب الاعتقاد في قلب من أضلّه الوهم أو خانه الفهم . . .

ومن ذلك النجوم . . . قوم يحقرونها لأنّها من جملة عالم المادّة أويغفلون عن حكمة الله تعالى فيها ، و ما ناط بها من المصالح ، و آخرون يعتقدونها آلهة تتصرّف في الأكوان السفلية تصرّف الربّ في المربوب ، فيقسم الله تعالى بأوصاف تدلّ على أنّها من المخلوقات الّتي تصرّفها القدرة الإلهية ، و ليس فيها شيء من صفات الالوهية . . .

وهناك أمر يجب التنبيه عليه وهو أنّ من الأديان السابقة على دين الاسلام ماظنّ أهله أن هذا الكون الجسماني ومافيه من نور وظلمة، وأجرام وأعراض ـ إنّما هو كون مادّي، لم يشأ الله تعالى كونه إلّا ليكون حبساً للأنفس، و فتنة للأرواح، فمن طلب رضا الله عزّ وجلّ فليعرض عنه، وليبعد عن طيّباته، وليأخذ بدنه بضرب من الإعنات والتعذيب وأصناف الحرمان، وليغمض عينيه عن النظر إلى شيء مما يشتمل عليه هذا الكون الفاسد في زعمه ـ اللهم إلّا على نيّة مقته، والهروب منه . . .

فأقسم الله عزّ وجلّ بكثير من هذه الكائنات السماوية والأرضية، ليبيّن مقدار عنايته بها، وانّه لايغضبه من عباده أن يتمتّعوا بما متّعهم به منها، متى أدركوا حكمة الله عزّ وجلّ في هذا المتاع، و وقفوا عند حدوده في الإنتفاع.

ومنها : انّ الله عزّ وجلّ أقسم في القرآن المجيد بذاته وبصفاته وبكتابه ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبخلقه، فهل قسمه تعالى كقسمنا عند فقدان الدليل؟ كيف والله عزّ وجلّ هو خالق المدلول والدليل؟ كلّا إنّ الله تعالى أقسم بما أقسم في كتابه المجيد ليوجّهنا إلى مهمّة فيما يقسم به، وهي برهان قاطع و دليل ساطع للاثبات: عقلياً أو علمياً أو إعتبارياً أو أيّاً من صنوف البراهين المناسبة لاثبات المطلوب، بصورة مجرّدة عن صيغ البراهين المصطلحة لكي لايهابها غير المثقفين فيأنسوا بها، وكأنّها من محاوراتهم السوقية .

فقد يقسم بالدليل: « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين » قسماً بحكمة القرآن المجيد و علمياً و تقنينياً و . . . لتدلّ هذه الحكمة على نبوّة من أنزل عليه لكي يصلح للخطاب: «يس» أيها السامع للوحي، ثمّ على رسالته على صراط مستقيم فيالها من برهان ما أتقنه؟

و قد يحلف بموجبات المدلول أو دوافعه أو روافعه أو . . . طالماً الدليل واضح بمجرّد التنبيه أو أنّه بحاجة إلى تأمّل و تعمّل، و انّ الأقسام القرآنية

كلّها بين ما هو قسم بالأجرام العلوية أو السفلية ، وماهو قسم بالأدلة العقلية أو الحسيّة ، فلينظر الإنسان في واقع البراهين ، وليدرّس العلل والمعاليل .

ومنها : انّ فائدة القسم على الإطلاق إمّا ايجاد اليقين في قلب الانسان إذا لم يتيقّن بما اقسم به ، و إمّا لازدياده نفياً و إثباتاً ، و وجوداً و عدماً .

فأقسم تعالى على التوحيد في قوله : « والصّافات صفاً ـ إنّ إلهكم لواحد » وأقسم على أنّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حق في قوله : « والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » و على أنّ ماجاء به النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فهو وحي يوحى إليه بقوله : « والنجم إذا هوى ـ إن هو إلاّ وحي يوحى » .

وأقسم انّ القرآن الكريم حق في قوله : « فلا اقسم بمواقع النجوم وانّه لقسم لو تعلمون عظيم انّه لقرآن كريم » الواقعة : ٧٥ ـ ٧٧) .

وأقسم انّ الجزاء حق و انّ الناس سيبعثون إلى ربّهم يوم القيامة و انّ كلاً منهم سيلاقي جزاء عمله في قوله تعالى: « والذاريات ذرواً ـ إنّ ما توعدون لصادق و انّ الدين لواقع » .

و أقسم انّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بمجنون و له أجر غير ممنون و انّه لعلى خلق عظيم بقوله تعالى : « ن والقلم ـ و انك لعلى خلق عظيم » .

ولايخفى انّ العلاقة التي بين «ن» بكونه أحد الحروف الأبجدية وبين «القلم» والكتابة : « مايسطرون » و انّ «ن» تبتدأ به الكتابة بواسطة «القلم» فالقسم بها تعظيم لقيمها وتوجيه إليها في وسط الامّة الّتي لم تكن التعلّم بهذا الطريق متجهاً ، وكانت الكتابة فيهم نادرة ، فنمت و انتشرت لتقوم بنقل هذه العقيدة و ما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض، ثمّ لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة ، فلا ريب انّ الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمّة الكبرى حتّى بدأ الوحي بالقرائة والتعليم بالقلم بقوله عزّ وجلّ : « إقرأ باسم ربك الّذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ و ربك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم »

العلق : ١ ـ ٥) .

و أقسم بأنّه تعالى ما ودّع رسولـه صلى الله عليه وآله وسلم و ما قلاه بقوله : « والضحى والليل إذا سجى ـ ما ودّعك ربك و ما قلى » الضحى : ١ ـ ٣) .

و أقسم انّ على كل نفس حافظاً يحفظه بقوله : « والسماء والطارق ـ ان كل نفس لما عليها حافظ » الطارق : ١ ـ ٤) .

و أقسم انّ الله عزّ وجلّ لبالمرصاد فلا يغفل عن أحد بقوله : « والفجر ـ إنّ ربك لبالمرصاد » الفجر : ١ ـ ١٣) .

و أقسم انّه تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم بقولـه تعالى : « والتين والزيتون ـ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ١ ـ ٤) .

و أقسم انّ الانسان لربه لكنود بقوله : « والعاديات ضبحاً ـ انّ الانسان لربه لكنود » العاديات : ١ ـ ٦) .

و أقسم انّ الانسان مطلق العنان لفي خسر بقولـه : « والعصر إن الإنسان لفي خسر » العصر : ١ ـ ٢) .

و أقسم بأنّه جلّ وعلا ألهم نفس الانسان خيرها وشرها ، تقواها وفجورها، صلاحها و فسادها بقوله : « والشمس و ضحاها ـ فألهمها فجورها و تقواهـا » الشمس : ١ ـ ٨) .

و أقسم انّ سعي الانسان مختلف في حياته الدنيا بقوله: « والليل إذا يغشى ـ انّ سعيكم لشتّى » الليل : ١ ـ ٤) .

و أقسم انّ هذا القرآن المجيد لقول رسول كريم ، وليس هو بقول شاعر ولا هو بكاهن بل هو تنزيل من رب العالمين بقوله : « فلا اقسم بما تبصرون و ما لاتبصرون ـ تنزيل من ربّ العالمين » الحاقة : ٣٨ ـ ٤٣) .

فتدبّر أيها القاريء الخبير كيف أقسم الله عزّ وجلّ بما نراه وما لانراه مما خلق من عـوالم شتّى : عالم الجماد و عالم النبـات و عالم الحيوان و عالم

الانسان و عالم الأرواح و عالم الجنّ و ما في السماء من عوالم لا ترى حتّى بأدقّ الآلات . . .

والقسم بما خلق قسم بعظمته عزّ وجلّ وبالدّقة المتناهية التي أودعها في مخلوقاته ، و إرتباط هذه المخلوقات بعضها ببعض إرتباطاً وثيقاً يحير الألباب : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » الملك : ٣ ـ ٤) .

و ذلك انّ الانسان كلّما تقدّم في تحقيقاته و تجاربه ، كلّما ظفر بدساتير جديدة كانت تخفى عليه ، و خواص عجيبة وسعة لا تتناهى و دقّة لا تستقصى ، أودعها الله تعالى في أرجاء هذا الكون الرحيب ، فيحقّ لله عزّ وجلّ أن يقسم بعظمته التي ـ لاتتناهى ـ هذه العظمة التي تتجلّى فيما نبصره و ما لانبصره .

انّ قابليّة الإنسان في الإبصار قابليّة محدودة ولذلك يستعين بآلات شتّى: (المجهر : Microscope) كي يبصر الدقيق من الأشياء كالميكروبات والجراثيم التي يجب أن تكبر آلاف المرّات بل عشرات الآلاف كي يمكن رؤيتها، أو يستعين بالمرقب : (Telescope) ليرى في مسافات شاسعة ما خلق الله من كواكب وأنجم و شموس و مجرّات ، وما أودع الله في الفضاء من مادة غازية قليلة الكثافة جداً .

قد بلغ ببعض الأفراد في الشرق والغرب التسافل في النفس حتّى صاروا يجحدون الروح والنفس والملائكة، يجحدون الخالق جلّ جلاله و كل ما لا يرى بالعين ويؤمنون بكل ما يرى بالعين ، حين أنّ العين ذات قابليّة محدودة ، فهناك كثير من الأشياء كان ينكرها المادّي سابقاً لعدم وجود آلات يبصرها بها ، ثمّ اعترف بها بعد إكتشاف آلات تساعد على الرؤية ، و كذلك اليوم هناك كثير من الأشياء لاترى حتّى بأدقّ الآلات ، ولكنّها سوف ترى في مستقبل قريب عندما تكتشف آلات جديدة و دقيقة جدّاً .

و لذلك تنقسم الموجودات إلى منظور وغير منظور فكل ما يراه الانسان بعينه المجرّدة أو بالمجاهر أو بالمراقب أو الأجهزة المقربة ، و كل ما في السماء وما تحت الأرض ، و ما في قاع المحيطات وما في السحب ، كلّ ذلك من العالم المنظور ، وأمّا العالم غير المنظور فهو مالا يمكن رؤيته بالآلات أو بالعين المجرّدة ولكنّه موجود ، يحكم العقل بوجوده أكثر ممّا يحكم بوجود المنظور كالخشبة ، فهناك أشعة لا ترى بالعين ولا بالآلة : أشعّة غير منظورة ، أي أنّ هناك أشعّة مرئيّة وأشعّة غير مرئيّة ، وإنّ الأشعّة المرئيّة هي جزء صغير من الصّورة الكلّيّة للضّوء ، والأشعّة غير المرئيّة أكثر تفرّعاً و تأثيراً من الأشعّة المرئيّة ، و لذلك أخذ علماء الضوء :

إنّ كلمة (ضوء) أو (حزمة ضوئيّة) أو (إشعاع) قد لا تدلّ على حقيقة الضّوء ، والاولى أن يقال : (الطاقة المشعة) لتدل على جميع أنواع الإشعاع : المرئيّ منها وغير المرئيّ ، على أنّ العلم الحديث لم يصل إلى حقيقة الضّوء كما لم يصل إلى حقيقة القوى أو كل شيء قواني (منسوب إلى القوّة) لم يصل إلى حقيقة القوّة الجاذبة وحقيقة الكهرباء ، إنّما تفرض فروض ، فيفسّر بها بعض الظواهر ثم تخمد تلك الفروض بعد برهة من الزمن ، ويعوض عنها بفروض أو فرضيات (Hypotheses) اخرى يمكن تفسير الظواهر القديمة والجديدة بها معاً ، وهكذا دواليك . . . فالعلم الحديث لا يتيسّر له الولوج إلى أعماق الأشياء والوصول إلى حقائقها الّتي لا حقيقة بعدها ، وهو يعمل دوماً للوقوف على أسرار الأشياء و إذا به يقف أمام اودية جديدة من المجاهيل تدهش الألباب . . .

فمن تلك الأشعّة غير المرئيّة : الأشعّة السينية (X rays) أو أشعّة (رونتكن) هذه الأشعّة تخترق الأجسام الّتي لا يمكن أن يخترقها الضوء العادى ! و قد اكتشفت بالصّدفة ، إنّها قويّة جدّاً ذات موجة قصيرة ، فانّ طول موجتها (١٠٠٠٠) مرّة أقصر من طول موجة (الضوء المنظور) ومن الأشعّة الّتي

لاترى بالعين ولو بالآلة الأشعة الجيمية : «أشعّة كاما» و هي ذات موجة قصيرة أيضاً ، أقصر من طول موجة الأشعة السينية .

ومن الأشعّة التي لاترى: الأشعة (فوق البنفسجية **Ultra - Violet**) فانّ طول موجتها أطول من طول موجة الأشعة السينية و أقصر من طول موجة الضوء المرئى ، ومن الأشعّة غير المرئية : الأشعة (دون الحمراء) في شعاع الشمس ، وهي موجات حرارية نحسّ بها ، ولا نراها وهي تصل إلى الأعصاب والعضلات ، ولا يحسّ فيها الفيلم العادي للتصوير ، وقد استخدم الإنسان الأنواع المذكورة من الأشعّة في الكشف عن أمراضه ومعالجة كثير منها ، وقد استخدمها أيضاً في الغذاء والدواء .

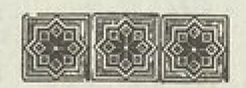
وقد علم أنّ الأشعة فوق البنفسجية التي هي في شعاع الشمس تقتل كثيراً من الجراثيم المضرّة ، وقد جاء في الدين الإسلامي: أنّ أحد المطهّرات هو الشمس، فتطهر الأرض النجسة أو الأبواب أو الجدران أو الأشجار أو الثمار التي عليها من غير المنقول والحصران والبواري من المنقول بعد زوال العين باشراق الشمس عليها، حتّى تجف ، وإن كان ما ذكر جافّاً فيصب عليه الماء حتّى تجففه الشمس بالإشراق عليه ، وهكذا موجات الراديو و موجات الرادار الّذي يكتشف وجود الأشياء في الفضاء ويحدّد مكانها بالضبط من النوع غير المنظور ، وقد تكون بعض الأجسام المادّية في وقت من نوع غير المنظور لعدم وجود آلات تكشف عنها ، و بعد إكتشاف آلات جديدة و دقيقة ، وتقدّم الفيزياء والرياضيات العالية ، تصبح من النوع المنظور .

مثال ذلك: ماكان يعلم قبل (١٠٠) سنة أنّ في كلّ مجرّة عدداً كبيراً جدّاً من النجوم تكاد تعد بالملايين تسودها أنظمة كالنظام الشمسى ، أي أنّ كلّاً منها شمس في حدّ ذاتها ، وقد فتقت منها سيّارات ، وفتقت من السيّارات هذه توابع وأقمار تدور حول الام ، وتدور في الوقت نفسه حول نفسها ، فاذا تقدّمت الآلات الفلكيّة ، سيأتي اليوم الّذي يتلافى فيه ضآلة الضّوء المنعكس من الأنجم التي

تقع في مسافات لا نهاية وسوف نشاهد أنجماً وعوالم كانت سابقاً من نوع غير المنظور .

ولذلك أقسم الله عزّ وجلّ تعظيماً لشأن ماخلق من عوالم لاتتناهى، عوالم لاترى بالعين المجرّدة ولا بالآلات بقوله تعالى : « فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » كما أنّه كان يعد سابقاً الغاز الموجود في الفضاء بين النجوم ، والذي إكتشفه أخيراً العلم الحديث من غير المنظور ، و قد أمسى منظوراً أو ملموساً محسوساً ، و ذلك لأنّ كثافة هذا الغاز تساوي ميليغراماً واحداً في كلّ مليون ميل مكعب من الفضاء .

ومن تلك الكلمات : انّ الله عزّ وجل أقسم بمخلوقاته العلوية والسفلية ، تعظيماً لها بذاتها تارة ، وتكريماً لها بانتسابها إلى الله تعالى تارة اخرى ، و انها من مخلوقاته جلّ وعلا فالنملة و إن صغرت في جسمها و ذاتها ، ولكنّها كبيرة لكونها مخلوقة من مخلوقاته تعالى .



﴿ القرآن الكريم وبيان اسباب الخسران ﴾

قال الله تعالى: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر» العصر: ١ـ٢).

إنّ الله عزّ وجل أقسم بالعصر في هذه السورة على خسران الإنسان ، مطلق العنان، وقد أشار في كثير من السور القرآنية إلى أسباب الخسران، كلّها بسوء إختيار الإنسان، إعتقادياً وقولياً وعملياً يرجع جميعها إلى ما يوجب خفّة الموازين يوم القيامة :

قال الله جلّ وعلا: «ومن خفّت موازينه فاولئك الّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون» الأعراف: ٩).

وأمّا أسباب الخسران فبامور :

١ـ التديّن بغير الدّين الإسلامى بعد ظهوره:

قال الله تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ٨٥).

٢ـ الشرك والكفر بالله سبحانه، والايمان بالباطل، والضّلالة :

قال الله عزّ وجل : «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين» الزمر: ٦٥ـ٦٦).

وقال : « والّذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون» العنكبوت : ٥٢).

وقال: «ومن يكفر بالايمان فقدحبط عملـه وهوفي الآخرة من الخاسرين» المائدة:٥).

وقال: «الّذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون» الأنعام: ٢٠).

وقال: «إنّ الّذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله ـ اولئك هم الخاسرون» الأنفال: ٣٦ـ٣٧).

وقال: «وخسر هنالك المبطلون ـ وخسر هنالك الكافرون» غافر:٧٨ـ ٨٥).

وقال: «ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون» الأعراف: ١٧٨).

وقال: «قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه إنّ الخاسرون الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزمر: ١٤ـ١٥).

٣ـ تكذيب النبيّ الكريم محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وما جاء به:

قال الله جلّ وعلا: «إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ـ ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون» البقرة: ١١٩ـ١٢١).

وقال: «والّذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون» الزمر: ٦٣).

٤ـ تكذيب الآخرة وحسابها وجزائها:

قال الله سبحانه: «إنّ الّذين لايؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون اولئك الّذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون» النمل: ٤ـ٥).

وقال: «قد خسر الّذين كذّبوا بلقاء الله حتّى إذا جائتهـم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيهـا وهم يحملون أوزارهم على ظهورهـم ألا ساء ما يزرون» الأنعام: ٣١).

وقال: «قد خسر الّذين كذّبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين» يونس: ٤٥).

٥ـ التحزّب بحزب الشيطان وإتخاذه وليّاً:

قال الله تعالى: «إتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ـ ويحسبون أنّهم على شيء ـ إستحوذ

عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون» المجادلة ١٦-١٩).

وقال: «ومن يتّخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» النساء: ١١٩).

٦- إطاعة الكافرين وإتباعهم والتقليد منهم وإتخاذهم أولياء لهم:

قال الله عزّ وجل: «يا أيّها الذين آمنوا إن تطيعوا الّذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين» آل عمران: ١٤٩-١٥٠).

وقال: «قال نوح ربّ انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلّا خساراً» نوح: ٢١).

٧- القتل بغير حق، وقتل الأولاد وتقليل النسل الإسلامي بأي طريق كان:

قال الله جلّ وعلا: «فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين» المائدة: ٣٠).

وقال: «قد خسر الّذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله إفتراء على الله» الأنعام: ١٤٠)

٨- العتوّ والطغيان، والظلم والعصيان:

قال الله سبحانه: «وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً» الطلاق: ٨-٩).

وقال: «إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظالمين في عذاب مقيم» الشورى: ٤٥).

٩- عاقّ الوالدين:

قال الله تعالى: «والّذي قال لوالديه افّ لكما- إنّهم كانوا خاسرين» الأحقاف. ١٧-١٨).

١٠- نقض العهد وقطع الرحم، والإفساد في الأرض، والخوض في الشرّ و الضّلالة والكيد والفسق :

قال الله عزّ وجل: «وما يضلّ به إلاّ الفاسقين الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون» البقرة: ٢٧) .

وقال: «وخضتم كالّذي خاضوا اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة و اولئك هم الخاسرون» التوبة: ٦٩).

وقال: «وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين» الأنبياء: ٧٠).

١١- الإفتراء على الله تعالى وصدّ النّاس عن سبيل الله جلّ وعلا:

قال الله جلّ وعلا: «الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً - اولئك الّذين خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون» هود: ١٩-٢٢) .

١٢- سوء الظّنّ بالله عزّ وجل وإتّباع الظّنّ والهوى :

قال الله سبحانه: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم و لكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنّكم الّذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين - وقيّضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وماخلفهم وحقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن و الإنس إنهم كانوا خاسرين» فصلت: ٢٢-٢٥).

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً أولئك الّذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف: ١٠٣-١٠٥).

١٣- إنقلاب الوجه والضمير عند ظهور الفتنة :

قال الله تعالى: «ومن النّاس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير إطمأنّ به

وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» الحج: ١١).

١٤- النفاق والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وإشاعة الفحشاء في المجتمع الإنساني:

قال الله عزّ وجل: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إنّ المنافقين هم الفاسقون - واولئك هم الخاسرون» التوبة: ٦٧-٦٩).

وقال: «فترى الّذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة - حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين» المائدة: ٥٢-٥٣).

١٥- حب الدنيا ومتاعها، والإنهماك في شهواتها وزخارفها، وتقديمها على الآخرة وإشترائها بها، والتلهي بالأموال والأولاد، والتفاخر بالعدد والعدد والجاه والرئاسة ...

قال الله جلّ وعلا: «ذلك بانّهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة - لاجرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون» النحل: ١٠٧-١٠٩).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون» المنافقون: ٩).

وبالمآل من خفّت موازينه يوم القيامة فهو في الآخرة خاسر و في جهنم خالد:

قال الله سبحانه: «ومن خفّت موازينه فاولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون» المؤمنون: ١٠٣).

﴿الخسران ومراتبه﴾

واعلم أنّ الخسارة لها مراتب، وماهو المعروف بين الناس أن تكون في الأموال والتجارات والمعاملات، وهي ذهاب رأس المال تماماً أو نقصانه، وأمّا ما سواه من الأموال والأمتعة وما إليها من المتعلّقات، فتبقى لصاحبه، وكذا يبقى دينه ونصيبه في الدار الآخرة إذا كان مؤمناً.

وأمّا من خسر في دينه فليس له عيش هنيء حتى في الحياة الدنيا: «ومن أعرض عن ذكري فانّ له معيشة ضنكاً» طه: ۱۲۴) ولا له في الدار الآخرة من خلاق: «و نحشره يوم القيامة أعمى قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» طه: ۱۲۴-۱۲۶).

وانّ الخسارة في الدين هي ذهاب ما يستطيع به الإنسان أن يسعد في الدارين من متصلاته ومنفصلاته... ومن يفعل ذلك خسرت تجارته المعنوية، فيعود عليه الوبال والنكال، وله جهنّم وبئس القرار:

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «إنّ أخسر النّاس صفقة وأخيبهم سعياً رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسراته وقدم على الآخرة بتبعته (بتبعاته خ)».

وفي شرح الحديد: قال: هذه صورة أكثر النّاس، وذلك لأنّ أكثرهم يكدّ بدنه ونفسه في بلوغ الآمال الدنيوية، والقليل منهم من تساعده المقادير على

إرادته وإن ساعدته على شيء منها بقي في نفسه مالا يبلغه كما قيل:

نروح و نغدو لحاجاتنا　　　و حاجة من عاش لا تنقضى

تموت مع المرء حاجاته　　　و تبقى له حاجة ما بقى

فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرته، ويقدم على الآخرة بتبعته لأنّ تلك الآمال الّتي كانت الحركة والسعي فيها ليست متعلقة بامور الدين والآخرة لاجرم انها تبعات وعقوبات...

وفى احقاق الحق: من كلام الإمام الخامس محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام:

«لما قيل له: من أخسر الناس صفقة؟ من باع الباقي بالفاني».

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أهان خمساً خسر خمساً: من استخفّ بالعلماء خسر الدين، ومن استخفّ بالامراء خسر الدنيا، ومن استخفّ بالميزان خسر المنافع ومن استخفّ بالأقرباء خسر المروءة، ومن استخفّ بأهله خسر طيب عيشه».

وفى نهج البلاغة: قال الإمام علي عليه السلام: «إحذر أن يراك الله عند معصيته و يفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقو على طاعة الله وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله».

وذلك انّ من علم يقيناً أنّ الله تعالى يراه عند المعصية يجتنب عنها من غير مراء و كل معصية ناش عن ضعف يقين العاصي، والآمال الطويلة...

وفيه: قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «معاشر النّاس! إتّقوا الله فكم من مؤمّل مالا يبلغه وبان مالا يسكنه، وجامع ماسوف يتركه، ولعلّه من باطل جمعه، ومن حقّ منعه، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره وقدم على ربّه آسفاً لاهفاً قد «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين».

وذلك انّ الآمال الّتي لاتبلغ أكثر من أن تحصى، وما أحسن قول القائل:

واحسرتا مات حظي من وصالكم　　　و للحظوظ كما للناس آجال

إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أملي كم تحت هذه القبور الخرس آمال!

وأمّا بناء مالا يسكن فنحو ذلك.

وقال الشاعر:

ألم ترحو شباً بالأمس يبنى بناء نفعه لبني نفيلة

يؤمّل أن يعمّر عمر نوح وأمر الله يطرق كل ليلة

وأمّا جامع ماسوف يتركه فأكثر الناس.

وقال الشاعر:

وذي إبل يسعى ويحسبها له اخو تعب في رعيها ودؤب

غدت وغلا رب سواه يسوقها وبدّل أحجار وجال قليب

وفي معاني الاخبار: باسناده عن موسى بن إسمعيل عن أبيه عن جده عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «كان للحسن بن علي بن أبيطالب صلوات الله عليهما صديق وكان ماجناً فتباطاء عليه أياماً، فجائه يوماً، فقال له الحسن عليه السلام: كيف أصبحت؟ فقال: يابن رسول الله أصبحت بخلاف ما احب ويحب الله ويحب الشيطان فضحك الحسن عليه السلام ثم قال: وكيف ذاك؟ قال: لأن الله عز وجل يحب ان اطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، والشيطان يحب أن اعصى الله ولا اطيعه ولست كذلك، وأنا احب أن لا أموت ولست كذلك.

فقام إليه عليه السلام رجل فقال: يابن رسول الله! ما بالنا نكره الموت ولانحبه؟ قال: فقال الحسن عليه السلام: إنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب».

وقد حكي: ان الجماز قال لأبي العالية الشامي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت على غير ما يحب الله، وغير ما احب أنا، وغير ما يحب إبليس لأن الله عز وجل يحب أن اطيعه ولا أعصيه ولست كذلك، وأنا احب أن أكون على غاية الجد والثروة ولست كذلك، وإبليس يحب أن أكون منهمكاً في المعاصي واللذات ولست كذلك.

وفي أمالي الشيخ الطوسي : قدّس سرّه باسناده عن عبدالله بن محمّد بن عبيدبن ياسين عن أبي الحسن الثالث عن آبائه عليهم السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام : «إنّ من الغرّة بالله أن يصرّ العبد على المعصية ويتمنّى على الله المغفرة».

وفيه : باسناده عن يعقوب بن السكيت النحوي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام : «إيّاكم والايكال بالمنى فانّها من بضائع العجزة» قال: وأنشدني إبن السكيت:

إذا مارمى بهم الهمّ في ضيق مذهب رمت بي المنى عنه إلى مذهب رحب

وقد ورد : «إشترى شريح داراً، وأشهد شهوداً، وكتب كتاباً، فبلغ ذلك عليّ بن أبيطالب عليه السلام فقال له: يا شريح إشتريت داراً ؟ قال: نعم وأشهدت شهوداً؟ قال: نعم قال: إحذر أن تكون قد اشتريت من غير مالك، ووزنت مالاً من غير حل، وسوف يأتيك من لا ينظر في بيّنتك، ولا يسئلك عن كتابك ويزعجك عنها، فتكون قد خسرت الدارين الدنيا والآخرة، ولو أنّك حين أردت شراء الدار أو إذا أراد أحد شراء دار جائني لكنت أكتب له كتاباً ازهّد فيه البائع المغرور، والمشتري قلت: وما كنت تكتب ؟ قال: كنت أكتب:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

: «هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت، قد ازعج بالرحيل إشترى منه داراً من دور الآفات من الجانب الفاني من عسكر الهالكين، ومجمع الغافلين، يجمع هذه الدار حدود أربعة :

فالحد الاول: ينتهي إلى الآفات.

والحد الثاني: ينتهي إلى عظم المصيبات .

والحد الثالث : ينتهي إلى الغفلات .

والحد الرابع : ينتهي إلى الشيطان المغوي، والهوى المردي، وإليه يشرع باب هذه الدار التي إشتراها هذا المزعوج بالأجل من هذا المغرور بالأمل، فما

أدرك مشتري هذه الدار، فعلى مبلبل الأجسام، وقاصم الجبابرة مثل كسرى وقيصر وسابور الأكبر وتبّع وحمير، ما أوضح الحق لذي عينين، انّ الرحيل حق أحد اليومين».

قوله عليه السلام: «من ميّت» أي ممّن يموت ويفنى، و «ازعج ـ مجهولاً ـ» من أزعجه: أقلعه وقلعه من مكانه فقلق وانقلع، و «بالرحيل» من رحل عن البلد: تركه وانتقل إلى موضع كذا، و «الآفات»: العاهات والمراد من هذا الكلام بما انطوى عليه من حدود الدار وغيرها انّ الإنسان لا ينبغي أن يجعل همّه في عمارة الدنيا وتشييد أركانها، بل يكفيه منها ما يقوم بمعاشه، وإنّما العقل والكياسة أن يجتهد في عمار دار القرار وهي الآخرة بتقديم الايمان والعمل الصالح في الدنيا.

وقوله عليه السلام: «مبلبل الأجسام»: محرّكها ومهيّجها، «أحد اليومين» أي يوم الرحيل يوم عظيم لأنّ فيه فراقاً.

وفي دعاء سبط المصطفى: سيد الشهداء، المقتول بكربلاء، الحسين بن عليّ المرتضى عليهما آلاف التحية والثناء ـ يوم العرفة ـ: «ولقد خسر من بغى عنك متحوّلاً...» الدعاء.



﴿ كلمات قصار في الخسران ﴾

غرر حكم و درر كلم حول الخسران نشير إلى مايسعه المقام:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا أباذر! من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر قلت: وما الثلاث فداك أبي واُمّي؟ قال: ورع يحجزه عمّا حرّم الله عزّ وجل عليه وحلم يردّ به جهل السّفيه، وخلق يداري به في الناس».

٢- وقال صلى الله عليه وآله : «أخسر الناس صفقة، رجل أخلق يديه في آماله، ولم تساعده الأيّام على امنيّته، فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله تعالى بغير حجّة».

٣- وقال صلى الله عليه وآله : «من أهان خمساً خسر خمساً: من استخفّ بالعلماء خسر الدين، ومن استخفّ بالامراء خسر الدنيا، ومن استخفّ بالجيران خسر المنافع، و من استخفّ بالأقرباء خسر المروّة، ومن استخفّ بأهله خسر طيب عيشه».

٤- وقال صلى الله عليه وآله : «إذا ترك أحدكم صلاة الفجر ناداه منـاد من السماء ! يا خاسر، وإذا ترك صلاة الظهر ناداه مناد! يا غادر، وإذا ترك صلاة العصر ناداه مناد من السماء ! يا فاجر، وإذا ترك صلاة المغرب ناداه مناد من السماء ! يا كافر ، وإذا ترك صلاة العشاء الآخرة ناداه مناد من السماء ! ليس لك رباء».

٥- وقال صلى الله عليه وآله : «إنّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له».

٦- وقال الامام علي عليه السلام : «الدّنيا سوق الخسران، وذلك لمن لم يأخـذها

مزرعة لآخرته، ورضي بها عوضاً عنها كما قال عليه السلام:

٧ـ «أخسر النّاس من رضي الدنيا عوضاً عن الآخرة».

٨ـ وقال عليه السلام: «ربّ رابح خاسر».

٩ـ وقال عليه السلام: «للجاهل في كل حالة خسران».

١٠ـ وقال عليه السلام: «من نصر الباطل خسر».

١١ـ وقال عليه السلام: «من أهمل نفسه فقد خسر».

١٢ـ وقال عليه السلام: «من عمل للدنيا خسر».

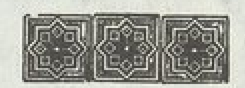
١٣ـ وقال عليه السلام: «من باع آخرته بدنياه خسرهما».

١٤ـ وقال عليه السلام: «من قصّر في أيّام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمره وأضرّه أجله».

١٥ـ وقال عليه السلام: «لا ترغب في الدنيا فتخسر آخرتك».

١٦ـ وقال عليه السلام: «ما أخسر صفقة الملوك إلّا من عصم الله، باعوا الآخرة بنومة».

١٧ـ وقال عليه السلام: «الراضي عن نفسه مستور عنه عيبه، ولو عرف فضل غيره لسائه مابه من النقص والخسران».



«الايمان و حقيقته»

قال الله جلّ و علا : «والعصر إنّ الانسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا» العصر : ١ ـ ٣) .

و اعلم أنّ الله تعالى لمّا جعل لكمال الإنسان و نجاته من الخسران أربعة أركان ، وقد أشار إليها كلّها في هذه السورة على طريق الإجمال ، وجعل أوّلها الايمان ، رأيت البحث حوله هيهنا أنسب ، فنخوض فيه بحول الله وقوّته عزّ وجلّ على طريق الإختصار : فاعلم أنّ المستفاد من الآيات القرآنية ، وصراحة الروايات الواردة عن مهبط الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين : أنّ الايمان هو معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وأنّ العمل ـ فعلاً ـ من الفرائض والطاعات و ـ تركاً ـ من الكبائر والمحرّمات داخل في حقيقة الايمان .

فمن أخلّ بالشهادة والإقرار عن إختيار فهو كافر سواء أكان له معرفة قلبية أم لا ، ومن أخلّ بالمعرفة والإعتقاد القلبى فهو منافق سواء أكان هو أخلّ بالعمل أم لا ، ومن أخلّ بالعمل ، فهو فاسق ، وانّ الطائفتين الأخيرتين داخلون في الإسلام وهم من زمرة المسلمين ظاهراً ، فيعامل معهم معاملة المؤمنين ، ولكنّهم داخلون في الكفر ، وهم من زمرة الكافرين واقعاً فيعاقبون يوم القيامة معاقبة الكافرين ، وقد يجتمع الفسق والنفاق في مسلم ، وقد يفترقان .

إنّما الايمان هو الإعتقاد القلبي بمجموع العقائد الحقّة من الاصول الخمسة والتصديق بها لساناً ، والإتيان بالفرائض الّتي ظهر وجوبها من القرآن الكريم

والروايات الواردة عن مهبط الوحي و أهل بيته المعصومين عليهم السلام ، و ترك الكبائر والمحرّمات التي نهى الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين عنها .

فالمؤمن من اعتقد بوحدانية الله عزّ وجلّ و بجميع صفاته الجلالية والجمالية، و بنبوة جميع أنبيائه ورسله و كتبه السماوية النازلة عليهم عليهم السلام و بأوليائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، و باليوم الآخر على طريق الأدلّة القاطعة والبراهين الواضحة و صدّق ذلك كلّه بلسانه من غير ريب في قلبه فيها ، و التزم بلوازمه كلّها من الأفعال ـ فعلاً ـ من الفرائض والطاعات ، و ـ تركاً ـ من المحرمات والسيّئات . .

وهذا هو المستفاد من الآيات الكريمة والروايات الصحيحة الواردة . . .

أما الآيات فكثيرة منها :

قوله تعالى: « والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته و كتبه و رسله لا نفرّق بين أحد من رسله » البقرة : 285) .

وقوله: « إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكّلون الذين يقيمون الصّلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم » الأنفال : 2 ـ 4) .

وقوله: « ولكنّ الله حبّب إليكم الايمان و زيّنه في قلوبهم و كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ـ قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم ـ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : 7 ـ 15) .

وقوله : « سلام على نوح في العالمين ـ إنّه من عبادنا المؤمنين ـ و انّ من

شيعته لابراهيم إذ جاء ربّه بقلب سليم » الصّافات : ٧٩ ـ ٨٤) .

وقوله : « قدأفلح المؤمنون الّذين هم في صلاتهم خاشعون والّذين هم عن اللغو معرضون والّذين هم للزّكاة فاعلون والّذين هم لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانّهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والّذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون والّذين هم على صلواتهم يحافظون » المؤمنون : ١ ـ ٩) .

و قوله : « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب » آل عمران : ٨) .

و قوله : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان و أيّدهم بروح منه » المجادلة : ٢٢) .

وقوله : « إلهكم إله واحد فالّذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون ـ من كفر بالله من بعد ايمانه إلّا من اكره وقلبه مطمئنّ بالايمان » النحل : ٢٢ ـ ١٠٦) .

وقوله : « الّذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون ـ لايزال بنيانهم الّذي بنوا ريبة في قلوبهم » التوبة : ٤٥ ـ ١١٠) .

وقوله : « ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والّذين آمنوا ومايخدعون إلّا أنفسهم ومايشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً و لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ـ و إذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن » البقرة : ٨ ـ ١٤) .

و قوله : « و ليعلم الّذين نافقوا ـ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » آل عمران : ١٦٧) .

و غيرها من الآيات الكريمة . . . و أمّا الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين فلايسع مقام الإختصار بذكر جميعها فمنها :

في مجالس الشيخ المفيد: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي الصّلت الهروي عن الرضا علي بن موسى عن آبائه صلوات الله عليهم أجمعين عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الايمان قول مقول ، وعمل معمول ، وعرفان العقول ، قال أبو الصّلت : فحدّثت بهذا الحديث في مجلس أحمد بن حنبل ، فقال لي أحمد : يا أبا الصّلت لو قرىء بهذا الإسناد على المجانين لأفاقوا .

و في قرب الاسناد: باسناده عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال أبي علي بن أبيطالب عليه السلام : سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان ، فقال : يقين بالقلب ، وإقرار باللسان ، و عمل بالأركان .

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام « وقد سئل عن الايمان : الايمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، و عمل بالأركان » .

أقول: ففيه صراحة على أنّ العمل بالأركان داخل في تعريف الايمان ، فمن ترك ما يجب عليه فعله ، فلم يسمّ مؤمناً و إن عرف بقلبه و أقرّ بلسانه .

وفي رواية: « لا يستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه » .

وفي احقاق الحق : عن عدّة كتب العامة :

« دخل علي بن موسى عليه السلام نيسابور فتعلّق العلماء بلجام بغلته وقالوا : بحقّ آبائك الطّاهرين حدّثنا حديثاً سمعته من آبائك ، فقال : حدّثني أبي موسى قال : حدّثني أبي جعفر قال : حدّثني أبي الباقر قال : حدّثني أبي زين العابدين ، قال : حدّثني أبي الحسين قال : حدّثني أبي علي بن أبيطالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان

« عمل بالأركان » .

ثم ذكر انّ الامام أحمد قال : لو قرئت هـذا الإسناد على مجنون لبـرأ جنونه ، قيل: إنّه قرأه على مصروع فأفاق .

وفى البحار : فقيل للإمام عليّ عليه السلام : الايمان قول و عمل أم قول بلاعمل ؟ فقال عليه السلام : الايمان : تصديق بالجنان ، و إقرار باللسان ، و عمل بالأركان و هو عمله كلّه .

و فى تحف العقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : الايمان عقد بالقلب ، و قول باللسان ، و عمل بالأركان .

و فى الكافى : باسناده عن عجلان أبي صالح قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أوقفني على حدود الايمان، فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عندالله ، وصلوات الخمس وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، و حجّ البيت وولاية وليّنا ، وعداوة عدوّنا ، والدخول مع الصّادقين .

وفيه: باسناده عن أبي الصّبّاح الكنانيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان مؤمناً ؟ قال: فأين فرائض الله ؟ قال: وسمعته يقول: كان عليّ عليه السلام يقول: لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولاصلاة ولاحلال ولاحرام! قال : وقلت لأبي جعفر عليه السلام : إنّ عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهو مؤمن قال: فلم يضربون الحدود ؟! ولم تقطّع أيديهم ! وما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن لانّ الملائكة خدّام المؤمنين ، وانّ جوار الله للمؤمنين، وانّ الجنّة للمؤمنين ، وانّ الحور العين للمؤمنين .

وفيه: باسناده عن سلام الجعفي قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الايمان ؟ فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى .

وفى تحف العقول : قال الصّادق عليه السلام : معنى صفة الايمـان : الإقرار

والخضوع لله بذل الإقرار والتقرّب إليه به ، والأداء له بعلم كل مفروض من صغير أو كبير من حدّ التّوحيد فما دونه إلى آخر باب من أبواب الطّاعة أوّلاً فأوّلاً مقرون ، ذلك كلّه بعضه موصول بعضه ببعض ، فاذا أدى العبد مافرض عليه مما وصل إليه على صفة ماوصفناه فهومؤمن مستحقّ لصفة الايمان، مستوجب للثواب.

وفي الاحتجاج : ـ في حديث طويل ـ قال إبن أبي العوجاء : فما الايمان وما الكفر ؟ قال عليه السلام : الايمان أن يصدق الله فيما غاب عنه من عظمة الله كتصديقه بما شاهد من ذلك و عاين .

وقيل لبعض الظرفاء : إنّ فلاناً يمشي على الماء قال: إنّ السمك والضفدع كذلك ، وقيل: إنّ فلاناً يطير في الهواء فقال: إنّ الطّيور كذلك ، وقيل: إنّ فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد قال: إنّ إبليس كذلك ، فقيل: فما الكمال عندك ؟ قال: أن تكون في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق .

وفي قرب الاسناد : عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه أنّه قال له : إنّ الايمان قد يجوز بالقلب دون اللسان ، فقال له : إن كان ذلك كما تقول فقد حرم علينا قتال المشركين، وذلك انّا لاندري بزعمك لعلّ ضميره الايمان ، فهذا القول نقض لامتحان النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من كان يجيئه يريد الإسلام ، و أخذه إيّاه بالبيعة عليه وشروطه وشدّة التأكيد ، قال مسعدة بن صدقة : ومن قال بهذا فقد كفر ألبتّة من حيث لايعلم .

وفي تحف العقول : عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام ـ في حديث ـ قال: و فرق ما بين المسلم والمؤمن انّ المسلم إنّما يكون مؤمناً أن يكون مطيعاً في الباطن مع ماهو عليه في الظاهر ، فاذا فعل ذلك بالظاهر كان مسلماً ، وإذا فعل ذلك بالظاهر والباطن بخضوع ، وتقرب بعلم كان مؤمناً فقد يكون العبد مسلماً، ولايكون مؤمناً إلّا وهومسلم .

وفي صحيح البخاري : ـ في كتاب التمنّي والزكاة والتوحيد ـ : حين

سئلوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن يحدث لهم بجمل من الأمر إن عملوا به دخلوا الجنّة، و يخبرونه بما ولائهم من قومهم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الايمان بالله، هل تدرون ما الايمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلّا الله، و إقام الصلاة و ايتاء الزكاة، وصوم رمضان، و أن تعطوا من المغانم الخمس، وأنهاكم عن أربع ما انتبذ في الدبّاء والنقير والحنتم والمزفّت.

وفي الكافي: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن الايمان، فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله وما استقرّ في القلوب من التصديق بذلك، قال: قلت: الشّهادة أليست عملاً؟ قال: بلى قلت: العمل من الايمان؟ قال: نعم الايمان لايكون إلّا بعمل، والعمل منه ولا يثبت الايمان إلّا بعمل.

وفيه: باسناده عن جميل بن درّاج قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الايمان، فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله قال: قلت: أليس هذا عملاً؟ قال: بلى قلت: فالعمل من الايمان؟ قال: لايثبت له الايمان إلّا بالعمل والعمل منه.

وفي قرب الاسناد: عن عبدالله بن ميمون عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «الايمان قول و عمل اخوان شريكان».

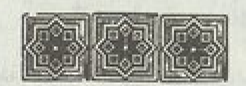
وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام -في خطبة-: «وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه، و إنّ قلب المنافق من وراء لسانه لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه، فان كان خيراً أبداه و إن كان شراً واراه، وإنّ المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه لايدرى ماذا له، وماذا عليه، و لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لايستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه، حتّى يستقيم لسانه» فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقيّ الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم فليفعل، واعلموا عبادالله أنّ المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عامّاً أوّل، ويحرّم

العام ما حرّم عاماً أوّل ، و أنّ ما أحدث النّاس لايحلّ لكم شيئاً مما حرّم عليكم ولكنّ الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرّم الله . . . » الخطبة .

أقول: و في ذلك دلالة واضحة على التلازم بين ما يعتقده المؤمن وما يقول ومايعمل ، فلسانه تابع لاعتقاده ولايقول ولايعمل إلّا مايعتقد به .

و فى دعاء الايام الرجبية ـ ندعوالله جلّ وعلا ـ : « وأعطنا منك الأمان و استعملنا بحسن الايمان ، و بلّغنا شهر الصيام و ما بعده من الأيّام والأعوام ياذا الجلال والإكرام » .

وفى دعاء أبى حمزة الثمالى : ـ في سحر ليالى رمضان المبارك ـ : « اللهم إنّي أسئلك ايماناً تباشر به قلبي ويقيناً حتّى أعلم أنّه لن يصيبني إلّا ما كتبت لي و رضّني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين » .



﴿ كلام في حقيقة الايمان ﴾

وقد اختلفت كلمات أصحاب المذاهب والآراء قديماً وحديثاً في حقيقة الايمان وتعريفه إختلافاً فاحشاً، وأفحش منها إختلاف العبائر الناقلة لتلك الآراء والكلمات، ولذلك إكتفينا في النقل بأهمّها لعدم وسع مقام الإختصار لذكر جميع العبائر المختلفة المتشتّتة، وتلخيص مواقفهم من الايمان على النحو التالي:

١- في نظرية التكليف للدكتور عبدالكريم عثمان: «جمهور مشايخ الحنفية والماتريدية على أنّ الايمان هو الإقرار والتصديق».

وفى تفسير الفخر الرازى : «وأمّا عند أبي حنيفة فانّ الايمان إسم للإعتقاد والقول والعمل خارج عن مسمّى الإيمان».

وفى دائرة المعارف: للفريد وجدي: «قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: إنّ الايمان معرفة الله بالقلب والإقرار بها باللسان، فاذا عرف المرأ الدين بقلبه و أقرّ به بلسانه فهو مسلم كامل الايمان، وانّ الأعمال لا تسمّى ايماناً، وإنّما تسمّى شرائع الايمان».

وفى روح المعانى للآلوسي: «إنّ الايمان إسم للتصديق البالغ حدّ الجزم والإذعان وذلك لا يتصوّر فيه زيادة ولا نقصان، فالمصدق إذا أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي، فتصديقه بحاله لم يتغيّر أصلاً»

هذا عند أبي حنيفة وأتباعه ...

٢- في نظرية التكليف: «جمهور مشايخ الأشاعرة على أنّ النطق من

القادرعليه شرط في الايمان خارج عن ماهيته الّتي هي التصديق ، وإليه ذهب الماتريدي».

وفي **دائرة المعارف** : «ذهب إبن محرز الجهم بن صفوان، وأبوالحسن الأشعري وأصحابهما، فقالوا : الايمان هومعرفة الله تعالى بالقلب فقط وإن ظهر أنواع الكفر بلسانه وعبادته».

فالفريقان مشتركان في عدم الإشتراط لأعمال الجوارح في حقيقة الايمان يعني انهم لا يهتمّون بها.

٣- في نظرية التكليف: «قول الكرامية بالايمان: انه مجرّد الاقرار باللسان فالمنافق عندهم مؤمن، وإن كان قلبه غير مطمئن بالايمان به».

و في **دائرة المعارف** : «ذهب محمدبن كرام السجستاني وأصحابه إلى أنّ الايمان هوإقرار باللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه، فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنّة».

٤- في نظرية التكليف: «رأي جهم والنجارية في أنّ الايمان هومجرّد المعرفة بالقلب فمن عرف الله أقرّ بلسانه أم لا فهومؤمن».

٥- انّ الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقّة تقضي بماتذهب إليه الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق مهبط الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وهوانّ الايمان هوالتصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان معاً بأنّ الايمان هومجموع المعرفة والقول والعمل، وأنّ الفعل من الفرائض والطاعات، والترك من الكبائر والسيئات داخل في حقيقة الايمان كما أنّ المعرفة والقول داخلان فيه، فلا يكفي أحدها أوإثناها في حصول الايمان.

أمّا الإعتقاد القلبي فانّه غير كاف لقوله عزّ وجل: «وجحدوا بهاواستيقنتها أنفسهم» النمل: ١٣) وقوله جلّ وعلا: «فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به» البقرة: ٨٩) فأثبت لهم الجحد مع يقينهم في الاولى، وأثبت لهم المعرفة والكفر في الثانية.

وأمّا الإقرار باللسان فانّه غير كاف أيضاً لقوله تعالى: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» الحجرات: ١٤).

وقوله سبحانه: «ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين» البقرة: ٨) ولاشك في أنّ اولئك الأعراب و هؤلاء المنافقين صدقوا بألسنتهم و أمّا العمل بالأركان فغير كاف أيضاً لقوله عزّ وجل: «والّذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجدالله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور» النور: ٣٩-٤٠).

وقوله تعالى: «ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين» المائدة:٥).

وقوله سبحانه: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف: ١٠٣-١٠٥).

وقوله جلّ وعلا: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين» الزمر: ٦٥).

فمن أخلّ بالإعتقاد فهو منافق، ومن أخلّ بالإعتراف والشهادة فهو كافر، و من أخلّ بالعمل فهو فاسق.

فالناس عند الفرقة الناجية الحقّة أعني الشيعة الإمامية الاثنى عشرية كلهم في الايمان نفياً وإثباتاً طوائف أربع: مؤمن، وكافر، ومنافق، وفاسق، وهذا هو المستفاد من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وانّ المنافق والفاسق داخلان في زمرة الكافرين، إذ أخلّ المنافق بالإعتقاد والفاسق بالعمل، وإن كاناهما مسلمين في ظاهر حالهما، وقد يجتمع الفسق

والنفاق معاً في بعض.

قال الله عزّ وجل: «إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً» النساء: ١٤٠).

و قال: «قال انظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما أغويتني لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لآتينـّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملان جهنم منكم أجمعين» الاعراف: ١٤ـ١٨).

وقال: «قال ربّ بما أغويتني لازيّنن لهم في الأرض ولا غوينـّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين وإنّ جهنـّم لموعدهم أجمعين» الحجر: ٣٩ـ٤٣).

وقال: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم انّ المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نارجهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ـ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون» التوبة: ٦٧ـ٦٨ـ٨٤).

فالايمان عندالشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقـّة عبارة عن مجموع الإعتقاد والإقرار والعمل، وانّ الشك في أحد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية لأنّ الانسان و إن كان جازماً بحصول الإعتقاد و الإقرار ولكنـّه كان شاكاً في حصول العمل كان هذا القدر موجباً لكونه شاكـّاً في حصول الايمان، فالمؤمن حقاً عندهم: أن يعتقد الحق، ويعرب عنه بلسانه، ويصدقه بعمله فمن أخلّ بالإعتقاد وإن شهد وعمل فهومنافق، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر، ومن أخلّ بالعمل فهوفاسق.

قال الله عزّ وجل: «إنـّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون» الحجرات: ١٥).

و إنّ الايمان عندهم قابل للزيادة والنقصان لكثير من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى منها قوله عزّ وجل: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكّلون الّذين يقيمون الصّلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة ورزق كريم» الأنفال: ٢-٤).

خلافاً لأبي حنيفة إذ أنكر ذلك مع صراحة الآيات القرآنية والروايات الواردة في ذلك.

في تفسير **روح المعاني**: «ذهب أبوحنيفة - إلى أنّ الايمان لايزيد ولا ينقص».

٦- قد إختلفت كلمات المعتزلة والقاضي عبدالجبار الكلامي وأذنابهم في دخول الفرائض والنوافل، وترك المعاصي صغيرها و كبيرها كلّها في حقيقة الايمان كما ذهب إليه أبوالهذيل، أوالفرائض وترك الكبائر فقط كما ذهب إليه أبوهاشم وأبو علي.

وأمّا الشيعة الإمامية الإثنى عشرية الحقة فتذهب إلى أنّ إتيان الفرائض و الواجبات، وترك الكبائر والسيئات، وعدم الإصرار على الصغائر مع العلم بها داخل في حقيقة الايمان.

قال الله جلّ وعلا: «إنّما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن و لا الّذين يموتون وهم كفّار اولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً» النساء: ١٧-١٨).

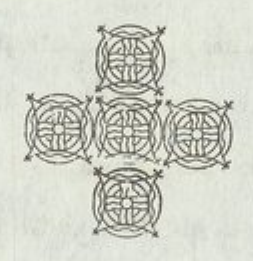
وقال: «وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنّه غفور

رحيم» الأنعام: ٥٤).

وقال: «والّذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربّهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» آل عمران: ١٣٥-١٣٦).

٧- ذهب الجبائيان إلى أنّ الايمان عبارة عن الطاعات المفترضة من الأفعال والتروك دون النوافل...

٨- قيل: إنّ الايمان عبارة عن الطاعات كلّها فرائضها ونوافلها ...



﴿الايمان والاسلام﴾

قال الله عزّ وجلّ : « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم » الحجرات : ١٤) .

في الآية الكريمة دلالة واضحة على ما بين الإسلام والايمان من الفرق ، فلابدّ لنا من البيان :

و ذلك انّ الايمان هو تسليم المرء بظاهره و باطنه بأن تتوجّه بالقلب والقول والعمل إلى الله تعالى طاهرين من كل خاطر عقيدة فاسدة أو أثر ورائة أو همس تعصّب ، و انّ الإسلام هو التسليم بظاهره فقط، فاذا حقّق التسليم في الباطن أيضاً اضيف إليه الايمان ، فصار مسلماً مؤمناً ، وماله شأن في الواقع هو الإسلام الّذي معه الايمان ، و أمّا الإسلام الّذي كان مجرّداً من الايمان ، فليس له شأن واقعاً ، و إن كان له شأن ما في الظاهر باختلاطه مع المؤمنين كاختلاط التراب في الحنطة ، والجرائيم من الذهب ، وانّ المؤمن لن يدخل النار : « الّذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » الأنعام : ٨٢) و ربما يدخل فيها المسلم ، ومانفى الله تعالى في موارد عديدة من كتابه العزيز هو دخول المؤمن فيها ، ولم ينف دخول المسلم فيها ، و انّ ولاية الله عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة لأهل الايمان لا لأهل الإسلام مجرّدين من الايمان : « الله وليّ الّذين آمنوا » البقرة : ٢٥٧) .

في الرواية: قال رسول الله ﷺ : « الإسلام علانية والايمان سريرة » بأنّ

الاسلام ما كان بين المسلم والخلق . والايمان ما كان بين الإنسان وخالقه ، كأنّ الاسلام قشر والايمان لبّ وقشر معاً ، وان الإسلام كالجسم ، والايمان جسم وروح معاً ، و انّ الايمان شجرة والاسلام ظلّها ، وانّ الإسلام إنقياد باللسان سواء عمل أم لا ، والايمان انقياد بالجنان واللسان والأركان معاً .

وفي الرواية: « انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم قسماً فأعطى رجالاً ومنع رجالاً ، فقال له صلى الله عليه وآله سعد بن أبي وقّاص : يا رسول الله صلى الله عليه وآله اعطيت فلاناً ، ولم تعط فلاناً وهو مؤمن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أو مسلم مرّتين أو ثلاثاً » .

فعلم أنّ الإسلام إسم لظاهر الدّين الّذي يلزم به الأحكام ، والايمان إسم للحقيقة الّتي يرجع إليها العبد و ينطوي عليها العقد ، فالاسلام هو الّذي منع الدماء والأموال أو أقام الذمم والأحكام . . . والايمان حقيقته الّتي نجّت من مقت الله تعالى ، وخلّصت من عذاب الله جلّ وعلا ، والمسلمون متساوون في الاسلام ، والمؤمنون متفاوتون في الايمان ، فأحسنهم عملاً وأكثرهم ذكراً أكملهم ايماناً.

وفي تفسير البرهان: عن جميل بن درّاج قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم » فقال لي: ألا ترى انّ الايمان غير الإسلام ؟

وفيه: عن شريك المفضّل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: الإسلام يحقن به الدّم وتؤدّى به الأمانة ، ويستحلّ به الفروج والثواب على الايمان .

وفيه: عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: الايمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل .

وفيه: سئل رجل أباعبدالله عليه السلام عن الإسلام والايمان ما الفرق بينهما فلم يجبه ثم إلتقيا في الطريق وقد أزف من الرّجل الرّحيل ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام كأنّه قد أزف منك رحيل ؟ فقال : نعم فقال : فالقني في البيت فلقاه فسئله عن الإسلام والايمان ، ما الفرق بينهما ؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الّذي عليه النّاس :

شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله و اقام الصّلاة و ايتاء الزّكاة وحجّ البيت و صيام شهر رمضان ، فهذا الإسلام ، وقال: الايمان معرفة هذا الامر مع هذا فان أقرّ بها ولم يعرف هذا الامر كان مسلماً وكان ضالّاً .

وفي الكافي: باسناده عن سماعة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن الإسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : إنّ الايمان يشارك الاسلام ، والإسلام لا يشارك الايمان ، فقلت: فصفهما لي، فقال: الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث ، وعلى ظاهره جماعة النّاس ، والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام و ما ظهر من العمل به ، والايمان أرفع من الإسلام بدرجة ، إنّ الايمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الايمان في الباطن ، و إن اجتمعا في القول والصّفة .

وفيه: باسناده عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ الايمان يشارك الإسلام ولا يشاركه الإسلام ، إنّ الايمان ماوقر في القلوب ، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث و حقن الدماء والايمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الايمان .

قوله عليه السلام : « ما وقر في القلوب»: سكن فيها و ثبت من الوقار .

وفيه: باسناده عن أبي الصّباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيّهما أفضل ؟ الايمان أو الإسلام ؟ فان من قبلنا يقولون : إنّ الإسلام أفضل من الايمان ، فقال : الايمان أرفع من الإسلام قلت : فأوجدني ذلك ، قال: ماتقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمّداً ؟ قال : قلت : يضرب ضرباً شديداً قال: أصبت قال : فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمّداً ؟ قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أنّ الكعبة أفضل من المسجد ، وأنّ الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة ، و كذلك الايمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الايمان .

قوله عليه السلام : « فأوجدني ذلك » أي أظفرني ذلك .

وفيه: باسناده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « الايمان ما استقرّ في القلب ، وأفضى به إلى الله عزّ وجلّ وصدّقه العمل بالطاعة لله ، والتسليم لأمره والإسلام ما ظهر من قول أو فعل ، و هو الّذي عليه جماعة النّاس من الفرق كلّها ، وبه حقنت الدماء و عليه جرت المواريث و جاز النكاح ، و اجتمعوا على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ ، فخرجوا بذلك من الكفر ، واضيفوا إلى الايمان ، والإسلام لايشرك الايمان ، والايمان يشرك الإسلام ، وهما في القول والفعل يجتمعان كما صارت الكعبة في المسجد ، والمسجد ليس في الكعبة ، و كذلك الايمان يشرك الإسلام ، والإسلام لايشرك الايمان .

وقد قال الله عزّ وجلّ : « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم » فقول الله عزّ وجلّ أصدق القول ، قلت : فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك ؟

فقال: لاهما يجريان في ذلك مجرى واحد ، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما ، وما يتقرّبان به إلى الله عزّ وجلّ ، قلت: أليس الله عزّ وجلّ يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » و زعمت أنّهم مجتمعون على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ مع المؤمن ؟ قال: أليس قد قال الله عزّ وجلّ : « يضاعفه له أضعافاً كثيرة » ؟

فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله عزّ وجلّ لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن ، ويزيده الله في حسناته على قدر صحّة ايمانه أضعافاً كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين مايشاء من الخير ، قلت: أرأيت من دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الايمان ؟ فقال : لا ولكنّه قد اضيف إلى الايمان ، و خرج من الكفر و سأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الايمان على الإسلام ، أرأيت لو أبصرت رجلاً في المسجد أكنت تشهد أنّك رأيته في الكعبة ؟ قلت: لايجوز لي ذلك ، قال : فلو أبصرت رجلاً في الكعبة أكنت شاهداً أنّه قد دخل المسجد الحرام ؟ قلت : نعم ،

قال : و كيف ذلك ؟ قلت : إنّه لايصل إلى دخول الكعبة حتّى يدخل المسجد ، فقال : قد أصبت وأحسنت ، ثمّ قال : كذلك الايمان والإسلام .

وفيه: باسناده عن عبدالرحيم القصير قال: كتبت مع عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسئله عن الايمان ماهو؟ فكتب إليّ مع عبدالملك بن أعين سئلت رحمك الله عن الايمان ، والايمان ، هو الإقرار باللسان ، وعقد في القلب ، وعمل بالأركان ، والايمان بعضه من بعض وهو دار و كذلك الإسلام دار والكفر دار فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ، ولايكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الايمان وهو يشارك الايمان ، فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي الّتي نهى الله عزّ وجلّ عنها كان خارجاً من الايمان ، ساقطاً عنه إسم الايمان ، و ثابتاً عليه إسم الإسلام ، فان تـاب و استغفر عاد إلى دار الايمان ، ولا يخرجه إلى الكفر إلّا الجحود والإستحلال أن يقول للحلال : هذا حرام ، و للحرام : هذا حلال و دان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والايمان ، داخلاً في الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة ، وأحدث في الكعبة حدثاً ، فأخرج عن الكعبة ، وعن الحرم ، فضربت عنقه ، وصار إلى النار .

وفيه: باسنادم عن سماعة بن مهـران قال : سئلته عن الايمان والإسلام ، قلت له: أفرق بين الإسلام والايمان قال: فأضرب لك مثله ؟ قال: قلت: أورد ذلك ، قال: مثل الايمان والاسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ، ولايكون في الكعبة حتّى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولايكون مؤمناً ، ولايكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً ، قال: قلت: فيخرج من الايمان شيء ؟ قال: نعم قلت: فيصيره إلى ماذا ؟ قال: إلى الإسلام أو الكفر ، وقال: لو أنّ رجلاً دخل الكعبة فأفلت منه بوله اخرج من الكعبة و لم يخرج من الحرم ، فغسّل ثوبه و تطهّر ثمّ لم يمنع أن يدخل الكعبة ، ولو أنّ رجلاً دخل الكعبة ، فبال فيها معانداً اخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه » .

وفي تحف العقول: عن الفضل بن يسار عن الرضا عليه السلام أنّه قال: إنّ الايمان أفضل من الإسلام بدرجة، والتقوى أفضل من الايمان بدرجة، ولم يعط بنو آدم أفضل من اليقين.

أقول: وفي تلك الروايات نكات لطيفة جدير لذكر أهمّها:

منها: إنّ فضل الايمان على الإسلام كفضل الكعبة على سائر المساجد...

ومنها: إنّ الكعبة واحدة، والمساجد متعدّدة، والكعبة مركز تدور عليه المساجد كلها، و يولّى عابدوها وجوههم شطره حفظاً لنظام الوحدة كما أنّ القلب واحد بالنسبة إلى سائر أعضاء الجسد، فلابدّ لها من التبعيّة للقلب ليبقى نظام الجسم والعمل.

ومنها: إنّ محلّ الايمان هو القلب، ومظاهر الإسلام هي الأعضاء.

ومنها: ان بناء الكعبة بيد الأنبياء والأوصياء المعصومين عليهم السلام، والغرض منه هو التوحيد كما بناها إبراهيم عليه السلام لذلك وأمّا بناء المساجد فقد يكون لأغراض كثيرة، إذ قد يكون بناء بعضها ليقول الناس: إنّ بانيه مسلم، فيعيش بين المسلمين، وقد يكون للتجارة، وقد يكون للشقاق والإختلاف بين الامّة الإسلاميّة و إضرار الدين كمسجد الضرار... فكذلك الايمان والإسلام فلا يترتّب على الايمان إلّا التوحيد والتقرّب إلى الله جلّ وعلا، وأمّا الاسلام فربّما يكون لأغراض عديدة كبناء المساجد...

في الكافي: باسناده عن عبدالله بن مسكان عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما الإسلام؟ فقال: دين الله إسمه الإسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا، فمن أقرّ بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عزّ وجلّ به فهو مؤمن.

قوله عليه السلام: «قبل أن تكونوا حيث كنتم» أي قبل أن تكونوا في عالم الدنيا حيث كنتم في عالم الأرواح والذر، و بعد أن تكونوا في عالم القبر والفناء.

«الاختيار و الايمان»

قال الله عزّ وجل: «وقل الحق من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف: ٢٩).

وقال: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلّا باذن الله ويجعل الرجس على الّذين لا يعقلون» يونس: ٩٩-١٠٠).

في عيون الاخبار: عن الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام انّه سئله المأمون عن هذه الآية: «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا باذن الله...» فقال: حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من النّاس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، وما أنا من المتكلفين، فأنزل الله عليه يا محمد: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً» على سبيل الالجاء والإضطرار في الدنيا كما يؤمن من عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا منّي ثواباً، ولا مدحاً، ولكنّي اريد منهم أن يؤمنوا مختارين، غير مضطرّين ليستحقّوا منّي الزلفى والكرامة، ودوام الخلود في جنّة الخلد «أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين» وأمّا قوله: «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا باذن الله».

فليس ذلك على سبيل تحريم الايمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت

لتؤمن إلّا باذن الله، وإذنه أمره لها بالايمان ماكانت متكلّفة متعبّدة وإلجاؤه إيّاها إلى الايمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها، فقال المأمون فرّجت عنّي فرّج الله عنك، فأخبرني عن قول الله تعالى: «الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري و كانوا لايستطيعون سمعاً» فقال عليه السلام: إنّ غطاء العين لايمنع من الذكر والذكر لايرى بالعين ولكن الله عزّوجل شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبيطالب عليه السلام بالعميان لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلى الله عليه وآله فلا يستطيعون له سمعاً فقال المأمون: فرّجت عنّي فرّج الله عنك».

ان تسئل : انّ ظاهر قوله تعالى: «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا باذن الله و يجعل الرجس على الّذين لايعقلون» يدل على أنّ الايمان إنّما يكون لهم فعله باذنه وأمره وهذا ما يخالف الإختيار، فان حمل الإذن هيهنا على الإرادة إقتضى أنّ من لم يؤمن فلم يرد الله تعالى منه الأيمان، وهذا خلف أيضاً؟.

ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الّذين لايعقلون، ومن كان فاقد العقل لايكون مكلّفا. فكيف يستحق العذاب؟ مع أنّه مخالف لماورد عن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله: «أكثر أهل الجنّة البله» ؟.

تجيب عنه بوجوه :

منها ـ أن يكون الإذن هيهنا بمعنى الأمر كما اشير إليه في الرواية، فيكون المعنى: انّ الايمان لايقع من أحد إلّا من بعد أن يأمره الله تعالى به، فلا يكون معناه ما ظنّه السائل من أنّه لايكون للفاعل فعله إلّا باذنه، ويجري هذا مجرى قوله عزّوجل: «وما كان لنفس أن تموت إلّا باذن الله» آل عمران: ١٤٥).

ومنها ـ أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل، ولا ريب في أنّ الله عزّوجل يوفّق لفعل الايمان، ويلطف فيه، ويسهل السبيل إليه.

وذلك انّ الايمان عبارة عن صيرورة النفس بحيث يعرف الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعترف بذلك ويعمل بمقتضاه، وينهى النفس عمّا

تهواه ويعبد الله عزّ وجل كأنّه يراه وهذا ممّا لايتيسّر إلّا لنفس زكيّة وقلب سليم، قابل لتصوير الحقائق كالمرآة المصقّلة ينعكس فيها قرص الشمس بتمامه، و تضيء بانعكاسها فيها زاوية البيت، ولايمكن ذلك عن زجاجة، ولامرآة غير مصقّلة أومسودّة، فمن تبع هواه ظهرت الكثافة والأجرام على صفحة مرآة قلبه، فلاينعكس عليها نور الايمان، ولا يوفّقه الله تعالى للإيمان ولا يسهل عليه، فلايؤمن مادام قلبه غير مصفّى.

ومنها ـ أن يكون الإذن بمعنى العلم من قولهم: أنت أذنت لكذا و كذا: إذا سمعته و علمته، و أذنت فلاناً بكذا و كذا: إذا أعلمته، فتكون فائدة الآية الكريمة الإخبار عن علمه عزّ وجلّ بسائر الكائنات، وأنّه مما لاتخفى عليه الخفيّات.

ومنها ـ أن يكون الإذن بمعنى العلم ـ بالتحريك ـ و معناه: إعلام الله تعالى المكلّفين بفضل الايمان، وما يدعو إلى فعله، فيكون معنى الآية الكريمة: وماكان لنفس أن تؤمن إلّا باعلام الله عزّ وجل لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها إلى فعله.

ومنها ـ أن يكون معنى الآية الكريمة: أنّه لايمكن لأحد أن يؤمن إلّا باطلاق الله تعالى له في الايمان، وتمكينه منه ودعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك.

وأما قوله تعالى: «ويجعل الرجس على الّذين لايعقلون» فلم يعن به الناقصي العقول، وإنّما أراد جلّ وعلا الّذين لم يعقلوا ولم يعلموا ماوجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، والإعتراف بنبوّة رسله عليهم السلام والإنقياد إلى طاعتهم ووصفهم بأنّهم لايعقلون تشبيهاً كما قال الله عزّ وجل: «صمّ بكم عمى» و كما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الامور أو لم يعلم ماهو مأمور بعلمه بالجنون و فقد العقل وأمّا الحديث الّذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه: إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم

يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون، وإنّما أراد البله عن الشرّ والقبيح ، و سمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لايستعملونه ولايعتادونه، لامن حيث فقدالعلم به،و وجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر.

وفي الكافي: باسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ هذه الدنيا يعطيها الله البرّ والفاجر ولايعطي الايمان إلاّ صفوته من خلقه.

وفيه: باسناده عن ميسر قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الدنيا يعطيها الله عزّ وجل من أحبّ، ومن أبغض، وإنّ الايمان لايعطيه إلاّ من أحبّه.

وفي عيون الأخبار: باسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه ذات يوم: ياعبدالله أحبب في الله وأبغض في الله ، ووال في الله وعاد في الله فانّه لاتنال ولاية الله إلاّ بذلك، ولايجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتّى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة النّاس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون، وعليها يتباغضون و ذلك لايغني عنهم من الله شيئاً، فقال له: و كيف لي ان أعلم أنّي قد واليت وعاديت في الله عزّ وجل ، ومن وليّ الله حتّى اواليه ومن عدوّه حتّى اعاديه، فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فقال: أترى هذا ؟ فقال: بلى قال: ولي هذا ولي الله فواله وعدو هذا عدوالله فعاده و وال ولي هذا ولوأنّه قاتل أبيك و ولدك، وعاد عدوهذا ولو أنّه أبوك و ولدك .

وفي تفسير القمي: «ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» أي لو شاء أن يجبر الناس كلّهم على الايمان لفعل.

وفي تفسير العياشي: عن عليّ بن عقبة عن أبيه قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إجعلوا أمر كم هذالله ولا تجعلوا للناس، فانّه ماكان لله فهو لله ، وماكان للنّاس فلا يصعد إلى الله، ولاتخاصموا الناس بدينكم، فانّ الخصومة ممرّضة للقلب انّ الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : «إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله

يهدي من يشاء» قال: «أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين» ذروا الناس فان الناس أخذوا من النّاس، وإنكم أخذتم من رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ولا سواء إنّي سمعت أبي عليه السلام وهو يقول: إنّ الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره.

وفي الكافي: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لأنسبنّ الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلّا بمثل ذلك: إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء، إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه، إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى إنكاره في عمله، فوالّذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم، فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

و فيه: باسناده عن الأصبغ بن نباته قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره أو قال: في القصر ونحن مجتمعون ثمّ أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب و قرىء على الناس، وروى غيره أنّ إبن الكوّا سئل أمير المؤمنين عن صفة الإسلام والايمان والكفر والنفاق، فقال: أمّا بعد فانّ الله تبارك وتعالى شرع الإسلام وسهّل شرائعه لمن ورده وأعزّ أركانه لمن حاربه، وجعله عزّاً لمن تولّاه وسلماً لمن دخله و هدى لمن ائتمّ به، وزينة لمن تجلّله وعذراً لمن انتحله، وعروة لمن اعتصم به وحبلاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلّم به ونوراً لمن إستضاء به، وعوناً لمن إستغاث به و شاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به وعلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى، وحلماً لمن جرّب ولباساً لمن تدبّر، وفهماً لمن تفطّن ويقيناً لمن عقل، وبصيرة لمن عزم وآية لمن توسّم.

وعبرة لمن اتّعظ ونجاة لمن صدّق وتؤدّة لمن أصلح وزلفى لمن اقترب وثقة لمن توكّل ورخاءاً لمن فوّض، وسبقة لمن أحسن وخيراً لمن سارع وجنّة لمن صبر ولباساً لمن اتقى، وظهيراً لمن رشد وكهفاً لمن آمن، وأمنة لمن أسلم ورجاءاً لمن

صدق ، وغنى لمن قنع فذلك الحق، سبيله الهدى ومأثرته المجد وصفته الحسنى فهوأبلج المنهاج، مشرق المنار ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النقمة، كامل العدّة كريم الفرسان، فالايمان منهاجه والصّالحات مناره والفقه مصابيحه، والدنيا مضماره والموت غايته، والقيامة جلبته والجنّة سبقته والنار نقمته، والتقوى عدّته، والمحسنون فرسانه، فبا لايمان يستدلّ على الصّالحات ، وبالصّالحات يعمّر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت تختم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنّة والجنّة حسرة أهل النّار والنار موعظة المتقين، والتقوى سنخ الايمان.

وفيه : باسناده عن جابر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أخا جعف إنّ الايمان أفضل من الإسلام، وإنّ اليقين أفضل من الايمان، وما من شيء أعزّ من اليقين.

وفيه : باسناده عن الوشّاء عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: الايمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة وما قسم في النّاس شيء أقلّ من اليقين.

وفيه : عن حمران بن أعين قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: إنّ الله فضّل الايمان على الإسلام بدرجة كما فضّل الكعبة على المسجد الحرام.

وفيه : باسناده عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا أبا محمد الإسلام درجة؟ قال: قلت: نعم قال: والايمان على الإسلام درجة؟ قال: قلت: نعم قال : و التقوى على الايمان درجة؟ قال: قلت: نعم قال: واليقين على التقوى درجة ؟ قال: قلت: نعم قال : فما اوتي الناس أقلّ من اليقين، وإنّما تمسكتم بأدنى الإسلام ، فايّاكم أن ينفلت من أيديكم.

قوله عليه السلام: «درجة» أي من الدرجات، و «ينفلت»: يخرج من قلوبكم فجأة.

وفيه : باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يارسول الله فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون

يا رسول الله قال: فما حقيقة ايمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله و التسليم لأمر الله فقال رسول الله ﷺ: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فان كنتم صادقين، فلاتبنوا مالاتسكنون ولاتجمعوا مالاتأكلون واتقوا الله الّذي إليه ترجعون.

وفى دعاء وقت الزوال: أللهمّ إنّي ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الايمان منتهى رضاي وبارك لي فيما قسمت لي وبلّغني برحمتك كلّ الّذي أرجو منك واجعل لي ودّاً وسروراً للمؤمنين وعهداً عندك.

وفى دعـاء حوائج الدنيا والآخرة : ـ: «أسئلك ايماناً لاأجل له دون لقائك تحييني و تميتني عليه وتبعثني عليه إذا بعثتني وأبرء قلبي من الرياء والسمعة و الشك في دينك» الدعاء.

وفيـه : أيضاًـ: «وأعوذ بك من أن أشترى الجهل بالعلم، والجفا بالحلم، و الجود بالعدل، والقطيعة بالبرّ والجزع بالصبر، أو الضلالة بالهدى أو الكفر بالايمان».



﴿ اركان الايمان و دعائمه ﴾

واعلم أنّ الايمان له أركان و دعائم يبنى عليها ، فاذا فقد شيئاً منها فهو ناقص ، و على حسب إستحكامها تكون قوّته و ضعفه .

في الكافي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال : قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه : الايمان له أركان أربعة: التوكّل على الله ، وتفويض الأمر إلى الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله عزّ وجلّ .

وفي قرب الاسناد : يقول الرضا عليه السلام : الايمان أربعة أركان : التوكّل على الله عزّ وجلّ ، والرضا بقضائه ، والتسليم لأمر الله ، والتفويض إلى الله .

وفيه: باسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليهما السلام قال : الايمان له أركان أربعة : التوكّل على الله تعالى ، والتفويض إليه ، والتسليم لأمر الله ، والرضا بقضاء الله تعالى ، و أركان الكفر أربعة : الرغبة ، والرهبة ، والغضب والشهوة .

وفي رواية : عن عبّاد بن قيس عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - في حديث طويل - قال: « فالايمان يابن قيس على أربعة أركان: الصبر واليقين والعدل والجهاد . . . » الحديث .

وفي تحف العقول : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة يذكر فيها الايمان وأركانه ودعائمه والكفر ودعائمه - : « إنّ الله إبتدأ الامور فاصطفى لنفسه منها ماشاء ، واستخلص منها ما أحبّ فكان ممّا أحبّ أنّه إرتضى الايمان ، فاشتقّه من إسمه ، فنحله من أحبّ من خلقه

ثم بيّنه ، فسهل شرائعه لمن ورده و أعزّ أركانه على من جانبه ، وجعله عزّاً لمن والاه وأمناً لمن دخله ، وهدى لمن ائتمّ به ، و زينة لمن تحلّى به وديناً لمن انتحله وعصمة لمن اعتصم به ، وحبلاً لمن استمسك به ، وبرهاناً لمن تكلّم به وشرفاً لمن عرفه وحكمة لمن نطق به ، ونوراً لمن استضاء به ، وحجّة لمن خاصم به ، و فلجاً لمن حاج به وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى وحلماً لمن حدث ، ولبّاً لمن تدبّر وفهماً لمن تفكّر ، ويقيناً لمن عقل وبصيرة لمن عزم ، وآية لمن توسّم وعبرة لمن اتّعظ ، ونجاة لمن آمن به ومودّة من الله لمن صلح ، و زلفى لمن ارتقب ، وثقة لمن توكّل وراحة لمن فوّض ، وصبغة لمن أحسن وخيراً لمن سارع ، وجنّة لمن صبر ولباساً لمن اتقى ، وتطهيراً لمن رشد وأمنة لمن أسلم ، وروحاً للصّادقين .

فالايمان أصل الحقّ ، وأصل الحق سبيله الهدى وصفته الحسنى ومأثرته المجد ، فهو بلغ المنهاج مشرق المنار ، مضيىء المصباح ، رفيع الغاية ، يسير المضمار جامع الحلبة ، متنافس السبقة ، قديم العدة كريم الفرسان ، الصّالحات مناره ، والعفّة مصابيحه ، والموت غايته ، والدنيا مضماره ، والقيامة حلبته ، والجنّة سبقته ، والنار نقمته ، والتقوى عدته والمحسنون فرسانه ، فبالايمان يستدلّ على الصّالحات ، وبالصّالحات يعمر الفقه ، وبالفقه يرهب الموت ، وبالموت تختم الدنيا ، وبالدنيا تحوز الآخرة وبالقيامة تزلف الجنة ، والجنّة حسرة أهل النار ، والنار موعظة التقوى ، والتقوى سنخ الايمان ، والتقوى غاية لايهلك من تبعها ، ولايندم من يعمل بها ، لأنّ بالتقوى فاز الفائزون وبالمعصية خسر الخاسرون ، فليزدجر اولى النهى وليتذكر أهل التقوى .

فالايمان على أربع دعائم : على الصّبر واليقين والعدل والجهاد .

فالصبر على أربع شعب : على الشّوق والشفق والزهد والترقّب ، فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

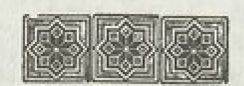
واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، و تأوّل الحكمة، و موعظة العبرة و سنّة الأوّلين، فمن تبصر في الفطنة تأوّل الحكمة، ومن تأوّل الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السنة، ومن عرف السنة فكأنّما عاش في الأوّلين.

والعدل على أربع شعب: على غائص الفهم و غمرة العلم و زهرة الحكم و روضة الحلم فمن فهم فسر جميع العلم، و من عرف الحكم لم يضلّ، ومن حلم يفرط أمره وعاش به في النّاس حميداً.

والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والصّدق عند المواطن، و شنآن الفاسقين فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف الكافرين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنأ الفاسقين غضب لله، ومن غضب لله غضب الله له، فذلك الايمان و دعائمه و شعبه ...» الحديث رواه الكليني قدّس سرّه في الكافي، وقد ورد أيضاً في نهج البلاغة.

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «دعائم الأيمان أربع: الاولى: أن تعرف ربك، الثانية: أن تعرف ما صنع بك، الثالثة: أن تعرف ما أراد منك، الرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك».

وفي البحار: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الايمان في عشرة: المعرفة، والطاعة، والعلم، والعمل، والورع، والإجتهاد، والصبر، واليقين، والرضا، والتسليم، فأيّها فقد صاحبه بطل نظامه».



«الايمان و أقسامه»

و اعلم أنّ الايمان باعتبارات مختلفة على أقسام: ايمان بالله تعالى و رسله و كتبه وباليوم الآخر، وايمان بالجبت والطاغوت والباطل، ايمان ببعض مايجب الايمان به دون بعض، ايمان في زمن دون زمن، ايمان مستقرّ ثابت، و ايمان مستودع و متزلـزل، ايمان تكويني ّ فطري، و ايمان تشريعي ّ و إختياري ّ، ايمان حقيقي ّ باطني ّ، وايمان ظاهري ّ لفظي، وايمان تقليدي ّ سمعي ّ، وايمان إستدلالي ّ قلبي ّ...

قال الله تعالى: «إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله و رسوله» النور: ٦٢).

و قال: «والّذين آمنوا بالباطل و كفروا بالله اولئك هم الخاسرون ـ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون» العنكبوت: ٥٢ ـ ٦٧).

وقال: «ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرون ـ ياأيّها الرسول لايحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الّذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» المائدة: ٥ ـ ٤١).

و قال: «ذلكم بأنّه إذا دعى الله وحده كفرتم و إن يشرك به تؤمنوا» غافر: ١٢).

وقال: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ـ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما ورائه ـ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» البقرة: ٢٥٦و٩١و٨٥).

وقال : « ألم تر إلى الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاءِ أهدى من الّذين آمنوا سبيلاً ـ إنّ الّذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ـ إنّ الّذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرّقوا بين الله و رسله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً » النساء : ٥١ و ١٣٧ و ١٥٠) .

وقال : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالّذي انزل على الّذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلّا لمن تبع دينكم ـ وليعلم الّذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » آل عمران : ٧٢ و ٧٣ و ١٦٧) .

وقال: « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » الحديد : ١٥) .

وقال : « الذين آمنوا و تطمئنّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات طوبى لهم وحسن مآب » الرعد: ٢٨ـ٢٩) .

وقال : « إنّ في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الألباب الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربّنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار » آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٣) .

وقال : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » الزمر: ٢٢) .

وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن

مثله في الظّلمات ليس بخارج منها كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون » الأنعام : ١٢٢) .

ولا يخفى على القاريء الخبير المتدبّر أنّ الغرض من ضرب الأمثال انها تؤثر في القلوب ما لايؤثره وصف الشّيء في نفسه ، و ذلك لأنّ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجليّ ، والغائب بالشاهد فيتأكّد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقاً للعقل ، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع في الايمان مجرّداً عن ضرب مثل له لم يتأكّد وقوعه في القلب كما يتأكّد وقوعه إذا مثل بالنور وإذا زهد في الكفر بمجرّد الذكر لم يتأكّد قبحه في العقول كما يتأكّد إذا مثل بالظلمة ، كما إذا أخبر بضعف أمر من الامور و ضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الاخبار بضعفه مجرّداً .

فالتمثيل ألطف ذريعة إلى تفهيم الجاهل ، ويجعل المعقول محسوساً والخفيّ جلياً ولذلك أكثر الله عزّ وجلّ في كتبه النازلة على أنبيائه عليهم السلام الأمثال حتّى وفي الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال ، وقد جاء في القرآن الكريم نحو ألف آية في الأمثال والعبر : « و لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون » الزمر : ٢٧) .

و كان من عادة الأنبياء والرسل بيان الحكم والمعارف في بعض المقامات بالتمثيل ، و تصوير الحقائق الغامضة العقلية بكسوة الأمثلة الحسيّة . . .

انّ الله تعالى خلق الانسان على فطرة الايمان ، وبها يعرف خالقه و أنبيائه واليوم الآخر إجمالاً ، فالإنسان في حقيقة وجوده مؤمن يعبّر عنه بالايمان التكويني والفطري : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠) .

ثم أمر بالايمان التشريعي بينّه أنبيائه وهو الايمان الإختياري ، و لعلّ إلى هذين النّوعين من الايمان أشار بقوله عزّ وجلّ : « يا أيّها الّذين آمنوا

آمنوا بالله و رسوله والكتاب الّذي نزّل على رسوله والكتاب الّذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » النساء : ۱۳٦) على أنّ فعل الماضي يشير إلى الايمان الفطري، وفعل الأمر يشير إلى الايمان التشريعي والإختياري .

في الكافي : باسناده عن حسين بن نعيم الصحّاف قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : لم يكون الرجل عندالله مؤمناً قد ثبت له الايمان عنده ثمّ ينقله الله بعد من الايمان إلى الكفر؟ قال: فقال: إنّ الله عزّ وجلّ هو العدل إنّما دعا العباد إلى الايمان به لا إلى الكفر ولا يدعوا أحداً إلى الكفر به، فمن آمن بالله ثمّ ثبت له الايمان عندالله لم ينقله الله عزّ وجلّ من الايمان إلى الكفر قلت له : فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عندالله ثمّ ينقله بعد ذلك من الكفر إلى الايمان ؟ قال : فقال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الناس كلّهم على الفطرة الّتي فطرهم عليها ، لا يعرفون ايماناً بشريعة ، ولا كفراً بجحود ثم بعث الله الرسل يدعوا العباد إلى الايمان به ، فمنهم من هدى ومنهم من لم يهده الله .

قوله عليه السلام : « إنّ الله عزّ وجلّ هو العدل . . . » جواب عما سئله السائل وحاصله : انّ الله تعالى خلق الناس على فطرة الايمان ، وأتمّ على جميعهم الحجّة بارسال الرسل وإنزال الكتب وإقامة الحجج ، فليس لأحد منهم حجة على الله جلّ وعلا يوم القيامة : « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل » النساء : ١٦٥) ولم يكن أحد منهم مجبوراً على الكفر لا بحسب الخلقة ، ولا من تقصير في الهداية و إقامة الحجّة ، ولكن استحق بعضهم الهدايات الخاصّة من الله تعالى فصارت مؤيّدة لايمانهم وتوفيقهم له لحسن إختيارهم ، ولم يستحق بعضهم ذلك لسوء إختيارهم، فمنعهم هذا التوفيق وتلك الألطاف فكفروا ومع ذلك لم يكونوا مجبورين في الكفر والطغيان ، ولا مجبولين إلى الفساد والعصيان . . .

قال الله تعالى: « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » الزمر: ٧) .

و قوله عليه السلام : « فمنهم من هدى الله » أي الّذين لم يخالفوا عما اقتضته فطرتهم الايمانية وتفكّروا في الآيات التكوينية والتدوينية ، تفكّروا في أنّهم من أين جاؤوا ومن خلقهم ؟ وإلى أين نزلوا ؟ وأي شيء يطلب منهم ؟ وإلى متى يعيشون في هذه الحياة الدنيا ؟ وإلى أين يذهبون ؟؟؟ و استمعو النداء الحق و جاهدوا فيه ، فيدركهم اللطف والتوفيق والرحمة كما قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » العنكبوت : ٦٩) .

و قوله عليه السلام : «ومنهم من لم يهده الله » أي الّذين خالفوا عما اقتضته فطرتهم الأصلية باتباع الهوى والإنهماك في الشهوات واللذات الفانية ، وحبّ الدنيا والجاه والمقام والرئاسة ، ولم يتفكّروا فيما ذكر وأعرضوا عن سماع نداء الحق ، فيسلب عنهم الرحمة واللطف والتوفيق وهو المراد من عدم هدايته تعالى إيّاهم .

و من أقسام الايمان : ايمان تقليديّ سمعيّ كايمان العوام المؤمنين إذ يصدّقون بما يسمعون ، ويستمرّون عليه ، و به يمتازون عن غيرهم من الناس غير المؤمنين حقاً ، وفائدة هذا الايمان حقن الدماء وحفظ الأموال وصيانة الأعراض ... وايمان عقليّ إستدلاليّ يحصل بانشراح الصدر وتنوّر القلب بنور الله جلّ وعلا : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه» الزمر : ٢٢) .

فينكشف بذلك النور فيه الوجود كلّه على ماهو عليه ، فيتّضح حينئذ أنّ الكل من الله عزّ وجلّ إبتداؤه ، وأنّ الكلّ إلى الله تعالى مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلّا الله جلّ وعلا وصفاته وأفعاله ، وهذا الصّنف هم المقرّبون النازلون في الفردوس الأعلى ، وهم على غاية القرب من الحضرة الربوبية وهم أيضاً على أصناف: فمنهم : « السابقون السابقون اولئك المقرّبون » ومنهم من دونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله جلّ وعلا و صفاته و أفعاله ، و درجات العارفين غير محصورة كما قال عزّ وجلّ : « و يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين اوتوا العلم درجات » المجادلة : ١١) .

فانّ الإحاطة بكنه جلال الله عزّ وجلّ وعظمته وعلمه وحكمته، وقدرته وتدبيره ورحمته ومغفرته ... غير ممكنة، وبحر المعرفة ليس له عمق ولا ساحل، فكل له درجة بقدر قوّة غوصه وخوضه في ذلك، وأمّا المؤمن ايماناً تقليدياً فهو من أصحاب اليمين إن كان عمله صالحاً: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين» ودرجته دون درجة المقرّبين فهو يثاب في الدار الآخرة بحسب ميزان عمله وسلامة صدره من الغلّ والغشّ، وهم أيضاً على درجات، فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين، فمن أدّى الفرائض والطاعات، و اجتنب عن الكبائر والمحرّمات، فيدخل في الجنّة، و كذا من أهل الفرائض و ارتكب الكبائر عن جهاته ثمّ تاب توبة نصوحاً، فانّ التائب من الذنب كمن لاذنب له **كالثوب المغسول.**

وأمّا من لم يتب من الكبائر حتّى مات فأمره خطير إذ ربّما كان موته على الإصرار سبباً لزوال ايمانه، فختم له بسوء الخاتمة، و لا سيّما إذا كان ايمانه ايماناً تقليدياً، فانّ التقليد و إن كان جزماً، فانّه قابل للإنحلال بأدنى شبهة، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة، و كلاهما إن ما تا على الايمان يدخلان في الجنّة ولو بعد حين بالعفو والشفاعة، ويعذّبان عذاباً يزيد على عذاب المناقشة في الحساب بحسب قوّة الإصرار و كثرة مدّته، وبحسب قبح الكبيرة إلّا أن يعفو الله تعالى ويتجاوز عنه قبل ذلك فانّه غفور رحيم.

و كما أنّ الايمان باعتبار على ضربين: حقيقيّ و تقليديّ كذلك الكفر أيضاً كفران: كفر عن جحد وعناد وإنحراف عن منهج السداد وهو مضادّ الحق لأنّه صفة وجودية وجهل مشفوع بالإصرار والإستنكار مركّب مع البغض واللجاج، و كفر عن قصور ونقص، و كلاهما منشأ الدخول في النار إلّا أنّ المنافق أشدّ عذاباً وأسوأ حالاً من الكافر لتذبذبه وإضراره على الدّين أكثر من ضرر الكافر عليه.

وإنّ المؤمن الحقيقيّ من يكون قلبه منزل كلمات الله تعالى ومورد ملائكته،

ويدلّ عليه قوله عزّوجلّ : « إن الّذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فصّلت : ٣٠ ـ ٣١) .

كما أنّ قوله عزّوجل : « الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النّور والّذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات اولئك أصحاب النارهم فيهاخالدون » البقرة : ٢٥٧) .

وقوله : « قدجاء كم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النّور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٥ ـ ١٦) .

وقوله : « فاتقوا الله يا اولى الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات مبيّنات ليخرج الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات من الظلمات إلى النور » الطلاق : ١٠ ـ ١١) .

وقوله : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هوالفوزالعظيم ـ والّذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصّدّيقون والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم » الحديد : ١٢ ـ ١٩) .

يدل على أنّ الايمان نور عقليّ يخرج به النفس من القوّة ـــــ إلى الفعل والكمال . ولايخفى على القاريء الخبير أنّ الايمان باعتبار على أربعة أقسام :

أحدها ـ ايمان صوريّ لايفيد بحال صاحبه إلّا في الحياة الدنيا كايمان المنافقين وفائدته حقن دمائهم وحفظ أموالهم وتعيّشهم بين المسلمين المؤمنين . . . كقوله تعالى: « ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين » البقرة : ٨) .

ثانيها ـ ايمان يفيد صاحبهم في الدار الآخرة فقط كايمان سحرة فرعون

كقوله عزّ وجلّ : « والقى السحرة ساجدين قالوا آمنّا برب ّالعالمين ـ وماتنقم منّا إلّا أن آمنّا بآيات ربّنا لمّا جائتنا ربّنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين » الأعراف : ١٢١ ـ ١٢٦) .

ثالثها ـ ايمان لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة كايمان فرعون حين رآى هلاكته و عذاب الله تعالى ومن ذهب مذهبه من الطغاة والجبابرة والبغاة والفسقة والكفّار والمجرمين إلّا قوم يونس عليه السلام و ايمان بعض النّاس حين الموت أو بعد ظهور علائم قيام الساعة كقوله تعالى : « هل ينظرون إلّا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً » الأنعام : ١٥٨) .

و قوله عزّوجلّ : « قل يوم الفتح لاينفع الّذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون » السجدة : ٢٩) .

و قوله جلّ و علا : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده و كفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا » غافر : ٨٤ ـ ٨٥) .

و قوله سبحانه : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانهـا إلّا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عـذاب الخـزي في الحياة الدنيا و متّعناهم إلـى حين » يونس : ٩٨) .

رابعها ـ ايمان يفيد صاحبه في الدنيا والآخرة معاً كايمان المؤمنين المخلصين كما قال الله تعالى: « إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فصّلت : ٣٠ ـ ٣١) .

﴿مراتب الايمان و كماله﴾

قال الله تعالى: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً» الأنفال: ٢).

وقال: «ولمّا رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلّا ايماناً وتسليماً» الأحزاب : ٢٢).

وقال: «هو الّذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم» الفتح: ٤).

في تفسير العياشي : عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له : قد فهمت نقصان الايمان وتمامه ، فمن أين جائت زيادته ؟ و ما الحجّة فيها ؟ قال: قول الله : « وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه ايماناً» إلى قوله : «رجساً إلى رجسهم » وقال : «نحن نقصّ عليك نبأهم بالحقّ انّهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى» ولو كان كلّه واحداً لازيادة فيه و لا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على أحد ، ولا يستوي النعمة فيه ، و لا يستوي الناس و بطل التفضيل، ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّة ، و بالزيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنقصان منه دخل المفرطون النّار .

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن

أبيطالب عليه السلام: «إنّ الايمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الايمان ازدادت اللمظة».

قوله عليه السلام: «اللمظة» مثل النكتة أونحوها من البياض، ومنه قيل: فرس ألمظ إذاكان بجحفلته شيء من البياض.

وفيه حجّة على من أنكر أن يكون الايمان يزيد أوينقص، ألاتراه عليه السلام يقول: «كلّما ازداد الايمان ازدادت اللمظة»؟

في تفسير روح المعاني للآلوسي ما لفظه: «ذهب أبوحنيفة و كثير من المتكلّمين إلى أنّ الايمان لا يزيد ولا ينقص، و اختاره إمام الحرمين محتجّين بأنّ الايمان إسم للتصديق البالغ حدّ الحزم و الإذعان، و ذلك لا يتصوّر فيه زيادة ولانقصان، فالمصدّق إذا أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغيّر أصلاً، وإنّما يتفاوت إذاكان إسماً للطاعات المتفاوتة قلّة و كثرة».

أقول: وهذا رأي أبي حنيفة ومن تبعه ما يخالف الأدلّة الأربعة:

أما الكتاب المجيد: فآياته كثيرة تصرح بخلاف هذا المذهب، كما جاء بعضها في أوّل هذا البحث.

ومنها: قوله عزّ وجل: «الّذين قال لهم الناس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» آل عمران: ۱۷۳).

ومنها: قوله جلّ وعلا: «نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى» الكهف: ۱۳).

ومنها: قوله تعالى: «ويزيد الله الّذين اهتدوا هدى» مريم: ۷۶).

ومنها: قوله سبحانه: «والّذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم» محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ۱۷).

ومنها: قوله عزّ وجل: «ويزداد الّذين آمنوا ايماناً» المدثر: ۳۱).

ومنها: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: «قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»

البقرة: ٢٦٠).

وغيرها من الآيات القرآنية تصرح بخلاف ما ذهب إليه أبوحنيفة وأتباعه...

ولا ريب: أنّ الايمان له مراتب بالزيادة والنقصان يمكن أن يزيد أو ينقص، بالسير إلى الله تعالى يزيد، وباتباع الهوى و السير إلى المعصية ينقص، ولاشبهة: أنّ الصفات القلبية و الأحوال الروحانية من الايمان بالله تعالى و كتبه و رسله و اليوم الآخر... ومن الخوف و الإخلاص والتوكّل ... و الأعمال الظاهرة لها تأثيرات في تصفية القلب، وفي تنويره بالمعارف الالهية، وانّ المؤثر يؤثر بحسب قدرته شدّة وضعفاً،فكلّما كان أقوى كان تأثيره أقوى وأزيد، و كلّما كان أضعف كان تأثيره أضعف، فالايمان يحصل بذلك، فكما أنّ لها آثاراً مختلفة شدّة وضعفاً فكان الايمان كذلك.

ومن غيرمراءٍ أنّ نفس التصديق يقبل القوّة وهي الّتي يعبّر عنها بالزيادة للفرق البيّن بين يقين الأنبياء والمرسلين و أوصيائهم المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و يقين آحاد الامّة، و عليه مبنى ما قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه دلائل كثيرة كنفس القوّة في دليل،والضعف في دليل آخر.

فقد تكون زيادة الايمان بقوّة الدليل، و قد تكون بزيادة الدلائل فيما يعتقده فلايعتوره شك ولايعتريه ريب، و يحصل له التوكّل على الله جلّ وعلا: «وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين» المائدة: ٢٣) بحيث يفوّض أمره إلى الله تعالى تماماً، فلا يخاف ولايرجو غيره: «فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٧٥) «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» طه: ١١٢) «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن» الأنعام: ٨٢) فلا يرجو ولا يخاف غيرالله جلّ و علا لعلمه بأنّه عزّوجل عالم،

و بيده تدبير العالم ، وبقدرته نظام الوجود ، و بحكمته نواميس الكون ، فقد تكفل بالجليل والحقير من خلقه ، ثمّ بعد هذه الأحوال القلبية يأخذ باتباع ما أمره الله عزّ وجل ، ونهاه عنه من إقامة الصّلاة و ايتاء الزكاة و الجهاد في سبيل الله تعالى...

فمن كانت الدلائل عنده لايمانه أقوى وأكثر فايمانه أقوى وأزيد من ايمان غيره لزوال الشك والريب عند قوّة الدلائل و كثرتها، فتزيد على يقينه، فتكون معرفة الله جلّ و علا أقوى ، فلا يعبد الله تعالى ما لم يره بعين قلبه كما قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : «ما كنت أعبد شيئاً لم أره ».

وانّ الدلائل على الايمان قد تكون سمعيّة ، وقد تكون عقليّة ، و انّ المؤمن القوى في ايمانه يخاف الله تعالى في جميع حالاته لعصيانه، فتطمئنّ نفسه انّه عزّ وجل يراه في كل حال، ويتوجّه قلبه إلى الله تعالى في تمام الأوقات و جميع الآنات ، فاذا تكلّم أوسكت فيرى ربه أمامه، إذا رأى شيئاً أوسمع فيرى ربه أمام عين قلبه، إذا عمل أوسكن فيرى ربّه أمام عين قلبه إذا مشى أوجلس، فيرى ربّه أمام عين قلبه... وفيهم قال الله تعالى: «الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ـ وتوفّنا مع الأبرار» آل عمران: ١٩١-١٩٣) وفيه دلالة على أنّ زيادة الايمان بزيادة البرهان الواضح عليه.

وقيل: إنّ زيادة الايمان بزيادة العمل و نقصانه بنقصان العمل بعد العقد القلبي بالدليل العلمي.

و أما الروايات الواردة في المقام : فكثيرة قد أوردنا نبذة منها آنفاً، **ومنها :**

في المنهج: « قال أمير المؤمنين عليه السلام : الايمان يبدء نقطة بيضاء في القلب، فكلّما ازداد الايمان عظماً إزداد ذلك البياض حتّى يبيض القلب كلّه ، و إنّ

النفـاق يبدء نقطة سوداء فكلّـما ازداد النفـاق ازداد ذلك السواد حتّى يسود القلب».

وفي تفسير الخازن: قال علي عليه السلام: «إنّ الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب، و كلّمـا ازداد الايمان عظماً ازداد ذلك البياض حتّى يبيض القلب كلّه، و إنّ النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب، و كلّما ازداد النفـاق ازداد السواد حتّى يسود القلب كلّه، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود».

وغيرها من الروايات الواردة لايسعها المقام.

وأما العقل: فدليله كثير لايسع مقام الإختصار بذكر الجميع فنكتفي بواحد منها على طريق الإختصار:

و ذلك انّ الايمان والكفر من مقولـة العلم، وانّ العلم على قول يكون كيفاً نفسانياً، والكيف يكون من الأعراض، فالايمان يكون عرضياً، وقيل: إنّ الكفر أمر عدمي من شأنه أن يكون ايماناً فبينهما عدم ملكة، وعلى العدم لايطلق الجوهر والعرض، وأمّا الايمان فبذاته لايطلق أيضاً على العرض والجـوهر لأنّ الايمان بكلّ شيء إدراك ذاك الشّيء وتصديق بوجوده، و إدراك كلّ شيء كان من سنخ مدرك ـ إسم مفعول ـ ويكون معه متّحد فالايمان بالله تعالى هو تجلّيه وإشراقه عزّ وجلّ في ذات المؤمن، ولمّا كان الله جلّ وعلا منزّهاً من الجوهر و العرض، فالايمان بالله تعالى لايكون جوهراً ولا عرضاً، فالايمان بعالم الغيب، و حقائق جوهريّته من مقولة الجوهر، و الايمـان بعالم المادّة والأعراض كان من سنخ المادّة والأعراض.

وأمّا الزيادة والنقصان في الايمان فبأنّ الايمـان علم، والعلم كالنور يكون ذا مراتب وضعف ونقصان كما شبّه الايمان بالنور في الآيات القرآنية منها قوله تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً» الشورى: ٥٢)

وفي الروايات منها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خمس لا يجتمعن إلا في مؤمن حقاً يوجب الله له بهن الجنة: النور في القلب، والفقه في الاسلام، والورع، والمودة في الناس، وحسن السمت في الوجه».

وذلك لأنا نجد آثار الايمان القوى قوياً، وآثار الايمان الضعيف ضعيفاً، فالمؤمن الكامل يعمل عملاً قوياً، و المؤمن الناقص لا يعمل بذلك الحد، و الأول يأتي مأة درهم صدقة والثاني يأتي عشرة دراهم صدقة، والأول لا يخاف و لا يرجو غير الله جل وعلا والثاني يخاف ويرجو غيره تعالى بحسب ضعف ايمانه و نقصانه.

قيل: يمكن إطلاق الزيادة والنقصان على الايمان باعتبار آثاره، ولكن ناقصه أو كامله يسمى ايماناً حقيقة كما يطلق على النور القوي والضعيف نوراً حقيقة مع إختلاف مراتبه...

وأما الإجماع: فالكلمات فيه كثيرة لا يسعها المقام، فنكتفي بكلامين واردين عن طريق العامة عسى أن يكونا أوقع في نفوس أتباع أبي حنيفة:

في تفسير روح المعاني للآلوسي (ج٩ص ١٤٨ط مصر) مالفظه: «وعلى هذا - بزيادة الايمان ونقصانه - قول البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الايمان قول وعمل ويزيد وينقص» وهو المعنى بما روى عن إبن عمر قال: «قلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الايمان يزيد وينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار».

ثم قال الآلوسي: و إن التصديق يقبل التفاوت بحسب مراتبه، فما المانع من تفاوته قوة وضعفاً كما في التصديق بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم، و قلة وكثرة كما في التصديق الإجمالي والتصديق التفصيلي المتعلق بالكثير».

وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الاندلسي (ج٤ ص٤٥٢ ط الرياض) ما لفظه: «إنّ الناس في معارف التوحيد والنبوّة والمعاد ثلاثة أقسام:

أحدها- الّذين بالغوا في هذه المعارف إلى حيث كالمشاهدين لها وهم أصحاب عين اليقين، فالقرآن في حقهم بصآئر.

والثاني: الذين وصلوا إلى درجات المستدلين، وهم أصحاب علم اليقين فهو في حقهم هدى.

والثالث: من اعتقد ذلك الاعتقاد الجزم، وإن لم يبلغ مرتبة المستدلّين وهم عامّة الناس من المؤمنين، فهو في حقهم رحمة ولمّا كانت هذه الفرق والثلاث من القوم المؤمنين قال: «هذا بصائر من ربكم وهدى و رحمة لقوم يؤمنون» الأعراف: ٢٠٣).

وفي البحار: قال العلامة المجلسي رحمة الله تعالى عليه ما لفظه: «والحق أن الايمان يقبل الزيادة والنقصان سواء كانت الأعمال أجزائه أو شرائطه أو آثاره الدالّة عليه، فان التصديق القلبي بأيّ معنى فسّر لا ريب أنه يزيد و كلّما زاد زادت آثاره على الأعضاء والجوارح، فهي كثرة وقلّة تدلّ على مراتب الايمان زيادة و نقصاناً، و كلّ منها يتفرّع على الآخر فان كل مرتبة من مراتب الايمان تصير سبباً لقدر من الأعمال يناسبها، فاذا أتى بها قوى الايمان القلبي، وحصلت مرتبة أعلى تقتضي عملاً أكثر وهكذا.

وجملة القول في ذلك أنّ للايمان، ولكلّ من الأعمال الايمانية أفراداً كثيرة وحقيقة ونوراً و روحاً كالصّلاة، فانّ روحاً هي الإخلاص مثلاً فاذا فارقها كانت جسداً بلا روح لا يترتّب عليه أثر، ولا ينهى عن الفحشاء والمنكر فللايمان أيضاً مراتب يترتّب على كلّ مرتبة منها آثار فاذا ارتكب المؤمن الكبائر نقص ايمانه وفارقه روح الايمان وحقيقته، و كيف يؤمن بالله ورسوله وبالجنّة والنّار و يرتكب ما أخبر الله بأنّه موجب لدخول النار فلا يكون ذلك إلّا لضعف في اليقين

كما ورد في أخبار كثيرة أنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سئلوا عند إدّعاء الايمان أو اليقين ماحقيقة ايمانك ؟ وماحقيقة يقينك ؟ فظهر لهما حقائق مختلفة تظهر بآثارهما.

و روح الايمان الواردة في الأخبار يمكن حملها على ذلك ، فان الايمان إذا ضعف حتى غلب عليه الشهوات البدنية فكأنه لاروح له ، ولايترتّب عليه أثر، بل لابقاء له فان غلب عليه الشهوة ، وعاد إلى التوبة ، قوى الايمان وعاد إليه الروح ، وترتّب عليه الآثار و عاد إليه الملك المؤيّد له ، ولذا اطلق الروح في بعض الأخبار على ذلك الملك أيضاً ، وقد يعود إليه بعد إنقضاء الشهوة وقوّة العقل والايمان ، وتصرّف العقل في ممالكه بعد ما صار مغلوباً مقهوراً بالشهوات البدنيّة ، فيتذكر قبح فعله ، فيعود إليه الملك المؤيّد أو شيء من نور الايمان ، و إن لم تكمل له التوبة ، ولم يقدر على العزم التامّ على تركها ، فيما سيأتي ، ولذا ورد في بعض الأخبار أنّه يعود إليه روح الايمان بدون التوبة أيضاً ».

وفي الميزان: قال ـ في قوله تعالى: « وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه ايمانا » التوبة : ١٢٤) ـ « إنّ السورة بانارتها أرض القلب بنور هدايتها توجب إشتداد نور الايمان فيه ، و هذه زيادة في الكيف ، و باشتمالها على معارف وحقائق جديدة من المعارف القرآنية والحقائق الإلهيّة و بسطها على القلب نور الايمان بما توجب زيادة ايمان جديد على سابق الايمان و هذه زيادة في الكميّة، ونسبة زيادة الايمان إلى السورة من قبيل النسبة إلى الأسباب الظاهرة » .

ولايخفى على القاريء الخبير : انّ الايمان لو كان كلّه على حد سواء لم يكن فيه زيادة ولانقصان ولم يكن لأحد من أهله فضل على الآخر ، ولاستوت النعم عليهم من غير تفضيل فرد من أهل الايمان على غيره من أهله ، ولاستوت النّاس ، وبطل التفضيل، وبتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّة ، وبالزّيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عندالله عزّ وجلّ ، وبالنقصان والفقدان دخل المفرّطون النار .

و **قال بعض الاعلام :** « إنّ الايمان هو العلم بشيء مع الإلتزام لا العلم

فقط ، ولا التصديق المجرّد من الإلتزام ، و إنّ الزيادة ، والنقص والقوّة والضعف بالنسبة إلى كلّ من العلم والالتزام المؤلّف منهما الايمان » .

وقال بعضهم: إنّ الزيادة في أصل الإعتقاد ـ حيث إنّ الايمان هو عقد القلب والاعتقاد بشيء و مقتضاه ظهور آثاره العمليّة من المؤمن و إن قد لاتظهر الآثار لمانع كمؤمن آل فرعون ـ لا في الآثار لأنّا كثيراً ما نرى ضعفاء الايمان يعملون أعمالاً أكثر من الكاملين في الايمان ، ولكن هذا الإعتقاد قد يحصل بالعلم واليقين أي بطريق العلم ، و قد لا يحصل بطريق العلم كاتباع الطاغوت ، والشياطين مع ايمانهم بها ولكن بالتقليد .

وفي دعاء الايام الرجبية ـ : «أن تصلّي على محمّد و آله و أن تزيدني ايماناً و تثبيتاً » الدعاء .

وأما كمال الايمان : فموجباته عديدة اشير إليها في الروايات الكثيرة :

في تحف العقول: في مواعظ عيسى عليه السلام و حكمه ـ : «و يلكم يا عبيد الدنيا نقّوا القمح وطيّبوه، وأدقّوا طحنه تجدوا طعمه، ويهنئكم أكله كذلك، فأخلصوا الايمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه»

قوله : عليه السلام «غبّه» أي عاقبته .

وفي رواية: في وصيّة النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام ـ: «ياعلي !سبع من كنّ فيه فقد استكمل حقيقة الايمان، وأبواب الجنّة مفتّحة له: من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدّى زكاة ماله، و كفّ غضبه، وسجن لسانه، واستغفر لذنبه، وأدّى النصيحة لأهل بيت نبيّه»

وفي تحف العقول : قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «من لم تكن فيه ثلاث خصال لم ينفعه الايمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن طلب المحارم، وخلق يداري به الناس»

وفيه: قال عليه السلام أيضاً : «ثلاث من كنّ فيه إستكمل الايمان: من إذا غضب

لم يخرجه غضبه من الحق ، و إذا رضى لم يخرجه رضاه إلى الباطل ، و من إذا قدر عفا »

وفيه: قال عليه السلام أيضاً : « لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتّى تكون فيه خصال ثلاث: الفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا»

و في **أمالي الطوسي** : قدّس سرّه باسناده عن المفضّل قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا يكمل ايمان العبد حتّى يكون فيه أربع خصال : يحسّن خلقه، ويستخف ّنفسه، ويمسك الفضل من قوله، ويخرج الفضل من ماله»

وفيه: باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أربع من كنّ فيه كمل إسلامه واعين على ايمانه ومحّصت ذنوبه، ولقى ربّه وهو عنه راض، و لو كان فيما بين قرنه إلى قدميه ذنوب حطّها الله عنه وهي: الوفاء بما يجعل لله على نفسه، و صدق اللسان مع النّاس، والحياء ممّا يقبح عندالله وعندالناس وحسن الخلق مع الأهل والناس، وأربع من كنّ فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى علّيّين في غرف، فوق غرف في محلّ الشرف : من آوى اليتيم ، و نظر له فكان لـه أباً ، و من رحم الضعيف و أعانه و كفاه ، و من أنفق على والديه و رفق بهما و برّهما ولم يحزنهما ، ومن لم يخرق بمملوكه وأعانه على ما يكلّفه، ولم يستسعه فيما لم يطق .

و في **لباب التأويل** : للخازن البغدادي: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عديّ بن عديّ : « إنّ للايمان فرائض و شرائط و حدوداً و سنناً ، فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان » أورده الزمخشري في الكشاف وأبوحيّان في البحر المحيط.

وفي **نهج البلاغة** : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «لا يصدق ايمان عبد حتّى يكون بما في يدالله سبحانه أوثق منه بما في يده »

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب إليه ممّا سواه ، و من أحبّ عبداً لايحبّه إلّا لله ، و من يكره أن يعود في الفكر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »

و فى معانى الاخبار : باسناده عن أبي بصير عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه : أيّكم يصوم الدهر؟ فقال سلمان : أنا يا رسول الله قال : فأيّكم يحيي الليل ؟ قال سلمان : أنا يا رسول الله قال : فأيّكم يختم القرآن في كلّ يوم ؟ فقال سلمان : أنا يا رسول الله ؟ فغضب بعض أصحابه ـ وقد صرّح في بعض الروايات أنّ بعض أصحابه هو عمر بن الخطاب ـ فقال: يا رسول الله إنّ سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش قلت : أيّكم يصوم الدهر؟ فقال أنا وهو أكثر أيّامه يأكل ، وقلت : أيّكم يحيي الليل ؟ فقال : أنا و هو أكثر ليله نائم ، و قلت : أيّكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال : أنا وهو أكثر نهاره صامت، فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : مه يا فلان أنّى لك بمثل لقمان الحكيم فانّه ينبئك .

فقال الرجل ـ (عمر بن الخطاب خ) ـ لسلمان : يا أباعبدالله أليس زعمت أنّك تصوم الدهر؟ فقال: نعم ، فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل، فقال : ليس حيث تذهب ، إنّي أصوم الثلاثة في الشهر وقال الله عزّ وجلّ : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » و أصل شعبان بشهر رمضان ، فذلك صوم الدهر فقال ، أليس زعمت أنّك تحيي الليل ؟ فقال : نعم ، فقال : أنت أكثر ليلك نائم ، فقال : ليس حيث تذهب ، و لكنّي سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من بات على طهر فكأنما احيى الليل كلّه » فأنا ابيت على طهر ، فقال : أليس زعمت أنّك تختم القرآن في كل يوم؟ قال: نعم قال: فأنت أكثر أيّامك صامت، فقال: ليس حيث تذهب، و لكنّي سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام:

يا أبا الحسن ! مثلك في امّتي مثل قل هوالله أحد فمن قرأها مرّة قرأثلث القرآن و من قرأها مرّتين فقد قرأ ثلثي القرآن ، و من قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن ، فمن أحبّك بلسانه فقد كمل له ثلث الايمان ، و من أحبّك بلسانه و قلبه فقد كمل ثلث الايمان ، و من أحبّك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقداستكمل الايمان و الّذي بعثني بالحق يا عليّ لو أحبّك أهل الأرض كمحبّة أهل السماء لك لما عذّب أحد بالنّار ، وأنا أقرأ قل هوالله أحد في كلّ يوم ثلاث مرّات، فقام و كأنّه قدالقم حجراً»

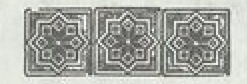
وفى العلل : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « جائني جبرئيل فقال لى : يا أحمد ! الإسلام عشرة أسهم ، و قد خاب من لاسهم له فيها اولاها : شهادة أن لا إله إلّاالله و هي الكلمة ، و الثانية : الصّلاة و هي الطهر ، و الثالثة : الزكاة و هي الفطرة، و الرابعة : الصّوم و هي الجنّة ، و الخامسة : الحج و هي الشريعة ، و السادسة: الجهاد و هو العزّ ، و السابعة : الأمر بالمعروف و هو الوفاء ، و الثامنة : النهي عن المنكر و هو الحجّة ، و التاسعة : الجماعة و هي الالفة ، و العاشرة: الطاعة و هي العصمة :

ثم قال حبيبي جبرئيل : إنّ مثل هذا الدّين كمثل شجرة ثابتة الايمان أصلها و الصّلاة عرقها ، و الزكاة ماؤها ، و الصّوم سعفها ، و حسن الخلق ورقها ، والكفّ عن المحارم ثمرها ، فلا تكمل شجرة إلا بالثمر كذلك الايمان لايكمل إلّا بالكفّ عن المحارم»

قوله : صلى الله عليه وآله «هي الكلمة» أي كلمة التوحيد، و«هي الطهر» أي من الذنوب، و « هي الفطرة » أي هي من عمدة شرائع الفطرة أي الملّة الحنيفية الّتي فطر الله الناس عليها ، و بتركها كأنّه يخرج الإنسان عنها ، و «هى الشريعة» أي شريعة عظيمة من شرائع الإسلام، و«هوالعزّ » أي سبب لعزّةالاسلام وغلبته على الأديان، أو عزّة المسلمين أو الأعمّ ، و « هو الوفاء» أي بعهدالله الّذي أخذه على العباد

فيه خصوصاً أو في جميع الأحكام ، و «هو الحجة» أي يصير سبباً لتمام الحجّة على أهل المعاصي ، و « الجماعة » : هي صلاة الجماعة أو ملازمة جماعة أهل الحق ، و كلّ منهما سبب للالفة بين المؤمنين ، و طاعة الأئمة سبب للعصمة عن الذنوب أو شرّ الأعادي والمراد بالسعف هنا جريد النخل لاورقها، ويطلق عليهما معاً أيضاً.

وفي دعاء مكارم الاخلاق : «اللهمّ صلّ على محمد و آله وبلّغ بايماني أكمل الايمان واجعل يقيني أفضل اليقين وانته بنيّتي إلى أحسن النيّات وبعملي إلى أحسن الأعمال ... » الدعاء



﴿الايمان ودرجاته﴾

قال الله جلّ وعلا: «اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم» الأنفال:٤)
في الآية الكريمة دلالة على أنّ لكل مؤمن درجة بحسب درجة ايمانه، وليس معنى الآية: انّ الدّرجات كلّها لكلّ واحد منهم مثلاً مأة درجة، بل المراد انّ لكل منهم درجة على قدر مرتبة ايمانه، فكلّما تزيد مرتبة ايمانه تزيد درجة عند الله جلّ و علا، فيكون لواحد درجة، ولآخر درجتين، ولثالث درجات إلى مالا يعلم إلّا الله تعالى، وتظهر آثار الدّرجات كمّاً و كيفاً حسب درجات الايمان في الحياة الدنيا لنفس المؤمن، من التوكّل والإخلاص والصدق والرضا واليقين والحلم... ولغيرها من الأقوال والأفعال خيرها وشرّها ...

فى الكافى : باسناده عن عبدالعزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا عبدالعزيز إنّ الايمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة، فلايقولنّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد : لست على شيء حتّى ينتهي إلى العاشرة، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة، فارفعه اليك برفق و لاتحملنّ عليه مالا يطيق فتكسره فانّ من كسر مؤمناً فعليه جبره.

قوله: عليه السلام «لست على شيء» أي من الايمان أو الكمال، والمعنى: أنّه إذا سمع ممن هو فوقه في المعرفة شيئاً لا يصل إليه عقله لا يقدح فيه ولا يكفّره «فلا تسقط» أي من الايمان أو من درجة الإعتبار «من هو دونك» أي أسفل منك بدرجة أو أكثر

في الايمان إذ لو كلّفته أن يفهم دفعة مافهمته في أزمنة متطاولة بعسّر الأمر عليه، بل يصير سبباً لضلالته وحيرته، كما أنّ الكاتب الجيّد الخط إذا كلّف امّيّاً لم يكتب قطّ أن يكتب مثله في يوم أو اسبوع أو شهر أو سنة لكان تكليفاً لما لايطاق ، بل ينبغي أن يرقيه تدريجاً حتّى يصل إلى مرتبته ، و كذا في المراتب العقلية من لم يحصّل شيئاً منها لا يمكن إفهامه دفعة جميع المسائل الغامضة ، و لو ألقيت إليه لتحير بل لم يطق فهمها وضلّ عن السبيل، و المعلّم الخبير يرقى تلميذه أوّلاً من البديهيات إلى أوائل النظريات ، و منها إلى أوساطها، و منها إلى غوامضها ، فلاينكسر و لايتحيّر.

وفيه: باسناده عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنّ المؤمنين على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ستّ، ومنهم على سبع، فلوذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو، و على صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو ، و على صاحب الثلاث أربعاً لم يقو ، و على صاحب الأربع خمساً لم يقو ، و على صاحب الخمس ستّاً لم يقو ، و على صاحب الستّ سبعاً لم يقو ، و على هذه الدّرجات .

قوله عليه السلام : «وعلى هذه الدّرجات» أي على هذا القياس الدرجات الّتي تنقسم هذه المنازل إليها، فانّ كلاً منها ينقسم إلى سبعين درجة كما في بعض الروايات.

وفيه: باسناده عن الصّباح ابن سيابة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ماأنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدّرجات.

قوله عليه السلام : «هي الدرجات» أي درجات الايمان أو هي الدرجات الّتي ذكرها الله تعالى في قوله: «لهم درجات عند ربّهم»

و في أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عليّ بن جعفر عن أخيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من اسبغ وضوءه وأحسن صلاته ،

وأدّي زكاة ماله، وخزن لسانه وكفّ غضبه، واستغفر لذنبه، وأدّي النصيحة لأهل بيت رسوله، فقد استكمل حقائق الايمان، وأبواب الجنّة مفتّحة له .

وفى الخصال : عن عبدالعزيز قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام : فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة، ومن أقاويلهم فقال: ياعبدالعزيز! الايمان عشر درجات بمنزلة السلّم، له عشر مراقى، وترتقى منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الواحدة لصاحب الثانية: لست على شيء - حتّى إنتهى إلى العاشرة- ثمّ قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبوذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، ياعبدالعزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت الّذي هو دونك، فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولاتحملنّ عليه مالايطيقه فتكسره فانّه من كسر مؤمناً فعليه جبره لانّك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسختـه .

قوله : عليه السلام «الفصيل» : ولدالناقة إذا فصل عن امّه، والبازل إسم البعير إذا طلع نابه، وذلك في تاسع سنية، والفسخ: النقض.

وفى الكافى : عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّ الايمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عندالله؟ قال: نعم، قلت: صفه لي رحمك الله حتّى أفهمه، قال: إنّ الله سبّق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرّهان، ثم فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كل امريء منهم على درجة سبقه، لاينقصه فيها من حقّه، ولا يتقدّم مسبوق سابقاً، ولامفضول فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الامة - أواخرها، ولو لم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق إذن للحق آخر هذه الامّة أوّلها، نعم ولتقدّمهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على من أبطأ عنه.

ولكن بدرجات الايمان قدّم الله السابقين، وبالإبطاء عن الايمان أخّر الله المقصرين لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأوّلين وأكثرهم صلاة وصوماً وحجّاً وزكاة وجهاداً وإنفاقاً، ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون

بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأوّلين، و لكن أبى الله عزّ وجل أن يدرك آخر درجات الايمان أوّلها ويقدّم فيها من أخّر الله أو يؤخّر فيها من قدّم الله، قلت: أخبرني عمّا ندب الله عزّ و جل المؤمنين إليه من الإستباق إلى الايمان؟ فقال:

قول الله عزّ و جل: «سابقوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها كعرض السماء و الأرض اعدّت للذين آمنوا بالله ورسله» و قال: «السابقون السابقون اولئك المقرّبون» وقال: «والسابقون الاوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه» فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ ثنّى بالأنصار ثم ثلّث بالتابعين لهم باحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم و منازلهم عنده.

ثمّ ذكر ما فضّل الله عزّ وجل به أولياءه بعضهم على بعض فقال عزّ وجل: «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات -إلى آخر الاية-» وقال: «ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض» وقال: «انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً» وقال: «هم درجات عند الله» وقال: «ويؤت كلّ ذي فضل فضله» وقال: «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله» وقال: «فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة» وقال: «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا» وقال: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» وقال: «ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفّار و لا ينالون من عدو نيلاً إلّا كتب لهم به عمل صالح» وقال: «وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» وقال: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره» فهذا ذكر درجات الايمان ومنازله عند الله عزّ وجل.

قوله عليه السلام: «الرهان»: المسابقة على الخيل، والمراد من هذا الحديث بيان أنّ تفاضل درجات الايمان بقدر السبق، والمبادرة إلى إجابة الدّعوة إلى الايمان، وهذا يحتمل عدة معان:

أحدها :- أن يكون المراد بالسبق السبق في عالم الذر وعند الميثاق، فالمراد أوائلها وأواخرها في الإقرار والإجابة هناك فالفضل للمتقدّم.

والثاني :أن يكون المراد بالسبق السبق في الشرف والرتبة والعلم والحكمة وزيادة العقل، والبصيرة في الدين، ووفور الايمان ولاسيّما اليقين، وعلى هذا فالمراد بأوائلها وأواخرها: أوائلها وأواخرها في مراتب الشرف والعقل والعلم.

والثالث: أن يكون المراد بالسبق السبق الزماني في الدنيا عند دعوة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله إيّاهم إلى الايمان، والمراد بأوائل هذه الامّة وأواخرها: أوائلها وأواخرها في الاجابة للنّبيّ صلى الله عليه وآله و قبول الإسلام، و التسليم بالقلب و الإنقياد للتكاليف الشرعية طوعاً، وبعرف الحكم في سائر الأزمنة بالمقايسة.

والرابع: أن يراد بالسبق السبق الزماني عند بلوغ الدّعوة، فيعمّ الأزمنة المتأخّرة عن زمن النّبيّ صلى الله عليه وآله وهذا المعنى يحتمل وجهين:

أحدهما- أن يكون المراد بالأوائل والأواخر ما ذكرناه و كذا السبب في الفضل.

ثانيها - أن يكون المراد بالأوائل من كان في زمن النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله و بالأواخر من كان بعد ذلك، ويكون سبب فضل الأوائل صعوبة قبول الإسلام، وترك ما نشاؤا عليه في ذلك الزمن وسهولته فيما بعد إستقرار الأمر وظهور الإسلام و إنتشاره في البلاد مع أنّ الأوائل سبب لاهتداء الأواخر إذ بهم وبنصرتهم إستقرّ ما استقرّ وقوى ما قوى وبان ما استبان والله جلّ وعلا هو المستعان.

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمنون على سبع درجات: صاحب درجة منهم في مزيد من الله عزّ وجلّ لا يخرجه ذلك المزيد من درجته إلى درجة

غيره، ومنهم شهداءالله على خلقه، ومنهم النجباء، ومنهم الممتحنة ومنهم النجداء، ومنهم أهل الصبر، ومنهم أهل التقوى، ومنهم أهل المغفرة .

وفيه: باسناده عن عمّاربن أبي الأحوص قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ عندنا أقواماً يقولون بأمير المؤمنين عليه السلام ويفضّلونه على النّاس كلّهم، و ليس يصفون ما نصف من فضلكم أنتولاهم؟ فقال لي: نعم، في الجملة، أليس عندالله مالم يكن عند رسول الله، ولرسول الله صلى الله عليه وآله: من عندالله ماليس لنا، وعندنا ماليس عندكم، وعندكم ماليس عند غيركم؟ إنّ الله تبارك وتعالى وضع الإسلام على سبعة أسهم: على الصبر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثمّ قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم، فهو كامل الايمان محتمل، ثمّ قسّم لبعض الناس السهم ولبعض السهمين، ولبعض الثلاثة الأسهم، ولبعض الأربعة الأسهم ، و لبعض الخمسة الأسهم، ولبعض الستّة الأسهم، و لبعض السبعة الأسهم، فلاتحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم، ولا على صاحب الخمسة ستّة أسهم، ولاعلى صاحب الستّة سبعة أسهم، فتثقلوهم وتنفّروهم ولكن ترفّقوا بهم وسهّلوا لهم المدخل.

وسأضرب لك مثلاً تعتبر به: إنّه كان رجل مسلم وكان له جار كافر وكان الكافر يرفق المؤمن فأحبّ المؤمن للكافر الإسلام، ولم يزل يزيّن له الإسلام ويحبّبه إلى الكافر حتّى أسلم، فغدا عليه المؤمن فاستخرجه من منزله، فذهب به إلى المسجد ليصلّي معه الفجر في جماعة، فلمّا صلّى قال له: لوقعدنا نذكر الله عزّوجل حتّى تطلع الشمس فقعد معه، فقال: لو تعلّمت القرآن إلى أن تزول الشمس وصمت اليوم كان أفضل، فقعد معه وصام حتّى صلّى الظهر والعصر، فقال: لو صبرت حتّى تصلّي المغرب والعشاء الآخرة كان أفضل، فقعد عليه مالا يطيق، فلمّا كان من الغد غدا عليه وهو يريد به مثل ماصنع بالأمس فدقّ عليه بابه .

ثمّ قال له: اخرج حتّى نذهب إلى المسجد، فأجاب أن انصرف عنّي فان هذا دين شديد لا اطيقه، فلا تخرقوا بهم أما علمت أن إمارة بني اميّة كانت بالسيف و العسف والجور، وأنّ إمامتنا بالرفق والتألّف والوقار والتقية، و حسن الخلطة و الورع والإجتهاد فرغّبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه.

قوله عليه السلام «فلا تخرقوابهم» الخرق - بالضمّ و التحريك -: ضدّ الرفق، و أن لا يحسن الرجل العمل والتصرّف في الامور...

وفي الكافي: باسناده عن يعقوب بن الضحّاك عن رجل من أصحابنا سرّاج وكان خادماً لأبي عبدالله عليه السلام قال: بعثني أبو عبدالله عليه السلام في حاجة وهو الحيرة وأنا وجماعة من مواليه قال: فانطلقنا فيها، ثمّ رجعنا مغتمّين قال: وكان فراشي في الحاير الّذي كنّا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال، فرميت بنفسي فبينا أنا كذلك إذا أنا بأبي عبدالله عليه السلام قد أقبل قال: فقال: قد أتيناك أو قال: جئناك فاستويت جالساً و جلس على صدر فراشي فسئلني عمّا بعثني له، فأخبرته، فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت: جعلت فداك إنّا نبرأ منهم، إنّهم لا يقولون ما نقول، قال: فقال: يتولّانا، ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم.

قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا - جعلت فداك - قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه أطرحنا؟ قال: قلت: لا والله جعلت فداك ما نفعل؟ قال: فتولّوهم ولا تبرّؤوا منهم، إنّ من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم، و منهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستّة أسهم، و منهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، و لا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستّة، ولا صاحب الستّة على ما عليه صاحب السبعة.

وسأضرب لك مثلاً: إنّ رجلاً كان له جار وكان نصرانياً، فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له فأجابه فأتاه سحيراً فقرع عليه الباب فقال له: من هذا؟ قال: أنا فلان قال: وما حاجتك؟ فقال: توضّأ و ألبس ثوبيك ومرّ بنا إلى الصّلاة قال: فتوضّأ و لبس ثوبيه وخرج معه، قال: فصلّيا ماشاءالله ثم صلّيا الفجر ثمّ مكثا حتّى أصبحا، فقام الّذي كان نصرانيّاً يريد منزله، فقال له الرجل: أيـن تذهب، النهار قصير و الّذي بينك وبين الظهر قليل؟ قال: فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ثم ّقال: ومابين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتّى صلّى العصر قال: ثمّ قام و أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له:

إنّ هذا آخر النهار وأقلّ من أوّله فاحتبسه حتّى صلّى المغرب، ثمّ أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنّما بقيت صلاة واحدة، قال: فمكث حتّى صلّى العشاء الآخرة ثمّ تفرّقا، فلمّا كان سحيراً غدا عليه فضرب عليه الباب فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان قال: وما حاجتك؟ قال: توضّأ وألبس ثوبيك واخرج بنا فصلّ قال: اطلب لهذا الدّين من هو أفرغ منّي وأنا إنسان مسكين، وعليّ عيال، فقال أبو عبدالله عليه السلام أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال: أدخله من مثل ذه وأخرجه من مثل هذا -

وقوله: عليه السلام «مغتمّين»: عند غروب الشمس و«أنا بحال» أي بحال سوء من الغمّ، و«بالحيرة»: بلد كان قرب الكوفة.

وفيه: باسناده عن شهاب قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لو علم النّاس كيف خلق الله تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً فقلت: أصلحك الله فكيف ذاك؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أجزاءاً بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً، ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار، ثم قسّمه بين الخلق، فجعل في رجل عشر جزء وفي آخر عشري جزء حتّى بلغ به جزئاً تامّاً وفي آخر جزءاً وعشر جزء، وآخر جزءاً وعشري جزء وآخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء حتّى بلغ به جزئين تامّين، ثم بحساب ذلك حتّى بلغ بأرفعهم تسعة وأربعين جزءاً، فمن لم يجعل فيه إلّا عشر جزء لم يقدر على أن يكون

صاحب العشرين، و كذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزأين، ولو علم الناس أن الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحد أحداً.

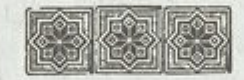
قوله عليه السلام «بلغ بها» كأنه جعل كل جزء من السهام السبعة المتقدمة مسبعة، «فجعل الجزء عشرة أعشار» كأن هذا للتأكيد والتوضيح ودفع توهم أن المراد جعل كل جزء عشراً من مرتبة فوقه، فيصير المجموع أربعمأة وتسعين عشراً، «إلا عشر جزء» أي من القابلية أو قابلية عشر جزء من الايمان، و«لم يلم أحد أحداً» أي في عدم فهم دقائق الامور وغوامض الأسرار، وعدم وصوله إلى فوق مرتبة ايمانه من غير تقصير في ذلك.

والتحقيق أن اليقين في الايمان وغيره له درجات متفاوتة في القوة والضعف، واليقين الذي يصح به الايمان هو اليقين اللغوي وهو الإعتقاد الجازم في غير الحسيات والضروريات وهو درجات منها التقليد الجازم، ومنها المعلوم بالنظر والإستدلال، وقد يطرأ عليهما الشك والزوال، ولولا ذلك ما تصور إرتداد مؤمن عن دينه، ومنها ما يصير وجداناً ضرورياً بشرح الصدر والنور الالهي بكثرة الكثرة والفكر والعبادة، وأما اليقين المنطقي العلم القطعي بالبرهان بأن هنا الشيء كذا مع العلم القطعي باستحالة أن يكون غير كذا فهو هو الذي قالوا: إنه لا يقبل الزيادة و النقصان و لكنه نادر الوقوع في غير الضروريات، و لا تتوقف عليه صحة الايمان، ومع هذا يمكن أن يقال: إنه قابل للزيادة في وصفه و طمأنينة القلب به، و في ترتيب آثاره عليه .

ومثال الأول: أن ترى شبحاً في سدنة الفجر فتعلم أنه إنسان في إنتصاب قامته، ثم تزداد علماً به، كلما انتشر الضياء حتى يكون العلم به تفصيلياً، والبرهان المنطقي المفيد لهذا اليقين عندهم لا تكون مقدماته النظرية في درجة الضروريات قوة و ثباتاً، وقد قسم بعضهم اليقين إلى ثلاث درجات: علم اليقين، و هو ما يعلم

بالدليل، و عين اليقين و هوما يكون بالمشاهدة، و حق اليقين وهوما يكون بالذوق و الوجدان.

و مثّل بعضهم بالموت بأنّ كل أحد عنده علم اليقين بأنّه يموت، فاذا عاين ملائكة الموت عند الحشرجة، و قبل قبض الروح كان عين اليقين، فاذا مات بالفعل وصل إلى درجة حق اليقين، ولكن هذه الدرجة و ما قبلها لايتعلّق بهما التكليف.



﴿الايمان المستقر الثابت والايمان المستودع المستعار﴾

قال الله تعالى: «وهو الّذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع» الأنعام: ٩٨) والمعنى-بفتح القاف والدال-في «فمستقرّ ومستودع»: فلكم إستقرار في الايمان واستيداع فيه، أو فمنكم من هو محلّ إستقرار الايمان، ومنكم من هو محلّ إستيداعه، ففيه حذف وايصال أي مستقرّ فيه، وأما- بكسرهما- فالمعنى: فمنكم مستقرّ في الايمان ومنكم مستودع فيه، أو فايمان بعضكم مستقر وايمان بعضكم مستودع على القرائتين.

فى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «فمن الايمان مايكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، ومنه مايكون عوارىّ بين القلوب والصّدور إلى أجل معلـوم، فاذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتّى يحضره الموجد، فعند ذلك يقع حدّ البراءة».

بيان: انّ الامام عليه السلام قسّم الايمان إلى أقسام ثلاثة:

أحدها - الايمان الحقيقي، وهو الثابت المستقرّ في القلوب بالبرهان اليقينيّ.

ثانيها - ماليس ثابتاً بالبرهان اليقيني، بل بالدليل الجدليّ كايمان كثير ممّن لم يحقّق العلوم العقليّة، ويعتقد مايعتقده عن أقيسة جدليّة لا تبلغ إلى درجة البرهان، وقد سمّى الإمام عليه السلام هذا القسم باسم مفرد فقال: إنّه عواريّ في القلوب، والعواريّ: جمع عاريّة أي هو وإن كان في القلب، وفي محلّ الايمان الحقيقيّ إلّا أنّ حكمه حكم العاريّة في البيت، فانّها بعرضة الخروج منه،

لأنّها ليست أصلية كائنة في بيت صاحبها .

ثالثها - ما ليس مستنداً إلى برهان ولا إلى قياس جدليّ ، بل على سبيل التقليد وحسن الظّن بالأسلاف ، وبمن يحسن ظنّ الإنسان فيه من عابد أو زاهد أو ذي ورع ، وقدجعله عليه السلام عواري بين القلوب والصّدور لأنّه دون الثّاني ، فلم يجعله حالاً في القلب ، وجعله مع كونه عاريّة حالاً بين القلب والصّدر فيكون أضعف مما قبله .

ان تسئل: ما معنى قوله عليه السلام : « إلى أجل معلوم » ؟

تجيب عنه: انّه يرجع إلى القسمين الأخيرين من أقسام الايمان الثلاثة ، لأنّ من لايكون ايمانه ثابتاً بالبرهان القطعي قد ينتقل ايمانه إلى أن يصير قطعيّاً ، بأن ينعم النظر و يرتّب البرهان ترتيباً مخصوصاً ، فينتج له النتيجة اليقينية ، وقد يصير ايمان المقلّد ايماناً جدليّاً ، فيرتقي إلى مافوقه مرتبة ، وقد يصير ايمان الجدليّ ايماناً تقليدياً بأن يضعف في نظره ذلك القياس الجدليّ ، ولا يكون عالماً بالبرهان ، فيؤول حال ايمانه إلى أن يصير تقليديّاً ، فهذا هو فائدة قوله عليه السلام : « إلى أجل معلوم » في هذين القسمين .

أمّا صاحب القسم الأوّل فلايمكن أن يكون ايمانه إلى أجل معلوم ، لأنّ من ظفر بالبرهان إستحال أن ينتقل عن إعتقاده ، لاصاعداً ولاهابطاً، أمّا لاصاعداً، فلأنّه ليس فوق البرهان مقام آخر، وأمّا لاهابطاً، فلأنّ مادّة البرهان هي المقدّمات البديهيّة ، والمقدّمات البديهيّة يستحيل أن تضعف عند الإنسان حتّى يصير ايمانه جدليّاً أو تقليدياً .

وقوله عليه السلام : « فاذا كانت لكم برائة » نهى عن البرائة من أحد مادام حيّاً ، لأنّه وإن كان مخطئاً في إعتقاده ، لكن يجوز أن يعتقد الحق فيما بعد وإن كان مخطئاً في أفعاله ، إذيجوز أن يتوب ، فلا تحلّ البرائة من أحد حتّى يموت على أمر فاذا مات على إعتقاد قبيح أو فعل قبيح جازت البرائة منه ، لأنّه لم يبق له

بعدالموت حالة تنتظر ، وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار إليها عليه السلام على البراءة المطلقة ، لاعلى كلّ براءة ، لأنّا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق وهو حيّ ، ومن الكافر وهو حيّ ، ولكن بشرط كونه فاسقاً، وبشرط كونه كافراً ، فأمّا من مات ونعلم ما مات عليه ، فانّا نبرأ منه براءة مطلقة غيرمشروطة .

وفي قرب الاسناد: عن البزنطي عن الرضا عليه السلام قال : إنّ جعفراً عليه السلام كان يقول: « فمستقرّ ومستودع » فالمستقرّ ماثبت من الايمان ، والمستودع المعار ، وقد هداكم الله لأمر جهله النّاس ، فاحمدوا الله على ما منّ عليكم به .

وفيه: عن البزنطي عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله عزوجل قد هداكم ونوّر لكم، وقد كان أبوعبدالله عليه السلام يقول : إنّما هو مستقرّ ومستودع ، فالمستقرّ : الايمان الثابت ، والمستودع : المعار أتستطيع أن تهدى من أضلّ الله .

و في تفسير العياشي : عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: « هو الّذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ و مستودع » قال : ما يقول أهل بلدك الّذي أنت فيه ؟ قال : قلت : يقولون : مستقرّ في الرحم ، ومستودع في الصّلب ، فقال : كذبوا المستقرّ : ما استقرّ الايمان في قلبه ، فلاينزع منه أبداً والمستودع الّذي يستودع الايمان زماناً ثمّ يسلبه وقدكان الزبير منهم .

وفيه: عن جعفر بن مروان قال : إنّ الزبير اخترط سيفه يوم قبض النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لا أغمده حتّى ابايع لعلي، ثمّ اخترط سيفه فضارب علياً فكان ممّن اعير الايمان ، فمشى في ضوء نوره ثمّ سلبه الله إيّاه .

وفيه: عن سعيد بن أبي الأصبع قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام وهو يسئل عن مستقرّ و مستودع ، قال : مستقرّ في الرحم ومستودع في الصّلب ، و قد يكون مستودع الايمان ثم ينزع منه ، ولقد مشى الزبير في ضوء الايمان ونوره حين قبض رسول الله حتّى مشى بالسيف وهو يقول لانبايع إلّا علياً .

وفيه: عن صفوان قال: سئلني أبو الحسن عليه السلام ومحمّد بن خلف جالس فقال لي :

مات يحيى بن القاسم الحذّاء؟ فقلت له : نعم ومات زرعة ، فقال: كان جعفر عليه السلام يقول: «فمستقرّ ومستودع» فمستقرّ : قوم يعطون الايمان ، ويستقرّ في قلوبهم ، والمستودع : قوم يعطون الايمان ثمّ يسلبونه .

وفيه: عن أحمد بن محمّد قال: وقف عليّ أبو الحسن الثاني عليه السلام في بني زريق ، فقال لي وهو رافع صوته : يا أحمد! قلت: لبّيك قال: إنّه لمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله جهد الناس على إطفاء نور الله فأبى الله إلّا أن يتمّ نوره بأمير المؤمنين عليه السلام فلمّا توفّي أبو الحسن عليه السلام جهد عليّ بن أبي حمزة وأصحابه على إطفاء نور الله فأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ، وإنّ أهل الحقّ إذا دخل فيهم داخل سرّوا به ، وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه ، وذلك أنّهم على يقين من أمرهم ، وإنّ أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سرّوا به ، وإذا خرج عنهم خارج جزعوا عليه ، وذلك أنّهم على شكّ من أمرهم ، إنّ الله يقول : « فمستقرّ ومستودع » قال : ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : المستقرّ : الثابت ، والمستودع : المعار .

و في احقاق الحق : قال محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام : « الايمان ثابت في القلوب ، واليقين خطرات ، فيمرّ اليقين بالقلب ، فيصير كأنّه زبر الحديد ويخرج منه فيصير كأنّه خرقة بالية » .

وفي تحف العقول : ـ في وصيّة الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد ـ « يا كميل المؤمن مرآة المؤمن لأنّه يتأمله فيسدّ فاقته و يجمل حالته ، يا كميل المؤمنون إخوة ولاشيء آثر عند كلّ أخ من أخيه ، يا كميل إن لم تحبّ أخاك ، فلست أخاه إنّ المؤمن من قال بقولنا ، فمن تخلّف عنه قصر عنّا ، ومن قصر عنّا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأسفل من النار ـ إلى أن قال ـ يا كميل انج بولايتنا من أن يشرككَ الشيطان في مالك و ولدك ، يا كميل انّه مستقر و مستودع ، فاحذر أن تكون من المستودعين ، و إنّما يستحقّ أن تكون مستقرّاً إذا لزمت الجادّة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج ، و لا تزيلك عن

منهج . . . » الحديث .

وفي محاسن البرقي : عن المفضّل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الحسرة والندامة والويل كلّه لمن لم ينتفع بما أبصر ومن لم يدر الأمر الّذي هو عليه مقيم أنفع هو له أم ضرر قال: قلت: فبما يعرف الناجي؟ قال: من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة بالنّجاة ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً، فانّما ذلك مستودع .

قوله عليه السلام : « الحسرة » : التأسّف على فوات أمر مرغوب ، و « الندامة » : الحزن على فعل شيء مكروه ، و « الويل » : العذاب ، و واد في جهنّم يعني هذا كلّه لمن لم ينتفع بما أبصره و علمه من العقائد والأحكام والأعمال والأخلاق والآداب ، و عدم الإنتفاع بها بأن لا يعمل بمقتضى علمه بها ، و لم يدر ما الأمر الّذي هو عليه مقيم من العقائد والأعمال والأخلاق . . . وفيه تحريص وحثّ على مراقبة النفس في جميع الأحوال ، ومحاسبتها في جميع الحركات والسكنات ليعلم ما ينفعها فيجلبها ويزيد منها ومايضرّها فيجتنبها .

وقوله عليه السلام : « فبما يعرف الناجي» من هؤلاء أي من يكون أمره آئلاً إلى النجاة من المهالك وعقوبات الآخرة « فقال من كان فعله لقوله موافقاً » أي لقوله الحق وهو ما يأمر الناس به من الخيرات والطاعات وترك المنكرات ، أو لما يدّعيه من الايمان بالله واليوم الآخر والأنبياء والأوصياء عليهم السلام فانّ مقتضى ذلك العمل بما يأمره الله تعالى ، و يوجب الوصول إلى مثوباته والنجاة من عقوباته ، ومتابعة أئمّة الدّين في أقوالهم وأفعالهم ، أو لما يدّعي لنفسه من الكمالات وما نصب نفسه له من الحالات والدرجات أو الجميع .

وقوله عليه السلام : « فاثبتت له الشهادة » ـ على صيغة المجهول ـ أي يشهد الله تعالى وملائكته وحججه عليهم السلام و كمّل المؤمنين بأنّه من الناجين لاتّصافه بكمال الحكمة النظرية لقوله الحق ، و كمال الحكمة العملية لعمله بأقواله الحقّة .

وقوله عليه السلام : « و من لم يكن فعله لقوله موافقاً » أي بأن يكون قوله حقاً

وفعله باطلاً كما هو شأن أكثر الخلق ، و « فانّما ذلك مستودع » ايمانه غير ثابت فيه ، فيحتمل أن يبقى على الحق ويثبت له الايمان ، و تحصل له النجاة ، وأن يزول عن الحق ويعود إلى الشقاوة ، ويستحقّ الويل والحسرة والندامة .

وفي الكافي: باسناده عن عيسى شلقان قال : كنت قاعداً فمرّ أبو الحسن موسى عليه السلام ومعه بهمة قال: فقلت: ياغلام ! ماترى مايصنع أبوك ؟ يأمرنا بالشيء ثمّ ينهانا عنه ، أمرنا أن نتولّى أباالخطّاب ، ثمّ أمرنا أن نلعنه و نتبرّأ منه ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام وهوغلام : إنّ الله خلق خلقاً للايمان لازوال له ، وخلق خلقاً للكفر لازوال له ، وخلق خلقاً بين ذلك أعارهم الايمان ، يسمّون المعارين ، إذا شاء سلبهم، وكان أبوالخطّاب ممّن اعير الايمان، قال: فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بماقلت لأبي الحسن عليه السلام وماقال لي، فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّه نبعة نبوّة .

قوله عليه السلام : « بهمة » : ولد الضأن ، و « أبا الخطّاب » : هو محمّد بن مقلاص الأسدي الكوفي وكان في أوّل الحال ظاهراً من أجلّاء أصحاب الصّادق عليه السلام ثمّ ارتدّ وابتدع مذاهب باطلة ، ولعنه الصّادق عليه السلام وتبرّأ منه ، و « إنّه نبعة نبوّة » أي علمه من ينبوع النبوّة .

وفيه: باسناده عن إسحق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله جبل النبيين على نبوّتهم ، فلا يرتدّون أبداً ، و جبل الأوصياء على وصاياهم ، فلا يرتدّون أبداً ، وجبل بعض المؤمنين على الايمان ، فلا يرتدّون أبداً ، ومنهم من يعير الايمان عارية ، فاذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الايمان .

قوله عليه السلام : « جبل النبيين على نبوّتهم . . . » أي طبعهم عليها ، و « فاذا هو دعا » فيه حثّ على الدعاء لحسن العاقبة ، وعدم الزيغ كما كان دأب الصّالحين قبلنا، وفيه دلالة أيضاً على أنّ الإتمام والسلب مسبّبان عن فعل الإنسان لأنّه يصير بذلك مستحقاً للتوفيق أوالخذلان .

وجملة القول في ذلك أنّ كلّ واحد من الايمان والكفر قد يكون ثابتاً ،

وقد يكون متزلزلاً يزول بحدوث ضدّه ، لأنّ القلب إذا اشتدّ ضياؤه و كمل صفاؤه إستقرّ الايمان و كلّ ما هو حقّ فيه ، وإذا اشتدّت ظلمته و كملت كدورته إستقرّ الكفر و كلّ ماهو باطل فيه ، وإذاكان بين ذلك باختلاط الضياء والظلمة فيه كان متردّداً بين الإقبال والإدبار ، و مذبذباً بين الايمان والكفر ، فان غلب الأوّل دخل الايمان فيه من غير إستقرار ، و إن غلب الثاني دخل الكفر فيه كذلك ، و ربّما يصير الغالب مغلوباً فيعود من الايمان إلى الكفر ، ومن الكفر إلى الايمان ، فلابدّ للعبد من مراعاة قلبه ، فان رآه مقبلاً إلى الله عزوجل شكره ، وبذل جهده وطلب منه الزيادة لئلّا يستدبر وينقلب ويزيغ عن الحق كما ذكرسبحانه عن قوم صالحين : « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب » .

و إن رآه مدبراً زائغاً عن الحقّ تاب و استدرك ما فرّط فيه ، و توكّل على الله ، و توسّل إليه بالدعاء والتضرّع لتدركه العناية الربانية ، فتخرجه من الظلمات إلى النّور ، وإن لم يفعل فربما سلّط عليه عدوّه الشيطان ، و استحقّ من ربّه الخذلان ، فيموت مسلوب الايمان كما قال سبحانه: « فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم » أعاذنا الله من ذلك وسائر أهل الايمان .

وفى رجال الكشي : بالاسناد عن عيسى شلقان قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام وهو يومئذ غلام قبل أوان بلوغ : جعلت فداك ماهذا الّذي يسمع من أبيك ؟ إنّه أمرنا بولاية أبي الخطّاب ، ثمّ أمرنا بالبراءة منه ؟ قال: قال أبو الحسن عليه السلام من تلقاء نفسه! إنّ الله خلق الأنبياء على النبوّة ، فلايكونون إلّا أنبياء ، وخلق المؤمنين على الايمان فلايكونون إلّا مؤمنين ، واستودع قوماً ايماناً ، فان شاء أتمّه وإن شاء سلبهم إيّاه وإنّ أبا الخطّاب كان ممّن أعاره الله الايمان ، فلمّا كذب على أبي سلبه الله الايمان .

قال : فعرضت هذا الكلام على أبي عبدالله عليه السلام قال: فقال: لو سئلتنا عن ذلك

ماكان ليكون عندنا غير ما قال :

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : « سمعته يقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً للايمان لازوال له ، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له و خلق خلقاً بين ذلك واستودع بعضهم الايمان ، فان يشأ أن يتمّه لهم أتمّه ، و إن يشأ أن يسلبهم إيّاه سلبهم وكان فلان منهم معاراً » .

أقول: والمعنى: إنّ الله جلّ وعلا لمّا خلق عباده على الإستعدادات المختلفة لما يقتضيه نظام الحياة وعلم مايؤول إليه أمرهم ومراتب إيمانهم و كفرهم باختيار من غير إجبارهم في الايمان والكفر : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧) فمنهم من يكونون راسخين في الايمان كاملين فيه بحسن إختيارهم ، وخلقهم فكأنّه تعالى خلقهم للايمان الكامل الراسخ ، و كذا الكفر ، ومنهم من يكونون متزلزلين متردّدين بين الايمان والكفر فكأنّه تعالى خلقهم ، فمنهم من يختم لهم بالايمان لحسن إختيارهم وتزكية أنفسهم ، ومنهم من يختم لهم بالكفر لسوء إختيارهم وإتباع أهوائهم فهم المعارون .

والظاهر أنّ المراد بفلان أبو الخطاب (محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي) و كنى عنه بفلان لمصلحة ، فانّ أصحابه كانوا جماعة كثيرة كان يحتمل ترتب مفسدة على التصريح باسمه ، ويدلّ على أنّ المراد بأحدهما الصادق عليه السلام لأنّ أبا الخطاب لم يدرك أبا جعفر عليه السلام .

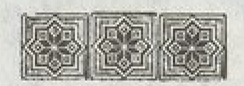
وفيه: باسناده عن كليب بن معاوية الأسدي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ العبد يصبح مؤمناً ويسمى كافراً ويصبح كافراً و يمس مؤمناً وقوم يعارون الايمان ثم يسلبونه ويسمّون المعارين ثمّ قال : فلان منهم .

أقول: ولايخفى على المحقق الأريب : أنّ لكل عمل حسن أو قبيح يصدر عن الإنسان ينتقش في لوح القلب ، و ارتسمت صورته فيه على سبيل الخاطر أوّلا ، ثمّ إن أخذ في الفكر فيه ، واستحكم النقش و انبعثت منه العزيمة حتّى إمتثل

الخاطر الأوّل بالإرادة الجازمة ينطبع العمل فيه بالاقدام على الفعل ، إلّا أنّ الفعل إن كان حسنة ينطبع في الحال في جهة القلب الّتي تلي الروح ، ولوح الفؤاد المنوّر بنوره ، وإن كان سيّئة لاينطبع في الحال لبعد الهيئة الظلمانية من القلب وعدم مناسبته إيّاها بالذّات، فان أدركه التوفيق وتلألأ عليه نور من أنوار الهداية فندم و استغفر فمحى عنه وعفى له ، وإن لم يتدارك ه بقى متلجلجاً حتّى أمدته النفس بظلمة صفاتها ، فاستقرّت في لوح الصدر الّذي هو وجه القلب الّذي يلي النفس المظلم بظلمة النفس عليه في صدور هذا الفعل القبيح منه فيكدر القلب ويتصوّر بصورة الفعل .

وفى دعاء أبى حمزة الثمالى ـ : « اللهمّ بذمّة الاسلام أتوسّل إليك وبحرمة القرآن أعتمد إليك، وبحبّي النّبيّ الامّي القرشي الهاشمي العربي . . . التهاميّ المكّيّ المدني أرجو الزلفة لديك فلاتوحش إستيناس ايماني ، و لا تجعل ثوابي ثواب من عبد سواك ، فانّ قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دمائهم فأدركوا ما أمّلوا و إنّا آمنّا بك بألسنتنا و قلوبنا لتعفو عنّا فأدركنا ما أمّلنا وثبّت رجائك في صدورنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب . . . » الدعاء .

و فى أدعية الصباح والمساء ـ : « اللهم احفظني بحفظ الايمان من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي لا إله إلّا أنت لاحول ولا قوّة إلّا بالله . . . » الدعاء .



﴿في تسمية المومن و روح الايمان﴾

قال الله عزّ وجل: «فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون» الأنعام: ٨١-٨٢) وقال: «اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه» المجادلة: ٢٢)

في روضة الكافي: باسناده عن رفاعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: أتدري يا رفاعة لم سمّى المؤمن مؤمناً؟ قال: قلت: لا أدري قال: لأنّه يؤمن على الله عزّ وجلّ فيجيز الله له أمانه.

وفي العلل: باسناده عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّما سمّي المؤمن مؤمناً لأنّه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه.

قوله عليه السلام: «يؤمن على الله» أي يدعو ويشفع لغيره في الدنيا والآخرة فيستجاب له وتقبل شفاعته فيه.

وفيه: باسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكرم أخاه المؤمن بكلمة يلطفه بها أو قضى له حاجة أو فرّج عنه كربة لم تزل الرحمة ظلّاً عليه ممدوداً ما كان في ذلك من النظر في حاجته، ثمّ قال: ألا انبئكم لم سمّى المؤمن مؤمناً لايمانه الناس على أنفسهم وأموالهم؟ ألا انبئكم من المسلم من سلم الناس يده ولسانه؟ ألا انبئكم بالمهاجر من هجر السيّئات وما حرم الله عليه ومن دفع مؤمناً دفعة ليذلّه بها، أو لطمه لطمة أو أتى إليه أمراً يكرهه لعنته الملائكة حتّى يرضيه من حقّه ويتوب، ويستغفر فايّاكم والعجلة

إلى أحد فلعلّه مؤمن وأنتم لاتعلمون وعليكم بالإناة واللين والتسرّع من سلاح الشياطين، وما من شيءأحبّ إلى الله من الاناة واللين.

وفي الرواية: ايماء إلى أنّه يشترط في الايمان أو كماله أن لايخافه النّاس على أنفسهم وأموالهم وكذا الإسلام.

وفي الاختصاص: روى عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: «المؤمن هاشمي لأنّه هشم الضلال والكفر والنفاق، والمؤمن قرشي لأنّه أقرّ للشيء، وأنكر لاشيء: الدلام وأتباعه ـ والمؤمن نبطي لأنّه إستنبط الأشياء، تعرّف الخبيث عن الطيّب، والمؤمن عربي لأنّه عرب عنّا أهل البيت، و المؤمن أعجمى لأنّه أعجم عن الدلام، فلم يذكره بخير، والمؤمن فارسي لأنّه تفرّس في الأسماء لو كان الايمان منوطاً بالثريّا لتنا وله أبناء فارس، يعني به المتفرّس، فاختارمنها أفضلها، واعتصم بأشرفها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إتّقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله.

بيان: كأنّ الغرض بيان فضل المؤمن، وأنّه يمكن أن يطلق عليه كل إسم حسن بوجه من الوجوه، يبيّن عليه السلام أنّه يمكن أن يعدّ في الهاشمين، لأنّه هشم الضّلال وأشباهه أي كسرها وأبطلها، و«القرشي» كأنّه مبنى على الإشتقاق الكبير أو كان أصله ذلك كتأبّط شرّاً، فصار بكثرة الإستعمال كذلك، والمراد بالشيء الحق الثابت وباللاشيء الباطل المضمحلّ، ويمكن أن يكون بمعنى المشيء أي مايصلح أن تتعلق به المشيئة والحق كذلك، و«الدلام» بيان للاشيء و يكنّى به غالباً في الأخبار عن عمر تقية، وقد يطلق على سابقه أيضاً إمّا لسواد ظاهرهما أو باطنها...

وفي النهاية: فيه أمير كم رجل طوال أدلم: الأدلم: الأسود الطويل، ومنه الحديث: «فجاء رجل أدلم فاستأذن على النّبي صلى الله عليه وآله قيل: هو عمر بن الخطاب» إنتهى.

وفي القاموس: الدلام ـ كسحاب ـ: السواد أو الأسود.

و قوله عليه السلام: «لأنه عرب عنا أهل البيت» ف «عرب» إمّا مبنى على المفعول من التفعيل فان التعريب هو: تهذيب المنطق من اللحن فمن تعليلية، وإمّا مبنى

للفاعل من التعريب بمعنى التكلّم عن القوم، والإعراب: الإبانة والإفصاح وعدم اللحن في الكلام والردّ عن القبيح والمعنى: المؤمن يتكلّم عنّا وعن فضائلنا ويحتجّ لنا.

وقوله: «لأنّه تفرّس في الأسماء» التفرّس: التثبت والنظر وإعمال الحدس الصائب في الامور، والمعنى: أنّ الّذين مدحهم رسول الله ﷺ ليسوا مطلق العجم، بل أهل الدين واليقين منهم كسلمان رضوان الله تعالى عليه، والتفرّس في الأسماء كالتفكّر في الايمان والنفاق، وإختيار الايمان، وفي التقوى والفسق، وإختيار التقوى أو التفكّر في أنّ الايمان مامعناه؟ وأيّ الفرق المختلفة يصح إطلاق المؤمن، فيختار من الايمان ما هو حقّه، وما يصحّ أن يطلق عليه، والحاصل أنّه يتدبّر ويتفكّر في الدلائل والبراهين من الكتاب والسنّة والأدلّة العقلية، ويختار من العقائد والأعمال ماهو أحسنها وأوفقها للأدلّة.

وفي البحار: قال: قيل لأبي عبدالله عليه السلام: لم سمّي المؤمن مؤمناً؟ قال: لأنّه اشتقّ للمؤمن إسماً من أسمائه تعالى. فسمّاه مؤمناً، وإنّما سمّى المؤمن لأنّه يؤمن من عذاب الله تعالى، ويؤمن على الله يوم القيامة، فيجيز له ذلك ولو أكل أو شرب أو قام أو قعد أو نام أو نكح أو مرّ بموضع قذر حوّله الله من سبع أرضين طهراً لا يصل إليه من قذر هاشيء، وإنّ المؤمن ليكون يوم القيامة بالموقف مع رسول الله ﷺ فيمرّ بالمسخوط عليه المغضوب غير النّاصب ولا المؤمن، وقد ارتكب الكبائر فيرى منزلة عظيمة له عندالله عزّ وجل، وقد عرف المؤمن في الدنيا و قضى له الحوائج.

فيقوم المؤمن إتكالاً على الله عزّ وجلّ فيعرّفه بفضل الله فيقول: اللهم هب لي عبدك فلان ابن فلان، قال: فيجيبه الله تعالى إلى ذلك، قال: وقد حكى الله عزّ وجلّ عنهم يوم القيامة قولهم: «فمالنا من شافعين» من النبيّين «ولاصديق حميم» من الجيران والمعارف، فاذا أيسوا من الشفاعة قالوا: يعني من ليس بمؤمن «فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين»

قوله عليه السلام : «بموضع قذر» كأنّه متعلّق بجميع الأفعال المتقدّمة، والمراد بالقذارة والطهر المعنويات أو بالطهر فقط المعنوي، والمراد بغير الناصب والمؤمن : المستضعف أو المؤمن الفاسق أو الأعمّ منهما.

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام: «فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك» وذلك لأنّ الشرك نجاسة حكميّة لاعينيّة، وأيّ شيء يكون أنجس من الجهل أو أقبح، فالايمان هو تطهير القلب من نجاسة ذلك الجهل.

و في أمالي الشيخ الطوسى قدّس سرّه باسناده عن الفضل بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: يا فضل لاتزهدوا في فقراء شيعتنا، فانّ الفقير منهم ليشفّع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضرّ ثم قال: يافضل إنمّا سمّي المؤمن مؤمناً لأنّه يومن على الله فيجيز الله أمانه، ثمّ قال: أما سمعت الله تعالى، يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» الخبر.

وأما روح الايمان: فقد وردت روايات كثيرة نشير إلى مايسعه مقام الإختصار:

منها : في الكافي باسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام إنّ ناساً زعموا أنّ العبد لايزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يأكل الربوا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل عليّ هذا وحرج منه صدري حين أزعم أنّ هذا العبد يصلّي صلاتي و يدعو دعائي و يناكحني واناكحه ويوارثني واوارثه، وقد خرج من الايمان من أجل ذنب يسير أصابه!

فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: و الدليل عليه كتاب الله: خلق الله النّاس على ثلاث طبقات، و أنزلهم ثلاث منازل، و ذلك قول الله عزّ وجلّ في الكتاب: «أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون» فأمّا ما ذكره من أمر السابقين، فانهمّ أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الايمان، وروح القوّة، و روح الشّهوة، وروح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين، وغير مرسلين، وبها علموا الأشياء، وبروح

الايمان عبدوا الله و لم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوّة جاهدوا عدوهم و عالجوا معاشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء، و بروح البدن دبّوا ودرجوا.

فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم، ثمّ قال: قال الله تعالى : «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى إبن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس» ثم قال في جماعتهم : «وأيّدهم بروح منه» يقول أكرمهم بها، ففضّلهم على من سواهم، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم، ثمّ ذكر أصحاب الميمنة هم المؤمنون حقاً بأعيانهم، جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الايمان، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة حتّى يأتي عليه حالات.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذه الحالات؟ فقال: أمّا أوّلهنّ فهو كما قال الله عزّ وجلّ: «ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» فهذا ينتقص منه جميع الأرواح، وليس بالّذي يخرج من دين الله لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل العمر فهو لا يعرف للصّلاة وقتاً، ولا يستطيع التهجّد بالليل ولا بالنهار ولا القيام في الصفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح الايمان، وليس يضرّه شيئاً. ومنهم من ينتقص منه روح القوّة و لا يستطيع جهاد عدوّه ولا يستطيع طلب المعيشة ومنهم من ينتقص منه روح الشهوة، فلو مرّت به أصبح بنات آدم لم يحنّ إليها، ولم يقم وتبقى روح البدن فيه، فهو يدبّ ويدرج، حتّى يأتيه ملك الموت فهذا بحال خير لأنّ الله عزّ وجلّ هو الفاعل به، وقد يأتي عليه حالات في قوّته و شبابه فيهمّ بالخطيئة فيشجّعه روح القوة، ويزيّن له روح الشهوة وتقوده روح البدن حتّى توقعه في الخطيئة، فاذا لامسها نقص من الايمان وتفصّى منه، فليس يعود فيه حتّى يتوب، فاذا تاب تاب الله، وإن عاد أدخله الله نار جهنّم.

فأمّا أصحاب المشئمة فهم اليهود والنصارى يقول الله عزّ وجل: «الّذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم» يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبنائهم في منازلهم «وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك » أنّك الرسول إليهم «فلا تكونن من الممترين» فلمّا جحدوا واما عرفوا ابتلاهم بذلك فسلبهم روح الايمان، وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوّة، وروح الشهوة وروح البدن، ثم أضافهم إلى الأنعام فقال: «إن هم إلّا كالأنعام» لأنّ الدابّة إنمّا تحمل بروح القوّة وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن، فقال: السائل: أحييت قلبي باذن الله يا أمير المؤمنين.

قوله عليه السلام : «وحرج منه»: ضاق، و«حين أزعم»: أعتقد وأدّعي موافقاً لدعواهم، و«يصلّي صلاتي» كأنّ صلاتي مفعول مطلق للنوع، وكذا دعائي والمراد: الدعوة إلى الدين أو دعاء الرب، وطلب الحاجة منه في الصلاة وغيرها، و«ينا كحني»: يعطيني زوجة كبنته واخته، و«يوارثني» كأن في الاسناد مجازاً أي جعل الله له في ميراثي ولي في ميراثه نصيباً، وعدّ الذنب يسيراً بالنسبة إلى الخلل في العقائد أو اليسير في مقابل الكثير، و«صدقت» أي القول الّذي ذكرت عنهم صدق و حق أو صدقت في أنّهم لا يخرجون من الايمان رأساً بحيث تنتفي المناكحة والموارثة، وأمثالها أو في أنّهم لا يخرجون بمحض إرتكاب الذنب، بل بالاصرار عليه.

وقوله عليه السلام : «جعل الله فيهم خمسة أرواح» ان الروح تطلق على النفس الناطقة، وعلى الروح الحيوانية السارية في البدن، وعلى خلق عظيم إمّا من جنس الملائكة أو أعظم منهم كما قال تعالى: «يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً» والأرواح المذكورة هنا يحتمل أن تكون أرواحاً مختلفة متباينة: بعضها في البدن، وبعضها خارجة عنه، أو يكون المراد بالجميع النفس الناطقة الإنسانيّة باعتبار أعمالها و درجاتها ومراتبها أو اطلقت على تلك الأحوال والدرجات كما أنّه يطلق عليها النفس الأمّارة واللوّامة والمطمئنّة والملهمة بحسب درجاتها ومراتبها في الطاعة ، والعقل الهيولاني وبالملكة وبالفعل، ويحتمل أن تكون روح القوّة والشهوة و

المدرج كلّها الروح الحيوانية، وروح الايمان وروح القدس النفس الناطقة بحسب كمالاتها، أو تكون الأربعة سوى روح القدس مراتب النفس وروح القدس الخلق الأعظم، فانّ ظاهر أكثر الأخبار مباينة روح القدس للنفس.

ويحتمل أن يكون إرتباط روح القدس متفرّعاً على حصول تلك الحالة القدسيّة للنفس، فتطلق روح القدس على النفس في تلك الحالة، وعلى تلك الحالة وعلى الجوهر القدسيّ الّذي يحصل له الإرتباط بالنفس في تلك الحالة كما أنّ الحكماء يقولون: إنّ النفس بعد تخليها عن الملكات الرديّة وتحليها بالصّفات العليّة، و كشف الغواشي الهيولانيّة، ونقض العلائق الجسمانية، يحصل بها إرتباط خاص بالعقل الفعّال كارتباط البدن بالروح، فتطالع الأشياء فيها، وتفيض المعارف منه عليها آناً فآناً وساعة فساعة، وبه يؤوّلون علم ما يحدث بالليل والنهار، وهذا وإن كان مبتنياً على اصول فاسدة لانقول بها، لكن إنمّا ذكرناه للتشبيه والتنظير وعلم جميع ذلك عند العليم الخبير.

وقـوله عليه السلام: «خلق الله الناس على ثلاث طبقات» قيل: الخلق بمعنى الايجاد أو التقدير، ووجه الحصر أنّ الناس إمّا كافر أومؤمن، والمؤمن إمّا أن تكون له قوّة قدسيّة مقتضية للعصمة أولم تكن، والأوّل هم أصحاب المشئمة، والأخير هم أصحاب الميمنة، والثاني هم السابقون «وذلك قول الله» إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الواقعة: «وكنتم أزواجاً ثلاثة فاصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك المقرّبون في جنّات النعيم ثلّة من الأوّلين وقليل من الاخرين».

وقـوله عليه السلام : «دبّوا» أي مشوا على هينتهم، «فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم» كأنّ الذنب مأوّل بترك الاولى، أو كناية عن عدم صدوره عنهم «وهم المؤمنون حقاً» أي يكون ايمانهم واقعياً، ولايكون باطنهم مخالفاً لظاهرهم، فيكونون منافقين على بعض الاحتمالات السابقة، أو المراد بهم المؤمنون الّذين لايتركون الفرائض ولا يرتكبون الكبائر إلّا اللمم، فالّذين يفعلون ذلك ولايتوبون داخلون في أصحاب الشمال

، و «بأعيانهم» أي بخصوصهم أو بانفسهم من غير أن يلحق بهم أتباعهم، و«يستكمل هذه الأرواح» أي يطلب كمالها وتمامها أو يتّصف بها كاملة، و«إلى أرذل العمر» أي ببقيه حتّى يصير إلى حال الهرم والخرف، فيظهر النقصان في جوارحه وحواسّه و عقله وقد روى عن الامام محمّد عليه السلام: أن أرذل العمر: خمس وسبعون سنة.

و قوله عليه السلام: «لأنّ الفاعل به ردّه» أي أنّ الله عزّ وجلّ هو الفاعل به، المدبّر لأمره ردّه و«لا القيام في الصفّ» أي لصلاة الجماعة، و«ليس يضرّه شيئاً» لأنّ ترك الأفعال مع القدرة عليها يوجب نقص الايمان لامع العذر ولا يوجب نقص ثوابه أيضاً لما ورد في الأخبار أنّه يكتب له مثل ما كان يعمله في حال شبابه وقوّته وصحّته، و«لم يحن» أي لا يشتاق إليها، و«لم يقم» أي إليها لطلبها و مراودتها، و «فهذا بحال خير» أي لا يضرّه هذا النقص في الأرواح، و«تفصّى منه» أي خرج الايمان منه، و«إن عاد» أن من غير توبة على وجه الإصرار.

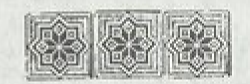
وقوله عليه السلام: «الّذين آتيناهم الكتاب» هم علماء هم الّذين كانوا يعرفون محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله بأوصافه التي وردت في كتبهم كمعرفتهم أبناءهم، فلا يلتبسون عليهم بغيرهم و كذلك الولاية لأهل البيت المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و «إنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» تخصيص لمن عاند و استثناء لمن آمن، و«الولاية» أي يعرفون أوصياء محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة والولاية وهم إثني عشر إماماً أوّلهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب و آخرهم المهدى المنتظر الحجّة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين ، وإنّما اكتفى بذكر محمد صلى الله عليه وآله لأنّ معرفته على وجه الكمال يستلزم معرفته أوصيائه المعصومين عليهم السلام.

وقوله عليه السلام: « إبتلاهم بذلك » أي بسبب ذلك الجحود « فسلبهم روح الايمان» بيان لنتيجة الجحود و الظاهر أنّ هذا تعريض لهم بأنّهم من الشاكّين على أحد وجهين:

أحدهما ـ أنّه لمّا جحدوا ما عرفوا سلب الله تعالى منهم التوفيق واللطف، فصاروا شاكّين، ومع الشك لايبقى الايمان، فسلب منهم روحه لأنّه لايكون مع عدم الايمان، أوسلب منهم أوّلا الروح المقوّي للايمان، فصاروا شاكّين.

و ثانيهما ـ أنّهم لمّا أنكروا ظاهراً ما عرفوا يقيناً نسبهم إلى الإمتراء وألحقهم بالشاكّين لانّ اليقين، إنّما يكون ايماناً إذالم يقارن الانكار الظاهري، فلذا سلبهم الروح الّذي هولازم الايمان.

وفي كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي: قال: سمعت سلمان الفارسي يقول: إنّ علياً عليه السلام باب فتحه الله من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كافراً.



«لا يذكر الايمان في القرآن الا وعلي عليه السلام أمير أهله»

قال الله عزّ وجل: «إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات» العصر: ٣).

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين: أنّه لاتذكر في القرآن الكريم آية في الايمان إلّا وعليّ بن أبيطالب عليه السلام أمير أهله، كيف لا وقد جعل الله جلّ و علا ايمانه معياراً لايمان غيره. وجعل نفسه محوراً لأهل الايمان؟ كيف لا وهو مع الحق والحق معه يدور حيثمادار؟ كيف لا ولايتكلم في الايمان إلّا وعليّ بن أبيطالب عليه السلام داخل فيه دخولاً أوّليّاً؟ ومن هنا يعلم سرّ ايمانه قبل بلوغه فآمن لكي لايقع زمن فاصل بين بلوغه وايمانه ولو آناما.

أمّا الروايات الواردة عن طريق العامّة فكثيرة جداً لايسعها مقام الإختصار فنشير إلى نبذة منها:

١ـ روى الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في (حلية الأولياء ج١ ص ٦٤ ط السعادة بمصر) باسناده عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ماانزل الله آية فيها: «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا وعليّ رأسها وأميرها.

٢ـ روى أحمد بن حنبل في (فضائل الصّحابة ص ١٨٩) باسناده عن إبن عبّاس قال: سمعته يقول: ليس من آية في القرآن «يا أيها الّذين آمنوا» إلّا وعليّ رأسها وأميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله في القرآن وماذكر عليّاً عليه السلام إلّا بخير.

رواه جماعة من أعلامهم :

١ـ محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٨٩ ط مصر سنة ١٣٥٦ ﻫ).

٢ـ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٥٤ ط الغرى).

٣ـ الطبري في (الرياض النضرة ص ٢٠٧ ط محمد أمين الخانجي بمصر).

٤ـ سبط إبن الجوزي في (التذكرة ص ١٩ ط النجف).

٥ـ الشيخ الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٠٥ ط مصر).

٦ـ غياث الدين بن همام في (حبيب السير ج٢ ص ١٣ ط الحيدري بتهران).

٧ـ المير محمد صالح الكشفي الحنفي في (مناقب مرتضوي ص٣١ ط بمبئي بمطبعة المحمدي).

٨ـ الهيثمي في (الصواعق المحرقة ص ٣٨ ط المحمدية بمصر).

٣ـ روى الهيثمي في (الصّواعق المحرقة ص ١٢٥ ط المحمدية بمصر) عن إبن عبّاس قال: ما أنزل الله: «يا أيّها الذين آمنوا» إلّا وعليّ أميرها وشريفها، و لقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر عليّاً إلّا بخير.

أي لم يكن عليّ عليه السلام داخلاً في العتاب الّذي أنزله الله تعالى على أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا أوضح دليل على عصمة عليّ عليه السلام.

رواه جماعة من أعلامهم:

١ـ السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ١١٦ ط لاهور)

٢ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ١٢٥ ط إسلامبول).

٣ـ أحمد بن حنبل في (المسند).

٤ـ روى الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في (المستخرج من التفاسير الاثني عشر) في قوله تعالى: «فاسئلوا أهل الذكر» أي فاسئلوا عن اهل البيت، والله ماسمّي المؤمن مؤمناً إلّا بسبب حبّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة في المقام تركناها للاختصار.

وأمّا الروايات الواردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقّة

فكثيرة أيضاً:

منها: روى الصّدوق رضوان الله تعالى عليه في (الإعتقاد) عن الإمام السادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام: أنّه قال: «ما من آية في القرآن أوّلها: «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا وعليّ بن أبيطالب عليه السلام أميرها وقائدها وشريفها وأوّلها، وما من آية تسوق إلى الجنّة إلّا وهي في النبيّ والأئمة عليهم السلام وأشياعهم وأتباعهم، وما من آية تسوق إلى النار إلّا وهي في أعدائهم والمخالفين لهم، وإن كانت الآيات في ذكر الأوّلين. فما كان منها من خير فهو جار في أهل الخير، وما كان منها من شرّ فهو جار في أهل الشرّ».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» قال: ذاك أمير المؤمنين.

وفي البحار: عن الحافظ أبي نعيم باسناده عن حذيفة: أنّ ناساً تذاكروا فقالوا: ما نزلت آية في القرآن: «يا أيّها الذين آمنوا» إلّا في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فقال حذيفة: ما نزلت آية في القرآن: «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا كان لعليّ بن أبيطالب عليه السلام لبّها ولبابها.

وفيه: بالاسناد عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنزل الله آية فيها: «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا وعليّ رأسها وأميرها.

وفيه: بالاسناد عن إبن عبّاس قال: ما أنزل الله من آية: «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا وعليّ سيّدها وأميرها وشريفها.

وفيه: بالاسناده عن إبن عبّاس قال: ما في القرآن: «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا وعليّ رأسها وقائدها.

وفيه: بالاسناد عن مجاهد قال: ما كان في القرآن: «يا أيّها الّذين آمنوا» فانّ لعليّ سابقة ذلك لأنّه سبقهم إلى الإسلام.

وفيه: من مناقب الخوارزمي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا

عليّ اخصمك بالنبوة ولانبوّة بعدي، وتخصم النّاس بسبع ولا يحاجّك فيهنّ أحد من قريش: أنت أوّلهم ايماناً بالله و أوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله و أقسمهم بالسوية وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم في القضيّة، وأعظمهم عندالله يوم القيامة مزيّة.

قال صاحب كفاية الطالب: هذا حديث حسن عال رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.

وفي أمالي الشيخ الطوسي قدّس سرّه باسناده عن عبدالله بن حوية العبدي قال: أتى عمر بن الخطاب رجلان يسئلان عن طلاق الأمة، فالتفت إلى خلفه، فنظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السلام فقال: يا أصلع ماترى في طلاق الأمة؟ فقال له باصبعه: هكذا ـ وأشار بالسبابة والّتي تليها ـ فالتفت إليهما عمر وقال: ثنتان فقالا: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فسئلناك فجئت إلى رجل سئلته والله ما كلّمك فقال عمر: تدريان من هذا؟ قالا: لا قال: هذا عليّ بن أبيطالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لو أنّ السموات السبع والأرضين السبع وضعتا في كفّة، ووضع ايمان عليّ في كفّة لرجح ايمان عليّ عليه السلام.

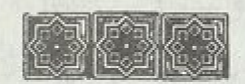
وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ـ في خطبة ـ: «ونؤمن بالله ايمان من عاين الغيوب، ووقف على الموعود ايماناً نفى إخلاصه الشرك ويقينه الشك، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً صلّى الله عليه عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخفّ ميزان توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان منه» الخطبة.

وفي شرح ابن أبي الحديد: قال في قوله عليه السلام: «ونؤمن به ايمان من عاين وشاهد» لأنّ ايمان العيان أخلص و أوثق من ايمان الخبر، فانّه ليس الخبر كالعيان، وهذا إشارة إلى ايمان العارفين الذين هو عليه السلام سيّدهم ورئيسهم، ولذلك قال: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وقوله عليه السلام: «تصعدان القول» إشارة إلى

قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح يرفعه» فاطر: ١٠».

وقال ابن أبي الحديد: انّه عليه السلام لم يحكم بهذا على مجرّد الشهادتين، و إنّما حكم بهذا على شهادتين مقيّدتين، قد وصفهما بأنّهما يصعدان القول ويرفعان العمل، وتانك الشهادتان المقيدتان بذلك القيد، إنّماهما الشهادتان اللتان يقارنهما فعل الواجب وتجنّب القبيح، لأنّه لم يقارنهما ذلك لم يرفعا العمل، وإذا كان حكمه بعد خفّة ميزان همافيه، انّما هو على شهادتين مقيّدتين لا مطلقتين.

وفي نهج البلاغة: قال الامام عليّ عليه السلام - في خطبة -: «ونشهد أن لا اله غيره وأنّ محمّداً صلّى الله عليه نجيبه وبعيثه، شهادة يوافق فيها السّرّ الإعلان، والقلب اللسان».



﴿الامام علي عليه السلام اول من آمن واسلم﴾

وقد تواترت الروايات الواردة عن طريق الفريقين في سبق ايمان مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام وإسلامه على جميع الناس، وقد أجمع الفريقان على ذلك إلا الشذ من العامة عناداً و لجاجاً ونفاقاً كالجاحظ أبي عثمان المصري وأذنابه المبتورة:

أما العامة فرووا سبق الامام علي عليه السلام في الايمان والاسلام على غيره بطرق عديدة عن سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري، والمقداد وعمار ياسر، وزيد بن صوحان وحذيفة، وأبي أيوب الأنصاري وأبي سعيد الخدري، وأبي الهيثم وخزيمة، وأبي رافع، وام سلمة وعائشة، وسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك وأبي الطفيل ، وجبير بن مطعم وعمرو بن الحمق ، وحبة العرني و جابر الحضرمي، والحارث الأعور وعباية الأسدي، ومالك بن الحويرث وقثم بن العباس، وسعيد بن قيس ومالك الأشتر، وهاشم بن عتبة ومحمد بن كعب، وإبن مجاز والشعبي والحسن البصري و أبي البختري ، والواقدي و عبد الرزاق ، و معمر و السدي و غيرهم ... وهم نسبوا القول بذلك إلى إبن عباس و جابر بن عبدالله وأنس و زيد بن أرقم ومجاهد وقتاده وابن اسحق و معاذ بن جبل و عمر بن الخطاب وليلى الغفارية وعباد بن عبدالله الأسدي وبريدة وأبي هريرة وعبدالله بن خباب الأرت وغيرهم . . .

فلايمكن الدسّ في تلك الروايات وأسانيدها إلّا من أنكر الشمس في رابعة النهار وماوقفت إلى الآن - في كلمتي ايمان علي عليه السلام وإسلامه وسبقه بهما على الناس - من كتب العامّة ومآخذهم المعتبرة عندهم نحو: (٤٠٠) كتاباً نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار إذ نحن على جناحيه:

١- روى الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ ط السعادة بمصر) باسناده عن معاذ بن جبل قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ياعليّ اخصمك بالنبوّة ولا نبوّة بعدي وتخصم الناس بسبع، ولا يحاجك فيها أحد من قريش أنت أوّلهم ايماناً بالله، وأوفاهم بعهدالله، واقومهم بامر الله، واقسمهم بالسّوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية وأعظمهم.

رواه جماعة من أعلامهم:

١- أخطب الخوارزم في (المناقب ص٦٦ ط تبريز).

٢- محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة ج٢ ص١٩٨ط محمد أمين الخانجي بمصر) وفي (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر).

٣- إبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج٢ ص١٩ط حيدر آباد الدكن).

٢- روى المتقي الهندى الحنفي في (منتخب كنز العمّال ج٦ ص ٣٩٣ ط حيدر آباد الدكن).

باسناده عن عبدالله بن عبّاس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر عليّ بن أبيطالب فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه خصال لان تكن واحدة منهنّ في آل الخطّاب أحب إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فانتهيت إلى باب ام سلمة، وعليّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصرنا إليه فاتكأ صلى الله عليه وآله وسلم على عليّ بن أبيطالب ثم ضرب بيده على منكبه، ثمّ قال: إنك مخاصم، تخاصم أنت أوّل المؤمنين ايماناً، وأعلمهم بأيّام الله وأوفاهم

بعهدالله وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني، والمتقدّم إلي كل شديدة و كريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدّمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي.

رواه المتقي الحنفي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ط القديم بمصر).

٣- روى الحافظ إبن حجر العسقلاني في (الإصابة ج ٤ ص ٣٨٩ ط دار الكتب المصرية بمصر) عن ليلى الغفارية قالت: كنت أغزو مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاداوي الجرحى وأقوم على المرضى، فلمّا خرج عليّ إلى البصرة خرجت معه، فلمّا رأيت عايشة أتيتها فقلت: هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة في علي عليه السلام؟ قالت: نعم دخل عليّ على رسول الله وهو معي وعليه جرد قطيفة فجلس بيننا، فقلت: أما وجدت مكاناً هو أوسع لك من هذا؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عايشة! دعي لي أخي، فانه أوّل الناس إسلاماً، وآخر الناس بي عهداً، وأوّل الناس لي لقياً يوم القيامة.

رواه في (لسان الميزان ج ص ١٢٧ ط حيدرآباد الدكن).

والسيوطي الشافعي في (ذيل اللئالي ص٥٩ ط لكهنو).

٤- روى الحافظ شيرويه الديلمي في (الفردوس) عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعليّ أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أوّل المؤمنين ايماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

٥- روى الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء ج١ ص ٦٦ ط السعادة بمصر) باسناده عن أنس بن مالك قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي برزة الأسلمي فقال له - وأنا أسمع - يا أبا برزة! انّ رب العالمين عهد إليّ عهداً فى عليّ بن أبيطالب فقال: إنّه راية الهدى ومنار الايمان وإمام أوليائى ونور جميع من أطاعنى، يا أبا برزة عليّ بن أبيطالب صاحب رايتى فى القيامة وأمينى غداً فى القيامة على مفاتيح

خزائن رحمة ربّي .

رواه جماعة من اعلام العامة:

١- إبن المغازلی فی (المناقب).

٢- اخطب خوارزم فی(المناقب ص٢٤٠ ط تبريز) وفی (المناقب ص ٢٤٥ ط تبريز) .

٣- الشيخ جلال الدّين محمّد بن احمد الحنفی الموصلی فی (درّ بحر المناقب ص ٢٤) .

٤- الحموينی فی(فرائد السمطين).

٥- الزرندي الحنفی فی (نظم درر السمطين ص١١٤ط مطبعةالقضاء).

٦- إبن حجر العسقلانی فی (لسان الميزان ج ٦ ص ٢٣٧ ط حيدر آباد الدكن).

٦- روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ١٣٣ ط إسلامبول) عن إبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : ياعليّ أنت صاحب حوضي وصاحب لوائي وحبيب قلبي ووصيّي ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء من قبلي، وأنت أمين الله على أرضه وحجّة الله على بريّته، وأنت ركن الايمان و عمود الاسلام، وأنت مصباح الدجى ومنار الهدى والعلم المرفوع لاهل الدنيا ، يا عليّ! من اتبعك نجى ومن تخلّف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح والصراط المستقيم ، وانت قائد الغرّ المحجّلين ويعسوب المؤمنين ، وانت مولى من أنا مولاه ، وانا مولى كل مؤمن و مؤمنة، لا يحبّك الّا طاهر الولادة ، ولا يبغضك الّا خبيث الولادة، وما عرجني ربّي عزّ وجل الى السماء و كلّمني ربّي، الّا قال: يا محمّد إقرأ عليّاً منّي السلام وعرفه انّه امام اوليائي ونور اهل طاعتي وهنيئاً لك هذه الكرامة .

٧- روى محمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص٨٤ ط هند).

ما لفظه: قال النبي صلى الله عليه وآله: ياعلي! أنت اوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أوّل المؤمنين ايماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

٨- روى إبن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج٥ ص٥٤٢ ط مصر): انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعايشة: هذا عليّ بن أبيطالب اوّل الناس ايماناً.

رواه إبن حجر العسقلاني فى (الإصابة ج٤ ص ٣٨٩ ط دار الكتب بمصر).

٩- روى الكازروني فى (السيرة النبوية) عن إبن عبّاس قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: ياعليّ أنت اوّل المسلمين إسلاماً واوّل المؤمنين إيماناً.

١٠- روى الثعلبي في (تفسيره): انّ أوّل ذكر آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وصدّقه عليّ بن أبيطالب عليه السلام ثمّ قال الثعلبي: وهو قول إبن عبّاس وجابر وزيد بن أرقم و محمد بن المنذر وربيعة الرأي وأبي حيان والمزني.

١١- روى الثعلبي في (تفسيره): انّ أباطالب قال لعلي عليه السلام: أي بني ما هـذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال: يا أبت آمنت بالله و رسوله، وصدّقته فيما جاء به، و صلّيت معه لله تعالى، أما انّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يدعوا إلّا إلى خير فالزمه.

١٢- روى السيوطي الشافعي في (الـدر المنثور ج ٣ ص ٢١٩ ط ايران): أخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة و إبن عساكر عن أنس قال: قعد العبّاس و شيبة صاحب البيت يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف منك، أنا عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّ أبيه، وساقي الحجيج، فقال شيبة: أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيتـه و خازنه، أفلا أئتمنك كمـا أئتمنني فاطلع عليهمـا عليّ عليه السلام فأخبراه بما قالا فقال عليّ عليه السلام: أنا أشرف منكما، أنا أوّل من آمن و هاجر، فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه فما أجابهم بشيء، فانصرفوا فنزل عليه

الوحي بعد أيام، فأرسل إليهم فقرأ عليهم : «أجعلتم سقاية الحاج ـ إلى آخر العشر» التوبة: ١٩).

١٣ـ روى الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦٤ ط إسلامبول) عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقدم امتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأصحهم ديناً، وأفضلهم يقيناً، وأكملهم حلماً، وأسمحهم كفاً، وأشجعهم قلباً علي وهو الإمام على امتي.

١٤ـ روى الحاكم أبوعبدالله النيسابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول لكم وارداً علي الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبيطالب.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعاظم العامة:

١ـ إبن عبدالبر في (الإستيعاب ج٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن).

٢ـ محب الدين الطبري في (ذخائر العقبي ص ٥٨ ط مكتبة القدسي بمصر).

٣ـ الذهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج٣ ص ١٣٦ ط حيدرآباد الدكن).

٤ـ المناوي الشافعي فى (كنوز الحقائق ص٥١ ط بولاق بمصر).

٥ـ الحلبي الشافعي فى (إنسان العيون ج١ ص ٢٦٨ ط مصر).

٦ـ القندوزي الحنفي فى (ينابيع المودة ص٦١ ط إسلامبول).

١٥ـ روى احمد بن حنبل فى (فضائل الصحابة) باسناده عن عباد بن عبدالله قال: سمعت علياً يقول: أناعبدالله وأخو رسول الله قال إبن نمير فى حديثه: وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ولقد صليت قبل الناس سبع سنين، قال ابوأحمد: ولقد أسلمت قبل الناس سبع سنين.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١ـ الإسكافي البغدادي فى (رسالة النقض على العثمانية).

٢- إبن ماجه القزويني فى (سنن المصطفى ج١ ص ٥٧ ط الغازية بمصر).

٣- النسائي في(الخصائص ص٣ و١٨ ط التقدم بمصر).

٤- الحافظ أبومحمد عبدالرحمن في(الجرح والتعديل ج٢ ص٢٠ ط حيدر-آباد الدكن).

١٦- روى الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية ج١ ص٢٤١ ط الأزهرية بمصر).

مالفظه: روى إبن عبدالبرّ: ان محمّد بن كعب القرظي سئل عن أوّلهما أي عليّ وأبى بكر إسلاماً؟ فقال: سبحان الله عليّ أوّلهما إسلاماً.

١٧- روى إبن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢١ ط دار الصادر بمصر) باسناده عن زيد بن أرقم قال: أوّل من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ.

رواه جماعة من اعاظم العامة:

١- الحافظ الترمذي في(صحيحه ج١٣ ص١٧٧ ط الصاوي بمصر).

٢- النسائي فى(الخصائص ص٢ ط التقدم بمصر).

٣- الحاكم النيسابوري فى(المستدرك ج٣ ص ١٣٦ ط حيدر آباد الدكن).

٤- إبن الأثير فى (اسد الغابة ح ٤ ص ١٧ ط مصر سنة: ١٢٨٥ هـ).

٥- الذهبي فى (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ ط حيدر آباد الدكن).

٦- ابن عبدالبرّ في(الإستيعاب ج٢ ص ٤٥٩ ط حيدر آباد الدكن).

٧- عبدالغني النابلسي فى (ذخائر المواريث) ج١ ص ٢١٣).

٨- الأمر تسري فى (أرجح المطالب ص ٣٩٠ ط لاهور).

٩- احمد بن حنبل فى (المسند ج ٤ ص ٣٦٨ ط الميمنية بمصر).

١٠- إبن كثير الدمشقي فى (البداية والنهاية ج٧ ص٢٦ ط السعادة بمصر).

١١ـ الشيباني القطفي فی (انباه الرواة على ابناء النحاة ج ١ ص ١١ ط القاهرة) و غيرهم تركنا ذكرهم للاختصار.

١٨ـ روی المحدّث محمّد بن أحمد السرخسي فی (السير الكبير ج ١ ص ١٣٥ ط حيدرآباد الدكن) ما لفظه: ولاخلاف فی أنّ علياً أسلم فی أوّل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٩ـ روی أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفی فی (المسند ص ٣٧ ط القاهرة) عن حبة العرنی وهو الهمدانی من أصحاب علی كرّم الله وجهه قال: سمعت علياً رضی الله عنه يقول: أنا أوّل من أسلم.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة كثيرة منهم:

١ـ الحافظ الخطيب البغدادي فی (تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٣٣ ط القاهرة).

٢ـ الخوارزمی فی (المناقب ص ٣٣ ط تبريز).

٣ـ إبن أبی الحديد فی (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٥٨ ط مصر).

٤ـ إبن كثير الدمشقی فی (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٣٣ ط حيدرآباد الدكن).

٢٠ـ روی إبن الأثير فی (اسد الغابة ج ٤ ص مصر سنة: ١٢٨٥هـ) باسناده عن بريدة قال: خديجة أوّل من أسلم مع النبیّ صلى الله عليه وآله ثم علی.

رواه الحافظ الهيثمی فی (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٠ ط مكتبة القدسی بالقاهرة).

٢١ـ روی إبن سعد فی (الطبقات الكبری ج ٣ ص ٢١ ط دار الصادر بمصر) باسناده عن إبن عبّاس قال: أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة علی.

٢٢ـ روی الحافظ إبن عبد البر فی (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد) باسناده عن إبن عباس قال: كان علیّ بن أبی طالب أوّل من آمن من الناس بعد خديجة رضی الله عنهما.

رواه بعينه إبن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج٧ ص ٢٣٦ ط حيدر-آباد الدكن) ثم قال مالفظه: قال إبن عبدالبر: هذا إسناد لامطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته.

٢٣- روى أحمد بن حنبل في (المناقب) باسناده عن إبن عبّاس: أنّ علياً أوّل من أسلم.

رواه الهيتمي في (مجمع الزوائد ج٩ ص١٠٢ ط مكتبة القدسي بمصر).

وإبن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج٤ ص١٧ ط مصر سنة: ١٢٨٥هـ)

والذهبي في (تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٩٣ ط مصر) وغيرهم.

٢٤- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج٣ ص ٤٦٥ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن أبي موسى الأشعري انّ علياً أوّل من أسلم مع رسول الله ﷺ.

ثمّ قال: هذا حديث صحيح الاسناد.

٢٥- روى الحافظ الهيتمي في (مجمع الزوائد ج٩ ص٢٢٠ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) عن مالك بن الحويرث قال: أوّل من أسلم الرجال عليّ ومن النساء خديجة. رواه الطبراني.

٢٦- روى الزرندي في (نظم درر السمطين ص ٨٣ ط مطبعة القضاء) مالفظه: واتفق المؤرخون على أنّ أوّل من أسلم وآمن على الاطلاق خديجة قال أبو هريرة: أوّل من أسلم عليّ بن أبيطالب.

٢٧- روي الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص٢٢٠ ط مكتبة القدسى في القاهرة) عن أبى رافع قال: أوّل من أسلم من الرجال عليّ، وأوّل من أسلم من النساء خديجة.

رواه البزاز ورجاله رجال الصحيح.

وإبن عبدالبرّ في (الإستيعاب ج٢ ص٤٥٧ ط حيدر آباد الدكن).

٢٨ ـ روى إبن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٦ ط مصطفى البابي الحلبي بمصر) عن عبدالله بن خباب الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان علياً أمير المؤمنين و أول المسلمين إيماناً بالله و رسوله .

٢٩ ـ روى إبن عبدالبر في (الاستيعاب ج٢ ص٤٥٧ ط حيدر آباد الدكن) عن سلمان انه قال: أول هذه الامة وروداً على نبيها عليه الصلاة والسلام الحوض أولها إسلاماً علي بن أبيطالب رضي الله عنه .

٣٠ ـ روى السيوطي الشافعي في (تعليقات تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ص ٤١٠ ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة) عن أبي ذر وسلمان قالا : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي فقال : إن هذا أول من آمن بي .

٣١ ـ روى ابن عبدالبر في (الاستيعاب ج٢ ص٤٥٦ ط حيدر آباد الدكن) ما لفظه : روى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم : أن علي بن أبيطالب عليه السلام أول من أسلم ، وفضله هؤلاء على غيره .

وفي (ص٤٥٧ الطبع) ما لفظه : وقال إبن شهاب وعبدالله بن محمد عقيل وقتادة وأبو إسحق : أول من أسلم من الرجال علي .

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من أعاظم العامة :

١ ـ ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣٦ ط حيدر آباد)

٢ ـ إبن السيد في (عيون الأثر ج ١ ص ٩٢ ط مكتبة القدسي بالقاهرة)

٣ ـ الدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٣٠٦) .

٤ ـ المولوي أبو محمد البصري في (إنتهاء الافهام ص٧٦ ط لكهنو) وغيرهم . . .

٣٢ ـ روى الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج٣ ص١٢٥ ط حيدر آباد) باسناده عن أبي إسحق قال : سئلت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله صلى الله عليه وآله دونكم ؟ قال : لأنه كان أولنا به لحوقاً و أشدنا به لزوقاً .

ثم قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد .

رواه جماعة منهم :

١ - النسائي في (الخصائص ص ٢٨ ط التقدّم بمصر).

٢ - الذهبي في (تلخيص المستدرك) المطبوع بذيل (المستدرك).

٣ - محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة ص١٦٨ ط الخانجي بمصر).

٤ - المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص٤٢ ط الميمنية بمصر).

٣٣- روى الحافظ إبن عبدالبرّ في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن عمرو مولى عفرة قال: سئل محمّد بن كعب القرظي عن أوّل من أسلم عليّ أو أبوبكر؟ قال: سبحان الله عليّ أوّلهما إسلاماً.

رواه جماعة من أعلامهم:

١ - إبن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج٤ ص١٨ ط مصر سنة: ١٢٨٥هـ).

٢ - الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٨٤ ط مطبعة القضاء).

٣ - المقريزي في (امتاع الاسماع ص ١٦ ط القاهرة).

٣٤ - روى الثعلبي في (تفسيره) عن إسمعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جدّه عفيف قال: كنت إمرءاً تاجراً فقدمت مكّة أيّام الحج، فنزلت على العباس بن عبدالمطلب، وكان العباس لي صديقا، وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيّام الموسم، فبينما أنا والعباس بمنى إذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة، فقام مستقبلها فلم يلبث حتّى جاء غلام، فقام عن يمينه فلم يلبث أن جائت إمرأة، فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فخرّ الشاب ساجداً فسجد معه فرفع الشاب، فرفع الغلام والمرأة، فقلت: ياعبّاس! أمر عظيم! فقال: أمر عظيم، فقلت: ويحك ماهذا؟ قال: هذا إبن أخي محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، يزعم أنّ الله بعثه رسولاً وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذا الغلام عليّ بن أبيطالب، وهذه المرأة خديجة زوجة محمّد تابعاه على دينه، وأيم الله ماظهر الأرض كلّها أحد على هذا الدين

غير هؤلاء .

رواه جماعة منهم باختلاف يسير :

١ ـ النسائي في (خصائصه ص ٣) .

٢ ـ الطبري في (تاريخه ج٢ ص٢١) .

٣ ـ محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج٢ ص١٥٨) .

٤ ـ إبن عبدالبر في (الاستيعاب ج٢ ص٤٥٩) .

٥ ـ إبن السيد في (عيون الأثر ج١ ص٩٣) .

٦ ـ إبن الأثير في (الكامل ج٢ ص٢٢) و (ج٣ ص٤١٤ ط مصر) .

٧ ـ محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسى بمصر) .

٨ ـ ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج٣ ص٢٥ ط السعادة بمصر) .

٩ ـ الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) .

١٠ ـ ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج١ ص ٣٩٥ ط حيدر آباد) .

١١ ـ ابن حجر العسقلاني في (الاصابة ج ٢ ص ٤٨٠ ط مطبعة مصطفى بمصر) .

١٢ ـ المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج٥ ص ٣٩ ط مصر) .

١٣ ـ الكازروني في (السيرة النبوية) .

١٤ ـ إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ ط القاهرة) .

١٥ ـ الأمر تسري في (أرجح المطالب ص٤٠٣ ط القاهرة) .

١٦ ـ إبن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٩٧ ط دار الصادر بيروت) .

٣٥ ـ روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨) قال

علي عليه السلام : أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين .

٣٦ ـ روى النسائي في (خصائصه ص٣) قال علي عليه السلام : آمنت قبل الناس سبع سنين .

٣٧ ـ روى إبن مزاحم في كتاب (صفين ص١٦٨ ط مصر) : من كتاب له عليه السلام كتبه إلى معاوية : « إنّ أولى الناس بأمر هذه الامّة قديماً و حديثاً أقربها من رسول الله وأعلمها بالكتاب، وأفقهها في الدين، وأوّلها إسلاماً وأفضلها جهاداً » .

٣٨ ـ روى إبن مزاحم في (صفين ص ١٠٠ ط مصر) : من كتاب كتبه عليه السلام إلى معاوية : « إنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لمّا دعا إلى الايمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به ، وصدّق بما جاء به ، فلبثنا أحوالاً مجرّمة (أي كاملة) وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا » .

٣٩ ـ ذكر إبن طلحة الشافعي في (مطالب السئول ص ١١) لعليّ عليه السلام :

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي ... به ربيت و سبطاه هما ولدي

صدّقته وجميع النّاس في بهم ... من الضّلالة والإشراك والنكد

قال : قال جابر: سمعت علياً ينشد بهذا و رسول الله يسمع ، فتبسّم رسول الله وقال : صدقت ياعليّ ؟

٤٠ ـ روى إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠١) ـ من خطبة للامام الحسن بن عليّ عليهما السلام في مجلس معاوية قولـه : ـ : « انشد كم الله أيّها الرهط أتعلمون أنّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما ؟ وأنت يامعاوية بهما كافر ، تراها ضلالة وتعبد اللات والعزّى غواية ، وانشد كم الله هل تعلمون أنّه بايع البيعتين كلتيهما : بيعة الفتح و بيعة الرضوان؟ وأنت يامعاوية بإحداهما كافر وباخرى ناكث ، وانشد كم الله هل تعلمون أنّه أوّل الناس ايماناً ؟! وإنك يامعاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم » .

٤١ ـ روى ابن قتيبة في (الامامة والسياسة ج١ ص١٢٢) : انّ الخارجة

التي خرجت على عليّ بينماهم يسيرون فاذاهم برجل يسوق إمرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات . فقالوا له : من أنت ؟ قال: أنا رجل مؤمن ، قالوا : فما تقول في عليّ بن أبيطالب ؟ قال: أقول: إنّه أمير المؤمنين ، و أوّل المسلمين ايماناً بالله و رسوله ، قالوا : فما إسمك ؟ قال : و أنا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٤٢ ـ روى الجاحظ أبوعثمان المصري في (العثمانية ص٢٨٧ط دار الكتب بمصر) عن عبدالله بن مسعود : أنّه قال: أوّل شيء علمته من أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي و ناس من قومي ، و كان من أنفسنا شراء عطر ، فأرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب ، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم فبينا نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا ، و عليه ثوبان أبيضان و له وفرة إلى إنصاف اذنيه جعدة أشم اقنى ادعج العينين كث اللحية برّاق الثنايا أبيض تعلوه حمرة كأنّه القمر ليلة البدر وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه تقفوهم إمرأة قد سترت محاسنها حتّى قصدوا نحو الحجر فاستلمه و استلمه الغلام ثم استلمته المرأة ثمّ طاف بالبيت سبعاً ، والغلام والمرأة يطوفـان معه ، ثم استقبل الحجر فقام و رفع يديه و كبّر وقام الغلام إلى جانبه ، و قامت المرأة خلفهما ، فرفعت يديها ، و كبّرت فأطال القنوت ثم ركع و ركع الغلام والمرأة ، ثمّ رفع رأسه ، فأطال و رفع الغلام والمرأة معه ، ثمّ سجدوا و سجد الغلام معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلمّا رأينا شيئاً ننكره لا نعرفه بمكّة اقبلنا على العباس ، فقلنا : يا أباالفضل انّ هذا الدين ما كنّا نعرفه فيكم ؟ قال: أجل والله قلنا: فمن هذا ؟ قال: هذا إبن أخي ، هذا محمّد بن عبدالله ، و هذا الغلام إبن أخي أيضاً، هذا عليّ بن أبيطالب ، وهذه المرأة زوجة محمّد هذه خديجة بنت خويلد والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة .

رواه متناً و سنداً جماعة من أعلامهم :

١ - إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٦ ط القاهرة) .

٢ - الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣٢ ط تبريز) بأدنى تفاوت .

٣ - الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص٢٢٢ ط مكتبةالقدسي بالقاهرة) .

٤ - المتقي الهندي الحنفي في (منتخب كنزالعمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٢٣٨ ط الميمنية بمصر) .

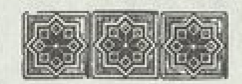
٥ - الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص٦١ ط إسلامبول) .

٤٣ - روى ابن عساكر في (تاريخه ج٣ ص٤٠٧) عن جنيد بن عبدالرحمن قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي ، فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدّرج ، فاذا عليه شيخ يقال له : أبو شيبة القاصّ يقصّ على الناس ، فرغّب فرغبنا، وخوّف فبكينا ، فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فلعنوا أباتراب عليه السلام فالتفت إليّ من على يميني فقلت له : فمن أبو تراب ؟ فقال: عليّ بن أبيطالب إبن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و زوج إبنته ، و أوّل النّاس إسلاماً وأبو الحسن والحسين ، فقلت : ما أصاب هذا القاصّ ؟! فقمت إليه وكان ذا وفرة ، فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه ، وأبطح برأسه الحائط ، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتي و ساقوني حتّى دخلوني على هشام بن عبدالملك وأبو شيبة يقدمني فصاح ياأمير المؤمنين؟ قاصّك وقاصّ آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم ، قال :

من فعل ذلك ؟ فقال : هذا فالتفت إليّ هشام و عنده أشراف الناس فقال : يا أبايحيى ! متى قدمت ؟ فقلت: أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة ، فصلّيت و خرجت إلى باب الدرج ، فاذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا ، فرغّب من رغّب ، وخوّف من خوّف ، و دعا فأمّنا ، و قال في آخر كلامه : اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب ، فسئلت من أبوتراب ؟ فقيل : عليّ بن أبيطالب ، أوّل الناس إسلاماً ، و إبن عمّ رسول الله و أبو الحسن

والحسين ، و زوج بنت رسول‌الله فوالله يا أميرالمؤمنين ! لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الّذي أحللت ، فكيف لا أغضب لصهر رسول‌الله و زوج إبنته ؟! فقال هشام : بئس ما صنع .

وفى زيارة أبي الفضل العباس سلام الله عليه ـ : «السلام‌عليك يابن‌أوّل القوم إسلاماً و أقدمهم ايماناً و أقومهم بدين‌الله وأحوطهم على‌الإسلام . . .» .



«الامام على عليه السلام اول من آمن»

فى نهج البلاغة : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ـ في كلامه لأصحابه ـ : «فامّا البرائة فلاتتبرّؤا منّي فإنّي ولدت على الفطرة وسبقت إلى الايمان والهجرة».

فى شرح ابن أبى الحديد: قال: المسئلة السادسة: ـ في شرح كلامه عليه السلام لأصحابه (ج٤ ص١١٦ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩هـ) أن يقال: كيف قال: «وسبقت إلى الايمان» وقد قال قوم من الناس: إنّ أبابكر سبقه، و قال قوم : إنّ زيد بن حارثة سبقه؟

والجواب: أنّ أكثر أهل الحديث وأكثر المحقّقين من أهل السيرة رووا أنّه عليه السلام أوّل من أسلم، ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبدالبر المحدّث فى كتابه المعروف: «بالاستيعاب ص ٤٥٦» قال أبو عمر في ترجمة عليّ عليه السلام: المرويّ عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخبّاب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم أنّ علياً عليه السلام أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره.

قال أبو عمر: وقال إبن إسحق: أوّل من آمن بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبيطالب عليه السلام و هو قول إبن شهاب إلّا أنّه قال: «من الرجال بعد خديجة»

قال أبو عمر: وروى عن سلمان الفارسي: أنّه قال: أوّل هذه الامّة وروداً على نبيّها صلى الله عليه وآله الحوض أوّلها إسلاماً عليّ بن أبيطالب، وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أوّل هذه الامة وروداً عليّ الحوض أوّلها

إسلاماً: عليّ بن أبيطالب،

قال أبوعمر: وحدّثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدّثنا أحمدبن زهيربن حرب قال: حدّثنا الحسن بن حماد قال: حدّثنا أبوعوانة عن أبي بلج عن عمروبن ميمون عن إبن عبّاس، قال: كان عليّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة.

قال أبوعمر: هذا الإسناد لامطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته.

قال أبوعمر: إتّفق إبن شهاب وعبدالله بن محمّد بن عقيل و قتادة وإبن اسحق على أنّ أوّل من أسلم من الرجال عليّ، واتفقوا على أنّ خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدّقه فيما جاء به ثم عليّ بعدها.

وروى عن أبي رافع مثل ذلك.

قال أبوعمر: وحدّثنا عبدالوارث قال: حدثنا قاسم قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا عبدالسلام بن صالح، قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمّد الدراوردي قال: حدثنا عمر مولى غفرة، قال: سئل محمّد بن كعب القرظي عن أوّل من أسلم: عليّ أم أبي بكر؟ فقال: سبحان الله! عليّ أوّلهما إسلاماً، وإنّما شبّه على الناس لأنّ عليّاً أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبوبكر فأظهر إسلامه.

قال أبوعمر: ولاشكّ عندنا: أنّ عليّاً أوّلهما إسلاماً، ذكر عبدالرزّاق في جامعة عن معمر عن قتادة عن الحسن وغيره قالوا: أوّل من أسلم بعد خديجة عليّ بن أبيطالب عليه السلام

وروى معمر عن عثمان الجزري عن مقسم عن إبن عبّاس قال: أوّل من أسلم عليّ بن أبيطالب.

قال أبوعمر: وقد روى سالم بن أبي الجعد قال: قلت لابن الحنفيّة: أبوبكر كان أوّلهما إسلاماً؟ قال: لا.

ثم قال ابن أبي الحديد: فهذه الروايات و الأخبار كلّها ذكرها أبو عمر يوسف بن عبدالبرّ في الكتاب المذكور: «الاستيعاب» وهي كما تراها تكاد تكون إجماعاً.

ثم قال ابن أبي الحديد: في شرحه ج ٤ ص ١٢٢ ط دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩ هـ) ما لفظه: «واعلم أنّ شيوخنا المتكلّمين لايكادون يختلفون في أنّ أوّل الناس إسلاماً علي بن أبيطالب عليه السلام إلّا من عساه خالف في ذلك من أوائل البصريين فأمّا الّذي تقرّرت المقالة عليه الآن فهو القول بأنّه أسبق النّاس إلى الايمان لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلّميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك.

ثمّ قال: واعلم أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام مازال يدّعي ذلك لنفسه، ويفتخر به ويجعله في أفضليته على غيره، ويصرّح بذلك، وقد قال غيرمرّة: أنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصلّيت قبل صلاته.

وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمّد بن قتيبة في كتاب «المعارف» و هو غير متّهم في أمره.

ومن الشعر المرويّ عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أوّلها:

محمّد النّبيّ أخي و صهري		و حمزة سيّد الشهداء عمّي

ومن جملتها:

سبقتكم إلى الاسلام طرّاً		غلاماً ما بلغت أوان حلمي

ثم قال ابن أبي الحديد: والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جدّاً لايتّسع هذا الكتاب لذكرها، فلتطلب من مظانّها، ومن تأمّل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه. ثم قال: فدلّ مجموع ماذكرناه أنّ علياً عليه السلام أوّل الناس إسلاماً، وأنّ المخالف في ذلك شاذّ، والشاذّ لايعتدّ به.

وفي شرح الحديد: (ج ٢٠ ص ٢٦٢) - في الحكم المنسوبة إلى الامام علي عليه السلام -: «قال له عليه السلام عثمان في كلام تلاحيا فيه حتّى جرى ذكر أبي بكر وعمر: أبو بكر و

عمر خير منك، فقال: أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما، وعبدته بعدهما.

وفيه: (ج ١٣ ص ٢٢٤) : «فأمّا ما احتجّ به الجاحظ بامامة أبي بكر بكونه أوّل الناس إسلاماً، فلو كان هذا إحتجاجاً صحيحاً، لاحتجّ به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك لأنّه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح، وقال للنّاس: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا منهما من شئتم، ولو كان هذا إحتجاجاً صحيحاً لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها، ولو كان إحتجاجاً صحيحاً لادّعى واحد من النّاس لأبي بكر الامامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الاسلام، وما عرفنا أحداً ادّعى له ذلك على أنّ جمهور المحدّثين لم يذكروا أنّ أبابكر أسلم إلّا بعد عدّة من الرجال، منهم علي ابن أبيطالب وجعفر أخوه و زيد بن حارثة وأبوذر الغفاري وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخبّاب بن الأرت، وإذا تاملّنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلّها ناطقة بأنّ علياً عليه السلام أوّل من أسلم.

وفيه: عن إبن عباس قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعليّ عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى: «ربّنا اغفر لنا ولاخواننا الّذين سبقونا بالايمان» فكل من أسلم بعد عليّ فهو يستغفر لعليّ عليه السلام.

وفيه: عن إبن عباس قال: السبّاق ثلاثة: سبق يوشع بن نون إلى موسى، و سبق صاحب «يس» إلى عيسى، و سبق عليّ بن أبيطالب إلى محمد عليه و عليهم السلام.

وفيه: قال: فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها، فمنها ما روى شريك بن عبدالله عن سليمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود أنّه قال: أوّل شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي وناس من قومي وكان من أنفسنا شراء عطر فارشدنا (فأرشد وناخ) إلى العباس بن عبدالمطلب، فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم، فبينا

نحن عنده جلوساً، إذأقبل رجل من باب الصفا. وعليه ثوبان أبيضان ، وله وفرة إلى أنصاف اذنيه، جعدة، أشمّ أقنى، أدعج العينين، كثّ اللحية، برّاق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنّه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أومحتلم، حسن الوجه، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتّى قصدوا نحو الحجر فاستلمه واستلمه الغلام، ثمّ استلمته المرأة.

ثم طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه، ثمّ استقبل الحجر فقام ورفع يديه و كبّر وقام الغلام إلى جانبه، وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبّرت فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثمّ رفع رأسه فأطال ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع، فلمّا رأينا تنكره لانعرفه بمكّة أقبلنا على العباس، فقلنا: ياأبا الفضل، إنّ هذا الدّين ما كنّا نعرفه فيكم قال: أجل والله قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا إبن أخي، هذا محمّد بن عبدالله، وهذا الغلام إبن أخي أيضاً، هذا عليّ بن أبيطالب، وهذه المرأة زوجة محمّد، هذه خديجة بنت خويلد، والله ماعلى وجه الأرض أحديدين بهذا الدّين إلّاهؤلاء الثلاثة.

وفيه: عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال: كنت في الجاهلية عطّاراً ، فقدمت مكّة، فنزلت علي العباس بن عبدالمطلب، فبينا أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة، وقد تحلّقت الشمس في السماء، أقبل شابّ كأنّ في وجهه القمر حتّى رمى ببصره إلى السماء، فنظر إلى الشمس ساعة، ثم أقبل حتّى دنا من الكعبة ، فصفّ قدميه يصلّي، فخرج على أثره فتى كأنّ وجهه صفيحة يمانيّة. فقام عن يمينه، فجائت إمرأة متلفّفة فى ثيابها، فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعاً، فركعامعه، ثم أهوى إلى الأرض ساجداً فسجدا معه فقلت للعباس:

ياأباالفضل! أمر عظيم! فقال: أمر والله عظيم! أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا قال: هذا إبن أخي، هذا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب، أتدري من هذا الفتى؟ قلت: لاقال: هذا إبن أخي عليّ بن أبيطالب بن عبدالمطّلب، أتدري من المرأة؟ قلت: لاقال: هذه إبنة

خويلد بن عبدالعزّي، هذه خديجة زوج محمد هذا، وإنّ محمداً هذا يذكر أنّ إلهه إله السماء والأرض، وأمره بهذا الدّين فهو عليه كماترى، ويزعم أنّه نبيّ، وقد صدّقه على قوله عليّ إبن عمّه هذا الفتى وزوجته خديجة، هذه المرأة والله ماأعلم على وجه الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة: قال عفيف: فقلت له: فما تقولون أنتم؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع! يعني أبا طالب أخاه.

وفيه: وروى عبدالسلام بن صالح عن إسحق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا زوّج فاطمة دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله خطبك فلان و فلان، فردّهم عنك، وزوّجك فقيراً لامال له، فلمّا دخل عليها أبوها صلى الله عليه وآله وسلم رآى ذلك في وجهها، فسئلها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة! إنّ الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، ومازوّجتك إلا بأمر من السماء أما علمت أنّه أخي في الدنيا والآخرة!

وفيه: وقد روى محمد بن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه أبي رافع قال: أتيت أباذر بالربذة أودّعه، فلمّا أردت الانصراف قال لي ولاناس معي: ستكون فتنة، فاتقوا الله وعليكم بالشيخ عليّ بن أبيطالب فاتبعوه فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: «أنت أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني يوم القيامة وأنت الصدّيق الأكبر وأنت الفاروق الّذي يفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري وخير من أترك بعدي تقضي ديني وتنجز موعدي».

وفيه: وروت معاذة بنت عبدالله العدوية قالت: سمعت علياً عليه السلام يخطب على منبر البصرة، ويقول: أنا الصّديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر و أسلمت قبل أن يسلم.

وفيه: عن إبن عبّاس، قال: سمعت عمر بن الخطّاب و هو يقول: كفّوا عن عليّ بن أبيطالب، فانّي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه خصالاً، لو أنّ خصلة منها في جميع آل الخطّاب كان أحبّ لي ممّا طلعت عليه الشمس،

كنت ذات يوم و أبوبكر و عثمان و عبدالرحمن ابن عوف وأبو عبيدة مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نطلبه ، فانتهينا إلى باب امّ سلمة ، فوجدنا علياً متكئاً على نجاف الباب ، فقلنا : أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هو في البيت ، رويد كم! فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسرنا حوله فاتكأ على علي عليه السلام ، و ضرب بيده على منكبه ، فقال : أبشر يا عليّ ابن أبيطالب ! إنك مخاصم وانك تخصم الناس بسبع لايجاريك أحد في واحدة منهنّ : أنت أوّل الناس إسلاماً و أعلمهم بأيّام الله ... » وذكر الحديث .

قوله: «نجاف» : ما نبى ناتئاً فوق الباب، و«تخصم» : تغلبهم في الخصومة.

وفيه: وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا عليّ و إبن عمّ المصطفى	أوّل من أجابه فيما روى

هو الإمام لايبالي من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانصروه فانّه	وصيّ و في الاسلام أوّل أول
وإن تخذلوه و الحوادث جمّة	فليس لكم عن أرضكم متحوّل

قال: والأشعار كالأخبار إذا امتنع في مجييء القبيلين التواطؤ والاتفاق كان ورودهما حجّة .

و في الجزء الاول من المغازي : عن عبدالله بن بريدة قال : أوّل الرجال إسلاماً عليّ بن أبيطالب ثمّ الرهط الثلاث : أبوذر و بريدة و إبن عم لأبي ذر .

وفي كتاب صفين: لنصر عن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية كتاباً منه: فكان أوّل من أجاب و أناب ، و صدّق و وافق، و أسلم وسلم أخوه و ابن عمّه عليّ بن أبيطالب - إلى أن قال - : أوّل الناس إسلاماً و أصدق الناس نيّة - إلى قوله - : يا لك الويل ؟ تعدل لنفسك بعليّ وهووارث رسول الله و وصيّه وأبو ولده،

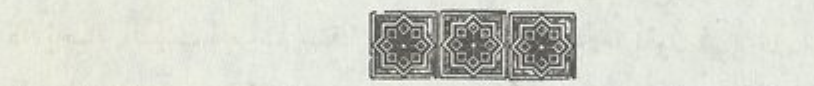
وأوّل الناس له إتّباعاً و آخرهم به عهداً ، يخبره بسرّه و يشركه في أمره .

و في **رسالة الاسكافي:** كان سعيد بن قيس الهمداني يرتجز في صفّين بقوله :

هذا عليّ و ابن عمّ المصطفى أوّل من أجابه ممّن دعا

هذا الامام لا يبالي من غوى

وذكره غيره لقيس بن سعد بن عبادة.



﴿ كلمات العامة فى أول من آمن وأسلم ﴾

وقد وردت كلمات أعلام العامة الكثيرة: أنّ أوّل من آمن وأسلم هو علي بن أبيطالب عليه السلام لايسع مقام الإختصار بذكر جميعها، فنشير إلى نبذة منها:

١- قال إبن أبي الحديد في مقدمته على (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٨ هـ) مالفظه: «وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلّا السابق إلى كلّ خير محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله».

٢- روى إبن عبدالبرّ في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨) عن سالم بن أبي الجعد قلت لمحمد بن الحنفية: أبو بكر كان أوّلهم إسلاماً؟! قال: لا.

إذا ثبت أنّ أبا بكر لم يكن أوّل الناس إسلاماً فعلي عليه السلام هو المتعيّن سبق إسلامه

٣- روى إبن عبد ربه في (العقد الفريد ج٣ ص ٤٣ ط مصر) إحتجاج المأمون في حديث.: قال المأمون في حديث إحتجاجه على أربعين فقيهاً ومناظرته إيّاهم في أنّ أمير المؤمنين أولى بالناس بالخلافة: يا إسحق أيّ الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت: الاخلاص بالشهادة، قال: أليس السبق إلى الاسلام؟ قلت: نعم قال: إقرأ ذلك في كتاب الله يقول: «والسابقون السابقون اولئك المقرّبون» إنّما عنى من سبق إلى الاسلام. فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الاسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين؟ إنّ علياً أسلم وهو حديث السّنّ لايجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم، قال: أخبرني أيّهما أسلم قبل؟ ثمّ اناظرك من بعده في الحداثة والكمال.

قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة، فقال: نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم. لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام أو يكون إلهاماً من الله قال: فاطرقت فقال لي: يا إسحق؟ لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله لم يعرف الاسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى قلت: أجل بل دعاه رسول الله إلى الاسلام، قال: يا إسحق! فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الاسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت، فقال: يا إسحق لا تنسب رسول الله إلى تكلف فان الله يقول: «وما أنا من المتكلفين» قلت: أجل يا أمير المؤمنين؟ بل دعاه بأمر الله قال: فهل من صفة الجبار جل ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله.

فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحق؟ إن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة، فلا يجب عليهم في إرتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ؟ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ﷺ؟! قلت: أعوذ بالله ... الحديث.

٤ـ قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي في كتابه: (النقض على العثمانية ص٢٧٤ـ ٢٧٨): قد روى الناس كافة إفتخار علي عليه السلام بالسبق إلى الاسلام، وإن النبي ﷺ استنبىء يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء، وإنه كان يقول: صليت قبل الناس سبع سنين. وانه مازال يقول: أنا أول من أسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه ومادحوه وشيعة في عصره وبعد وفاته، والأمر في ذلك أشهر من كل شهير، وقد قدمنا منه طرفاً، وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا إستخف باسلام علي عليه السلام ولا تهاون به، ولا زعم أنه أسلم إسلام حدث غرير وطفل صغير ـ إلى أن قال ـ: وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية ان رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام وكلفه التصديق؟!

ثم قال: وروى في الخبر الصحيح انه كلفه في مبدإ الدعوة قبل ظهور كلمة الاسلام وإنتشارها بمكة: أن يصنع له طعاماً وأن يدعوله بني عبد المطلب، فصنع له

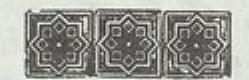
الطعام ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم ولم ينذرهم ﷺ لكلمة قالها عمه أبو طالب فكلفه اليوم الثاني: أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية فصنعه ودعاهم فأكلوا ثم كلمهم ﷺ فدعاهم إلى الدّين، ودعاه معهم لأنّه من بني عبد المطلب، ثمّ ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدّين ووصيّه بعد موته وخليفته من بعده فأمسكوا كلهم وأجابه هو وحده وقال: أنا أنصرك على ما جئت به وأوازرك وأبايعك، فقال لهم لمّا رآى منهم الخذلان ومنه النصر، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة، وعاين منهم الإباء ومنه الاجابة: هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي، فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب: أطع إبنك فقد أمّره عليك.

ثم قال الاسكافي: فهل يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميّز؟! وغرّ غير عاقل؟! وهل يؤتمن على سرّ النبوّة طفل إبن خمس سنين أو إبن سبع سنين؟!؟! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلّا عاقل لبيب؟! وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويطيعه صفقة يمينه بالاخوّة والوصيّة والخلافة إلّا وهو أهل لذلك؟!؟! بالغ حدّ التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! ولم يلصق بأشكاله؟! ولم يرمع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدهم في طبقته كبعضهم في معرفته، وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟! فيقال: دعاه بعض الصبا، وخاطر من خواطر الدنيا، وعملته الغرّة والحداثة على حضورهم والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلّا ماضياً على إسلامه، مصمّماً في أمره، محقّقاً لقوله بفعله، قد صدّق إسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة.

٥- قال الحاكم النيسابوري صاحب (المستدرك) على الصحيحين في كتابه: (المعرفة ص ٢٢): ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ انّ عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه أوّلهم إسلاماً، وإختلفوا في بلوغه.

٦ـ قال إبن عبد البرّ فى (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧): إتّفقوا على أنّ خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدّقه فيما جاء به ثمّ عليّ بعدها.

٧ـ قال المقريزي فى (الإمتاع ص ١٦) ما ملخّصه: وأمّا عليّ بن أبيطالب فلم يشرك بالله قطّ، وذلك أنّ الله تعالى أراد به الخير فجعله فى كفالة إبن عمّه سيد المرسلين محمّد ﷺ فعند ما أتى رسول الله ﷺ الوحي وأخبر خديجة وصدّقت كانت هي وعليّ بن أبيطالب وزيد بن حارثة يصلّون معه ـ إلى أن قال ـ: فلم يحتج عليّ رضي الله عنه أن يدعى، ولا كان مشركاً حتى يوحّد فيقال: أسلم، بل كان عندما أوحى الله إلى رسوله ﷺ عمره ثماني سنين، وقيل: سبع، وقيل: إحدى عشرة سنة وكان مع رسول الله ﷺ فى منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه فى جميع أحواله ... الخ



﴿الامام على عليه السلام اول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين : انّ الامام عليّ بن أبيطالب عليه السلام هـو أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد وقفت إلى الآن من كتب العـامة في المقام نحو: (١٣٠) كتاباً من كتبهم المعتبرة عندهم فنشير إلى نبذة مماورد عن طريقهم:

١ـ روى الحـاكم النيسابوري في (المستدرك ج٣ ص ١١١ ط حيدر آباد ـ الدكن) باسناده عن عبادبن عبدالله الأسدي عن عليّ رضي الله عنه قال: إني عبدالله وأخورسول الله وأنا الصّديق الأكبر لايقولها بعدي إلّا كاذب صلّيت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الامّة.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١ـ الحافظ الثعلبي في تفسيره: (الكشف والبيان).

٢ـ أبونعيم في (حلية الأولياء).

٣ـ إبن عبدالبرّ في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ ط حيدر آباد الدكن).

٤ـ سبط إبن الجوزي في (التذكرة ص٢٧ ط الغرى).

٥ـ أحمدبن حنبل في (فضائل الصحابة).

٢ـ روى الديلمي في (الفـردوس في الجزء الأوّل في باب الألف) عن إبن عبّاس : أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أوّل من صلّى معي عليّ بن أبي ـ طالب عليه السلام.

رواه جمع كثير من أعاظم العامة:

١ـ الحمويني في (فرائد السمطين).

٢ـ المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج٥ ص ٣٩ ط الميمنية بمصر).

٣ـ المناوي فى (كنوز الحقائق ص٥١ ط بولاق بمصر).

٣ـ روى أبوداود الطيالسي فى (المسند ص٣٦٠ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن إبن عباس قال: أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ بعد خديجة عليّ.

رواه متناً وسنداً جماعة منهم:

١ـ أحمد بن حنبل الشيباني فى (المسند ج١ ص٣٧٣ ط الميمنية بمصر).

٢ـ إبن عبدالبرّ في (الاستيعاب ج٢ ص ٤٥٧ ط حيدرآباد الدكن).

٣ـ إبن كثير الدمشقي فى (البداية والنهاية ج٧ ص ٢٦ ط السعادة بمصر) و (ج ٧ ص ٣٣٤).

٤ـ الترمذي فى (صحيحه ج ١٣ ص ١٧٦ ط الصاوي بمصر).

٥ـ إبن الأثير الجزوري فى (جامع الاصول ج ٩ ص ٤٦٨).

٦ـ محبّ الدين الطبري فى كتابيه: (ذخائر العقبى ص٥٩ ط مكتبة القدسى بمصر) و (الرياض ج٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).

٧ـ إبن أبي الحديد فى (شرح النهج ج٣ ص ٣٥٦).

٤ـ روى أبوداود الطيالسي فى (المسند ص٩٣ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن زيد بن أرقم قال: أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ عليّ.

رواه بعينه سنداً ومتناً جمّ غفير من أعاظم العامة:

١ـ أحمد بن حنبل فى (المناقب).

٢ـ البلاذري البغدادي فى (أنساب الاشراف ط دار المعارف بمصر ص ١١٢).

٣ـ النسائى فى (الخصائص ص٢ التقدّم بمصر).

٤- البيهقي الشافعي فى (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٠٦ ط حيدر آباد الدكن).

٥- ابن عبدالبر فى (الاستيعاب ج٣ ص ٤٥٩ ط حيدر آباد الدكن).

٥- روى أحمد بن حنبل فى (المسند ج١ ص ١٤١ ط مصر) باسناده عن حبة العرني قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: أنا أول رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- أحمد بن حنبل فى (المناقب)،

٢- إبن عبدالبر فى (الاستيعاب ج٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد الدكن).

٣- محب الدين الطبري فى (الرياض النضرة ج٢ ص١٥٨ ط الخانجي بمصر).

٤- إبن كثير الدمشقى فى (البداية والنهاية ج٣ ص ٢٦) و (ج٧ ص ٢٢٢ ط السعادة بمصر).

٥- إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج٤ ص١١٨ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٧٩م).

٦- روى محب الدين الطبري فى (الرياض النضرة ج٢ ص ١٥٨ ط الخانجى بمصر) عن الحكم بن عيينة قال: خديجة أول من صدّق، وعلي أول من صلّى إلى القبلة.

رواه:

محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر).

٧- روى الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية ج١ ص ٢٤٢ ط الأزهرية بمصر) مالفظه: وأنشد المرزبان لخزيمة في علي عليه السلام:

ألیس أول من صلّى لقبلتكم ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وقال كعب بن زهير من قصيدة يمدحه بها:

إنّ علياً لميمون نقيبته بالصالحات من الأفعال مشهور
صهر النّبي وخير الناس مفتخراً فكل من رامه بالفخر مفخور
صلّى الطهور مع الامي أوّلهم قبل المعاد ورب الناس مكفور

٨- روى أبو الفلاح الحنبلي في (شذرات الذهب ج ١ ص ٣٠٨ ط القاهرة) مالفظه: قال مسلم بن الوليد الأنصاري:

أذكرت سيف رسول الله سنته وسيف أوّل من صلّى ومن صاما

يعني علياً رضي الله عنه إذ كان هو الضراب به.

٩- روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣١ ط تبريز) باسناده عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبيطالب سبع سنين قالوا: و لم تلك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لم يكن معي من أسلم من الرجال غيره.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- القندوزي في (ينابيع المودّة ص ٦١ ط إسلامبول).

٢- الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٣٩٠ ط لاهور).

٣- الهروي في (الأربعين ص ١٥) وزاد بعد قوله: «سبع سنين» وذلك انّه لم ترفع شهادة أن لا إله إلّا الله إلى السماء إلّا منّي ومن علىّ.

١٠- روى الاسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية) المطبوع بهامش (العثمانية ص ٢٩١ ط دار الكتب بمصر) بالاسناد عن حكيم مولى زاذ ان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: صلّيت قبل النّاس سبع سنين و كنّا نسجد و لا نركع و أوّل صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت: يا رسول الله ماهذا؟ قال: امرت به.

رواه جماعة منهم:

١- إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ص ٢٥٨ ط مصر).

٢- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).

٣- الذهبي في (ميزان الاعتدال ج٢ ص ٢١٢ ط السعادة بمصر).

٤- إبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج٧ ص٣٣٤ ط السعادة بمصر) عن زيد بن أرقم وأبي أيّوب الأنصاري.

٥- الدهلوي في (تجهيز الجيش ص٢٠٩).

١١- روى أحمد بن حنبل في (المناقب ج٢ ص ٢٣٦) باسناده عن علي عليه السلام - في حديث إلى أن قال علي عليه السلام -: اللهمّ إنّي لا أعرف عبداً لك من هذه الامة عبدك قبلي غير نبيّك صلى الله عليه وآله قال: ثلاث مرّات ثم قال: لقد صلّيت قبل أن يصلّى أحد سبعاً.

١٢- روى محبّ الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص٦٠ ط مكتبة القدسي بمصر) و(الرياض النضرة ج٢ ص١٥٩ ط الخانجي بمصر) عن حبّة العرني قال: رأيت علياً على المنبر يقول: اللهم لا أعرف لك عبداً من هذه الامة عبدك قبلي غير نبيّك لقد صلّيت قبل أن يصلّي الناس.

رواه جماعة منهم:

١- الحمويني في (فرائد السمطين).

٢- الزرندي في (نظم درر السمطين ص٨٢ ط مطبعة القضاء).

٣- الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٩ ص ١٠٢ مكتبة القدسي بالقاهرة).

٤- أبو عبدالله البغدادي في (المنتخب من صحيحي البخاري ومسلم ص٢١٦).

٥- المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ٤٠ ط الميمنية بالقاهرة).

٦- البدخشي في (مفتاح النجا ص٢١).

٧- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص٦٠ ط إسلامبول).

٨- الدهلوي في (تجهيز الجيش ص٢١٢) وغيرهم تركنا ذكرهم للاختصار.

١٣ـ روى أحمد بن حنبل في (المناقب ص٢٣٧) باسناده عن عبدالله بن يحيى عن علي عليه السلام قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وآله ثلاث سنين قبل أن يصلي معه أحد.

رواه محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج٢ ص١٥٨ ط الخانجي بمصر) والقندوزي في (ينابيع المودة ص٦٠ ط إسلامبول).

١٤ـ روى إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج٤ ص١١٨ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٩هـ) ما لفظه: قال أبو عمر: وروى ابن فضيل عن الأجلح عن حبّة بن جوين العرني قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الامّة خمس سنين.

١٥ـ روى الحاكم النيسابوري فى (المستدرك ج٣ ص ١١٢ ط حيدر آباد الدكن) بالاسناد عن حبّة بن جوين عن علي عليه السلام قال: عبدت الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الامّة.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعلام العامة:

١ـ السيوطي الشافعي في (التعقيبات ص٥٧ ط نول كشور ببلدة لكنهو).

٢ـ إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج١ ص٥ ط مصر) ما لفظه: وهذا يطابق قوله عليه السلام: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الامة سبع سنين وقوله: كنت أسمع الصوت وأبصر الضوّء سنين سبعاً ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما اذن له فى الانذار والتبليغ، و ذلك لأنّه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة و تسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيه وهو إبن ستة، فقد صح أنّه كان يعبد الله قبل النّاس بأجمعهم سبع سنين، وإبن ستة تصحّ منه العبادة إذا كان ذا تميز.

٣ـ الذهبي فى (تلخيص المستدرك) المطبوع بذيل (المستدرك ج٣ ص ١١٢ ط حيدر آباد الدكن).

٤ـ الأمرتسري فى (أرجح المطالب ص ٤٠٥ ط لاهور).

١٦- روى إبن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج٧ ص ٣٣٦ ط حيدر آباد الدكن) عن حبّة بن جوين قال: سمعت علياً يقول: لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الامّة خمس سنين.

رواه جماعة من أعلامهم:

١- الصفوري الشافعي البغدادي في (نزهة المجالس ط القاهرة).

٢- إبن عبدالبر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد).

٣- المالكي في (الطبقات المالكية ط المطبعة السلفية بالقاهرة).

٤- إبن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٧ ط مصر).

٥- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر).

١٧- روى إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج٣ ص ٢٥١ ط القاهرة) بالاسناد عن محمّد بن إسحق قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- محبّ الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٦٠ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٩ ط الخانجي بمصر).

٢- فتح الدين اليعمري الاندلسي في (عيون الأثر ص ٩٣ ط مكتبة القدسي بمصر).

٣- أبو الربيع الحميري الاندلسي المالكي في (الاكتفاء في مغازي المصطفى ج١ ص ٣٣٩ ط الجزائر).

٤- برهان الدين في (السيرة الحلبية ج١ ص ٢٦٩ ط مصر)

٥- أحمد زيني دحلان في (السيرة النبوية ج١ ص ١٧ ط القاهرة).

١٨- روى النسائي في (الخصائص ص ٣ ط التقدم بمصر) باسناده عن عبدالله

بن الهذيل عن علي عليه السلام قال: ما أعرف أحداً من هذه الامة عبدالله بعد نبينا غيري عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الامة تسع سنين.

١٩- روى الفقيه الشافعي إبن المغازلي في (المناقب ص ١٤) عن أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ عليه السلام سبع سنين، وذلك انّه لم يصل معي أحد غيره.

وفيه عن أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلّت الملائكة عليّ، وعلى علي عليه السلام سبعاً وذلك أنّه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله إلّا منّي ومنه.

٢٠- روي الطبرى في تفسيره (جامع البيان ج١٠ ص ٩٦ ط بيروت): قال محمد بن كعب القرظي: إفتخر طلحة بن شيبة من بني عبدالدار وعباس بن عبدالمطلب وعليّ بن أبيطالب فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه لو أشاء بتّ فيه، وقال عبّاس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتّ في المسجد، وقال عليّ عليه السلام: ما أدري ما تقولان لقد صلّيت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام...» التوبة: ١٩).

٢١- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج٣ ص ١١١) عن عبدالله إبن عباس: قال: لعليّ أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربيّ وأعجميّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

رواه إبن عبدالبرّ في (الاستيعاب ج٢ ص ٤٥٧).

٢٢- روى سبط إبن الجوزي في (التذكر ص ٨) عن عبدالله بن عبّاس قال: أوّل من ركع مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبيطالب فنزلت فيه هذه الآية: «أقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين».

٢٣- روى إبن مزاحم في كتاب (صفين ص ٣٦٠) عن عبدالله بن عبّاس قال في خطبة له: «إنّ إبن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على عليّ

بن أبيطالب إبن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلى معه... الخطبة.

رواه إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج١ ص ٥٠٤).

٢٣- روى الطبرى فى (تاريخه ج ٦ ص ٢٤) - فى كلام لهاشم بن عتبة يوم صفين -: إن صاحبنا هو أول من صلى مع رسول الله وأفقهه فى دين الله و أولاه برسول الله.

رواه ابن الأثير الجزرى فى (الكامل ج٣ ص ١٣٥).

وقال هاشم يوم صفين:

مع إبن عم أحمد المعلى ... فيه الرسول بالهدى استهلا

أول من صدقه و صلا ... فجاهد الكفار أبلى

رواه ابن مزاحم فى كتاب (صفين ص ٣٧١ ط مصر).

٢٤- روى إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج١ ص ٤٨٤) عن مالك بن الحارث الأشتر قال في خطبة له: معنا إبن عم نبينا، وسيف من سيوف الله علي بن أبيطالب صلى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتى كان شيخاً لم يكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة، فقيه في دين الله، عالم بحدود الله.

٢٥- روى الكنجي الشافعي في (الكفاية ص ٤٨) ما قال الفضل بن العباس مجيباً الوليد:

وإن ولي الأمر بعد محمد ... علي و في كل المواطن صاحبه

وصي رسول الله حقاً و صنوه ... وأول من صلى ومن لان جانبه

وفي رسالة الاسكافى ذكرهما لعبد بن أبي سفيان مجيباً الوليد.

٢٦- روى الحاكم في (المستدرك ج٣ ص ١١٤) أنشد المرزبان في علي:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس أنه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن

وصي رسول الله من دون أهله ... وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وأوّل من صلّى من الناس كلّهم سوى خيرة النسوان والله ذو المنن

٢٧ـ روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٤٨) قال عبدالرحمن بن حنبل [جعل] الجمحي حليف بني الجمح في عليّ:

لعمري لئن بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موفقاً

عفيفاً عن الفحشاء أبيض ماجداً صدوقاً و للجبّار قدماً مصدّقاً

أبا حسن فارضوا به وتبايعوا فليس كمن فيه يرى العيب منطقاً

عليّ وصيّ المصطفى ووزيره وأوّل من صلّى لذي العرش واتقى

٢٨ـ روى إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨) وقال الحجّاج للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكر عليّ بن أبي طالب: ما تقول أنت ياحسن؟ فقال: ما أقول: هو أوّل من صلّى إلى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ لعليّ منزلة من ربّه وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لايستطيع ردّها أحد فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت.

وقال رجل للحسن: مالنا لانراك تثني على عليّ وتقرّظه؟ قال: كيف؟! و سيف الحجّاج يقطر دماً، إنّه أوّل من أسلم، وحسبكم بذلك.

٢٩ـ روى الطبري في (تاريخه ج ٢ ص ٢١٣) عن محمد بن إسحق قال: كان أوّل ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى معه وصدّقه بما جائه من عندالله عليّ بن أبيطالب وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان ممّا أنعم الله به على عليّ بن أبي-طالب إنّه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الاسلام. وقال: و ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة و خرج معه عليّ بن أبيطالب مستخفياً من عمّه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ماشاءالله أن يمكثا، ثم إنّ أباطالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يابن أخي ما هذا الدين؟ الحديث...

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- إبن هشام في (سيرته ج١ ص ٢٦٤-٢٦٥).

٢- إبن السيد في (عيون الأثر ج١ ص ٩٣).

٣- إبن الأثير في (الكامل ج٤ ص ٢٢) إلّا أنّ فيه: «إحدى عشرة سنة» بدل: «عشر سنين».

٤- إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج٣ ص ٢٦٠).

٥- الحلبي الشافعي في (السيرة الحلبية ج١ ص ٢٨٧).

٣٠- روى الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج٣ ص ١١٢) عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كذّاب مفترى لقد صلّيت قبل الناس سبع سنين.

ثم صحّحه الحاكم.

رواه جماعة من أعاظم العامة:

١- النسائي في (الخصائص ص٣) بسند رجاله ثقات.

٢- إبن أبي عاصم في (السنّة)

٣- أبو نعيم في (المعرفة).

٤- إبن ماجه في (سننه ج١ ص٥٧) بسند صحيح

٥- الطبري في (تاريخه ج٢ ص٢١٢) باسناد صحيح.

٦- إبن الأثير الجزوري في (الكامل ج٢ ص٢٢).

٧- إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج٣ ص ٢٥٧).

٨- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص٦٠) و(الرياض النضرة ج٢ ص ١٥٥ و ١٥٨ و١٦٧).

٩- الحمويني في (الفرائد في الباب التاسع والأربعين).

١٠- السيوطي في (الجمع) كمافي (ترتيبه ج٦ ص ٣٩٤).

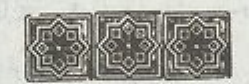
وفي (طبقات الشعراني ج٢ ص ٥٥) قال علي رضي الله عنه: أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذب.

وفي الغدير قال العلامة الأميني حشره الله تعالى مع مواليه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: لعلّ الباحث يرى خلافاً بين كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المذكورة - في سني عبادته وصلاته مع رسول الله بين ثلاث وخمس وسبع وتسع سنين فنقول: أمّا ثلاث سنين، فلعلّ المراد منه ما بين أوّل البعثة إلى إظهار الدّعوة من المدّة وهي ثلاث سنين، فقد أقام صلى الله عليه وآله بمكّة ثلاث سنين من أوّل نبوّته مستخفيا ثم أعلن في الرابعة، وأمّا خمس سنين فلعلّ المراد منها سنتا فترة الوحي من يوم نزول: «إقرأ باسم ربك الّذي خلق» إلى نزول: «يا أيّها المدّثر» وثلاث سنين من أوّل بعثته بعد الفترة إلى نزول قوله: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» وقوله: «وأنذر عشيرتك الأقربين» سني الدعوة الخفيّة الّتي لم يكن فيها معه صلى الله عليه وآله إلّا خديجة وعليّ وأحسب أنّ هذا مراد من قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مستخفياً أمره خمس سنين.

وأمّا سبع سنين فانّها مضافاً إلى كثرة طرقها وصحّة أسانيدها - وهي سني الدعوة النبوية من أوّل بعثته صلى الله عليه وآله إلى فرض الصلاة المكتوبة، وذلك أنّ الصلاة فرضت بلا خلاف ليلة الإسراء وكان الإسراء كما قال محمد بن شهاب الزهري قبل الهجرة بثلاث سنين وقد أقام صلى الله عليه وآله في مكّة عشر سنين، فكان أمير المؤمنين خلال هذه المدّة السنين السبع يعبد الله ويصلّي معه عليه السلام فكان يخرجان ردحاً من الزمن إلى الشعب وإلى حراء للعبادة ومكثا على هذا ما شاء الله أن يمكثا حتّى نزل قوله تعالى: «واصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» وقوله: «وانذر عشيرتك الأقربين» وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه الشريف، فتظاهر عليه السلام باجابة الدعوة في منتدى الهاشميين المعقود لها ولم يلبثها غيره ومن يوم ذاك إتّخذه رسول الله صلى الله عليه وآله أخاً ووصياً وخليفة ووزيراً ثمّ لم يلبث الدعوة إلى مدّة إلّا آحادهم بالنسبة إلى عامّة قريش والناس المرتطمين في تمرّدهم في حيّز العدم.

على أنّ ايمان من آمن وقتئذ لم يكن معرفة تامّة بحدود العبادات حتّى تدرّجوا في المعرفة والتهذيب، وإنّما كان خضوعاً للاسلام وتلفظاً بالشهادتين، ورفضاً لعبادة الأوثان، لكن أمير المؤمنين خلال هذه المدّة كان مقتصاً أثر الرسول من أوّل يومه فيشاهده كيف يتعبّد ويتعلّم منه حدود الفرائض ويقيمها على ماهي عليه، فمن الحق الصحيح إذن توحيده في باب العبادة الكاملة، والقول بأنّه عبدالله وصلّى قبل الناس بسبع سنين، ويحتمل أن يراد السنين السبع الواردة -إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أقام بمكّة خمس عشرة سنة: سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه، وأمير المؤمنين كان معه من أوّل يومه يرى مايراه صلّى الله عليه وآله ويسمع إلّا أنّه ليس نبي.

وأمّا تسع سنين فيمكن أن يراد منها سنتا الفترة والسنين السبع من البعثة إلى فرض الصلوات المكتوبة، والمبني في هذه كلّها على التقريب لا على الدقّة والتحقيق كما هو المطّرد في المجاورات، فالكل صحيح لا خلاف بينها ولا تعارض هناك.



﴿يوم بعثة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويوم صلاة الامام علي عليه السلام﴾

وقد أوردنا روايات كثيرة آنفاً عن طريق العامة: أن الامام علي بن أبيطالب عليه السلام أوّل من صلّى مع النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وأنه عليه السلام صلّى معه صلى الله عليه وآله بعد خديجة سلام الله عليها، وفي كثير من تلك الروايات أنّه عليه السلام كان يصلّى معه صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين، وخمس سنين، وتسع سنين، وثلاث سنين وستة أشهر، وقد وردت روايات كثيرة أيضاً ـ كالتالية ـ: أن النّبى الكريم صلى الله عليه وآله بعث يوم الإثنين وصلّى علي عليه السلام معه يوم الثلاثاء... فكيف التوفيق بين تلك الروايات؟

اجيب عنه: وقد وردت روايات كثيرة عن طريق الفريقين: أن الامام على بن أبيطالب عليه السلام كان يصلّى مع محمّد صلى الله عليه وآله قبل البعثة مستخفياً، وكان يصلّى معه صلى الله عليه وآله وسلم من غير ركوع وكان يصلّى معه ركعتين... فالاختلاف يقاس بالنسبة إلى ظهور البعثة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم ويوم الدعوة ويوم الانذار ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ وإقامة الصلاة مستعلناً، وإتيانها مع ركوع، وإتيانها بأربع ركعات في ثلاث منها...

وأمّا الروايات الواردة في المقام فكثيرة لا يسعها مقام الاختصار فنشير إلى نبذة منها:

١ ـ روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج٣ ص١٢ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن أنس بن مالك قال: نبيء (بعث) النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء. وفي لفظ له: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء.

رواه جمع كثير من أعاظم العامة:

١ ـ الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٤ ط القاهرة)

٢- إبن الأثيرالجزوري في (اسدالغابة ج ٤ ص ١٧ ط مصر)

٣-الذهبى في (تلخيص المستدرك)المطبوع في ذيل (المستدرك ج ٣ص١١٢ط حيدر آباد الدكن)

٤- القندوزي فى (ينابيع المودّة ص ٢٠٣ ط إسلامبول)

٥- الدهلوي فى (تجهيز الجيش ص ٢٠٩)

٦-السيوطي فى (تعليقات تدريب الراوي) في (شرح تقريب النواوي ص٤١ ط مكتبة العلمية بالمدينة) بعد ماذكره فى (المستدرك) قال: وادّعى الحاكم إجماع أهل التاريخ عليه ونوزع فى ذلك وقال كعب بن زهير فى قصيدة يمدحه فيها:

إنّ عليـاً لميمـون نقيبتـه — بالصّالحات من الأعمال مشهور

صهر النّبي وخير الناس مفتخراً — فكل من رامه بالفخر مفخور

صلّى الطهور مع الامّي أوّلهم — قبل المعاد و ربّ الناس مكفور

٧-الشيخ سعدى اليمانى الشافعى فى (شرح ارجوزة ص ٢٦٨) بعد ماذكرما فى (المستدرك) قال: وأنشد الخزيمة بن ثابت فى علىّ رضى الله عنه:

ما كنت احسب انّ الأمر منصرف — عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

من فيه ما فيهم من كل صالحة — وليس فى كلّهم مافيه من حسن

أليس أو من صلّى بقبلتهم — وأعرف الناس بالقرآن والسنن

٨- الترمذي فى (جامعه ج ٢ ص ٢١٢)

٩- إبن عبدالبرّ فى (الاستيعاب ج ٣ ص ٣٢)

١٠-إبن الأثيرالجزوري فى (جامع الاصول) كمافى تلخيصه: (تيسيرالوصول ج ٣ ص ٢٧١)

١١- الحموينى فى (فرائد السمطين الباب ٤٧)

١٢- العراقى فى (التقريب ج ١ ص ٨٥)

١٣- إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨ ط القديم)

١٤- سبط إبن الجوزي فى (التذكرة ص ٦٣)
١٥- المناوي فى (شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢٤)

٢-روى البصري فى (العثمانية ص ١٩١ ط مصر) عن أنس بن مالك: إستنبىء النّبى ﷺ يوم الاثنين، وأسلم عليّ يوم الثلاثاء بعده.

رواه جماعة منهم:

١- الشيباني فى (انباه الرواة على ابناء النحاة ج ١ ص ١١ ط القاهرة)
٢- محب الدين الطبري فى كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسى بمصر) و(الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجى بمصر)
٣- الحموينى فى (فرائد السطمين)
٤- الصفوري فى (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٥ ط القاهرة)

٣- روى الحاكم في (المستدرك ج ٣ ط ١١٢ الطبع) عن بريدة الأسلمي قال: أوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين و صلّى عليّ يوم الثلاثاء.

ثم صحّحه وأقرّه الذهبي.

٤- روى العسكري في (الأوائل ص ٦٣) باسناده عن حبّة العرني عن علي عليه السلام قال: بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء.

رواه بعينه سنداً ومتناً جم غفير منهم:

١- السمعاني النيشابوري في (الرسالة القوامية)
٢- الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ ط مكتبة القدسي بمصر)
٣- السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ٤٦ ط الميمنية بمصر)
٤- المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج٥ص ٤٠ ط الميمنية بمصر)
٥- القرماني في (اخبار الدول وآثار الأوّل ص ١٠٢ ط بغداد)
٦- البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢١)

٥- روى إبن السيّد في (عيون الأثر ج١ ص ٩٢) عن أبي رافع قال: صلّى النبي صلى الله عليه وآله أوّل يوم الاثنين، وصلّت خديجة آخره وصلّى عليّ يوم الثلاثاء من الغد.

رواه جماعة منهم:

١- محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨)

٢- إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨)

٣- أخرجه الطبراني كما في (شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٠)

٦- روى الطبري في (تاريخه ج ٢ ص ٢١١) عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: بعث النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلّى عليّ يوم الثلاثاء.

رواه جماعة من أعلامهم:

١- إبن الاثير الجزوري في (الكامل ج ٢ ص ٢٢)

٢- إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨ الطبع المتقدم) وعدّه أبو عمرو والعراقي والقسطلاني ممّن روى أنّ علياً أوّل من أسلم.

٧- روى الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٧٤ ط الصاوي بمصر) باسناده عن أنس بن مالك قال: بعث النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلّى عليّ يوم الثلاثاء.

رواه بعينه سنداً ومتناً جمّ غفير من أعاظم العامة:

١- إبن عبدالبر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد الدكن)

٢- محبّ الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ١٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط الخانجي بمصر)

٣- الشيباني في (تيسير الوصول إلى جامع الاصول ج٣ ص ٢٣٧ ط الحلبي بمصر)

٤- البغدادي في (المنتخب من صحيحي البخاري ومسلم ص ٢١٦)

٥- الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٤٠١ ط لاهور)

٦- إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٩ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٩هـ)

٨- روى الاسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية ص ١٩١ ط مصر، عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى أول صلاة صلاها غداة الاثنين، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك، وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء غداة ذلك اليوم.

رواه بعينه متناً وسنداً:

إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٨ ط القاهرة)

٩- روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٣٣٠ ط تبريز) باسناده عن أبي رافع قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله أول يوم الاثنين وصلى خديجة آخر يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء صبيحة من الغد وصلى مستخفياً قبل أن يصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد سبع سنين وأشهراً وقال عليه الصلاة والسلام: أنا ناصر الدين طفلاً وكهلاً.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- محب الدين الطبري في كتابيه: (ذخائر العقبى ص ٥٩ ط مكتبة القدسي بمصر) و (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ ط مكتبة الخانجي بمصر)

٢- الحمويني في (فرائد السمطين)

٣- الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء بمصر)

٤- الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ ط مكتبة القدسي بمصر).

١٠- روى الحاكم في (المستدرك ج ٣ ص ١١٢ ط حيدر آباد الدكن) عن بريدة قال: إنطلق أبوذر ونعيم ابن عم أبي ذر وأنا معهم نطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بالجبل مكتتم، فقال أبوذر: يا محمد أتيناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقول: لا إله إلا الله واني رسول الله فآمن به أبوذر وصاحبه وآمنت به وكان علي في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وآله أرسله فيها، وأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء.

ثم قال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

رواه بعينه سنداً ومتناً الذهبي في (تلخيص المستدرك) المطبوع بذيل (المستدرك

ج ٣ ص ١١٢ ط حيدر آباد الدكن)

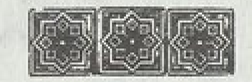
١١- روى الاسكافي البغدادي في (رسالة النقض على العثمانية ص ٢٩١) باسناده عن جابر بن عبدالله قال: صلّى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلّى عليٌّ يوم الثلاثاء بعده.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ص ٢٥٨ ط مصر)

٢- إبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦ ط السعادة بمصر)

٣- الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٣٩٠ ط لاهور)



﴿ تولد الامام على عليه السلام على الفطرة وايمانه قبل بلوغه ﴾

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في كلامه لأصحابه - : « فانّي ولدت على الفطرة، و سبقت إلى الايمان والهجرة ».

في شرح ابن أبي الحديد: قال: « و مراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنّه لم يولد في الجاهلية، لأنّه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبّي صلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وقد جاء في الأخبار الصحيحة: أنّه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصّوت ويرى الضوء، ولايخاطبه أحد وكان ذلك إرهاصاً لرسالته عليه السلام فحكم تلك السنين العشر حكم أيّام رسالته صلى الله عليه وآله، فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولّي لتربيته مولود في أيّام كأيّام النبوّة، وليس بمولود في جاهليّة محضة، ففارقت حاله حال من يدّعي له من الصحابة مما ثلته في الفضل.

وقد روى: أنّ السّنة التي ولد فيها عليّ عليه السلام هي السنة التي بدىء فيها برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله فاسمع الهتاف من الأحجار والأشجار و كشف عن بصره فشاهد أنواراً و أشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء، و هذه السّنة هي السنة التي إبتدأ فيها بالتبتّل والانقطاع والعزلة في جبل حراء فلم يزل به حتّى كوشف بالرسالة، وأنزل عليه الوحي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمّن بتلك السنة، وبولادة عليّ عليه السلام فيها، ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته، وفيها

شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً: «لقد ولدلنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة» وكان كما قال صلوات الله عليه، فانّه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه، وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الاسلام، و أرست دعائمه وتمهّدت قواعده عليه السلام.

ثمّ قال إبن أبي الحديد: وفي المسئلة تفسير آخر وهو أن يعني بقوله عليه السلام: «فانّي ولدت على الفطرة» أي على الفطرة الّتي لم تتغيّر ولم تحل، و ذلك أنّ معنى قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «كل مولود يولد على الفطرة» أنّ كلّ مولود فان الله تعالى قد هيّأه بالعقل الّذي خلقه فيه، وبصحّة الحواسّ والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه عن ذلك، ولكنّ التربية والعقيدة في الوالدين والإلف لاعتقادهما و حسن الظّنّ فيهما يصدّه عمّا فطر عليه، و أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ولد على الفطرة الّتي لم تحل ولم يصدّ عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنّه حال عن مقتضاها و زال عن موجبها.

ثم قال: ويمكن أن يفسّر بأنّه عليه السلام أراد بالفطرة العصمة، وأنّه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين قطّ، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء من الأشياء المتعلّقة بالدين وهذا ـ أي التفسير الأخير ـ تفسير الامامية» إنتهى كلامه.

وقال بعض المحققين: إنّ الانسان يكون قبل بلوغه مسلماً بالفطرة، فاذا بلغ يحكم عليه إمّا الاسلام، و إمّا الكفر، فالحكم قبل البلوغ تكوينيّ، وبعده تشريعيّ، فآمن الامام عليّ بن أبيطالب عليه السلام قبل بلوغه لئلا يقع الفصل بين حكم التكوين وهو الايمان الفطري وحكم التشريع، فالحكمة لايمانه عليه السلام قبل بلوغه لكيلا يتحقق منه الكفر أو التردد ـ كما زعم بعض الجهلة ـ ولو طرفة عين بعد بلوغه، فلو آمن بعده فيتحقّق منه الكفر ولو آناما، ومن كفر فلا يليق أن يخلف الله تعالى في أرضه وقد قال جلّ وعلا لابراهيم عليه السلام: «إنّي جاعلك للناس

إماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدي الظالمين » البقرة : ١٢٤) أو ليس الكفر ظلماً والكافر عدوّاً لله سبحانه ؟!

وفى شرح ابن أبي الحديد (ج ١٣ ص ٢٣٣ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩ هـ) ما لفظه : « فان قلتم : و دعوتكم أنّه أسلم و هو بالغ دعوى غير مقبولة إلّا بحجّة ! قلنا: قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم و لو كان طفلاً لكان في الحقيقة غيرمسلم لأنّ إسم الايمان والاسلام والكفر والطاعة والمعصية إنّما يقع على البالـغين دون الأطفال والمجانين ، و إذا أطلقتم و اطلقنا عليه إسم الاسلام ، فالأصل في الاطلاق الحقيقة ، كيف وقدقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت أوّل من آمن بى و أنت أوّل من صدقنى » و قال لفاطمة : « زوّجتك أقدمهم سلماً - أو قال - : إسلاماً » فان قالوا : إنّما دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاسلام على جهة العرض لا التكليف . قلنا: قد وافقتمونا على الدعاء ، وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف . ثم ادّعيتم أنّ ذلك كان على وجه العرض و ليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء عن وجهه إلّا لحجّة .

ثم قال : على أنّه ليس من سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعاء أطفال المشركين إلى الاسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم .

وفيه: (ج ١٣ ص ٢٤٠) قال : « فلولا أنّه أسلم إسلام عارف عالم مميّز لماضمّ إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما ! و كيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثاباً عليه ولا معاقباً به لو تركه ، ولو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام به على رؤوس الأشهاد ولاخطب على المنبر وهو بين عدوّ ومحارب و خاذل منافق فقال : أنا عبدالله وأخو رسوله و أنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم ، صلّيت قبل الناس سبع سنين ، و أسلمت قبل إسلام أبي بكر و آمنت قبل ايمانه ! فهل بلغكم أنّ أحداً من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه او ادّعاه لغيره أو قال لـه : إنّما كنت طفلاً أسلمت على تربيّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وتلقينه

إيّاك ، كما يعلّم الطفل الفارسيّة والتركية منذ يكون رضيعاً ! فلا فخر له في تعلّم ذلك ، وخصوصاً في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان ، وقد اعتورته الأعداء و هجته الشعراء فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بعيد و سارع في الضّلال أبو تراب
معاوية الامام و أنت منها على وتح بمنقطع السراب

وقال فيه أيضاً بعض الخوارج :

دسسنا له تحت الظلام إبن ملجم جزاء إذا ما جاء نفساً كتابها
أباحسن خذها على الرأس ضربة بكفّ كريم بعد موت ثوابها

وقال عمران بن حطّان يمدح قاتله :

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه أو في البرية عندالله ميزانا

فلو وجد هؤلاء سبيلاً إلى دحض حجّة فيما كان يفتخر به من تقدّم إسلامه لبدؤا بذلك و تركوا مالا معنى له .

و قد أوردنا ما مدحه الشعراء به سبقه إلى الاسلام ، فكيف لم يردّ على هؤلاء الّذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه ، و اقد قال في امّهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر فذكروه بذلك و عابوه فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به ممّا لافخر فيه عندهم ، و عابوه بقوله في امّهات الأولاد » .

وفيه: (ج ١٣ ص ٢٤٤) قال : « وقد روى الناس كافّة إفتخار عليّ عليه السلام بالسبق إلى الاسلام ، و أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استنبىء يوم الاثنين و أسلم عليّ يوم الثلاثاء ، وأنّه كان يقول: صلّيت قبل الناس سبع سنين ، وأنّه ما زال يقول : أنا أوّل من أسلم و يفتخر بذلك ، ويفتخر له به أولياؤه و مادحوه و شيعته في عصره وبعد وفاته ، والأمر في ذلك أشهر من كلّ شهير وقد قدّمنا منه طرفاً ، وماعلمنا أحداً من الناس فيما خلا إستخفّ باسلام عليّ عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنّه

أسلم إسلام حدث غرير وطفل صغير » .

ثمّ قال : « و كيف ينكر الجاحظ والعثمانية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الاسلام و كلّفه التصديق !

و قد روى في الخبر الصحيح : أنّه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الاسلام ، و انتشارها بمكة أن يصنع له طعاماً ، و أن يدعو له بنى عبدالمطلب ، فصنع له الطعام و دعاهم له ، فخرجوا ذلك اليوم ، ولم ينذرهم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها عمّه أبو لهب ، فكلّفه في اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام ، وأن يدعوهم ثانية ، فصنعه و دعاهم فأكلوا ثمّ كلّمهم صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ، و دعاه معهم لأنّه من بني عبدالمطلب ، ثم ضمن لمن يوازره منهم ، و ينصره على قوله ، أن يجعله أخاه في الدين ، ووصيّه بعد موته ، وخليفته من بعده فأمسكوا كلّهم وأجابه هو وحده ، وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأوازرك وأبايعك فقال لهم لمّا رآى منهم الخذلان ، ومنه النصر وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعاين منهم الإباء ومنه الإجابة :

هذا أخي و وصيّ و خليفتي من بعدي فقاموا يسخرون و يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : أطع إبنك فقد أمّره عليك ، فهل يكلّف عمل الطعام و دعاء القوم صغير مميّز و غرّ غير عاقل ! وهل يؤتمن على سرّ النبوّة طفل إبن خمس سنين أو إبن سبع ! و هل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلّا عاقل لبيب ! و هل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ، ويعطيه صفقة يمينه ، بالاخوّة والوصيّة والخلافة إلّا و هو أهل لذلك ، بالغ حدّ التكليف ، محتمل لولاية الله و عداوة أعدائه ! و ما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ، و لم يلصق بأشكاله ، و لم يرمع الصّبيان في ملاعبهم بعد إسلامه ، و هو كأحدهم في طبقته كبعضهم في معرفته !

و كيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته ، فيقال: دعاه داعي الصّبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحملته الغرّة ، والحداثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم ،

بل ما رأيناه إلّا ماضياً على إسلامه ، مصمّماً في أمره ، محقّقاً لقوله بفعله ، قد صدّق إسلامه بعفافه و زهده ولصق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين جميع من بحضرته ، فهو أمينه و أليفه في دنياه وآخرته ، وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابراً على ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة ، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه و خطبه بدء حاله ، و إفتتاح أمره ، حيث أسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشّجرة ، فأقبلت تخدّ الأرض فقالت قريش: ساحر خفيف السحر ! فقال علي عليه السلام : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أوّل من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدّقتك فيما جئت به ، وأنا أشهد أنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله ، تصديقاً لنبوّتك ، وبرهاناً على صحّة دعوتك .

فهل يكون ايمان قطّ أصحّ من هذا الايمان و أوثق عقدة وأحكم مرّة ! ولكن حنق العثمانية وغيظهم ، و عصبيّة الجاحظ وإنحرافه مما لاحيلة فيه ، ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانباً ليعلم نعمة الله على علي عليه السلام بالاسلام حيث أسلم على الوضع الّذي أسلم عليه ، فانّه لولا الألطاف الّتي خصّ بها ، والهداية الّتي منحها لما كان إلّا كبعض أقارب محمد صلى الله عليه وآله وأهله ، فقد كان ممازجاً له كممازجته ، ومخالطاً له كمخالطة كثير من أهله و رهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلّا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلاً ، فانّ جعفراً عليه السلام كان ملتصقاً به ، ولم يسلم حينئذ وكان عتبة بن أبي لهب إبن عمّه و صهره زوج ابنته ولم يصدّقه ، بل كان شديداً عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ، ولم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ، ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة وكافله وناصره ، والمحامي عنه ، ومن لولاه لم تقم له قائمة ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات ، وكان العباس عمّه وصنو أبيه ، وكالقرين له في الولادة والمنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلّا بعد حين طويل ، وكان أبولهب عمّه و كدمه ولحمه و لم يسلم وكان شديداً عليه .

فكيف ينسب إسلام علي عليه السلام إلى الإلف والتربية والقرابة واللحمة والتلقين

والحضانة ، والدار الجامعة ، وطول العشرة والانس والخلوة ! وقدكان كلّ ذلك حاصلاً لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد و كفر ومات على كفره ، و من أبطأ و تأخّر و سبق بالاسلام وجاء سكيتاً وقد فاز بالمنزلة غيره . وهل يدلّ تأمّل حال علي عليه السلام مع الإنصاف إلّا على أنّه أسلم لأنّه شاهد الأعلام ، و رأى المعجزات وشمّ ريح النبوّة ، و رأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حميّة ، ولا رغبة ولا رهبة إلّا فيما يتعلّق باموور الآخرة .

وفيه: (ج ١٣ ص ٢٤٩) قال : « والغالب على أمثاله و أقرانه حبّ اللعب واللهو فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدّعوة ، ولم يتأخّر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية فقهر شهوته ، وغالب خواطره وخرج من عادته ، وما كان غذّي به لصحّة نظره و لطافة فكره ، وغامض فهمه فعظم إستنباطه و رجح فضله و شرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ، ولا تنعّم فيها بنعيم حدثاً ولا كبيراً ، وحمى نفسه عن الهوى و كسر شرّة حداثته بالتقوى ، واشتغل بهمّ الدين عن نعيم الدنيا ، وأشغل همّ الآخرة قلبه ، و وجّه إليه رغبته ، فاسلامه هو السبيل الّذي لم يسلم عليه أحد غيره ، و ما سبيله في ذلك إلّا كسبيل الأنبياء ليعلم أنّ منزلته من النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كمنزلة هارون من موسى ، و أنّه و إن لم يكن نبيّاً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكاً ولمنهاجهم متّبعاً .

وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام فانّ أهل العلم ذكروا أنّه لمّا كان صغيراً جعلته امّه في سرب لم يطّلع عليه أحد ، فلمّا نشأ و درج و عقل قال لامّه : من ربّي ؟ قالت : أبوك ، قال : فمن ربّ أبي ؟ فزبرته ونهرته إلى أن طلع من شقّ السرب فرآى كوكباً فقال : هذا ربّي ، فلمّا أفل قال : لا احبّ الآفلين ، فلمّا رآى القمر بازغاً قال : هذا ربّي ، فلمّا أفل قال : لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالّين ، فلمّا رآى الشمس بازغة قال: هذا ربّي هذا أكبر فلمّا أفلت

قال: يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.

وفي ذلك يقول الله جلّ ثناؤه: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين» وعلى هذا كان إسلام الصّديق الأكبر عليه السلام لسنا نقول: إنّه كان مساوياً له - لأبي بكر - في الفضيلة ولكن كان مقتدياً بطريقه على ما قال الله تعالى: «إنّ أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النّبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» إنتهى كلامه.

ثم قال ما لفظه: «وحسبك جهلاً من معاند لم يستطع حطّ قدر علي عليه السلام إلّا بحطّه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي الهيثم بن التيهان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الله عزّ وجلّ خلق الأرواح قبل الاجسام بألفي عام، و علّقها بالعرش و أمرها بالتسليم عليّ والطاعة لي، وكان أوّل من سلّم عليّ وأطاعني من الرجال روح علي بن أبيطالب عليه السلام.

أقول: ومن هذه الرواية يستفيد المتدبّر الخبير حكمة سبق الامام علي عليه السلام في الايمان على الناس في هذه الحياة الدنيا، فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

وفي روضة الكافي: باسناده عن سعيد بن المسيّب قال: سئلت عليّ بن الحسين عليه السلام إبن كم كان عليّ بن أبيطالب عليه السلام يوم أسلم؟ فقال: أوكان كافراً قطّ، إنّما كان لعليّ حيث بعث الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله عشر سنين، ولم يكن يومئذ كافراً، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسبق الناس كلّهم إلى الايمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وإلى الصّلاة بثلاث سنين...» الحديث.

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة -: «أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب و كسرت نواجم قرون ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة

الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه وما وجدلي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره و لقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله و خديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة.

ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يارسول الله ماهذه الرنّة؟ فقال: « هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك لوزير وانك لعلى خير، ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يامحمّد إنك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسئلك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيّ و رسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذّاب، فقال صلى الله عليه وآله: وما تسئلون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله على كل شيء قدير، فان فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحق؟

قالوا: نعم قال: فانّي ساريكم ما تطلبون، و إنّي لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير وإنّ فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا أيّتها الشجرة! إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر و تعلمين أنّي رسول الله فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ باذن الله، فوالّذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجائت ولها دويّ شديد، و قصف كقصف أجنحة الطير، حتّى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله و

ببعض أغصانها على منكبي ، و كنت عن يمينه صلى الله عليه وآله فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا - علواً وإستكباراً - : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك ، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشدّه دويّاً ، فكادت تلتفّ برسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا - كفراً وعتوّاً - : فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان ، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع فقلت أنا :

لا إله إلّا الله ، إنّي أوّل مؤمن بك يا رسول الله ، وأوّل من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك، وإجلالاً لكلمتك فقال القوم كلّهم : بل ساحر كذّاب ، عجيب السحر خفيف فيه ، وهل يصدّقك في أمرك إلّا مثل هذا ! (يعنوني) و إنّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سيماهم سيما الصدّيقين ، و كلامهم كلام الأبرار ، عمّار الليل و منار النهار متمسّكون بحبل القرآن ، يحيون سنن الله و سنن رسوله ، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلّون ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل » .

قوله عليه السلام : « بكلاكل العرب » الكلاكل : الصدور عبّر بها عن الأكابر و « نواجم قرون ربيعة » النواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة يريد بها أشراف القبائل ، و « عرفه » - بالفتح - : رائحته الذكيّة ، و « خطلة » الخطل : الخطأ ينشأ عن عدم الروية ، و « الفصيل » : ولد الناقة ، و « علماً » - بالفتح - : فضلاً ظاهراً ، و « تفيئون » : ترجعون ، و « القليب » : البئر والمراد منه قليب بدر ، و « قصف » القصف : الصوت الشديد ، و « عمار الليل » : جمع عامر أي يعمرون الليل بالسهر للفكر والعبادة ، و « يغلّون » : يخونون .

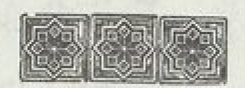
و في **أمالي الصدوق** رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الأعمش عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه خميصة قد اشتمل بها فقيل : يا رسول الله من كساك هذه الخميصة ؟ فقال: كساني حبيبي و صفيي و خاصّتي و خالصتي والمؤدّي عنّي ، و وصيّي و وارثي و أخي ، و أوّل

المؤمنين إسلاماً وأخلصهم ايماناً وأسمح الناس كفاً ، سيّد الناس بعدي قائد الغرّ المحجلين إمام أهل الأرض عليّ بن أبيطالب ، فلم يزل يبكي حتّى إبتلّ الحصى من دموعه شوقاً إليه .

وفى الزيارة المخصوصة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام - : « اللهمّ فكما لم يؤثر في طاعتك شكاً على يقين و لم يشرك بك طرفة عين صلّ عليه صلاة زاكية نامية يلحق بها درجة النبوّة في جنتك ، وبلّغه منّا تحيّة وسلاماً ، وآتنا من لدنك في موالاته فضلاً وإحساناً ومغفرة و رضواناً إنك ذوالفضل الجسيم برحمتك يا أرحم الراحمين » .

و فى دعاء الندبة : - : « والايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي و دمي » الدعاء .

و فى زيارة الجامعة - : « بأبي أنت و امّي يا حجّة الله لقد ارضعت بثدي الايمان وفطمت بنور الاسلام ، وغذّيت ببرد اليقين و البست حلل العصمة . . . » الزيارة .



آمن الامام علي عليه السلام وقد كان هو على فطرة التوحيد

وسنه يومئذ وأسلم أبو بكر وقد كان عابداً للصنم

وقد اختلفت الروايات والكلمات في سن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام يوم أظهر ايمانه بالله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وما جاء به بين الناس إختلافاً كثيراً حتى إنتهت إلى إثنى عشر قولاً كالتالي:

١- ان علياً عليه السلام أسلم وهو إبن خمس سنين:

قال الزرندي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء) مالفظه: «وروى عن علي رضى الله عنه أسلم وهو إبن خمس سنين وقيل: إبن عشر سنين وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: أربعة عشرة، وقيل: إبن خمس عشر سنة، ثم قال: والله أعلم، والصحيح أنه أسلم قبل البلوغ كما ورد في شعره حين فاخر معاوية فقال:

سبقتكم إلى الاسلام طراً   غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وقال عمر الغزنوي في كتابه: (الغرة المنيفة ص ١٢٦ ط القاهرة) بعد ماذكر شعره مالفظه: فلو لم يكن ايمانه صحيحاً لما افتخر به النبي صلى الله عليه وآله وقال أيضاً مالفظه: وروى الخلال وهو إبن عشر سنين وقد صح النبي إسلامه وافتخر علي رضي الله عنه بذلك وتمدح به حيث قال الشعر.

٢- أنه عليه السلام آمن وهو إبن سبع سنين:

قال الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ١ ص ١٣٤ ط السعادة بمصر) مالفظه:

أسلم عليّ وهو إبن سبع سنين

رواه الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ٨٢ ط مطبعة القضاء) والشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ١٥٧ ط مطبعة العرفان ببيروت)

٣- أنّه عليه السلام أسلم وهو إبن ثمان سنين.

روى الحافظ البيهقي في (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٠٦ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن عروة قال: أسلم عليّ رضي الله عنه وهو إبن ثمان سنين.

رواه جماعة:

منهم: الحافظ إبن عبد البرّ في (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدر آباد الدكن) والصفوري في (نزهة المجالس) والخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٤ ط تبريز) وإبن الأثير الجزوري في (اسد الغابة ج ٤ ص ١٨ ط مصر سنة ١٢٨٥)

وفي شرح ابن أبي الحديد: (ج ٤ ص ١٢٠ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩ هـ) مالفظه: قال أبو عمر - صاحب كتاب الإستيعاب -: «وإنّما الاختلاف في كميّة سنّه عليه السلام يوم أسلم، ذكر الحسن ابن عليّ الحلواني في كتاب «المعرفة» له قال: حدّثنا عبد الله بن صالح قال: حدّثنا الليث إبن سعد عن أبي الأسود محمّد بن عبد الرحمن أنّه بلغه أنّ عليّاً والزبير أسلما وهما إبنا ثماني سنين كذا يقول أبو الأسود يتيم عروة، وذكره أيضاً إبن أبي خيثمة عن قتيبة بن سعيد، عن الليث بن سعد، عن أبي الأسود وذكره معمر بن شبّة عن الحرامي عن أبي وهب، عن الليث، عن أبي الأسود، قال الليث: وهاجرا وهما إبنا ثماني عشرة سنة.

قال أبو عمر: ولا أعلم أحداً قال بقول أبي الأسود هذا.

٤- أنّه عليه السلام أسلم وهو إبن تسع سنين:

روى إبن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٤١ ط مصر) باسناده عن عبد الرحمن بن زرارة قال: أسلم عليّ وهو إبن تسع سنين. وعن الحسن بن زيد: ولم يعبد الأوثان قطّ.

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: إبن كثيرفى (البداية والنهاية ج ٣ص ١٢٥ ط السعادة بمصر) والحافظ إبن قتيبة الدينوري فى (المعارف ص ٥٦ ط مطبعة الشرفية بمصر) وأبو الفداء فى (المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ١١٥ ط مصر) وفيه مالفظه: ذكر صاحب السيرة وكثير من أهل العلم: أنّ أوّل الناس إسلاماً بعدها ـ خديجة ـ عليّ بن أبيطالب رضى الله عنه، وعمره تسع سنين. وقيل: عشر سنين وقيل: إحدى عشر سنة وكان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الاسلام. ومن شعر عليّ عليه السلام ذكره الشعر.

٥ـ أنّه عليه السلام أسلم وله عشر سنين:

قال محمد بن محمد مخلوف المالكى فى (الطبقات المالكيّة ج ٢ص ٧١ط القاهرة) ما لفظه: ولد عليّ قبل البعثة بعشر سنين على الراجح، وأسلم وهو إبن عشر سنين على الراجح.

وقال المورخ إبن هشام في (السيرة النبوية ج ١ ص ٢٤٥ ط مصطفى الحلبي بمصر) : قال إبن إسحق: ثمّ كان أوّل ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وصلى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى عليّ بن أبيطالب بن عبدالمطلب بن هاشم رضوان الله وسلامه عليه وهو يومئذ إبن عشر سنين.

وروى إبن سعد في (الطبقات الكبرى ج ٣ص ٢١ ط الصادر بمصر) باسناده عن مجاهد قال: أوّل من صلّى عليّ وهو إبن عشر سنين .

رواه الحاكم النيسابورى فى (المستدرك ج ٣ص ١١١ ط حيدر آباد الدكن) عن محمد بن إسحق، والبيهقي في (السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٠٦ ط حيدر آباد) وإبن عبدالبر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد)

وفى شرح الحديد: (ج ٤ ص ١٢١ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩م) مالفظه: قال أبو عمر: قال إبن إسحق: أول ذكر آمن بالله ورسوله عليّ بن أبيطالب عليه السلام وهو يومئذ إبن عشر سنين. قال أبو عمر: والروايات في مبلغ سنّه عليه السلام مختلفة: قيل: أسلم وهو إبن ثلاث عشرة سنة، وقيل: إبن اثنتى عشرة سنة، وقيل: إبن خمس عشرة

سنة، وقيل: إبن ست عشرة سنة، وقيل: إبن عشر وقيل: إبن ثمان.

٦ـ أنّه عليه السلام آمن وهو إبن إحدى عشرة سنة:

روى البيهقي في (السنن الكبرى ص ٦ ص ٢٠٦ ط حيدر آباد الدكن) عن شريك قال: أسلم عليّ وهو إحدى عشرة سنة.

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: أبو الفرج الاصفهاني في (مقاتل الطالبين ص ٢٦ ط القاهرة) مالفظه: كانت سنّه يوم أسلم إحدى عشرة سنة على أصح ما ورد من الأخبار في إسلامه.

ومنهم: القاضي عبدالرحمن الحنبلي في (الانس الجليل ص ١٥٩ ط الوهبية بالقاهرة) مالفظه: وأسلم عليّ بن أبيطالب عليه السلام وكان عمره إحدى عشر سنة ثم أسلم زيد بن حارثة ثمّ أسلم أبو بكر.

ومنهم: البلاذري في (أنساب الاشراف)

وفي شرح الحديد: (ج ١٣ ص ٢٣٥ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٩هـ) ما لفظه: القسم الثالث: الذين قالوا: أسلم وهو إبن إحدى عشرة سنة رواه إسمعيل بن عبدالله الرقي عن محمد بن عمر عن عبدالله بن سمعان عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن محمد بن عليّ عليه السلام: انّ علياً حين أسلم كان إبن إحدى عشرة سنة. وروى عبدالله بن زياد المدني عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: أوّل من آمن بالله عليّ بن أبيطالب وهو إبن إحدى عشرة سنة، وهاجر إلى المدينة وهو إبن أربعة وعشرين سنة.

٧ـ أنّه عليه السلام أسلم وهو إبن اثنتى عشرة سنة:

روى إبن عبدالبرّ الاندلسي في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد) مالفظه: وقيل: كان علي حين أسلم إبن اثنتى عشرة.

رواه شهاب الدين في (نهاية الارب ج ٨ ص ١٨١ ط القاهرة)

٨ ـ أنّه عليه السلام آمن وله ثلاث عشرة سنة:

روى إبن عبدالبرّ في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدرآباد) باسناده عن إبن عمر قال: أسلم عليّ بن أبيطالب وهو إبن ثلاث عشرة سنة وتوفّي وهو إبن ثلاث وستين سنة.

ثم قال: قال أبو عمر: هذا أصّح ما قيل في ذلك.

رواه جماعة:

منهم: محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج٢ ص ١٥٦ط مكتبة الخانجي بمصر) وإبن الأثير الحلبي الشافعي في (احكام الاحكام ج ١ ص ١٩٠ ط القاهرة)

وفي شرح الحديد (ج ٤ ص ١٢٢ ط دار إحياء الكتب العربية سنة: ١٣٧٩م) ما لفظه: قال أبو عمر: وروى أبو زيد عمر بن شبة قال: حدثنا شريح بن النعمان قال: حدثنا الفرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن إبن عمر قال: أسلم عليّ وهو إبن ثلاث عشرة سنة وتوفّي وهو إبن ثلاث وستين سنة.

قال أبو عمر: هذا أصحّ ما قيل في ذلك والله أعلم.

٩- أنّه عليه السلام آمن وهو إبن أربع عشرة سنة:

روى أبو هلال العسكري في (الأوائل ص ٦٣) عن نصر قال: أسلم عليّ عليه السلام وهو إبن أربع عشرة سنة وكانت له ذؤابة.

وفي شرح الحديد (ج ١٣ ص ٢٣٤) ما لفظه: القسم الثاني: الذين قالوا: إنّه أسلم وهو إبن أربع عشرة سنة، رواه أبو قتادة الحرّاني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال: كنّا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعليّ من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلّي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً ونهاراً، وقريش يومئذ تسافه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يذبّ عنه إلّا عليّ عليه السلام وروى إبن أبى شيبة عن جرير بن عبدالحميد قال: أسلم عليّ وهو إبن أربع عشرة سنة.

١٠- أنّه عليه السلام أسلم وهو إبن خمس عشرة سنة:

روى أحمد بن حنبل في (المناقب) باسناده عن الحسن وغيره: أنّ عليّاً أوّل

من أسلم بعد خديجة وهو يومئذ إبن خمس عشر سنة أو ست عشرة سنة.

رواه جماعة منهم:

إبن عبد ربه الاندلسي في (عقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤ ط الشرقية بمصر) ما لفظه: قال أبو الحسن: أسلم علي وهو إبن خمس عشرة سنة وهو أول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

و إبن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨ ط حيدر آباد)

والبيهقي في (السنن الكبري ج ٦ ص ٢٠٦ ط حيدر آباد الدكن)

وفى شرح ابن أبي الحديد: (ج ١٣ ص ٢٣٤) ما لفظه: القسم الأول: الذين قالوا: أسلم وهو إبن خمس عشرة سنة حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدى عن إسحق بن بشر القرشي عن الأوزاعي عن زمرة بن حبيب عن شداد بن أوس، قال: سئلت خباب بن الأرت عن إسلام علي فقال: أسلم وهو إبن خمس عشرة سنة، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وآله وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن: أن أول من أسلم علي بن أبيطالب وهو إبن خمس عشر سنة.

وفيه: (ج ٤ ص ١٢٠) قال أبو عمر - صاحب كتاب الاستيعاب -: وروى الحسن بن علي الحلواني قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن قتادة عن الحسن قال: أسلم علي وهو إبن ست عشرة سنة.

١١- أنه عليه السلام أسلم وهو إبن ست عشرة سنة:

في شرح النهج: (ج ٤ ص ١٢١) عن الحسن قال: أسلم علي وهو أول من أسلم وهو إبن خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة.

١٢- أنه عليه السلام أسلم وهو إبن عشرين سنة إلا ثلاثة أشهر:

روى أبو الحسن الشيباني في (انباه الرواة ج ١ ص ١١ ط القاهرة) عن إبن إسحق قال: ثم كان أول من أسلم بعد خديجة علي بن أبيطالب وهو يومئذ إبن عشرين سنة إلا ثلاثة أشهر.

رواه شهاب الدين في (نهاية الارب ج ٨ ص ١٨١ ط القاهرة)

أقول: أنّ أصح ماورد من الأخبار في ايمانه عليه السلام وأشهر الأقوال وأصوبها هو السادس فأظهر ايمانه وله إحدى عشرة سنة و قدكان هو عليه السلام على فطرة التوحيد وتابعاً للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعبد لصنم ولم يشرك بالله سبحانه وثناً طرفة عين أبداً.

وأمّا إسلام أبي بكر فقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة: أنّه كان بعد عدّة من الرجال ... لايسع مقام الاختصار بذكر جميعها فنشير إلى قليل من الكثير:

١ـ في (تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٥) باسناد صحيح ـ رجاله ثقات عندهم ـ عن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أوّلكم إسلاماً؟ فقال: لا ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً.

٢ـ في (النقض على العثمانية لأبي جعفر الاسكافي المعتزلي المتوفّى ٢٤٠) ما لفظه: «إنّ جمهور المحدّثين لم يذكروا أنّ أبا بكر أسلم إلّا بعد عدّة من الرجال منهم: عليّ بن أبيطالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبوذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص وخباب بن الأرت، وإذا تأمّلنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلّها ناطقة بأنّ عليّاً عليه السلام أوّل من أسلم»

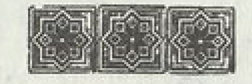
٣ـ في (شرح نهج البلاغة): عن محمّد بن إسحق قال: أوّل ذكر آمن وصدّق بالنبوّة عليّ بن أبيطالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، ثمّ أسلم زيد بن حارثة.

أقول: كيف أسلم أبو بكر في أوّل البعثة وقد وقع يوم الانذار ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ بعد ثلاث سنين من البعثة، وقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيّه بعد موته وخليفته من بعده ولم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً.

٤ـ قال إبن عبدالبر في (الاستيعاب ج ٢ ص ٦٢٦ ط حيدر آباد الدكن) في باب الباء ما لفظه: أبو بكر الصديق هو عبدالله بن أبي قحافة ـ إلى أن قال ـ:

روى حبيب ابن شهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم: أنّ النبيّ ﷺ قال لأبي بكر: من أكبر أنا أو أنت؟ فقال: بل أنت أكبر و أكرم و خير منّي، وأنا أسنّ منك ... الخ

ولاريب أنّ النبيّ ﷺ قد بعث بتبليغ الديانة المقدسة وعمره قد بلغ أربعين عاماً وكان إسلام أبي بكر بعد سنين مضافاً إلى ما أفاده قده من عبادة أبي بكر الأصنام أزيد من أربعين سنة. إنتهى كلامه.



﴿ شبهات واهية و دفع قاطع ﴾

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: « اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسئلة غيرك ».

أقول: و هذا هو المراد بما تقول العامّة عند ذكر إسم الإمام علي عليه السلام: « كرّم الله وجهه ».

وفي تفسير روح البيان: قال الحقّي في قوله تعالى: « فاستقم كما امرت و من تاب معك » هود: ١١٢) ما لفظه: « لعلّ التوبة في مثل هذا المقام هي: الرجوع عن الحالة الاولى ومفارقتها، سواء صدر فيها الكفر كسجود الصنم وغيره وهو حال أكثر المؤمنين، أولم يصدر وهو حال الأقلين، ومنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد صحّ أنّه صلى الله عليه وآله شهد بأنّ علياً عليه السلام لم يكفر بالله قطّ طرفة عين ».

أقول: ومع ذلك فقد أعمى المعاندون الّذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون، اولئك الّذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، إذا استشكل بعض المشككين منهم في صحّة ايمان الإمام علي بن أبيطالب عليه السلام قبل بلوغه كالجاحظ والفخر الرازي وأذنابهما المبتورة عداوة و نفاقاً...

و نحن لن نتعجّب من تلك الشكوك والشبهات الواهية، ولكن العجب عن بعض الجهلة السفلة الّذين يدّعون الولاية لأنفسهم وقد تقوّلوا بأنّ الإمام علي بن أبيطالب لم يؤمن بما دعاه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إليه يوم بعثته فمكث علي عليه السلام

ليلاً بدون ايمان ليتفكّر فيمايدعوه إليه أهوحق أم باطل ؟ فلمّا تفكّر فيه وجده حقاً ، فآمن به غداً .

متى كفر عليّ بن أبيطالب عليه السلام حتّى يؤمن ! متى عبد لغيرالله تعالى حتّى يعبده وحده بعد الدعوة ! ومتى شكّ في الدعوة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم حتّى تفكّر فيها ليستيقن ! وقد كانت حقيقة كلامه : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » عجيناً مع وجوده ، و من غير مراء : انّه لم يرد خبر ولا أثـر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا علياً عليه السلام إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد أبداً لأنّ علياً عليه السلام كان مسلماً على فطرة الله جلّ وعلا ، لم تصبه الجاهلية بأوضارها ، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها وكلّ الّذي كان : أنّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام قد أطلعه النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم - بعد أن تلقّى صلى الله عليه وآله وسلم بيان التكليف الإلهي بحمل الرسالة و عوده إلى بيته - على أمر دعـوته و منهج رسالتـه فاستقبله صلى الله عليه وآله عليّ عليه السلام بالتصديق و أعلـن يقينه برسالته صلى الله عليه وآله الخاتمة ، فانبثق من أجل ذلك أوّل نواة لمجتمع المتقين في الأرض ، وبادر لتلقّى توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد . . . ولهذا يقال أيضاً: « كرّم الله وجهه » .

فانّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام كان مؤهلاً بتمام وجوده لاتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته ، مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد أنشأ شخصيته ، وأرسى لبناتها الأساسية ، فلم يفاجأ الإمام عليّ عليه السلام بأمر الدعوة المباركة ، طالماً عاش في كنف النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتفيأ ظلاله ، ومن البيّن الضرورة : أنّ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعبد ربه جلّ وعلا ، وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته . . قبل أن يتنزّل عليه صلى الله عليه وآله وسلم وحي السماء بأوّل سورة من القرآن الكريم .

و قد كان عليّ عليه السلام مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ممارساته و تحوّلاته الروحية والفكرية ، و كان يتعبّد معه ، و ينهج نهجه ويسلك سبيله في تلك السن المبكرة من عمره فلما أطلعه عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمـر الدعوة

الالهية لبّى عليّ عليه السلام ندآئه بروحه و وعيه و كل جوارحه دون أن يباغت في الأمر فقد كان عليّ عليه السلام مؤمناً جنيناً ورضيعاً وفطيماً ويافعاً وغلاماً و كهلاً وخليفة وأمّا دفع شبهة المعاندين - لايصحّ الايمان من غير بالغ - من المشككين فبوجوه :

منها: أنّ من البداهة أنّ درجة النبوّة أعلى من مرتبة الايمان بها ، فاذا جاز نبوّة الصبيّ كانت صحّة ايمانه أجوز ، و قد قال الله عزّ وجلّ في نبوّة يحيى عليه السلام : « يايحيى خذالكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً » مريم : ١٢) .

و قال في عيسى بن مريم عليه السلام : « قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب و جعلني نبيّاً » مريم : ٢٩ - ٣٠) .

وقال في شأن يوسف عليه السلام في حال صباه عند إلقائه في غيابت الجب : « وأوحينا إليه لتنبّئنّهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون » يوسف عليه السلام : ١٥) .

وقال في سليمان بن داود عليهما السلام : « ففهّمناها سليمان و كلاً آتينا حكما وعلماً » الأنبياء : ٧٩) .

و قد صرّح في كتب قصص الأنبياء و بعض التفاسير : أنّ عمر سليمان عليه السلام كان عند ما جعل نبيّاً إحدى عشرة سنة ، و إذا جاز أن يكون الصّبيّ صاحب النبوّة والوحي جاز أن يكون صاحب الايمان بطريق أولى .

و منها: انّ المراد من إسلام الامام عليّ عليه السلام و ايمانه و أوّليّته فيهما وسبقه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام هو المعنى المراد من قوله جلّ وعلا في إبراهيم الخليل عليه السلام : « إذقال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين » البقرة : ١٣١) .

وفي موسى عليه السلام : «قال سبحانك تبت اليك وأنا أوّل المؤمنين» الأعراف:١٤٣).

وقال في رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله: «آمن الرسول بما انزل إليه من ربه»البقرة:٢٨٥).

و قال فيه صلى الله عليه وآله : « قل إنّي امرت أن أكون أوّل من أسلم - لاشريك له و بذلك امرت وأنا أوّل المسلمين » الأنعام : ١٤ و ١٦٣) .

﴿ الامام علي عليه السلام وامتحان قلبه بالايمان ﴾

قال الله عزّ وجلّ: «اولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» الحجرات: ٣) وقد أورد في ذلك جمّ غفير وجمع كثير من أعلام العامّة، وحملة آثارهم في مآخذهم وأسفارهم المعتبرة عندهم بطرق عديدة باسانيد صحيحة نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ روى الحافظ محمّد بن عيسى الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ١٦٦ ط الصاوي بمصر) باسناده عن ربعي بن حراش: حدّثنا عليّ بن أبيطالب بالرحبة قال: لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو واناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الايمان قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال له أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان اعطى عليّاً نعله يخصفها، قال: ثمّ التفت إلينا عليّ فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

رواه جماعة من أعاظمهم:

١ـ الحافظ أبو عبدالله الحميدي الاندلسي في (الجمع بين الصّحيحين).

٢- الحافظ أبو الحسن العبدري الاندلسي فى (الجمع بين الصّحاح).

٣- إبن الأثير فى (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ ط مصر سنة: ١٢٨٥م).

٤- سبط إبن الجوزي فى (تذكرة الخواص ص ٤٥ ط الغرى).

٥- محبّ الدين الطبري فى (ذخائر العقبى ص ٧٦ ط مكتبة القدسي بمصر).

٦- البدخشي فى (مفتاح النجا ص ٢٢).

٧- الشيخ سليمان البلخي القندوزي الحنفي فى (ينابيع المودّة ص ٥٩ و ٢٠٩ ط إسلامبول) وغيرهم تركناهم للاختصار.

٢- روى النسائي فى (الخصائص ص ١٠ ط التقدّم بمصر) باسناده عن ربعي عن عليّ قال: جاء النبيّ صلى الله عليه وآله اناس من قريش، فقالوا: يا محمّد انّا جيرانك و حلفاؤك، وانّ من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة فى الدين ولا رغبة فى الفقه، إنّما فرّوا من ضياعنا و أموالنا، فارددهم إلينا، فقال لأبي بكر: ما تقول: فقال: صدقوا إنّهم لجيرانك وحلفاؤك، فتغيّر وجه النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال لعمر: ما تقول؟ قال: صدقوا انّهم لجيرانك وحلفاؤك، فتغيّر وجه النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا معشر قريش! والله يبعثنّ الله عليكم رجلاً منكم إمتحن الله قلبه للايمان، فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكن ذلك الذي يخصف النعل، وقد كان اعطى عليّاً نعلاً يخصف.

رواه سنداً ومتناً جماعة من أعلامهم:

١- البيهقي البغدادي فى (المحاسن والمساوي ص ٤١ ط بيروت).

٢- المتقي الهندي فى (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٣٨ ط الميمنية بمصر).

٣- الشيخ عبيدالله الحنفي الأمرتسري فى (أرجح المطالب ص ٤٧٩ ط لاهور) وغيرهم.

٣- روى الحاكم النيسابوري الشافعي في (المستدرك ج ٢ ص ١٣٧ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن ربعي بن حراش عن عليّ رضي الله عنه قال: لمّا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة أتاه ناس من قريش، فقالوا: يا محمد إنّا حلفائك وقومك، وانه لحق بك ارقاؤنا ليس لهم رغبة في الاسلام، وإنّما فرّوا من العمل، فارددهم علينا، فشاور أبابكر في أمرهم، فقال: صدقوا يا رسول الله فقال لعمر: ماترى؟ فقال: مثل قول أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر قريش ليبعثن عليكم رجلاً منكم إمتحن الله قلبه للايمان، فيضرب رقابكم على الدين، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنّه خاصف النعل في المسجد، وقد كان ألقى نعله إلى عليّ يخصفها، ثمّ قال: أما انّي سمعته يقول لا تكذبوا عليّ، فانّه من يكذب عليّ يلج النار.

ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

رواه جماعة:

منهم: القاضي أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي في (المعتصر من المختصر) للقاضي إبن الوليد الباجي المالكي (ج١ ص٢٢٠ ط حيدر آباد الدكن).

ومنهم: الذهبي في (تلخيص المستدرك ج٢ ص ٣٧ المطبوع بهامش المسند ط حيدر آباد الدكن) وغيرهم ممّن تركنا ذكرهم للاختصار.

٤- روى اليعقوبي في (تاريخه ج٢ ص١٠٧) وإبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص١٤) وغيرهما:

صعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمرقاة ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم، فان استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوّموني لا أقول: إنّي أفضلكم فضلاً ولكنّي أفضلكم حملاً، و أثنى على الأنصار خيراً وقال: أنا وايّاكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت	بنا نعلنا في الواطئين فولّيت

أبوا أن يملّونا ولو أنّ امّنا … تلاقى الّذي يلقون منّا لملّت

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش واحفظها ذلك فتكلّم خطباؤها و قدم عمرو بن العاص، فقالت له قريش: قم فتكلّم بكلام تنال فيه من الأنصار ففعل ذلك فقام الفضل بن العبّاس فردّ عليهم، ثم صار إلى عليّ فأخبره وأنشده شعراً قاله، فخرج عليّ مغضباً حتّى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير وردّ على عمرو بن العاص قوله، فلمّا علمت الأنصار ذلك سرّها، وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول عليّ، واجتمعت إلى حسّان بن ثابت، فقالوا : أجب الفضل، فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحني فقالوا: فاذكر عليّاً فقط، فقال :

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه … أبا حسن عنّا ومن كأبي حسن

سبقت قريشاً بالّذي أنت أهله … فصدرك مشروح وقلبك ممتحن

تمنّت رجال من قريش أعزّة … مكانك هيهات الهزال من السمن

وأنت من الإسلام في كلّ منزل … بمنزلة الطرف البطين من الرسن

غضبت لنا إذ قال عمرو بخصلة … أمات بها التقوى وأحيى بها الإحن

وكنت المرجّى من لوى بن غالب … لما كان منه والّذي بعد لم يكن

حفظت رسول الله فينا وعهده … إليك ومن أولى به منك ومن ؟

ألست أخاه في الهدى ووصيّه … وأعلم فهر بالكتاب والسنن ؟

فحقّك ما دامت بنجد وشيجة … عظيم علينا ثمّ بعد على اليمن

وفي (شرح الحديد) : فقال له خزيمة بن ثابت: اذكر عليّاً وآله يكفيك عن كلّ شيء فقال: الأشعار.

قوله : «فصدرك مشروح» إشارة إلى ما ورد في قوله عزّ وجل: «أفمن شرح الله صدره للاسلام» الزمر: ٢٢) فانّها نزلت في عليّ وحمزة رواه جماعة من أعلام العامّة :

منهم: الواحدي النيسابوري في (أسباب النزول) وفي كتابه (الوسيط).

ومنهم: القاضي البيضاوي فی تفسيره (أنوار التنزيل ج٤ ص ٩٦ ط مصطفى محمد بمصر).

ومنهم: القرطبي فی تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٢٤٧ ط القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ).

ومنهم: محب الدين الطبري فی (رياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧ ط محمد أمين الخانجي) عن الحافظين: الواحدي وأبي الفرج، وفی (ذخائر العقبی ص ٨٨ ط مصر سنة ١٣٥٦هـ) وغيرهم.

وقوله: «وقلبك ممتحن» إشارة إلی ما ورد عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فی الامام علي عليه السلام «انه امتحن الله قلبه بالايمان» وفي بعض المصادر: «على الايمان» وفی بعضها: «للايمان».

رواه جماعة من حملة آثار العامة في أسفارهم:

١ـ النسائي في (خصائصه ص١١).

٢ـ الترمذي في (صحيحه ج٢ ص ٢٩٨).

٣ـ الخطيب البغدادي في (تاريخ البغداد ج١ ص١٣٣).

٤ـ البيهقي فی (المحاسن والمساوي ج١ ص٢٩).

٥ـ محب الدين الطبري فی (رياض النضرة ج ٢ ص١٩١).

٦ـ محب الدين الطبري فی (ذخائر العقبی ص ٧٦) وقال: أخرجه الترمذي وصحّحه.

٧ـ الكنجي الشافعي فی (الكفاية ص٣٤) وقال: هذا حديث عال حسن صحيح.

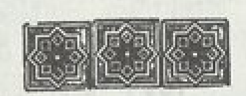
٨ـ الحمويني فی (فرائده).

٩ـ السيوطي الشافعي فی (جمع الجوامع) بعدّة طرق كما فی (كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٣ و ٣٩٦).

١٠ـ البدخشي فی (نزل الأبرار ص١١) وغيرهم.

وفى مناجات العارفين - كما فى مفاتيح الجنـان للشيخ عباس القمى رضوان الله تعالى عليه -: «إلهى فاجعلنا من الّذين ترسّخت أشجار الشوق إليه فى حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم - إلى أن قال -: قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم...» المناجات.

وفى أعمال حرم الامام سيد الشهداء الحسين بن علي "عليهما السلام" -: «اللهم صل" على سيّدي ومولاي كما عمل بطاعتك ونهى عن معصيتك وبالغ فى رضوانك وأقبل على ايمانك غير قابل فيك عذراً سر" اً وعلانية...»



الامام على هو المعيار لمعرفة أهل الايمان

ورجحان ايمانه على ايمان غيره

وقد وردت روايات كثيرة في المقام بأسانيد عديدة عن طريق الفريقين :

أمّا ما ورد عن طريق العامّة فنشير إلى نبذة منها:

١ـ روي الفقيه إبن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) عن عليّ بن أبيطالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لولاك ما عرف المؤمنون بعدي».

رواه بعينه الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٥٤٤ ط لاهور) عن إبن عباس .

٢ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٤٠ ط تبريز) باسناده عن علي عليه السلام ـ في حديث ـ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله في ليلة المعراج: لولا عليّ لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي.

٣ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ٨٦ ط إسلامبول)عن علي عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: بمحبّتك يعرف الأبرار من الفجّار ويميّز بين المؤمنين والمنافقين والكفّار .

٤ـ روى الديلمي في (الفردوس) عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم وعليّ كفّتاه والحسن والحسين خيوطه وفاطمة علاقته، والأئمّة من بعدي عموده يوزن فيه أعمال المحبّين لنا والمبغضين.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- الدامغاني في (الأربعين)

٢- الكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص ٧٩ ط بمبئي)

٣- عبدالله الشافعي في (المناقب ص ١٩٧)

ثمّ زاد الأخير بعد ذكر الحديث: «فأمّا من ثقلت موازينه بحب أمير المؤمنين عليّ فهو في عيشة راضية و أمّا من خفّت موازينه فامّه هاوية» لمن أنكر ولايته وإمامته.

٥- روى الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ص ١٠٧ ط الغرى) باسناده عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم و عليّ كفتاه و الحسن والحسين خيوطه وفاطمة علاقته والأئمّة من امّتي وعموده يوزن فيه أعمال المحبّين والمبغضين لنا.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١- السيوطي الشافعي في (ذيل اللئالي ص ٦٠ ط لكنهو)

٢- البدخشي في (مفتاح النجا ص ١٦)

٣- القندوزي الحنفي فى (ينابيع المودّة ص ٢٣٦ و ٢٤٥ ط إسلامبول)

٤- الأمرتسري الحنفي فى (أرجح المطالب ص ٣١٢ ط لاهور)

٦- روى الخطيب البغدادي فى (موضح أوهام الجمع والتفريق ج ٢ ص ٣٦٨ ط حيدرآباد) باسناده عن خالد بن عرفطة انه قال- يوم قتل الحسين عليه السلام -: هذا ما سمعت من النّبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّكم تبتلون من بعدي فى أهلي.

٧- روى الفقيه إبن المغازلي الواسطى الشافعي فى (مناقب أمير المؤمنين) باسناده عن رقبة بن مصقلة بن عبدالله عن أبيه عن جدّه قال: أتي عمر رجلان، فسئلاه عن طلاق العبد فانتهى إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال: يا أصلع كم طلاق العبد؟ فقال: باصبعه هكذا فحرّك السّبابة والّتي تليها، فالتفت إليها، فقال: إثنتين فقال أحدهما: سبحان الله جئناك و أنت أمير المؤمنين، فسئلناك فجئت إلى رجل

والله ما علّمك فقال : ويلك وتدرى من هذا ؟ هذا علىّ بن أبيطالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لو أنّ السموات والأرض وضعتا فى كفّة ووضع ايمان علىّ فى كفّة لرجّح ايمان علىّ.

وأخرج الحافظ الدارقطني وإبن عساكر: انّ رجلين أتيا عمر بن الخطّاب و سئلاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع فقال: أيّها الأصلع ماترى في طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه ثم أومى إليه بالسبابة و الوسطى، فقال لهما عمر : تطليقتان فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين، فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل، فسئلته فرضيت منه أن أومى إليك ؟ فقال لهما: تدريان من هذا ؟! قالا: لا، قال: هذا عليّ بن أبيطالب أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله لسمعته وهو يقول: إنّ السموات السبع والأرضين السبع لو وضعتا في كفّة ثم وضع ايمان عليّ في كفّة لرجح ايمان عليّ بن أبيطالب .

روى أخطب خوارزم فى المناقب ص ٧٨ ط تبريز) الحديث و كلام عمر بن الخطاب هكذا: «قال عمر إبن الخطاب: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله سمعته وهو يقول: لوأنّ السماوات السبع والأرضين السبع وضعت فى كفّة ميزان ووضع ايمان عليّ بن أبيطالب فى كفّة ميزان لرجّح ايمان عليّ عليه السلام ».

و فى لفظ الز مخشري : جئناك و أنت الخليفة فسئلناك عن طلاق فجئت إلى رجل فسئلته. فوالله ما كلّمتك، فقال له عمر : ويلك أتدري من هذا؟ الحديث.

رواه جماعة من أعاظم العامة:

١ـ الكنجي الشافعي فى (الكفاية ص ١٢٩) نقله عن الحافظين: الدارقطني و إبن عساكر. ثم قال: هذا حسن ثابت

٢ـ رواه الخوارزمي فى (المناقب ص ٧٨) عن طريق الزمخشري.

٣ـ السيد على الهمداني في (مودة القربى).

٤ ـ محبّ الدين الطبري فى (الرياض النضرة ج ١ ص ٢٤٤) و (ج ٢ ص

٢٢٦ ط محمد أمين بمصر)

٥- الصفوري في (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٤٠) و (ص ٢٠٧ ط القاهرة)

٦- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبي ص ١٠٠)

٧- الكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص ١١٨ ط بمبئي)

٨- الشيخ سليمان البلخي القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٥٤ط إسلامبول)

٩- الشيخ عبدالقادر الشفشاوي المصري في (سعد الشموس والأقمار ص ٢١١ ط التقدم العلمية بالقاهرة)

١٠- الأمرتسري الحنفي في (أرجح المطالب ص ٤٧٦ ط لاهور)

٨- إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٧٠ ط القاهرة) قال عمر: يا علي فوالله لو وزن ايمانك بايمان أهل الأرض لرجحهم.

٩- روى المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦) و (ج ٥ ص ٣٣) عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أن السموات والأرض موضوعتان في كفة و ايمان علي في كفة لرجح ايمان علي.

رواه البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢٢) والمولوي القلندر الهندي الحنفي في (روضة الأزهر ص ١٠٠ ط حيدر آباد الدكن)

١٠- الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٦٤ ط إسلامبول) عن علي بن الحسين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبيطالب: يا أباالحسن لو ضع ايمان الخلائق وأعمالهم في كفة ميزان، و وضع عملك يوم احد على كفة اخرى لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق، و ان الله باهى بك يوم احد ملائكته المقربين و رفع الحجب من السموات السبع وأشرقت إليك الجنة وما فيها وابتهج بفعلك رب العالمين، وان الله تعالى يعرضك ذلك اليوم مايغبط كل نبي ورسول وصديق وشهيد.

رواه إبن المغازلي الشافعي في (المناقب) وغيرذلك تركناه للاختصار .

و أمّا ما ورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة فنشير إلى نبذة منها:

فـي أمالي الطوسي: قدّس سره باسناده عن دعبل الخزاعي عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي بن أبيطالب محنة للعالم، به يميّز الله المنافقين من المؤمنين.

وفيه: باسناده عن زيد بن علي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا علي أما أنّك المبتلى بك، أما أنّك الهادي لمن اتبعك ومن خالف طريقك فقد ضلّ إلى يوم القيامة .

وفي أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ياعلي أنت خليفتي على امّتي في حياتي وبعد موتي، وأنت منّي كشيث من آدم و كسام من نوح، وكاسمعيل من إبراهيم، و كيوشع من موسى، و كشمعون من عيسى، ياعلي أنت وصيّي ووارثي وغاسل جثّتي وأنت الذي تواريني في حفرتي وتؤدّي ديني وتنجز عداتي، يا علي! أنت أمير المؤمنين وإمام المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين ويعسوب المتقين.

ياعلي! إنّ الله تبارك وتعالى جعل ذرّية كل نبيّ من صلبه، و جعل ذرّيتي من صلبك، يا علي! من أحبّك ووالاك أحببته وواليته، ومن أبغضك وعاداك أبغضته وعاديته لأنّك منّي وأنا منك، ياعلي! إنّ الله طهّرنا واصطفانا لم يلتق لنا أبوان على سفاح قطّ من لدن آدم، فلا يحبّنا إلّا من طابت ولادته ياعلي! أبشر باالسعادة فانك مظلوم بعدي ومقتول! فقال علي عليه السلام: يارسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك، ياعلي؟ إنّك لم تضلّ ولن تزلّ، ولولاك لم يعرف حزب الله بعدي.

وفي تفسير الفرات الكوفي : عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا نزلت خمس آيات: «أمّن خلق السموات و الأرض وأنزل لكم من السماء ماء ـ **إلى قوله** ـ إن كنتم

صادقين»النمل : ٦٠-٦٤) وعليّ بن أبيطالب عليه السلام إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانتفض إنتقاض العصفور قال:فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مالك ياعلي ؟ قال: عجبت من جرأتهم على الله وحلم الله عنهم.

قال: فمسحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: أبشر ياعلي فانه لايحبك منافق و لا يبغضك مؤمن ولولاك أنت لم يعرف حزب الله وحزب رسوله.

وفي العيون: باسناده عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عليّ لولاك لما عرف المؤمنون بعدي.

وفي رواية : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في وصف آل الرسول صلوات الله عليه و عليهم : «هم دعائم الاسلام و ولائج الاعتصام بهم، عاد الحق في نصابه وإنزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لاعقل سماع ورواية، هم موضع سر رسول الله صلى الله عليه وآله وحماة أمره و أوعية علمه ، وموئل حكمه و كهوف كتبه و حبال دينه و كرائم الايمان و كنوز الرحمن إن قالوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا هم كنوز الايمان و معادن الاحسان ، إن حكموا عدلوا و إن حاجّوا خصموا هم أساس الدين و عماد اليقين، إليهم يفيىء الغالي ، و بهم يلحق التالي، هم مصابيح الظلم، وينابيع الحكم، ومعادن العلم ومواطن الحلم، هم عيش الحلم ، وموت الجهل، يخبر كم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، لايخالفون الحق ولايختلفون فيه، فهو بينهم صامت ناطق، وشاهد صادق».

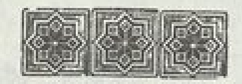
وفي الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام -: «السلام على أبي الأئمّة وخليل النبوّة والمخصوص بالاخوّة، السلام على يعسوب الايمان وميزان الأعمال ... »

وفيها . أيضاً -: « كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوياً في بدنك متواضعاً في نفسك عظيماً عندالله، كبيراً في الأرض، جليلا في السماء - إلى - وقوى بك الايمان و ثبت بك الاسلام ... » الزيارة

وفى أعمال مسجد الكوفة:- «السلام على الإمام الحكيم العدل، الصدّيق الأكبر، الفاروق بالقسط الّذي فرّق الله به بين الحق والباطل والكفر والايمان والشرك والتوحيد ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة ...»

وفى دعاء الندبة- : «و لولا أنت يا عليّ لم يعرف المؤمنون بعدي و كان بعده هدى من الضلال و نوراً من العمى ...» الدعاء.

ومن أدعية الصباح : «آمنت بالله وحده لا شريك له، و كفرت بالجبت و الطاغوت، وبسرّ آل محمد وعلانيتهم، وظاهرهم وباطنهم وأوّلهم وآخرهم».



﴿ فرحكم و درر كلم فى فضل الايمان وحقيقته ﴾

كلمات قصار في المقام عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى نبذة منها :

١ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « على الإمام أن يعلّم أهل ولايته حدود الإسلام والايمان » .

٢ـ وقال عليه السلام أيضاً : « أصل الايمان حسن التسليم لأمر الله » .

٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك » .

٤ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ما آمن المؤمن حتّى عقل » .

٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لا يدرك الله جلّ جلاله العيون بمشاهدة العيان ، لكن تدركه بحقائق الايمان » .

٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لا إله إلّا الله عزيمة الايمان وفاتحة الإحسان ، ومرضاة الرّحمن و مدحرة الشيطان » المدحرة : المطردة يقال : « الشيطان مدحور من رحمة الله » أي مطروده .

٧ ـ و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « دعائم الايمان أربعة : الاولى : أن تعرف ربك ، الثانية : أن تعرف ماصنع بك ، الثالثة : ما أراد منك ، الرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك » .

٨ ـ و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لايؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة : حتّى يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأنّي رسول الله بعثني بالحق، وحتّى يؤمن بالبعث

بعدالموت ، وحتّى يؤمن بالقدر » .

٩ـ وقال الامام على ؑ : « الايمان قول باللسان و عمل بالأركان » .

١٠ـ وقال ؑ أيضاً : « إنّ محلّ الايمان الجنان وسبيله الاذنان » .

١١ـ قال رسول الله ﷺ : « الايمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان » .

١٢ـ و قال أمير المؤمنين عليّ ؑ : « القلوب أربعة : صدر و قلب و فؤاد و لبّ فالصّدر موضع الاسلام : « أفمن شرح الله صدره للاسلام » والقلب موضع الايمان : « اولئك كتب في قلوبهم الايمان » والفؤاد موضع المعرفة : « ما كذب الفؤاد ما رآى » واللبّ موضع الذكر : « وليذكروا اولوا الألباب » .

١٣ـ وقال رسول الله ﷺ : « الإسلام علانية والايمان في القلب » .

١٤ـ وقال الامام عليّ ؑ : « كسب الايمان لزوم الحق و نصح الخلق » .

١٥ـ وقال رسول الله ﷺ : « الايمان : إقرار باللسان ، ومعرفة بالقلب ، وعمل بالأركان » .

١٦ـ « كان يوماً بارزاً للنّاس فأتاه رجل فقال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته و كتابه ولقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر » .

١٧ـ و قال ﷺ : « الايمان : عقد بالقلب ، و قول باللسان ، و عمل بالأركان » .

١٨ـ وقال ﷺ : « الايمان في عشرة : المعرفة، والطاعة، والعلم ، والعمل، والورع، والاجتهاد، والصبر، واليقين، والرضا، والتسليم، فأيّها فقد بطل نظامه » .

١٩ـ وقال الامام عليّ ؑ : « الايمان أعلى غاية » .

٢٠ـ وقال ؑ أيضاً : « الايمان أفضل الأمانتين » .

٢١ـ وقال ؑ أيضاً : « حسن العفاف والرضا بالكفاف من دعائم الايمان » .

٢٢ـ وقال ؑ أيضاً : « خشية الله جناح الايمان » .

٢٣- وقال عليه السلام أيضاً: «غاية الدين الايمان».

٢٤- وقال عليه السلام أيضاً: «غاية الايمان الموالاة والمعاداة في الله والتباذل في الله والتوكّل على الله سبحانه».

٢٥- و قال عليه السلام أيضاً: «ما من شيء يحصل به الآمال أبلغ من ايمان و إحسان».

٢٦- وقال عليه السلام أيضاً: «ملاك النجاة لزوم الايمان و صدق الايقان».

٢٧- وقال عليه السلام أيضاً: «لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق بما في يده».

٢٨- وقال عليه السلام أيضاً: «يستدلّ على ايمان الرجل بالتسليم ولزوم الطاعة».

٢٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خصلتان ليس فوقهما من البرّ شيء: الايمان بالله والنفع لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما من الشرّ شيء: الشرك بالله والضرّ لعباد الله».

٣٠- و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربّاً، وبالاسلام ديناً، وبمحمّد رسولاً».

٣١- وقال الامام علي عليه السلام: «أجدر الأشياء بصدق الايمان الرضا والتسليم».

٣٢- وقال عليه السلام أيضاً: «الايمان أربعة أركان: الرضا بقضاء الله، والتوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والتسليم لأمر الله».

٣٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الايمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن».

٣٤- و قال الامام عليّ عليه السلام: «الايمان شجرة أصلها اليقين و فرعها التقى ونورها الحياء وثمرها السخاء».

٣٥- وقال عليه السلام أيضاً: «لا ايمان أفضل من الإستسلام».

٣٦- وقال عليه السلام أيضاً: «يحتاج الإسلام إلى الايمان، ويحتاج الايمان إلى الايقان، ويحتاج العلم إلى العمل».

٣٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « اليقين فوق الايمان ، والصبر فوق اليقين » .

٣٨ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الايمان : الصبر والسماحة » .

٣٩ـ وقال صلى الله عليه وآله : « الايمان نصفان : نصف في الصبر ونصف في الشكر » .

٤٠ـ وقال صلى الله عليه وآله : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد » .

٤١ـ وقال الامام عليّ عليه السلام : « الصبر خير جنود المؤمن » .

٤٢ـ وقال عليه السلام : «المؤمن بين نعمة وخطيئة لا يصلحهما إلّا الشكر والاستغفار» .

٤٣ـ وقال عليه السلام : « إلزموا الصبر فانّه دعامة الايمان وملاك الامور » .

٤٤ـ وقال عليه السلام : « لا ايمان كالصبر » .

٤٥ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من كظم غيظاً و هو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً و ايماناً » .

٤٦ـ وقال عليه السلام : « ليس بمؤمن من لم يهتمّ باصلاح معاده » .

٤٧ـ وقال عليه السلام : « لا يكون الرجل مؤمناً حتّى لا يبالي ماذا سدّ فورة جوعه ولا بأيّ ثوبيه إبتذل » .

٤٨ـ وقال عليه السلام : « إرض بما قسم لك تكن مؤمناً » .

٤٩ـ وقال عليه السلام : « من أفضل الايمان الرضا بما يأتي به القدر » .

٥٠ـ وقال عليه السلام أيضاً : « قوّ ايمانك باليقين فانّه أفضل الدين » .

٥١ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ملاك الايمان حسن الايقان » .

٥٢ـ وقال عليه السلام ـ أيضاً في حقّ من أثنى عليهم ـ : « هجم بهم العلم على حقيقة الايمان ، وباشروا روح اليقين ، فاستسهلوا ما استوعر المترفون ، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان ، أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم » .

٥٣ـ و قال عليه السلام أيضاً : « لقاح الايمان تلاوة القرآن » أي تلاوة القرآن الكريم توجب زيادة ايمان المؤمن كما في قوله تعالى : « إنّما المؤمنون الذين

إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً » الأنفال : ٢) .

٥٤- وقال عليه السلام أيضاً : « ما آمن بما حرّمه القرآن من استحلّه » .

٥٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ الايمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسئلوا الله تعالى أن يجدّد الايمان في قلوبكم » .

٥٦- وقال الإمام عليّ عليه السلام : « زينة القلوب إخلاص الايمان » .

٥٧- وقال عليه السلام أيضاً : « يحتاج الايمان إلى الإخلاص » .

٥٨- وقال عليه السلام أيضاً : « الإخلاص أعلى الايمان » .

٥٩- وقال عليه السلام أيضاً : « الايمان إخلاص العمل » .

٦٠- وقال عليه السلام أيضاً : « اليقين عنوان الايمان » .

٦١- وقال عليه السلام أيضاً : « اليقين عماد الايمان » .

٦٢- وقال عليه السلام أيضاً : « لا ايمان لمن لايقين له » .

٦٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « التقوى إجلال الله وتوقير المؤمنين » .

٦٤- وقال الامام عليّ عليه السلام : « سبب صلاح الايمان التقوى » .

٦٥- وقال عليه السلام أيضاً : « فاز من استصبح بنور الهدى ، و خالف دواعي الهوى ، وجعل الايمان عدّة معاده والتقوى » .

٦٦- وقال عليه السلام أيضاً : « مخّ الايمان التقوى والورع وهما من أفعال القلوب ، وأحسن أفعال الجوارح ألّا تزال مالئاً فاك بذكر الله سبحانه » .

٦٧- وقال عليه السلام أيضاً : « الايمان أن تؤثر الصّدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك » .

٦٨- وقال عليه السلام أيضاً : « الصّدق عماد الاسلام و دعامة الايمان » الدعامة - بالكسر - : الشرط ، و- بالفتح - : الاسطوانة ، و دعام البيت : عماده ، والخشب المنصوب للتعريش .

٦٩ - وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان حسن الخلق والتحلّي بالصّدق » .

٧١- وقال عليه السلام أيضاً : «صدق الايمان وصنايع الاحسان من أفضل الذخائر» .

٧٢- وقال عليه السلام أيضاً : « الصدق جمال الانسان و دعامة الايمان » .

٧٣- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان الصّبر » .

٧٤- وقال عليه السلام -في ذكر الايمان- : « زلفى لمن ارتقب، وثقة لمن توكّل، و راحة لمن فوّض ، وجنّة لمن صبر » .

٧٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ولا ايمان كالحياء والصبر » .

٧٦- وقال الامام عليّ عليه السلام : « الايمان صبر في البلاء وشكر في الرخاء » أي من علامة الايمان . . .

٧٧- وقال عليه السلام : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان لمن لاصبر له » .

٧٨- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان الإحسان إلى الناس » .

٧٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أحبب للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً » .

٨٠- وقال عليه السلام أيضاً : « من شرائط الايمان حسن مصاحبة الاخوان »

٨١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يؤمن عبد حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير » .

٨٢- وقال عليه السلام : « يا عليّ ! ثلاث من حقائق الايمان : الإنفاق في الاقتار وإنصاف الناس من نفسك ، وبذل العلم للمتعلّم » .

٨٣- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الايمان الأمانة » .

٨٤- وقال عليه السلام أيضاً : « الأمانة ايمان » .

٨٥- وقال عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » .

٨٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « حسن العهد من الايمان » .

٨٧- وقال الامام علي عليه السلام: «من لا أمانة له لا ايمان له».

٨٨- وقال عليه السلام أيضاً: «من لا ايمان له لا أمانة له».

٨٩- وقال عليه السلام أيضاً: «ذكر الله نور الايمان».

٩٠- وقال عليه السلام أيضاً: «ذكر الله رأس مال كل مؤمن، وربحه السلامة من الشيطان».

٩١- وقال عليه السلام أيضاً: «ذكر الله دعامة الايمان وعصمة من الشيطان».

٩٢- وقال عليه السلام أيضاً: «من الايمان حفظ اللسان».

٩٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لايستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه».

٩٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمسك لسانك فانها صدقة تتصدّق بها على نفسك، ولايعرف عبد حقيقة الايمان حتّى يخزن من لسانه».

٩٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سرّته حسنته وسائته سيّئته فهو مؤمن».

٩٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لايبلغ العبد حقيقة الايمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطيه وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

٩٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «انّ لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

٩٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سرّتك حسنتك، وسائتك سيّئتك فأنت مؤمن»

٩٩- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «زين الايمان الاسلام كما أنّ زين الكعبة الطواف».

١٠٠- وقال الامام علي عليه السلام: «قد أوجب الايمان على معتقده إقامة سنن الاسلام والفرض».

١٠١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أباذر لايصيب الرجل حقيقة الايمان حتّى يرى الناس كلّهم حمقى في دينهم، عقلاء في دنياهم».

١٠٢- وعن إبن عباس: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبة فقال: «مرحباً

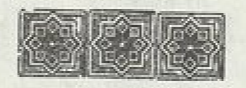
بك من بيت ما أعظمك وما أعظم حرمتك ! والله إنّ المؤمن أعظم حرمة عندالله منك ، إنّ الله حرّم منك واحدة ، ومن المؤمن حرّم ثلاثاً : دمه وماله وأن يظنّ به ظنّ السوء » .

١٠٣ـ وقال ﷺ « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ، ومن أحبّ عبداً لايحبّه إلّا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار » .

١٠٤ـ وقال ﷺ : «ياعليّ أوثق عرى الايمان الحبّ في الله والبغض في الله» .

١٠٥ـ وقال ﷺ : « ودّ المؤمن في الله من أعظم شعب الايمان ، ومن أحبّ في الله وأبغض في الله ، وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله » .

١٠٦ـ و قال الامام عليّ عليه السلام ـ في ذكر الملائكة عليهم السلام ـ : « هم اسراء الايمان لم يفكّهم منه زيغ ولا عدول » .



﴿ كلمات قصار حول أضداد الايمان وما يوجب فساده ﴾

غرر حكم ودرر كلم نشير إلى ما يسعه المقام :

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «آفة الايمان الشرك».

٢- وقال عليه السلام أيضاً: «من ارتاب للايمان أشرك».

٣- وقال عليه السلام «الكفر يمحاه الايمان».

٤- قال زيد بن صوحان العبدي: يا أمير المؤمنين -: «فأي فقد أشد؟ قال عليه السلام: الكفر بعد الايمان» وذلك ان العبد إذا كفر بعد ايمانه كان فقده لايمانه هو الفقد الحقيقي الذي لا عوض له بخلاف فقد ان ماله لأنه قد يجد له عوضاً.

٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما بين الكفر والايمان إلا ترك الصلاة».

٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يزال الشيطان في ذعر من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس فاذا ضيعهن تجرأ عليه فاوقعه في العظائم» الذعر- متحركة-: الفزع والخوف والدهشة.

٧- وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

٨- وقال علي عليه السلام :«لا ايمان مع سوءظن» أي بالله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و المؤمنين .

٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الظنّ بالرزق».

١٠- وقال الامام علي عليه السلام: «لا ينفع الايمان بغير تقوى».

١١- وقال عليه السلام: «لا ينفع الايمان للآخرة مع الرغبة في الدنيا».

١٢- وقال عليه السلام: «لا يستدلّ على الايمان بكثرة التّقى وملك الشهوة وغلبة الهوى».

١٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الا وإنّ أذى المؤمن من أعظم سلب الايمان».

١٤- وقال الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «إذا قال المؤمن لأخيه اف انقطع ما بينهما، فاذا قيل له: أنت كافر كفر أحدهما، وإذا اتهمه انماث الاسلام في قلبه كما ينماث الملح في الماء».

١٥- وقال عليه السلام: «ظلمة الظلم تظلم الايمان».

١٦- وقال عليه السلام أيضاً: «صن ايمانك من الشك، فانّ الشك يفسد الايمان كما يفسد الملح العسل».

١٧- وقال عليه السلام: «الشك يحبط الايمان».

١٨- وقال عليه السلام: «شرّ الايمان ما دخله الشك»

١٩- وقال عليه السلام: «شرّ القلوب الشاك في ايمانه»

٢٠- وقال عليه السلام: «ما آمن بالله سبحانه من سكن الشكّ قلبه»

٢١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطع ما بينهما من العصمة»

٢٢- وقال صلى الله عليه وآله: «للمؤمن إثنان وسبعون سرّاً فاذا أذنب إنهتك عنه ستر فان تاب ردّه الله، و إن أبى إلّا قدما في المعاصي تهتّكت عنه أستاره وبقي بلاستر» .

٢٣- وقال صلى الله عليه وآله: «على الباب الخامس- من أبواب النار- مكتوب ثلاث

كلمات: لاتتبعوا الهوى والهوى يخالف الايمان ، ولاتكثر منطقك فيما لايعنيك (يعنيك خ) فتسقط من رحمة الله، ولاتكن عوناً للظالمين» وقال صلى الله عليه وآله: «وعلى الباب الخامس منها مكتوب: لاتتبع الهوى فان الهوى يجانب الايمان ولاتكثر منطقك فيما لايعنيك فتسقط من عين ربك، ولا تكن عوناً للظالمين فان الجنّة لم تخلق للظالمين»

٢٤- وقال صلى الله عليه وآله: «ولاتتحاسدوا فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب اليابس»

٢٥- وقال الامام عليّ عليه السلام: «الايمان بريء من الحسد»

٢٦- وقال عليه السلام أيضاً: «لاتحاسدوا فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب، ولاتباغضوا فانّها الحالقة»

٢٧- وقال عليه السلام أيضاً: «لايكون المؤمن حسوداً»

٢٨- و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يجتمع الشحّ و الايمان في قلب عبد أبداً »

٢٩- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أربع خصال لاتكون في مؤمن: لايكون مجنوناً ولايسئل أبواب الناس، ولايولد من الزنا، ولاينكح في دبره»

٣٠- و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « خلقان لا يجتمعان فى مؤمن : الشحّ و سوء الخلق »

٣١- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن منزّه من الزيغ والشقاق»

٣٢ وقال عليه السلام أيضاً: «خلّتان لاتجتمعان في مؤمن: سوء الخلق والبخل»

٣٣- وقال عليه السلام أيضاً: «صلاح الايمان الورع، وفساده الطّمع»

٣٤- وقال عليه السلام أيضاً: «ماعقد ايمانه من بخل باحسانه»

٣٥- وقال عليه السلام أيضاً: « ما آمن بالله سبحانه من قطع رحمه»

٣٦- وقال عليه السلام أيضاً: «ماعقد ايمانه من لم يحفظ لسانه»

٣٧- وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «أخذ الله ميثاق المؤمن على أن لا يقبل قوله، ولا يصدق حديثه، ولا ينتصف من عدوه، ولا يشفى غيظه إلا بفضيحة نفسه لأن كل مؤمن ملجم»

٣٨- وقال الامام علي عليه السلام: «النفاق يفسد الايمان»

٣٩- وقال عليه السلام: «الايمان بريء من النفاق»

٤٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما خلق الله الايمان قال: اللهم قوني، فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوني، فقواه بالبخل وسوء الخلق»

٤١- وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي من منع قيراطاً من زكاة ماله، فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة»

٤٢- وقال صلى الله عليه وآله: «يطبع المؤمن على كل خصلة ولا يطبع على الكذب ولا على الخيانة»

٤٣- وقال صلى الله عليه وآله: «إياكم والكذب فان الكذب مجانب للايمان»

٤٤- وقال الامام علي عليه السلام: «ما كذب عاقل ولا زنا مؤمن»

٤٥- وقال عليه السلام: «كذب من ادعى الايمان وهو مشعوف من الدنيا بخدع الأماني وزور الملاهي»

٤٦- وقال عليه السلام: «المكر والغل مجانبا الايمان»

٤٧- وقال عليه السلام: «جانبوا الكذب فانه مجانب الايمان»

٤٨- وقال عليه السلام: «صابروا أنفسكم على فعل الطاعات، وصونوها عن دنس السيئات، تجدوا حلاوة الايمان»

٤٩- وقال عليه السلام: «ظرف المؤمن من نزاهته عن المحارم، ومبادرته إلى المكارم»

٥٠- وقال عليه السلام: «المؤمن لا يظلم ولا يتأثم»

٥١- وقال عليه السلام: «مجالس اللهو تفسد الايمان»

٥٢- وقال عليه السلام: «مجالسة أهل الدنيا منساة للايمان، و قائدة إلى طاعة الشيطان»

٥٣- وقال عليه السلام: «حسن الزهد من أفضل الايمان والرغبة في الدنيا تفسد الايقان»

٥٤- وقال عليه السلام: «لا ايمان لغدور»

٥٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل، و كما يفسد الخلّ العسل»

٥٦- وقال الامام عليّ عليه السلام: «ضادّوا الفكر بالايمان» أي فكر المعصية.

٥٧- وقال عليه السلام: «المؤمن حذر من ذنوبه يخاف البلاء و يرجو رحمة ربّه»

٥٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولا أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب ماخلّى الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبداً»

٥٩- ومما أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام فقال: «يا عليّ خمسة تميت القلب: كثرة الأكل، و كثرة النوم، و كثرة الضحك، و كثرة همّ القلب، وأكل الحرام يطرد الايمان»

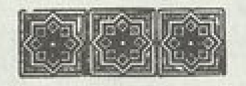
٦٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر، ومن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يدخل الحمّام إلّا بميزر، و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع حليلة تخرج إلى الحمّام»

٦١- وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ستّة لا تكون في المؤمن: الغشّ و النكد واللجاجة والكذب والحسد والبغي»

٦٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلّة فاذا أقلع رجع إليه»

٦٣- وقال عليه السلام: «لو كنّا نأتي ما تأتون لما قام للدين عمود ولا إخضرّ للايمان عود»

فانظر أيّها المؤمن! فان كانت حالتك حالة ترضا لحلول الموت فاشكر الله تعالى على توفيقه وعصمته، وإن تكن الاخرى فانتقل عنها بصحة العزيمة، واندم على ماسلف من عمرك فى الغفلة، واستعن بالله على تطهير الظاهر من الذنوب وتنظيف الباطن من العيوب، واقطع زيادة الغفلة عن قلبك واطف نار الشهوة من نفسك.



«فرحكم ودرر كلم في درجات الايمان و كمال الانسان»

كلمات قصار في المقام نشير إلى نبذة منها:

١ـ قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «أفضل ايمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان»

٢ـ وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله: «إن أعلى منازل الايمان درجة واحدة، من بلغ إليها فقد فاز وظفر، وهو أن تنتهي سريرته في الصلاح إلى أن لايبالي صوابها إذا ظهرت، ولا يخاف عقابها إذا سترت»

٣ـ وقال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «المؤمنون على سبع درجات، صاحب درجة منهم في مزيد من الله عز وجل لايخرجه ذلك المزيد من درجة إلى درجة غيره: منهم شهداء الله على خلقه، ومنهم النجباء، ومنهم الممتحنة، ومنهم النجداء، ومنهم أهل العبر، ومنهم أهل التقوى، ومنهم أهل المغفرة»

٤ـ وقال صلى الله عليه وآله: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعلي اولى به من بعدي»

٥ـ وقال صلى الله عليه وآله: «نحن أهل الايمان بالله ملاكه و تمامه حقاً و بنا سداد الأعمال الصالحة»

٦ـ وقال صلى الله عليه وآله: «إن من تمام ايمان العبد: أن يستثنى في كل حديثه»

٧ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشرف الايمان أن يأمنك الناس، و أشرف الاسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك»

٨ـ وقال صلى الله عليه وآله : «أفضل الايمان أن تحب لله وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، و تكره لهم ما تكره لنفسك، و أن تقول خيراً أو تصمت»

٩ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «أحبب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً»

١٠ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «أحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً»

١١ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وايماناً»

١٢ـ وقال عليه السلام : «أفضل الايمان الإحسان»

١٣ـ و قال عليه السلام : «أفضل الايمان حسن الايقان»

١٤ـ وقال عليه السلام : «أفضل الايمان الأمانة»

١٥ـ وقال عليه السلام : «أفضل الايمان الإخلاص والاحسان وأفضل الشيم التجافي عن العدوان»

١٦ـ وقال عليه السلام : «إن افضل الايمان إنصاف المرء من نفسه»

١٧ـوقال زيد بن صوحان العبدي لأمير المؤمنين عليه السلام ـ: «فأي الايمان أفضل عند الله؟ قال: التسليم والورع»

١٨ـ و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «بالاخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين»

١٩ـ وقال عليه السلام :«المؤمنون أعظم أحلاماً»

٢٠ـ وقال عليه السلام : «ليس شيء أعز من الكبريت إلّا مابقي من عمر المؤمن»

٢١ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضلكم ايماناً أحسنكم أخلاقاً»

٢٢ ـوقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل المؤمنين ايماناً الّذي إذا سئل اعطى وإذا لم يعط استغني»

٢٣ـ وقال الامام علي عليه السلام : «أشرف المؤمنين اكثرهم كيساً».

٢٤ـ وقال الامام علي عليه السلام : «شرف المؤمن ايمانه و عزه بطاعته»

٢٥ـ وقال عليه السلام : «لاشرف أعلى من الايمان»

٢٦ـوقال رسول الله صلى الله عليه وآله :«إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»

٢٧- وقال الامام علي عليه السلام: «أقوى الناس ايماناً أكثرهم توكّلاً على الله سبحانه»

٢٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين ايماناً أحسنهم أخلاقاً»

٢٩- وقال الامام على عليه السلام : «أفضل المؤمنين ايماناً من كان لله سبحانه أخذه وعطاه وسخطه ورضاه»

٣٠- وقال الامام علي عليه السلام : «إن من أكمل المؤمنين ايماناً ، أحسنهم خلقاً و ألطفهم بأهله»

٣١- وقال عليه السلام : «المرء بايمانه»

٣٢- وقال عليه السلام : «بلاء الرجل على قدر ايمانه ودينه»

٣٣- وقال عليه السلام : «ايمان المرء يعرف بايمانه»

٣٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يبتلي المؤمن على قدر ايمانه وحسن عمله، فمن صحّ ايمانه وحسن عمله إشتدّ بلاؤه، ومن خفّ ايمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه»

٣٥- وقال عليه الصلاة والسلام : «العقل خليل المؤمن، والعلم وزيره، والصبر أمير جنوده، والعمل قيّمه»

٣٦- وقال عليه الصلاة والسلام : «ثلاث من كنّ فيه فقد كمل ايمانه: العقل والعلم والحلم»

٣٧- وقال صلى الله عليه وآله : «أسعد الناس العاقل المؤمن»

٣٨- وقال عليه الصلاة والسلام : «كلما زاد عقل الرجل قوى ايمانه بالقدر واستخفّ العبر»

٣٩- وقال عليه الصلاة والسلام : «بالايمان يرتقى إلى ذروة السعادة و نهاية الحبور»

٤٠- وقال الصادق عليه السلام : «كمال المؤمن ثلاث: تفقّه في دينه، والصبر على النائبة، والتقدير في المعيشة»

٤١- وقال الامام علي عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه إستكمل الايمان: من إذا رضى لم يخرجه رضاه إلى باطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حقّ ، و إذا قدر لم يأخذ ما ليس له»

٤٢- وقال عليه السلام : «ثلاث من كنّ فيه فقد أكمل الايمان: العدل في الغضب و الرضا، والقصد في الفقر والغناء، وإعتدال الخوف والرجاء»

٤٣- وقال عليه السلام: «من أحبّ أن يكمل ايمانه فليكن حبّه لله وبغضه لله ورضاه لله وسخطه لله»

٤٤- وقال عليه السلام: «من أعطى في الله سبحانه ومنع في الله وأحبّ في الله فقد استكمل الايمان»

٤٥- وقال عليه السلام: «لا يكمل ايمان المؤمن حتّى يعدّ الرخاء فتنة والبلاء نعمة»

٤٦- وقال عليه السلام: «لا يكمل ايمان عبد حتّى يحبّ من أحبّه الله ويبغض من أبغضه الله»

٤٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الايمان: من لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عرض له أمران أحدهما للدّنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا»

٤٨- وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث خصال من كنّ فيه إستكمل خصال الايمان: الّذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»

٤٩- وقال صلى الله عليه وآله: «لا يكمل ايمان العبد بالله حتّى يكون فيه خمس خصال: التوكّل على الله، والتسليم لأمر الله، والصبر على بلاء الله، والرضا بقضاء الله، والشفقة على خلق الله فقد استكمل الايمان»

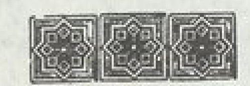
٥٠- وقال صلى الله عليه وآله وسلم - في وصيته لعليّ عليه السلام -: «يا عليّ سبعة من كنّ فيه فقد استكمل حقيقة الايمان وأبواب الجنّة مفتوحة له: من أسبق (أسبغ خ) وضوئه، و أحسن صلاته، وأدّى زكاة ماله وكفّ غضبه، وسجن لسانه واستغفر لذنبه، وأدّى النصيحة لأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم»

٥١- وقال صلى الله عليه وآله: «أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً، وخيار كم خيار كم لنسائهم»

٥٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إنّ بني آدم خلقوا على طبقات شتّى: منهم من يولد

مؤمناً، ويحيى مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت مؤمناً»

وقال الامام علي عليه السلام: «معاشر الناس! إن النساء نواقص الايمان، نواقص العقول، نواقص الحظوظ، فأمّا نقص ايمانهن فقعودهن في أيّام حيضهن عن الصّلاة والصّيام، وأمّا نقصان حظوظهن فميراثهن على نصف مواريث الرجال، وأمّا نقصان عقولهن فشهادة إمرأتين كشهادة رجل، فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر»



﴿ كلمات قصار حول الايمان والعمل ﴾

غرر حكم ودرر كلم في التلازم بين الايمان والعمل نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «الايمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان»

٢ـ وقال عليه السلام أيضاً: «الايمان والعمل أخوان توأمان، ورفيقان لا يفترقان لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»

٣ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الايمان والعمل قرينان لا يصلح كل واحد منهما إلا مع صاحبه»

٤ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن يعمل لله كأنّه يراه فان لم يكن يرى الله فانّ الله يراه»

٥ـ وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن بعمله»

٦ـ وقال عليه السلام: «بالايمان يستدلّ على الصّالحات»

٧ـ وقال عليه السلام: «بالصّالحات يستدلّ على الايمان»

٨ـ وقال عليه السلام: «زين الايمان طهارة السرائر، وحسن العمل في الظواهر»

٩ـ وقال عليه السلام: «سلوا الله سبحانه الايمان، واعملوا بموجب القرآن»

١٠ـ وقال عليه السلام: «العمل شعار المؤمن»

١١ـ وقال عليه السلام: «المؤمن كثير العمل، قليل الزلل»

١٢ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الايمان بالتحلّي وبالتمنّي، ولكنّ الايمان ما خلص في القلب وصدّقته الأعمال»

١٣- وقال صلى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكل عامل يعمل على نيّته»

١٤- وقال صلى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن أبلغ من عمله، وكذلك نيّة الفاجر»

١٥- وقال الامام عليّ عليه السلام: «إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله، وإنّ المنافق يرى شكّه في عمله»

١٦- وقال عليه السلام: «علم المؤمن في عمله»

١٧- وقال عليه السلام: «إنّ المؤمن ليستحيي إذا مضى له عمل في غير ما عقد عليه ايمانه»

١٨- وقال عليه السلام: «المؤمن قريب أمره، بعيد همّه، كثير صمته، خالص عمله»

١٩- وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب المؤمن: إخلاص العمل لله و النصيحة لاولي الأمر ولزوم الجماعة إنّ دعوتهم تكون من ورائه»

٢٠- وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ ممّا يلحق المؤمن، من عمله وحسناته بعد موته: علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحّته وحياته، تلحقه من بعد موته»

٢١- وقال صلى الله عليه وآله: «ياعليّ أنين المؤمن المريض تسبيح، وصياحه تهليل، و نومه على الفراش عبادة، وتقلّبه من جنب إلى جنب جهاد في سبيل الله، فان عوفي مشى في الناس، وما عليه من ذنب»

٢٢- وقال صلى الله عليه وآله: «عدة المومن كأخذ باليد»

٢٣- وقال الامام عليّ عليه السلام: «شكر المؤمن يظهر في عمله»

٢٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كثرت ذنوب المؤمن، ولم يكن له من العمل ما يكفّرها إبتلاه الله بالحزن ليكفّرها به عنه»

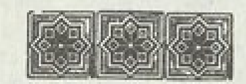
٢٥- وقال صلى الله عليه وآله: «إذا اشتكى المؤمن أخلصه من الذنوب كما يخلص الكير خبث الحديد» الكير: زقّ ينفخ فيه الحدّاد.

٢٦- وقال صلى الله عليه وآله: «ان الله يبتلي عبده المؤمن بالسقم حتى يكفّر عنه كلّ ذنب»

٢٧ـ وقال علي عليه السلام: «عامل سائر الناس بالإنصاف وعامل المؤمنين بالايثار»

٢٨ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ للمؤمن ثلاث علامات: الصّلاة والزكاة والصّيام»

٢٩ـ وقال صلى الله عليه وآله: «يا أباذر تعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى الجمعة في يوم الإثنين والخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن إلّا عبداً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: اتركوا عمل هذين حتّى يصطلحا»



﴿فى حكم و درر كلم فى علائم الايمان و آثاره﴾

كلمات قصار في المقام نشير إلى نبذة منها:

١ ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «خفض الصّوت، وغضّ البصر، ومشي القصد من أمارة الايمان وحسن التديّن»

٢ـ وقال عليه السلام: «من آمن أمن» وذلك لقوله تعالى: «الّذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن و هم مهتدون» الأنعام: ٨٢)

٣ـ وقال عليه السلام: «قوّة القلب من صحّة الايمان»

٤ـ وقال عليه السلام: «الايمان شهاب لايخبو»

٥ـ وقال عليه السلام: «إنّ أمرنا صعب مستصعب لايحتمله إلّا عبد إمتحن الله قلبه للايمان ولايعيى حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة»

٦ـ و قال عليه السلام: «إنّ أمرنا صعب مستصعب خشن مخشوشن، سرّ مستسرّ مقنّع لا يحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو مؤمن إمتحن الله سبحانه قلبه للايمان»

٧ـ و قال عليه السلام: «الايمان واضح الولائج» الولائج: البواطن و الأسرار و هي واضحة لمن تدبّر فيها، أو جمع الوليجة و هي: كل ما يتخذه الانسان معتمداً عليه.

٨ـ وقال عليه السلام: «نعم وزير الايمان العلم»

٩ـ وقال عليه السلام: «نعم دليل الايمان العلم»

١٠- وقال عليه السلام: «ثمرة الايمان الرغبة في دار البقاء»

١١- وقال عليه السلام: «الايمان شفيع منجح»

١٢- وقال عليه السلام: «بالايمان تكون النجاة»

١٣- وقال عليه السلام: «ثمرة الايمان الفوز عند الله»

١٤- وقال عليه السلام: «لايفوز بالنجاة إلّا من قام بشرائط الايمان»

١٥- وقال عليه السلام: «لانجاة لمن لا ايمان له»

١٦- وقال عليه السلام: «الصّبر ثمرة الايمان»

١٧- وقال عليه السلام: «من كنوز الايمان الصبر على المصائب»

١٨- وقال عليه السلام: «ما دفع الله سبحانه عن العبد المؤمن شيئاً من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة إلّا برضاه بقضائه وحسن صبره على بلائه»

١٩- وقال عليه السلام: «نعم قرين الايمان الرضا»

٢٠- وقال عليه السلام: «الصدق أقوى دعائم الايمان»

٢١- وقال عليه السلام: «الصدق أمانة اللسان وحلية الايمان»

٢٢- وقال عليه السلام: «الصدق رأس الايمان و زين الإنسان»

٢٣- وقال عليه السلام: «الايثار أعلى الايمان»

٢٤- وقال عليه السلام: «الايثار أحسن الإحسان وأعلى مراتب الايمان»

٢٥- وقال عليه السلام: «تحلّ بالسخاء و الورع فهما حلية الايمان و أشرف خلالك»

٢٦- وقال عليه السلام: «زين الايمان الورع»

٢٧- وقال عليه السلام: «ثلاث من كنوز الايمان: كتمان المصيبة و الصدقة والمرض»

٢٨- وقال عليه السلام: «سوسوا ايمانكم بالصّدقة»

٢٩- وقال عليه السلام: «العدل رأس الايمان وجماع الإحسان»

٣٠- وقال عليه السلام : «غيرة المؤمن بالله سبحانه»

٣١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله تعالى تغار، وإنّ المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ماحرّم الله عليه»

٣٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ حسن العهد من الايمان»

٣٣- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «البذاذة من الايمان» البذاذة: التواضع ورثاثة الهيئة

٣٤ - و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ الحياء و الايمان قرناً جميعاً ، فاذا سلب أحدهما تبعه الآخر»

٣٥- وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «الايمان والحياء في قرن واحد فاذا ذهب أحدهما تبعه الاخر»

٣٦ - و قال صلى الله عليه وآله وسلم : «ثمرة الايمان ثلاثة أشياء : الحبّ في الله، والبغض في الله، والحياء من الله تعالى»

٣٧ - وقال الامام عليّ: عليه السلام «إنّ الحياء والعفّة من خلائق الايمان، وإنّهما لسجيّة الأحرار و شيمة الأبرار» - و قال عليه السلام : «ثلث الايمان : الحياء و ثلثه وفاء و ثلثه سخاء»

٣٨- وقال عليه السلام : «حياء الرجل من نفسه ثمرة الايمان»

٣٩- و قال عليه السلام : «غيرة الرجل ايمان»

٤٠- وقال عليه السلام : « كثرة حياء الرجل دليل ايمانه»

٤١- وقال عليه السلام : «نعم قرين الايمان الحياء»

٤٢- وقال عليه السلام : «لا ايمان كالحياء والسخاء»

٤٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الحياء من الايمان»

٤٤- وقال صلى الله عليه وآله : «الغيرة من الايمان نصف»

٤٥- وقال الامام عليّ عليه السلام : «لكل دين خلق، وخلق الايمان الرفق»

٤٦- وقال عليه السلام «نعم الايمان جميل الخلق»

٤٧_وقال رسول الله ﷺ:«الوضوء شطر الايمان، والسّواك شطر الوضوء»

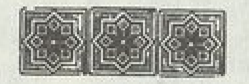
٤٨_ وقال ﷺ:«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراًأويصمت»

٤٩_ وقال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد»

٥٠_ وقال ﷺ : «تكاسل المرء في الصّلاة من ضعف الايمان»

وقال ﷺ : «علوّ الهمّة من الايمان»

٥٢_ و قال رسول الله ﷺ : « إنّ الايمان ليأزر إلى المدينة كما تأزر الحيّة إلى جحرها» .



﴿ كلمات قصار في صفات المؤمنين وخصالهم ﴾

غرر حكم ودرر كلم نشير إلى ما يسعه المقام:

١ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن فلا يغشّه ولايعيبه ولايدع نصرته»

٢ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخ المؤمن يكفّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»

٣ـ وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم»

٤ـ وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن للمؤمن كالبيان يشدّ بعضه بعضاً»

٥ـ وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد»

٦ـ وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»

٧ـ وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده»

٨ـ وقال صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس إنّما المؤمنون إخوة، ولايحلّ لمؤمن مال أخيه إلّاعن طيب نفس منه»

٩ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ حقّاً على المؤمنين أن يتوجّع بعضهم لبعض كما يؤلم الجسد الرأس»

١٠ـ وقال الامام عليّ عليه السلام: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى بره بالسهر والحمى»

١١- وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون إخوة تتكا فأدماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمّتهم أدناهم»

١٢- وقال ﷺ : «مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس يجول أخيه ثم يرجع إلى أخيه»

١٣- وقال الامام الصادق عليه السلام : «قال إبليس خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة ، و سائر الناس في قبضتي : من اعتصم بالله من نيّة صادقة فاتكل عليه في جميع اموره ، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ومن رضي لأخيه المؤمن مايرضاه لنفسه ، و من لم يجزع على المصيبة حين يصيبه ، و من رضي بما قسم الله له و لم يهتمّ لرزقه»

١٤- وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون إخوة، يقضى بعضهم حوائج بعض ، فبقضاء بعضهم حوائج بعض يقضي الله حوائجهم يوم القيامة»

١٥- وقال ﷺ : « إنّ من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن »

١٦- وقال الامام عليّ عليه السلام : «الرفق أخو المؤمن»

١٧- وقال عليه السلام أيضاً: «المؤمن إلف مألوف متعطّف»

١٨- وقال عليه السلام : «لايشبع المؤمن وأخوه جائع »

١٩ - و قال رسول الله ﷺ : « أطعموا طعامكم الأتقياء واولوا معروفكم المؤمنين »

٢٠- وقال ﷺ : «لا يشبع المؤمن دون جاره»

٢١ - و قال ﷺ : «خير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ، ولاخير فيمن لايألف و لايؤلف »

٢٢- وقال ﷺ : «المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيّد انقاد»

٢٣- وقال ﷺ : «المؤمن يسير المؤنة»

٢٤- وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن آلف مألوف»

٢٥- وقال صلى الله عليه وآله: «هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه»

٢٦- وقال صلى الله عليه وآله: «في كل قضآء الله عزّ وجلّ خيرة للمؤمن»

٢٧- وقال صلى الله عليه وآله: «في سؤر المؤمن شفاء من سبعين داء»

٢٨- و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «و من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه المؤمن»

٢٩- و قال صلى الله عليه وآله: «ألا و من أحبّ في الله جلّ و عزّ و أبغض في الله و أعطى في الله و منع في الله فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك و تعالى، ألا و إنّ المؤمنين إذا تحابّا في الله عزّ و جلّ و تصافيا في الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً و جد الآخر ألم ذلك الموضع»

٣٠- وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي! المؤمن من أمنه المسلمون على أموالهم ودمائهم، والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»

٣١- وقال صلى الله عليه وآله: «أيها النّاس إنّ العبد لا يكتب من المسلمين حتّى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتّى يأمن أخوه بوائقه وجاره بوادره، ولا يعدّ من المتقين حتّى يدع مالا بأس به حذراً عمّا به البأس»

٣٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين»

٣٣- وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمآن إلى الماء البارد»

٣٤- و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ المؤمن ليدرك بالحلم و اللين درجة العابد المجتهد»

٣٥- وقال صلى الله عليه وآله: «إفتخار المؤمن بربّه وعزّه بطاعته، وإفتخار الجاهل بماله وعزّه بحسبه»

٣٦- و قال صلى الله عليه وآله: «المؤمن كيّس فطن حذر»

٣٧- وقال ﷺ: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله»

٣٨ - و قال ﷺ «أكثروا من ذكر هادم اللذّات، فقيل: يا رسول الله و ما هادم اللذّات؟ قال: الموت فانّ أكيس المؤمنين أكثرهم للموت ذكراً، و أحسنهم للموت إستعداداً»

٣٩- وقال الامام عليّ عليه السلام: «المؤمن كيّس عاقل»

٤٠- وقال عليه السلام: «الكيّس من قصر آماله»

٤١- وقال عليه السلام: «للمؤمن ثلاث علامات: الصدق واليقين وقصر الأمل»

٤٢- وقال عليه السلام: «للمؤمن عقل وفيّ، وحلم مرضيّ، ورغبة في الحسنات، وفرار من السيّئات»

٤٣- وقال ﷺ: «لا تصحب إلّا عاقلاً، ولا تعاشر إلّا عالماً زكيّاً، ولا تودع سرّك إلّا مؤمناً وفيّاً»

٤٤- وقال ﷺ: «المؤمن يكون صادقاً في الدنيا»

٤٥- وقال رسول الله ﷺ: «يا أباذر! لا تصاحب إلّا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلّا تقيّ، ولا تأكل طعام الفاسقين»

٤٦- وقام إلى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله فمن نزوّج؟ فقال: الأكفاء فقال: يا رسول الله و من الأكفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، المؤمنون بعضهم أكفاء بعض»

٤٧- وقال رسول الله ﷺ: «حبّ المؤمن حلو يحبّ الحلاوة»

٤٨- وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلّا طيباً ولا تضع إلّا طيباً»

٤٩ - وقال ﷺ: «الحرمات التي تلزم كل مؤمن رعايتها و الوفاء بها: حرمة الدين و حرمة الأب و حرمة الطعام، وحرمة العالم العامل بعلمه كحرمة الشهداء والصدّيقين»

٥٠- وقال الامام علي عليه السلام: «مثل المؤمن كالاترجة طيّب طعمها وريحها»

٥١- وقال عليه السلام: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة ريحها طيّب، وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيّب وطعمها مرّ، ومثل الفاجر الذي لايقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مرّ ولاريح لها»

٥٢- و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أباذر! المؤمن ليرى ذنبه كأنّه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، وإنّ الكافر ليرى ذنبه كأنّه ذباب مرّ على أنفه»

٥٣- وقال أبو حازم: «أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم»

٥٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أباذر! إنّ نفس المؤمن أشدّ تقلّباً وخيفة من العصفور حين يقذف به في شركه»

٥٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لايحلّ لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث»

٥٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»

٥٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اتّقوا فراسة المؤمن، فانّه ينظر بنور الله عزّ وجلّ»

٥٨ وقال الامام عليّ عليه السلام: «المؤمن يتقلّب في خمسة من النّور: مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور و كلامه نور ومنظره يوم القيامة إلى النور»

٥٩- وقال الامام الباقر عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجل أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّة في الدنيا، والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور الظالمين» قال الله تعالى: «أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٣٩) وعنه عليه السلام أيضاً: «إنّ الله عزّ وجل اعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّة في الدنيا: والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور العالمين ثم قرأ: «فللّه العزّة ولرسوله وللمؤمنين» وقرأ: «قد أفلح المؤمنون- إلى قوله - هم فيها خالدون»

٦٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا ولا يؤمّ فاجر مؤمناً إلّا أن يقهره سلطان يخاف

سيفه أو سوطه»

٦١_ وقال الامام علي عليه السلام : «المؤمن يقظان ينتظر إحدى الحسنيين»

٦٢_ وقال صلى الله عليه وآله : «المؤمن ينظر إلى الدنيا بعين الإعتبار و يقتات فيها ببطن الإضطرار و يسمع فيها باذن المقت والإبغاض»

٦٣_ قيل: يارسول الله صلى الله عليه وآله بم يعرف المؤمن؟ فقال: بوقاره ولينه وصدق حديثه»

٦٤_ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علامة المؤمن خمسة: الورع في الخلوة، والصدقة في القلة، والصبر على المصيبة، والصدق عند الخوف، والحلم عند الغضب»

٦٥_ وقال الامام علي عليه السلام: «ثلاثة هن زينة المؤمن: تقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة»

٦٦_ وقال عليه السلام: «ورع المؤمن يظهر فى علمه، وورع المنافق لا يظهر إلا فى لسانه»

٦٧_ قال الامام علي عليه السلام : «التقوى حصن المؤمن»

٦٨_ وقال عليه السلام : «تقية المؤمن في قلبه وتوبته في إعترافه»

٦٩_ وقال عليه السلام : «سلاح المؤمن الاستغفار»

٧٠_ وقال عليه السلام : «المؤمن منيب مستغفر تواب»

٧١_ وقال عليه السلام : «المؤمن نفسه منه في تعب، والناس منه في راحة»

٧٢_ وقال عليه السلام : «المؤمن من تحمل أذى الناس ولا يتأذي أحد به»

٧٣_ وقال عليه السلام: «المومن بالتحمل خليق»

٧٤_ وقال عليه السلام : «جزية المؤمن كراء منزله وعذابه سوء خلق زوجته»

٧٥_ وقال الامام الباقر عليه السلام : «لهو المؤمن في ثلاثة أشياء: التمتع بالنساء، ومفاكهة الاخوان، والصلاة بالليل»

٧٦_ وقال الامام الحسن العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدي و خمسين، و زيارة الأربعين، والتختم في اليمين: و تعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم» .

٧٧- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن ينصف من لا ينصفه»

٧٨- وقال عليه السلام: «المؤمن هيّن ليّن سهل مؤتمن»

٧٩- وقال عليه السلام: «المؤمن عفيف مقتنع متنزّه متورّع»

٨٠- وقال عليه السلام: «المؤمن عفيف في الغنى متنزّه عن الدنيا»

٨١- وقال عليه السلام: «المؤمن حيّ غنيّ موقن تقيّ»

٨٢- وقال عليه السلام: «الحلم نظام أمر المؤمن»

٨٣- وقال عليه السلام: «المؤمن غرّ كريم، مأمون على نفسه حذر محزون»

٨٤- وقال عليه السلام «إنّ المؤمنين هيّنون ليّنون»

٨٥- «إنّ المؤمنين محسنون»

٨٦- وقال عليه السلام: «إنّ المؤمنين خائفون»

وقال بعض الزهّاد: «إنّ المؤمن في ستّة أنواع من الخوف: أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذه بغتة، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عليه عمله، والرابع من قبل الموت أن يأخذه في غفلة بغتة، والخامس من قبل الدنيا أن يغترّ بها فتشغله عن الآخرة، والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشتغلوه عن ذكر الله»

٨٧- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن يقظان مترقّب خائف ينتظر إحدى الحسنيين، ويخاف البلاء حذراً من ذنوبه يرجو رحمة ربه عزّ وجلّ»

- وقال عليه السلام: «لا يعرى المؤمن من خوفه ورجائه يخاف ممّا تقدّم ولا يسهو عن طلب ما وعده الله ولا يأمن مما خوّفه الله عزّ وجلّ»

٨٨- وقال عليه السلام: «المؤمن إذا سئل أسعف، وإذا سئل خفّف»

٨٩- وقال عليه السلام: «المؤمن ليّن العريكة سهل الخليقة»

٩٠- وقال عليه السلام: «الوجل شعار المؤمنين»

٩١- وقال عليه السلام: «الحزن شعار المؤمنين»

٩٢ـ وقال عليه السلام: «المؤمن مغموم بفكرته، ضنين بخلّته»

٩٣ـ وقال عليه السلام: «إنّ المؤمنين مشفقون»

٩٤ـ وقال عليه السلام: «إنّ المؤمنين وجلون»

٩٥ـ وقال عليه السلام: «لا يكون المؤمن إلّا حليماً رحيماً»

٩٦ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كظم غيظاً ملأ الله جوفه ايماناً»

٩٧ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فانّه يلقى الحكمة »

٩٨ـ وقال الامام عليّ عليه السلام: «الحكمة ضالّة كلّ مؤمن، فخذوها ولو من أفواه المنافقين»

٩٩ـ وقال عليه السلام: «الحكمة ضالّة المؤمن، فاطلب ضالّتك ولو في أهل الشرك» أي انّ الحكمة كالشيء الضائع من الإنسان يلزمه أن يطلبه حتّى يجده.

١٠٠ـ وقال عليه السلام: «غنيمة المؤمن وجدان الحكمة»

١٠١ـ وقال: رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، و منافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضلّه، ونفس تنازعه»

١٠٢ـ وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمن كفّارة لكل مسلم»

١٠٣ـ وقال الامام عليّ عليه السلام: «المؤمن من كان حبّه لله، وبغضه لله، وأخذه لله وتركه لله»

١٠٤ـ وقال عليه السلام: «المؤمن غريزته النصح، وسجيّته الكظم»

١٠٥ـ وقال عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن على أن يبغضني ما أبغضني»

١٠٦ـ وقال عليه السلام : « المؤمن لا يحيف على من يبغض » أي لا يجور على من يبغضه.

١٠٧ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يفتك مؤمن»

١٠٨- وقال ﷺ: «الايمان قيد الفتك»

١٠٩- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن شاكر في السرّاء، صابر في البلاء، خائف في الرخاء»

١١٠- وقال عليه السلام: «المؤمن دائم الذكر، كثير الفكر، على النعماء شاكر، و في البلاء صابر»

١١١- وقال عليه السلام: «المؤمن إذا نظر إعتبر، وإذا سكت تفكّر، وإذا تكلّم ذكر وإذا اعطى شكر، وإذا ابتلى صبر»

١١٢- وقال عليه السلام: «المؤمن إذا وعظ إزدجر ، وإذا حذّر حذر، وإذا عبّر إعتبر، وإذا ذكّر ذكر، وإذا ظلم غفر»

١١٣- وقال عليه السلام: «إدفعوا أمواج البلاء بالدعاء قبل ورود البلاء، فوالّذي فلق الحبّة وبرىء النسمة البلاء أسرع إلى المؤمن من إنحدار السيل من أعلا القلعة إلى أسفلها ومن ركض البرازين»

١١٤- وقال عليه السلام: «يمتحن المؤمن بالبلاء كما يمتحن بالنار الخلاص» أي الذهب الخالص.

١١٥- وقال عليه السلام: «لاتفرح بالغنى والرخا، ولاتغتمّ بالفقر والبلاء، فانّ الذّهب يجرّب بالنار والمؤمن يجرّب بالبلاء»

١١٦- وقال عليه السلام: «لايقصر المؤمن عن إحتمال ولايجزع لرزية»

١١٧- وقال عليه السلام : « المؤمن لا تحتله كثرة المصائب ، و تواتر النوائب عن التسليم لربّه و الرضا بقضائه كالحمامة الّتي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه»

١١٨- وقال رسول الله ﷺ: «لاينبغي لمؤمن أن يذلّ نفسه»

١١٩- وقال ﷺ: «سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن»

١٢٠- وقال ﷺ: «المؤمن ليسير المؤنة»

١٢١ـ وقال الامام علي عليه السلام: «قد لعمري يهلك في لهب الفتنة المؤمن، ويسلم فيها غير المسلم»

١٢٢ـ وقال الصادق عليه السلام: «ما ابتلى المؤمن بشيء أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمها. قيل: وماهي؟ قال: المواساة في ذات يده، والانصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إنّي لا أقول لكم: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولكن ذكر الله عند ما أحلّه وذكر الله عند ما حرّم عليه»

١٢٣ـ وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن سيرته القصد وسنّته الرشد»

١٢٤ـ وقال عليه السلام: «على لسان المؤمن نور يسطع وعلى لسان المنافق شيطان ينطق»

١٢٥ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»

١٢٦ـ وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن محدّث»

١٢٧ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عيّ المؤمن في لسانه»

١٢٨ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن حرام كلّه عرضه وماله ودمه»

١٢٩ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن دعب لعب والمنافق قطب وغضب»

١٣٠ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن مرآة المؤمن، فاذا رآه مشيناً فليمط عنه»

١٣١ـ وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن نفسه أصلب من الصلد وهو أذلّ من العبد»

١٣٢ـ وقال عليه السلام: «المؤمن أمين على نفسه مغالب لهواه وحسّه»

١٣٣ـ وقال عليه السلام: «إنّ المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلاّ ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها»

١٣٤ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحب المؤمنين من نصب نفسه في طاعة الله، ونصح لأمّة نبيّه وتفكّر في عيوبه، وأصلحها وعلم فعمل وعلم»

١٣٥ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ المؤمن ينضى شيطانه، كما ينضى أحدكم بعيره في

السفر» قوله صلى الله عليه وآله: «ينضى» من أنضى فلان بعيره: هزله بكثرة السير أو من أنضى ثوبه: أخلقه وأبلاه.

١٣٦- وقال صلى الله عليه وآله: «مثل المؤمن كمثل السنبلة تخرّ مرّة وتستقيم مرّة، ومثل الكافر مثل الارزة لايزال مستقيما لا يشعر» الارزة: عصبة من حديد يقال لها بالفارسية: ميل آهن.

١٣٧- وقال الإمام علي عليه السلام: «المؤمن يعاف اللهو ويألف الجدّ» قوله عليه السلام: «يعاف»: يكره ويترك.

١٣٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أباذر! أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين كعبيه»

١٣٩- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن من طهّر قلبه من الدّنيّة»

١٤٠- وقال عليه السلام: «بالورع يزكّى المؤمن»

١٤١- وقال عليه السلام: «نور المؤمن من قيام الليل»

١٤٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علامة المؤمن ثلاثة: قلّة الأكل لاختيار الصّوم، وقلّة فضول الكلام لاختيار الذكر، وقلّة النوم لإختيار الصّلاة»

١٤٣- وقال عليه السلام: «الصّلاة نور المؤمن»

١٤٤ وقال عليه السلام: «واعلم أنّ شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه إستغناؤه عن الناس»

١٤٥- وقال الامام علي عليه السلام: «عزّ المؤمن غناه عن الناس»

١٤٦- وقال عليه السلام: «المؤمن على الطاعات حريص، وعن المحارم عفّ»

١٤٧- وقال عليه السلام: «سرور المؤمن بطاعة ربّه وحزنه على ذنبه»

١٤٨- وقال عليه السلام: «غنا المؤمن بالله سبحانه»

١٤٩- وقال عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن يلزم الطاعة، ويلتحف الورع والقناعة» قوله عليه السلام: «يلتحف» من لحف الثوب: لبسه.

١٥٠- وقال عليه السلام: «نعم حظّ المؤمن القنوع»

١٥١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس من خلق المؤمن الملق»

١٥٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع»

١٥٣- وقال صلى الله عليه وآله: «ياعليّ ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيا: لقاء الاخوان و الإفطار من الصّيام، والتهجّد من آخر الليل»

١٥٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ياعليّ موت الفجّار راحة للمؤمن وحسرة للكافر»

١٥٥- وقال عليه السلام: «إغتنموا دعوة المؤمن المبتلى»

١٥٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بكاء المؤمن من خشية الله قرّة عينه»

١٥٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدعاء سلاح المؤمنين وعمود الدين ونور السموات والأرض»

١٥٨- وقال الامام عليّ عليه السلام: «سلاح المؤمن الدّعاء»

١٥٩- وقال عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلّي بين نفسه، ولذّتها فيما يحلّ ويجمل»

١٦٠ - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عجباً للمؤمن فوالله لايقضى الله للمؤمن قضاء إلاّ كان له خيراً»

١٦١- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ المؤمن إذا أصابه السقم ثمّ أعفاه الله منه كان كفّارة لما مضى من ذنوبه، وموعظة له فيما يستقبل، وإنّ المنافق إذا مرض ثم اعفى كان كالبعير عقله أهله، ثمّ أرسلوه فلم يدرلم عقلوه ولم يدرلم أرسلوه»

١٦٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لايزال الغمّ والهمّ بالمؤمن حتّى لا يدع له ذنباً»

١٦٣- وقال عليه السلام: «نظر المؤمن في وجه أخيه حبّاً له عبادة»

١٦٤- و قال عليه السلام: «إنّ الله تعالى يحبّ العبد المؤمن المحترف» أي صاحب حرفة.

١٦٥- وقال عليه السلام: إنّ الله يحبّ المؤمن المعترف المتحرّف» أي الّذي

يعترف بذنبه ويعدل عنه.

١٦٦- وقال عليه السلام: «ظهر المؤمن حمى إلّا من حد»

١٦٧- وقال عليه السلام: «إنّ الله تعالى يحبّ عبده المؤمن الفقير المتعفّف أبا العيال »

١٦٨- وقال الامام علي عليه السلام: «الفقر صلاح المؤمن، ومريحه من حسد الجيران وتملّق الإخوان وتسلّط السلطان »

١٦٩- وقال عليه السلام : « المؤمن دأبه زهادته، وهمّه ديانته ، وعزّه قناعته، وجدّه لآخرته، قد كثرت حسناته، وعلت درجاته، وشارف خلاصه ونجاته»

١٧٠- وقال عليه السلام: «لن تلقى المؤمن إلّا قانعاً»

١٧١- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ المؤمن يأخذ بأدب الله إذا أوسع الله عليه إتسع وإذا أمسك عنه أمسك »

١٧٢- وقال الامام علي عليه السلام : «المؤمن من طاب مكسبه، وحسنت خليقته، وصحّت سريرته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، و كفى الناس من شرّه وأنصف الناس من نفسه»

١٧٣- وقال الامام على عليه السلام : «التجمّل من أخلاق المؤمنين»

١٧٤- وقال الامام علي عليه السلام: «المؤمن من وقى دينه بدنياه والفاجر من وقى دنياه بدينه »

١٧٥- وقال عليه السلام : «إقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم، فانّ المؤمن البلغة اليسيرة من الدنيا تقنعه»

١٧٦- وقال عليه السلام : «أهربوا من الدنيا واصرفوا قلوبكم عنها، فانّها سجن المؤمن، حظّه منها قليل، وعقله بها عليل وناظره فيها كليل»

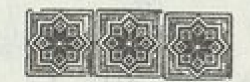
١٧٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ياعلي الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»

١٧٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولاحزن حتّى

الهمّ بهمّه إلّا كفّر الله به عنه من سيّئاته»

١٧٩- وقال عليه السلام: «إنّ الله سبحانه أبى أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين إلّا من حيث لا يحتسبون»

١٨٠- وقال الصادق عليه السلام: «ثلاث للمؤمن فيهن راحة: دار واسعة توارى عورته وسوء حاله من الناس، وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة، وإبنة أو اخت يخرجها من منزله بموت أو تزويج»



« كلمات قصار حول الايمان والجنة »

غرر حكم و درر كلم في الايمان والجنّة فنشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ قال زين العابدين، سيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليهما السلام : « خمس خصال إذا اجتمعت في المؤمن كان على الله أن يوجب له الجنّة : النّور في القلب ، والفقه في الاسلام ، والورع في الدين ، والمودّة في الناس ، وحسن السيمة في الوجه » .

٢ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « الجنّة جزاء كل مؤمن محسن » .

٣ـ وقال عليه السلام : « الدنيا سجن المؤمن ، والموت تحفته ، والجنّة مأواه » .

٤ـ وقال عليه السلام : « المؤمن الدنيا مضماره ، والعمل همّته ، والموت تحفته ، والجنّة سبقته » .

٥ـ وقال عليه السلام : « أفضل تحفة المؤمن الموت » .

٦ـ وقال عليه السلام : « ما أنفع الموت لمن أشعر الايمان والتقوى قلبه » .

٧ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أباذر إنّ الارض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً » .

٨ـ وقال الامام عليّ عليه السلام : « نجى من صدق ايمانه وهدى من حسن إسلامه » .

٩ـ وقال عليه السلام : « عليكم باخلاص الايمان فانّه السبيل إلى الجنّة والنّجاة من النّار » .

١٠ـ وقال عليه السلام : « ملاك النجاة لزوم الايمان و صدق الايقان » .

١١- وقال عليه السلام: «غاية المؤمن الجنة».

١٢- وقال عليه السلام: «غرض المؤمن إصلاح المعاد».

١٣- وقال عليه السلام: «ليس بمؤمن من لم يهتمّ باصلاح معاده».

١٤- وقال عليه السلام: «لايؤمن بالمعاد من لم يتحرّج عن ظلم العباد».

١٥- وقال عليه السلام: «من آمن بالله لجأ إليه».

١٦- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «و ما من مؤمن يموت في غربة إلّا بكت الملائكة رحمة له حيث قلّت بواكيه وإلّا فسح له في قبره بنور يتلألأ من حيث دفن إلى مسقط رأسه».

١٧- وقال الامام عليّ عليه السلام: «لاشيء يدّخره الإنسان كالايمان بالله سبحانه وصنائع الإحسان».

١٨- وقال الامام السادس جعفربن محمّد الصّادق عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الايمان: من صبر على الظلم، و كظم غيظه، و احتسب و عفى وغفر كان ممّن يدخله الله عزّ وجلّ الجنّة بغير حساب ويشفعه في مثل ربيعة ومضر».

١٩- وقال الامام عليّ عليه السلام: «النّجاة مع الايمان».

٢٠- وقال عليه السلام: «لا نجاة لمن لا ايمان له».

٢١- وقال عليه السلام: «كافر سخيّ أرجى إلى الجنّة من مؤمن شحيح».

٢٢- وقال الامام الخامس محمّدبن عليّ الباقر عليه السلام: «إنّ لله جنّة لايدخلها إلّا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحق، و رجل زار أخاه المؤمن في الله، و رجل آثر أخاه المؤمن في الله».

٢٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ أبغض النّاس إلى الله تعالى من يقتدى بسيّئة المؤمن ولايقتدى بحسنته».

٢٤- وقال الامام عليّ عليه السلام: «والله لايعذّب الله سبحانه مؤمناً إلّا بسوء ظنّه وسوء خلقه».

٢٥ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ثلاثة لا خوف عليهم يوم القيامة: المخلص في الايمان، والمجازى في الإحسان، والسلطان العادل ».

٢٦ـ وقال صلى الله عليه وآله: « لو يعلم المؤمن ما عندالله من العقوبة ما طمع بجنّته أبداً، ولوعلم الكافر ما عندالله من الرحمة ما قنط من الجنّة أبداً ».

٢٧ـ وقال صلى الله عليه وآله: « إنّ ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبع جنازته ».

٢٨ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « الحمى حظّ كل مؤمن من النار ».

٢٩ـ وقال صلى الله عليه وآله: « المؤمن يوم القيامة في ظلّ صدقته ».

٣٠ـ وقال صلى الله عليه وآله: « الله أكرم من أن يبتلي عبده المؤمن بذهاب بصره، ثم لايثيبه الجنّة ».

٣١ـ وقال صلى الله عليه وآله: « إنّ المؤمن يوجر في نفقته كلّها إلّا شيئاً جعله في التراب أو البناء ».

٣٢ـ وقال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: « ثلاثة أشياء لايحاسب الله عليها المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، و زوجة صالحة تعاونه وتحصن فرجه».

٣٣ـ وقال عليه السلام أيضاً: « لاراحة لمؤمن على الحقيقة إلّا عند لقاء الله وماسوى ذلك ففي أربعة أشياء: صمت تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين بارئك، وخلوة تنجوبها من آفات الزمان ظاهر أو باطناً، وجوع تميت به الشهوات والوساوس، وسهر تنور به قلبك وتصفى به طبعك وتزكى به روحك ».

٣٤ـ وقال بعض الحكماء: « جنّة المؤمن داره ».

٣٥ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلّا خفّف الله عزّ وجلّ عليه أهوال يوم القيامة، ثمّ يأمر به إلى الجنّة ».

٣٦ـ وقال صلى الله عليه وآله: « الحياء من الايمان، والايمان من الجنّة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار ».

٣٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أغبط الناس عندي ، مؤمن خفيف الحاذّ ، ذو حظّ من صلاة ، وكان رزقه كفافاً ، فصبر عليه ، حتّى يلقى الله ، وأحسن عبادة ربه ، وكان غامضاً في النّاس ، عجلت منيّته ، وقلّ تراثه ، وقلّت بواكيه » .

٣٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مامن مؤمن يموت إلّا وله باب يصعد منه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فاذا مات بكيا عليه ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ : « فما بكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين » .

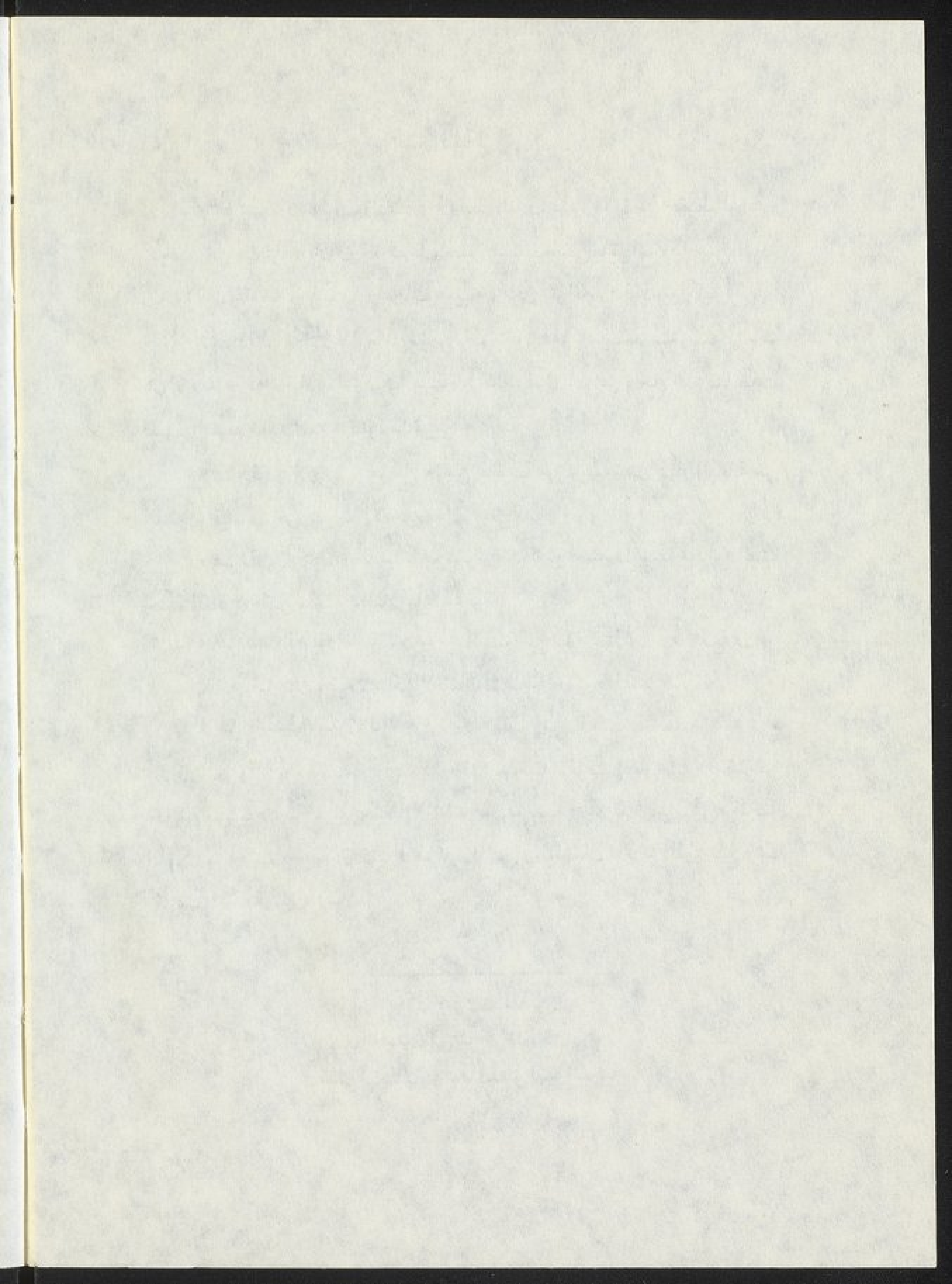
٣٩- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من مؤمن يخرج من عينيه مثل رأس الذبابة من الدموع فيصيب حرّ وجهه إلّا حرّمه الله على النّار » .

٤٠- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « الدنيا سجن المؤمن ، والقبر حصنه والجنّة مأواه والدنيا جنّة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه » .

و في دعاء الامام سيد الشهداء : الحسين بن علي عليهما السلام - : « يامن هداني للايمان من قبل أن أعرف شكر الامتنان - فلك الحمد والشكر . . . » .

و في أدعية الصباح و المساء : - « اللهم إنّي آمنت بمحمد و آله و لم أره فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته وارزقني صحبته وتوفّني على ملّته واسقني من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً إنك على كل شيء قدير اللهم كما آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و لم أره فأرني في الجنان وجهه اللهم بلّغ روح محمّد عنّي تحيّة كثيرة وسلاماً » .

تمت سورة العصر
والحمد لله في الآخرة والاولى
وصلى الله على محمد و أهل بيته النجباء



فهرس ماجاءفى تفسيرسورة الزلزال

يدورالبحث حولها على فصلين:

الاول : في عناوين تفسيرالسورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها

في سورة الزلزال وفيه بصيرة واحدة وفيها خمسة امور:

فهرس ماجاء في تفسير سورة العاديات

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة:

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها

في سورة العاديات وفيه بصيرة واحدة وفيها امور تسعة:

فهرس ماجاء فى تفسير سورة القارعة

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها

في سورة القارعة وفيه بصيرة واحدة وفيها ستة امور:

فهرس ماجاء في تفسير سورة التكاثر

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة التكاثر و فيه بصيرتان:

البصيرة الاولى : و فيها عشرون أمراً :

البصيرة الثانية و فيها أمر واحد :

فهرس ماجاء في تفسير سورة العصر

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول : في عناوين تفسيرالسورة وفيها سبع عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة العصر وفيه خمس بصائر:

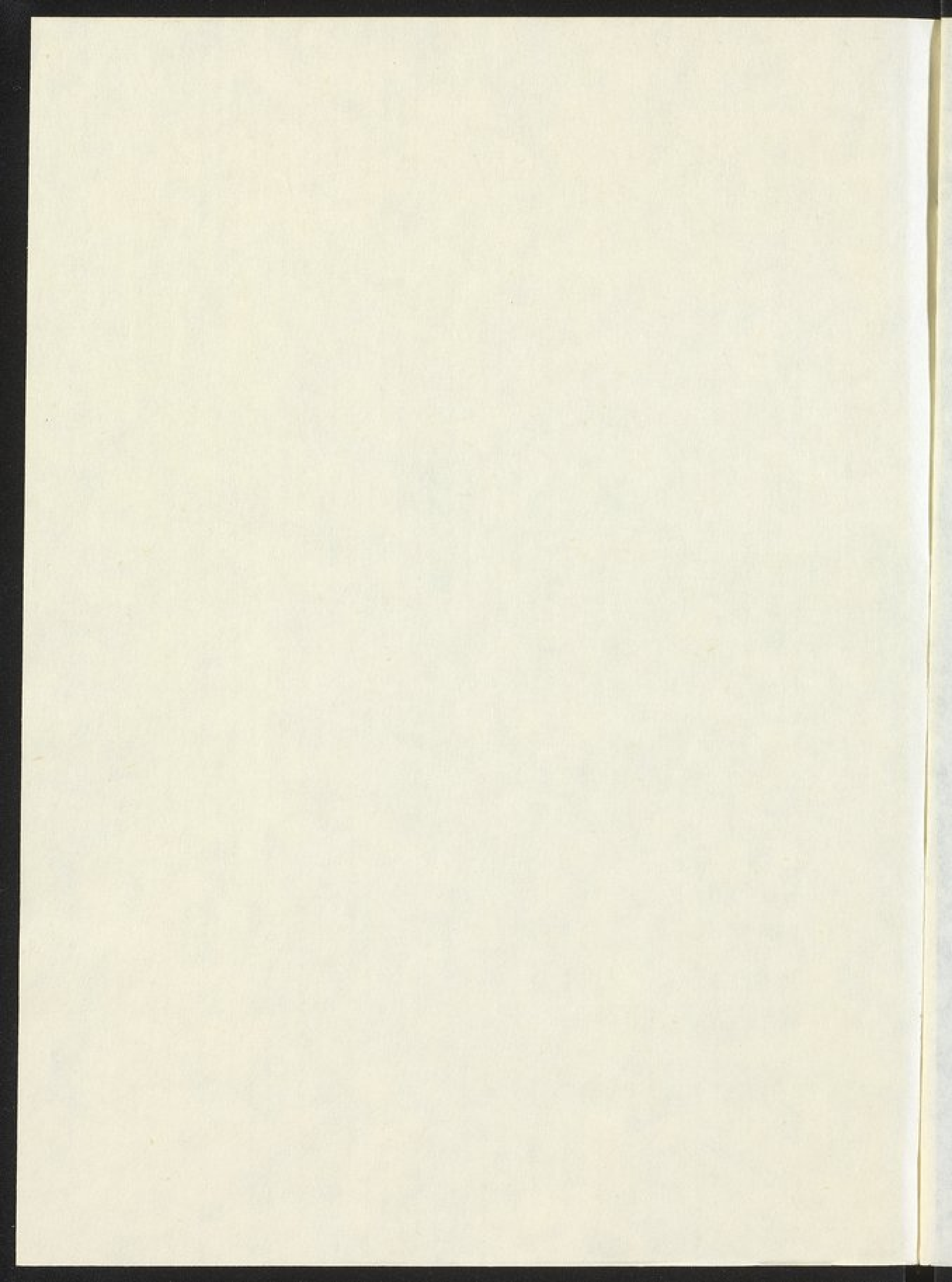
البصيرة الاولى: وفيها أمران:

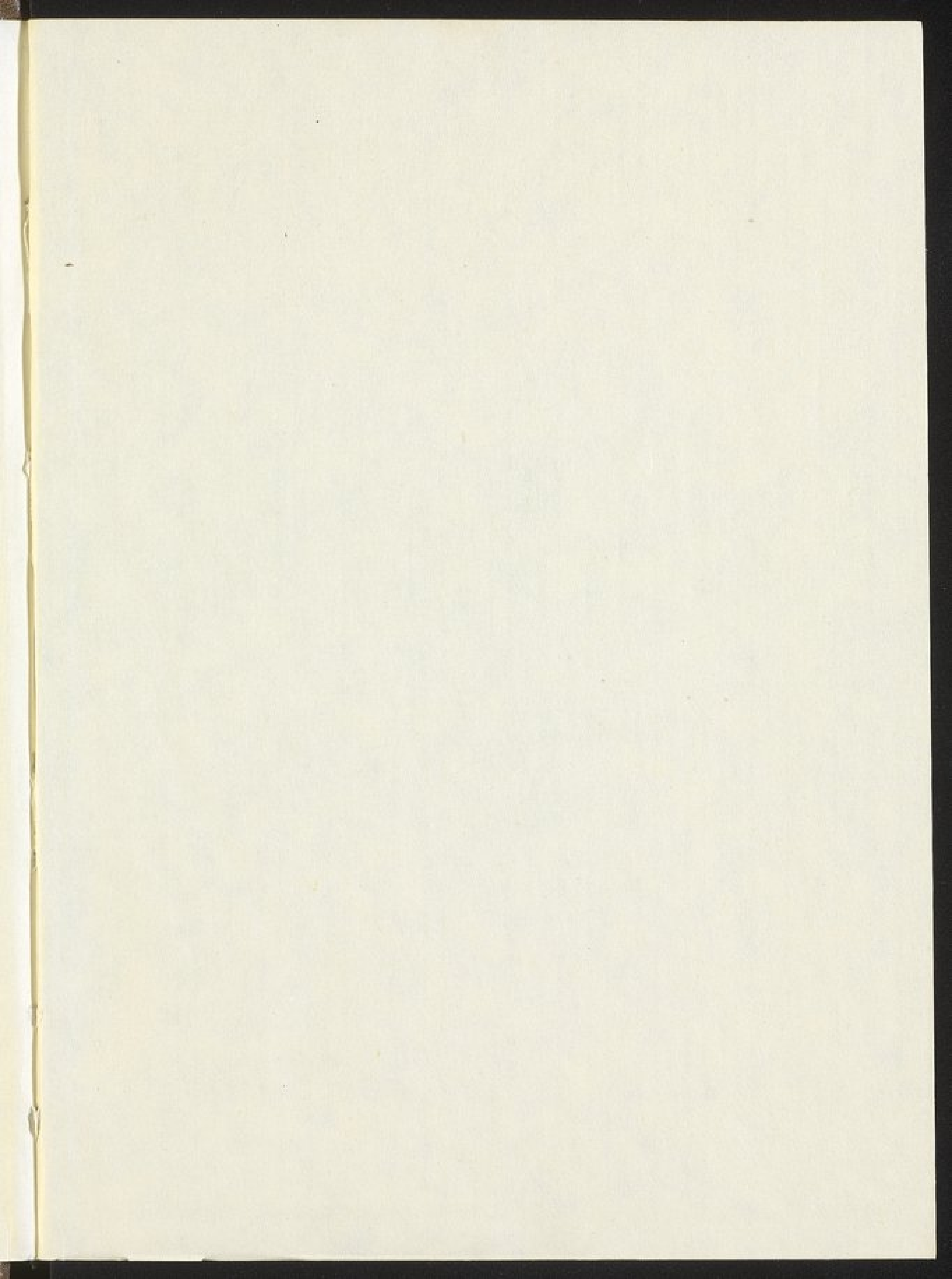
البصيرة الثانية: وفيها ثلاثة امور:

البصيرة الثالثة: وفيها عشرة امور:

البصيرة الرابعة: وفيها أحد عشر أمراً:

البصيرة الخامسة: وفيها سبعة امور:






VETVS & NOVVM
TESTA MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

